RARE BOOK COLLECTION
B.Y.U. Library
Gift of
Vault
091.4
Rare
B34t
Call
1721
No.
V.2 1

النصف الاول من
تفسير البيضاوى

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نثق

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا فتحدي باقصر سورة من سوره جوامع الخطباء من العرب العرباء فلم يجد قديرا والزمهم تصدي لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا انهم سحروا تسحيرا ثم بين للناس ما نزل اليهم حسبما عن لهم من مصالحهم ليدبروا آياته وليذكر اولوا الالباب تذكيرا فكشف قناع الاغلاق عن آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات هن رموز الخطاب تاويلا وتفسيرا وابرز غوامض الحقايق والمباني الدقايق لتجلى لهم خبايا الملك والملكوت وخبايا قد استاثرت ليتفكروا فيها تفكيرا ومهد لهم قواعد الاحكام واوضاحها من نصوص الايات والماعها ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا فمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد فهو في الدارين حميد وسعيد ومن لم يرفع اليه راسه والقى نبراسه يعيش ذميما وسيصلى سعيرا فيا واجب الوجود ويا فايض الوجود ويا غاية كل مقصود صل عليه صلاة تتوازى غناءه وتجازي عناءه وعلى من اعانه وقرر تبيانه تقريرا وافض علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك كراماتهم وسلم علينا وعليهم تسليما كثيرا وبعد فان اعظم العلوم مقدارا وارفعها شرفا ومنارا علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية ورأسها ومبني قواعد الشرع واساسها لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه الا من برع في العلوم الدينية كلها اصولها وفروعها وفاق في الصناعات العربية والفنون الادبية بانواعها ولما احدث نسبي بان اصنف في هذا الفن كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومن دونهم من السلف الصالحين وينطوي على نكت بارعة ولطايف رايعة استنبطها انا ومن قبلي من افاضل المتاخرين واماثل المحققين ويعرب عن وجوه القراآت المعزية الى الايمة الثمانية المشهورين والشواذ المروية عن القرا المعتبرين الا ان قصور بضاعتي تثبطني عن الاقدام وتمنعني عن الانتصاب في هذا المقام حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم عزمي على الشروع فيما اردته والاتيان بما قصدته ناويا ان اوسمه بعد اتمامه بانوار التنزيل واسرار التاويل فها انا الان اشرع وبحسن توفيقه اقول والله الموفق لكل خير ومعطي كل سؤل

سورة الفاتحة مكية وقيل مدنية وهي سبع آيات وتسمى ام القران لانها مفتتحة ومبداه فكانها اصله ومنشاه ولذلك تسمى اساسا ولانها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله تعالى

والتعبد

والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام
العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وسورة
الكنز والوافية والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها عليها وسورة
الصلوة لوجوب قراءتها او استحبابها وافيها والشافية والشفا لقوله عليه الصلوة والسلام هي شفاء
لكل داء والسبع المثاني لانها سبع ايات بالاتفاق الا ان منهم من عد التسمية اية دون انعمت عليهم
ومنهم من عكس وتثنى في الصلاة او الانزال ان صح انها نزلت بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة
حين حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني وهو مكي بالنص
بسم الله الرحمن الرحيم هي من الفاتحة وعليه قراءة مكة والكوفة وفقهاؤها وابن المبارك
والشافعي رحمهما الله تعالى وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك والاوزاعي
ولم ير ابو حنيفة رحمه الله فيه شيئ فظن انها ليست من السورة عنده وسئل محمد بن الحسن عنها
فقال ما بين الدفتين كلام الله لنا احاديث كثيرة منها ما روى ابو هريرة رضي الله عنه انه
عليه الصلوة والسلام قال فاتحة الكتاب سبع ايات اولاهن باسم الله الرحمن الرحيم وقول ام
سلمة رضي الله عنها قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب
العالمين اية ومن اجلها اختلف في انها اية براسها او بما بعدها والاجماع على ما بين الدفتين
كلام الله والوفاق على اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القران حتى لم يكتب امين
والباء متعلقة بمحذوف تقديره باسم الله اقرء الان الذي يتلوه مقروء وكذلك يضمر كل فاعل
ما يجعل التسمية مبداء له وذلك اولى من ان يضمر ابتداء لعدم ما يطابقه ويدل عليه وابتدئ
لزيادة اضمار فيه وتقديم المعمول هنا اوقع في النفس كما في قوله تعالى بسم الله مجراها وقوله
اياك نعبد لانه هم ودال على الاختصاص وادخل في التعظيم واوفق للوجود فان اسمه تعالى
مقدم على القراءة كيف وقد جعل الترها من حيث ان الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا ما لم يصدر
باسمه تعالى لقوله عليه الصلاة والسلام كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر وقيل الباء
للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله تعالى اقراء وهذا وما بعده مقول على السنة العباد ليعلموا
كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه ويسأل من فضله وانما كسرت الباء ومن حق الحروف المفردة
ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر
للفصل بينهما وبين لام الابتداء والاسم عند البصريين من الاسماء التي حذفت اعجازها لكثرة
الاستعمال فبنيت اوائلها على السكون وادخل عليها مبتداء بها همزة الوصل لان من دأبهم
ان يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد له تصريفه على اسماء واسامي وسمي وسميته
ومجيء سمي كهدي لغة فيه قال
والله اسماك سمي مباركا آثرك الله به ايثارك
غير والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وشعار له ومن الوسم عند
الكوفيين واصله وسم حذفت منه الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد بان
الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاته سِم وسُم قال
بسم الذي في كل سورة سمه والاسم اذا اريد به اللفظ فغير المسمى لانه
يتالف من اصوات مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف الامم والاعصار ويتعدد تارة ويتحد
اخرى والمسمى لا يكون كذلك واذا اريد به ذات الشيء فهو المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى
وقوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن المثالب
يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب والاسم فيه معظم كما في قول الشاعر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما وان اريد به الصفة كما هو راي الشيخ ابي الحسن

ان ج

الى اخر السورة

الاشعري انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى والى ما هو غيره والى ما ليس هو ولا
غيره وانما قال بسم الله ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة بذكر اسمه او للفرق بين اليمين
والتيمن ولم تكتب الالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها والله
اصله اله فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك قيل يا الله بالقطع الا انه مختص
بالمعبود بالحق والاله في اصله لكل معبود ثم غلب على المعبود بحق واشتقاقه من الٰه الاهة
والوهة والوهية بمعنى عبد ومنه تالّه واستألهه وقيل من اله اذا تحير اذ العقول تتحير
في معرفته او من الهت الى فلان اذا سكنت اليه اذ القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن
الى معرفته او من اله اذا فزع من امر نزل عليه والٰه غير اجار اذ العايذ يفزع اليه فهو
يجير حقيقة او بزعمه او من اله الفصيل اذا ولع بامه اذ العباد مولعون بالتضرع اليه
في الشدايد او من وله اذا تحير وتخبط عقله وكان اصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال
الكسرة عليها استثقالها الضم في وجوه فقيل اله كاعاء واشاح ويرده الجمع على الهة دون
اولهة وقيل اصله لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها اذا احتجب وارتفع لانه محجوب عن ادراك
الابصار ومرتفع عن كل شيء وعما لا يليق به ويشهد له قول الشاعر

لله يبقى على الايام ذو حيد ... بمشمخر به الظيان والاسد

لحلفة من ايد باح يسمعها ... لاهة الكبار

وقيل علم للذات المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لا بد له من اسم يجري عليه صفاته
ولا يصلح له مما يطلق على سواه ولانه لو كان وصفا لم يكن قولنا لا اله الا الله توحيدا مثل
لا اله الا الرحمن فانه لا يمنع الشركة والحق انه وصف في اصله لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل
في غيره وصار كالعلم مثل الثريا والصعق اجري مجراه في اجراء الوصف عليه وامتناع
الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة لان ذاته من حيث هو بلا اعتبار امر اخر حقيقي
او غيره غير معقول للبشر فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوصة
لما افاد ظاهر قوله تعالى وهو الله في السموات معنى صحيحا ولان معنى الاشتقاق هو كون
احد اللفظين مشاركا للاخر في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة
وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم
لامه اذا انفتح ما قبله او انضم سنة وقيل مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلاة
ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر

الا اباركَ الله في سهيل ... اذا ما الله بارك في الرجال

والرحمن والرحيم اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم والرحمة
في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها
واسماء الله تعالى انما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي التي تكون انفعالات
والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطّع وكبار وكبّار وذلك
انما تؤخذ تارة باعتبار الكمية والكيفية وتارة باعتبار الكيفية فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن
والكافر ورحيم الاخرة لانه يخص المؤمن وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا
لان النعم الاخروية كلها اجسام واما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم والقياس يقتضي
الترقي من الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف به غيره لان
معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره لان من عداه فهو مستفيض
بلطفه وانعامه اجزيل ثواب وجميل ثناء او مزيل رقة الجنسية او حب المال عن القلب ثم انه كالوسطة
في ذلك لان ذات المنعم ووجودها والقدرة على ايصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع

اذا اطلق على غير الله تعالى كاطلاقهم الاله على الصنم

من العوض

يريد به

بها

بها والقوي التي يحصل بها الانتفاع الي غير ذلك من خلقه لا يقدر عليها احد غيره اولان الرحمن لما
دل علي جلايل النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما يخرج منها فيكون كالتتمة والرديف له والمحافظة
علي رؤس الاي والاظهر انه غير مصروف وان حظر اختصاصه بالله ان يكون له مؤنث علي فعلي وفعلان
لما قاله بالاغلب في بابه وتخصيص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان
به في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولي النعم كلها عاجلها واجلها جليلها وحقيرها
فيتوجه ح بشراشره الي جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره
الحمد لله الحمد هو الثناء علي الجميل الاختياري من نعمة او غيرها والمدح هو الثناء علي الجميل الاختياري
مطلقا تقول حمدت زيدا علي علمه وكرمه ولا تقول حمدته علي حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر
في مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا قال افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المجبا
فهو اعم منهما من وجه واخص من اخر ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع للنعمة وادل علي مكانها
لخفاء الاعتقاد وما في اداب الجوارح من الاحتمال جعل راس الشكر والعمدة فيه فقال عليه الصلاة
والسلام الحمد راس الشاكر الله من لم يحمد والذم نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر ورفعه بالابتداء
وخبره لله واصله النصب وقد قري به وانما عدل عنه الي الرفع ليدل علي عموم الحمد وثباته له دون
تجدده وحدوثه وهو من المصادر التي تنصب بافعال مضمرة لا تكاد تستعمل معها والتعريف
فيه للجنس ومعناه الاشارة الي ما يعرفه كل احد ان الحمد ما هو وقيل للاستغراق اذ الحمد في الحقيقة
كله له اذ ما من خير الا وهو موليه بوسط او غير وسط كما قال تعالي وما بكم من نعمة فمن الله وفيه اشعار
بانه تعالي حي قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شانه وقري الحمد لله باتباع الدال
اللام وبالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة رب العالمين الرب
في الاصل بمعني التربية وهو تبليغ الشيء الي كماله شيئا فشيئا ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل
وقيل هو نعت من قوله ربه يربه فهو رب كقولك ضمه يضمه فهو ضم سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه
ويربيه ولا يطلق علي غير الا مقيدا كقوله قال ارجع الي ربك والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم
والقالب غلب فيما يعلم به الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر والاعراض لانها امكانها وافتقارها
الي مؤثر واجب لذاته تدل علي وجوده وانما جمعه ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء
منهم فجمعه بالياء والنون كساير اوصافهم وقيل اسم وضع لذوي العلم من الملايكة والثقلين
وتناوله الغير علي سبيل الاستتباع وقيل عني به الناس ها هنا فان كل واحد منهم عالم من حيث
انه يشتمل علي نظاير ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما ابدعه
في العالم الكبير ولذلك سوي بين النظر فيهما وقال تعالي وفي الارض ايات للموقنين وفي انفسكم
افلا تبصرون وقري رب العالمين بالنصب علي المدح او النداء او بالفعل الذي دل عليه الحمد
وفيه دليل علي ان الممكنات كما هي مفتقرة الي المحدث حال حدوثها فهي مفتقرة الي المبقي حال
بقايها الرحمن الرحيم كرره للتعليل علي ما سنذكره مالك يوم الدين قراءة عاصم والكسائي
ويعقوب وبعضد قوله لمن الملك اليوم لا تملك نفس لنفس شيا والامر يومئذ لله وقراءة الباقون ملك
من الملك ح وهو المختار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولما فيه من التعظيم والمالك هو
المتصرف في الاعيان المملوكة كيف شاء من الملك والملك هو المتصرف بالامر والنهي في المامورين
وقري ملك بالتخفيف وملك بلفظ الفعل وما لكا بالنصب علي المدح او الحال ومالك بالرفع
منونا ومضافا علي انه خبر مبتداء محذوف وملك مضاف بالرفع والنصب ويوم الدين يوم
الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوي العدوان دناهم كما دانوا
اضاف اسم الفاعل الي الظرف اجراء له مجري المفعول به علي الاتساع كقولهم يا سارق الليلة

اهل الدار ومعناه ملك الامور يوم الدين على طريقة وناديَ اصحاب الجنة اولهم الملك في هذا
اليوم على وجه الاستمرار لتكون الاضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين
الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة اما لتعظيمه
او لتفرده تعالى بنفوذ الامر فيه واجراء هذه الاوصاف على الله تعالى من كونه ربا للعالمين
موجدا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها مالكا لامورهم يوم الثواب
والعقاب للدلالة على انه للحقيق بالحمد لا احد احق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه
فان ترتب الوصف على الحكم يشعر بالعلية له وللاشعار من طريق المفهوم على ان من لم يتصف
بتلك الصفات لا يستاهل لان يحمد فضلا عن ان يعبد ليكون دليلا على ما بعده فالوصف الاول
لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية والثاني والثالث للدلالة على انه متفضل بذلك
مختار فيه ليس يصدر عنه لايجاب بالذات ووجوب على قضية لسوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد
والرابع لتحقيق الاختصاص فانه مما لا يقبل الشركة فيه وتضمين الوعد فيه للحامدين والوعيد
للمعرضين اياكَ نعبدُ واياكَ نستعينُ لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات تميز بها عن
سائر الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك اي يا من هذا شانه نخصك بالعبادة
والاستعانة ليكون ادل على الاختصاص والترقي من البرهان الى العيان والانتقال من
الغيبة الى الشهود فكان المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضورا بيتداول
الكلام على ما هو مبادي حال العارف من الذكر والفكر والتامل في اسمائه والنظر في الايه
والاستدلال بصنايعه على عظيم شانه وباهر سلطانه ثم ترقي بما هو منتهى امن وهو ان
يخوض لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه عيانا وبناجيه شفاها اللهم اجعلنا
من الواصلين الى العين دون السامعين للاثر ومن عادة العرب التفنين في الكلام
والعدول من اسلوب الى اخر تطرية له وتنشيطا للسامع فتعدل من الخطاب الى الغيبة ومن
الغيبة الى التكلم وبالعكس كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله تعالى الله
الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقول امرئ القيس

تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الارمد
وذلك من خبر جاءني وخبرة عن ابي الاسود

واياك ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت عليه لبيان التكلم
والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في ارايتك وقال الخليل اياً
مضاف اليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه واياً الشواب وهو شاذ
لا يعتمد عليه وقيل هن الضماير واياً عمدة فانها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة
فضم اليها اياً لتستقل به وقيل الضمير هو المجموع وقرئ آياك وهياك بقلبها هاءً والعبادة
اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اي مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان في غاية
الصفاقة ولذلك لا يستعمل الا في غاية الخضوع لله تعالى والاستعانة طلب المعونة وهي اما
ضرورية او غيرها والضرورية ما لا يتاتى الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول
الة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يصح ان يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح ان يوصف
بالكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما تيسر به الفعل ويسهل كالراحلة في السفر
للقادر على المشي ويقرب الفاعل الى الفعل ويحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة
التكليف والمراد طلب المعونة في المهمات كلها او في ادآء العبادات والضمير المستكن في الفعلين

بوجه ما ع

للقاري

للقاري ومن معه من الحفظة وحاضري صلاة الجماعة اوله ولسائر الموحدين ادرج عبادته
في تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة
وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما
معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم في الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغي ان يكون
نظره الى المعبود وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث انها صدرت عنه بل من حيث انها نسبة
شريفة اليه ووصلة بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة
جناب القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها الا من حيث انها ملك
له ومنتسبة اليه ولذلك فضل ما حكي الله عن حبيبه حيث قال لا تحزن ان الله معنا على
ما حكاه عن كليمه حيث قال ان معي ربي سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على انه المستعان به
لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة لتوافق رؤس الآي ويعلم منه ان تقدم الوسيلة على
طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واقول لما نسب المتكلم العبادة لنفسه اوهم ذلك تجاهه
واعتداده بما يصدر عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة لا تتم
ولا تستتب له الا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين
بك وقرئ بكسر النون فيهما وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون حروف المضارعة سوى الياء اذا لم
ينضم ما بعدها اهدنا الصراط المستقيم بيان للمعونة المطلوبة فكانه قال كيف اعينكم
فقالوا اهدنا وافراد لما هو المقصود الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله
تعالى واهدوهم الى صراط الجحيم وارد على آلهتهم ومنه الهدية وهوادي الوحش لمقدمها تقفا
والفعل منه هدي واصله ان يعدي باللام او الى فعومل معه معاملة اختار في قوله واختار
موسى قومه وهداية الله تعالى تتنوع انواعا لا يحصيها عد ولكنها تنحصر في اجناس مترتبة
الاول افاضة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس
الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح
والفساد واليه اشار حيث قال وهديناه النجدين وقوله تعالى فهديناهم فاستحبوا العمى
على الهدى والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله تعالى وجعلنا منهم
ائمة يهدون بامرنا وقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم والرابع ان يفيض على قلوبهم
السرائر ويريهم الاشياء كما هي بالوحي والالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله
الانبياء والاولياء واياه عنى بقوله تعالى اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله تعالى
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب اما زيادة ما منحوه من الهدى والثبات عليه
او حصول المراتب المترتبة عليه فاذا قاله العارف الواصل عنى به ارشدنا طريق السير
فيك لنتمحى عنا ظلمات حوالنا ونميط غواشي ابداننا لنستضيئ بنور قدسك فنراك بنورك
والامر والدعاء يتشاركان لفظا ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة
والصراط من سرط الطعام اذا ابتلعه وكانه مسترط السالك ولذلك سمي لقما لانه يلتقمهم
والصراط من قلب السين صادا لتطابق الطاء في الاطباق وقد تشم الصاد صوت الزاء ليكون
اقرب الى المبدل عنه وقراءة ابن كثير رواية قنبل ورويس عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام
والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت في الامام وجمعه صرط كلكتب وهو كالطريق
في التذكير والتانيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وقيل هو ملة الاسلام
صراط الذين انعمت عليهم بدل من الاول بدل الكل من الكل وهو في حكم تكرر العامل من حيث
انه المقصود بالنسبة وفائدته التوكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين هو المشهود

ح
ملاحظة اليه

حظة
حصة

ايضا مما
ع
في الصحاح استتب الامر
تهيا واستقام ه

سبيل ع

كما قال تعالى وان تعدوا نعمة
الله لا تحصوها ع

واما شهود ع

كيشف
ه

عليه بالاستقامة على الكدم وجه والبلغه لانه جعل كالتفسير والبيان له فكان من البين الذي
لاخفاء فيه ان الصراط المستقيم ما يكون طريق المومنين وقيل الذين انعمت عليهم الانبياء وقيل
اصحاب موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط من انعمت عليهم
والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان فاطلقت لما يستلذ من النعم
وهي اللين ونعم الله وان كانت لا تحصى كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها تنحصر
في جنسين دنيوي واخروي والاول قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان روحاني كنفخ الروح
فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسماني في تخليق البدن
والقوى الحالة فيه والهيات العارضة له من الصحة وكمال الاعضاء والكسبي تزكية النفس
عن الرذايل وتحليتها بالاخلاق والملكات الفاضلة وتزين البدن بالهيات المطبوعة والحلي
المستحسنة وحصول الجاه والمال والثاني ان يغفر ما فرط منه ويرضى عنه ويوتيه في اعلا
عليين مع الملايكة المقربين ابد الابدين والمراد هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله من القسم
الاخر فان ما عدا ذلك مشترك فيه المومن والكافر غير المغضوب عليهم ولا الضالين
بدل من الذين على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال وصفة له مبينة
او مقيدة على معنيين هم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي الايمان وبين نعمة السلامة من الغضب
والضلال وذلك انما يصح باحدى تاويلين اجراء الموصول مجرى النكرة اذ لم يقصد به
معهود كالمحلى في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني وقولهم اني لامر على الرجل مثلك
فيكرمني او جعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف الى ما له ضد واحد وهو المنعم عليهم
فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير تصبه على الحال عن الضمير المجرور والعامل
انعمت او باضمار اعني او بالاستثناء ان فسر المنعم بما يعم القبيلين والغضب ثوران النفس
عند ارادة الانتقام فاذا اسند الى الله تعالى اريد به المنتهي والغاية على ما مر وعليهم
في محل الرفع لانه نايب مناب الفاعل بخلاف الاول ولا مزيدة لتاكيد ما في غير من معنى النفي
فكانه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب كما جاز انا
زيدا لا ضارب وامتنع انا زيدا مثل ضارب وقرئ وغير الضالين والضلال العدول عن
الطريق السوي عمدا او خطاء وله عرض عريض والتفاوت بين ادناه واقصاه كثير
قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى
لقوله تعالى قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وقد روي مرفوعا ويجب ان يقال المغضوب عليهم
العصاة والضالون الجاهلون بالله لان المنعم عليهم من وفق بين العلم والعمل بين معرفة الحق
تعالى لذاته والخير للعمل به فكان المقابل له من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة
والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى في القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل
بالعلم جاهل ضال لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال وقرئ ولا الضالين بالهمزة على
لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين امين اسم الفعل الذي هو استجب وعن
ابن عباس رضي الله عنهما سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معناه فقال افعل بني
على الفتح كاين لالتقاء الساكنين وجاء مد الفه وقصرها قال

ويرحم الله عبدا قال امينا وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا

وليس من القرآن وفاقا ولكن يسن ختم السورة به لقوله عليه الصلاة والسلام علمني جبريل
امين عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي
رضي الله عنه امين خاتم رب العالمين يختم به دعاء عبيده يقوله الامام ويجهر به في الجهرية

لما روي عن وايل بن حجر رضي الله عنه انه عليه الصلاة والسلام كان اذا قرأ ولا الضالين قال
امين ورفع بها صوته وعن ابي حنيفة رضي الله عنه انه قال لا يقول والمشهور عنه انه يخفيه
كما رواه عبد الله بن مغفل وانس والماموم يؤمن معه لقوله عليه الصلاة والسلام اذا قال الامام
ولا الضالين فقولوا امين فان الملايكة يقولون امين فمن وافق تامينه تامين الملايكة غفر له
ما تقدم من ذنبه وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بن
كعب الا اخبرك بسورة لم ينزل في التورية ولا الانجيل ولا القران مثلها قال بلى يا رسول الله قال
فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتاه ملك قال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما
نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرا حرفا منهما الا اعطيته وعن حذيفة
ابن اليمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرا
صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيهم بذلك عذاب اربعين سنة

٢ فيرفع

سورة البقرة مدنية وايها ماية ان وثمانون وست ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

الم وساير الالفاظ التي ينبهي بها اسماء مسمياتها الحروف التي ركبت منها الكلم الدخول لها في محل
الاسم واعتوار ما يخص به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح
الخليل وابو علي وما روي ابن مسعود رضي الله عنه انه عليه الصلاة والسلام قال من قرا حرفا من
كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم
حرف فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه فان تخصيص الحرف به عرف مجدد بل المعنى اللغوي ولعله
سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها حروفا وجدانا وهي مركبة صدرت بها ليكون تاديتها
بالمسمى اول ما يقرع السمع واستعيرت الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهي مما لم يلفها
العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة اياه معرضة له اذ
لم تناسب مبني الاصل ولذلك قيل حروف مجموعة فيهما بين ساكنين ولم يعامل معاملة اين
وهؤلاء ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسايطه التي يتركب منها افتتحت السورة
بطايفة منها ايقاظا لمن تحدي بالقران وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون
منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن اخرهم مع تظاهرهم وفوة فصاحتهم عن
الاتيان بما يدانيه وليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء
الحروف مختص بمن خط ودرس فامة من الامي الذي لم يخالط الكتاب تستبعد وتستغرب
خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه الاديب الاريب الفايق
في فنه وهو انه اورد في هذه الفواتح اربعة عشر اسما هي نصف اسامي حروف المعجم اذ لم تعد فيها
الالف حرفا براسها في تسع وعشرين سورة بعدها اذا عد فيها الالف مشتملة على اصناف
انواعها فذكر من المهموسة وهي ما يضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها ستشحثك خصفة قد ضها
الحاء والهاء والصاد والسين والكاف ومن البواقي المجهورة نصفها يجمعها لن يقطع امر ومن الشديدة
الثمانية المجموعة في اجدت طبق اربعة يجمعها لم يمكن اقطك ومن البواقي الرخوة عشرة يجمعها حمس
علي نصه ومن المطبقة التي هي الصاد والطاء والظاء نصفها ومن البواقي المنفتحة نصفها وهي حروف
تضطرب عند خروجها ويجمعها قد طيح نصفها الاقل لقلتها ومن اللينتين الياء لانها اقل ثقلا
ومن المستعلية وهي التي يتصعد الصوت بها في الحنك الاعلى وهي سبعة القاف والصاد والطاء

ومن العلمة ٤

والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الاقل ومن البواقي المخفضة نصفها ومن حروف البدل وهي
عشرة على ما ذكر سيبويه واختار ابن جني ويجمعها احد طويت منها الستة الشايعة المشهورة
التي يجمعها اهطمين وقد زاد بعضهم سبعة اخرى وهي اللام في اصيلال والصاد والزاي في صراط
وزراط والفاء في جدف والعين في اعن والثاء في ثوخ الدلو والياء في باسمك حتى صارت ثمانية
وقد ذكر منها تسعة الستة المذكورة واللام والصاد والعين ومما يدغم في مثله ولا يدغم في المقارب
وهي خمسة عشر الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء والفاء والميم والباء والخاء والغين والضاد
والظاء والشين والزاي والواو نصفها الاقل مما يدغم فيهما وهي الثلاثة عشر الباقية نصفها الاكثر
الحاء والقاف والكاف والراء والسين واللام والميم كما في الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة
التي لا تدغم فيما قاربها ويدغم فيها مقاربها وهي الميم والراي والشين والفاء نصفها ولما
كانت الحروف الحلقية التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة يجمعها رب منفل والحلقية التي هي الحاء
والخاء والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع في الكلام ذكر ثلثيها ولما كانت ابنية المزيد
لا تتجاوز عن السباعية ذكر من الزوايد العشرة التي يجمعها اليوم تنساه سبعة احرف منها تنبيها على
ذلك ولو استقريت الحروف الكلم وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة
ثم انه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية ايذانا بان المتحدي به مركب من كلمهم
التي اصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا الى الخمسة وذكر ثلاث مفردات في ثلاث سور
لانها توجد في الاقسام الثلاثة الاسم والفعل والحرف واربع ثنائيات لانها تكون في الحرف باحذف
كبل وفي الفعل بحذف كفل وفي الاسم بغير حذف كمن وبه كم في تسعة سور لوقوعها في كل واحد
من الاقسام الثلاثة على ثلاثة اوجه في الاسماء مَن واذ وذو وفي الافعال قل وبع وخف وفي
الحروف ان ومن ومذ على لغة من جرها وثلاثة ثلاثيات في ثلاث عشرة سورة تنبيها على ان اصول
الابنية المستعملة ثلاثة عشر منها للاسماء وثلاثة للافعال ورباعيتين وخماسيتين
تنبيها على ان لكل منها اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها فرقت على السور
ولم تعد باجمعها في اول القرآن لهذه الفايدة مع ما فيه من اعادة التحدي وتكرير التنبيه
والمبالغة فيه والمعنى ان هذا المتحدي به مولف من جنس هذه الحروف والمولف منها كذا وقيل
هي اسماء السور وعلى اطباق الاكثر سميت بها اشعارا بانها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحيا من
الله تعالى لم تتساقط مقدرتهم دون معارضتها واستدل عليه بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها
كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي ولم يكن القرآن باسره بيانا وهدى ولما امكن التحدي
التحدي به وان كانت مفهمة فاما ان يراد بها السور التي هي مستهلها على انها القابها او غيرها لكم
والثاني باطل لانه اما ان يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب فظاهر انه ليس كذلك او غيره
وهو باطل لان القرآن نزل على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربي مبين فلا يحمل على ما ليس في لغتهم
لانه قال لم لا يجوز ان تكون مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستيناف آخر كما قاله قطرب
واشار الى كلمات هجي منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله

قد قلت لها قفي فقالت لي قاف تمامه لا تحسبي انا نسينا الايجاف

كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه ان الر
وحم ون مجموعها الرحمن وعنه ان معناه انا الله اعلم وتحو ذلك في سايرالفواتح وعنه ان الالف من
الله واللام من جبريل والميم من محمد اي القرآن منزل من الله بلسان جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام
او لي عدد اقوام واجال بحساب الجمل كما قاله ابو العالية منسكا بما روي انه عليه الصلاة والسلام
لما اتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل في دين مدته احدى وسبعون سنة

فتبسم

لجيئها في الاقسام الثلاثة ص

الف لام ميم ج

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو اهل غير فقال المص والوا لمر فقالوا لو اخلطت علينا فلانة
بها نا خذ فان تلاوته اياها بهذا التركيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك وهذه
الدلالة وان لم تعربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب تلحقها بالمعربات كالمشكاة
والسجيل والقسطاس او تكون دالة على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث انها بسايط
اسماء الله تعالى ومادة خطابه هذا وان القول بانها اسماء السور يخرجها الى ما ليس في لغة
العرب لان التسمية بثلاثة اسماء فصاعدا مستنكر عندهم ويؤدي الى اتحاد الاسم والمسمى
ويستدعي تاخر الجزء عن الكل من حيث ان الاسم يتاخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول هذه الالفا
لم تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة على الانقطاع والاستيناف يلومها وغيرها من حيث انها فواتح
السور ولا يقتضي ذلك ان لا يكون لها معنى في غيرها ولم تستعمل للاختصار من كلمات معينة
في لغتهم اما الشعر فشاذ واما قول ابن عباس رضي الله عنهما فتنبيه على ان هذه الحروف منبع
الاسماء ومبادي الخطاب وتمثيل بامثلة حسنة الا يرى انه عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير
وتخصيص بهذه المعاني دون غيرها ولا تخصص لفظا ولا معنى ولا لحساب الجمل فتلحق
بالمعربات والحديث لا دليل فيه لجواز انه تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا من جهلهم
وجعلها مقسما بها وان كان غير ممتنع لكنه يحوج الى اضمار اشياء لا دليل عليها والتسمية بثلاثة
اسماء انما تمتنع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة بعلبك واما اذا تنوزت نثرا اسماء عدد
فلا وناهيك بتسويته سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة من اسماء حروف
المعجم والمسمى هو مجموع السورة والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته ومؤخر باعتبار
كونه اسما فلا دور والوجه الاول اقرب الى التحقيق واوفق للطايف التنزيل واسلم من لزوم النقل
ووقوع الاشتراك في الاعلام من وضع واحد فانه يعود بالنقض على ما هو مقصود العلمية
وقيل انها اسماء القران ولذلك اخبر عنها بالكتاب والقران وقيل انها اسماء الله تعالى ويدل
عليه ان عليا رضي الله عنه كان يقول يا كهيعص ويا حم عسق ولعله اراد بامنزلها وقيل الالف
من اقصى الحلق وهو مبتدا المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهي
اخرها جمع بينها ايماء الى ان العبد ينبغي ان يكون اول كلامه واوسطه واخره ذكر الله تعالى
وقيل انها اسرار استاثر الله بعلمه وقد روي الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم
ما يقرب منه ولعلهم اراد وا انها اسرار بين الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ورموز
لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها اسماء الله تعالى والقران والسور
كان لها حظ من الاعراب اما الرفع على الابتدا او الخبر او النصب بتقدير فعل القسم على طريقة
الله لافعلن بالنصب وغيره كما ذكروا والجر على اضمار حرف القسم ويتاتى الاعراب لفظا والحكاية
فيما كانت مفردة او موازنة لمفرد كم فانها كقبيل والحكاية لبيت لا فيما عدا ذلك وسيعود
اليك ذكره مفصلا ان شاء الله تعالى وان بقيتها على معانيها فان قدرت بالمؤلف من
هذه الحروف كان في حيز الرفع بالابتدا او الخبر على ما مر وان جعلتها مقسما بها كان كل كلمة
منها منصوبا او مجرورا على اللغتين في الله لافعلن وتكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان
جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتدا ة
والمفردات المعددة ويوقف عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث لا يحتاج الى ما بعدها
وليس شيء منها اية عند غير الكوفيين واما عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص وطه
وطسم ويس وحم اية وحم عسق اينان والبواقي ليست باي ات وهذا قول لا مجال للقياس فيه
ذلك الكتاب ذلك اشارة الى الم ان ولما المؤلف من هذه الحروف او فسر بالسورة او القران

فانه لما تكلم او تقضي او وصل من المرسل الي المرسل اليه صار متباعدا اشير اليه بما يشار الي البعيد
وتذكيره متى اريد بالمراد السورة لتذكر الكتاب فان خبره او صفته الذي هو هو او الي الكتاب
فتكون صفته والمراد به الموعود انزاله بنحو قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا او في الكتب
المتقدمة وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة وقيل فعال بني للمفعول كاللباس ثم عبر عن المنظوم
عيانا قبل ان يكتب لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة لا ريب فيه معناه انه لوضوحه
وسطوع برهانه لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لان احدا لا يرتاب
فيه الا يري الي قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا علي عبدنا الاية فانه ما ابعد عنهم الريب بل عرفهم
الطريق المزيح له وهو ان يجتهدوا في معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا
عجزوا عنها تحققوا ان ليس فيها مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين
وهدي حال من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي والريب في الاصل مصدر رابني
الشيء اذا حصل فيه الريبة وبي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك لانه يقلق النفس ويزيل
الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك الي ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة ومنه
ريب الزمان لنوائبه هدى للمتقين يهديهم الي الحق والهدي في الاصل مصدر كالسري والمشي
ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الي البغية لانه جعل مقابلا للضلالة قال الله تعالى اعلي
هدي او في ضلال مبين ولانه لا يقال مهدي الا لمن اهتدي الي المطلوب واختصاصه بالمتقين
لانهم هم المهتدون به والمنتفعون بنصبه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم او كافر
وبهذا الاعتبار قال هدي للناس ولانه لا ينتفع بالتامل الا من صقل العقل وسيتعمله في تدبر
الايات والنظر في المعجزات وتعرف النبوات لانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجلب
نفعا ما لم تكن الصحة حاصلة وعلي هذا قوله تعالى وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمومنين
ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه في كونه هدي لما لا ينفك عن
بيان تعين المراد منه والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقي والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف
الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضر في الاخرة وله ثلاث مراتب الاولي التوقي عن العذاب المخلد
بالتبري عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوي والثاني التجنب عن كل ما يوثم من فعل
او ترك حتي الصغاير عند قوم وهو المتعارف باسم التقوي في الشرع وهو المعني بقوله ولو ان
اهل القري امنوا واتقوا والثالثة ان ينزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو
التقوي الحقيقي المطلوب بقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته وقد فسر المتقون ههنا علي الاوجه
الثلاثة واعلم ان الاية تحتمل وجهين من الاعراب ان تكون الم مبتدا علي انه اسم القران او السورة
او مقدر
هو المولف منها وذلك خبره وان كان اخص من المولف مطلقا والاصل ان الاخص لا يحمل علي الاعم
لانه المراد به المولف الكامل في تاليفه البالغ اقصي درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب
صفة ذلك وان يكون الم خبر مبتدا محذوف وذلك خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفته ولا ريب
في المشهور مبني لتضمنه معنى من منصوب المحل بلا التافية للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضتها
ولازمة للاسماء لزومها وفي قراءة ابي السمال مرفوع بلا التي بمعني ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم
في قوله لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص نفي الريب به من بين سايل الكتب كما قصد ثمة او صفته
وقف
وللمتقين خبره وهدي نصب علي الحال او الخبر محذوف كما في قوله تعالى لا ضير اي ضير ثابت ولذلك
علي لا ريب علي ان فيه خبر هدي قدم عليه لتنكيره والتقدير لا ريب فيه هدي وان يكون ذلك مبتدا
والكتاب خبره علي معني انه الكتاب الكامل الذي يبتاهل ان يسمي كتابا وصفته وما بعد خبره والجملة
خبر الم والاولي ان يقال انها اربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل العاطف

بينها

بينها فالجملة دلت على ان المتحدي به هو المولف من جنس ما يركبون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة
ثانية مقرون بجهة التحدي ولا ريب فيه ثالثة تشهد على كماله بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال
ثم يحمل على كماله بنفي الريب فيه اذ لا كمال اعلى مما للحق واليقين وهدي للمتقين مما يقدر له
مبتدا رابعه توكد كونه حقا لا يحوم الشك حوله بانه هدي للمتقين او تستتبع السابقة منها
اللاحقة استتباع الدليل للمدلول وبيانه انه لما بنيه اولا على اعجاز المتحدي به من حيث انه
من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه ان الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم
ذلك ان لا يتشبث الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان كذلك لا محالة
هدي للمتقين وفي كل واحد منها نكتة ذات جزالة ففي الاول الحذف والرمز الى المقصود مع
التعليل وفي الثانية فخامة التعريف وفي الثالثة تاخير الظرف حذرا عن ايهام الباطل
وفي الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدي
بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوي متقيا ايجازا وتفخيما لشانه الذين
يؤمنون بالغيب اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة مقيدة له ان فسر التقوي
بترك ما لا ينبغي متوبته عليه ترتب التخلية على التخلية والتصوير على التصقيل او موضحة لو
فسرت بما يعم فعل الطاعة وترك المعصية لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات
من الايمان والصلاة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية
المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا الا يري الى قوله تعالى ان الصلاة تنهي
عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه الصلاة والسلام الصلاة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام او مسوقة
للمدح وتخصيص الايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهارا لفضلها على سائر
ما يدخل تحت اسم التقوي او على انه مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني او هم الذين واما مفصول
عنه مرفوع بالابتداء وخبره اولئك على هدي فيكون الوقف على المتقين تاما والايمان في اللغة التصديق
ماخوذ من الامن كان المصدق امن المصدق من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه
معني الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا امن ومنه ما امنك ان اجد
صحابة وكلا الوجهين حسن في يومنون بالغيب واما في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه
من دين محمد صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ومجموع ثلاثة امور اعتقاد
الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد
وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق وفاقا وكافر عند الخوارج
خارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على انه التصديق وحده ان الله
سبحانه اضاف الايمان الى القلب فقال كتب في قلوبهم الايمان وقلبه مطمئن بالايمان ولم تومن
قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه العمل الصالح في مواضع لا تحصى وقرنه بالمعاصي
فقال وان طائفتان من المومنين اقتتلوا يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى
الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغيير لانه اقرب الى الاصل وهو متعين
الارادة في الاية اذ المعدي بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق
القلبي هل هو كاف لانه المقصود او لا بد من انضمام الاقرار به للتمكن منه ولعل الحق هو الثاني
لانه تعالى ذم المعاندة اكثر من ذم الجاهل المقصر والمانع ان يجعل الذم للانكار لا لعدم
الاقرار والغيب مصدر وصف به للمبالغة كالشاهد في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة *
والعرب تسمي المطمئن من الارض والمنخفضة التي تلي الكلل غيبا او فيعل خفف كقيل والمراد به
الخفي الذي لا يدركه الحس ولا يقتضيه بديهة العقل وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو

به للتمكن منه
غيبا

المعنيّ بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصّانع وصفاته واليوم الاخر واحواله وهو المراد به في الاية هذا اذا جعلته صلة للايمان واوقعته موقع المفعول به وان جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم او عن المؤمن به لما روي ان ابن مسعود رضي الله عنه قال ان امر محمد كان بيّنا لمن رآه والذي لا اله غيره ما من احد افضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الاية وقيل المراد بالغيب القلب والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كمن يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث للدلالة **ويقيمون الصلوة** اي يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ في افعالها من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها من قامت السوق اذا نفقت وانتهاؤها اذا جعلتها نافقة وك ∴ اقامت غزالة سوق الضراب ∴ لاهل العراقين حولا قميطا ∴ فانه اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه واذا ضيّعت كانت كالكاسد المرغوب عنه او يتشمّرون لاديائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جدّ فيه وجلد وضده قعد عن الامر وتقاعد ويؤدونها عبّر عن اديائها بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبّر عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح والاول اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب واقيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة من الخشوع والاقبال بقلبه على الله لان المطلوب لا المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون وكذلك الذكر في سياق المدح والمقيمين الصلوة وفي معرض الذم فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون والصلوة فعلة من صلى اذا دعى كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمّي الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلا لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار هذا اللفظ في المعنى الثاني مع عدم اشتهاره في الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمّي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد **ومما رزقناهم ينفقون** الرزق في اللغة الحظ قال تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف خصصه بتخصيص الشيء بالحيوان وتمكينه من الانتفاع به والمعتزلة لما استحالوا من الله تعالى ان يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الحرام ليس برزق الا ترى انه تعالى اسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقوا من حلال الطلق فان انفاق الحرام لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله بقوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا بالشمول الرزق له بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث عمر بن ابي سلمة لقد رزقك الله طيبا فاخرت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وانفق الشيء وانفده اخوان ولو استقريت الالفاظ وجدت كلما ايوافقته في الفاء والعين دالا على معنى الذهاب والخروج والظاهر من هذا الانفاق صرف المال في سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقتها وتقديم المفعول للاهتمام به والمحافظة على رؤس الاي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف المنهي عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع المعاون الجمة التي منحهم الله من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام ان علما لا ينال بركنز لا ينفق منه والية ذهب من قال وما خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون

والذين

فولهم ع

نسخة الرزق لا يتناول الحرام الا ترى انه تعا

ع فاؤه نون وعينه فاء

والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما انزل من قبلك هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله
ابن سلام واضرابه معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين دخول
اخص بخت اعم اذ المراد باولئك الذين امنوا عن الشرك والانكار وهؤلاء مقابلوهم فكانت
الايتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس او على المتقين فكانه قال هدي للمتقين عن
الشرك والذين امنوا من اهل الملل ويحتمل ان يراد بهم الاولون باعيانهم ووسط
العاطف كما وسط في قوله ۞ الى الملك القرم وابن الهمام ۞ وليث الكتيبة في المزدحم ۞
وقوله ۞ يالهف زيابة للحارث ۞ الصابح فالغانم فالآيب ۞
على انهم الجامعون بين ما يدركه العقل جملة والايتان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية
وبين الايمان بالاطريق له غير السمع وكرر الموصول تنبيها على تباين السبيلين وطايفتهم
وهم مومنوا اهل الكتاب ذكرهم مخصوصين عن الجملة كذكر جبريل وميكائيل بعد الملائكة
اشاذة بذكرهم وترغيبا لغيرهم والانزال نقل الشيء من اعلى الى اسفل وهو انما يحق المعاني
بتوسط حوقه الذوات الحاملة لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل بان يتلقفه الملك
من الله تعالى تلقفا روحانيا او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به الى الرسول فيلقيه والرد
بما انزل اليك القران باسره والشريعة عن اخرها وانما عبر عنه بلفظ الماضي وان كان
بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد او تنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله تعالى
انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب كلهم منزلا حينيذ
وبما انزل من قبلك سائر الكتب والايمان بها جملة فرض عين وبالاول دون الثاني تفصيلا
من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه على كل احد يوجب الحرج
ويشوش المعاش وبالاخرة هم يوقنون اي يوقنون ايقانا زال معه ما كانوا عليه من ان الجنة
لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة واختلافهم
في نعيم الجنة اهو من جنس نعيم الدنيا او غيره وفي دوامه وانقطاعه وفي تقديم الصلة وبناء
هم يوقنون على هم تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب وبان اعتقادهم غير مطابق ولا صادر
عن ايقان واليقين اتقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه نظرا واستدلالا ولذلك
لا يوصف به علم الباري ولا العلوم الضرورية والاخرة تانيث الاخر صفة الدار بدليل
قوله تعالى تلك الدار الاخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة والقاء
حركتها على اللام وقرئ ويؤقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها اجراء لها اجراء المضمومة
في وجوه ووقتت ونظيره ۞ لحب المؤقدان الى موسى ۞ وجعدة اذا اضاءها الوقود ۞
اولئك على هدى من ربهم الجملة في محل الرفع ان جعل احد الموصولين منفصلا عن المتقين
خبره وكانه قيل هدي للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك فاجيب الذين يومنون بالغيب
الى اخر الايات والا فالاستيناف لاجل لها فكانه نتيجة الصفات والاحكام المتقدمة
او جواب سايل قال ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدي ونظيره احسنت الى زيد
صديقك القديم تحقيق بالاحسان فان اسم الاشارة ههنا كاعادة الموصوف بصفاته
المذكورة وهو ابلغ من ان يستانف باعادة الاسم وحده لما فيه من بيان المقتضي وتخصيصه
فان ترتب الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب له ومعنى الاستعلاء في على هدى تمثيل تمكنهم
من الهدي واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه وقد صرحوا به في قولهم
۞ امتطى الجهل وغوى ۞ واقتعد غارب الهوى ۞
وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس

تغاير القبيلتين وصح نسخي تعظيما لشانهم وترغيبا لامثالهم

التوراة والانجيل وغيرها من الكتب السابقة

في امر الاخرة

في العمل ونكر هدي للتعظيم فكانه اريد به ضرب لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره ونظير قولك لهذلي
فلا وابي الطير المربة بالضحى ... على خالد لقد وقعت على لحم
واكد تعظيمه بان الله تعالى ما نجره والموقف له وزاد غمت النون في الراي بغنة وبغير غنة
واولئك هم المفلحون كرر فيهم الاشارة تنبيها على ان اتصافهم بتلك الصفات
تقتضي كل واحد من الامرين وان كلا منها كاف في تميزهم بها عن غيرهم ووسط العاطف
لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا بخلاف قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك
هم الغافلون فان التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهايم شيء واحد فكانت الجملة
الثانية مقررة للاولى فلا يناسب العطف وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد
النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدا والمفلحون خبره والجملة خبر
اولئك والمفلح بالحاء والجيم الفايز بالمطلوب كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر وهذا التركيب
وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلي يدل على الشق والفتح وتعريف المفلحين
للدلالة على ان المتقين هم الناس الذي يلعقد انهم المفلحون في الاخرة او الاشارة الى
ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم تنبيه تامل كيف نبه سبحانه
على اختصاص المتقين بنيل ما ينالونه احد من وجوه شتى بناء الكلام على اسم الاشارة
للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لاظهار قدرهم والترغيب
في اقتفاء اثرهم وقد تثبت به الوعيدية في خلود الفساق من اهل القبلة في العذاب
وردّ بان المفلحين الكاملون في الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لاعدم
الفلاح له راسا ان الذين كفروا الماذكر خاصة عباده وخلاصة اوليائه بصفاتهم التي
اهلتهم للهدى والفلاح عقبهم باضدادهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى
ولا تغني عنهم الايات والنذر ولم يعطف قصتهم على قصة المومنين كما عطف في قوله ان الابرار لفي
نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباينهما في الغرض فان الاولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شانه
والثانية مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم في الضلال وان من الحروف التي شابهت الفعل في عدد
الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء واعطاء معانيه والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين
ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الاول ورفع الثاني ايذانا بانه فرع في العمل دخيل
فيه وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهي بعد باقية مقتضية للرفع نيابة
للاستصحاب فلا يرفعه الحرف واجيب بان اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه
عنها في خبر كان وقد زال في يد خولها فتعين اعمال الحرف وفايدتها تاكيد النسبة وتحقيقها
ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الاجوبة وتذكر في معرض الشك مثل ويسالونك عن
ذي القرنين قل سانلو اعليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض وقال موسى يا فرعون اني رسول
من رب العالمين قال المبرد قولك عبد الله قايم اخبارك عن قيامه وان عبد الله قايم جواب
سائل عن قيامه وان عبد الله لقايم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد
به ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واحبار اليهود او للجنس متناولا لامن
صمم على الكفر وغيرهم فخص عنهم غير المصرين بما استند اليه وهو سواء عليهم والكفر لغة ستر
النعمة واصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزراع والليل كافر ولكمام الثمرة كافور
وبالشرع انكار ما عرف بالضرورة مجيء الرسول به صلى الله عليه وسلم وانما عد ليس الغيار وشد
الزنار ونحوهما كفرا لانها تدل على التكذيب فان من صدق الرسول صلى الله عليه وسلم لا يجترى
عليها ظاهرا لانها كفر بانفسها واحتجت المعتزلة بما جاء في القران لفظ المضي على حدوثه

المعتزلة
ن
النار
المراد هم
ما علم
لاستدعايه

لاستدعائه سابقة مخبر عنه وأجيب بانه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث الكلام
سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم سواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر
قال الله تعالى الي كلمة سواء بيننا وبينكم رفع بانه خبر ان وما بعده مرتفع به على الفاعلية كانه
قيل ان الذين كفروا استواء عليهم انذارك وعدمه او بانه خبر لما بعده بمعنى انذارك وعدمه
سيان عليهم والفعل انما يمتنع الاخبار عنه اذا اريد به تمام ما وضع له اما لو اطلق واريد
به اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه
كقوله تعالى واذا قيل لهم امنوا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه
وانما عدل ههنا عن المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام
عليه لتقرير معنى الاستواء وتاكيده فانهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء كما جردت
الندا عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة والانذار التخويف
من عقاب الله تعالى وانما قصر عليه دون البشارة لانه اوقع في القلب واشد تاثيرا في النفس
من حيث ان دفع الضرر اهم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع اولى
وقرئ آأنذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين وقلبها الفا وهو لحن لان المتحركة
لا تقلب ولانه يؤدي الى جمع ساكنين على غير حده وبتوسيط الف بينهما مخففتين وبتوسيطها
والثانية بين بين وبحذف الاستفهامية وبحذفها وابقاء حركتها على الساكن قبلها لا يؤمنون
جملة مفسرة لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها او حال مؤكدة او بدل عنه او خبر
ان والجملة قبلها اعتراض بما هو علة للحكم والاية مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق
فانه سبحانه اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون وامرهم بالايمان فلو امنوا انقلب خبره كذبا وشمل
ايمانهم الايمان بانهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان
جاز عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعي غرضا سيما الامثال لكنه غير واقع للاستقراء
والاخبار بوقوع الشيء او عدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد
باختياره وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا ينجع الزام الحجة وحيازة الوسول فضل ابلاغ
ولذلك قال سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم
ام انتم صامتون وفي الاية اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم
فهي من المعجزات ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة تعليل
للحكم السابق وبيان ما يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق من الشيء كعهم بضرب
الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ اخر نظرا الى انه اخر فعل يفعل في احراز والغشاوة
فعالة من غشاه اذا غطاه بنيت لما يشتمل عليه كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية
على الحقيقة وانما المراد ان يحدث في نفوسهم امورا تمنعهم عن الكفر والمعاصي واستقباح الايمان
والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم
بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير كانها مستوثق منها بالختم
وابصارهم لا تجتلي لها الايات المنصوبة في الانفس والافاق كما تجتليها اعين المستبصرين
فتصير كانها غطي عليها وحيل بينها وبين الابصار وسماه على الاستعارة ختما وتغشية او مثل
قلوبهم ومشاعرهم المشوهة باشياء ضرب بينها وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية
وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم
وابصارهم وبالاغفال في قوله ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا وبالافساد في قوله
وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث ان الممكنات باسرها مستندة الى الله تعالى واقعة بقدرته

تعالوا ع

حرف

..... اريد به التخويف ع

ن

هم

على السمع

ع هيئة

ع بهما ع

ع استحباب

ع لهم

ع بها ع

اسندت اليه ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله
ذلك بانهم امنوا ثم كفروا فطبع الله على قلوبهم وردت الاية ناعية عليهم شناعة صنيعهم
ووخامة عاقبتهم واضطرت المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التاويل الاول ان القوم
لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول
عليه الثاني المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهايم التي خلقها الله خالية عن الفطن
او قلوب متقدر ختم الله عليها ونظيره سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا
طالت غيبته الثالث ان ذلك في الحقيقة فعل الشيطان او الكافر لكن لما كان صدوره
عنه باقدار تعالى اياه اسند اليه اسناد الفعل المسبب الرابع ان اعراضهم لما رسخت
في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوي الالجاء والقسر لم يبشرهم
ابقاء على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم فانه سد لايمانهم وفيه اشعار على تراخي امرهم
في الغي وتناهي انهماكهم في الضلال والبغي الخامس ان يكون حكاية لما كانت الكفرة
يقولون مثل قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب
تهكما واستهزاء بهم كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا الاية السادس ان ذلك في الاخرة
وانما اخر عنه بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله تعالى ونحشرهم يوم القيمة
على وجوههم عميا وبكما وصما السابع ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملايكة
فيبغضونهم ويتنفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف الى الله تعالى
من طبع وضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه
والوفاق على الوقف عليه ولانهما لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من
خاص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات وادراك الابصار لما اختص بجهة المقابلة
جعل المانع عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون ادل على شدة
الختم في الموضعين واستقلال كل واحد منهما بالحكم ووحد السمع للامن عن اللبس
واعتبار الاصل فانه مصدر في اصله والمصادر لا تجمع او على تقدير مضاف مثل وعلى
حواس سمعهم والابصار جمع وه بصر وهو ادراك العين وقد يطلق مجازا على القوة
الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما في الاية العضو لانه اشد مناسبة
في الختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما قال
الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وانما اجازوا امالتها مع الصاد لان الراء
المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه
وبالجار والمجرور عند الاخفش وتنوينه للتعظيم والتفخيم والعطف على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على
تقدير وجعل على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم بنفسه اليه والمعنى
وختم على ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع والفتح والنصب وهما لغتان
فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين الغير
المعجمة ولهم عذاب عظيم وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال بناء ومعنى
تقول اعذب عن الشيء ونكل عنه اذا امسك ومنه الماء العذب لانه يقمع العطش
ويردعه ولذلك سمي نفاخا وفراتا ثم اتسع فاطلق على كل ما فاق وان لم يكن نكالا
اي عقابا يردع الجاني عن المعاودة فواعم منها وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي
هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير
فكما ان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به انه اذا قيس بسائر

ما يجانسه قصر جميعه عنه وحقق بالاضافة اليه ومعنى التنكير في الاية ان على ابصارهم غشاوة ليس
ما يتعارفه الناس وهو التعامي عن الايات ولهم من الالام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله
ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر لما افتتح سبحانه بشرح حال الكتاب
وساق لبيان ذكر المومنين الذين اخلصوا دينهم لله وواطئت فيه قلوبهم السنتهم وثنى
باضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا الفتة واسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب
بين القسمين وهم الذين امنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم اخبث الكفرة
وابغضهم الى الله لانهم موهوا الكفر وخلطوا به هزءا خداعا واستهزاء ولذلك طول في بيان
خبثهم وجهلهم واستهزائهم وتهكم بافعالهم وسجل على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الامثال
وانزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقضتهم عن اخرها معطوفة على قصة
المصرين والناس اصله اناس لقولهم انسان وانس واناسي فحذفت الهمزة حذفا في لغة
وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وقوله
ان المنايا يطلعن على الاناس الامنينا
شاذ وهو اسم جمع كرخال اذ لم يثبت فعال في ابنية الجمع ماخوذ من انس لانهم يستانسون
بامثالهم او انس لانهم ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمي الجن جنا لاجتنانهم
واللام فيه للجنس ومن موصوفة اذ لا عهد وكانه قال ومن الناس ناس يقولون وقيل للعهد
والمعهودهم الذين كفروا ومن موصولة والمراد بها ابن ابي واصحابه ونظراؤه فانهم من حيث
انهم صمموا على النفاق دخلوا في عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها
على الكفر لا ياتي دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس انما تتنوع بزيادات يختلف فيها اثارها
تفعل هذا تكون الاية تقسيما للقسم الثاني ولخصائص الايمان بالله واليوم الاخر بالذكر
تخصيص لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعاء بانهم احترزوا الايمان من جانبيه
ولحاظوا بقطريه وايذان بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون
به النفاق لان القوم كانوا يهودا وكانوا يومنون بالله واليوم الاخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم
التشبيه واتخاذه الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة
وغيرها ويرون المومنين انهم امنوا مثل ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم في كفرهم
لان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ايمانا كيف
وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفي تكرير الباء ادعاء الايمان بكل واحد على الاصالة
والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المقصور في النفس
المعبر عنه باللفظ وللراي والمذهب مجازا والمراد باليوم الاخر من وقت الحشر الى ما لا نهاية له
او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه اخر الاوقات المحدودة وما هم بمومنين
انكار لما ادعوه ونفي لما انتحلوا اثباته وكان اصله وما امنوا ليطابق قولهم في التصريح
بشان الفعل دون الفاعل لكنه عكس تاكيدا ومبالغة في التكذيب لان اخراج ذواتهم من
عداد المومنين ابلغ من نفي الايمان عنهم في ماضي الزمان ولذلك اكد النفي بالباء واطلق
الايمان على معنى انهم ليسوا من الايمان في شيء ويحتمل ان يقيد بما قيد به لانه جوابه
والاية تدل على ان من ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مومنا الا ان من تعرى
بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه او ينافيه لم يكن مومنا والخلاف مع الكرامية في الثاني
فلا يتم حجة عليهم يخادعون الله والذين امنوا الخدع ان توهم غيرك خلاف
ما تخفيه من المكروه ليتزلمه عما هو بصدده من قولهم خدع الضب اذا توارى في جحره وضب

ع نوع

اصله الوقف وهو طعام يصنع من الذبيح

دهم

خادع وخدع اذا اوهم الحارش اقباله عليه ثم خرج من باب الخرو اصله الاخفاء ومنه المخدع
للخزانة والاخداعان لعرقين خفيفين في العنق والمخادعة تكون بين اثنين وخداعهم
مع الله ليس على ظاهره لانه لا يخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته بل المراد اما مخادعة
رسوله على حذف المضاف او على ان معاملة الرسول عليه الصلاة والسلام معاملة الله من حيث
انه خليفته كما قال من يطع الرسول فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واما
ان صورة صنيعهم مع الله من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم باجراء الحكام
المسلمين عليهم وهم عنده اخبث الكفار واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم ولمثال
الرسول والمؤمنين امر الله في اخفاء حالهم واجراء احكام الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم
صورة صنع المخادعين ويحتمل ان يراد يخادعون يخدعون لانه بيان ليقول او استيناف
بذكر ما هو الغرض منه الا انه اخرج في زنة فاعلت فان الزنة لما كانت للمبالغة
والفعل متى غولب فيه كان ابلغ منه اذا جاء بلا مقابلة معارض وميزان استحجذلك
يعضده قراءة من قرا يخدعون وكان غرضهم في ذلك ان يدفعوا عن انفسهم ما يطرق
به من سواهم من الكفرة وان يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين من الاكرام والاعطاف وان
يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على اسرارهم ويذيعوها الى منابذيهم الى غير ذلك من الاغراض
والمقاصد وما يخادعون الا انفسهم قراءة نافع وابن كثير وابو عمرو والمعنى ان
وبال الخداع راجعة اليهم وضررها يحيق بهم او انهم بذلك خدعوا انفسهم لما غروها
بذلك وخدعتهم انفسهم حيث حدثتهم بالاماني الفارغة وحملتهم على مخادعة من
لا يخفى عليه خافية وقرا الباقون وما يخدعون لان المخادعة لا تتصور الا بين اثنين ويُخَادِعُونَ
ويُخَدِّعُونَ من خَدَّعَ ويَخْدَعُونَ بمعنى يختدعون ويُخْدَعُونَ ويُخَادَعُونَ على البناء
للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض النفس الذات وحقيقته ما قيل للروح لان نفس
الحي به وللقلب لانه محل الروح او متعلقة وللدم لان قوامها به وللماء لفرط حاجتها اليه
وللراي في قولهم فلان يوامر نفسه لانه ينبعث عنها او يشبه ذاتا تامر وتشير عليه والمراد
بالانفس ههنا ذواتهم ويحتمل حملها على ارواحهم وادراكهم وما يشعرون وما يحسون
بذلك لتمادي غفلتهم جعل الخوض وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم في الظهور كالمحسوس الذي
لا يخفى الا على ما وفي الحواس والشعور الاحساس ومشاعر الانسان حواسه واصله الشعر
ومنه الشعار في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا المرض حقيقة فيما يعرض للبدن
فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في افعاله ومجاز في الاعراض النفسانية التي
تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصي لانها مانعة عن نيل
الفضائل او مؤدية الى زوال الحيوة الحقيقية والاية تحتملها فان قلوبهم كانت متالمة تحرقا
على ما فاتهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات امر الرسول عليه الصلاة والسلام
واستعلاء شانه يوما فيوما فزاد الله غمهم بما زاد في اعلاء شانه واشاعة ذكره ونفوسهم
كانت ماءودة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي صلى الله عليه وسلم ونحوها فزاد الله ذلك
بالطبع او بازدياد التكاليف ونكير الوحي وتضاعف النصر وكان اسناد الزيادة الى الله
تعالى من حيث انه مسبب من فعله واسناده الى السوء في قوله تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم
لكونها سببا ويحتمل ان يراد بالمرض ما تداخل قلوبهم من الجبن والخور حين شاهدوا
شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة وقذف الرعب في قلوبهم وبزيادته تضعيفه بما
زاد لرسوله عليه الصلاة والسلام نصرة على الاعداء وتبسطا في البلاد ولهم عذاب اليم اي

ای الصیاد

السبب

الفهم

العلامه

نسخه امره

الضعف

مولم

مؤلم يقال لم فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كقوله تحية بينهم ضرب وجيع
على طريقة قولهم جد جده بما كانوا يكذبون قراها عاصم وحمزة والكسائي والمعنى بسبب
تكذيبهم او ببدل له جزاء اليم وهو قولهم امنا وقراءة الباقون يكذبون من كذبه لانهم كانوا
يكذبون الرسول عليه الصلاة والسلام بقلوبهم واذا خلوا الى شطيا طينهم او من كذب
الذي هو للمبالغة او التكثير مثل بين الشيء وموتت البهايم او من كذب الوحشي اذا جرب
شوطا ووقف لينظر ما وراءه فان المنافق مخير متردد والكذب هو الخبر عن الشيء على
خلاف ما هو به وهو حرام كله لانه علل به العذاب وما روي ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام
كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض لكن لما شابه الكذب في صورته سمي به واذا قيل
لهم لا تفسدوا في الارض عطف على يكذبون او يقول وما روي عن سلمان ان اهل هذه
الاية لم ياتوا بعد فلعله اراد به ان اهله ليس الذين كانوا فقط بل وسيكون من بعد من
حاله حالهم لان الاية متصلة بما قبلها بالضمير الذي فيها والفساد خروج الشيء عن الاعتدال
والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع وكان من فسادهم في الارض تهييج الحروب والفتن
بخادعة المسلمين وموالاة الكفار عليهم بافشاء الاسرار اليهم فان ذلك يؤدي الى فساد ما في الارض
من الناس والدواب والحرث ومنه اظهار المعاصي والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرايع
والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقايل هو الله تعالى او الرسول وبعض
المؤمنين وقرا الكسائي وهشام قيل باشمام الضم قالوا انما نحن مصلحون جواب لاذا
ورد للناصح على طريق المبالغة والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شاننا ليس الا الاصلاح
وان حالنا متمحضة عن شوايب الفساد لان انما تفيد قصر ما دخله على ما بعده مثل انما زيد منطلق
او انما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من
المرض كما قال لمن زين له سوء عمله فراه حسنا الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون
رد لما ادعوه بالغ رد للاستيناف به وتصدير بحرفي التاكيد الا المنبهة على تحقق ما بعدها
فان همزة الاستفهام التي للانكار اذا دخلت على النفي افادت تحقيقا ونظيرها ليس ذلك
بنادر ولذلك لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يلتقي بها القسم واختها اما التي
هي من طلايع القسم وان المفتوحة للنسبة وتعريف الخبر وتوسط الفصل لرد ما في قولهم انما نحن
مصلحون من التعريض للمومنين والاستدراك بلا يشعرون واذا قيل لهم امنوا من تمام
النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع امرين الاعراض عما لا ينبغي وهو المراد بقوله لا تفسدوا
والاتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله امنوا كما امن الناس في محل النصب على المصدر
وما مصدرية او كافة مثلها في ربما واللام في الناس للجنس والمراد به الكاملون في الانسانية
العاملون بمقتضى العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني
المخصوصة بر والمقصودة منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان ومن هذا
الباب قوله تعالى صم بكم وقد جمعهما الشاعر في قوله اذا الناس ناس والزمان زمان
او للعهد والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه ومن امن من اهل جلدتهم كابن سلام
واصحابه والمعنى امنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوايب النفاق مماثلا لايمانهم واستدل
به على قبول توبة الزنديق وان الاقرار باللسان ايمان والالم يفد التقييد قالوا انومن كما
امن السفهاء الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس او الجنس باسره وهم مندرجون
فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد راييهم او لتحقير شانهم فان اكثر المومنين
كانوا فقراء ومنهم موالي كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم ان فسر الناس

وليعقوب ع

استحقاق العذاب حيث رتب عليه ع

معاونة ع

القتل ع الاضطراب ع

قيل ع

بعبد الله بن سلام واشياعه والسفه خفة وسخافة رأي يقتضيهما نقصان العقل والحلم يقابلهما
الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ردّ ومبالغة في تجهيلهم فان الجاهل في تجهيله
الجازم على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما
يعذر وتنفعه الايات والنذر وانما فصلت الاية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لانه اكثر
طباقا لذكر السفه ولان الوقوف على امر الدين والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر الى نظر
وتفكر واما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانما يدرك بادنى تفطن وتامل فيما يشاهد
من اقوالهم وافعالهم واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار
وما صدرت به القصة فساقت لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير روي ان ابن ابي
واصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف اردّ هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر رضي الله عنه فقال مرحبا بالصديق بيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي رضي الله عنه فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ومنه القيته اذا طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى واذا خلوا الى شياطينهم من خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه او من خلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية او من خلوت به اذا سخرت منه وعدي بالى لتضمن معنى الانهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر او كبرائهم المتافقين والقائلون ضعفاءهم وجعل سيبويه نون ان اصلية على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد عن الصلاح ويشهد له قولهم شيطن واخرى زائدة على انه من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل قالوا انا معكم اي في الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال في الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوه مع الكفار انما نحن مستهزؤن تاكيد لما قبله لان المستهزئ بالشيء المستخف به مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف فكان الشياطين قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فما لكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزئت واستهزأت بمعنى كاجبت واستجبت واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال هزء فلان اذا مات على مكانه وناقة تهزء به اي تسرع وتخف الله يستهزئ بهم يجازيهم على استهزائهم سمي جزاء الاستهزاء باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما لمقابلة اللفظ اللفظ او لكونه مماثلا له في القدر او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ اما في الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة بالنعمة على التمادي في الطغيان واما في الاخرة فبان يفتح لهم وهم في النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون وانما استوفى به ولم يعطف ليدل على ان الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين ان يعارضوهم وان

بالصديق ع

ولانه اذا صادفه واستقبلهم ع

استهزاءهم

استهزاءهم لايوبه به في مقابلة مايفعله الله بهم ولعلّه لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم
ايماء بان الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات الله فيهم
كما قال تعالى اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ويمدهم في طغيانهم
يعمهون من مد الجيش وامدّه اذا زاده وقواه ومنه مددت السراج والارض اذا
اصلحتها بالزيت والسماد لامن المد في العمر فانه يعدي باللام كما مرّ لهم ويدلّ عليه
قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام على ظاهره قالوا لما منعهم
الله الطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم وسدهم طوق التوفيق
على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم رينا وظلمة تزايد قلوب المؤمنين انشراحا ونورا او مكن
الشيطان من اغوائهم فزادهم طغيانا اسندذلك الى الله تعالى اسناد الفعل الى المسبب واضاف
الطغيان اليهم ليلا يتوهم ان اسناد الفعل اليه على الحقيقة ومصداق ذلك انه لما اسند
المد الى الشياطين اطلق الغي وقال واخوانهم يمدونهم في الغي وقيل اصله يمدلهم ويمد
في اعمارهم كي يتبهوا ويطيعوا فما زادوا الا طغيانا وعنها حذفت اللام وعدي الفعل
بنفسه كما في قوله تعالى واختار موسى قومه او التقدير ويمدهم استصلاحا وهم مع ذلك
يعمهون في طغيانهم والطغيان بالضم والكسر كالقيان والقيان تجاوز الحدّ في العصيان
والغلوّ في الكفر واصله تجاوز الشيء عن مكانه قال الله تعالى انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية
والعمه في البصيرة كالعجه في البصر وهو التحير في الامر يقال رجل عامه وعمه وادض عمهاء
لامنار بها قال ؎ اعمى الهدى بالجاهلين العمّه ؎
اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اختاروها عليه واستبدلوها به بدل الثمن
لتحصيل ما يطلب من الاعيان فان كان احد العوضين ناضّا تعين من حيث انه لا يطلب لعينه
ان يكون ثمنا وبدله اشتري والا فالمبتاع يتصور نفسه بصورة الثمن فيبادله مشتر
واخذه بائع ولذلك عدت الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض عما في يده تحصيلا
به غيره سواء كان في المعاني او الاعيان ومنه
؎ اخذت بالجمة رأسا ازعرا ؎ وبالثنايا الواضحات درّا ؎
؎ وبالطويل العمر عمرا جيدا ؎ كما اشترى المسلم اذ تنصرا ؎
ثم اتسع فيه فاستعمل الرغبة عن الشيء طمعا في غيره والمعنى انهم اخلوا بالهدى الذي جعل الله
لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا اليها واختاروا الضلالة
واستحبوها على الهدى فما ربحت تجارتهم ترشيح للمجاز لما استعمل الشراء في معاملتهم
اتبعه ما يشاكله تمثيلا لخسارتهم ونحوه
؎ ولما رأيت النسر عزّ بن رأيه ؎ وعشعش في وكريه جاش له صدري ؎
والتجارة طلب الربح بالبيع والشراء والربح الفضل على راس المال ولذلك سمي شفا وسنا
الى التجارة وهو لا بها على الاتساع لتلبسها بالفاعل ولمشابهتها اياه من حيث انها
سبب الربح والخسران وما كانوا مهتدين لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة
راس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين لان راس مالهم كان الفطرة السليمة
والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق
لهم راس مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين عن الربح فاقد
للاصل مثلهم كمثل الذي استوقد نارا لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل
زيادة في التوضيح والتقرير فانه اوقع في القلب وادفع للخصم الالدّ لانه يريك المتخيل محققا

بمعنى يمدلهم ؏

من

بين

والمعقول محسوسا ولامرتا اكثر الله تعالى الامثال في كتبه وفشت في كلام الانبياء والحكماء والمثل
في المعنى هو الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول
السايرالممثل مضربه بموردة ولا يضرب الا ما فيه غرابة ولذلك حفظ عليه من التغيير
ثم استعير لكل حال او قصة او صفة لها شان وفيها غرابة مثل قوله تعالى مثل الجنة التي
وعد المتقون وقوله والله المثل الاعلى والمعنى حالهم العجيب الشان كحال من استوقد نارا
والذي بمعنى الذين كما في قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا ان جعل مرجع الضمير في بنورهم
وانما جاز ذلك ولم يجز وضع القايمين موضع القايمين لانه غير مقصود بالوصف بل
بالجملة التي هي صلته وهو وصلة الى وصف المعرفة بها ولانه ليس باسم تام بل هو كالجزء
منه لحقه ان لا يجمع كما لم يجمع اخواتها ويستوي فيه الواحد والجمع وليس الذين جمعا الصح بل
دون زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الصحيحة الفصيحة
التي عليها التنزيل ولكونه مستطالا بصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه
ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين او قصد به جنس المستوقدين
او الفوج الذي استوقدا والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار
وارتفاع لهيبها واشتقاق النار من نارينور نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا فلما
اضاءت ما حوله اي النار حول المستوقد ان جعلتها متعدية والا امكن ان تكون مسندة
الى ما والتانيث لان ما حوله اشياء واماكن او الى ضمير النار وما موصولة في معنى الاماكنة
نصب على الظرف او مزيدة وحوله ظرف وتاليف الحول للدوران وقيل للعام حول لانه يدور
ذهب الله بنورهم جواب لما والضمير للذي وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا انما قال بنورهم
ولم يقل بنارهم لانه المراد بايقادها او استيناف اجيب به اعتراض سايل يقول ما بالهم شبهت
حالهم بحال مستوقد النار فانطفت نارهم او بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير
على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله فلما ذهبوا به للايجاز ومن للتبيين
واسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بفعله او لان الاطفاء حصل بسبب خفي وامر
سماوي كريح او مطر او للمبالغة ولذلك علق الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الا
الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله وامسكه
فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ الى النور الذي هو فانه
لو قيل اذهب الله ضوءهم احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض
ازالة النور عنهم رأسا الا ترى كيف قرره بقوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون
فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بانها ظلمة
خالصة لا يتراى فيها شبحان وترك بالاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن
معنى صير فجرى مجرى افعال القلوب كقولهم تركهم في ظلمات وقول الشاعر

فتركته جزر السباع ينشنه ... والظلمة ما خوذة من قوله ما ظلمك ان تفعل كذا
اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة
يوم القيمة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم او ظلمة
الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد او ظلمة شديدة كانها ظلمات متراكمة
ومفعول لا يبصرون متروك فكان الفعل غير متعد والاية مثل ضربه
الله لمن اتاه ضربا من الهدى فاضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد فبقي متحيرا متحسرا
تقريرا وتوضيحا لما تضمنته الاية الاولى ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فافهم

اضاعوا ما نطقت به السنتهم من الحق باستبطان الكفر واستظهارهم حين خلوا الى شياطينهم
ومن اثر الضلال على الهدى المجعول له بالفطرة وارتدعن دينه بعدما آمن ومن صح له
احوال الارادة فادعى احوال المحبة فاذهب الله عنه ما اشرف عليه من انوار الارادة او مثل
لايمانهم من حيث انه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة
المسلمين في المغانم والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب اثر وانطماس نورها
باهلاكهم وافشاء حالهم باطفاء الله تعالى اياه واذهاب نورها صم بكم عمي
لما سدوا مسامعهم عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا بالسنتهم ويتبصروا الآيات
بابصارهم جعلوا كانهم ابيت مشلهم وانت قولهم كقوله
صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به ٭ وان ذكرت بسوء عندهم سمعوا
وقوله اصم عن الشيء الذي لا اريده ٭ واسمع خلق الله حين اريد
واطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة اذ من شرطها ان يطوي ذكر المستعار
له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقوله زهير
لدى اسد شاكي السلاح مقذف ٭ له لبد اظفاره لم تقلم
ومن ثم ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحا كما قال ابو تمام
ويصعد حين يظن الجهول ٭ بانّ له حاجة في السماء
ومنا ان طوى ذكره بحذف المبتدا لكنه في حكم المنطوق به ونظيره
اسد عليّ وفي الحروب نعامة ٭ فتخاء تنفر من صفير الصافر
هذا اذا جعلت الضمير للمنافقين على ان الاية فذلكة التمثيل وتتبيجته وان جعلته للمستوقد
فهي على حقيقتها والمعنى انهم لما اوقدوا نارا فذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات هائلة
ادهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقضت قواهم وثلثتها قويت بالنصب على الحال من
مفعول تركهم والصمّ اصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حجر اصم وقناة صماء وصمام
القارورة يحمي به فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنز الانجويف
فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والمعنى عدم البصر عما شانه ان يبصر
وقد يقال لعدم البصيرة فهم لا يرجعون لا يعودون الى الهدى الذي باعوه وضيعوه
او عن الضلالة التي شتروها او هم متحيرون لا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون والى حيث
ابتدأ ومنه كيف يرجعون والفاء للدلالة على ان اتصافهم بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم
واخباسهم او كصيب من السماء عطف على الذي استوقد نارا اي كمثل ذوي صيب نحو قوله
يجعلون اصابعهم في اذانهم واو في الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فاطلقت للتساوي
من غير شك مثل جالس الحسن وابن سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم اثما او كفورا فانها تفيد
التساوي في المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك قوله او كصيب من السماء ومعناه ان قصته
المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما سواء في صحة التشبيه بهما وانت مخير بالتمثيل
بهما او بايهما شئت والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر والسحاب قال
الشماخ واسحم دان صادق الوعد صيب ٭ وفي الاية يحتملهما وتنكيره لانه اريد به
نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على ان الغمام مطبق آخذ بافاق السماء كلها فان
كل افق منها يسمى سماء كما ان كل طبقة منها سماء قال ٭ ومن بعد ارض بيننا وسماء
امده بما في صيب من المبالغة من جهة الاصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب
فاللام لتعريف الماهية فيه ظلمات ورعد وبرق ان اريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه

بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجعل مكانا للرعد والبرق لانهما في اعلاه ومتحدره
متلبسين به وان اريد به السحاب فظلمانه سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف
وقاقالا نه معتمد على موصوف والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور ان سببه اضطراب
اجرام السحاب واصطكاكها اذا حدتها الريح من الارتعاد والبرق ما يلمع من السحاب من برق
الشئ بريقا فكلاهما مصدر في الاصل وانما لك لم يجعلوا صابعهم في اذانهم الضمير
لاصحاب الصيب وهو وان حذف لفظا واقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز ان يعود
عليه كما عاد حسان في قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق ما الرحيق السلسل
حيث ذكر الضمير لان المعنى ما بردى والجملة استيناف فكانه لما ذكر ما يؤذن بالشدة والهول
قيل فكيف حالهم مع مثل ذلك فاجيب بها وانما اطلق الاصابع موضع الانامل مبالغة من
الصواعق متعلقة بيجعلون اي من اجلها يجعلون كقولهم سقاه من العيمة والصاعقه
تصفير عد هايل معها نار لا تمر بشئ الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وقد يطلق
على كل هايل مسموع او مشاهد ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او بشدة الصوت
وقرئ من الصواقع وهو ليس بقلب من الصواعق لاستواء كلا البنائين في التصرف فيقال صقع
الديك وخطيب مصقع وصقعته الصاعقة وهي في الاصل اما صفة لقصفة الرعد او للرعد
والتاء للمبالغة كما في الرواية او مصدر كالعافية والكاذبة حذر الموت نصب على العلة
كقوله واغفر عورا الكريم ادخاره والموت زوال الحيوة وقيل عرض يضاد ها لقوله
تعالى خلق الموت والحيوة وردبان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة والله محيط بالكافرين
لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل والجملة اعتراضية لا محل
لها يكاد البرق يخطف ابصارهم استيناف ثان كانه جواب لمن يقول ما حالهم مع تلك
الصواعق وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه
لكنه لم يوجد اما لفقد شرط او لعروض مانع وعسى موضوعة لرجاية في خبر مخصص ولذلك
جاءت متصرفة بخلاف عسى وخبرها مشروط فيه ان تكون فعلا مضارعا تنبيها على ان
المقصود بالقرب من غير ان لتوكيد القرب بالدلالة على الحال وقد تدخل عليه حملا لها
على عسى كما تحمل عليها بالحذف عن خبرها المشاركتهما في اصل معنى المقاربة والخطف الاخذ
بسرعة وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطف على انه يختطف فنقلت فتحة التاء الى الخاء
ثم ادغمت في الطاء ويخطف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين واتباع الياء بها كلما اضاء
لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا استيناف ثالث كانه قيل ما يفعلون بتلك البرق
في تارتي خوف البرق وخيفته فاجيب بذلك واضاء اما متعد والمفعول محذوف بمعنى
كلما انور لهم ممشى اخذوه او لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وكذلك اظلم
فانه جاء متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراءة اظلم على البناء للمفعول وقوله
الى تمام ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم ولو شاء لاذهب اسماعهم وابصارهم
فانه وان كان من المحدثين لكنه من علماء العربية فلا يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه
وانما قال مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على المشي فكلما اصابوا فواصة
منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت السوق اذا
اذا ركدت وقام الماء اذا جمد ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم
اي لو شاء ان يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب
بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه في شاء واراد حيث لا يكاد

تمامه وصنع عن عيب اللئيم تكرما

٣٠ الدهر والعقل
٣ دنيا واخري

يذكر الا في الشيء المستغرب كقوله ﴿ فلو شيئت ان ابكي دما لبكيته ﴾
ولو من حروف الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء
الملزوم عند انتفاء لازمه وقري لاذهب بسمعهم بزيادة الباء كقوله تعالى ولا تلقوا
بايديكم الي التهلكة وفايدة هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام
ما يقتضيه والتنبيه على ان تاثير الاسباب في مسبباتها مشروط بمشيئة الله تعالى
وان وجودها مرتبط باسبابها واقع بقدرته تعالى وقوله ان الله على كل شيء قدير
كالتصريح به والتقرير له والشيء يختص بالموجود لانه في الاصل مصدر شاء اطلق بمعنى شاء
ثاره وحينيذ يتناول الباري تعالى كما قال قل اي شيء اكبر شهادة قل الله ويعبر بشيء اخري
اي شيء وجوده وما شاء الله وجوده فهو موجود في الجملة وعليه قوله تعالى ان الله على كل
شيء قدير الله خالق كل شيء فهما على عمومهما بلا مشوبة والمعتزلة لما قالوا الشيء ما يصح ان
يوجد وهو يعم الواجب والممكن او ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم
التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل والقدرة هو التمكن من ايجاد الشيء وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل
قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز عنه والقادر
هو الذي ان شاء فعل وان شاء لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء ولذلك
قل ما يوصف به غير الباري تعالى واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل
على مقدار قوته او على مقدار ما تقتضيه مشيئته وفيه دليل على ان الحادث حال حدوثه
والممكن حال بقائه مقدوران وان مقدور العبد مقدور الله لانه شيء وكل شيء مقدور
والظاهر ان التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة وهو ان يشبه كيفية من مجموع
تضامت اجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا باخري مثلها كقوله تعالى مثل الذين
حملوا التوراة ثم لم يحملوها الاية فانه تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التوراة بحال
الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حالة المنافقين من الحيرة والشدة
بما يكابدونه من تلطف نار بعد ايقادها في ظلمة او بحال من اخذته السماء في ليلة مظلمة
مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل المفرد
وهو ان تاخذ اشياء فرادي فتشبهها بامثالها كقوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير
ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وقول امري القيس

﴿ كان قلوب الطير رطبا ويابسا ﴾ لدي وكرها العناب والحشف البالي

بان يشبه في الاولذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم الايمان باستيقاد النار
وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد وغيرذلك باضاءة النار ما حول
المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم وافشاء حالهم وابقاؤهم في الخسار
الدائم والعذاب السرمد باطفاء نارهم والذهاب بنورهم وفي الثاني انفسهم باصحاب
الصيب وايمانهم المخالط للكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث انه وان
كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضررا ونفاقهم حذرا عن نكايات
المؤمنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع في الاذان من الصواعق
حذر الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله شيئا ولا يخلص ما يريدهم من المضار وتحيرهم
لشدة الامر وجهلهم بما يأتون ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها
فرصة مع خوف ان يخطف ابصارهم خطوا خطا يسيرة ثم اذا اخفي وفتر لمعانه بقوا
متقعين لاحراك لهم وقيل شبه الايمان والقران وسائر ما اوتي الانسان من المعارف التي

صيغة تقتضي التمكن وقيل صح

منتزعة ح

هي سبب الحيوة الابدية بالصيب الذي به صبوة الارض وما ارتكبت بها من شبه المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات المشكلة بالظلمات وما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الايات الباهرة بالبرق وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد اذنه عنها مع انه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله والله محيط بالكافرين واهتزازهم بما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد تطمح اليه ابصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم في الامر حين تعرض لهم شبهة او تعن لهم مصيبة بتوقفهم اذا اظلم عليهم وفيه بقوله ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم على انه تعالى جعل لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى والفلاح ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوائد الاجلة ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها فانه على ما يشاء قدير

يا ايها الناس اعبدوا ربكم لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف امورهم اقبل عليهم بالخطاب على طريق الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة وتفخيما لشانها وجبرا لكلفة مشقة المخاطبة وبا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادي به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمته كقول الداعي يا رب يا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته وسوء فهمه او للاعتناء بالمدعو له فزيان لحث عليه وهو مع المنادي جملة مفيدة لانه نائب مناب فعل واي جعل وصلة الى نداء المعرف باللام فان ادخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفي التعريف فانهما كمثلين واعطي حكم المنادي واجري عليه المقصود بالنداء وصفا من صحاله والتزم رفعه اشعارا بانه المقصود والحقت بينها ها التنبيه تاكيدا وتعويضا عما يستحقه من المضاف اليه وانما كثر النداء على هذه الطريقة في القران لاستقلاله باوجز من التاكيد وكلما نادى الله به عباده من حيث انها امور عظام من حقها ان يتيقظوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون حقيق بان ينادي له بالاكد الابلغ والمجموع واسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتاكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة بعموم شايع ذايع فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد معنا لما تواتر من دينه عليه السلام ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلتين ثابت الى قيام الساعة الا ما خصه الدليل وما روي عن علقمة والحسن ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فمكي ويا ايها الذين امنوا فمدني ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المامور به هو المشترك بين يدي العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع وان من لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم الا به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلاة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال لعلكم تنبيها على الموجب للعبادة هي الربوبية الذي خلقكم صفة جيء بها للتعظيم والتعليل وتحتمل التقييد والتوضيح ان حص الخطاب بالمشركين واريد بالرب اعم من الرب الحقيقي والالهة التي سموها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء واصله يقال خلق النعل اذا خلقها وقدرها على المقياس والذين من قبلكم يتناول كل من يتناول الانسان بالذات والزمان منصوب معطوف على الضمير المنصوب في خلقكم والجملة اما خبر بعد خبر على المقرر عندهم اما الاعتراض بها كما قالوا ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بادنى نظر وفكر من قبلكم على الخام الموصول الثاني بين الاول

وصلته

وصلته تاكيدا كالفرزدق في قوله ۞ يا تيم تيم عدي لا ابا لكم ۞ تيما الثاني بين الاول
وما اضيف اليه لعلكم تتقون حال من الضمير في اعبدوا كانه قال اعبدوا ربكم راجين ان
تخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين بجوار الله تعالى ونبه
به على ان التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبري من كل شيء سوى الله تعالى الى الله فان
العابد ينبغي ان لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تعالى يدعون ربهم خوفا
وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه او من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى انه
خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى ليترجح امن باجتماع اسبابه وكثرة
الدواعي وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل تعليل
للخلق اي خلقكم لكي تتقوا كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو ضعيف
اذ لم يثبت في اللغة مثله والاية تدل على ان الطريق الى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته
واستحقاقه للعبادة النظر في صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد لا يستحق بعبادته
عليه ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجرة
قبل العمل الذي جعل لكم الارض فراشا صفة ثانية او مدح منصوب او مرفوع
او مبتدا خبره فلا تجعلوا لله اندادا وجعل من الافعال العامة يجيء على ثلاثة اوجه
بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله

۞ فقد جعلت قلوص بني سهيل ۞ من الاكوار مرتعها قريب

وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير
فيتعدى الى مفعولين كقوله تعالى جعل لكم الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول
اخرى او العقد اخرى ومعنى جعلها فراشا على بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما في طبعه
من الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهيأة لان يقعد
ويناموا عليها كالفراش وذلك لا يستدعي كونها مسطحة لان كرية شكلها مع جمها واتساع
جرمها لا يأبى الافتراش عليها والسماء بناء قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع
على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمي به المبني
بيتا كان او قبة او خباء ومنه بنى على امراته لانهم كانوا اذا تزوج احدهم بنوا عليها خباء جديدا
وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم عطف على جعل وخروج الثمار
بقدرة الله تعالى ومشيته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا في اخراجها وماده لها كالنطفة
للحيوان بان يجري عادته بافاضة صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة منها وابدع
في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعها انواع وهو قادر على ان
يوجد الاشياء كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشاء
مدرجا من حال الى حال صنايع وحكم يجدد فيها الاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته
ما ليس في ايجادها دفعة ومن الاولى للابتداء سواء اريد بالسماء السحاب فان مبادئ
السماء او الفلك فان المطر يبتدي من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه الظواهر
ومن اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى جو الهوي فينعقد سحابا
ماطرا او من الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات واكتناف المنكرين
له اعني ماء ورزقا كانه قيل وانزلنا من السماء بعض ماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون
بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر كل الثمرات
ولا جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق كقولك انفقت من

ان جعله ح
و اللين ع
البسوط ه
النمارع
يه

الدراهم القاء وانما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة لانه اراد بالثمرات جماعة الثمر التي
في قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من قرأ من الثمر على التوحيد او لان الجموع
تتبعا وربما يضعها موقع بعض كقوله كم تركوا من جنات وعيون وقوله ثلاثة قروء
ولانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم صفة رزقا ان اريد به المرزوق
ومفعول به اذا اريد به المصدر كانه قال رزقا اياكم فلا تجعلوا لله انداد متعلق
باعبدوا على انه نهي معطوف عليه او نفي منصوب باضمار ان جواب له او بلعل على ان نصب
تجعلوا نصب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع لحاقها
بالاشياء الستة لاشتراكها في انها غير موجبة والمعنى ان تثقوا لا تجعلوا له انداد او يا الذي
جعل ان استأنفت به على انه نهي وقع خبرا على تاويل مقول فيه لا تجعلوا والفاء للسببية
ادخلت عليه لتضمن الابتداء معنى الشرط والمعنى من خصكم بهذه النعم الجسام والايات
العظام ينبغي ان لا يشرك به والند المثل المناوي قال جرير

أيتيما تجعلون الي ندا ... وما تيم لذي حسب نديد

من ندد نديدا اذا نفر وناددت الرجل اذا خالفته خص بالمخالف المماثل بالذات كما
خص المساوي للمماثل في القدر وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله انداد وما زعموا
انها تساويه في ذاته وصفاته ولا انها تخالفه في افعاله لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها
وسموها الهة تشابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع
عنهم باس الله وتمنحهم ما لم يرده الله بهم من خيرفتهكم بهم وشنع عليهم بان يجعلوا
انداد لمن يمتنع ان يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل

أربا واحدا ام الف رب ... ادين اذا تقسمت الامور

تركت اللات والعزى جميعا ... كذلك يفعل الرجل البصير

وانتم تعلمون حال من ضمير فلا تجعلوا او مفعول تعلمون مطرح اي وانتم من اهل العلم
والنظر واصابة الراي فلو تاملتم ادنى تامل اضطر عقلكم الى اثبات موجد للممكنات
منفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات ومنزه عن اتخاذ الانداد ومع انهما لا تماثله ولا تقدر
على مثل ما يفعله كقوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وعلى هذا فالمقصود
منه التوبيخ والتعجيب لا تقييد الحكم وقصر عليه فان العالم والجاهل المتمكن من العلم
سواء في التكليف واعلم ان مضمون الآيتين هو الامر بعبادة الله تعالى والنهي عن
الاشراك به والاشارة الى ما هو العلة والمقتضي وبيانه انه رتب الامر بالعبادة على
صفة الربوبية اشعارا بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه خالقهم وخالق
اصولهم وما يحتاجون اليه في معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان
الثمرات اعم من المطعوم والرزق اعم من المأكول والمشروب ثم لما كانت هذه الامور
لا يقدر عليها شاهد على وحدانيته رتب عليها النهي عن الاشراك به ولعله سبحانه اراد
من الاية الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة الى تفضيل خالق
الانسان وما افاض عليه من المعاني والصفات على طريقة التمثيل فشل البدن بالارض
والنفس بالسماء والعقل بالماء وما افاض عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة
بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات
المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل
المختار فان لكل اية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا وان كنتم في ريب مما نزلنا على

غير ع

عبدنا

عبدنا فأتوا بسورة لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن المعجز لفصاحته التي بذت فصاحة كل منطيق والخامه من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم وافراطهم في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعارضة والمعارة وعرف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله كما يدعيه وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجما نجما حسب الوقايع على ما يجري عليه اهل الشعر والخطابة مما يرمي بهم به كما حكي الله عنهم وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة واضاف العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لحكمه وقوي عباده ما يريد محمد وامته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي اقلها ثلاث ايات وهي ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطائفة من القرآن معزوة محوزة على حيالها ومحتوية على انواع من العلم احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة قال

ولرهط حراب وقد سوره ... في المجد ليس غرابها بمطار

لان السور كالمنازل والمراتب يرتقي فيها القاري وله امراتب في القصر والطول والفضل والشرف وثواب القراءة وان جعلت مبدلة من الهمز فمن السؤرة التي هي من البقية والقطعة من الشيء والحكمة في تقطيع القرآن سورا افرادا لانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط القاري وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة نفس ذلك منه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى بريدا والحافظ متى حزبها اعتقد انه اخذ من القرآن حظا عظيما تاما وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده وابتهج به الى غير هاما من الفوائد من مثله صفة سورة اي بسورة كائنة مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين وزيدة عند الاخفش اي بسورة مماثلة للقرآن في البلاغة وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتداء اي بسورة كائنة ممن هو على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فاتوا والضمير للعبد والرد للمنزل اوجه لانه المطابق لقوله تعالى فاتوا بسورة مثله ولسائر ايات التحدي ولان الكلام فيه لا في المنزل عليه فحقه ان لا ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولان مخاطبة العجم للعرب بان يأتوا بمثل ما اتي به واحد من ابناء جلدتهم ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليأت بنحو ما اتي به هذا آخر مثله ولانه معجز في نفسه لا بالنسبة اليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولانه رده الى عبدنا يوهم امكان صدوره ممن يكون على صفته ولا يلائمه قوله وادعوا شهداءكم من دون الله فانه امر بان يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القايم بالشهادة او الناصر او الامام وكانه سمي به لانه يحضر النوادي وتتم بحضرته الامور او لتركيب الحضور اما بالذات او بالتصور ومنه قيل للمقتول في سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان يرجوه او الملايكة حضروه ومعنى دون ادنى مكان من الشيء ومنه تدوين الكتب لانه ادنى البعض من البعض ودونك هذا الشيء اي خذه من ادنى مكان منك ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الشرف ومنه الشيء الدون ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد وتخطي امر الى آخر قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية

يا نفس مالك دون الله من واف ... اذا تجاوزت وقاية الله

الى المعارضة ع

اي فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى ادعوا من حضركم اورجوتم معونته من انسكم وجنكم والهتكم غير الله فانه لا يقدر على ان يأتي بمثله الا الله او ادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بان ما اتيتم به مثله ولا تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت العاجز عن اقامة الحجة او شهداءكم الذين اتخذتموهم من دون الله اولياء او الهة وزعمتم انها تشهد لكم يوم القيمة او الذين يشهدون لكم بين يدي الله على زعمكم من قولك لا عشي

الحذى ع

ترتيك الذي من دونها وهي دونه ليعينوكم وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد في معارضة القرآن غاية التبكيت والتهكم به وقيل من دون الله اي من دون اوليائه يعني فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله فان الكامل لا يرضي لنفسه ان يشهد بصحة ما افتضح فساده وبان اختلاله ان كنتم صادقين انه من كلام البشر وجواب محذوف دل عليه ما قبله والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك عن دلالة وامارة لانه تعالى كذب المنافقين في قولهم انك لرسول الله لما لم يعتقدوا مطابقته ورد بصرف التكذيب الى قولهم نشهد لان الشهادة اخبار عما علموه وهم ما كانوا عالمين به فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس

الماقر ع

والحجارة لما بين لهم ما يتعرفون به من امر الرسول عليه الصلاة والسلام وما جاء به وميز لهم الحق من الباطل رتب عليه كالفذلكة له وهو انكم اذا اجتهدتم في معارضته وعجزتم جميعا عن الاتيان بما يساويه وبدا نبيه ظهر انه معجز والتصديق به واجب فامنوا به واتقوا العذاب المعد لمن كذب فعبر عن الاتيان المكلفي المكنني بالفعل الذي يعم الاتيان وغيره ايجازا وتنزيلا لازم الجزا منزلته على سبيل الكناية تقريرا للمكنى عنه وتهويلا لشان العناد وتصويرا بالوعيد مع الايجاز وصدر الشرطية بان الذي للشك والحال يقتضي اذ الذي للوجوب فان القائل سبحانه لم يكن شاكا في عجزهم ولذلك نفى اتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء تهكما بهم او خطابا لهم معهم على حسب ظنهم فان العجز قبل التامل لم يكن محققا عندهم وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة الاعمال مختصة بالافعال مضارع متصلة بالمعمول ولانها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع فكانه قال فان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما ولن كلا في نفي المستقبل غير انه ابلغ وهو حرف مقتضب عند سيبويه والخليل في احدى الروايتين عنه وفي الرواية الاخرى اصله لاان وعند الفرا بقي على حاله فابدلت الفا فانونا والوقود بالفتح ما يوقد به النار وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح وقال سيبويه سمعنا من يقول وقدت النار وقودا عاليا والاسم بالضم ولعله مصدر سمي به كما قيل فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر ان المراد به الاسم وان اريد المصدر فعلى حذف المضاف اي وقودها احتراق الناس والحجارة وهي جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير متقاس والمراد بها الاصنام التي نحتوها وقرنوا بها انفسهم وعبدوها طمعا في شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع المضار بمكانتهم ويدل عليه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكانزون بما كنزوا وبنقيض ما كانوا يتوقعون زيادة في تحسرهم وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكنزونها ويفترون بها وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل شانها وتفاقم امرها بحيث تتقد بما لا تتقد به كل نار وان ضعفت فان صح هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما فلعله عني به ان الاحجار كلها لتلك

من العذاب ع

غيرها والكبريت يتقد به صح

النار

النار كحجارة الكبريت لسائر البيران ولما كانت الاية مدنية نزلت بعد ما نزل بمكة قوله تعالى
في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه صح تعريف النار ووقوع الجملة فانها
يجب ان تكون قصته معلومة اعدت للكافرين هيئات لهم وجعلت عدة لعذابهم وفي
اعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة استيناف او حال باضمار قد من النار لا الضمير
الذي قدروها او ان جعلته مصدر اللفصل بينهما بالخبر وفي الايتين ما يدل على النبوة من
وجوه احدها ما فيهما من التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع
والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة من سور القران ثم انهم
مع كثرتهم واشتهارهم في الفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا للمعارضة
والتجاؤا الى جلاء الوطن وبذل المهج والثاني انه يتضمن الاخبار عن الغيب على ما هو به
فانهم لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه اكثر من الذابين عنه
في كل عصر والثالث انه عليه الصلاة والسلام لو شك في امر لما دعاهم الى المعارضة
بهذه المبالغة مخافة ان يعارض فتدحض حجته وقوله اعدت للكافرين دل على ان النار
مخلوقة معدة لهم الان وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات عطف على الجملة
السابقة والمقصود عطف حال من امن بالقران ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية
عقابه على ما جرت به العادة الالهية من ان يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب
ما ينجي وتثبيطا عن اقتراف ما يردي لاعطف الفعل نفسه حتى يجب ان يطلب له ما يشاكله
من امر او نهي فيعطف عليه او على فاتقوا اذ لم يأتوا بما يعارضه بعد التحدي ظهر اعجازه
واذا ظهر ذلك لمن كفر به استوجب العقاب ومن امن به استحق الثواب وبذلك يستدعي
ان يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء وانما امر الرسول او عالم كل عصر او كل احد يقدر على البشارة
بان يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشانهم وايذانا بانهم احقاء بان
يبشروا ويرهبوا بما اعد لهم وقرئ وبشر على البناء للمفعول عطفا على اعدت فيكون استينافا
والبشارة الخبر السار بان يظهر اثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة تعم
الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم ولدي فهو حر فاخبره فرادى اعتقوا
اولهم ولو قال لمن اخبرني عتقوا جميعا واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم او على قولهم
تحية بينهم ضرب وجيع والصالحات جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة التي تجري مجرى الاسماء
كالحسنة قال الحطيئة
كيف الهجاء وما ينفك صالحة ... من ال لام بظهر الغيب تاتيني
وهي من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتانيثها على تاويل الخصلة او الخلة واللام فيه للجنس
وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم عليها اشعار بان السبب في استحقاق هذه البشارة
مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فان الايمان الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق
اسس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء باس لابناء عليه ولذلك قلما ذكرا مفردين وفيه
دليل على انهما خارجة عن مسمى الايمان اذ الاصل ان الشيء لا يعطف على نفسه وما هو داخل فيه
ان لهم منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه ومجرور مثل لاقعدن لهم والجنة المرة من الجن
وهو مصدر جنه اذا ستره وسمي البستان بها لانه يستر ما تحته بستره واحدة قال
كان عيني في غربي مقتلة ... من النواضح تسقي جنة سحقا
اي نخلا طوالا ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيه من الجنان
وقيل سميت بذلك لانه يستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر من انواع النعيم كما قال تعالى فلا تعلم نفس

ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء وجمعها وتنكيرها لان الجنان على ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما
سبع جنان جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام
وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال
والعمال واللام تدل على استحقاقهم اياها لاجل ما رتب عليه من الايمان والعمل الصالح ه
لا الذاته فانه لا يكافي النعم السابقة فضلا من ان يقتضي الثواب والجزاء فيما لا يستقبل
بل بجعل الشارع ومقتضى وعده ولا على الاطلاق بل بشرط ان يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن
لقوله تعالى ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وقوله تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم لان اشركت ليحبطن عملك واشباه ذلك ولعل سبحانه لم يقيدها هنا ه
استغناء بما تجري من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها كما تولها جارية تحت الاشجار
النابتة على شواطئها وعن مسروق انها والجنة تجري من غير اخدود واللام للجنس كما في قولك
لفلان بستان فيه الماء الجاري او للعهد والمعهود هي الانهار المعهودة المذكورة في قوله تعالى
انهار من ماء غير آسن الاية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول دون البحر
كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار والمجاز او للمجاز في نفسها
واسناد الجري اليها مجاز كما في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا
قالوا هذا الذي رزقنا صفة ثانية لجنات او خبر مبتدا محذوف او جملة مستانفة كانه لما
قيل ان لهم جنات وقع في خلد السامع اثمارها مثل اثمار الدنيا او اجناس اخر فاجيب بذلك
وكلما نصب على الظرف ورزقا مفعوله ومن الاولى والثانية للابتدا واقعتان موقع ه
الحال واصل الكلام ومعناه كل حين اومرة رزقوا مرزوقا فامتد امن الجنات مبتدا من
ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدا من الجنات وابتداوه منها بابتدائه من ثمرة وصاحب
الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن في الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة
بيانا لما تقدم كما في قولك رايت منك اسدا وهذا اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا
الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك لا تعني به العين المشاهدة منه بل النوع المعلوم
المستمر تعاقب جريانه وان كانت الاشارة الى عينه فالمعنى هذا مثل الذي رزقنا ولكن
لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك ابو يوسف ابو حنيفة من قبل اي من
قبل هذا في الدنيا جعل ثمرة الجنة من جنس ثمرة الدنيا لتميل النفس اليه اول ما تراي
فان الطباع مايلة الى المالوف متنفرة عن غيره ويتبين لها مزيته وكنه النعمة عند ذاوقه
كاد وجيء لم يعهد نظيرا له لانه لا يكون الا كذلك او في الجنة لان طعام متشابه الصورة
كما حكي عن الحسن ان احدهم يوتى بالصحفة فيا كل منها ثم يوتى باخرى فيراها مثل الاولى
فيقول ذلك فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وما روي انه عليه الصلاة والسلام
قال والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة لتيا كلها فما تبلغ فاه
الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فلعلهم اذا راوها على الهيئة الاولى قالوا ذلك والاول
اظهر لمحافظته على عموم كلما فانه يدل على تردیدهم هذا القول كل من رزقوا والداعي لهم
الى ذلك فرط استغرابهم وتعجبهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه
البليغ في الصورة واتوا به منتظما اعتراض يقرر ذلك والضمير على الاول راجع
الى ما رزقوا في الدارين فانه مدلول عليه بقولهم هذا الذي رزقنا من قبل ونظيره قوله
تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق
فان قيل التشابه هو التماثل في الصفة وهم مفقودون بين ثمرات الدنيا والاخرة كما قال

ابن عباس رضي الله عنهما ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسماء قلت التشابه بينهما حاصل
في الصورة التي هي مناط الاسم دون المقدار والطعم وهو كاف في اطلاق التشابه هذا
وان للاية محملا آخر وهو ان مستلذات اهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف
والطاعات متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذي رزقنا
من قبل ومن تشابههما تماثلهما في الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون ذلك في الوعد
نظير قوله تعالى ذوقوا ما كنتم تعملون في الوعيد ولهم فيها ازواج مطهرة مما يستقذر
من النساء ويدم من احوالهن كالحيض والبدن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير
يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال وفي مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال
النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل كما
واذا العذاري بالدخان تقنعت ... واستجلت نصب الفدور فطفقت
فالجمع على اللفظ والافراد على تاويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة
ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرن وليس هو الا الله عز
وجل والزوج يقال للذكر والانثى وهو في الاصل لما له قرين من جنسه كزوج الخف فان
قيل فايدة المطعوم هو التغذي ودفع ضرر الجوع وفايدة المنكوحة التوالد وحفظ
النوع وهي مستغنى عنهم في الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها وسائر احوالها انما تشارك
نظائرها الدنيوية في الصفات والاعتبارات وتسمى باسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل
لا اشتراكها في تمام حقيقتها حتى يستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عن فايدتها وهم فيها
خالدون دائمون والخلد والخلود في الاصل الثبات المديد دام ام لم يدم ولذلك قيل للاثافي
خلد والجزء الذي يبقى من الانسان على حاله ما دام حيا خلد ولو كان وضعه للدوام
كان التقييد بالتابيد قولا خالدين فيها ابدا لغوا واستعماله حيث لا دوام كقولهم وقف مخلد
توجب اشتراكا او مجازا والاصل ينفيهما بخلاف ما لو وضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك
الاعتبار كالحاق الجسم على الانسان مثل قوله تعالى واجعلنا للبشر من قبلك الخلد وارادة الكثرة
المرادبه الدوام ههنا عند الجمهور لما يشهد له من الايات والسنن فان قبل الابدان
مركبة من اجزاء متضادة الكيفية معرضة للانحلالات المؤدية الى الانفكاك والانحلال
فكيف يتعقل خلودها في الجنان قلت انه تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها الاستحالة
بان يجعل اجزاءها مثلا متعادلة في الكيفية متساوية في القوة لا يقوى منها شيء على
احالة الاخرى تلازمه لا ينفك بعضها عن بعض كما يشاهد في بعض المعادن هذا وان
قياس ذلك العالم واحواله على ما نشاهده نجده ونشاهد من نقص العقل وضعف البصيرة
وعم انه لما كان معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل
عليه الاستقراء وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام فان كل نعمة جليلة اذا قارنها خوف
الزوال كانت غير صافية من شوايب الالم بشر المومنين بها ومثل ما اعدلهم في الاخرة
بالتي ما يستلذ به منها وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعم والسرور
ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة لما كانت الايات السابقة متضمنة
لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه وهو ان يكون على وفق
الممثل له من الجهة التي تعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة والشرف دون التمثيل
فان التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى للمثل ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة المشاهد
المحسوس ليشاهد فيه المعنى ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان المعنى الصرف انما

بعض ع

في والاجار خوالد ع

متعانقة ع

منغصة ع

الى ما يد لـ ع

المحل ع

ان رجلا

ان رجلا في صحن جرّ على طنب فسطاط فقالت عايشة رضي الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانظر كيف
ما تجاوز الشوكة في الالم كالخرور وما زاد عليها في القلة كخسة النملة لقوله عليه الصلاة
والسلام ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى خسة النملة فاما الذين امنوا
فيعلمون انه الحق من ربهم اما حرف تفصيل ما اجمل ويذكر ما به صدر وتتضمن معنى
الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد
ذاهب اي هو ذاهب لا محالة وانه منه عن يمنة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها
الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوها الخبر وعوضوا المبتدا عن الشرط لفظا
وفي تصدير الجملتين باحماد لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ للكافرين على قولهم
والضمير في انه للمثل او لان يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يعم الاعيان
الثابتة والافعال الصايبه والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه
ثوب محقق محكم النسج واما الذين كفروا فيقولون كان من حقه واما الذين كفروا
فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه ولكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال
جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه ماذا اراد الله بهذا مثلا
يحتمل وجهين ان تكون استفهامية وذا بمعنى الذي وما بعده صلته والمجموع خبر ما
وان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اي شيء منصوب المحل على المفعولية مثل ما اراد الله
والاحسن في جوابه الرفع على الاول والنصب على الثاني ليطابق الجواب السؤال والارادة
نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التي هي مبداء النزوع
والاول مع الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين غير متصور اتصافه تعالى به ولذلك
اختلف في معنى ارادته فقيل ارادته لافعاله عين مشاه ولا مكره ولا فعال غيره امنهما
فعلى هذا لم تكن المعاصي بارادته وقيل علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه
الاصح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه ترجيح احد محصوليه مقدور به على الاخر
وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجب هذا الترجيح وهي اعم من الاختيار فانه ميل مع
تفضيل وفي هذا استحقار واستذال ومثلا نصب على التمييز والحال كقوله تعالى هذه ناقة
الله لكم اية يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جواب ما اي اضلال كثير واهداء كثير
وضع الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد او بيان للجملتين المصدرتين بما
وتسجيل بان العلم يكون حقا هدى وبيان فان الجهل ايراد والانكار بحسن مورد ضلال
وفسوق وكثرة كل واحد من الفريقين بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فان
المهدين قليلون بالاضافة الى اهل الضلال كما قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور
ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهديين باعتبار الفضل
والشرف كما قال قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا وقال

ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا

وما يضل به الا الفاسقين اي الخارجين عن حد الايمان كقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون
من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة
فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشرع الخارج عن امر الله تعالى بارتكاب
الكبيرة وله درجات ثلاث الاولى التغابي وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا اياها والثانية
الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها والثالث الجحود وهو ان يرتكبها مستصوبا

تفصيل ج

الله ج

٢ بوجه ج

ايلها فاذا شارف هذا المقام وخطى خطته خلع ربقة الايمان من عنقه ولابس الكفر وما دام هو في درجة التغابي والانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي هو سبب الايمان ولقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتي المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق يدل على انه الذي اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال به وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم بالباطل صرفت وجوه افكارهم عن حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى ربخت به جهالتهم وازدادت به ضلالتهم فانكروا واستهزؤا به وقرئ يضل على البناء للفاعل والفاسقون بالرفع الذين ينقضون عهد الله صفة للفاسقين للذم وتقرير الفسق والنقض فسخ التركيب واصله في طاقات الحبل واستعماله في ابطال العهد من حيث ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط احد المتعاهدين بالاخر فان اطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وهو ان العهد حبل في ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس من اقرانه وعالم يغترف منه الناس فان فيه تنبيها على انه اسد في شجاعته بحر في النظر الى فادحة والعهد الموثق ووضعه لما من شانه ان يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث انها تراعى بالرجوع اليها والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد اما العهد الماخوذ بالعقل وهو لجة القائمة على عباد الدالة على توحيده ووجوده وصدق رسوله وعليه قول تعالى واشهدهم على انفسهم او الماخوذ بالرسل على الامم بانه اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واشار بقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونظائره وقيل عهود الله ثلاثة عهد اخذه الله على جميع عباده بان يقروا بربوبيته وعهد اخذه على النبيين بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه من بعد ميثاقه الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهي الاحكام والمراد ما وثق الله به عهده من الايات والكتب وما وثقوه به من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء فان ابتداء النقض بعد الميثاق ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة والتفرقة بين الانبياء عليهم الصلاة والسلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل لشان الطلب والقصد يقال شاءني شانك اذا قصدت قصده وان يوصل يحتمل النصب والخفض على انه بدل من ما او ضميره والثاني احسن لفظا ومعنى ويفسدون في الارض بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه اولئك هم الخاسرون الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الايات بالايمان بها والنظر في حقايقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب كيف تكفرون بالله استخبار فيه انكار وتعجب للكفرهم بانكار الحال التي يقع

عليها

عليها على الطريق البرهاني لان صدده لا ينفك عن حال وصفه فاذا انكر ان يكون للكفر هم حال
يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده وهو ابلغ واقوى في انكار الكفر من ان تكفرون ولو وقف
لما بعد من الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وحث الفعال
خاطبهم على طريقة الالتفات وبخهم على طريقة كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف
ذلك والمعنى اخبروني على اي حال تكفرون وكنتم امواتا اي احساما لا حيوة لها عناصر
واغذية واخلاطا وطفا مختلفة وغير مختلفة فاحياكم بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما
عطفه بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي ثم يميتكم عند انقضاء
اجالكم ثم يحييكم بالنشور يوم نفخ الصور والسؤال في القبور ثم اليه ترجعون بعد
الحشر فيجازيكم بأعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم
هذه فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه
يرجعون قلت تمكنهم من العلم بها لما نصب لهم من الدلائل منزلة علمهم في ازاحة العذر
سيما وفي الاية تنبيه على ما يدل على صحتها وهو انه تعالى لما قدر ان احياهم اولا قدر ان يحييهم
ثانيا فان بداءة الخلق ليس باهون عليه من اعادته او مع القبيلين فانه سبحانه لما بين
دلايل التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان واوعدهم على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم
النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم
الجليلة فان عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم فان قيل كيف تعد الاماتة من النعم
المقتضية للشكر قلت لما كانت وصلة الى الحيوة الثانية التي هي الحيوة الحقيقية كما قال
الله تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان كانت من النعم العظيمة مع ان المعدود عليهم نعمة
هو المعنى المنتزع من القصة باسرها كما ان الواقع حالا وهو العلم بها لا كل واحد من الجمل
فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح ان يقع حالا ومع المومنين خاصة
لتقدير المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا فاحيا
بما افادكم من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحيوة الحقيقية ثم اليه ترجعون
فيثيبكم بما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحيوة حقيقة في القوة الحاسة
وما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا ومجازا في القوة النامية لانها من طلايعها ومقدماتها
وفيما يخص الانسان من الفضايل كالعقل والعلم والايمان من حيث انها كمالها وغايتها والموت
بازايها يقال على ما يقابلها في كل مرتبة كما قال الله تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال تعالى
اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال تعالى او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا
يمشي به في الناس واذا وصف الباري تعالى اريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة للازمة
لهذه القوة فيها فينا او معنى قايم بذاته يقتضي ذلك على الاستعارة وقرا يعقوب بفتح
التاء في جميع القران هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا بيان لنعمة اخرى مرتبة على
الاولى فانها خلقهم احياء قادرين مرة بعد مرة وهذا خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم وينتظم
به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستفاعكم في مصالح ابدانكم بوسط
او غير وسط ودينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف لما يليق بها من لذات الاخرة والا بها
لا على وجه الغرض فان الفاعل لغرض مستكمل به على انه كالغرض من حيث انه عاقبة الفعل
ومؤداه وهو يقتضي اباحة الاشياء النافعة ولا يمتنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب
عارضة فانه يدل لا على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد وما يعم كل ما في الارض
لا الارض الا اذا اريد به جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال من الموصول الثاني

ومضغا ؟

النعم ؟

اي جها لاج

كم

ترجعون ؟

بها ؟

ثم استوى الى السماء قصدها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا
مستويا من غير ان يلوي على شيء وأصل الاستواء طلب السواء والملاءمة على الاعتدال
لما فيه تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استوى بمعنى استولى
وبه قال قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق
والاول اوفق للاصل والصلة المعدي بها والتسوية المترتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء
هذه الاجرام العلوية او جهات العلو وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء
على خلق الارض كقوله ثم كان من الذين امنوا اللتراخي في الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تعالى
والارض بعد ذلك دحاها فانه يدل على تاخر دحو الارض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء
وتسويتها الا ان يستانف بدحاها مقدرا لنصب الارض فعلا اخر دل عليه انتم اشد خلقا مثل
تعرف الارض وتدبر امرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر فسوّيهن عدلهن وخلقهن مصونة
من العوج والفطور وهن ضمير السماء ان فسرت بالاجرام لانه جمع او في تاويل الجمع والا فهم يفسره
ما بعده كقولهم ربه رجلا سبع سموات بدل او تفسير فان قيل اليس اصحاب الارصاد
اثبتوا تسعة افلاك قلت فيها دكي وهو شكوك وان صح فليس في الاية نفي الزايد مع انه ان
ضم اليه العرش والكرسي لم يبق خلاف وهو بكل شيء عليم فيه تعليل كانه قال وكونه عالما
بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان
عليما فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها
وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم وازالة لما يختلج في صدور
من ان الابدان بعد ما تفتت وتبددت اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف يجمع اجزاء كل
بدن مرة ثانية لا يشذ شيء منها ولا ينضم اليها ما ليس معها فيعاد منها كما كان فنظيره
قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية على ثلاث مقدمات وقد برهن عليها
في هاتين الايتين اما الاولى فهو ان مواد الابدان قابلة للجمع والحيوة واشار الى البرهان عليها
بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحيوة عليها
يدل على انها قابلة لها ذاتها وما بالذات لا يزول ويتغير واما الثانية والثالثة فانه
عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها واحيائها واشار الى وجه اثباتها بانه تعالى قادر على
ابدائهم وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر على اعادتهم واحيائهم وانه خلق
ما خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعيا فيه مصالحهم وسد حاجاتهم وذلك
دليل على تناهي علمه وكمال حكمته جلت قدرته ولا وقت حكمته وقد سكن نافع برواية قالون وابو عمرو
والكسائي الهاء من نحو فهو وهو تشبيها له بعضد واذ قال ربك للملائكة اني جاعل
في الارض خليفة تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم فان خلق ادم وكرامته وتفضيله
على سكان ملكوته بان امرهم بالسجود انعام تعم ذريته واذ ظرف وضع لزمان نسبة
ماضية وقع فيه اخرى كما وضع اذ الزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى ولذلك يجب
اضافتها الى الجمل كحيث في المكان وبنيتا تشبيها بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازاة
ومحلها النصب ابدا بالظرفية فانهما من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرنا واما قوله تعالى
واذكروا اذ كنتم اعدادا اذ ونحو فعلى تاويل اذكروا الحادث اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف
مقامه وعامله في الاية قالوا واذكر على التاويل المذكور لانه جاء معمولا له صريحا في القرآن
كثيرا او مضمر دل عليه مضمون الاية المتقدمة مثل وبدا خلقكم اذ قال وعلى هذا فالجملة معطوفة
على خلق لكم داخلة في حكم الصلة وعن معمر انه مزيد والملائكة جمع ملاك على الاصل كالشمائل

والتاء لتانيث الفعل وهو مقلوب مالك من الالوكة وهي الرسالة لانهم وسايط بين الله
وبين الناس فهم رسل الله اوكالرسل اليهم واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انهم
ذوات موجودة قايمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين الى انها اجساد لطيفة قادرة على التشكل
باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت طايفة من النصارى هم
النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان وزعم الحكما انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس
الناطقة في الحقيقة منقسمة الى قسمين قسم شانهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن
الاشتغال بغيره كما وصفهم في محكم تنزيله فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العابدون
والملايكة المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به
القلم الالهي لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات امرا منهم سماوية
ومنهم ارضية على تفصيل اثبته في كتاب الطوالع والمقول لهم الملايكة لعموم اللفظ وعدم
التخصص وقيل ملايكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة الجن فانه تعالى اسكنهم
الارض اولا فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس في جند من الملايكة فدمرهم وفرقهم في الجزاير
والجبال وجاعل من جعل الذي له مفعولان وفي الارض خليفة اعمل جاعل فيهما لانه بمعنى
الاستقبال ومعتمد على مسند اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره
وينوب منابه والهاء للمبالغة والمراد به ادم عليه الصلاة والسلام لانه كان خليفة الله في ارضه
وكذلك كل نبي استخلفهم في عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امر
فيهم لحاجته تعالى الى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي امره
بغير وسط ولذلك لم يبعث نبي ملكا قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ولبسنا
ان الانبيآء لما فاقت قواهم واستعلت قويتهم بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار
ارسل اليهم الملايكة ومن كان اعلى رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام
في الميقات ومحمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة ان العظم لما عجز عن
قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل الباري تعالى بحكمته بينهما الغضروف
المناسب لهما لياخذ من هذا ويعطي ذاك او خليفة من سكن الارض قبله او هو وذريته
لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف بعضهم بعضا وافراد اللفظ اما للاستغناء بذكره
عن ذكر نبيه كما استغنى بذكر ابي القبيلة في قولهم مضر وهاشم او على تاويل من يخلفكم او خلفا
يخلفكم وفايدة قول هذا للملايكة تعليم المشاورة وتعظيم شان المجعول بان تشرفوا بوجوده
سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد
بسؤالهم وجوابه وبيان ان الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير
لاجل الشر القليل شر كثير لغير ذلك قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدماء تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها او يستخلف مكان
اهل الطاعة اهل المعصية واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد
والغتها واستخبار عما رشحهم ويرجح شبهتهم كسؤال المتعلم من معلمه بما يختبر في صدره
وليس باعتراض على الله ولا طعن في بني ادم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم ذلك
لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ذلك باخبار
من الله تعالى او تلقي من اللوح المحفوظ او استنباط عما ركز في عقولهم ان العصمة من خواصهم
او قياس لاحد الثقلين على الاخر والدم والسفك والسبك والسفح والشن انواع من
الصب فالسفك يقال في الدم والدمع والسبك في الجواهر المذابة والسفح في الصب من اعلى

كلهم ج

وقهرهم ج

فيه ج

منهم ج

والشر في الصب عن فم القربة ونحوها وكذلك السن وقرئ يسفك على البناء للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا او موصوفا محذوفا اي يسفك الدماء فيهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك حالة مقررة لجهة الاشكال كقولك اتحن الى اعدائك وانا الصديق المحتاج والمعنى انستخلف عصاة ونحن معصومون احقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب والتفاخر وكانهم علموا ان المجعول خليفة ذو ثلاث قوى عليها مدار امر شهوية وغضبية تؤديان به الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة والطاعة ونظروا اليها مفردة وقالوا اما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تلك القوتين لا تقتضي الحكمة ايجاده فضلا عن استخلافه واما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم ما يتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من الفضيلتين اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما يقصر عنه الاحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل الذي هو المقصود من الاستخلاف واليه اشار تعالى اجمالا بقوله قال اني اعلم ما لا تعلمون والتسبيح تبعيد الله عن السوء وكذلك التقديس من سبح في الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدس اذا طهر لان مطهر الشيء مبعده عن الاقذار وبحمدك في موضع الحال اي ملتبسين بحمدك الهمتنا معرفتك ووفقتنا لتسبيحك تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم وتقديس لك تطهر نفوسنا من الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء الذي هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير النفس عن الاثام وقيل نقدس نكبر واللام مزيدة وعلم ادم الاسماء كلها اما بخلق علم ضروري بها فيه او القاء في روعه ولا يفتقر الى سابقة اختبار واصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وادم اسم عجمي كآزر وشلخ واشتقاقه من الادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض لما روي عنه عليه الصلاة والسلام انه تعالى قبض قبضتين من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك يأتي بنوه اخلاقا او من الادم او الادمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وليس من الاديم والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واشتهاله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا او مفردا مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلاثة والمراد في الاية اما الاول والثاني وهو يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعاني والمعنى انه تعالى خلقة من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدة لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمة معرفة ذوات الاشياء وخواصها واسماءها واصول العلم وقوانين الصناعات وكيفية الاركب ثم عرض مسمياتهم على الملائكة الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ التقدير اسماء المسميات فحذف المضاف اليه وعوض عنه اللام كقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا لان المعروض للسؤال عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء اريد بها الالفاظ والمراد ذوات الاشياء او مدلولات الالفاظ وتذكير لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن او مسمياتها فقال انبئوني

باسماء

يا آدم هؤلاء تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجري كل واحد منهما ان كنتم صادقين في زعمكم انكم احقاء للخلافة لعصمتكم وان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو وان لم يصر حوا به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه بغرض مالم يغرض مالم يلزم مدلوله من الاخبار وبعد الاعتبار يعتري الانشائات قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف بالعجز والقصور واشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانهم قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل الانسان والحكمة في خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما استقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض الحكم كله اليه وسبحان مصدر كغفران ويكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعل كمعاذ الله وقد اجري علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله سبحان من علقمة الفاخر ه وتصدير الكلام به اعتذارا عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى سبحانك تبت اليك وقال يونس عليه الصلاة والسلام سبحانك اني كنت من الظالمين انك انت العليم الذي لا يخفى عليه خافية الحكيم المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت وان لم يجز مررت بانت اذ النابع يتسوغ فيه ما لا يتسوغ في المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدا خبره ما بعده والجملة خبر ان قال يا آدم انبئهم باسمائهم اي اعلهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الياء فيها فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون استحضار للقول اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم من امور السموات والارض وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تقريض معاتبتهم على ترك الاولى وهي ان يتوقفوا متصدين لان يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وما تكتمون استبطانهم بانهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة واسروا منها ابليس من المعصية والهمزة للانكار ودخلت على حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير واعلم ان هذه الايات تدل على شرف الانسان ومزية المعلم وفضله على العباد وانه شرط على الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص وعموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل يقتضي ان يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم فيكون من الله وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم المعلم ولا لتكرير قوله تعالى انك انت العليم الحكيم وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة الاعلى منهم وحملوا عليه قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان آدم افضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم لما انبأهم بالاسماء وعلمهم ما لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه وقيل امرهم فيه قبل ان يسوي خلقه

لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين امتحانا لهم واظهارا
لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق ان نصبته بمضمر ولا عطفه بما يقدر
عاملا فيه على الجملة المتقدمة قبل القصة الاخيرة وهي نعمة رابعة
عدها عليهم والسجود في الاصل تذلل مع تطامن قال الشاعر

ترى الاكم فيه سجدا للحوافر وقال وقلن له اسجد لليلى فاسجدا

يعني البعير اذا طأطأ راسه وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمامور به
اما المعنى الشرعي فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى وجعل ادم قبلة سجودهم تفخيما لشانه
او سببا لوجوبه وكانه تعالى لما خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدعات كلها بل للموجودات
باسرها ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني وذريعة للملائكة الى استيفاء ما قدر
لهم من الكمالات وفضلة الى ظهور ما تبا يتوافيه من المراتب والدرجات امرهم بالسجود
تذللا لما اولاه من عظيم قدرته وباهر ايانته وشكرا لما انعم عليهم بوساطته فاللام
فيه كاللام في قول حسان

الست اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقران والسنن

او في قوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس واما المعنى اللغوي وهو التواضع لادم تحية
وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له والتذلل والانقياد للسعي في تحصيل ما يتوط به معاشهم
ويتم به كمالهم والكلام في ان المامورين بالسجود الملائكة او طائفة منهم ما سبق فسجد
الا ابليس لعنه الله واستكبر امتنع عما امر به استكبارا من ان يتخذه وصلة في عبادة ربه
او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى فيما فيه جبره وصلاحه والاباء امتناع باختيار
والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشيع وكان من
الكافرين اي في علم الله او صار منهم باستفاحة امر الله تعالى بالسجود اعتقادا بانه
افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل كما اشعر به قوله انا
خير منه جوابا لقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لانه ترك
الواجب وحده والاية تدل على ان ادم افضل من المامورين بالسجود له ولو من وجه وان
ابليس كان من الملائكة والا لم يتناوله الامر ولم يصح استثناؤه منهم ولم يرد على ذلك
قوله تعالى الا ابليس كان من الجن جواز ان يقال انه كان من الجن فعلا من الملائكة نوعا
ولابن عباس رضي الله عنه روي ان ضربا من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم
الجن ابليس ولم ندع انه لم يكن من الملائكة ان يقول انه كان جنيا نشا بين اظهر الملائكة
وكان مغمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه والجن ايضا كانوا مامورين مع الملائكة لكنه
استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر مامورون بالتذلل احد *
والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا مامورون به والضمير في فسجدوا راجع الى القبيلين
كانه قال فسجد والمامورون بالسجود الا ابليس وان من الملائكة من ليس بمعصوم
واكان الغالب منهم العصمة كما ان من الانس معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل
ضربا من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات وانما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبر
والفسقة من الانس والجن يشملهما وكان ابليس من هذا الصنف كما قاله ابن عباس رضي
الله عنهما فلذلك صح عليه التغيير من حاله والهبوط عن محله كما اشار اليه بقوله الا ابليس
كان من الجن فنسق عن امر ربه لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور والجن من
نار لما روت عائشة رضي الله عنها انه عليه الصلاة والسلام قال خلقت الملائكة من

نور

نور والجن من مارج من نار لانه كالتمثيل لما ذكر فان المراد بالنور الجوهر المضيء والنار كذلك غير ان ذلك ضوؤها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من الحرارة والاحراق فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة جذعة ولا تزال تتزايد حتى ينطفئ نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا اشبه بالصواب واوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله ومن فوائد الاية استقباح الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه الى الكفر والحث على الائتمار للامر وترك الخوض في سره وان الامر للوجوب وان الذي علم الله من حاله انه يموت على الكفر فهو كافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا الاشعري رحمه الله تعالى **وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة** السكنى من السكون لانها استقرار ولبث وانت تاكيد لاسكن المستكن ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها على انه المقصود بالحكم والمعطوف تبع له والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم انها لم تخلق بعد قال انها بستان كان بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه الله امتحانا لادم وجعل الاهباط علي الانتقال منه الى ارض الهند كما في قوله تعالى **وكلا منها رغدا** واسعا انها صفة مصدر محذوف **حيث شئتما** اي مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر في التناول من الشجرة المنهي عنها من بين اشجارها الفائتة **ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين** فيه مبالغات تعليق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات التناول مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على ان القرب من الشيء يورث داعية مبلاة تجامع القلب وتلهيه عما يقتضي العقل والشرع كما روي حبك الشيء يعمي ويصم فينبغي ان لا يحوم حول ما حرم عليها مخافة ان يقع فيه وجعله سببا لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي او نقص حظها بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فان الفاء تفيد السببية سواء جعلته للعطف على النهي او الجواب له والشجرة هي الحنطة او الكرمة او التينة او شجرة من اكل منها احدث والاولى ان لا تعين من غير قاطع كما لا تعين في الاية لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقرئ بكسر الشين وتفربا بكسر التاء وهذي بالياء **فازلهما الشيطان عنها** اصدر زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذه في قوله تعالى وما فعلته عن امري او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما ويعضده قراءة حمزة فازالهما وهما متقاربان في المعنى غير ان الزلل ان يقتضي عثرة مع الزوال والازلال قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله اني لكما لمن الناصحين واختلف في انه تمثل لهما فقالوا ولهما بذلك والقاه اليهما على طريق الوسوسة وانه كيف توصل الى ان لا لهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة ابتلاء لادم وحواء وقيل قد قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم يعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت به وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله **فاخرجهما مما كانا فيه** من الكرامة والنعيم **وقلنا اهبطوا** خطاب لادم عليه السلام وحواء لقوله سبحانه قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصلا الانس فكانهما الجنس كلهم او هما وابليس اخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة او من السماء **بعضكم لبعض عدو** حال استغني فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله وكم في الارض مستقر موضع استقرار او استقرار **ومتاع** اي تمتع **الى حين**

فرط ٣

للحصر ٤

يريد به وقت الموت او القيمة فتلقى آدم من ربه كلمات استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها
حين علمها وقرا ابن كثير بنصب آدم ورفع كلمات على انها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى
ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا
انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال
يارب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يارب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال الم تسكني
جنتك قال بلى قال يارب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال يارب ان تبت واصلحت ارجع
انت الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم وهو التاثير المدرك باحدى الحاستين السمع والبصر
كالكلام والجراحة فتاب عليه رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وانما رتبه بالفاء على تلقي الكلمات
لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على ان لا يعود اليه واكتفى
بذكر آدم لان حواء كانت تبعا له في الحكم ولذلك طوى ذكر النساء في اكثر القرآن والسنن
انه هو التواب الرجاع عن عباده بالمغفرة والذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوبة الرجوع
فاذا وصف به العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف به الباري تعالى اريد بها الرجوع
من المعقوبة الى المغفرة الرحيم المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد التائب
بالاحسان مع العفو قلنا اهبطوا منها جميعا كرر للتاكيد او لاختلاف المقصود فان الاول
دل على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني اشعر بانهم اهبطوا
الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك
والتنبيه على ان مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين وحدها كافية للحازم ان
تعوقه عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه نبي ولم يجد له عزما وان كلا واحد
منهما كاف به نكالا لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة الى سماء الدنيا والثاني منها الى الارض
وهو كما ترى وجميعا حال في اللفظ تاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون وذلك لا يقتضي
اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد كقولك جاؤا جميعا فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع
هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الاول
وما مزيدة اكدت ان ولذلك حسن تاكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى
ياتينكم مني هدى بانزال الوحي وارسال من تبعه منكم ربحا وفاز وانما جيء بحرف الشك واتيان الهدى
كاين لانه محتمل في نفسه غير واجب عقلا وكرر لفظة الهدى ولم يضمر لانه اراد بالثاني الاول
وهو ما اتى به الرسل واقتضاه العقل اي فمن تبع ما اتاه من اعيانه ما يشهد به العقل
فلا خوف عليهم فضلا عن ان يحل بهم مكروه ولا هم يفوت عليه محبوب فيحزنوا عليه والخوف على
المتوقع والحزن على الواقع ينفي عنهم العقاب واثبت لهم الثواب على اكد وجه وابلغه وقرئ هدي
على لغة هذيل ولا خوف عليهم بالفتح والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون عطف على من اتبع الى آخره فسره له كانه قال ومن لم يتبع بل كفروا
بالله وكذبوا بآياته او كفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين
الى الجار والمجرور والآية في الاصل العلامة الظاهرة ويقال للمصنوعات من حيث انها تدل
على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها
بفصل واشتقاقها من اي لانها تبين ايا او من اوى اليه واصلها اية او اوية كمرة فابدلت
عينها على غير قياس او بيه او اوية كمكة فاعلت او بيه كقايلة فحذفت الهمزة تخفيفا
والمراد بآياتنا الآيات المنزلة او ما يعمها والمعقولة وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة على
عدم عصمة الانبياء عليهم السلام من وجوه الاول ان آدم كان نبيا وارتكب المنهي عنه

والمرتكب

والمرتكب له عاص والثاني انه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله تعالى الا لعنة
الله على الظالمين والثالث انه تعالى اسند اليه العصيان والغي فقال وعصى آدم ربه فغوى
والرابع انه تعالى لقنه التوبة وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه
بانه خاسر لولا مغفرة الله اياه بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر
من يكون ذا كبيرة والسادس انه لو لم يذنب لم يجر عليه ما جرى والجواب من وجوه الاول
انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعى مطالب بالبيان والثاني ان النهي للتنزيه وانما سمي
ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى واما اسناد الغي والعصيان
اليه فسيأتي الجواب عنه في موضعه ان شاء الله تعالى وانما امر بالتوبة تلافيا لما فات عنه
وجرى عليه ما جرى معاتبة له على ترك الاولى ووفاء بما قاله للملائكة قبل خلقه والثالث
انه فعله ناسيا لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ عن اسباب
النسيان ولعله وان حط عن الامة لم يحط عن الانبياء لعظم قدرهم كما قال عليه الصلاة
والسلام اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل اودي فعل الله ما جرى
عليه على طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة كتناول السم على الجهل بشانه لا يقال ان باطل
يقوله تعالى ما نهاكما ربكما وقاسمها الا يان لانه ليس فيهما ما يدل على انه تناول حين ما قاله
ابليس فلعل مقاله اورث فيه ميلا طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله الى ان
ينسيه ذلك وزال عنه المانع فحمله الطبع عليه الرابع انه عليه السلام اقدم عليه بسبب اجتهاد
اخطاء فيه فانه ظن ان النهي للتنزيه او الاشارة الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها
من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روي انه عليه الصلاة والسلام اخذ حريرا
وذهبا وقال ان هذان حرمان على ذكور امتي حل لاناثها وانما جرى عليه ما جرى تغليظا
لشان الخطيئة ليجتنبها اولاده وفيها دلالة على الجنة مخلوقة وانها في جهة عالية وان
التوبة مقبولة وان متبع الهدى مامون العاقبة وان عذاب النار دائم والكافر فيها مخلد
وان غيره لا يخلد فيه لمفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون واعلم انه سبحانه لما ذكر دلائل التوحيد
والنبوة والمعاد وعقبها بتعداد النعم العامة تقريرا لها وتاكيدا فانها من حيث انها حوادث
محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده لا شريك له ومن حيث ان الاخبار بها على
ما هو مثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها اخبار بالغيب معجز يدل
على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله ما هو اعظم من ذلك يدل على
انه قادر على الاعادة كما كان قادرا على الابداء خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم بان يذكروا
نعم الله عليهم ويوفوا بعهوده في اتباع الحق واقتفاء الحق ليكونوا اول من امن بمحمد صلى الله عليه
وسلم وما انزل عليه فقال يا بني اسرائيل اي اولاد يعقوب والابن يعقوب من الانباء
لانه مبني ابيه ولذلك ينشا المصنوع الى صانعه فيقال ابو الرهب وبنت فكر واسرائيل لعقب
يعقوب عليه الصلاة والسلام ومعناه بالعبرانية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرايل
بحذف الياء واسرال بحذفها واسرايل بقلب الهمزة ياء اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
اي بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لان الانسان عنيد حسود بالطبع
فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط وان نظر الى ما انعم
عليه به حمله حب النعم على الرضى والشكر وقيل اراد ما انعم على اباءهم من الانجاء من فرعون والغرق
ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادرك زمن محمد عليه الصلاة والسلام وقرئ اذكروا
والاصل افتعلوا ونعمتي باسكان الياء واسقاطها وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها

واوفوا بعهدي بالايمان والطاعة اوف بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الي المعاهد
والمعاهد ولعل الاول يضاف الي الفاعل والثاني الي المفعول فانه تعالي عهد اليهم بالايمان
والعمل الصالح بنصب الدلائل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب علي حسنا والوفاء بها عروض
فالاول مراتب الوفا منها هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله حقن الدماء والمال واخرها منا
الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله تعالي الفوز باللقاء
الدائم وما روي عن ابن عباس رضي الله عنه اوفوا بعهدي في اتباع محمد اوف بعهدكم في رفع الاصر
والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب اوفوا بالاستقامة
علي الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فيما للنظر الي الوسائط وقيل كلاهما مضاف
الي المفعول والمعني اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوفي بما عاهدت من حسن الاثابة
وتفصيل العهدين في سورة المائدة قوله تعالي ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الي قوله ولادخلنكم
جنات تجري وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة وايايَ فارهبون فيما تاتون وتذرون *
وخصوصا في نقض العهد وهو اكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم
من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة علي تضمن الكلام معني الشرط كانه قال ان كنتم
راهبين شيئا فارهبون والرهبة خوف معه تحرز والاية متضمنة للوعد والوعيد دالة علي
وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف احدا الا الله وامنوا بما انزلت
مصدقا لما معكم افراد للايمان بالامر به والحث عليه لانه المقصود والحمل للوفاء بالعهود
وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسب ما بلغت فيها
او مطابق لها في القصص والمواعيد والدعاء الي التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين
الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت
الاعصار في المصالح من حيث ان كل واحدة منها حق بالاضافة الي زمانها مراعي فيه صلاح
من خوطبت بها حتي لو نزل المتقدم في زمن المتاخر لنزل علي وفقه ولذلك قال عليه الصلاة
والسلام لو كان موسي حيا لما وسعه الا اتباعي تنبيه علي ان اتباعها لا ينافي الايمان بل يوجبه
ولذلك عرض ولا تكونوا اول كافر به بالله الواجب ان تكونوا اول من امن به لانهم كانوا اهل
النظر في معجزاته والعلم بشانه والمستفتحين به والمبشرين بزمانه واول كافر وقع
عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق وفوج او بتاويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به
كقولك كسانا حلة فان قيل كيف نهوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركو العرب *
قلت المراد به التعريض لا الدلالة علي ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او لا
تكونوا اول كافر من اهل الكتاب او ممن كفر بما معكم فان من كفر بالقران فقد كفر بما يصدقه
او مثل من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل وقيل اصله اوال من وال فابدلت همزته واوا
تخفيفا غير قياسي اوال ولد من ال فقلبت همزته واوا وادغمت ولا تشتروا بايايَ ثمنا
قليلا ولا تستبدلوا الايمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة مستزولة
بالاضافة الي ما يفوت عنكم من حظوظ الاخرة بترك الايمان قيل كان لهم رياسة في قومهم
ورسوم وهدايا منهم فخافوا علي ذهابها لو اتبعوا رسول الله صلي الله عليه وسلم فاختاروها عليه
وقيل كانوا ياخذون الرشي فيحرفون الحق ويكتمونه وايايَ فاتقون بالايمان واتباع
الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت الاية الاولي السابقة مشتملة علي ما هو كالمبادي لما
في الاية الثانية فصلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوي ولان الخطاب بها لما عم العالم
والمقلد امرهم بالرهبة التي هي مبداء السلوك والخطاب بالثانية لما خص اهل العلم الما امرهم

امرهم

امرهم بالتقوى الذي هو منتهاه ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشيء مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تختلقونه وتكتبونه حتى لا يميز بينهما او لا تجعلوا الحق ملبسا بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه في خلاله او تذكرونه في تاويله وتكتموا الحق جزم داخل تحت حكم النهي كانهم امروا بالايمان وترك الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من لم يسمعه او نصب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه ويعضده انه في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه اي وانتم وتكتمون بمعنى كاتمين وفيه اشعار بان معنى اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وانتم تعلمون عالمين بانكم لابسون كاتمون فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر واقيموا الصلوة واتوا الزكوة يعني صلوة المسلمين وزكاتهم فان غيرهما كلا صلوة ولا زكوة امرهم بفروع الاسلام بعد ما امرهم باصوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها والزكوة من زكى الزرع اذا نمى فان اخراجها يستجلب بركة في المال ونموا للنفس فضيلة الكرم او من الزكوة بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من الخبث والنفس من البخل واركعوا مع الراكعين اي في جماعتهم فان صلاة الجماعة تفضل الفرد بسبع وعشرين درجة لما فيها من تطاهر المتفوس وعبر عن الصلوة بالركوع احتراز عن صلاة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط السعدي

لا تذل الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه

اتامرون الناس بالبر تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل البر ثلاثة بر في عبادة الله وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملة الاجانب وتنسون انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في احبار المدينة كانوا يامرون سرا من اتحوه باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون وانتم تتلون الكتاب تبكيت كقوله وانتم تعلمون اي تتلون التوراة وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون قبح صنيعكم فيصدكم عنه او افلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل في الاصل الحبس سمي به الادراك الانساني لانه يحبس عما يقبح ويحمله على ما يحسن ثم القوة التي بها النفس تدرك هذا الادراك والاية تاعية على من يعظ غيره ولا يتعظ بنفسه سوء صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل فان الجامع بينهما تابى عنه شكيمته والمراد بها حظ الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل ليقوم فيقيم لا منع الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المامور بهما لا يوجب الاخلال بالاخر واستعينوا بالصبر والصلوة متصل بما قبله كانهم لما امروا بما شق عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال عوجلوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار الفرج والنجح توكلا على الله او بالصوم الذي صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوات وتصفية النفس والتوسل بالصلاة الالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القران والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المارب وجبر المصايب روي انه عليه الصلاة والسلام اذا كان حزبه اي غلبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء وانها اي الاستعانة بها

او الصلوة وتخصيصها بردّ الضمير اليها لعظم شانها واستقباحها منهم وما من الصبر او جملة ما امروا بها او نهوا عنها لكبيرة لثقيلة شاقة لقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين اي المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال للخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون اي يتوقعون لقاء الله ونيل ما عنده ويتيقنون انهم يحشرون الى الله تعالى فيجازيهم ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه لتضمن معنى التوقع قال اوس بن حجر

فارسلته مستيقن الظن انه ... بخالط ما بين الشراسيف جائف

وانما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة في مقابلتها ما تستحقر لاجله شاقها وتستلذ بسببه متاعبها ومن ثم قال عليه الصلوة والسلام وجعلت قرة عيني في الصلوة يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم كرر للتوكيد وتذكير التفضيل الذي هو اجل النعم خصوصا وربط به الوعيد الشديد لتخويف المنغمل عنها واخل بحقوقها وانى فضلتكم عطف على نعمتي على العالمين اي عالمي زمانهم يريد به تفضيل ايائهم الذين كانوا في عصر موسى وبعده قبل ان يغيروا بانعامهم الله من العلم والايمان والعمل وجعلهم انبياء وملوكا مفسطين واستدل به على تفضيل البشر على الملائكة وهو ضعيف واتقوا يوما اي ما فيه من الحساب لا تجزي نفس عن نفس شيئا لا تقضي عنها شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدر وقرئ لا تجزي من اجزا عنه اذا اغنى وعلى هذا تعين ان يكون مصدرا واياده منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلي والجملة صفة ليوما والعايد منها محذوف تقديره لا تجزي فيه ومن لم يجوز حذف العايد المجرور قال تسمح فيه فاجري فحذف عنه الجار واجري مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله اوما ل اصابوا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي من النفس الثانية العاصية او من الاولى وكانه اريد لا يقبل ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او غيره والاول للنصرة والثاني اما ان يكون مجانا او غيره والاول ان يشفع له والثاني اما باداء ما كان عليه وهو اداء يجزي عنه او بغيره وهو ان يعطى عنه والشفاعة من الشفع كان له كان فرد فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمي به المغدي لانها تسوي بالمغدي ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد والاناسي والنصرة اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الاية على نفي الشفاعة لاهل الكبائر واجيب بانها مخصوصة بالكفار للايات والاحاديث الواردة في الشفاعة ويؤيده ان الخطاب معهم والاية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان اباءهم تشفع لهم واذ نجيناكم من ال فرعون التفصيل لما اجمله في قوله واذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وعطف على نعمتي عطف جبريل وميكائيل على الملائكة وقرئ وانجيتكم واصل انجى اهل الان تصغير اهيل وخص بالاضافة الى اولي الخطر كالانبياء والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة كقيصر لملكي الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتى وكان فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف ريان وكان بينهما اكثر من اربعمايئة سنة يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب اقطعه وانه قبيح بالاضافة

الى سائر والسوء مصدر ساء يسوء نصبه على المفعول لبسومونكم والجملة حال من الضمير في نجينا
او من آل فرعون او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما يذبحون ابناءكم ويستحيون
نساءكم بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم
ذلك لان فرعون راى في المنام او قال له الكهنة سيولد من يذهب بملكه فلم يرد احتيالهم
من قدر الله شيئا وفي ذلكم بلاء محنة ان اشير بذلكم الى صنيعهم ونعمة ان اشير به الى الانجاء
واصله للاختبار ولما كان اختبار الله عباده تارة بالمنحة وتارة بالمحنة اطلق عليها ويجوز ان
يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان الشايع بينهما من ربكم بتسليطهم عليكم او ببعث
موسى وتوفيقه لتخليصكم او بهما عظيم صفة بلاء وفي الاية تنبيه على ان ما يصيب العبد
من خير او شر اختيار من الله تعالى فعليه ان يشكر على مسار ويصبر على مضار ليكون
من خيار المختبرين واذ فرقنا بكم البحر فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه
مسالك سلوكم فيه او بسببكم انجاءكم او ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا
وقرئ فرّقناه على بناء التكثير لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط فانجيناكم
واغرقنا ال فرعون اراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم فانه كان اولي به وقيل
شخصه كما روي ان الحسن كان يقول اللهم صل على محمد اي شخصه واستغنى بذكر غرق كل
اتباعه وانتم تنظرون ذكر اي غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة
مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل وينظر بعضكم بعضا روي انه تعالى امر موسى عليه
السلام ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبح فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر
فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فظهرت فيه اثني عشر طريقا يابسا
فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح الله فيها كوا فتلاحوا وتسامعوا
حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون وراءه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم عليهم
واغرقهم اجمعين وعلم ان هذه الواقعة من اعظم ما انعم الله على بني اسرائيل ومن الايات
المجيئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه الصلوة والسلام ثم انهم اتخذوا
العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وكذلك فعلهم في معزل من الفطنة والذكاء وسلامة
النفس وحسن الاتباع من امة محمد صلى الله عليه وسلم مع ان ما تواتر من معجزاته امور نظرية مثل
القران والتحدي به والفضائل المجتمع فيه الشاهدة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم دقيقة يدركها
الاذكياء واخبار عليه الصلوة والسلام بما عليها من جملة معجزاته على نقرين واذ وعدنا
موسى اربعين ليلة لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعدالله موسى ان يؤتيه التوراة
واضرب له ميقاتا اذا انقضت وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها الغرر الشهور وقراء
ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي واعدنا لانه تعالى وعد الوحي ووعده
موسى المجيء للميقات الطور ثم اتخذتم العجل الها ومعبودا من بعده من بعد موسى ومضيه
الى الطور وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفى
اذا درس من بعدذلك اي الاتخاذ لعلكم تشكرون اي لكي تشكروا عفوه واذ اتينا موسى
الكتاب والفرقان يعني التورية الجامع بين كونه كتابا ومعجزة تفرق الحق والباطل وقيل الراد
بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوي او بين الكفر والايمان وقيل الشرع
الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه لقوله تعالى يوم الفرقان يريد
به يوم بدر لعلكم تهتدون لكي تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر في الايات واذ قال موسى
لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاعزموا على التوبة

والرجوع الي من خلفكم برياء من التفاوت وميز بعضها من بعض وهيئات مختلفة واصل التركيب خلوص
الشيء عن غيره اما علي سبيل التقضي كقولهم بري المريض من مرضه والمديون من دينه والانشاء
كقولهم برأ الله آدم من الطين او فتوبوا فاقتلوا انفسكم تماما التوبتكم بالنجع او قطع الشهوات
كما قيل من لم يعد نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل
امر من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة روي ان الرجل يري بعضه وقريبه فلم يقدر علي المضي لامر
الله فارسل ضبابة وسحابة سودا لا يتباصرون فاخذوا يقتلون من الغداة الي العشي حتي دعا
موسي وتروب فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلي سبعين الفا والفاء الاولي للسببية
والثانية للتعقيب ذلكم خير لكم عند بارئكم من حيث انه طهرة من الشرك ووصلة الي الخير
الابدي والبهجة السرمدية فتاب عليكم متعلق بمحذوف ان جعلته من كلام موسي عليه الصلاة
والسلام تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم وعطف علي محذوف ان جعلته خطابا
من الله لهم علي طريقة الالتفات كانه قال ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بان علم وذكر البارئ
وتركيب الامر عليه اشعارا بانهم لمعوا غاية الجهالة والغباوة حتي تركوا عبادة خالقهم الحكيم الي
عبادة البقرة التي هي مثل في الغباوة وان من لم يعرف حق منعمه حقيق بان يسترد منه
ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب انه هو التواب الرحيم الذي يكثر توفيق التوبة
او قبولها من المذنبين ويبالغ في الانعام واذ قلتم يا موسي لن نؤمن لك لاجل قولك اولن
نقولك حتي نري الله جهرة عيانا وهي في الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت
للمعاينة ونصبها علي المصدر لانها نوع من الرؤية او الحال من الفاعل او المفعول وقري جهرة
بالفتح علي انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا والقائلون هم السبعون الذين اختارهم
موسي للميقات وقيل عشرة الاف من قومه والمؤمن بران الله الذي اعطاك التورية وكلمك
او انكر نبي فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا ان الله
تعالي يشبه الاجسام فطلبوا رؤيته رؤية الاجسام في الجهات والاحياز المقابلة للرائي
وهي محال الممكن ان يري برؤية منزهة عن الكيفية وذكر المؤمنين في الاخرة والافراد
من الانبياء في بعض الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل
جنود سمعوا بحسيسها فزعوا فماتوا صاعقين ميتين يوما وليلة وانتم تنظرون ما اصابكم
بنفسه او اثره ثم بعثناكم من بعد موتكم بسبب الصاعقة وقيد البعث في الموت لانه
قد يكون عن اغماء او نوم لقوله تعالي ثم بعثناهم لعلكم تشكرون نعمة البعث او ما كفرتموه
لما رايتم بالصاعقة وظللنا عليكم الغمام سخر لهم السحاب يظلهم من الشمس حين كانوا
في التيه وانزلنا عليكم المن والسلوي الترنجبين والسماني ويقال بالليل عمودنا
قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الي الطلوع ويبعث الجنوب عليهم السماني وينزل
بالليل عمودنا ريسيرون في ضوءه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلي كلوا من طيبات
ما رزقناكم علي ارادة القول وما ظلمونا فيه اختصار واصله وظلموا بان كفروا هذه
النعم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران لانهم لا يتخطاهم ضرره واذ
قلنا ادخلوا هذه القرية يعني بيت المقدس وقيل اريحا امروا به بعد التيه فكلوا منها
حيث شئتم رغدا واسعا وانتصبه علي المصدر او الحال من الواو وادخلوا الباب اي باب
القرية او القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسي عليه
الصلاة والسلام سجدا منطامنين متخشعين او ساجدين لله شكرا علي اخراجهم من التيه
وقولوا حطة اي مسئلتنا او امرك حطة او هي فعلة من الحط كالجلسة وقري بالنصب علي الاصل

بمعني

بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انه مفعول قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم بسجودكم وركوعكم وقرئ نافع بالياء وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول وخطايا اصله خطايئ كمطايع فعند سيبويه انه ابدلت الياء الزائدة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان فابدلت الثانية ياء ثم قلبت الياء الفا وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بها ذكر وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسبب زيادة الثواب للمحسن واخرجه عن صورة الجواب الى الوعد ايهاما بان المحسن يصدر ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعل لا محالة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم بدلوا بما امروا به من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون من اغراض الدنيا فانزلنا على الذين ظلموا كرر مبالغة في تقبيح امرهم واشعارا بان الانزال عليهم لظلمهم بوضع غير المامور به موضعه او على انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب هلاكها رجزا من السماء بما كانوا يفسقون عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز في الاصل ما يعاف عنه ولذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي انه مات في ساعة اربعة وعشرون الفا واذ استسقى موسى لقومه لما عطشوا في التيه فقلنا اضرب بعصاك الحجر اللام فيه للعهد على ما روي انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه كان ينبع من كل وجه ثلثة اعين تسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا اسباط الف وسعة العسكر اثني عشر ميلا او حجرا هبط ادم من الجنة ووقع الى شعيب فاعطاه مع العصي او الحجر الذي فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبراه الله تعالى مما رموه من الادرة فاشار اليه جبريل بحمله او الجنس وهذا اظهر في الحجة قيل لم يامر ان يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة فيها احمل حجرا في مخلاتك وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينبجس ويضربه به اذا ارتحل فيبيس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله اليه لا تفرع الحجارة وكلمها يطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا في ذراع والعصاة عشرة اذرع على طول موسى من اس الجنة وله شعبتان في الظلمة فانبجست منه اثنتا عشرة عينا متعلق بمحذوف تقديره فان ضربت فقد انبجست او فضرب فانبجس كما في قوله فتاب عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان فيه قد علم كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا واشربوا على تقدير القول من رزق الله يريد به ما رزقهم من المن والسلوي وماء العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل ما ينبت به ولا تعثوا في الارض مفسدين لا تعتدوا حال افسادكم وانما قيد لانه وان غلب في الفساد وقد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المتعدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه العيث غير انه يغلب فيما يدرك حسا ومن انكر هذه المعجزات فلغاية جهله وقلة تدبره في عجائب صنعه فانه لما امكن ان يكون من الاحجار ما يخلق منه الشجر ويتفرع الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله حجرا يسخر بجذب الماء من تحت الارض او بجذب الهواء من الجوانب وتصييره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد يريد به ما رزقوا في التيه من المن والسلوي وتوحيده لانهما لا يختلف ولا يتبدل كقولهم طعام مائدتك الامير واحد يريدون انه لا يتغير الوانه ولذلك جمعوا او ضرب واحد لانهما معا طعام واهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما الفوه فادع لنا ربك سله لنا بدعائك اياه يخرج لنا يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه جواب فادع لنا

القاء مسببة بمحذوف اي فضرب فانفجرت كما ذكر في قوله فتاب عليكم وهي واقعة في جواب اذا وقيل الفاء الفصيحة وفي جواز اشراب الفاء الفصيحة بحثي الذي يعطف على المقدر بالشرط

فان دعوة بسبب الاجابة مما تنبت الارض من الاستاد المجازي واقامة القابل مقام الفاعل
ومن التبعيض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها التفسير وبيان وقع موقع
الحال وقيل باعادة الجار والبقل ما انبتته الارض من الخضرة والمراد به اطايبه التي تؤكل والفوم
الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا لنا وقيل الثوم وقرئ قثائها بالضم وهو لغة فيه قال
اي الله تعالى او موسى اتستبدلون الذي هو ادنى اقرب منزلة وادون قاربوا وصل الدنو
القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد في الشرف والرفعة فقيل بعيد الهمة
وقرئ ادنى من الدناءة بالذي هو خير يريد به المن والسلوى فانه خير في اللذة والنفع
وعدم الحاجة الى التعبي اهبطوا مصرا انحدروا من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط
منه اذا خرج منه وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحد الحاجز بين الشيئين وقيل
اراد به العلم وانما صرف لسكون وسطه او على تاويل البلد ويؤيده انه غير منون في مصحف
ابن مسعود رضي الله عنه وقيل اصله مصرايم فعرب فان لكم ما سالتم وضربت عليهم
الذلة والمسكنة احيطت به احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقت بهم من ضرب الطين
على الحايط مجازاة لهم على كفران النعمة واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة او على
التكليف مخافة ان تضاعف جزيتهم وباؤا بغضب من الله رجعوا به وصاروا احقاء بغضبه
من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا ان يقتل به واصل البواء المساواة ذلك اشارة الى ما سبق
من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون
النبيين بغير الحق بسبب كفرهم بالمعجزات التي من جملتها ما عد عليهم من فلق البحر واظلال
الغمام وانزال المن والسلوى وانجار العيون من الحجر او بالكتب المنزلة كالقرآن والانجيل
واية الرجم التي فيها بعث محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة وقتلهم الانبياء فانهم قتلوا شعيا
وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم وانما حملهم
على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار بقوله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي حبهم
العصيان والتمادي والاعتداء فيه الى الكفر بالايات وقتل النبيين فان صغار الذنوب سبب
يؤدي الى ارتكاب كبارها كما ان صغار الطاعات اسباب مؤدية الى تحري كبارها وقيل
كرر الاشارة للدلالة على ان ملاحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي
واعتدايهم حدود الله وقيل الاشارة اليه الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وانما جوزت الاشارة
بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تاويل ما ذكر وما تقدم للاختصار ونظيره في الضمير قوله رؤبة
« فيها خطوط من سواد وبلق » كانه في الجلد توليع البهق »
والذي حسن ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتانيثها ليست على الحقيقة ولذلك جاء
الذي بمعنى الجمع ان الذين امنوا يا لسنتهم يريد المتدينين بدين محمد عليه الصلاة والسلام
المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين فقط لانخراطهم في سلك الكفرة والذين
هادوا اي يهود ويقال هادوا اذا دخل في اليهودية وهود اما عربي من هاد اذا
تاب سموا بذلك انحا لما تابوا من عبادة العجل واما معرب يهود او كانهم سموا باسم ابيهم الاكبر يعقوب عليه الصلاة والسلام والنصارى جمع نصران كالندامى والياء في نصراني للمبالغة
كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح اولانهم كانوا معه في قرية اسمها نصران او ناصرة
فسموا بها او من اسمها والصابئين قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين
نوح عليه الصلاة والسلام وقيل هم عبدة الملايكة وقيل عبدة الكواكب وهو ان كانت
عربيا فمن صباء اذا خرج وقراء نافع وحده بالياء اما لانه خفف الهمزة او لانه من صباء اذا

مال لانهم مالوا من سائر الاديان الي دينهم او من الحق الي الباطل من امن بالله واليوم الاخر
وعمل صالحا من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدا والمعاد عاملا بمقتضى
شرعه وقيل من يامن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل الايمان ذخولا صادقا فلهم اجرهم
عند ربهم الذي وعدهم علي ايمانهم وعملهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون حين يخاف
الكفار من العقاب ويحزن المقصرون علي تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدا خبره فلهم
اجرهم والجملة خبر ان او بدل من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم والفاء لتضمن المسند اليه معنى
الشرط وقد منع سيبويه دخولها في خبر ان من حيث انها لا تدخل الشرطية ورد بقوله
تعالي ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم واذ اخذنا ميثاقكم
باتباع موسي والعمل بالتوراة ورفعنا فوقكم الطور حتي اعطيتم الميثاق روي ان موسي عليه
السلام لما جاءهم بالتوراة فرقوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها
فامر جبريل بقلع الطور فظلله فوقهم حتي قبلوا خذوا علي ارادة القول ما اتيناكم من الكتاب
بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه ادرسوه ولا تنسوه وتفكروا فيه فانه ذكر في القلب
او اعملوا به لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي او رجاء منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند
المعتزلة ان يتعلق بالقول المحذوف اي قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم
من بعد ذلك ثم اعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد اخذه فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم
للتوبة او بمحمد صلي الله عليه وسلم يدعوكم الي الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين معنوبين
بالانهماك بالمعاصي او بالخبط والضلال في فترة من الرسل ولو في الاصل لامتناع الشيء لامتناع
غيره فاذا دخل علي لا افاد اثباتا وهو امتناع الشيء لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه
مبتداء خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل
محذوف ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت اللام موطئة للقسم والسبت مصدر
سبت اليهود اذا عظمت يوم السبت واصله القطع امروا بان يتجردوه للعبادة فاعتدي فيه
ناس منهم في زمن داود عليه السلام واشتغلوا بالصيد وذلك لانهم كانوا يسكنون في قرية يقال
لها ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك واخرج خرطومه فاذا مضي
تفرقت فحفروا حياضا وسرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها
يوم الاحد فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين جامعين بين صورة القردة والخسوءة والصغار
والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تعالي
كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد سرعة التكوين وانهم
صاروا كذلك كما اراد بهم وقري قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همز فجعلناها
اي المسخة او العقوبة نكالا عبرة يمنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد لما بين
يديها وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في ديار الاولين واشتهر
قصتهم في الاخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما حضرها من القري وما تباعد عنها
او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تاخر منها وموعظة
للمتقين من قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسي لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا
بقرة اول هذه القصة قوله تعالي واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها واما فكت عنه وقدمت
عليه لاستقلاله بنوع اخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء بالسؤال وترك
السرعة الي الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنوا اخيه طمعا في ميراثه
وطرحوه علي باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه

ع

بعضها ليحي فيخبر بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا اي مكان هزء او اهله او مهزوا بنا او الهزء نفسه
لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرأ حمزة واسمعيل عن نافع بالسكون وحفص
عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزء في مثل
ذلك جهل وسفه نفى عن نفسه ما رمي به على طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة الاستعاذة
استفظاعا له قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اي ما حالها وصفتها وكان حقه ان يقولوا
اي بقرة هي او كيف هي لان ما يسئل به عن الجنس غالبا لكنهم لما راوا ما امروا به على حال لم يوجد
بها شيء من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله قال انه يقول انها بقرة
لا ذلول ولا بكر لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كأنها
فرضت سنها وتركيب البكر والبأكورة عوان نصف قالت نواعم بين ابكار وعون
بين ذلك اي ما ذكر بين الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين فانه لا يضاف الا الى متعدد
جمع وعود هذه الكنايات واجراء تلك الصفات على بقرة يدل على ان المراد بها معينة ولزم من
تأخير البيان عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة من بقر شتى ليقر غير مخصوصة
ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت
بالنص والحق جوازه بما ويؤيد الرأي الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه عليه الصلاة والسلام
لو ذبحوا اي بقرة اراد والاجزأتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادي
وزجرهم عن المراجعة بقوله فافعلوا ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى ما تؤمرون به
من قولهم امرتك الخير فافعل ما امرت به او امركم بمعنى مأموركم قالوا ادع لنا
ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع نصوع
الصفرة ولذلك يؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفي اسناده الى اللون وهي
صفة صفر الملابسة بها فضل تأكيد كأنه قيل صفراء شديد الصفرة صفرتها وعن الحسن
سوداء شديد السواد وبه فسر قوله تعالى جمالة صفر قال الاعشى

تلك خيلي منه وتلك ركابي ... هن صفر اولادها كالزبيب

ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها من مقدماته او لان سواد الابل تعلوه صفرة وفيه نظر لان
الصفرة بهذا المعنى لا توكد بالفقوع تسر الناظرين اي يعجبهم والسرور اصله لذة في القلب
عند حصول نفع او توقعه من السر قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي تكرير للسؤال الاول
واستكشاف زيادة وقوله ان البقر تشابه علينا اعتذار عنه اي ان البقر الموصوف بالنعوت
والصفرة كثير فاشتبه علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر
ويتشابه بالياء والتاء وتشابه بطرح التاء وادغامها على التذكير والتأنيث وتشابهت
مخففا ومشددا وتشبه بمعنى يتشبه ويشبه بالتذكير ومتشابهة ومشتبه ومتشابه
ومتشبه وانا ان شاء الله لمهتدون الى المراد ذبحها او الى القاتل وفي الحديث لو لم
يستثنوا لما بينت لهم الى آخر الابد واحتج به اصحابنا على ان الحوادث بارادة الله تعالى وان
الامر قد ينفك عن الارادة والمانع للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث
الارادة واجيب بان التعليق باعتبار التعلق قال انها يقول انها بقرة لا ذلول تثير
الارض ولا تسقي الحرث اي لم تذلل للكراب وسقي الحروث ولا ذلول صفة للبقرة بمعنى غير
ذلول ولا الثانية مزيدة لتأكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كأنه قيل لا ذلول مثيرة
وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث
هو وتسقي من اسقى مسلمة سلمها الله تعالى من العيوب او اهلها من العمل او خلصوها من سلم

له اذ خلص له لا شية فيها لا لون فيها يخالف لون جلدها وهي في الاصل وشاه وشياً وشية اذا خلط بلونه لونا اخر قالوا الان جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وحقيقتها التاوتي الآن بالمد على الاستفهام والآن بحذف الهمزة وابقاء حركتها على اللام فذبحوها فيه اختصار التقدير فحصلوا البقرة المفعولة فذبحوها وما كادوا يفعلون لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم او لخوف الفضيحة في ظهور القاتل ولغلاء ثمنها اذ روي ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها من اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فاذا دخل عليها النفي قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كسائر الافعال ولا ينافي قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم ما قاربوا ان يفعلوا حتى ابهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجئ الى الفعل واذ قتلتم نفساً خطاب للجمع لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها اختصمتم في شأنها اذ المتخاصمان يدفع بعضهم بعضا او تدافعتم بان طرح قتلها كل عن نفسه الى صاحبه واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهره لا محالة واعمل مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه عطف على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تاويل الشخص او القتيل ببعضها اي ببعض كان وقيل باصغر فيها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذنها وقيل بالعجب كذلك يحيي الله الموتى يدل على احدى وهو فضربوا فحيي والخطاب مع من حضر حيوة القتيل او نزول الآية ويريكم آياته دلائله على قدرته لعلكم تعقلون لكي يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها او يعلمون على قضيته ولعله انما لم يحيه ابتداء وشرط فيه ما شرط لما فيه من التقرب واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة على الاولاد وان من حق الطالب ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه كما روي عن عمر رضي الله عنه انه ضحى بنجيبة بثلثمائة دينار وان المؤثر في الحقيقة هو الله تعالى والاسباب امارات لا تاثير لها وان من اراد ان يعرف عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية حين زال عنها شرة الصبا ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها الاشية بها من مقابحها بحيث يصل اثرها الى نفسه فيحيي حيوة طيبة ويعرب عما ينكشف به ويرفع ما بين العقل والوهم من التدارء والتزاع ثم قست قلوبكم القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر وقساوة القلب مثل في بعده عن الاعتبار وثم الاستبعاد القسوة من بعد ذلك يعني احياء القتيل او جميع ما عدد من الآيات فانها مما توجب لين القلوب فهي كالحجارة في قسوتها او اشد قسوة منها والمعنى انها في القساوة مثل الحجارة او زائد عليها او مثلها او مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وبعضه قراءة الحرميا بالفتح عطفا على الحجارة وانما لم يقل اقسى لما في اشد من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة واو للتخيير او للتردد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى منها وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة

المشكل الجلد لانه يمسك ما فوقه من اللحم والعظم ه

ن

تتناثر وتتفعل فان منها ما يتشقق فينبع منه الماء ويتفجر منه الانهار ومنها ما يتردى من
اعالى الجبل انقيادا لما اراد الله به وقلوب هؤلاء لا تتناثر ولا تنفعل عن امر الله والتفجر التفتح
بسعة وكثرة الخشية مجاز عن الانقياد وقرئ ان على انها المخففة من الثقيلة وليزمها اللام
الفارقة بينها وبين النافية ويهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون وعيد على ذلك
وقراء ابن كثير بالياء ضما الى يعبدك وبالياقون بالتاء افتطمعون الخطاب لرسول الله والمؤمنين
ان يؤمنوا لكم ان يحدثوا لكم التصديق او يؤمنوا لاجل دعوتكم يعني اليهود وقد كان فريق
منهم طايفة من اسلافهم يسمعون كلام الله كنعت محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم اوتاويله
فيفسرونه بما يشتهون يعني التوراة ثم يحرفونه وقيل هولاء من السبعين المختارين سمعوا
كلام الله تعالى حين كلم موسى عليه الصلاة والسلام ثم قالوا سمعنا الله تعالى يقول في اخره فان
استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شيئتم فلا تفعلوا من بعد ما عقلوه اي فهموه
يعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة وهم يعلمون انهم مفترون مبطلون ومعنى الآية ان احبارهم
ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فما ظنك بسفلتهم وجهالهم فانهم ان كفروا وحرفوا فلهم
سابقة في ذلك واذا لقوا الذين امنوا يعني منافقيهم قالوا امنا بانكم على الحق ورسولكم
هو المبشر به في التوراة واذا خلا بعضهم الى بعض اي الذين لم ينافقوا منهم عاتبين
على من نافق قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التورية من نعت محمد صلى الله عليه وسلم
او الذين نافقوا لاعقابهم اظهار التصلب على اليهودية ومنعا لهم عن ابداء ما وجدوا في كتابهم
فيناقضون الفريقين فالاستفهام على الاول تقريع وعلى الثاني انكار ونهي ليحاجوكم به
عند ربكم ليحتجوا بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب وحكمة محاجة عنده كما يقال
عند الله كذا واراد به في كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم او بين يدي رسول ربكم وقيل عند
ربكم في القيمة وفيه نظر اذ الاخفاء لا يدفعها افلا تعقلون اما من تمام كلام اللايمين تقدره
او لا تعقلون انهم يحاجونكم به فيحجونكم او خطاب من الله للمؤمنين متصل بقوله افتطمعون
والمعنى فلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم اولا يعلمون يعني هولاء المنافقين
او اللايمين وكليهما اواياهم المحرفين انه ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون من جملتها
اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه
ومعانيه ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب جهلة لا يعرفون الكتابة فيطالعوا التورية
ويتحققوا ما فيها او التورية الا اماني استثناء منقطع والاماني جمع امنية وهي في الاصل
ما يقدره الانسان في نفسه من تمنى اذا قدر ولذلك يطلق على الكذب وعلى ما يتمنى وما
وما يقرأ ولكن يعتقدون اكاذيب اخذوها تقليدا من المحرفين او مواعيد فارغة
سمعوها منهم ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او ان النار لن تمسهم الا اياما معدودة
وقيل الا ما يقرون قراءة عارية من معرفة المعنى وتدبره من قولهم

تمنى كتاب الله اول ليلة تمنى داود الزبور على رسل

وهو لا يناسب وصفهم بانهم اميون وانهم لا يظنون ما هم الا قوم يظنون لا علم لهم
وقد يطلق العلم بازاء الظن على كل راي واعتقاد من غير قاطع وان جزم به كاعتقاد
المقلد والزايغ عن الحق لشبهة فويل اي تحسر واهلاك ومن قال انه واد او جبل
في جهنم فمعناه ان فيها موضعا يتبوأ فيه من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو
في الاصل مصدر لا فعل له وانما ساغ الابتداء به نكرة لانه دعاء للذين يكتبون
الكتاب بايديهم يعني المحرف ولعله اراد به ما كتبوه من التاويلات الزايغة تاكيد

كقولك كتبته بيميني ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا كي يحصلوا بزعمهم
من اغراض الدنيا فانه وان جل قليل بالنسبة الى ما استوجبوه من العقاب لدائم فويل لهم مما
كتبت ايديهم بعيني المحرف وويل لهم مما يكسبون بريد الرشي وقالوا لن تمسنا النار
المس ايصال الشيء بالبشرة بحيث يتأثر الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك قال المسه
فلا اجده الا اياما معدودة محصورة قليلة روي ان بعضهم قال نعذب بعدد ايام عبادة
العجل اربعين يوما وبعضهم قال مدة الدنيا اربعة الاف سنة وانما نعذب مكان كل سنة يوما
قل اتخذتم عند الله عهدا خبرا ووعدا يزعمون وقراء ابن كثير وحفص باظهار الذال واليائون
بادغامه فلن يخلف الله عهده جواب شرط مقدر ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله
عهده وفيه دليل على ان الخلف في خبره محال ام تقولون على الله ما لا تعلمون ام معادلة بهمزة
الاستفهام بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع احدهما ومنقطعة بمعنى بل
اتقولون على التقرير والتقريع بلى اثبات لما نفوه من مسآس النار لهم زمانا مديدا
ودهرا طويلا وعلى وجه عم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم ويختص بجواب النفي بلى من
كسب سيئة فبيحته والفرق بينها وبين الخطيئة انها قد تقال فيما يقصد بالذات والخطيئة
تغلب فيما يقصد بالغرض لانها من الخطأ والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على
طريقة قوله فبشرهم بعذاب اليم واحاطت به خطيئته اي استولت عليه وشملت جملة
احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شيء من جوانبه وهذا انما يصح في شان الكافر لان
غيره ان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها
السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان من اذنب ذنبا ولم ينقطع عنه اسجره الى معاودة مثله
والانهماك فيه وارتكاب ما هو اكبر منه حتى تستولي عليه الذنوب وتأخذ بمجامع قلبه
فيصير يطبعه مائلا الى المعاصي مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة سواها منبعثا من همته
عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال الله تعالى ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى ان كذبوا بايات
الله وقراء نافع خطيآته وقرئ خطيته وخطيئته على القلب والادغام فيهما فاولئك اصحاب
النار ملازموها في الاخرى كما انهم ملازمون اسبابها في الدنيا هم فيها خالدون دائمون
اولا يشوبون لبثا طويلا والاية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا التي قبلها
والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت عادة سبحانه
ان يشفع وعده بوعيده ليجير رحمته ويخشى عذابه وعطف العمل على الايمان يدل على خروجه من
مسماه واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله اخبار في معنى النهي كقوله
تعالى لا يضار كاتب ولا شهيد وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهي سارع الى الانتهاء
فهو يخبر عنه ويعضده قراءة لا تعبدوا او عطف قولوا عليه فيكون على ارادة القول وقيل تقديره
ان لا تعبدوا فلما حذف ان رفع كقوله ألا ايهذا الزاجري احضر الوغى
ويدل عليه قراءة الا تعبدوا فيكون بدلا عن الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب
قسم دل عليه المعنى كانه قال وحلفناهم لا تعبدون وقراء نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم
ويعقوب بالتاء لما خوطبوا والباقون بالياء وبالوالدين احسانا متعلق بمحذوف وتقديره
ويحسنون واحسنوا وذي القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم
كندامى ونديم وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه وقولوا للناس حسنا
اي قولا حسنا وسماه للمبالغة وقراء حمزة والكسائي ويعقوب حسنا بفتحتين وقرئ حسنى
بضمتين وهو لغة اهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد وتليين

١٢ الف

الصلوة وتؤتوا الزكوة يريد بهما ما فرض عليهم في ملتهم ثم توليتم على طريق الالتفات واعلم الخطاب
مع الموجودين منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قبلهم على التغليب اي اعرضتم عن الميثاق
ورفضتموه الا قليلا منكم يريد به من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ او من اسلم منهم وانتم
معرضون قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة الى
جهة الى العرض واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من
دياركم على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرض بعضهم بعضا بالقتل والاجلاء عن الوطن وانما
جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله بها نسبا او دينا او لانه يوجبه قصاصا وقيل
معناه لا تكلبوا ما يبيح سفك دماءكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يديكم ويصيركم
عن الحيوة الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تمتحنون به عن الجنة التي هي داركم
فانه الجلاء الحقيقي ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم بلزومه وانتم تشهدون توكيد لكونكم
اقرارا من شاهد على نفسه وقيل وانتم ايها الموجودون تشهدون على اقرار اسلافكم فيكون
اسناد الاقرار اليهم مجازا ثم انتم هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار به
والشهادة عليه وانتم مبتدا وهؤلاء خبره على معنى انتم هؤلاء الناقضون كقولك انا ذاك
ذاك الرجل الذي فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار ما اسند
اليهم حضورا او باعتبار ما سيحكى عنهم غيبا وقوله تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا
منكم من دياركم اما حال والعامل فيها معنى الاشارة او بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تاكيد
والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة صلة والمجموع هو الخبر وقرئ تقتلون على التكثير
تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان حال من فاعل تخرجون او من مفعوله او كليهما والتظاهر
التعاون من الظهر وقراء عاصم والكسائي وحمزة بحذف احدى التائين وقرئ بظاهرون
تظهرون بمعنى تتظهرون وان يأتوكم اسارى تفادوهم روي ان قريظة كانوا حلفاء
الاوس والنضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلوا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب
الديار واجلاء اهلها واذا اسر احد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه ان
يأتوكم اسارى في ايدي الشياطين تتصدون لانقاذهم بالارشاد والوعظ مع تضييعكم
انفسكم كقوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقراء حمزة اسرى وهو جمع اسير
كجرحى وجريح واسارى جمعه كسكرى وسكارى وقيل هو ايضا جمع اسير فكانه يشبه بالكسلان
وجمع جمعه وقراء ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم وهو محرم عليكم اخراجهم متعلق
بقوله وتخرجون فريقا منكم من دياركم وما بينهما اعتراض والضمير للشان او مبهم تفسيره اخراجهم
وراجع الى ما دل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم تاكيد او بيان افتؤمنون ببعض الكتاب
يعني الفداء وتكفرون ببعض يعني حرمة المقاتلة والاجلاء فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي
في الحيوة الدنيا كقتل قريظة وسبيهم واجلاء النضير وضرب الجزية على غيرهم واصل الخزي
ذل يستحي منه ولذلك يستعمل في كل واحد منهما ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب
لان عصيانهم اشد وما الله بغافل عما تعملون تاكيد للوعيد اي الله سبحانه بالمرصاد
لا يغفل عن افعالهم وقراء عاصم في رواية المفضل ترجعون على الخطاب لقوله منكم وابن كثير
ونافع وعاصم في رواية ابي بكر ويعقوب عما يعملون على ان الضمير لمن اولئك الذين
اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة اشتروا الحيوة الدنيا على الاخرة فلا يخفف عنهم العذاب
ينقص الخزية في الدنيا والتعذيب في الاخرة ولا هم ينصرون يدفعها عنهم ولقد
اتينا موسى الكتاب يعني التوراة وقفينا من بعده بالرسل اي ارسلنا على اثره الرسل كقوله

تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى يقال قفاه اذا تبعه وقفاه اتبعه اياه من القفاء يخوذ منه من
الذنب وآتينا عيسى بن مريم البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه
والابرص والاخبار بالمغيبات والانجيل وعيسى بالعبرية انشوع ومريم بمعنى الخادم وهو بالعبرية
من النساء كالزير من الرجال قال رؤبة ٭ قلت لزير لم تصله مريمه ٭
ووزنه مفعل اذ لم يثبت فيعل وايدناه قويناه وقرئ ايدناه بروح القدس بالروح
المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق اراد به جبريل وقيل روح عيسى ووصفها به
لطهارته من الشيطان او لكرامته على الله ولذلك اضافها الى نفسه او لانه لم يضمنه اصلاب
ولا ارحام الطوامث او الانجيل او اسم الله الاعظم الذي كان يحيي به الموتى وقرأ ابن كثير
القدس بالاسكان في جميع القرآن افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه
يقال هويَ بالكسر هَوىً اذا احبّ وهَوِيَ بالفتح هُوِيًّا بالضم سقط ووسطت الهمزة بين
الفاء وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم ذلك هذا وتعجيبا من شانهم ويحتمل ان يكون الستبنا فا
والفاء للعطف على مقدر استكبرتم عن الايمان واتباع الرسل ففريقا كذبتم كموسى وعيسى
والفاء السببية او للتفصيل وفريقا تقتلون كزكريا ويحيى وانما ذكر لفظ المضارع على
حكاية لحال الماضية استحضارا لها في النفوس فان الامر فظيع ومراعاة للفواصل او للدلالة
على انكم بعد فيه فانكم حول قتل محمد صلى الله عليه وسلم لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسميتموه
له الشاة وقالوا قلوبنا غلف مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها ما جيئت به ولا
تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن وقيل اصله غلف جمع غلاف فخفف والمعنى انها
اوعية العلم لا تسمع علما الا دعته ولا تعي ما تقول او نحن مستغنون بما فيها من غيره بل
لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوا والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق
ولكن الله خذلهم بكفرهم فابطل استعدادهم وانهم لم تأب قبول ما تقوله كخلل فيه بل لان
الله خذلهم بكفرهم كما قال الله تعالى فاصمهم واعمى ابصارهم او هو كفرهم ملعونون فمن اين لهم
دعوى العلم والاستغناء عنك فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة
للمبالغة في التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة العدم ولما جاءهم كتاب
من عند الله يعني القرآن مصدق لما معهم من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال من كتاب
لتخصصه وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية وكانوا من قبل يستفتحون
على الذين كفروا اي يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبي اخر الزمان
المنعوت في التوراة ويفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه
والسين للمبالغة والاشعار بان الفاعل يسال ذلك عن نفسه فلما جاءهم ما عرفوا
من الحق كفروا به حسدا وحرصا على الرياسة فلعنة الله على الكافرين اي وعليهم واتى
بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فتكون اللام للعهد ويجوز ان تكون للجنس ويدخلوا
فيه دخولا اوليا لان الكلام فيهم بئسما اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى شيء مميز
لفاعل بئس المستكن واشتروا صفة ومعناه باعوا ادشروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم
خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا ان يكفروا بما انزل الله هو المخصوص بالذم بغيا
طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة بكفروا ودون اشتروا للتفضيل ان ينزل الله لان ينزل
اي حسدوه على ان ينزل الله وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالتخفيف من فضل يعني الوحي على
من يشاء من عباده على من اختاره للرسالة فباؤا بغضب على غضب للكفر والحسد
على من هو محمد افضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد بعد كفرهم بعيسى او بعد قولهم عزير ابن الله وللكافرين

عذاب مهين يراد به اذلالهم بخلاف عذاب العاصي فانه طهرة لذنوبه واذا قيل لهم امنوا
بما انزل الله يعم الكتب المنزلة باسرها قالوا نؤمن بما انزل علينا اي التورية ويكفرون بما
وراءه حال عن الضمير في قالوا ووراء في الاصل مصدر جعل ظرفا وتضاف الى الفاعل فيراد
ما يراد به وهو قدامه وكذلك عكسه من الاضداد وهو الحق والضمير لما وراءه وهو القران مصدقا
لما معهم حال مؤكدة يتضمن رد مقالهم فانهم لما كفروا بما يوافق التوراة كفروا بها قل فلم
تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين اعتراض عليهم بقتل الانبياء مع ادعائهم
الايمان بالتوراة والتورية لا تسوغه وانما اسند اليهم لانه فعل ابائهم وانهم راضون به
عازمون عليه وقرأ نافع وحده انبياء الله بهمز في كل القران ولقد جاءكم موسى
بالبينات بمعنى التسعة المذكورة في قوله تعالى ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات ثم اتخذتم
العجل اي الها من بعده من بعد موسى بالبينات وذهابه الى الطور وانتم ظالمون
حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بايات الله او اعتراض بمعنى وانتم
قوم عادتكم الظلم ومساق الاية ايضا لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه على ان
طريقتهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم طريقة اسلافهم مع موسى عليه الصلاة والسلام
لا لتكرير القصة ولكذا ما بعدها واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا
ما اتيناكم بقوة واسمعوا اي قلنا لهم خذوا ما امرتم به في التورية واسمعوا سماع طاعة
قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك واشربوا في قلوبهم العجل تداخلهم حبه وسرى في قلوبهم
صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفي قلوبهم
بيان لمكان الاشراب كقوله سبحانه انما يأكلون في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم
وذلك لانهم كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم
السامري قل بئسما يأمركم به ايمانكم اي بالتورية والخصوص بالذم محذوف نحو هذا
لامر او ما يعمه وغيرهم من قبايحهم المعدودة في الايات الثلاث الزاما عليهم ان كنتم
مؤمنين تقرير للقدح في دعواهم الايمان بالتورية وتقدير ان كنتم مؤمنين بها لم يأمركم
بهذه القبايح ولا يخصكم فيها ايمانكم بها او ان كنتم مؤمنين بها بئسما يأمركم به ايمانكم
بها لان المؤمن ينبغي ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لا يأمر به فانه استتم
بمؤمنين قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة
الا من كان هودا او نصارى ونصبها على الحال من الدار من دون الناس سايرهم او المسلمين
فالام للعهد فتمنوا الموت ان كنتم صادقين لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاقها
واحب التخلص من الدات ذات الثوايب كما قال علي رضي الله عنه لا ابالي سقطت على الموت
او سقط الموت علي قاله عمار بصفين الان الاني الاحبة محمدا وحزبه وقاله حذيفة
حين احتضر جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اي على التمني سيما اذا علم انها سالمة له
لا يشاركه فيها غيره ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم من موجبات النار كالكفر بمحمد والقران
وتحريف التورية ولما كانت ليدي الكاملة مختصة بالانسان الة لقدرته بها عامة صنايعه
ومنها اكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة والقدرة اخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب
وكان كما اخبر فانهم لو تمنوا القتل واشتهروا فان التمني ليس من عمل القلب ليخفى بل بان
يقول ليت كذا ولو كان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص
كل انسان بريقه فمات مكانه ولم يبق يهودي على وجه الارض والله عليم بالظالمين تهديد
لهم وتنبيه على انهم ظالمون في دعوى ما ليس لهم ونفيه عمن عداهم ولتجدنهم احرص الناس

على حيوة من وجد بعقله الجاري مجري علمه ومفعولاه هم واحرص وتنكير حيوة لانه اريد بها
فرد من افرادها وهي الحيوة المتطاولة وقرئ بالام ومن الذين اشركوا محمول على المعاني
فكانه قال احرص من الناس ومن الذين اشركوا افرادهم بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد
اذ لم يعرفوا الا الحيوة العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع فانه لما زاد حرصهم وهم مقرون
بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم صائرون الى النار ويجوز ان يراد واحرص
من الذين اشركوا فحذف لدلالة الاول عليه وان يكون خبر مبتدء محذوف صفته يود احدهم
على انه اريد بالذين اشركوا اليهود لانهم قالوا عزير بن الله اي ومنهم ناس يود احدهم وهو
يؤ الاولين بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف لو يعمر الف سنة حكاية يود
ولو بمعنى ليت وكان اصله ولو اعمر فاجري على الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن
وما هو بمزحزحه من لفظ يعمر الضمير لاحدهم وان يعمر فاعل يزحزحه اي وما
احد ممن زحزحه من النار تعميره او لما يدل عليه يعمر وان يعمر بدل منه او مبهم وان يعمر مؤخرة
واصل سنه سنوه لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت النخلة اذا
اتت عليها السنون والزحزحة التبعيد والله بصير بما يعملون فيجازيهم قل من كان
عدوا لجبريل نزل في عبد الله بن صوريا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن ينزل عليه فقال
جبريل فقال ذلك عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه
بخت نصر فبعثنا من يقتله فراه ببابل فرفع عنه جبريل قال ان كان ربكم امر بهلاكم كلم فلا
يسلطكم عليه والا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر رضي الله عنه مدراس اليهود يوما فسالهم عن
جبريل فقالوا ذلك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل
صاحب الخصب والسلم فقال وما منزلتهما من الله تعالى قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل
عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير
ومن كان عدوا احدهما فهو عدو الله ثم رجع فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال عليه الصلاة
والسلام لقد وفقك ربك يا عمر وفي جبريل ثمان لغات قراء بهن اربع فالمشهورات جبريل
كسلسبيل قراءة حمزة والكسائي وجبرئيل بكسر الراء وحذف الهمزة قراءة ابن كثير قراءة
عاصم برواية ابي بكر وجبرِيل كقنديل قراءة الباقون واربع في الشواذ جبرال وجبرائل
وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله فانه نزله البارز الاول لجبريل
والثاني للقرآن واضمار غير مذكور يدل عليه فخامة شانه كانه لتعيينه وفرط شهرته
لم يحتج الى سبق ذكره على قلبك فانه القابل الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان حقه
على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله كانه قال قل ما تكلمت به باذن الله بامره وتيسيره
حال من فاعل نزل مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين احوال من مفعوله
والظاهر ان جواب الشرط والمعنى من عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الانصاف وكفر بما
معه من الكتاب بمعاداته اياه لنزوله عليك بالوحي فانه نزله كتابا مصدقا للكتب المتقدمة
فحذف الجواب واقيم علته مقامه او من عاداه فالسبب في عداوته انه نزل عليك وقيل فحذوف
مثل فليمت غيظا او فهو عدو لي وانا عدو له كما قال من كان عدوا لله وملائكته ورسله
وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين اراد بعداوة الله مخالفته عنادا او معاداة
المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره تفخيما لشانه كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه
وافراد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من جنس اخر والتنبيه على ان معاداة الواحد والكل
سواء في الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى وان من عادي احدهم فكانه عادي الجميع اذ الموجب

دتهم

٢ وجبرئيل بجمرش

وجبرئيل
ع

٢ فانه نزله
ع

لمحبتهم وعداوتهم على الحقيقة واحد ولان الحاجة كانت تنتيهما ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة
على انه تعالى عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة والرسل كفر قراء نافع ميكائيل كميكاعل وابو
عمرو ويعقوب وعاصم برواية حفص ميكال كعياد وقرئ ميئكل وميكئيل وميكائيل
ولقد انزلنا اليك ايات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون اي المتمردون من الكفرة
والفسق اذا استعمل في نوع من المعاصي دل على عظمه كانه متجاوز عن حده نزل في ابن صوريا حين
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من اية فنتبعك او كلما
عاهدوا عهدا الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالايات وكلما عاهدوا
وقرئ بسكون الواو على ان التقدير الا الذين فسقوا او كلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا
نبذه فريق منهم نقضه واصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما يسرع وانما قال فريق لان بعضهم
لم ينقض بل لكثرهم لا يؤمنون رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون وان من لم ينبذ منهم
جهارا فهم يؤمنون به حقا ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم كعيسى
ومحمد عليهما الصلوة والسلام نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله يعني التورية
لان كفرهم بالرسل المصدق بها كفر فيما يصدقه ونبذها فيما من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين
بالايات وراء ظهورهم وراء الظهر لعدم الالتفات اليه كانهم لا يعلمون انه كتاب الله
يعني ان علمهم به رصين يتجاهلون عنادا واعلم انه تعالى دل بالايتين على ان جل اليهود اربع
فرق فرقة امنوا بالتورية وقاموا بحقوقها كموسى واهل الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم
بقوله بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ عهودها وتخطي حدودها تمردا وفسوقا وهم
المعنيون بقوله نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الاكثرون
وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون واتبعوا
ما تتلوا الشياطين عطف على نبذ اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحرة التي يقرأها
او يتبعها الشياطين من الجن والانس او منهما على ملك سليمان اي عهده وتتلوا حكاية ماضية
قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا الاكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها
ويعلمون الناس وفشا ذلك في عهد سليمان حتى قيل ان الجن تعلم الغيب وان ملك سليمان تم
بهذا العلم وانه يسخر به الجن والانس والريح له وما كفر سليمان تكذيب لمن زعم ذلك وغير
عن السحر بالكفر ليدل على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما عنه ولكن الشياطين كفروا
باستعماله وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع الشياطين يعلمون
الناس السحر اغواء واضلال والجملة حال عن الضمير والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله
بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه في الشرارة
وخبث النفس فان التناسب شرط في التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبي والولي
ولما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الآلات والادوية او يريكه صاحب خفة اليد فغير
مذموم وتسميته سحرا على التجوز ولما فيه من الدقة لانه في الاصل لما خفي سببه وما انزل على
الملكين عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار او لانه نوع اقوى منه وعلى ما تلوا
وما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله وتمييزا بينه وبين المعجزة وما روي انهما مثلا بشرين
وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامراة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت
السماء بما تعلمت منهما فحكي عن اليهود ولعله من رموزهم الاوائل لا يخفى على ذوي البصائر وقيل رجلان
بمحل سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر وقيل ما انزل نفي معطوف
على ما كفر تكذيب لليهود في هذه القصة ببابل ظرف او حال من الملكين او الضمير في انزل

والمشهور

والمشهور انه بلد من سواد الكوفة هاروت وماروت عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعجمة
والعلمية ولو كان من الهوت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين
بدل بعض مما بينهما اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت وما يعلمان من احد
حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فمعناه على الاول وما يعلمان واحدا حتى ينصحاه ويقولا
له انما نحن ابتلاء من الله تعالى فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان
فلا تكفر باعتقاد جوان والعمل به وفيه دليل على ان تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور وانما
المنع من اتباعه والعمل به وعلى الثاني ما يعلمانه حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر مثلنا فيتعلمون
منهما الضمير المدلول عليه من احد ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي من السحر ما يكون سببا لتفريقهما
وما هم بضارين به من احد الا باذن الله لانه وغيره من الاسباب غير مؤثر بالذات بل بامر الله
تعالى وجعله وقرئ بضارّي على الاضافة الى احد وجعل الجار حشوا منه والفصل بالظرف ويتعلمون
ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يبعث الى العمل راجحا غالبا اذ مجرد
العلم غير مقصود ولا نافع في الدارين وفيه ان التحرز مما اولى ولقد علموا لمن اشتراه
اي استبدل ما تتلوا الشياطين بكتاب الله والاظهر ان اللام لام الابتداء علقت عن العمل ما له
في الاخرة من خلاق نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم يحتمل المعنيين على امر لو كانوا
يعلمون يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على اليقين وحقيقة ما يعلمه يتبعه من العذاب
والمثبت لهم او لا على التاكيد القسمي العقلي الغريزي او العلم الاجمالي بقبح الفعل او ترتيب العقاب
من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعلمون بعلمهم فان من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم ولو انهم
امنوا بالرسول والكتاب واتقوا بترك المعاصي كنبذ كتاب الله واتباع السحر لمثوبة
من عند الله خير جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من الله خير مما شروا به انفسهم فحذف الفعل
وركب الباقي في جملة اسمية ليدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المضاف عليه الا لا
للفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة لان المعنى لشيء من الثواب خير وقيل تكون لو للتمني
والمثوبة كلام مبتدأ وقرئ لمثوبة كمشورة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب
اليه لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير من جهلهم لتركوا التدبر والعمل بالعلم يا ايها الذين
امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا الرعي حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون
للرسول صلى الله عليه وسلم راعنا اي ارقبنا وما ان فيما تلقنا حتى نفهمه وسمعوا اليهود فاوردوه
وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن او سبه بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون بها وهي
راعينا فنهي المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفايدة ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى
انظر الينا وانتظرنا من نظره اذا انتظره وقيل انظرنا من الانظار اي امهلنا للحفظ وقرئ
راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج وما شابه
قولهم راعينا وتشبب للسبب واسمعوا واحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا الى طلب الاعادة
واسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود او واسمعوا ما امرتم به جدا حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه
وللكافرين عذاب اليم يعني الذين تهاونوا بالرسول وسبوه ما يود الذين كفروا من
اهل الكتاب ولا المشركين نزلت تكذيبا لمن جمع اليهود يظهرون مودة للمؤمنين ويزعمون
انهم يودون لهم الخير والود محبة الشيء مع تمنيه وكذلك يستعمل في كل منهما ومن للبيان كما في قوله
تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ان ينزل عليكم خير من ربكم مفعول يود
ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحي والمعنى يجسدونكم به وما
يحبون ان ينزل عليكم شيء منه وبالعلم وبالنصرة ولعل المراد به ما يعم ذلك والله يختص

برحمته من يشاء يستنبيه ويعلمه الحكمة وينصره لا يجب عليه شيء وليس لاحد عليه حق والله ذو الفضل
العظيم اشعار بان النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته
وما عرق فيه من الحكمة ما ننسخ من اية او ننسها نزلت لما قال المشركون واليهود الا ترون
الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامر بخلافه والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن الشيء اثباتها
في غيره كنسخ الظل للشمس ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت
الكتاب ونسخ الاية بيان انتهاء التعبد في قراءتها والحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساءها
اذهابها عن القلوب وهاشرطية جازمة لننسخ منتصبة على المفعولية وقراء ابن عامر نسخ من النسخ اي
نامرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وابن كثير وابو عمرو ننسها اي نؤخرها من النسا
وقرئ نُنسِها اي ننسّ احدا اياها وتنسها اي انت وتنسّها على البناء للمفعول وتُنسِكها باظهار
المفعولين نات بخير منها او مثلها اي بما هو خير للعباد في النفع والثواب وقراء ابو عمرو بقلب
الهمزة الفا الم تعلم ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير
منه والاية دلت على جواز النسخ اذ الاصل خصاص ان وما يتضمنها بالامور المتحملة وذلك
لان الاحكام شرعت والاية نزلت بمصالح العباد وتكمل نفوسهم كلمات فضلا من الله ورحمة وذلك
يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع في عصر قد يضر في غيره واحتج
بها من منع النسخ بلا بدل او بدل اثقل ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ هو الاتي به بدلا والسنة
ليست كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم والاثقل اصلح والنسخ قد يعرف بغيره والسنة
مما اتى الله به وليس المراد بالخير والمثل ما ذكر بالافظ والمعتزلة على حدوث القران فان
والتفاوت من لوازمه واجيب بانهما من عوارض الامور المتعلق بها المعنى القايم بالذات
الم تعلم الخطاب للنبي والمراد هو وامته لقولهم الكم وانما افرد لانه اعلم ومبداء علمهم ان الله
له ملك السموات والارض يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله ان الله على كل
شيء قدير وعلى جواز النسخ ولذلك ترك العاطف وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وانما
هو الذي يملك اموركم ويجريها على ما يصلحكم والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف
عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور ام تريدون ان تسالوا رسولكم كما سيل
موسى من قبل ام معادلة في المر تعلم اي المر تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء كلها يامر وينهي
كما يريد ام تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى ومنقطعة والمراد توبيخهم بالثقة
به وبترك الاقتراح عليه قيل نزلت في اهل الكتاب حين سالوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل
في المشركين لما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد
ضل سواء السبيل ومن ترك الثقة بالايات البينات وشكفيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق
المستقيم حتى وقع في الكفر بعد الايمان وفي هذه الاية لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل ويؤدي بكم الضلال
الى البعد عن المقصد وتبديل الكفر بالايمان وقرئ يبدّل من ابدل ودكثير من اهل الكتاب يعني
احبارهم لو يردونكم فان لو تنوب عن ان في المعنى دون اللفظ من بعد ايمانكم كفارا متعلق
وهو حال من ضمير المخاطبين حسدا علة ودّ من عند انفسهم يجوز ان يتعلق بود اي يتمنون
ذلك من عند انفسهم وتشهيهم لا من قبل الدين والميل مع الحق وبحسد اي حسدا بالغا منبعثا
من اصل نفوسهم من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات والنعوت المذكورة في التوراة فاعفوا
واصفحوا العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه حتى ياتي الله بامره الذي هو الاذن في قتالهم
وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة واجلاء بني النظير وعن ابن عباس انه منسوخ باية السيف
وفيه نظر اذ الامر غير مطلق ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلوة

واتوا

٢ يكون

٢ للهمزة ٤

وآتوا الزكوة عطف على فاعفوا كانه امرهم بالصبر والمخالفة واللجاء الى الله تعالى بالعبادة والبر
وما تقدموا لانفسكم من خير كصلوة او صدقة وفي تقدموا من اقدم تجدوه عند الله
اي ثوابه ان الله بما تعملون بصير لا يضيع عنده عمل وفي بالياء فيكون وعيدا وقالوا
عطف على ودّ والضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
لف بين قول الفريقين كما في قوله وقالوا كونوا هودا او نصارى تقدير فيفهم السامع وهود جمع يهودي
كعاد وعود وتوحيد الاسم المضمر وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى تلك امانيهم اشارة الى الامانى
المذكورة وهي ان ينزل الله على المؤمنين خيرا من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل النار كفارا
وان لا يدخل الجنة غيرهم او اي ما في الاية على حذف المضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم والجملة
اعتراض والامنية افعولة من المنى كالاضحوكة والاعجوبة قل هاتوا برهانكم على اختصاصكم
بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم فان كان قول لا دليل عليه غير ثابت بلى اثبات
لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله اخلص له نفسه او قصده واصله العفو
وهو محسن في عمله فله اجره الذي وعد له على عمله عند ربه ثابتا لا يضيع ولا ينقص
والجملة جواب من ان كان شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط
فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز ان يكون من اسلم فاعل فعل مقدر مثل
بلى يدخلها من اسلم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الاخرة وقالت اليهود ليست النصارى
على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء اي امر يصح ويعتد به نزلت لما قدم وفد
نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاهم احبار اليهود فتناظروا وتفاولوا بذلك وهم يتلون
الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وهم من اهل العلم والكتاب لذلك
مثل ذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم كعبدة الاصنام والمعطلة وتجههم على المكابرة
والتشبه بالجهال فان قيل لم وجههم وقد صدقوا فان كلا الدينين بعد النسخ ليس بشيء قلت
لم يقصد واذلك وانما قصد به كل فريق ابطال الدين الاخر من اصله والكفر بنبيه وكتابه مع ان
ما لم ينسخ منها حق واجب القبول والعمل فالله يحكم بينهم بين الفريقين يوم القيمة
فيما كانوا فيه يختلفون بما يقتضي كل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكبهم
ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد الله عام لكل من خرب مسجدا او سعى في تعطيل
مكان مرشح للصلوة وان نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا اهله او المشركين
لما منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية ان يذكر فيها اسمه
ثاني مفعولي منع وسعى في خرابها بالهدم والتعطيل اولئك اي المانعون ما كان لهم ان
يدخلوها الا خائفين ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخضوع فضلا ان يجترءوا
على تخريبها او ما كان الحق ان يدخلوها الا خائفين من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان
يمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص
المساجد منهم وقد انجز وعده وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلفت
الائمة فيه فجوزه ابو حنيفة ومنع مالك وفرق الشافعي رضي الله عنه بين المسجد الحرام وغيره
لهم في الدنيا خزي قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية ولهم في الاخرة عذاب عظيم لكفرهم
وظلمهم ولله المشرق والمغرب يريد بهما ناحيتي الارض اي له الارض كلها لا يختص به مكان
دون مكان فاين منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا فاينما
تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية شطر القبلة فثم وجه الله اي جهته التي امر بها فان مكان
التولية لا يختص بمسجد ومكان او فثم ذاته اي عالم مطلع بما يفعل فيه ان الله واسع

باحاطته بالاشياء او برحمته بمزيد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن
وعن ابن عمر رضي الله عنهما انها نزلت في صلوة المسافر على الراحلة وقيل في قوم عميت عليهم
القبلة فصلوا في انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطأهم وعلى هذا الواخطاء المجتهد ثم تبين له
الخطاء لم يلزمه لتبدارك وقيل هو التوطئة لنسخ القبلة وتنزله للمعبودان يكون في خير
وجهة وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت لما قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله
ومشركو العرب الملائكة بنات الله وعطف على قالت اليهود او مستأنف او مفهوم قوله ومن اظلم
وقراء ابن عامر بغير واو سبحانه تنزيه له عن ذلك فانه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة
الفناء الا يرى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت باقية مادام العالم لم تتخذ
ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا وطبعا بل له ما في السموات والارض
رد لما قالوا واستدلال على فساده والمعنى انه خالق ما في السموات والارض الذي من
جملته الملائكة والعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنعون عن مشيئته وتكوينه
وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس ان يكون الواجب لذاته فلا يكون لان من حق الولد ان يجانس
والده وانما جاء بما الذي لغير اولي العلم وقال قانتون على تغليب اولي العلم تحقيرا لشانهم وقنوت
كل عوض من المضاف اليه اي ما فيهما ويجوز ان يراد كل جعلوه اهلا له مطيعون مقرون
بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة الحجة والاية مشعرة على افساد ما قالوه من ثلاثة اوجه واحتج
بها الفقهاء على ان من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضي
تنافيهما بديع السموات والارض مبدعهما ونظيره السميع في قوله

امن ريحانة الداعي السميع يؤرقني واصحابي هجوع

او بديع سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها ان الوالد عنصر الولد
المنفعل مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال
فلا يكون والدا والابداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وهو اليق بهذا الموضع من الصنع الذي
تركيب الصورة بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغيير وفي زمان غالبا وقرئ بديع بالجر
مجرورا على البدل من الضمير في له او منصوبا على المدح واذا قضى امرا اراد شيئا والقضاء
اتمام الشيء قوله كقولك قضى ربك وفعلا كقوله فقضيهن واطلق على تعلق الارادة الالهية
بوجود الشيء من حيث انه بوجبه فانما يقول له كن فيكون من كان التامة اي يحدث فيحدث
وليس المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته لا مهلة بطاعة
المامور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء الى حجة خامسة وان اتخاذ الولد يكون
بالطوارء ومهلة وفعله تعالى يستغني عن ذلك وقراء ابن عامر فيكون بفتح النون واعلم ان السبب
في هذه الضلالة ان ارباب الشرايع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله باعتبار انه السبب
الاول في هذه حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر فالله سبحانه هو الاب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم
ان المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قايله ومنع منه مطلقا حسما لمادة
الفساد وقال الذين لا يعلمون اي جهلة المشركين او المتجاهلون من الكتاب لولا يكلمنا
الله هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة او نبي الينا بانك رسوله او تاتينا اية حجة على صدقك والاول
استكبار والثاني جحود ان ما اتاهم ايات استهانة به وعنادا كذلك قال الذين من قبلهم
من الامم الماضية مثل قولهم فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من
السماء تشابهت قلوبهم قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد وقرئ بتشديد الشين قد بينا
الايات لقوم يوقنون يطلبون اليقين او يوقنون الحقايق لا يعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة

الي انهم ما قالوا ذلك لخفاء في الايات اولن بل طلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا وعنادا انا ارسلناك
بالحق ملتبسا موجبا به بشيرا ونذيرا فلا عليك ان اصروا وكابروا ولا تسئل عن اصحاب الجحيم
ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وقرا نافع ويعقوب لا تسال على انه نهي للرسول صلى الله عليه وسلم
عن السؤال عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة الكفار كانها لفظاعتها لا يجري بقدر ان يخبر عنها
او السامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم المتاجج من النار ولن ترضى
عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم مبالغة في اقناط الرسول عن اسلامهم فانهم
اذا لم يرضوا منه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله
عنهم ولذلك قال قل تعليما للجواب ان هدى الله هو الهدى اي هدى الله الذي هو الاسلام
هو الهدى الى الحق لا ما تدعون اليه ولئن اتبعت اهواءهم اراء هم الزائغة والملة ما شرعه
الله لعباده على لسان انبيائه من املت الكتاب اذا امليته والهوى اي يتبع الشهوة
بعد اذ جاءك من العلم اي الوحي او الدين المعلوم صحته ما لك من الله من ولي ولا نصير
يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن الذين اتيناهم الكتاب يريد به مؤمني اهل الكتاب
يتلونه حق تلاوته يراعات اللفظ عن التدبير في معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة
والخبر ما بعد او خبر على ان المراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب اولئك يؤمنون به
بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون
حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم
على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها
شفاعة ولا هم ينصرون لما صدر قصصهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر عن
اضاعتها والخوف من الساعة واهوالها كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة في النصح
وايذانا بانه فذلكة القضية والمقصود من القصة واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات
كلفه باوامر ونواه والابتلاء في الاصل التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم
الاختيار بالنسبة الى من يجهل العواقب ظن براد فهما والضمير لابراهيم وحسن لتقدمه
لفظا وان تاخر رتبة لان الشرط احد التقدمين والكلمات قد تطلق على المعاني فلذلك
فسرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة في قوله التائبون العابدون وقوله ان المسلمين
الى اخر الايتين وقوله قد افلح المؤمنون الى قوله هم الوارثون كما فسرت بها في قوله فتلقى ادم من
ربه كلمات وبالعشر التي مر من سننه ومناسك الحج وبالكواكب والقمرين وذبح الولد والنار
والهجرة على على انه تعالى عامله بها معاملة المختبر بهن وبما تضمنه الايات التي بعدها وقرئ
ابراهيم ربه على انه دعي ربه بكلمات مثل ادني كيف تحي الموتى اجعل هذا البلد امنا ليربي
هل يحييه وقراء هشام عن ابن عامر ابراهام بالالف جميع ما في هذه السورة وفي النساء
ثلاثة احرف وفي الاخيرة وفي الانعام لحرف الاخير وفي التوبة لحرفان الاخيران وفي ابراهيم حرف
وفي النحل حرفان وفي مريم ثلاثة احرف وفي العنكبوت لحرف الاخير وفي حم عسق حرف وفي
الذاريات حرف وفي النجم حرفان وفي الحديد حرف وفي الممتحنة لحرف الاول فذلك ثلاثة وثلاثون
حرفا وقراء ابن ذكوان خاصة في البقرة بالوجهين فاتمهن فاداهن كملهن وقام بهن حق القيام
لقوله وابراهيم الذي وفى وفي قراءة الاخيرة الضمير لربه اي اعطاه جميع ما دعاه قال اني
جاعلك للناس اماما استيناف ان اضمرت ناصبا اذ فكانه قيل فماذا قال له ربه حين
اتمهن فاجيب بذلك لقوله ابتلى فيكون الكلمات ما ذكر من الامانة وتطهير البيت ورفع
قواعده والاسلام وان نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من جعل الذي

له مفعولان والامام اسم لمن يؤتم به وامامته عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من
ذريته مامورا باتباعه قال ومن ذريتي عطف على الكاف وبعض ذريتي كما تقول وزيدا
في جواب سأكرمك والذرية نسل الرجل وفعليته او فعولته قلبت الراء الثالثة ياء كما في تقضيت
من الذر بمعنى التفريق او فعولة او فعيلة قلبت همزتها ياء من الذرء بمعنى الخلق وذريتي
بالكسر وهي لغة قال لا ينال عهدي الظالمين اجابة الي ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون
من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون الامامة من الله لانها امانة من الله وعهد والظالم لا يصلح لها
وانما ينالها البررة الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان
الفاسق لا يصلح للامامة وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل ما نالك فقد نلته واذ جعلنا
البيت اي الكعبة غلبت عليها كالنجم على الثريا مثابة للناس مرجعا يثوب اليه اعيان
الزوار او امثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره وقرئ مثابات لانه مثابة كل واحد
وامنا وموضع من لا يتعرض لاهله كقوله تعالى حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم او يامن
حاجة من عذاب الاخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او لا يؤاخذ الجاني الملتجئ اليه حتى يخرج
وهو مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى على ارادة القول او عطف
على المقدر عاملا لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره فثوبوا اليه واتخذوا على ان الخطاب
لامة محمد صلى الله عليه وسلم وهو امر استحباب ومقام ابراهيم الحجر الذي فيه اثر قدميه والموضع الذي
كان فيه حين قام عليه ودعى الناس الى الحج او رفع عمر بناء البيت وهو موضعه اليوم روي انه
عليه الصلاة والسلام اخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر افلا نتخذه
مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روي
جابر انه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقراء واتخذ
من مقام ابراهيم مصلى وللشافعي رضي الله عنه في وجوبهما قولان وقيل مقام ابراهيم الحرم كله
وقيل مواقف الحج واتخاذهما مصلى ان يدعي فيهما ويتقرب الى الله تعالى وقراء نافع وابن عامر
واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة
قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل امرناهما ان طهرا بيتي بان طهراه
ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس وما لا يليق
به او اخلصاه للطائفين حوله والعاكفين المقيمين عنده او المعتكفين فيه والركع السجود
اي المصلين جمع راكع وساجد واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا يريد البلد او المكان بلدا امنا
ذا امن كقوله في عيشة راضية او امنا اهله كقولك ليل نائم وارزق اهله من الثمرات
من امن منهم بالله واليوم الاخر بدل من امن اهله بدل البعض التخصيص قال ومن كفر
عطف على من امن والمعنى وارزق من كفر قاس ابراهيم الرزق على الامامة فنبه سبحانه على ان
الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم في الدين او مبتدأ تضمن
معنى الشرط فامتعه قليلا اخبره والكفر وان لم يكن سبب التمتيع لكنه سبب تقليله
بان يجعله مقصورا على الحظوظ الدنياغير متوسل به الى نيل الثواب واذ لك عطف عليه ثم اضطره
الى عذاب النار اي الزمه الزاما المضطر الكفر وتضييعه ما متعته به من النعم وقليلا نصب
على المصدر او الظرف وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه من دعاء ابراهيم وفي قال ضميره وقراء
ابن عامر فأمتعه من امتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر
حرف المضارعة واطرد بادغام الضاد وهو ضعيف لان حروف المضارعة سعر يدغم فيها ما يجاورها
دون العكس ويليس المصير المخصوص بالذم ومحذوف وهو العذاب واذ يرفع ابراهيم القواعد

من

من البيت حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود وهو بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعد الله ورفعها البناء عليها فانه ينقلها من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد بها سافات البناء فان كل سافة قاعدة ما يوضع فوقه وبين رفعها بناؤها وقيل رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفي ايهام القواعد وتبيينها نفخيم شأنها واسمعيل كان بنا وله للجدران ولكنه لما كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين او على التناوب ربنا تقبل منا اي يقولان ربنا وقد قرئ به والجملة حال منهما انك انت السميع لدعائنا العليم بنيتنا ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة في الاخلاص والادعان او الثبات عليه وقرئ مسلمين على ان المراد نفسهما وهاجرا وان التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك اي واجعل بعض ذريتنا وانما خصا الذرية لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع وخصا بعضهم لما اعلما ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلي على الله فانه مما يشوش المعاش واذلك قيل لولا الحمقاء لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان تكون من التبيين كقوله وعد الله الذين امنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف كما في قوله خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن وارنا من رأى بمعنى ابصر او عرف ولذلك يجاوز مفعولين منا سكنا متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقراء ابن كثير والسوسي عن ابي عمرو ويعقوب ارنا قياسا على اخذ في اخذ وفيه اجاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها في اخذ وقراء الدوري عن ابي عمرو بالاختلاس وتب علينا استتابة لذريتهما او عما فرط منهما سهوا او لعلهما قالا هضما لانفسهما وارشاد الذريتهما انك انت التواب الرحيم لمن تاب ربنا وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم ولم يبعث من ذريتهما غير محمد عليه الصلاة والسلام فهو المجاب به دعوتهما كما قال النبي عليه الصلاة والسلام انا دعوة ابراهيم وبشرى ورؤيا امي يتلو عليهم ايانك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلايل التوحيد والنبوة ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة ما تكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام ويزكيهم عن الشرك والمعاصي انك انت العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب ولا يرد على ما يريد ويزكيهم الحكيم المحكم له ومن يرغب عن ملة ابراهيم استبعاد وانكار لان يكون احد ممن عرف ملته الواضحة الغراء اي لا يرغب احد عن ملته الا من سفه نفسه الا من استهنها واذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل اصله سفه نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو غبن رأيه والمراد به قوله جرير ٭ ونأخذ بعده بذناب عيش ٭ اجب الظهر ليس له سنام ٭ او سفه نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى في محل الرفع على المختار بدلا من الضمير في يرغب لانه في معنى النفي ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين حجة وبيان لذلك فان من كان صفوة العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيمة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ظرف لاصطفيناه او لمن الصالحين او منصوب باضمار اذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه نال

قوله اجاف اي نقص

ما نال بالمبادرة الى الاذعان والاخلاص لسرّ حين دعاه واخطر بباله دلايله المؤدية الى المعرفة
الداعية الى الاسلام روي انها نزلت لما دعى عبد الله بن سلام ابن اخيه سلمة ومهاجرا الى
الاسلام فاسلم سلمة ومهاجر ووصى بها ابراهيم بنيه التوصية بمعنى التقدم الى الغير
بفعل فيه صلاح وقربة واصلها الوصلة يقال وصاه اذا وصله وقضاه اذا فصله كان
الموصّي يصل فعله بفعل الموصّي والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت على تاويل الكلمة او الجملة وقرأ
نافع وابن عامر اوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابراهيم اي ووصّاها ايضا بنيه وقرئ
بالنصب على انه ممن وصاه ابراهيم يا بنيّ على اضمار القول عند البصريين ومتعلق بوصى عند
الكوفيين لانه نوع منه ونظيره

رجلان من ضبة اخبرانا ... انا رأينا رجلا عريانا

بالكسر وبنو ابراهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدايين وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر وبنو
يعقوب اثنى عشر روبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويشسوخر وزبولون ودون ونفتولي
ولوذ واوشير وبينامين ويوسف ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة
الاديان لقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام
والمقصود هو النهي عن ان يكونوا على تلك الحالة اذا ماتوا والامر بالثبات على الاسلام كقوله
لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان
من حقه ان لا يحل بهم ونظيره في الامر مت وانت شهيد روي ان اليهود قالوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم
شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ما كنتم حاضرين اذ
حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه او متصلة بمحذوف تقديره
اكنتم غائبين ام كنتم شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شهدتم ذلك وانما علمتموه
من الوحي وقرئ حضر بالكسر اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر ما تعبدون من بعدي اي شيء
تعبدونه اراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما يسئل به
عن كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سئل عن تعيينه وان سئل عن وصفه قيل
ما زيد أفقيه ام طبيب قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق المتفق
على وجوده والوهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من الآباء تغليبا للاب والجد ولانه كالاب
لقوله عليه الصلوة والسلام عم الرجل صنو ابيه كما قال في العباس هذا بقية آبائي وقرئ اله ابيك
على التوحيد بالواو والنون كما قال ... ولما تبين اصواتنا ... بكين وفدينا بالابينا ...
او مفرد وابراهيم وحده عطف بيان الها واحدا بدل من اله آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة
وفائدته التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشي من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور والتاكيد
او نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون
اعتراضا تلك امة قد خلت يعني ابراهيم او يعقوب وبنيهما والامة في الاصل المقصود
وسمي بها الجماعة لان الفرق تامها لها ما كسبت ولكم ما كسبتم لكل اجر عمله والمعنى ان انتسابكم
اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال عليه الصلاة
والسلام لا يأتيني الناس باعمالهم وتاتوني باحسابكم ولا تسئلون عما كانوا يعملون ولا يؤخذون
بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم وقالوا كونوا هودا او نصارى الضمير الغائب لاهل
الكتاب وواو للتنويع والمعنى مقالهم احد هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت
النصارى كونوا نصارى تهتدوا جواب للامر قل بل ملة ابراهيم اي بل نكون ملة ابراهيم

اي اهل ملته او بل نتبع ملة ابراهيم وقرئت بالرفع اي بل ملته ملتنا او بالعكس ونحن
ملته بمعنى نحن اهل ملته حنيفا مايل عن الباطل الى الحق حال من المضاف او المضاف اليه
كقوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا وما كان من المشركين تعريض باهل
الكتاب وغيرهم فانهم يدعون اتباعه وهم مشركون قولوا امنا بالله الخطاب للمؤمنين
لقوله تعالى فان امنوا بمثل ما امنتم وما انزل الينا يعني القران قدم ذكره لانه اول
بالاضافة الينا او سبب للايمان بغيره وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط الصحف وفي قوله ان نزلت الى ابراهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفصيلها
داخلين تحت احكامها فهي ايضا منزلة اليهم كما ان القران منزل الينا والاسباط جمع سبط
وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب او ابناءه وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق
وما اوتي موسى وعيسى التوراة والانجيل افردهما بالذكر لكم البغ لان امرهما بالاضافة
الى موسى وعيسى مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما وما اوتي النبيون جملة المذكورين منهم
وغير المذكورين من ربهم متنا لا عليهم من ربهم لا نفرق بين احد منهم كاليهود فتؤمن
ببعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه في سياق النفي عام فساغ ان يضاف اليه بين ونحن
له اي لله مسلمون مذعنون مخلصون فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا من باب
التعجيز والتبكيت كقوله فاتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما امن به المسلمون ولا دين
كدين الاسلام وقيل الباء للالة دون التعدية والمعنى ان تخروا الايمان بطريق يهدي
الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لتاتي تعدد الطرق او من يد للتاكيد كقوله تعالى
جزاء سيئة بمثلها والمعنى فان امنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به او المثل مقحم كما في قوله
تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه وشهد له قراءة من قرا بما امنتم
به او يا الذي امنتم به وان تولوا فانما هم في شقاق اي ان اعرضوا عن الايمان وعما تقولون
لهم فما هم الا في شقاق الحق وهو المناواة والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين في شق غير
شق الاخر فسيكفيكهم الله تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصر على من
ناواهم وهو السميع العليم اما من تمام الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم
وهو مجازيكم لا محالة او وعيد للمعرضين بخوانه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو
معاقبهم صبغة الله اي صبغتنا الله صبغته وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها
فانها حلية الانسان كما ان صبغة حلية المصبوغ او هداية الله وارشاده اجتنه اظهر
قلوبنا بالايمان تطهيرا وسماه صبغة لانه ظهر عليهم اثر ظهور الصبغ على المصبوغ
وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب والمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون
اولادهم في اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه يحق نصرانيتهم
ونصبها على انه مصدر مؤكد لقوله امنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة ابراهيم
ومن احسن من الله صبغة لا صبغة احسن من صبغته ونحن له عابدون تعريض لهم
اي لا نشرك به كشركهم وهو عطف على امنا وذكر يقتضي دخول قوله صبغة الله في مقول
قولوا ولمن نصبها على الاغراء او البدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا او اتبعوا
ملة ابراهيم وقولوا امنا بدل اتبعوا ملة ابراهيم حتى لا يلزم قد النظم وسوء الترتيب
قل اتحاجوننا اتجادلوننا في الله اي في شانه واصطفائه من العرب دونكم وروي ان اهل الكتاب
قالوا الانبياء كلها منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت وهو ربنا وربكم لا اختصاص له بقوم
دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده لنا اعمالنا ولكم اعمالكم فلا يبعدان يكون متابا عما لنا

كانة الزمهم على مذهب ينتحونه الخاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله على من يشاء
والكل فيه سواء واما افاضة حق على المتعبدين لها بالمواظبة على الطاعة والتخلي بالاخلاص كما
ان كل اعمال الدين بما يعتبرها الله في اعطائها قلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون موحدون نخلصه
بالايمان والطاعة دونكم ام يقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا
هودا او نصارى ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص
بالتاء يحتمل ان تكون معادلة للهمزة في تحاجوننا بمعنى اي الامرين تاتون المحاجة او ادعى اليهودية
او النصرانية على الانبياء قل ءانتم اعلم ام الله وقد نفى القولين عن ابراهيم بقوله ما كان ابراهيم
يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده وهؤلاء
علية اتباعه في الدين وفاقا ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله يعني شهادة الله لابراهيم
بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى لا اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه
الشهادة او منا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد صلى الله عليه وسلم
بالنبوة في كتبهم او غيرها ومن للابتداء كما في قوله براءة من الله ورسوله وما الله بغافل
عما تعملون وعيد لهم وقرئ بالياء تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا
تسئلون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار
بالاباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق وفي الاية لنا تحذير عن الاقتداء بهم
وقيل المراد بالاية في الاول الانبياء وفي الثاني اسلافي اليهود والنصارى سيقول السفهاء
من الناس الذين خفت احلامهم واستهوتها بالتقليد والاعراض عن النظر يريد المنكرين
لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار به توطين النفس
واعداد الجواب ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني بيت المقدس والقبلة
في الاصل الحال التي عليها الانسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلوة
قل لله المشرق والمغرب لا يختص به مكان دون مكان لخاصة ذاتية تمنع اقامة غيره
مقامه وانما العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
وهو ما ترتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى
وكذلك اشارة الى مفهوم الاية المتقدمة اي كما جعلناكم مهدين الى الصراط المستقيم
وجعلنا قبلتكم افضل القبل جعلناكم امة وسطا اي خيارا وعدولا متوسطين بالعلم
والعمل وهو في الاصل اسم المكان الذي يستوي اليه المسافة من الجوانب ثم استعير للخصال
المحمودة لوقوعها بين طرفي افراط وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور
والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء
التي يوصف بها واستدل بها على الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به
عدالتهم لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا علة للجعل اي لتعلموا
لما نصب لكم من الحجج وانزل اليكم من الكتاب انه تعالى ما بخل على احد وما ظلم بل اوضح السبيل
وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات والاعراض
عن الايات فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم روي ان الامم يجحدون
تبليغ الانبياء يوم القيمة فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على
المنكرين فيؤتى بامة محمد عليه الصلوة والسلام فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون
علمنا ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم
فيسئل عن حال امته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول عليه

الصلوة

الصلاة والسلام كالرقيب المهيمن على امته عدي بعلي وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم
بكون الرسول عليهم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اي الجهة التي كنت عليها
وهي الكعبة فانه عليه الصلاة والسلام كان يصلي اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلاة الى الصخرة
تالفا لليهود والصخرة لقول ابن عباس رضي الله عنهما كانت قبلتهم بمكة بيت المقدس الا انه كان
يجعل الكعبة بينه وبينه فالخبر به على الاول للجعل الناسخ وعلى الثاني للمنسوخ والمعنى ان اصل
امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس الا لنعلم من يتبع الرسول
ممن ينقلب على عقبيه الا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك في الصلوة ممن يرتد عن دينك
الفا القبلة اياه ولنعلم الان من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلم
الاول يزول بزواله معناه وما رددناك الى ما كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام ممن
ينكص على عقبيه لقلقة وضعف ايمانه فان قيل كيف يكون علمه تعالى غاية للجعل وهو لم يزل
عالما قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا
به موجودا وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه اسند الى نفسه لانهم خواصه او ليميز الثابت
عن المتزلزل كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز المسبب عنه ويشهد
له قراءة ليعلم على البناء للمفعول والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق لما في من من معنى الاستفهام
ومفعوله الثاني ممن ينقلب اي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب وان كانت
لكبيرة ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفاصلة وقال الكوفيون ان هي النافية واللام
بمعنى الا والضمير لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة او الردة
او التولية او التحويلة او للقبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فتكون كان زائدة الا على الذين هدى
الله الى حكمة احكام الثابتين على الايمان والاتباع وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم
على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلوتكم اليها لما روي انه عليه الصلوة والسلام
لما وجه الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت ان الله بالناس
لرؤف رحيم فلا يضيع اجرهم ولا يدع صلاتهم ولعله قدم الرؤف وهو ابلغ محافظة
على الفواصل وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص لرؤف بالمد والباقون بالقصر قد نرى ربما
نرى تقلب وجهك في السماء تردد وجهك في جهة السماء تطلعا للوحي وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحب في رو عمر ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم واقدم
القبلتين وادعى العرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر ولم
يسئل فلنولينك قبلة ترضاها تحبها وتشوق اليها لمقاصد دينية ووافقت مشيئة
الله وحكمته فول وجهك اصرف وجهك شطر المسجد الحرام نحوه وقيل الشطر في الاصل
لما انفصل عن الشيء من شطرا ذا انفصل ودار شطور منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه
وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي محرم فيه القتال او ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوا وانما ذكر
المسجد الحرام دون الكعبة لانه عليه الصلاة والسلام كان في المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة
فان استقباله عينها حرج عليه بخلاف القريب روي انه عليه الصلاة والسلام قدم المدينة
فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم الى الكعبة في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين
وقد صلى باصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وتبادر
الرجال والنساء في صفوفهم فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره خص الرسول صلى الله عليه وسلم الخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا بعموم
الحكم وتاكيدا لامر القبلة وتخصيصها للامة على المتابعة وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون

انه الحق من ربهم جملة لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيل المقضى
كتبهم انه يصلي الى القبلتين والضمير للتحويل او التوجه وما الله بغافل عما يعملون وعد
وقراء ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية تبرهان
وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة للقسم ما تبعوا قبلتك جواب القسم المضمر والقسم
وجوابه سادّ مسدّ جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها بحجة وانما خالفوك مكابرة
وعنادا وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان
تكون صاحبنا الذي ننتظره تغريرا له وطمعا في رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها
متحدة بالبطلان ومخالفة الحق وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل
الصخرة والنصارى مطلع الشمس ولا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم كل لنصلب كل حزب
بما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم على سبيل الفرض والتقدير
اي لئن اتبعتهم مثلا بعد ما بان لك الحق وجاءك فيه الوحي انك اذا من الظالمين
والكلام تهديد وبالغ فيه من سبعة اوجه تعظيما للحق المعلوم وتحريصا على اقتفائه وتحذيرا
عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الزنب عن الانبياء الذين اتيناهم الكتاب
يعني علماءهم يعرفونه الضمير راجع لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان لم يسبق ذكره لدلالة
الكلام عليه وقيل للعلم او للقرآن او للقرآن او التحويل كما يعرفون ابناءهم تشبيه للاول
اي يعرفونه بأوصافه كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر رضي الله عنه انه
سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني يا بني قال لم
قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت وان فريقا منهم ليكتمون
الحق وهم يعلمون تخصيص لمن عاند واستثناء لمن امن الحق من ربك كلام مستانف والحق
اما مبتدأ خبره من ربك واللام للعهد والاشارة الى ما علمه الرسول عليه الصلاة والسلام او الحق
الذي يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه لا ما لم يثبت كالذي
عليه اهل الكتاب واما خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب
على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون فلا تكونن من الممترين الشاكين في انه من ربك او في
كتمانهم للحق عالمين به وليس المراد به نهي الرسول عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد
واختيار بل اما تحقيق للامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة بالكتاب المعارف المزيحة
للشك على الوجه الابلغ ولكل وجهة ولكل امة قبلة او لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من
من الكعبة والتنوين بدل الاضافة هو موليها احد المفعولين محذوف اي هو موليها وجهة
او الله تعالى هو موليها اياه وقرئ لكل وجهة بالاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها اهلها
واللام مزيدة للتأكيد جيء للضعف العامل وقراءة ابن عامر هو مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد
وليها فاستبقوا الخيرات من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات من
الجهات وهي المساجد للكعبة اينما تكونوا يات بكم الله جميعا في اي موضع تكونوا من موافق
ومخالف مجتمع الاجزاء ومتفرقها يحشركم الله الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض
وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المتقابلة يات بكم الله جميعا ويجعل صلواتكم
كانها الى الجهة واحدة ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع ومن حيث
خرجت ومن اي مكان خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه
وان هذا الامر الحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون قراءة ابو عمرو بالياء ومن حيث
خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره كرر هذا الحكم

لتعدد

لتعدد علله فانه تعالى ذكر للتحويل ثلاث علل لتعظيم مرضاته وجري العادة الالهية على ان يولي
كل اهل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما بيناه وقرن
بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلايله تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها
شان والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فالحري ان يؤكد امرها ويعاد ذكرها مرة
بعد اخري ليئلا يكون للناس عليكم حجة علة لقوله فولوا والمعني ان التولية عن الصخرة
الي الكعبة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت في التورية قبلته الكعبة وان محمدا يجحد ديننا ويتبعنا
في قبلتنا والمشركين بان يدعي ملة ابراهيم ويخالف الا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس
اي ليئلا يكون لاحد من الناس حجة الا للمعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الي الكعبة الا ميلا
الي دين قومه وحبا لبلده او ابدا له فرجع الي قبلة ابايه ويوشك ان يرجع الي دينهم ويسمي هذه
حجة كقوله حجتهم داحضة لانهم يسوقون مساقها وقيل الحجة بمعني الاحتجاج وقيل الاستثناء
للمبالغة في نفي الحجة راسا كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
للعلم بان الظالم لا حجة له وقري الا الذين ظلموا علي انه استثناء فجرف التنبيه فلا تخشوهم
فلا تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم واخشون فلا تخالفوا ما امرتكم به ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم
تهتدون علة محذوف اي وامرتكم لاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداكم او عطف علي علة مقدرة
مثل اخشوني لاحفظكم عنهم ولاتم نعمتي عليكم او ليئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة
وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت علي الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما قبله
اي ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في الاخرة كما اتممتها بارسال رسول منكم وبما بعده اي كما
ذكرتم بالارسال فاذكروني يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم يحملكم علي ما تصيرون به اذكياء
قدمه باعتبار القصد واخره في دعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام باعتبار الفعل ويعلمكم
الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون بالفكر والنظر اذ لا طريق الي معرفته سوي الوحي
وكرر الفعل ليدل علي انه جنس اخر فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت
به عليكم ولا تكفرون بجحد النعم وعصيان الامر يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر عن
المعاصي وحظوظ النفس والصلوة التي هي ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب
العالمين ان الله مع الصابرين بالنصر واجابة الدعوة ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات
اي هم اموات بل احياء ولكن لا تشعرون ما حالهم وهو تنبيه علي ان حيوتهم ليست بالجسد ولا
من جنس ما يحيي به من الحيوانات وانما هي امر ادراك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن ان الشهداء
احياء عند الله ترزقهم علي ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار علي
ارواح الفرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع والاية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة
عشر وفيها دلالة علي ان الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس من البدن تبقي بعد
الموت مدركة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الايات والسنن وعلي هذا فتخصيص
الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله ومزيد البهجة والكرامة ولنبلونكم ولنصيبنكم اصابة
من يختبر لاحوالكم هل تصبرون علي البلاء وتستسلمون للقضاء بشيء من الخوف والجوع اي
بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة الي ما وقيهم عنه ليخفف عنهم ويريهم ان رحمته لا تفارقهم
او بالنسبة الي ما يصيب به معانديهم في الاخرة وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه
نفوسهم ونقص من الاموال والانفس والثمرات عطف علي شيء او الخوف وعن الشافعي رضي الله
عنه الخوف خوف الله والجوع جوع صوم رمضان والنقص من الاموال الزكوة والصدقات ومن
الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلي الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد

قال الله تعالى للملايكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون
حمدك واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين
الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الخطاب للرسول ولمن يتاتى منه
البشارة والمصيبة يعم ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عليه الصلاة والسلام كل شيء يؤذي
الانسان فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل وبالقلب بان يتصور ما خلق
لاجله وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه ليرجي ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فهون
على نفسه ويستسلم له والمبشر محذوف ويدل عليه قوله اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة
الصلوة في الاصل الدعاء ومن الله التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد
بالرحمة اللطف والاحسان وعن النبي عليه الصلاة والسلام من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته
واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضيه واولئك هم المهتدون للحق والصواب حيث استرجعوا
وسلموا لقضاء الله ان الصفا والمروة هما علمان لجبلين بمكة من شعائر الله من اعلام متاسكه
جمع شعيرة وهي العلامة فمن حج البيت او اعتمر الحج لغة القصد والزيارة فغلبا شرعا على
قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين فلا جناح عليه ان يطوف بهما كان اساف
على الصفا وناءلة على المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت
الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع في الحج
والعمرة وانما الخلاف في وجوبه فعن احمد انه سنة وبه قال انس وابن عباس لقوله فلا جناح
فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب
فلا يدفعه وعن ابي حنيفة انه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعي انه ركن لقوله عليه الصلاة
والسلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعي ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا
او زاد ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه
صفة مصدر محذوف او حذف الجار وايصال الفعل اليه او بتعدية الفعل لتضمنه معنى ايتي
او فعل وقراءة حمزة والكسائي ويعقوب يطوع واصله يتطوع فادغم مثل يطوف فان الله
شاكر عليم مثيب على الطاعة لا تخفى عليه ان الذين يكتمون كاحبار اليهود ما انزلنا من البينات
كالايات الشاهدة على امر محمد عليه الصلاة والسلام والهدى ما يهدي الى وجوب اتباعه والايمان
به من بعد ما بيناه للناس لخصناه في الكتاب في التوراة اولئك يلعنهم الله ويلعنهم
اللاعنون اي الذين يتاتى منهم اللعن من الملايكة والثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان وسائر
ما يجب ان يتاب عنه واصلحوا ما افسدوا بالتدارك وبينوا ما بينه الله في كتابهم ليتم
توبتهم وقيل ما احدثوه من التوبة ليمحى سمة الكفر عن انفسهم ويقتدي بهم اضرابهم فاولئك
اتوب عليهم بالقبول والمغفرة وانا التواب الرحيم المبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة
ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اي ومن يرتد منهم فحذف للعلم بحاله او لئك عليهم لعنة
الله والملايكة والناس اجمعين استقر عليهم لعنة الله ومن يعتد بلعنة من خلقه وقيل
الاول لعنتهم احياء وهذا لعنتهم امواتا وقرئ والملايكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم
الله تعالى لانه فاعل في المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد عمرا وفاعلا لفعل مقدر اي ويلعنهم
الملايكة خالدين فيها اي في اللعنة او في النار واضمارها قبل الذكر لفخامة شانها وتهويلا
والتفاتا لدلالة اللعن عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون لا يمهلون ولا ينتظرون
ليعتذروا او لا ينظر اليهم بنظر رحمة والهكم اله واحد اي يستحق منكم العبادة واحدا شريك له
يصح ان يعبد وليس في الها الا هو تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان في الوجود

الها ولكن لا يستحق منهم العبادة الرحمن الرحيم كالحجة فانه لما كان مولي النعم كلها اصولها
وفروعها وما سواها ما نعمة او منعم عليه لم يستحق العبادة احد غيره وهما خبران اخران لقوله
الهكم او المبتدا محذوف قيل سمعه المشركون فتعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فات بآية نعرف
بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض وانما جمع السموات وافرد الارض لانها
طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين واختلاف الليل والنهار
تعاقبهما كقوله تعالي جعل الليل والنهار خلفة والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس اي
ينفعهم او بالذي ينفعهم والقصد به الي الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر
لانه سبب الخوض فيه والاطلاع علي عجايبه ولذلك قدمه علي ذكر المطر والسحاب لان
منشاها البحر في غالب الامر وتانيث الفلك لانه بمعني السفينة وقري بضمتين علي الاصل والجمع
وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين وما انزل الله من السماء من ماء من الاولي للابتداء
والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو فاحيا به الارض بعد موتها
بالنبات وبث فيها من كل دابة عطف علي انزل كانه استدل بنزول المطر وكون النبات
به وبث الحيوانات في الارض احياء فان الدواب يتموون بالخصب ويعيشون بالحياء والبث
النشر والتفريق وتصريف الرياح في مهابها واحوالها وقراءة حمزة والكسائي علي الافراد
والسحاب المسخر بين السماء والارض دائرا بينهما لا ينزل ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضي احدهما حتي ياتي
امر الله وقيل مسخر للرياح تقلبه في الجو بمشية الله واشتقاقه من السحب لانه يجر بعضه
بعضا لايات لقوم يعقلون يتفكرون فيها وينظرون اليها بعين عقولهم وعن علي عليه الصلاة
والسلام ويل لمن قراء هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الايات علي وجود
الاله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل انها امور ممكنة وجد كل
بوجه مخصوص من وجوه مختلفة وانحاء مختلفة اذ كان من الجايز مثلا ان لا يتحرك السموات
او بعضها كالارض وان تتحرك بعكس حركاتها وبحيث تصير المنطقة اوان لا يكون لها اوج
وحضيض اصلا وعلي هذا الوجه لبساطتها وتساوي اجزايها فلا بد لها من موجد قادر
حكيم يوجدها علي ما تستدعيه حكمته وتقتضيه مشيئته متعاليا عن معارضة غيره اذ لو
كان معه اله يقدر عليه فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع مؤثرين
علي اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الاخر الثاني للالهية وان
اختلفت لزم التمانع والتطارد كما اشار بقوله تعالي لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وفي الاية
تنبيه علي شرف علم الكلام واهله وحث علي البحث والتطرف فيه ومن الناس من يتخذ من دون الله
اندادا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم لقوله تعالي اذ تبرا الذين اتبعوا
ولعل المراد عام منها وهو ما يشغل عن الله يحبونهم يعظمونهم ويطيعونهم كحب الله كتعظيم
والميل الي طاعته اي يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير
لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله ارادة طاعته والاعتناء
بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي
والذين امنوا اشد حبا لله لانه لا تنقطع محبتهم لله بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة
مذمومة تزول بادني سبب ولذلك كانوا يعدلون عن الهتهم الي الله عند الشدايد ويعبدون
الصنم زمانا ثم يرفضونه الي غيره ولو يري الذين ظلموا ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد
اذ يرون العذاب اذ عاينوه يوم القيمة واجري المستقبل مجري الماضي لتحققه فقوله وناداي اصحاب
الجنة ان القوة لله جميعا سادا مسد مفعولي يري وجواب لو محذوف فاي لو يعلمون ان القدرة لله

جميعا اذا عاينوا العذاب لندموا اشد الندم وقيل هو متعلق بالجواب والمفعول محذوف
والتقدير ولو يرى الذين ظلموا انداده لما اتخذوهم لعلموا ان القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره
وقراءة ابن عامر ونافع ويعقوب ولو ترى على انه خطاب للنبي اي ولو ترى ذلك لرايت امرا فضيعا
وابن عامر اذ يرون على البناء للمفعول ويعقوب ان بالكسر وان الله شديد العذاب على الاستئناف
او على اضمار القول اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اي اذ تبرأ المتبوعون
المتبعون من الاتباع وقرئ بالعكس اي تبرأ الاتباع من الرؤساء ورأوا العذاب اي
رأين له فالواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرأ وتقطعت بهم الاسباب يحتمل العطف
على تبرأ او رأوا او الحال والاول اظهر والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتباع والاتفاق
على الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقي به الشجر وقرئ تقطعت
على البناء للمفعول وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا
لو للتمني ولذلك اجيب بالفاء اي ليت لنا كرة الى الدنيا فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك
الاراءة الفظيعة يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم ندامات وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان
من رؤية القلب والا فحال وما هم بخارجين من النار اصله وما يخرجون فعدل به الى هذه
العبارة للمبالغة في الخلود والاقناط عن الخلاص والرجوع الى الدنيا يا ايها الناس كلوا مما
في الارض حلالا نزلت في قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس وحلالا مفعول
كلوا او صفة مصدر محذوف او حال مما في الارض ومن للتبعيض اذ لا يؤكل كل ما في الارض
طيبا يستطيبه الشرع او الشهوة المستقيمة اذ الحلال دل على الاول ولا تتبعوا خطوات
الشيطان لا تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقراءة نافع وابو عمرو
وحمزة والبزي وابو بكر حيث وقع بتسكين الطاء وهما لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي
وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كانها عليها وبفتحتين على انها جمع خطوة وهي المرة
من الخطو انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة عندوي البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه
ولذلك سماه وليا في قوله اولياء وهم الطاغوت انما يأمركم بالسوء والفحشاء بيان لعداوته
ووجوب التحرز عن متابعته واستعير الامر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها لرايهم
وتحقير الشانهم والسوء والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين
فان سوء لاعتمام العاقل به وفحشاء باستقباح امثاله وقيل السوء يعم القبايح والفحشاء ما تجاوز
الحد في القبح من الكبائر وقيل الاول ما لا حد فيه والثاني ما شرع فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون
كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل على المنع من اتباع الظن رأسا واما
اتباع المجتهد لما ادى اليه ظنه مستندا الى دليل شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه كما بيناه
في الكتب الاصولية واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الضمير للناس وعدل عن الخطاب عنهم
للنداء على ضلالهم كانه التفت الى العقلاء قالوا لهم انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون قالوا
بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا ما وجدنا هم عليه نزلت في المشركين امروا باتباع القران وسائر
ما انزل الله من الحجج والايات فجنحوا الى التقليد وقيل في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى الاسلام قالوا نتبع ما وجدنا عليه اباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم وعلى
هذا فيعم ما انزل الله التوراة لانها ايضا تدعو الى الاسلام اولو كان اباؤهم لا يعقلون
شيئا ولا يهتدون الواو للحال وللعطف والهمزة للرد والتعجيب وجواب لو محذوف اي لو كان
اباؤهم جهلة لا يتفكرون في امر الدين ولا يهتدون الى الحق اتتبعونهم وهذا دليل على المنع لهم
من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد واتباع الغير في الدين اذا علم بدليل ما انه محق كالانبياء

والمجتهدين

والمجتهدين في الاحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع ما انزل الله ومثل الذين كفروا
كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء على حذف مضاف تقديره ومثل داعي الذين
كفروا كمثل الذي ينعق ومثل الذين كفروا البهائم الذي ينعق والمعنى ان الكفرة لانهماكهم
في التقليد لا يلقون اذهانهم الى ما يتلى عليهم ولا يتأملون فيما يقرر معهم فهم في ذلك كالبهائم
التي ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه وقيل هو
تمثيلهم في اتباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم
ما تحته او تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو التصويت على البهائم وهذا ينبغي
عن الاصنام ولكن لا يسأعد قوله الا دعاء ونداء لان الاصنام لا تسمع الا ان يجعل ذلك من باب التمثيل
المركب صم بكم عمي رفع على الذم فهم لا يعقلون اي بالفعل لاخلالهم بالتفكر يا ايها الذين آمنوا
كلوا من طيبات ما رزقناكم لما وسع الامر على الناس كافة واباح لهم ما في الارض سوى ما حرم
عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال واشكروا
لله على ما رزقكم واحل لكم ان كنتم اياه تعبدون فان عبادته لا تتم الا بالشكر فالمعلق بفعل
العباد هو الامر بالشكر لاتمامه وهو عدم عند عدمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله
تعالى اني والانس والجن في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم
عليكم الميتة وهي التي ماتت من غير ذكوة والحديث الحق بها ما ابين من حي والسمك والجراد
اخرجها العرف عنها او استثناء الشرع والحرمة المضافة الى العين تفيد عرفا حرمة التصرف
التصرف فيها مطلقا الا ما خصه الدليل كالتصرف في المدبوغ والدم ولحم الخنزير انما
خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يوكل من الحيوان وسائر اجزائه التابع وما اهل به لغير الله
اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال يقال اهل الهلال واهللنا
لكن لما جرت العادة ان يرفع الصوت بالتكبير اذا رؤي سمي ذلك هلالا ثم قيل لرفع الصوت
وان كان بغيره فمن اضطر غير باغ بالاستئثار على مضطر اخر وقراء عاصم وابو عمرو وحمزة بكسر
النون ولا عاد سد الرمق والجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا يباح
للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي وقول احمد فلا اثم عليه في تناوله ان الله غفور لما
فعل رحيم بالرخصة فيه فان قيل انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت
المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حال الاختيار كأنه قيل انما حرم
عليكم هذه الاشياء مما تضطروا اليها ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون
به ثمنا قليلا عوضا حقيرا اولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار لانهم اكلوا ما يلتبس
بالنار بكونها عقوبة عليه فكأنها اكل النار كقوله

اكلت دما ان لم ارعك بضربة ... بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

يعني لدية او في المآل اي لا يأكلون يوم القيمة الا النار ومعنى في بطونهم ملأ بطونهم فيقال
اكل في بطنه واكل في بعض بطنه كقوله

كلوا في بعض بطنكم تعفوا

ولا يكلمهم الله يوم القيمة عبارة من غضبه عليهم وتقريض لجرمانهم حال مقابليهم في
الكرامة والزلفى من الله ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم مؤلم اولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى في الدنيا والعذاب في المغفرة في الاخرة بكتمان الحق للمطامع
والاغراض الدنيوية فما اصبرهم على النار تعجيب من حالهم في الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة
وما تامة مرفوعة بالابتداء وتخصيصها بالتخصيص قولهم شر اهر ذا ناب او استفهامية وما
بعدها الخبر او موصولة وما بعدها صلة والخبر محذوف ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق

ان يضع اي المختص بالمعاد
فتقول ان الله نزل النعم ح

اي مقصوده

ون

قوله تعفوا من
العفة

بيان
فرقصوه

اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فخصوه بالتكذيب والكتمان وان الذين اختلفوا
في الكتاب اللام فيه للجنس واختلافهم امانتهم ببعض كتب الله وكفرهم ببعض او للعهد والاشارة اما
الى التوراة واختلفوا بمعنى تخالفوا عن المنهج المستقيم في تاويلها او خالفوا خلاف ما انزل الله مكانه
او حرفوا ما فيها واما الى القران واختلافهم قولهم سحر وتقول وكلام يلقيه بشر واساطير الاولين
لفي شقاق بعيد لفي خلاف لبعيد عن الحق ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب
البر كل فعل مرضي والخطاب لاهل الكتاب فانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت واد بعي
كل طايفة ان البر هو التوجه الى قبلته فرد الله عليهم وقال ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن
البر ما بينته واتبعه المؤمنون وقيل عام لهم وللمسلمين اي ليس البر مقصورا بامر القبلة او ليس
البر العظيم الذي يجسن ان تذهلوا بشانه عن غيره امرها وقرا حمزة وحفص ليس البر بالنصب
ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر والملايكة والكتاب والنبيين اي ولكن البر الذي
ينبغي ان يهتم به بر من امن ويؤيده قراءة ولكن البار والاول اوفق واحسن والمراد بالكتاب الجنس
او القران وقرا نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف ورفع البر وايتي المال على حبه اي على حب المال كما
قال عليه الصلاة والسلام لما سيل اي الصدقة افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل الغنى وتخشى
الفقر وقيل الضمير لله والمصدر والجار والمجرور في موضع الحال ذوي القربى واليتامى يريد
المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالباس وقدم ذوي القربى لان ايتاءهم كما قال عليه الصلاة
والسلام اثنتان صدقة وصلة صدقتك على المسلمين صدقة وعلى ذوي رحمك صدقة
وصلة والمساكين جمع المسكين وهو الذي اسكنه الخلة واصله دايم السكون كالمسكين
لدايم السكر وابن السبيل المسافر سمي به لملازمته السبيل كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل
الضيف لان السبيل يرفده والسايلين الذي الجاءهم الحاجة الى السوال وقال عليه الصلاة
والسلام للسايل حق ولو جاء على فرس وفي الرقاب وفي تخليصها بمعاونة المكاتبين
او فك الاساري او ابتياع الرقاب لعتقها واقام الصلوة المفروضة واتى الزكوة يحتمل ان
يكون المقصود منه ومن قوله واتى المال الزكوة المفروضة ولكن الغرض من الاول بيان مصارفها
وبالثاني ادائها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات او حقوقا
كانت في المال سوى الزكوة وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة والموفون بعهدهم اذا
عاهدوا عطف على من امن والصابرين في الباساء والضراء نصب على المدح ولم يعطف لفضل
الصبر على سايل الاعمال وعن الازهري الباساء في الاموال كالفقر والضراء في الانفس كالمرض
وحين الباس وقت مجاهدة العدو اولئك الذين صدقوا في الدين واتباع الحق وطلب
البر واولئك هم المتقون عن الكفر وساير الرذايل والاية كما ترى جامعة للكمالات الانسانية
باسرها دالة عليها صريحا او ضمنا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلاثة اشياء صحة
الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد اشير الى الاول بقوله من امن الى والنبيين
والى الثاني بقوله واتى المال الى وفي الرقاب والى الثالث بقوله واقام الصلاة الى اخرها
وكذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته
للخلق ومعاملته مع الحق واليه اشار بقوله عليه الصلاة والسلام من عمل بهذه الاية فقد استكمل
الايمان يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى
بالانثى كان في الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الاخر فاقسموا
لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى الرسول عليه الصلاة والسلام
فنزلت وامرهم ان يتباوؤا ولا تدل على ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا تدل على

عكسه

عكسه فان المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوي التخصيص وقد بينا ما كان الغرض وانما
منع مالك والشافعي قتل الحر بالعبد سواء كان عبده او عبد غيره لما روي علي رضي الله عنه ان
رجلا قتل عبده فجلده الرسول عليه الصلاة والسلام ونفاه سنة ولم يقيده وروي عنه عليه
الصلاة والسلام انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذمي عمد ولا حر بعبد ولان ابا بكر وعمر
رضي الله عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبدين اظهر الصحابة من غير نكير والقياس علي الاطراف
ومن سلم دلالته فليس له دعوي نسخه بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما في التورية فلا ينسخ
ما في القرآن واحتجت الحنفية به علي ان مقتضي العمد القود وحده وهو ضعيف اذ الواجب علي
التخيير يصدق عليه انه وجب وكتب قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه وفي
كتب علي البناء للفاعل والقصاص بالنصب وكذا كل فعل جاء في القرآن فمن عفي له من اخيه
شيء اي شيء من العفو لان عفا لازم وفايدة الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام في
اسقاط القصاص وقيل عفي بمعني ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفي الشيء
بمعني تركه بل اعفاه وعفي يعدي بعن الي الجاني وبالي الذي قال الله تعالي عفي الله عنها فاذا
عدي به الي الذنب عدي الي الجاني باللام وعليه ما في الاية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من
جهته يعني ولي الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام ليرق
له ويعطف فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان اي فليكن اتباع او فالامر اتباع
والمراد به وصية العافي بان يطالب الدية بالمعروف فلا يعتدوا والعفو عنه بان يؤديها
باحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل علي ان الدية احد مقتضي العمد والا لما
رتب الامر بادائها علي مطلق العفو والشافعي في المسئلة قولان ذلك اي الحكم المذكور في العفو
والدية تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع قيل كتب علي اليهود القصاص
وحده وعلي النصاري العفو مطلقا وخير هذه الامة بينهما وبين الدية تيسير عليهم
وتقدير الحكم علي حسب مراتبهم فمن اعتدي بعد ذلك قتل بعد العفو واخذ الدية
فله عذاب اليم في الاخرة وقيل في الدنيا بان يقتل لا محالة ولكم في القصاص حيوة كلام
في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص فكل الحيوة ليدل
علي ان في هذا الجنس نوعا من الحيوة عظيما وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيكون
سببا لحيوة نفسين وانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم
فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون وبصير ذلك سببا لحيوتهم وعلي الاول فيه امتنان وعلي
الثاني تخصيص وقيل المراد بها الحيوة الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا
لم يواخذ به في الاخرة ولكم في القصاص حيوة يحتمل ان يكون خبرين حيوة وان يكون احد
خبر والاخر صلة له او حالا عن الضمير المستكن فيه وقري في القصص اي فيما قص عليكم من
حكم القتل حيوة او في القرآن حيوة للقلوب يا اولي الالباب ذوي العقول الكاملة نادا هم
للتامل في حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون في المحافظة
علي القصاص والحكم به والاذعان له او عن القصاص فتلتفوا عن القتل كتب عليكم اذا حضر احدكم
الموت اي حضر اسبابه وظهر اماراته ان ترك خيرا ما لا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي رضي
الله عنه ان مولي اراد ان يوصي وله سبعماية درهم فمنعه وقال قال الله تعالي ان ترك خيرا
والخير المال الكثير وعن عايشة رضي الله عنها وعن ابيها ان رجلا اراد ان يوصي فسالته كم
مالك فقال ثلاثة الاف درهم فقالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا
وان هذا شيء يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والاقربين مرفوع بكتب وتذكير فعلها

للوصل او على تاويل ان يوصي والا يصاو كذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله والعامل في اذا
مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها وقيل مبتدا خبره للوالدين والجملة جواب الشرط بامهار
الفاء كقوله ، من يفعل الحسنات الله يشكرها ، والشر بالشر عند الله مثلان ،
وردّ بانه ان صح فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم في بداء الاسلام فنسخ باية المواريث
وبقوله عليه الصلاة والسلام ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وفيه نظر
لان اية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث
من الاحاد وتلقي الامة له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى
الله به من توريث الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم الله وبايصاء المحتضرلهم بتوفير ما اوصى
به الله عليهم بالمعروف بالعدل فلا يفضل الغني ولا يتجاوز الثلث حقا على المتقين مصدر
مؤكد اي حق ذلك حقا فمن بدله غيره من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه وصل اليه وتحقق
عنده فانما اثمه على الذين يبدلونه فان اثم الايصاء او التبديل الا على مبدله لانه الذي جاف
وخالف الشرع ان الله سميع عليم وعيد للمبدل بغير حق فمن خاف من موص اي توقع
وعلم من قولهم اخاف ان يرسل السماء وقراء حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر موص حنفا
ميلا بالخطاء في الوصية او اثما تعمد الجنف فاصلح بينهم بين الموصي لهم على نهج الشرع فلا اثم
عليه في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول ان الله غفور رحيم وعد للمصلح
وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم يا ايها الذين امنوا كتب عليكم
الصيام كما كتب على الذين من قبلكم يعني الانبياء والامم من لدن ادم وفيه تاكيد للحكم وترغيب
على الفعل وتطييب على النفس والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس وفي الشرع الامساك
عن المفطرات فانها معظم ما تشتهيه النفس لعلكم تتقون المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة
التي هي مبداؤها كما قال عليه الصلاة والسلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او الاخلال
باد ائه لاصالته وقدم اياما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلايل فان القليل من
المال يعد عدا والكثير يهال هيلا ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا
لدلالة الصيام عليه والمراد بها رمضان او ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء
وثلاثة ايام من كل شهر او ما كتب على الفطر فيه او على انه مفعول ثان لكتب عليكم على السعة وقيل
معناه صوموا كصومهم في عدد الايام كما روي ان رمضان كتب على النصارى فوقع في برد وحر
شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين يوما كفارة لتحويله وقيل زاد ذلك الموتان صابهم
فمن كان منكم مريضا مرضا يضره الصوم ويعسر معه او على سفر واركب سفر وفيه
ايماء بان من سافر اثناء اليوم لم يفطر فعدة من ايام اخر اي فعليه عدة صوم عدة ايام المرض
او السفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم بها وقرئ بالنصب
اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهبت الظاهرية وبه قال
ابو مسلم رة وعلى الذين يطيقونه فدية وعلى المطيقين للصيام ان افطروا فدية طعام مسكين
نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق وعند فقهاء الحجاز رخص لهم في ذلك اول الامر
لما امروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقراء نافع وابن عامر من رواية ابن ذكوان
باضافة فدية الى الطعام وجمع المساكين وقراء هشام مساكين بغير اضافة الفدية الى الطعام
وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة او القلادة ويتطوقونه اي يتكلفونه
او يتقلدونه ويطوّقونه بالادغام ويُطيّقونه ويُطّيّقونه على ان اصلها يطيوقونه ويتطيقونه
من فيعل وتفعيل بمعنى يتطيقونه وعلى هذه القراءات يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه

الموتان مفتوح وهي ضد الحيوان

والباقون بغير اضافة وتوحيد المسكين

الصوم

الصوم ويجهدونه وهم الشيوخ والعجائز في الافطار والفدية فيكون ثابتا وقد اول به القراءة
المشهورة اي يصومونه جهدهم وطاقتهم **فمن تطوع خيرا** فزاد في الفدية **فهو**
او الخير **خير له وان تصوموا** ايها المطيقون او المطوقون وجهدتم طاقتكم او المرخصون
في الافطار ليدخل تحته المريض والمسافر **خير لكم** من الفدية او تطوع الخير ومنهما ومن
التاخير للقضاء **ان كنتم تعلمون** ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف
دل عليه ما قبله اي اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان صومكم الصوم خير
لكم من ذلك **شهر رمضان** مبتدا خبره ما بعده او خبر محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان
او بدل من الصيام على حذف المضاف اي كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب
على اضمار صوموا او على انه مفعول **وان تصوموا** فيه ضعف وبدل من ايام معدودات وشهر رمضان
مصدر رمض اذا احترق فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون
كما منع دابة من ابن دابة علما للغرابة للتعريف والتانيث وقوله عليه الصلاة والسلام من صام
رمضان تغليبا حذف المضاف لامن الالتباس وانما سموه بذلك اما لانه رمضهم فيه من حر الجوع
والعطش او لانه يرمض الجوع والذنوب فيه او لوقوعه ايام رمض الحر حينما نقلوا اسماء الشهور
عن اللغة القديمة **الذي انزل فيه القرآن** اي ابتداء فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر
او انزل فيه جملة الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض او انزل شانه القران وهو قوله كتب عليكم
الصيام وعن النبي عليه الصلاة والسلام نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت
التوراة لست مضين والانجيل لثلاثة عشر والقران لاربع وعشرين والموصول بصلته
خبر للمبتدا او صفته والخبر **فمن شهد** والفاء لوصف المبتدا بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار
بان الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم **هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان**
حالان من القران اي انزل وهو هداية للناس باعجازه وايات واضحات مما يهدي الى الحق ويفرق
بينه وبين الباطل لما فيه من الحكم والاحكام **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** فمن حضر في الشهر
ولم يكن مسافرا فليصم على الظرف وحذف الجار ونصب الضمير الثاني على الاتساع وقيل من شهد
منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اي صلاتها فيكون **ومن**
كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر مخصص له لان المسافر والمريض ممن شاهد
الشهر ولعل تكرير ذلك اوليلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم**
العسر يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر فلذلك اباح الفطر في السفر والمرض **ولتكملوا العدة**
ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون علل الفعل محذوف دل عليه ما سبق اي وشرع
جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخص بالقضاء ومراعاة عدة ما افطر فيه
والترخيص لتكملوا العدة الى آخرها على سبيل اللف فان قوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدد
ولتكبروا الله علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم علة الترخيص والتيسير او الافعال
كل لفعله او معطوف على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعلمون ولتكملوا ويجوز
ان يعطف على اليسر اي يريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفؤا والمعنى بالتكبير تعظيم الله
بالحمد والثناء عليه ولذلك عدي بعلى وقيل تكبير يوم الفطر وقيل عند الاهلال وما يحتمل
المصدرية والخبر اي الذي هداكم اليه وعن عاصم برواية ابي بكر ولتكملوا بالتشديد **واذا**
سالك عبادي عني فاني قريب اي فقل لهم اني قريب وهو تمثيل لكمال علمه تعالى باحوال العباد
واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه منهم روي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت **اجيب دعوة الداع اذا دعاني**

تقرير للقرب ووعد الداعي بالاجابة فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم
اذا دعوني لمهماتهم وليؤمنوا بي امر بالثبات والمداومة عليه لعلهم يرشدون راجين
اصابة الرشد وهو اصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم انه تعالى لما امرهم بصوم
الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظايف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على
انه خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعايهم مجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه ثم بين
احكام الصوم فقال احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسايكم روي ان المسلمين كانوا اذا
امسوا حل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء او يرقدوا ثم ان عمر رضي الله عنه
باشر بعد العشاء فندم واتى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا
بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التي يصبح منها صايما والرفث كناية عن الجماع
لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدي بالى لتضمنه معنى الافضاء
وايثاره ههنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سمي خيانة وقرئ الرفوث هن لباس لكم
وانتم لباس لهن استيناف يبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن
لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل والمراة يعتنقان ويشتمل
كل منهن على صاحبه شبه بالملابس قال الحدي

، اذا ما الضجيع ثنى عطفها ، تثنت فكانت عليه لباسا ،

او لان كل واحد منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم
تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب والاختيان ابلغ من الخيانة
كالاكتساب ابلغ من الكسب فتاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه وعفا عنكم ومحي عنكم اثره
فالآن باشروهن لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقران والمباشرة
الزاق البشرة بالبشرة كني به عن الجماع وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قدر لكم واثبته
في اللوح المحفوظ من الولد والمعنى ان المباشرة ينبغي ان يكون غرضكم الولد فانه الحكمة من
خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر وقيل النهي عن العزل وقيل عن غير المأتي وابتغوا
المحل الذي كتبه الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود
من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غلس الليل بخيطين
ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه
وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض
الفجر وما روي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين اسود وابيض ولا يزالون
ياكلون ويشربون حتى تبين لهم فنزلت ان صح فلعله كان قبل دخول رمضان وتاخرهم
البيان الى وقت الحاجة جايز او اكتفى او باجتهادهم في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم
وفي تجويز المباشرة الى الصبح الدلالة على جواز تاخير الغسل اليه وصحة صوم الصبح جنبا
ثم اتموا الصيام الى الليل بيان لاخر وقته واخراج الليل عنه فيدخل صوم الوصال ولا تباشروهن
وانتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث في المسجد بقصد القربة
والمراد بالمباشرة الوطي وعن قتادة رضي الله عنه كان الرجل يعتكف فيخرج الى امراته فيباشرها
ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد ولا يختص بمسجد دون
اخر وان الوطي يحرم فيه ويفسده لان النهي في العبادات يوجب الفساد تلك حدود الله
اي الاحكام التي ذكرت فلا تقربوها نهي عن ان يقرب لحد الحاجز بين الحق والباطل
ليتباعد اي الباطل فضلا ان يتخطى كما قال عليه الصلاة والسلام ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه

فمن يراتع حول الحمي يوشك ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز ان يريد بحدود
الله محارمه ومناهيه كذلك يبين الله اياته للناس لعلهم يتقون مخالفة الاوامر
والنواهي ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي ولا ياكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي لم
يبحه الله وبين نصب على الظرف او الحال من الاموال وتدلوا بها الى الحكام عطف على المنهي او
نصب باضمار ان والادلاء الالقاء اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم فريقا
طائفة من اموال الناس بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة او ملتبسين بالاثم
وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب المعصية مع العلم بها اقبح روي ان عيلان الحضرمي
ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليه بان يحلف امرئ القيس فهم به فقرأ عليه الصلاة والسلام ان الذين يشترون بعهد
الله وايمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عيلان فنزلت وفي دليل
على ان حكم القاضي لا ينفذ باطنا ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام انما انا بشر وانتم
تختصمون الي ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه
فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقضي له قطعة من نار يسالونك عن الاهلة
سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو رقيقا كالخيط ثم يزيد حتى
يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا فنزل قل هي مواقيت للناس والحج فانهم سألوا عن
الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل من الله ان يجيب بان الحكمة الظاهرة في ذلك
ان يكون معالم للناس يوقتون بها امورهم ومعالم للعبادات الموقتة تعرف بها اوقاتها
وخصوصا الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء والمواقيت جمع ميقات من الوقت
والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبداها
الى منتهاها والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض لامر وليس البر بان
تاتوا البيوت قراء ابو عمرو وورش وحفص بضم الباء والباقون بكسر الباء من ظهورها
ولكن البر من اتقى قرأ نافع وابن عامر بتخفيف لكن ورفع البر كانت الانصار اذا احرموا لم
يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فوجة وراءه ويعدون
ذلك برا فبين لهم انه ليس بر وانما البر من اتقى المحارم والشهوات وجه اتصاله بما قبله انهم
سألوا عن الامرين او لانهما لما ذكرا انهما من مواقيت الحج وهذا ايضا من افعالهم في الحج ذكره
للاستطراد وانهم لما سألوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنيهم
ويختص بعلم النبوة عقب بذكر جواب ما سألوه تنبيها على ان اللائق بهم ان يسألوا مثال ذلك
ويهتموا بالعلم بها وان المراد به التنبيه على تعكيسهم السؤال بحال من ترك باب البيت ودخل
من وراءه والمعنى وليس البر ان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله
واتوا البيوت من ابوابها اذ ليس في العدول مراعاة باشروا الامور من وجوهها واتقوا الله
في تغيير احكامه والاعتراض عليه في افعاله لعلكم تفلحون لكي تظفروا بالهدى والبر
وقاتلوا في سبيل الله جاهدوا لاعلاء كلمته واعزاز دينه الذين يقاتلونكم قيل كان ذلك
قبل ان يؤمروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاربين وقيل معناه الذين يحاربونكم
ينالصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهبانية
والنساء والكفرة كلهم فانهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيده اول ما روي ان المشركين
صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة
ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا

فنزلت ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال المعاهد والمفاجاة به من غير دعوة والمثلة وقيل
من نهيتم عن قتله من النساء والصبيان ان الله لا يحب المعتدين لا يريد بهم الخير واقتلوهم
حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم واصل الثقف الحذق في ادراك الشيء علما كان
او عملا فهو تيضمن الغلبة ولذلك استعمل فيها قال

فامّا تثقفني فاقتلوني ... فمن ثقف فليس الى خلود

واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح والفتنة اشد
من القتل اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل الدوام
تعبها وتالم النفس بها وقيل معناه شركهم في الحرم وصدهم اياكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه
ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد
الحرام فان قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا لقتالهم ثم فانهم الذين هتكوا حرمته وقرا حمزة
والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم والمعنى حتى يقتل بعضكم كقولهم قتلنا بنو
اسد كذلك جزاء الكافرين مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا فان انتهوا عن القتال
والكفر فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة شرك ويكون
الدين لله خالصا له ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان
الا على الظالمين اي فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم فوضع العلة
موضع الحكم وسمي جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه وانكم
ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الامر عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية
للجزا الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة وائتقوا
خروجهم لعمرة القضاية وكرهوا ان يقاتلوهم في حرمته فقيل لهم هذا الشهر بذاك وهتكه
بهتكه فلا يبالوا به والحرمات قصاص احتجاج عليه اي كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ
عليها يجري فيه القصاص فلهتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم
عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم وهو في تلك التقرير واتقوا الله في الانتصار ولا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم واعلموا
ان الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شانهم وانفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا كل
الامساك ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف عن
الغزو والانفاق فيه فانه يقوي العدو ويسلطهم على اهلاككم ويؤيده ما روي عن ابي ايوب
الانصاري رضي الله عنه كنا معشر الانصار لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا
نقيم فيها ونصلحها فنزلت اي بالامساك وحب المال فانه يؤدي الى الهلاك المؤبد
ولذلك سمي النخل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشيء الى الفساد والالقاء طرح الشيء وعدي بالي
لتضمن معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدي الانفس والتهلكة والهلاك والهلاك واحد
هي مصدر كالتضرة والتسرة اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها اخذة
باياديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم اليها فحذف المفعول واحسنوا اعمالكم واخلاقكم وتفضلوا على
المحاويج ان الله يحب المحسنين وائموا الحج والعمرة لله ايتوا بهما تامين مجتمعي المناسك
لوجه الله وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده قراءة من قرأ واقيموا الحج والعمرة وما روي
جابر انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة قال لا ولكن ان تعتمر خير لك يعارض بما روي ان
رجلا قال لعمر اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة
نبيك محمد ولا يقال انه فسر وجدانهما مكتوبين بقوله اهللت بهما فجاز ان يكون الوجوب سبب

الاهلال بهما لانه رتب الاهلال على الوجدان وذلك يدل على انه سبب الاهلال دون العكس
وقيل تمامها ان تحرم بهما من دويرة اهلك او ان تفرد لكل منهما سفرا او ان تجرده لهما لانشوبهما
بغرض دنيوي او ان النفقة حلا لا فان احصرتم منعتم يقال احصره العدو واحصن اذا
حبسه ومنعه عن المضي مثل صده واصده والمراد حصر العدو وكل منع من عدو او مرض
او غيرهما عند ابي حنيفة رحمه الله لما روي عنه عليه الصلاة والسلام من كسر او عرج فعليه الحج من
قابل وهو ضعيف مؤول بما اذا شرط الاهلال به لقوله عليه الصلاة والسلام لضباعة بنت
الزبير حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني فما استيسر من الهدي فعليكم ما استيسر ٢ احصر
او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان المحرم اذا اراد ان يتحلل تحلل بذبح ع
هدي تيسر من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر لانه عليه الصلاة والسلام ذبح
عام الحديبية بها وهي من الحل وعند ابي حنيفة رحمه الله يبعث به ويجعل للبعوث يوم امار
فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله اي
لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب ان يخر فيه
وحمل الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما واقتصار على ٢ عدم
الهدي دليل على القضاء وقال ابو حنيفة رحمه الله المحل بالكسر يطلق للمكان والزمان ع
والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقري من الهدي جمع هدية كمطي في مطية فمن كان
منكم مريضا مرضا يحوجه الى الحلق او به اذى من رأسه كجراحة وقمل ففدية ان حلق من
صيام او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روي انه عليه الصلاة والسلام
قال لكعب بن عجرة لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلاثة ايام او تصدق
بفرق على ثلاثة مساكين او انسك شاة والفرق ثلاثة اصواع فاذا امنتم الاحصار او كنتم
في حال امن وسعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج لمن استمتع وانتفع بالتقرب الى الله قبل الانتفاع
بتقربه بالحج في اشهره وقيل لمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى
ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي فعليه دم استيسر بسبب التمتع فهو دم جبران يذبحه اذا
احرم بالحج ولا يأكل منه وقال ابو حنيفة انه دم نسك فهو كالاضحية فمن لم يجد الهدي فصيام
ثلاثة ايام في الحج في ايام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل التحلل وقال ابو حنيفة في اشهره بين
الاحرامين والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه ولا يجوز يوم النحر وايام التشريق
عندنا لكن وسبعة اذا رجعتم الى اهلكم وهو احد قولي الشافعي او نفرتم ونفرتم من اعماله وهو
قوله الثاني وذهب اليه ابو حنيفة وقري سبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة ايام تلك عشرة فذلكة
للحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد
جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب وان المراد بالسبعة العدد وان الكثرة فانه
يطلق لها كاملة صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد او مبينة كمال العشرة فانها اول
عدد كامل اذ به تنتهي الاحاد ويتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي ذلك اشارة
الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند ابي حنيفة اذ لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عنده لمن
فعل ذلك منهم فعليه دم جناية لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وهم من كان من الحرم على
مسافة القصر عندنا فانه مقيم الحرم او في حكمه ومن مسكنه وراء الميقات عنده واهل الحل عند
طاوس وغير المكي عند مالك واتقوا الله في المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا في الحج واعلموا
ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان الحج اشهر معلومات
معروفات وهي شوال وذو القعدة وتسع ذي الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند ابي حنيفة

وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه وما لا
يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان ما لكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة صحح
الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهرين وبعض شهر اقامة للبعض مقام الكل
او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد فمن فرض فيهن الحج ممن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن عندنا
او بالتلبية او سوق الهدي عند ابي حنيفة وهو دليل على ما ذهب اليه الشافعي وان من احرم بالحج لزمه
الاتمام فلا رفث ولا اجماع او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدوده الشرع بالسباب
وارتكاب المحظورات ولا جدال ولا مراء مع الخدم والرفقة في الحج في ايامه نفي الثلاثة على قصد
النهي للمبالغة والدلالة على انها حقيقة بان لا يكون وما كانت مستقبحة في انفسها في الحج اقبح
كلبس الحرير في الصلوة والتطريب بقراءة القرآن لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض
العبادة وقرأ ابن كثير وابو عمرو الاولين بالرفع على معنى فلا يكون رفث ولا فسوق والثالث
بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر
الحرام فامروا بان يقفوا بعرفة وبان يفيضوا منها لقوله وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على
الخير عقيب النهي عن الشر ليستبدل به ويستعمل مكانه وتزودوا فان خير الزاد التقوى وتزودوا
لمعادكم التقوى فانه خير زاد قيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن
متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا وينهوا عن البرام في السؤال والتثقيل على
الناس واتقون يا اولي الالباب فان قضية اللب خشية الله تعالى وتقواه حثهم على التقوى
ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله فيتبرؤا عن كل شيء سوى الله تعالى وهو مقتضى العقل
المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولي الالباب بهذا الخطاب ليس عليكم جناح ان تبتغوا
في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم عطاء وروزقا منه يريد الربح بالتجارة قيل كان عكاظ
ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء
الاسلام تاثموا منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا
صببت بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف في دفعت من البصيرة وعرفات جمع
سمي به كاذرعات وانما نون وكسر وفيها العلمية والتانيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين
التمكن ولذلك يجمع مع اللام واضافة الكسرة تنبئ ذهابا للتنوين من غير عوض لعدم الصرف
وهنا ليس كذلك او لان التانيث اما ان يكون بالتاء المذكورة وهي ليست تاء تانيث وانما
هي مع الالف التي قبلها علامة تجمع المؤنث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها لان
المذكورة تمنعه من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف
عرفة لانه لغت لابراهيم عليه الصلاة والسلام فلما ابصر عرفة لان جبريل كان يدور به في المشاعر
فلما اراه قال قد عرفت او لان آدم وحوا التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وعرفات
للمبالغة في ذلك وهي من الاسماء المرتجلة الا ان تجعل جمع عارف وفيه دليل وجوب الوقوف بها
لان الافاضة لا تكون الا بعد وهي ما مورد بها بقوله ثم افيضوا او مقدمة الذكر المامور به
وفيه نظر اذ الذكر غير واجب والامر به غير مطلق فاذكروا الله بالتلبية
والتهليل والدعاء وقيل بصلاة العشاءين عند المشعر الحرام جبل يقف عليه الامام وسمي
قزح وقيل ما بين مازمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ما روي جابر انه عليه الصلاة
والسلام لما صلى الفجر بمعنى بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المسجد الحرام فدعا وكبر وهلل ولم
يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند
المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه فان افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر واذكروه

كما هداكم كما علمكم واذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما
مصدرية او كافة وان كنتم من قبله اي من قبل الهدى لمن الضالين لجاهلين بالايمان
والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله وان نظنك
لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب
مع قريش كانهم يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم وامروا بان
يساووهم وثم للتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الي الناس ثم لا احسن الي الكريم
وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس بالكسر اي
الناسي يريد ادم من قوله تعالى فنسي والمعنى الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه
واستغفروا الله من جاهليتكم في تغيير المناسك ونحوه ان الله غفور رحيم لمن يغفر ذنب
المستغفر وينعم عليه فاذا قضيتم مناسككم فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم منها فاذكروا
الله كذكركم اباءكم فاكثروا ذكره وبا لغوا فيه كما تفعلون بذكر اباءكم في المفاخرة وكانت العرب
اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون من مفاخر اباءهم ومحاسن ايامهم
او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر بجعل المذكور ذكرا على المجاز والمعنى اذكروا الله ذكرا
كذكركم اباءكم او كذكرا اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه على ضعف بمعنى او كذكر قوم اشد
منكم ذكرا واما منصوب بالعطف على اباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورا
من اباءكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا منكم لاباءكم لله فمن الناس من
يقول تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب بذكر الله الا الدنيا ومكثر يطلب به خير الدارين والمراد
به الحث على الاكثار والارشاد اليه ربنا اتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا ومنحتنا وما لي في الاخرة
من خلاق لي نصيب وحظ لان همم مقصورة بالدنيا او من طلب خلاق ومنهم من يقول ربنا اتنا
في الدنيا حسنة يعني الصحة والكفاف وتوفيق الخير وفي الاخرة حسنة يعني الثواب والرحمة
وقنا عذاب النار يا لعفو والمغفرة وقول علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المراة الصالحة وفي
الاخرة الحور او عذاب النار امراة السوء وقول الحسن الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الاخرة
الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب الموذية الى النار امثلة المراد بها
اولئك اشارة الى الفريق الثاني وقيل اليهما لهم نصيب مما كسبوا اي من جنسه وهو جزاؤه او من
اجله كقوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به بعضهم على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار
لمحة او يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات
واذكروا الله في ايام معدودات كبروه في ادبار الصلوات وعند ذبح القربان وهي ايام
وغيرها في ايام التشريق فمن تعجل استعجل النفر في يومين يوم العشر والذي بعده اي فمن نفر
في ثاني ايام التشريق بعد رمي الجمار عندنا وقبل طلوع الفجر عنده فلا اثم عليه باستعجاله ومن
تاخر فلا اثم عليه فمن تاخر في النفر حتى رمى اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة يجوز
تقديم رميه على الزوال ومعنى نفي الاثم بالتعجل والتاخر التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية فان
منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتاخر لمن اتقى الذي ذكر من التخيير او من الاحكام لمن اتقى
لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضررون بترك ما بهمه منهما واتقوا الله في جامع
امركم ليعباء بكم واعلموا انكم اليه تحشرون للجزاء بعد الاحياء واصل الحشر الجمع وضم المتفرق ومن
الناس من يعجبك قوله يروقك ويعظم في نفسك والتعجب خيرة لتعرض الانسان لجهله بسبب
المتعجب منه في الحيوة الدنيا متعلق بالقول اي ما يقوله في امور الدنيا واسباب المعاش او في
معنى الدنيا فانها مراده من ادعاء المحبة واظهار الايمان او يعجبك اي يعجبك قوله في الدنيا لحلاوة

وفصاحته ولا يعجبك في الاخرة لما يعتريه من الدهشة والحيسة اولانه لا يؤذن له في الكلام
ويشهد الله على ما في قلبه يحلف ويستشهد الله على ان ما في قلبه موافق لكلامه وهو الد
الخصام شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز ان يكون جمع خصم كصعب
وصعاب يعني اشد الخصوم خصومة قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن
المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعي الاسلام وقيل في المنافقين كلهم
واذا تولى ادبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار والياً سعى في الارض ليفسد فيها
ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق زرعهم واهلك مواشيهم
او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع لشؤمه القطر فيهلك الحرث
والنسل والله لا يحب الفساد لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه واذا قيل له اتق الله اخذته
العزة بالاثم حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي يؤمر باتقائه كما جاء من قولك اخذته
بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم كفته جزاء وعذاباً وجهنم علم لدار العقاب
وهو في الاصل مرادف للنار وقيل مغرب ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم
محذوف للعلم به والمهاد الفراش وقيل ما يوطى للجنب ومن الناس من يشري نفسه
يبيعها ببذلها في الجهاد او بامر المعروف ونهي عن المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضات الله
طلباً لرضاه قيل انها نزلت في صهيب بن سنان الرومي اخذ المشركون وعذبوه ليرتد فقال
اني شيخ كبير لا ينفعكم ان كنت معكم ولا يضركم ان كنت عليكم فخلوني وما انا عليه وخذوا
مالي فقبلوه منه واتى المدينة والله رؤوف بالعباد حيث ارشدهم لمثل هذا الشراء
وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم
كافة السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق في الصلح والاسلام فتحه
ابن كثير ونافع والكسائي وكسره الباقون وكافة اسم للجملة لانها تكف الاجزاء من التفرق
حال من الضمير او السلم لانها تؤنث كالحرب قال

السلم تاخذ منها ما رضيت به ٭ والحرب يكفيك من انفاسها جرع ٭

والمعنى استسلموا لله واطيعوه جملة ظاهراً وباطناً والخطاب للمنافقين او دخلوا في الاسلام
بكليتكم ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت
وحرموا الابل والبانها او في شرايع الله كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعاً والخطاب لاهل
الكتاب او في شعب الاسلام واحكامه فلا تخلوا بشيء والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات
الشيطان بالتفرق والتفريق انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان زللتم عن الدخول
في السلم من بعد ما جاءتكم البينات الايات والحجج الشاهدة على انه الحق فاعلموا ان الله عزيز
لا يعجزه الانتقام حكيم لا ينتقم الا بالحق هل ينظرون استفهام في معنى النفي ولذلك
جاء بعده الا ان ياتيهم الله اي ياتيهم امره او باسه لقوله او ياتي امر ربك فجاءهم باسنا
او ياتيهم الله بباسه فحذف المأتي به للدلالة عليه بقوله ان الله عزيز حكيم في ظلل جمع ظلة
كقلة وقلل وهي ما اظلك وقرئ ظلال كقلال من الغمام السحاب الابيض وانما ياتيهم العذاب
فيه لانه مظنة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان اقطع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب
كان اصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير والملائكة فانهم الواسطة في اتيان امره او الاتيان
على الحقيقة بباسه وقرئ بالجر عطفاً على ظلل او الغمام وقضي الامر انتم امر اهلاكهم وفرغ
منه وضع الماضي موضع المستقبل وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفاً على الملائكة والى
الله ترجع الامور قراءة ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم على انه من الرجع وقراء الباقون على البناء

للفاعل بالتانيث غير يعقوب على انه من الرجوع وقرئ ايضا بالتذكير وبناء المفعول سل
بني اسرائيل امر للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد والمراد بهذا السؤال تقريعهم كم
اتيناهم من اية بينة معجزة ظاهرة او اية في الكتب شاهدة على الحق والصواب على يدي
الانبياء وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء
على حذف العائد من الخبر الى المبتدا او اية مميزها ومن للفصل ومن يبدل نعمة الله اي اية الله
بعد معرفتها فانها سبب للهدى الذي هو اجل النعم بجعلها سبب الضلالة ازدياد الرجل
وبا التحريف والتاويل الزايغ من بعد ما جاءته بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه
تعريض بانهم بدلوها بعد ما عقلوها وكذلك قيل تقديرين فبدلوها ومن يبدل فان الله
شديد العقاب فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اشد جرم زين للذين كفروا الحيوة
الدنيا وحسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حيث تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها
والمزين في الحقيقة هو الله اذ ما من شيء الا هو فاعله ويدل عليه قراءة زين على البناء للفاعل
وكل من الشيطان والقوة الحيوانية واخلق الله فيها من الامور البهية والاشياء الشهية
مزين بالعرض ويسخرون من الذين امنوا يريد فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب
اي يستذلونهم ويستهزؤن بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتداء
كانهم جعلوا مبدأ السخرية منهم والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة لانهم
في اعلا عليين وهم في اسفل السافلين او لانهم في كرامة وهم في مذلة او لانهم يتطاولون
عليهم فيسخرون منه كما سخروا منهم في الدنيا وانما قال والذين اتقوا بعد قوله من الذين
امنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاهم للتقوى والله يرزق من يشاء في الدارين بغير
حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا ان وابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة
متفقين على الحق فيما بين ادم وادريس او نوح او بعد الطوفان او متفقين على الجهالة
والكفر في فترة ادريس ونوح فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين اي اختلفوا فبعث
الله وانما حذفت لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذي علمته من عدد الانبياء مائة
واربعة وعشرون الفا والرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر والمذكور في القران باسم العلم
ثمانية وعشرون وانزل معهم الكتاب يريد به الجنس ولا يريد به انه انزل مع كل واحد كتابا
يخصه فان اكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم وانما كانوا ياخذون بكتب من قبلهم بالحق حال
من الكتاب اي ملتبسا بالحق شاهدا به ليحكم بين الناس الله او النبي المبعوث او كتابه فيما
اختلفوا فيه في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه في الحق والكتاب
الا الذين اوتوه اي الكتاب المنزل لان الة الخلاف اي عكسوا الامر فجعلوا ما انزل صريحا
للاختلاف سببا لاستحكامه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما
لحرصهم على الدنيا فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه اي للحق الذي اختلفوا فيه من
اختلف من الحق بيان لما اختلفوا فيه باذنه بامره وبارادته ولطفه والله يهدي من يشاء
الى صراط مستقيم لا يضل سالكه ام حسبتم ان تدخلوا الجنة خاطب به النبي والمومنين
بعده بعد ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجيء الايات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفتهم
وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها للانكار ولما ياتكم واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع
ولذلك جعل مقابل قد مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التي هي مثل في الشدة مستتهم لبأساء
والضراء بيان له على الاستيناف وزلزلوا فزعوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد حتى
يقول الرسول والذين امنوا معه لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر

وقرأ نافع يقول بالرفع على انها حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى لا يرجونه متى نصر الله
استطالة لتاخره الا ان نصر الله قريب واستيئسنا على ارادة القول ليقع لهم ذلك اسعافا
لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وفيه اشارة الى ان الوصول الى الله والفوز بالكرامة عنده برفض
الهوى واللذات، ومكابدة الشدائد والرياضات، كما قال عليه الصلاة والسلام حفت الجنة
بالمكاره وحفت النار بالشهوات يسئلونك ماذا ينفقون عن ابن عباس رضي الله عنه ان عمرو
ابن الجموح الانصاري كان هما ذا مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها
فنزلت قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل
سأل عن المنفق فاجيب ببيان المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة باعتبار ولانه كان
في سؤال عمرو وان لم يكن مذكورا في الآية واقتصر في بيان المنفق على ما تضمنه قوله وما انفقتم وما
تفعلوا من خير في معنى الشرط فان الله به عليم جوابه اي لفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفي
ثوابه وليس في الآية ما ينافيه فرض لتنسخ به كتب عليكم القتال وهو كره لكم شاق عليكم مكروه
طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة او فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح على انه لغة فيه كالضعف
والضعف او بمعنى الاكراه على المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته كقوله تعالى حملته
امه كرها ووضعته كرها وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوا به فان الطبع
يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا
عنه فان النفس تحبه وتهواه وهو يفضي بها الى الردى وانما ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت
تنعكس الامر عليها والله يعلم ما هو الخير لكم وانتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل على ان الاحكام تتبع
المصالح الراجحة وان لم يعرف عينها يسئلونك عن الشهر الحرام روي انه عليه الصلاة والسلام
بعث عبد الله بن جحش بن عمته على سرية في جمادي الاخر قبل بدر بشهرين ليترصد عيرا
لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير
وفيها تجارة الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنون من جمادي فقالت قريش استحل
محمد عليه الصلاة والسلام الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخائف ويبذ عر فيه الناس الى معايشهم
وشق على اصحاب السرية وقالوا ما نرجو حتى تنزل توبتنا وردد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير
والاسارى وعن ابن عباس لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة وهي اول غنيمة
والسايلون هم المشركون كتبوا اليه في ذلك تشنيعا وتعييرا وقيل اصحاب السرية قتال فيه بدل
اشتمال من الشهر وقرئ عن قتال فيه بتكرير العامل قل قتال فيه كبير اي ذنب كبير والاكثر
على انه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو شيخ الخاص بالعام
وفيه خلاف والاولى دلالة الاية على حرمة القتال في الشهر الحرام مطلقا فان قتال فيه نكرة في حيز
مثبت فلا تعم وصد صرف ومنع عن سبيل الله اي الاسلام وما يوصل العبد الى الله من الطاعات
وكفر به بالله والمسجد الحرام على ارادة المضاف اي وصد المسجد الحرام كقوله ايي داود

كل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا

ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به على وصد مانع منه اذ لا يقدم العطف على
الموصول على العطف على الصلة ولا على الهاء في قوله به فان العطف على الضمير المجرور انما يكون
باعادة الجار واخراج اهله منه اهل المسجد وهم النبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنون اكبر
عند الله مما فعلته السرية خطاء وبناء على الظن وهو خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة من
كبائر قريش وافعل مما يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة اكبر من القتل
اي ما يتكونه من الاخراج والشرك اقطع مما ارتكبوه من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم

حتى يردوكم عن دينكم اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وانهم لا يتفكون عنها حتى يردوهم عن
دينهم وحتى للتعليل كقولك اعبد الله حتى ادخل الجنة ان استطاعوا وهو استبعاد
لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على قرنه ان ظفرت بي فلا تبق علي وايذان بانهم لا يردونهم
ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم قيد الردة بالموت
عليها في احباط الاعمال كما هو مذهب الشافعي والمراد بها الاعمال النافعة وقرئ بالفتح وهو
لغة فيه في الدنيا لبطلان ما تحلوه وفوات ما للاسلام من الفوايد الدنيوية والاخرة بسقوط
الثواب واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون كسائر الكفرة ان الذين امنوا نزلت ايضا
في السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر والذين هاجروا وجاهدوا في
سبيل الله كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد كانهما مستقلان في تحقيق الرجاء اولئك
يرجون رحمت الله ثوابه اثبت لهم الرجاء اشعارا بان العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة
سيما والعبرة في الخواتيم والله غفور لما فعلوا خطاء وقلة احتياط رحيم باجزال الثواب والاجر
يسئلونك عن الخمر والميسر روي انه نزل بمكة قوله تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون
منه سكرا فاخذ المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا اتيا نفرا من الصحابة فقالوا افتنا يا رسول
الله في الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الاية فشربها قوم وتركها اخرون ثم دعى عبد
الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا فسكروا فاقام احدهم قراءة اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا
الصلاة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعى عتبان بن مالك سعد بن ابي وقاص فنفر
فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري
بلحي بعير فشجه فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه اللهم بين لنا بيانا شافيا
في الخمر فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب والخمر في الاصل
مصدر خمره اذا ستره سميت بها عصير العنب والتمر اذا اشتد وغلا كانه يخمر العقل كما سكر
الا انه يسكره اي يجزه وهي حرام مطلقا ولذا كل ما اسكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة
نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر والميسر
ايضا مصدر كالموعد سمي به القمار لانه اخذ مال الغير بيسر او سلب يسار والمعنى يسالونك
عن تعاطيها القول قل فيهما اثم كبير حيث انه يؤدي الى الانتكاب عن الامور وارتكاب المحظور وقرأ
حمزة والكسائي كثير بالثاء ومنافع للناس من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيا
وفي الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفر المروة وتقوية الطبيعة واثمهما اكبر من نفعهما اي المفاسد
التي تنشأ منهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما ولذلك قيل انها محرمة للخمر فان المفسدة اذا
ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل والاظهر انه ليس كذلك لما مر ويسئلونك ماذا
ينفقون قيل سايله ايضا عمرو بن الجموح فسال اولا عن المنفق والمصرف ثم سال عن كيفية
الانفاق قل العفو نقيض الجهد ومنه يقال للارض السهلة وهو ان ينفق ما تيسر له بذله
ولا يبلغ منه الجهد قال

خذي العفو مني تستديمي مودتي ... ولا تنطقي في سورتي حين اغضب

وروي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم فقال
خذها مني صدقة فاعرض عنه حتى كرر مرارا فقال اها انها منا مغضبا فاخذها فحذفها
لو اصابته لشجته ثم قال ياتي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة
عن ظهر غنى وقرا ابو عمرو برفع الواو كذلك يبين الله لكم الايات اي مثل ما بين ان العفو اصلح
من الجهد وما ذكر من الاحكام والكاف في موضع النصب صفة لمصدر محذوف اي تبيينا

مثل هذا التبيين وانما وحد العلامة والمخاطب به جمع على تاويل الجمع المقبل والجمع لعلكم تتفكرون
في الدلايل والاحكام في الدنيا والآخرة من امور الدارين فتاخذون بالاصلح والانفع وتجتنبون
عما يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثر مما ينفعكم ويسئلونك عن اليتامى لما نزلت ان الذين ياكلون
اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق ذلك عليهم فذكروه
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم لاصلاحهم او اصلاح اموالهم
خير من مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم حث على المحافظة لانهم اخوانكم في الدين ومن حق
الاخ ان يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح ووعيد
ووعد لمن خالطهم لافساد او اصلاح اي يعلم امر من يجازيه عليه ولو شاء الله لاعنتكم لاوقعكم
الله اعناتكم لاعنتكم اي كلفكم ما يشق عليكم من العنت وهي المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم ان
الله عزيز غالب يقدر على الاعنات حكيم يحكم ما تقتضيه الحكمة وتتسع له الطاقة ولا تنكحوا
المشركات حتى يؤمن اي لا تتزوجهن وقرئ بالضم اي لا تزوجوهن من المسلمين والمشركات
تعم الكتابيات لان اهل الكتاب يشركون بقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون ولكنها خصت عنها بقوله والمحصنات من
الذين اوتوا الكتاب روي ان عليه الصلاة والسلام بعث مرثدا الغنوي الى مكة ليخرج منها
اناسا من المسلمين فاتته عناق وكان يهواها في الجاهلية فقالت الا تخلو فقال ان الاسلام
حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي فقال نعم ولكن استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلستامره فنزلت ولامة مؤمنة خير من مشركة اي ولامراة مؤمنة حرة كانت او مملوكة
فان الناس عباد الله واماؤه ولو اعجبتكم بحسنها وشمائلها والمراد بالحال ولو تمعنى ان ومملوكة
ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولا تزوجوا منهم المؤمنات حتى يومنوا وهو على عمومه ولعبد
مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم تعليل النهي على عن مواصلتهم وترغيب في مواصلة المؤمنين
اولئك اشارة الى المذكورين من المشركين والمشركات يدعون الى النار اي الكفر المؤدي
الى النار فلا تليق موالاتهم ومصاهرتهم والله يدعو الى اولياءه يعني المؤمنين حذف المضاف
واقام المضاف اليه مقامه تفخيما لشانهم الى الجنة والمغفرة الى الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما
فهم الاحقاء بالمواصلة باذنه بتوفيقه لله وتيسيره او بقضائه وارادته ويبين اياته للناس لعلهم
يتذكرون لكي يتذكروا او ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز في العقول من ميل الخير
ومخالفة الهوى ويسئلونك عن المحيض روي ان اهل الجاهلية كانوا لا يساكنون الحايض ولم
يواكلوها كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سال ابو الدحداح في نفر من الصحابة عن ذلك
فنزلت والمحيض مصدر كالمجيء والمبيت ولعله سبحانه انما ذكر يسئلونك بغير واو ثلاثا ثم بها ثالثا
لان السوالات الاول كانت في اوقات متفرقة والثلاثة الاخيرة كانت في وقت واحد
ولذلك ذكرها بحرف الجمع قل هو اذى والمحيض مصدر اي الحيض مستقذر مؤذ من يقربه
نفرهم منه فاعتزلوا النساء في المحيض فاجتنبوا مجامعتهن لقوله عليه الصلاة والسلام انما
امرتم ان تعتزلوا النساء في مجامعتهن اذا حضن ولم يامر باخراجهن من البيوت لفعل الاعاجم
وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض
وانما وصفه بانه اذى ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بانه العلة ولا تقربوهن حتى يطهرن
تاكيد للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائي
وعاصم في رواية ابن عياش تطهرن اي يتطهرن بمعنى يغتسلن والتزاما قوله فاذا تطهرن
فاتوهن فانه يقتضي جواز الاتيان عن الغسل وقال ابو حنيفة ان طهرت لاكثر الحيض جاز

قربانها قبل الغسل من حيث امركم الله اي المأتي الذي امركم الله به وحلله لكم ان الله يحب
التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار كجامعة الحايض
والاتيان في غير المأتي نساؤكم حرث لكم مواضع حرث شبههن بها تشبيها لما يلقى في ارحامهن من
النطف بالبذور فاتوا حرثكم اي فاتوهن كما تأتون المحارث وهو كالبيان لقوله فاتوهن من
حيث امركم الله اني شئتم من اي جهة شئتم روي ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته
من دبرها في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقدموا
لانفسكم ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطي واتقوا الله بالاجتناب
عن معاصيه واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا لما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين الكاملين في الايمان
بالكرامة والنعيم الدائم امر الرسول صلى الله عليه وسلم ان يبشرهم ويبشر من صدقه وامتثل
امره منهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس نزلت
في الصديق رضي الله عنه لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عايشة رضي الله عنها او
في عبد الله بن رواحة حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته
والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة تطلق لما يعرض دون الشيء وللمعرض للامر ومعنى
الاية على الاول ان لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان
المحلوف عليها كقوله عليه الصلاة والسلام لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها
فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك وان مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها
من معنى الاعتراض ويجوز ان يكون للتعليل ويتعلق ان بالفعل وبعرضة اي ولا تجعلوا
الله عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم به وعلى الثاني ولا تجعلوا الله معرضا لايمانكم فتبتذلونه
بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف يقول له تعالى ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة النهي
اي انهاكم عنه ارادة بركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجتري على الله والمجتري
على الله لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به في اصلاح ذات البين والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم
لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره واللغو
اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان وتكلم به جهلا لمعناه العرب لا والله بلى والله لمجرد
التأكيد لقوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والمعني لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة
بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بما اوجدها بما قصدتم من الايمان وواطأت فيها قلوبكم
السنتكم وقال ابو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعني لا يعاقبكم
بما اخطأتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم به الكذب فيها والله غفور حيث لم يؤاخذ
باللغو حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد تربصا للتوبة للذين يؤلون من نسائهم
اي يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى
البعدة عدي بمن تربص اربعة اشهر مبتدا ما قبله خبره او فاعل الظرف على خلاف سبق
والتربص الانتظار والتوقف اضيف اليه الظرف على الاتساع اي للمولي حق التلبث في هذه المدة
فلا يطالب فيفيء ولا طلاق ولذلك قال الشافعي لا ايلاء في اكثر من اربعة اشهر ويؤيده فان
فاؤ رجعوا في اليمين بالحنث فان الله غفور رحيم للمولي اثم حنثه اذا كفر او ما توجب الايلاء
من ضرار المرأة ونحوه بالمفية التي هي كالتوبة وان عزموا الطلاق وان صمموا قصده فان
الله سميع لطلاقهم عليم بغرضهم فيه قال ابو حنيفة الايلاء في اربعة اشهر فما دونه وحكمه
ان المولي ان فاء في المدة بالوطي ان قدر والا عدان عجز صح الفيء ولزم الواطي ان يكفر والا بانت
بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة باحد الامرين فان ابى عنهما طلق عليه الحاكم والمطلقات

ن

يريد بها المدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلت الايات والاخبار ان حكم غيرهن خلافه وانما ذكر
يتربصن خبر في معنى الامر وتخيير العبارة للتاكيد والاشعار بانه مما يجب ان يتسارع الى
امتثاله وكان المخاطب قصد ان يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك في الدعاء رحمك الله وبناء
على المبتدا يزيده فضل تاكيد بانفسهن تهييج وبعث لهن على التربص فان نفوس النساء طوامح
الى الرجال فامرن بان يقمعنها ويحملنها على التربص ثلاثة قروء نصب على الظرف او المفعول
به اي يتربصن مضي ثلاثة قروء جمع قرء وهو يطلق للحيض لقوله عليه الصلاة والسلام دعي
حيضك ايام اقرائك والطهر الغالب بين الحيضتين كقول الاعشى

موعدة ما وفى لحي رفعة لما ضاع فيها من قروء نسائكا

واصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به في الآية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما
قالت الحنفية لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اي وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون
في الحيض واما قوله عليه الصلاة والسلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم
ما رواه الشيخان في قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم ان شاء امسك بعد
وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله تعالى ان يطلق لها النساء وكان القياس
ان يذكر بصيغة القلة التي هي الاقراء ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد
من البنائين مكان الاخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن
بناؤها ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الولد والحيض استعجالا في العدة
وابطالا لاحق الرجعة وفيه دليل على ان قولها مقبول في ذلك ان كن يؤمن بالله واليوم
الاخر ليس المراد منه تعقيب الحكم بايمانهن بل التنبيه على انه ينافي الايمان وان المومن لا يجتري
عليه ولا ينبغي له ان يفعل وبعولتهن اي ازواج المطلقات احق بردهن الى النكاح
والرجعة اليهن ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للاية التي تتلوها والضمير اخص من الرجوع
اليه ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء لتانيث
الجمع كالعمومة والخؤولة او مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به واقيم مقام المضاف
المحذوف اي واهل بعولتهن وانما ذكرهما بمعنى الفاعل في ذلك اي في زمن التربص ان
ارادوا اصلاحا بالرجعة لا اضرارا بالمراجعة وليس المراد منه شرطية قصد الاصلاح للرجعة
بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرر ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف لهن من الحقوق
على الرجال مثل حقوقهم عليهن في الوجوب واستحقاق المطالبة عليها لا في الجنس وللرجال
عليهن درجة زيادة في الحق وفضل فيه لان حقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها
اوكد وشرف وفضيلة لانهم قوام عليهم وحراس لهن يشاركونهن في غرض الزواج ويخصون
بفضيلة والرعاية والانفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن خالف الاحكام حكيم شرعها
لحكم ومصالح الطلاق مرتان اي التطليق الرجعي مرتان لما روي انه عليه الصلاة والسلام
سئل عن الثالثة فقال عليه الصلاة والسلام او تسريح باحسان وقيل معناه التطليق الشرعي
تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلاث حرام
فامساك بمعروف بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول او تسريح باحسان
بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها حتى يبين وعلى المعنى الاخير حكم مبتدا او خبر مطلق
عقيب تعليمهم كيفية التطليق ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا اي من الصداق
روي ان حبيبة بنت سهل كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس
فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اسبه

في دين

في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء
فرايتهم اقبل في عدة وايدا هاشدهم سوادا واقصرهم قامة وافبحهم وجها فنزلت فاختلعت
منه بحديقة اصدقها والخطاب مع الحكام واستناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم المرجوع
بها عند الترافع وقيل انه خطاب للازواج وما بعده خطاب الحكام وهو يشوش النظم
على القراءة المشهورة **الا ان يخافا** اي الزوجان وقري يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف
الخوف بالظن **الا يقيما حدود الله** بترك اقامة احكامه من موجب الزوجية وقراء
حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وابدال ان يصلته عن الضمير بدل الاشتمال
وقري تخافا وتقيما بتاء الخطاب **فان خفتم** ايها الحكام **الا يقيما حدود الله فلا جناح**
عليهما فيما افتدت به علي الرجل فيما افتدت به نفسها واختلعت وعلي المراة في اعطايه
تلك حدود الله اشارة الي ما حدّ من الاحكام **فلا تعتدوها** اي فلا تتعدوها بالمخالفة
ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة في التهديد
واعلم ان ظاهر الاية يدل علي ان الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا يجمع
ما ساق الزوج اليها فضلا عن الزايد ويؤيد ذلك قوله عليه الصلاة والسلام قال
لجميلة اترددين عليه حديقته فقالت اردّها وازيد عليها فقال عليه الصلاة والسلام
اما الزايد فلا والجمهور استكرهوه ولكن تعدوه فان المنع عن العقد لا يدل علي فساده
وانه يصح بلفظ الفداة فان سماه افتداء واختلف في انه اذا جري بغير لفظ الطلاق
هل هو فسخ او طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله **فان طلقها** فان تحقيبة الخلع بعد
ذكر الطلقتين يقتضي ان يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والاظهر انه طلاق
لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله فان طلقها متعلق بقوله الطلاق
مرتان تفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة علي ان الطلاق
يقع مجانا تارة وبعوض اخري والمعني فان طلقها بعد الثنتين **فلا تحل له من بعد** من
بعد ذلك الطلاق **حتي تنكح زوجا** حتي تتزوج غيره والنكاح يستدعي الكل منهما
كالتزوج وتعلق ظاهره من اقتصر علي العقد كابن المسيب واتفق الجمهور علي انه لا بدّ
من الاصابة لما روي انّ امرأة رفاعة قالت لرسول الله صلي الله عليه وسلم انّ رفاعة طلقني
فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وانا معه مثل هدبة الثوب فقال رسول
الله صلي الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الي رفاعة لا حتي تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك
فالاية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل ان يفسّر النكاح بالاصابة ويكون العقد مستفاد
من لفظ الزوج والحكمة في هذا الحكم الردّ عن التسريح الي الطلاق والعود الي المطلقة
ثلاثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوّزه ابو حنيفة رضي
الله عنه مع الكراهة وقد لعن رسول الله صلي الله عليه وسلم المحلل والمحلل له **فان طلقها**
الزوج الثاني **فلا جناح عليهما ان يتراجعا** ان يرجع كل من المراة والزوج الاول الي
الاخر بالزواج **ان ظنا ان يقيما حدود الله** ان كان في ظنهما انهما يقيمان ما حدّ الله وشرعه
من حقوق الزوجية وتفسير الظنّ بالعلم هيهنا غير سديد لانّ عواقب الامور غيب
تظنّ ولا تعلم ولا يقال علمت ان يقوم زيد لانّ انّ الناصبة للتوقع وهو بيان في العلم
وتلك حدود الله التي الاحكام المذكورة **يبينها لقوم يعلمون** يفهمون ويعلمون
بمقتضي العلم **واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن** اي اخر عدتهن والاجل يطلق للمدة
ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الذي به ينتهي قال

كل حي مستكمل مدة العمر ومؤداه انتهاء اجله
والبلوغ هو الوصول الى الشيء يقال للمدنو منه على الاتساع وهو المراد في الآية لي هالك لصح
ان يترتب عليه فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اذ الامساك بعد انقضاء
الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن حتى تنقضي عدتهن من غير
تطويل وهو اعادة الحكم في بعض صوره للاهتمام به ولا تمسكوهن ضرارا ولا
تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الاجل ثم يراجعها
لتطول العدة عليها فنهي عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة او الحال
بمعنى مضارين لتعتدوا لتظلموهن بالتطويل او الاجاء الى الافتداء واللام متعلقة
بالضرار اذ المراد تقييده ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا
ايات الله هزوا بالاعراض عنها والتهاون بالعمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الامر
انما انت هازئ كانه نهي عن الهزء واراد به الامر بضده وقيل كان الرجل يتزوج
ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه عليه الصلاة والسلام ثلاث جدهن
جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها
الهداية وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم بالشكر والقيام بحقوقها وما انزل عليكم
من الكتاب والحكمة القرآن والسنة افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما يعظكم
به بما انزل عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم تاكيد وتهديد بعد
واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن وعن الشافعي دل سياق
الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن المخاطب
بها الاولياء لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جملا ان ترجع الى
زوجها الاول بالاستيناف فيكون دليلا على ان المراة لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه
لم يكن لعضل الولي معنى ولا يعارض باسناده النكاح النهي لانه بسبب توقفه
على اذنهن وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضي العدة ولا يتركونهن
يتزوجن عدوانا وظلما وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم وقيل الاولياء والازواج وقيل
الناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد بينهم وهم راضون
به كانوا كالفاعلين والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشبت
بيضتها فلم تخرج اذا تراضوا بينهم اي الخطاب والنساء وهو ظرف لان ينكحن او لا
تعضلوهن بالمعروف بما يعرفه الشرع وتستحسنه المروءة حال عن الضمير المرفوع
او صفة مصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل عن
التزويج من غير منهي ذلك اشارة الى ما مضى ذكره والخطاب للجمع على تاويل
القبيل او كل واحد وان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون
تعيين المخاطبين وللرسول على طريقة قوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء للدلالة على
ان حقيقة المشار اليه لا يكاد يتصور كل احد يوعظ به من كان منكم يومن
بالله واليوم الآخر لانه المتعظ به والمنتفع ذلكم اي العمل بمقتضى ما ذكر ازكى لكم
النفع واطهر من دنس الاثام والله يعلم ما فيه من النفع والصلاح وانتم لا تعلمون
لقصور علمكم والوالدات يرضعن اولادهن امر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه
الندب او الوجوب فيختص بمن لم يرتضع الصبي الا من امه او لم يوجد له ظئر او عجز
الوالد عن الاستيجار والوالدات يعم المطلقات وغيرهن وقيل مختص بهن اذ الكلام

فهن حولين كاملين اكدهما بصفة الكمال لانه مما يتسامح فيه لمن اراد ان يتم الرضاعة
بيان للمتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة او متعلق بيرضعن فان الاب
يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له وهو دليل على ان اقصى مدة الارضاع
حولان ولا عبرة بما بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنه وعلى مولود له اي الذي يولد
له يعني الوالد فاب الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى
المقتضي لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن
واختلف في استيجار الام فجوزه الشافعي ومنعه ابو حنيفة ما دامت زوجة او معتدة
نكاح بالمعروف حسب ما يراه الحاكم ويفي به وسعه لا تكلف نفس الا وسعها
تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف دليل على انه تعالى لا يكلف لعبد بما لا يطيقه
وذلك لا يمنع امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل له وتقرير
اي لا يكلف منهما الآخر ما ليس في وسعه ولا يضار بسبب ولد وقراءة ابن كثير وابي
عمرو ويعقوب لا تضار بالرفع بدلا عن قوله لا تكلف واصله على القراءتين تضارر
بالكسر على البناء للفاعل والفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى
تضر والباء من صلته اي لا الوالدان بالولد فيفرط في تعهده ويقصر فيما ينبغي له وقرئ
لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضار يضير
واضافة الولد اليهما تارة والية اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على حقيق بان يتفقا
على استصلاحه والاشفاق فلا ينبغي ان يضرا به ويتضارا بسببه وعلى الوارث
مثل ذلك عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض
والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبي اي مؤن المرضعة من ماله اذا مات الاب
وقيل الباقي من الابوين من قوله واجعله الوارث منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعي
رضي الله عنه اذ لا نفقة فيما عدا الولاد وقيل وارث الطفل والية ذهب ابن ابي ليلى
وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله وقيل عصابته وبه قال
ابو زيد وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة فان ارادا فصالا
عن تراض منهما وتشاور لي فصالا صادرا عن التراضي منهما والتشاور بينهما قبل الحولين
والتشاور والمشاورة والمشورة استخراج الراي من شرت العسل اذا استخرجته
فلا جناح عليهما في ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذرا ان يقدم
احدهما على ما يضر به لغرض وغيره وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي تسترضعوا
المراضع اولادكم يقال رضعته المراة الطفل واسترضعتها اياه كقولك كالت الله
حاجتي واستنجحته اياها فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه فلا جناح عليكم
فيه واطلاقه يدل على ان يسترضع للولد ومنع الزوجة من الارضاع اذا سلمتم الى المراضع
ما اتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة وقراءة ابن كثير ما اتيتم من اتى
اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اي ما اتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة بالمعروف
صلة سلمتم اي الوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله
وليس اشتراط التسليم بجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو الاولى والاصلح للطفل واتقوا
الله مبالغة بالمحافظة على ما شرع في امر الاطفال والمراضع واعلموا ان الله بما تعملون
بصير حث وتهديد والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن
اربعة اشهر وعشرا اي وازواج الذين والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا

جنة

يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اي يستوفون
اجالهم وتانيث العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور والايام ولذلك لا يستعملون
التذكير في مثله قط ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له قوله تعالى
ان لبثتم الا يوما ولعل المقتضي لهذا التقدير ان الجنين في غالب الامر يتحرك لثلاثة
اشهر ان كان ذكرا او لاربعة ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر
استظهارا اذ ربما تضعف حركته في المبادي فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي
المسلمة والكتابية فيه كما هو للشافعي والحرة والامة كما قاله الاصم والحامل وغيرها
لكن القياس اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله تعالى واولات
الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن علي وابن عباس رضي الله عنهما انها تعتد باقصى
الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة
والمسلمون جميعا فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب وسائر ما حرم عليها بالعدة
بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع ومفهومه انهن لو فعلن بما ينكره الشرع فعليكم
ان ينكروهن فان تصروا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فيجازيكم عليه ولا
جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء التعريض والتلويح ايهام المقصود
بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السايل جيئتك لاسلم عليك والكناية هي الدلالة
على الشيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف
والخطبة بالضم والكسر اسم للحالة غير ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة
بطلب المراة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها انك جميلة او ناقة
ومن غرضي ان اتزوج وبخو ذلك او اكننتم في انفسكم او اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه
تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن
محذوف دل عليه ستذكرونهن وفيه نوع توبيخ ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن
محذوف دل عليه ستذكرونهن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا وجماعا
عبر بالسر عن الوطي لانه مما يسر ثم عن العقد لانه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن
في السر المواعدة يستهجن الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا
والمستثنى منه محذوف اي لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة معروفة او الا مواعدة
بقول معروف وقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لاداية الى قولك لا تواعدوهن
الا التعريض وهو غير موعود فيه دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها
ان كانت معتدة وفاة واختلف في معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه ولا تعزموا
عقدة النكاح ذكر العزم مبالغة في النهي عن العقد اي لا تعزموا عقدة عقدة
النكاح وقيل معناه لا تقطعوا عقد النكاح فان اصل العزم القطع حتى يبلغ
الكتاب اجله حتى ينتهي ما كتب من العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم
من العزم مما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموه واعلموا ان الله غفور لمن عزم ولم يفعل
خشية من الله حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة من مهر وقيل
من مهر لانه لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر النهي
عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفى ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اي يجامعوهن
وقراء حمزة والكسائي تماسوهن بضم التاء ومد الميم في جميع القرآن او تفرضوا
لهن فريضة الا ان تفرضوا وحتى تفرضوا والفرض تسمية المهر فريضة نصب على المفعول

به فعلية بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر
والمعنى ان لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم
لها مهر واما اذا كانت ممسوسة فعليه المسمى او مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة
ولكن سمي لها فلها نصف المسمى فنطوق الاية ينفي الوجوب في الصورة الاولى ومفهو
يقتضي الوجوب على الجملة في الاخريين ومتعوهن عطف على مقدر اي فطلقوهن
ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى راي
الحاكم ويؤيد قوله على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اي على كل من الذي له سعة
والمقتر الضيق الحال ما يطيقه ويليق به ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام طلق
امراته المفوضة قبل ان يمسها متعها بقلنسوتك وقال ابو حنيفة هي درع وملحفة
وخمار على حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها عن ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم
الاية يقتضي مفهوم تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التي لم يمسها الزوج والحق بها
الشافعي في احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم وقراء
حمزة والكسائي وحفص وابن ذكوان بفتح الدال متاعا اي تمتيعا بالمعروف بالوجه
الذي يستحسنه الشرع والمروة حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اي حق ذلك
حقا على المحسنين الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات
بالتمتيع وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان
تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم لما ذكر حكم المفوضة
اتبعه حكم قسيمها اي فلهن او فالواجب نصف ما فرضتم لهن وهو دليل على ان الجناح
المنفي ثمة سعة المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها الا ان يعفون اي
المطلقات فلا ياخذن شيئا والصيغة تحتمل التذكير والتانيث والفرق ان الواو
في الاول ضمير والنون علامة الرفع وفي الثاني لام الفعل والنون ضمير الفعل مبني
ولذلك لم يؤثر فيه ان ههنا ونصب المعطوف عليه او يعفو الذي بيده عقدة النكاح
اي الزوج المالك لعقده وحله عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كملا وهو
مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر للزوج بنفسه واليه ذهب بعض
اصحابنا والحنفية وقيل الولي الذي يلي عقد نكاحهن وذلك اذا كانت المراة صغيرة
وهو قول قديم للشافعي وان تعفوا اقرب للتقوى يؤيد للوجه الاول وعفو الزوج
على وجه التخيير ظاهر وعلى وجه الاخر عبارة عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوا اما
على المشاكلة واما لانهم يسوقون المهر الى النساء عند التزوج فمن طلق المسيس استحق
استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفى عنه وعن جبير بن مطعم انه تزوج امراة
وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو ولا تنسوا الفضل
بينكم اي ولا ينسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ان الله بما تعملون بصير لا يضيع
تفضلكم واحسانكم حافظوا على الصلوات بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل
الامر بها في تضاعيف احكام الاولاد والازواج ليدل على ان اشتغالهم بشانهم عنها
والصلوة الوسطى اي الوسطى بينها والفصل منها خصوصا صلاة العصر لقوله عليه
الصلوة والسلام يوم الاحزاب شغلونا عن صلاة العصر ملا الله بيوتهم نارا
وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلاة الظهر لانها
في وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم فكانت افضل لقوله عليه الصلاة والسلام

افضل العبادات اخمزها اي اشقها قيل الفجر لانها بين صلاتي الليل والنهار والواقعة
في المشترك بينهما ولانها مشهودة وقيل المغرب لانها المتوسطة بالعدد ووتر النهار
وقيل العشاء لانها بين جهريتين واقعتين طرفي الليل وعن عايشة انه عليه الصلاة
والسلام كان يقرأ والصلاة الوسطى وصلاة العصر فتكون صلاة من الاربع خصت
بالذكر مع العصر لانفرادها بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص وقوموا لله
في الصلوة قانتين ذاكرين له في القيام والقنوت الذكر فيه وقال خاشعين وقال
ابن المسيب المراد به القنوت في الوتر الصبح فان خفتم من عدو وغيره فرجالا او ركبانا
فصلوا راجلين وراكبين فرجال جمع راجل او رجل بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل
على وجوب الصلاة حال المسايفة واليه ذهب الشافعي وقال ابو حنيفة لا يصلي حال المشي
والمسايفة بل مالم يمكن فاذا امنتم فزال خوفكم فاذكروا الله صلوا صلاة الامن
او اذكروه على الامن كما علمكم ذكر مثل ما علمكم من الشرايع وكيفية الصلاة حال
الخوف والامن او شكرا بوازيه وما مصدرية او موصولة ما لم تكونوا تعلمون مفعول
علمكم والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم قرأها النصب
ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون
وصية او ليوصوا وصية او كتب الله عليهم وصية او الزم الذين يتوفون وصية ويؤيد
ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكانه وقراء الباقون بالرفع
على تقدير وصية الذين يتوفون او فحكمهم وصية او والذين يتوفون اهل وصية
او كتب عليهم وصية او عليهم وصية وقرئ متاع بدلها متاعا الى الحول نصب
بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية او بمتاع على قراءة من قرأه لانه بمعنى التمتيع
غير اخراج بدل منه او مصدر مؤكد كقولك غير ما تقول او حال من ازواجهم
اي غير مخرجات والمعنى انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان يحتضروا
لازواجهم بان يمتعن من بعدهم حولا بالسكنى وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت
المدة باربعة اشهر وعشر او هو ان كان متقدما في التلاوة فهو متاخر في النزول
وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لابي
حنيفة رحمه الله فان خرجن فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن
من التطيب وترك الحداد من معروف ما لم ينكره الشرع
وهذا يدل على انه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة
بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركها والله عزيز ينتقم ممن خالفه منهم
حكيم يراعي مصالحهم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين اثبت
المتعة للمطلقات جميعا بعدما اوجبها للواحدة منهن وافراد بعض العام بالحكم لا يخصصه
الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة ولو غير
مما يعم التمتيع الواجب والمستحب وقال قوم المتاع نفقة العدة ويجوز ان يكون
اللام للعهد والتكرير للتاكيد او للتكرير القضية لذلك اشارة الى ما سبق من احكام
والعدد يبين الله لكم اياته وعد بانه سيبين لعبادة من الدلايل والاحكام ما يحتاجون
اليه معاشا ومعادا لعلكم تعقلون لعلكم تفهمونها فتستعملون العقل فيها الم
تر تعجب وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ وقد يخاطب به
من لم ير ولم يسمع فانه صار مثلا في التعجب الى الذين خرجوا من ديارهم يريد اهل

داوردان قرية قيل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا
ويتيقنوا ان لا مفرّ من قضاء الله وقدره او قوما من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد
ففرّوا حذر الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف لبضع الوف كثيرة قيل
عشرة وقيل ثمانون وقيل سبعون وقيل متالفون جمع الف او الف كقاعد وقعود
والواو للحال حذر الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا اي قال لهم موتوا فماتوا على
كقول كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بامر الله ومشيته
وقيل ناداهم به ملك وانما اسند الى الله تخويفا وتهويلا ثم احياهم قيل مرّ خرقيل
على اهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب من ذلك فاوحى
الله اليه ان قم وانا باذن الله تعالى فناداي فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك
لا اله الا انت وفائدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض على الشهادة
وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء ان الله لذو فضل على الناس حيث
احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم حالهم لتستبصروا ولكنّ اكثر الناس
لا يشكرون اي لا يشكرونه كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار
وقاتلوا في سبيل الله لما بيّن ان الفرار عن الموت غير مخلص وان المقدر لا محالة
واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففي سبيل الله والا فالنصر والثواب واعلموا
ان الله سميع لما يقوله المتخلف والسابق عليم بما يضمرانه وهو من وراء الجزاء
من ذا الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة الموضع بالابتداء وذا خبره
والذي صفة ذا او بدل له واقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه
قرضا حسنا اقراضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس ومعرضا حلالا لانه
طيب وقيل القرض الحسن الجهاد والانفاق في سبيل الله فيضاعفه له فيضاعف
جزاءه اخرج على صورة المغالبة للمبالغة وقراءة عاصم بالنصب على جواب الاستفهام
حملا على المعنى فان معنى من ذا الذي يقرض الله في معنى اقرض الله احد وقرأ ابن
كثير يضعّفه بالرفع وابن عامر ويعقوب بالنصب اضعافا كثيرة لا يقدرها الا الله
وقيل الواحد بسبعمائة واضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب او المفعول
الثاني لتضمن المضاعفة معنى التصيير والمصدر على ان الضعف اسم المصدر وجمعه
للتنويع والله يقبض ويبسط يقتر على بعض ويوسع على بعض حسبما اقتضت
حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم وقرأ نافع والكسائي والبزي
وابو بكر بالصاد ومثله في الاعراف في الخلق بصطة واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم
الم تر الى الملا من بني اسرائيل الملا جماعة يجتمعون للتشاور لا واحد له كالقوم
ومن للتبعيض من بعد موسى اي من بعد وفاته ومن للابتداء اذ قالوا لنبي لهم
هو يوشع او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله انتهض
لنا اميرا ننهض معه للقتال يدبر امرنا ونصدر في عن رايه وحزمه نقاتل على
الجواب وقرئ بالرفع على انه حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال ونقاتل بالياء
مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف للملكا قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال
الا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى توقع جبنكم عن القتال
ان كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما عما هو المتوقع عنده لتقريره
وتثبتا وقراءة نافع عسيتم بكسر السين قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد

ستبصار

ل

متم

اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي عرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه
ويجب من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت ومعه من
العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بني اسرائيل
فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من اولاد الملوك اربعمائة واربعين
فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم ثلثمائة وثلاثة عشر بعدد اهل بدر
والله عليم بالظالمين وعيدهم على ظلمهم في ترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله
قد بعث لكم طالوت ملكا علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف
بدفعه منع صرف وروي ان نبيهم صلى الله عليه وسلم لما دعى الله ان يملكهم اتى بعصا
يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا اني يكون له الملك علينا من
اين يكون له ذلك علينا ويستكمل ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من
المال والحال انا احق بالملك منه وراثة وكلنة وانه فقير لا مال له يعتضد به وانما
قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا او سقاء او دباغا من اولاد بنيامين ولم
يكن فيهم النبوة في اولاد لاوي بن يعقوب والملك في اولاد يهودا وكان فيهم
من اسبطين خلق قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم
والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم ولما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط
نسبه رد عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله وقد اختاره عليكم وهو اعلم
بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية
وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا في القلوب واقوى على مقاومة العدو ومكابدة
الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده الله فيهما وكان الرجل القائم يمد يده فينال راسه
وثالثا بانه تعالى مالك الملك على الاطلاق فله ان يؤتيه من يشاء ورابعا بانه واسع
الفضل يوسع الفضل على الفقير ويعينه عليهم بمن يليق بالملك من النسب وغيره وقال
لهم نبيهم لما طلبوا منه حجة على انه سبحانه اصطفى طالوت وملكه عليهم ان آية
ان يأتيكم التابوت الصندوق فعلوت من الكوب فانه لا يزال يرجع اليه ما يخرج
منه وليس بفاعول لقلة نحو سلس وقلق ومن قراءه بالهاء فلعله بدل منه كما ابدل
من تاء التانيث لاشتراكهما في الهمس والزيادة يريد به صندوق التوراة وكان
من خشب الشمشار مموها بالذهب نحو من ثلاثة اذرع في ذراعين فيه سكينة
من ربكم الضمير للاتيان اي في اتيانه سكون لكم وطمانينة او للتابوت اي مودع
فيه ما تسكنون اليه وهو التوراة وكان موسى عليه الصلاة والسلام اذا قاتل قدمه
فتسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون وقيل صورة كانت فيه من زبرجد وياقوت
لها راس وذنب كراس الهرة وذنبها وجناحان فكان فتزف التابوت نحو العدو
وهم يتبعونه فاذا استقر بدتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل فيه صور الانبياء من
ادم الى محمد عليهم الصلاة والسلام وقيل التابوت هو القلب والسكينة ما فيه من العلم
والاخلاص واتيانه تصيير قلبه مقر العلم والوقار بعدان لم يكن وبقية مما ترك
ال موسى وال هرون رضاض الالواح وعصي موسى وثيابه وعمامة هارون والهما
ابناءهما وانفسهما والال مقحم لتفخيم شانهما او انبياء بني اسرائيل لانهم ابناء عمهما
تحمله الملائكة قيل رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل
كان بعد مع انبيائهم يستفتحون به حتى افسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان في ارض جالوت

الى ان ملك طالوت فاصابهم بلاء حتى هلكت خمس مدائن فتشاءموا بالتابوت فوضعوه
على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مومنين يحتمل
ان تكون من تمام كلام النبي وان يكون ابتداء خطاب من الله تعالى فلما فصل طالوت
بالجنود انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة واصل فصل لنفسه عنه ولكن كثر حذف
منفعول له صار كاللازم مروي انه قال لهم لا يخرج معي الا الشاب النشيط الفارغ
ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا فسألوا مفازة وسألوا ان يجري
الله لهم نهرا قال ان الله مبتليكم بنهر معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه
فمن شرب منه فليس مني فليس من اشياعي واوليائي بمتحد مني ومن لم يطعمه فانه مني
اي من لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ماكولا او مشروبا قال
وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا
وانما علم بالوحي ان كان نبيا كما قيل او خبر
النبي الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن شرب وانما قدمت عليه الجملة
الثانية للعناية بها كما قدم الصابئون على الخبر في قوله ان الذين امنوا والذين هادوا
والمعنى الرخصة في القليل دون الكثير وقراء ابن عامر والكوفيون بضم الغين فشربوا
منه الا قليلا منهم ليفكر عوامه اذ الاصل في الشرب منه الان يكون بوسط وتميم
الاول لتتصل الاستثنا او افرطوا في الشرب الا قليلا منهم وقرئ بالرفع حملا على المعنى
فان قوله فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا
وقيل ثلاثة الاف وقيل الفا روي انه من اقتصر على الغرفة كفته لشربه وداوته
ومن لم يقتصر غلب عليه عطشه واسودت شفته ولم يقدر ان يمضي وهذا الدنيا
لقاصد الاخرة فلما جاوزه هو والذين امنوا معه اي القليل الذين لم يخالفوه
قالوا اي بعضهم لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم
قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله اي قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء
الله وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله وقيل هم القليل
الذين ثبتوا معه والضمير في قالوا للكثير المنعزلين عنه اعتذارا في التخلف
وتحذيلا للقليل وكانهم تقاولوا به والنهر بينهم كم من فئة قليلة غلبت
فئة كثيرة باذن الله بحكمه وتيسيره وكم يحتمل الاستفهام والخبر من مبينة
او مزيدة والفئة الفرقة من الناس من فاوت رأسه اذا شققته ومن فاء اذا رجع
فوزنها فعة او فلة والله مع الصابرين بالنصر والاثابة ولما برزوا لجالوت
وجنوده اي ظهروا لهم ودنوا منهم قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا
وانصرنا على القوم الكافرين التجاوا الى الله بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سالوا
اولا افراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب
المسبب منه ثم النصر على العدو المرتب عليه غالبا فهزموهم باذن الله فكسروهم
بنصر او مصاحبين نصر اياهم اجابة لدعائهم وقتل داود جالوت قيل كان
ابوه ايشا في عسكر طالوت مع مسنة من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا
يرعى الغنم فاوحى الله الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وكان قد
كلمه في الطريق ثلاثة احجار وقالت له انك بها تقتل جالوت فحملها في مخلاته ورماه
بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته واتاه الله الملك اي ملك بني اسرائيل ولم يجمعوا
قبل داود على ملك والحكمة النبوة وعلمه مما يشاء كالسرد وكلام الدواب والطير

لانه ينفخ الفؤاد ويبرد
التفاح الماء العذب والبرد النوم

ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل
على العالمين ولولا انه تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار
ويكف بهم فسادهم لغلبوا وافسدوا في الارض او لفسدت الارض بشؤمهم وقراءة
نافع هنا وفي الحج دفاع الله تلك ايات الله اشارة الى ما قص من حديث الالوف وتمليك
طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت نتلوها عليك بالحق
بالوجه المطابق الذي لا يشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ وانك لمن المرسلين
لما اخبرت بها من غير تعرف وسماع تلك الرسل فضلنا اشارة الى الجماعة المذكورة
قصصها في السورة والمعلومة للرسول او جماعة الرسل واللام للاستغراق فضلنا
بعضهم على بعض بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره منهم من كلم الله تفضيل
له وهو موسى وقيل موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام كلم موسى ليلة الحيرة وفي
الطور ومحمد ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما نون بعيد وقرئ
كلم الله موسى وكلم الله بالنصب فانه كلم الله كما ان الله كلمه ولذلك قيل كليم الله اي
بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات بان فضله على غيره بوجوه متعددة وبمزايا
متباعدة وهو محمد صلى الله عليه وسلم فانه خص بالدعوة العامة والحج المتكاثرة والمعجزات
المستمرة والايات المتوافية المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضايل العلمية والعملية
الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شانه كانه المعلم المتعين لهذا الوصف المستغني
عن التعيين وقيل ابراهيم خصصه بالخلة التي هي اعلى المراتب وقيل ادريس لقوله
تعالى ورفعناه مكانا عليا وقيل اولوا العزم من الرسل وآتينا عيسى بن مريم
البينات وايدناه بروح القدس خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى
في تحقير وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها ايات واضحة ومعجزات
عظيمة لم يستجمعها في تعظيمه وغيره ولو شاء الله هدى الناس جميعا ما اقتتل
الذين من بعدهم من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات
الواضحة لاختلافهم في الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن
بتوفيقه التزم دين الانبياء ومنهم من كفر لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله
ما اقتتلوا كرره لتاكيد المعجزات الواضحة لاختلافهم في الدين وتضليل
بعضهم بعضا ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء
عدلا والآية دليل على ان الانبياء متفاوتة الاقدام وانه يجوز تفضيل بعضهم على بعض
لكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيد الله تابعة
لمشيئته خير كان او شرا ايمانا وكفرا يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم
مما اوجبنا عليكم انفاقه من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة
من قبل ان يأتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ
لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يعينكم
عليه اخلاكم او يسامحونكم به ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا حتى
تتكلوا على شفعاء تشفع لكم في حط ما في ذممكم وانما رفعت ثلاثتها مع قصد التعميم لانها
في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
على الاصل والكافرون هم الظالمون يريد والتاركون للزكوة هم الذين ظلموا النفس
اووضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون موضعه تغليظا

وتهديدا

وتهديد لقوله تعالى ومن كفر فمكان من لم يحج وايذانا بان ترك الزكوة من صفات الكفار كقوله ويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة الله لا اله الا هو مبتدا وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير وللنحاة خلاف في انه هل يضمر للاخبر مثل في الوجود او يصح ان يوجد الحي الذي يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناع الفوة والامكان القيوم الدايم القايم بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه لا تاخذه سنة ولا نوم السنة فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع

وسنان اقصده النعاس فرنقت ٭ في عينه سنة وليس بنايم ٭

والنوم يعرض للحيوان من استرخاء عصب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس راسا وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة بقي للتشبيه وتاكيد لكونه حيا قيوما فان من اخذه نعاس او نوم كان ماؤف الحيوة قاصرا في الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجمل الذي بعده له ما في السموات وما في الارض تقرير لقيوميته واحتجاج على تفرده في الحيوة الالوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فهو ابلغ من قوله لله ملك السموات والارض وملن فيهن من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان لكمال شانه وانه لا احد يساويه او يدانيه ويستقل بان يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا عن ان يعاوقه عنادا ومناصبة يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الاخرة او عكسه او ما يحسبونه او ما يعقلونه او ما يدركونه او ما لا يدركونه والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملايكة والانبياء ولا يحيطون بشيء من علمه من معلوماته الا بما شاء ان يعلمهم وعطفه على ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه السموات والارض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ولا كرسي في الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه او ملكه ماخوذ من كرسي العالم والملك وقيل جسم بين يدي العرش ولذلك سمي كرسيا محيطا بالسموات السبع لقوله عليه الصلاة والسلام ما في السموات السبع والارضين السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله للفلك المشهور بفلك البروج وهو في الاصل ما يقعد عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكانه منسوب الى الكرسي وهو الملبد ولا يؤوده ولا يثقله ماخوذ من الاود وهو الاعوجاج حفظهما اي حفظه السموات والارض فحذف الفاعل واضاف المصدر الى المفعول وهو العلي المتعالي عن الانداد والاشباه العظيم المستحقر بالاضافة كلما سواه وهذه الاية مشتملة على امهات المسايل الالهية فانها دالة على انه تعالى موجود واحد في الالهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره اذ القيوم هو القايم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرا عن التغيير والفتور لا يناسب الاشباح ولا يعتريه ما يعتري الارواح مالك الملك والملكوت مبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده الا من اذن له عالم بالاشياء كلها جليها وخفيها كليتها وجزيئها واسع العلم والقدرة كل ما يصح ان يملك ويقدر عليه لا يؤوده شاق ولا يشغله

شأن متعال عما يدركه وهم عظيم لا يحيط به فهم ولذلك قال عليه الصلاة والسلام
ان اعظم اية في القرآن اية الكرسي من قراءها بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو عنه
سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال عليه الصلاة والسلام من قراءة اية الكرسي في دبر كل
صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن
قراءها اذا اخذ مضجعه امنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله
لا اكراه في الدين اذ الاكراه في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه
ولكن قد تبين الرشد من الغي تميز الايمان من الكفر بالايات الواضحة ودلت الدلائل
على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يؤدي الى الشقاوة السرمدية
والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة
ولم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين وهو
اما عام منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب
لما روي ان انصاريا كان له ابنان تنصرا قبل البعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما
وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان او الاصنام او كل ما عبد من دون الله
او صد عن عبادة الله فعلوت من الطغيان قلب لامه ويؤمن بالله بالتوحيد وتصدق
الرسل فقد استمسك بالعروة الوثقى طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من
الحبل الوثيق وهي مستعارة للمتمسك المحقق من النظر الصحيح والرأي القويم لا انفصام
لها لا انقطاع لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرته والله سميع عليم بالاقوال عليم
بالنيات ولعله تهديد على النفاق الله ولي الذين امنوا محبهم ومتولي امرهم والمراد
بهم من اراد ايمانه وثبت عليه انه يؤمن يخرجهم بهدايته وتوفيقه من الظلمات
ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية الى الكفر الى النور
الى الهدى الموصل الى الايمان والجملة خبر بعد خبر او حال من المستكن في الخبر او من
الموصول او منهما او استيناف مبين او مقرر للولاية والذين كفروا اولياؤهم
الطاغوت اي الشياطين او المضلات من الهوى والشيطان وغيرها يخرجونهم
من النور الى الظلمات من النور الذي منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد
والانهماك في الشهوات او من نور اليقينيات الى ظلمات الشكوك والشبهات
وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار
التسبب لا بأي لا تعلق قدرة به اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وعيد
وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين لتعظيم شأنهم الم تر الى الذي حاج
ابراهيم في ربه تعجيب من محاجة نمرود وحماقته ان اتاه الله اي انظره ايتاء
الملك ومدارته الكبر والعتو فحاج لذلك وحمله على المحاجة او حاج لاجله شكرا له
على طريقة العكس كقولك عاديتني لاني احسنت اليك او وقت ان اتاه الله الملك
وهو حجة على منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة اذ قال ابراهيم ظرف حاج او بدل
من ان اتاه على الوجه الثاني ربي الذي يحيي ويميت يخلق الحيوة والموت في الاجسام
وقراءة حمزة ربّ بحذف الياء قال انا احيي وأميت بالعفو عن القتل وقراءة نافع انا
بالالف قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب
اعرض ابراهيم عن الاعتراض من معارضة الفاسد الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على

٢ عينه و
٤

نحو هذا التمويه دفعا للشناعة وهو في الحقيقة عدول عن مثال خفي الى مثال جلي من
مقدوراته التي يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة الى اخرى فلعل نمرود زعم انه
يقدر ان يفعل كل جنس يفعله الله تعالى فنقصه ابراهيم بذلك وانما حمله عليه بطر
الملك وحماقته او اعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه ثم اخرجه ليحرقه
فقال له من ربك الذي تدعوا اليه وحاجه فيه فبهت الذي كفر فصار مبهوتا وقرئ
بهت اي فغلب ابراهيم الكافر والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم
بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج او سبيل النجاة او طريق
الجنة يوم القيمة او كالذي مر على قرية تقديره او رأيت مثل الذي فحذف لدلالة
المرتن عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر
من ان يحصى بخلاف مدعي الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام الم تر الى الذي
حاج او الذي مر وقيل انه عطف محمول على المعنى كانه قيل المر ترى كالذي حاج
او كالذي مر وقيل انه من كلام ابراهيم عليه الصلاة والسلام ذكره جوابا
لمعارضته وتقديره او ان كنت تحي فاحياء يكون كاحياء الذي مر وهو عزير
شرحيا او الخضر وكافرا بالبعث ويؤيده نظمه مع نمرود والقرية بيت المقدس
حين خربه بخت نصر وقيل القرية التي اخرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها
من القري وهو الجمع وهي خاوية على عروشها خالية ساقطة حيطانها على سقوفها
قال اني يحيي هذه الله بعد موتها اعترافا بالقصور عن معرفة طرق الاحياء
واستعظاما لقدرة المحيي ان كان القائل مؤمنا واستبعادا ان كان كافرا واني
في موضع نصب على بمعنى متى او على الحال بمعنى كيف فاماته الله مائة عام
فلبثه الله مائة عام او اماته فلبث ميتا مائة عام ثم بعثه بالاحياء قال كم
لبثت القائل هو الله وساغ ان يكلمه وان كان كافرا لانه امن بعد البعث او شارف
الايمان وقيل ملكا ونبي قال لبثت يوما او بعض يوم كقوله الظان وقيل انه
مات ضحى وبعثه بعد المائة قبل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت
فراى بقية منها فقال او بعض يوم على الاضراب قال بل لبثت مائة عام فانظر
الى طعامك وشرابك لم يتسنه لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة والهاء
اصلية ان قدر لام السنة هاء كما تبين كنت ان قدرت واوا وقيل اصله من الحماء المسنون
فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضي البازي وانما افرد الضمير لان الطعام
والشراب كالجنس الواحد فقيل طعامه تينا او عنبا وشرابه عصيرا او لبنا وكان الكل
على حاله وقراء حمزة والكسائي لم يتسن بغير الهاء في الوصل وانظر الى حمارك كيف
تفرقت عظامه او انظر اليه سالما في مكانه كما ربطته حفظنا له بلا ماء وعلف كما
حفظنا للطعام والشراب من التغير والاول ادل على الحال واوفق لما بعده ولنجعلك
اية للناس اي فعلنا ذلك لنجعلك اية روي انه اتى قومه على حماره وقال انا عزير
فكذبوه فقراء التورية من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن
الله وقيل رجع الى من له كان شابا واولاده شيوخا فاذا احدثهم بحديث قالوا حدث
مائة سنة وانظر الى العظام يعني عظام الحمار او الى الاموات الذين تعجبت من احيائهم
كيف ننشزها كيف نحييها او نرفع بعضها الى بعض ونركبه عليه وكيف منصوب بننشزها
والجملة حال من العظام اي انظر اليها محياة وقراء ابن كثير ونافع ويعقوب ننشرها

قها

ن

من نشر بمعنى انشرهم ثم نكسوها لحما فلما تبين له فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده
تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف
الاول لدلالة الثاني عليه او ما قبله فلما تبين له ما اشكل عليه وقرأ حمزة والكسائي
قال اعلم على الامر والامر بمخاطبة او هو نفسه يخاطبها به على طريقة التبكيت واذ قال ابراهيم
رب ارني كيف تحيي الموتى انما سأل ذلك ليصير عيانا وقيل لما قال نمرود انا احيي واميت قال
له ان احياء الله يرد الروح الى بدنها فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الى
تقرير اخر ثم سأل ربه ان يريه ليطمئن قلبه على الجواب ان سئل عنه مرة اخرى قال اولم
تؤمن باني قادر على الاحياء باعادة التركيب والحيوة قال له ذلك وقد علم انه اعرف
الناس بالايمان ليجيب بما اجاب فيعلم السامعون غرضه قال بلى ولكن ليطمئن قلبي
اي مني بأنك ولكن سألت لازدياد بصيرة وسكون قلب بضامة العيان الى الوحي والاستدلال
قال فخذ اربعة من الطير قيل طاووسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر
بدل الحمامة وفيه ايماء الى ان احياء النفس بالحيوة الابدية انما يتأتى بأماتة حب الشهوات
والزخارف الذي هو صفة الطاووس والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس
وبعد الامل المتصف بهما الغراب والترفع والمسارعة الى الهوى الموسوم بهما الحمام وانما خص
الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان والطير مصدر سمي به او جمع كصحب
فصرهن اليك فاملهن واضممهن اليك لتتأملها وتعرف شياتها ليلا يلتبس
عليك بعد الاحياء وقرأ حمزة ويعقوب فصرهن بالكسر وهما لغتان قال

، ولكن اطراف الرماح تصورها ، وقال

، وفرع يصير الجيد وحف كأنه ، على الليث قنوان الكروم الدوالح ،

وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها مشددة الراء من صرى يصرى اذا جمعه وفصرهن
من التصرية وهي الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اي جزأهن وفرق
اجزاءهن على الجبال التي بحضرتك قيل كانت اربعة وقيل سبعة وقرأ ابو بكر جزءا
بضم الزاي حيث وقع ثم ادعهن اي قل لهن تعالين باذن الله يأتينك سعيا ساعيات
مسرعات طيرانا او مشيا روي انه امر ان يذبحها ويتف ريشها ويقطعها فيمسك
رؤسها ويخلط سائر اجزائها ويوزعها على سائر الجبال ثم يناديهن فعل ذلك
فجعل كل جزء يطير الى الاخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن وفيه
اشارة الى ان من اراد احياء نفسه الحيوة الابدية فعليه ان يعمل على القوى البدنية
فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فيطاوعه مسرعة متيسرة داعيها
داعية العقل والشرع وكفى لك شاهدا على فضل ابراهيم عليه الصلاة والسلام ويمن
الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال انه تعالى راه ما اراد ان يريه في الحال
على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان اماته مائة عام واعلم ان الله عزيز لا يعجز عما يريده
حكيم ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله ويدبره مثل الذين ينفقون اموالهم في
سبيل الله كمثل حبة اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل بادر حبة على حذف
المضاف انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة اسند الانبات الى الحبة
لما كانت من الاسباب كما يسند الى الارض والماء والمنبت على الحقيقة هو الله والمعنى
انه يخرج منها ساق يتشعب منها سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو
تمثيل لا يقتضي وقوعه وقد يكون في الذرة والدخن وفي البر في الاراضي المغلة والله

يضاعف

مقادير الثواب

يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء بفضله وعلى حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن اجله تتفاوت الاعمال في الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل من الزيادة عليم بنية المنفق وقدر انفاقه الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى نزلت في عثمان رضي الله عنه فانه جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف فاتى النبي عليه الصلاة والسلام باربعة الاف درهم صدقة والمن ان يعتد باحسانه على من احسن اليه والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه وثم المنفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما اسند اليه معنى الشرط اي ما بالهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا قول معروف رد جميل ومغفرة وتجاوز عن السائل ونيل مغفرة من الله بالرد الجميل او عفو من السائل بان يعذره ويغتفر رده خير من صدقة يتبعها اذى خبر عنها وانما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة والله غني عن انفاق بمن وايذاء حليم عن معاجلة من يمن ويؤذي بالعقوبة يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى لا تحبطوا اجر ما لكل واحد منهما كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر كابطال المنافق الذي يراءي بانفاقه لا يريد به وجه الله ولا ثواب الاخرة او مماثلين كالذي ينفق رئاء فالكاف في محل النصب على المصدر او الحال ورئاء نصب على المفعول له او الحال بمعنى مراءيا او المصدر لي انفاقا ورئاء فمثله اي مثل المراءي في انفاقه كمثل صفوان كمثل حجر املس عليه تراب فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا املس نقيا من التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون ثوابه والضمير للذي ينفق باعتبار المعنى لان المراد به الجنس او الجمع كما في قوله وان الذي حانت بفلج دماؤهم والله لا يهدي القوم الكافرين الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان الرياء والمن والاذى على الانفاق من صفة الكفار ولا بد للمؤمن ان يجتنب عنها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم وتثبيتا بعض انفسهم على الايمان فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدا من اصل انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال كمثل جنة بربوة اي ومثل نفقة هؤلاء في الزكوة كمثل بستان بموضع مرتفع فان الشجر يكون احسن منظرا وازكى ثمرا وقراءة ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح وقرئ بالكسر وثلاثتها لغات فيها اصابها وابل مطر عظيم القطر فاتت اكلها ثمرها ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل كما اريد بالزوج الواحد في قوله من كل زوجين اثنين وقيل اربعة امثاله ونصبه على الحال اي مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل اي فيصيبها او فالذي يصيبها طل او فطل يكفيها لكرم منبتها ويرود هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله لتعالي لا يضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم اليها من احواله ويجوز ان يكون التمثيل بحالهم عند الله بالجنة على الربوة

ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزايدتين في زلفاهم بالوايل والطل والله بما تعملون بصير
تحذير عن الرياء وترغيب في الاخلاص ايود احدكم الهمزة فيه للانكار ان تكون له
جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات جعل الجنة
منها مع ما فيها من سائر الاشجار تغليبا لها لشرفها وكثرة منافعها ثم ذكر ان فيها
من كل الثمرات ليدل على احتوائها على سائر انواع الاشجار ويجوز ان يكون المراد بالثمرات
المنافع واصابه الكبر لبلوغه كبر السن فانه الفاقة والعالة في الشيخوخة اصعب واللواو
للحال او العطف حملا على المعنى فكانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر
وله ذرية ضعفاء صغار لا قدرة لهم على الكسب فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت
عطف على اصابه او يكون باعتبار المعنى والاعصار ريح عاصف تنعكس عن الارض الى السماء
مستديرة كعمود والمعنى تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها
كرياء وايذاء في الحسرة والاسف اذا كان يوم القيمة واشتدت حاجته اليها وجدها محبطة
بحال من هذا شانه واشبههم به من حال بسرّ الى عالم الملكوت وترقي بفكره الى جانب
الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت الى ما سوى الحق وجعل سعيه هباءً
منثورا كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون ليتفكروا فيها فتعتبروا بها
يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من حلال او جياده ومما اخرجنا
لكم من الارض ومن طيبات ما اخرجنا من الحبوب والثمر والمعادن فحذف المضاف
لتقدم ذكره ولا تيمموا الخبيث منه ولا تقصدوا الرديء منه اي من المال او مما اخرجنا
وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه اكثر وقرئ ولا تؤمموا بضم التاء تنفقون
حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق منه به ويكون الضمير للخبيث والجملة
حالا منه ولستم باخذيه لي وحالكم انكم لا تاخذونه في حقوقكم لرداءته الا ان
تغمضوا فيه الا ان تتسامحوا فيه مجازا من اغمض بصره اذا غضضه وقرئ تغمضوا
اي تتحاملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا
يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا ان الله غني عن انفاقكم وانما امركم
به لانتفاعكم حميد يقبوله واثابته الشيطان يعدكم الفقر في الانفاق والوعد
في الاصل شايع في الخير والشر وقرئ الفقر بالضم والسكون وبضمتين وفتحتين
ويامركم بالفحشاء ويغريكم على البخل والعرب تسمي البخل فاحشا وقيل المعاصي
والله يعدكم مغفرة منه اي يعدكم في الانفاق مغفرة ذنوبكم وفضلا خلفا افضل
مما انفقتم في الدنيا هو في الاخرة والله واسع اي واسع الفضل لمن انفق عليم بنفاقه
يؤتي الحكمة تحقيق العلم واتقان العمل من يشاء مفعول اول اخر للاهتمام بالمفعول
الثاني ومن يوت الحكمة بناء للمفعول لانه المقصود وقراء يعقوب بالكسر اي ومن
يوته الله فقد اوتي خيرا كثيرا اي خيرا كثيرا خيرا الدارين وما يذكر وما يتعظ
بما قص من الايات او وما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما اودع الله في قلبه من العلوم
بالقوة الا اولوا الالباب ذوا العقول الخالصة عن شوايب لوهم والركون الى متابعة
الهوى وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة سرا وعلانية في حق او باطل او نذرتم
من نذر وبشرط او غير شرط في طاعة او معصية فان الله يعلمه فيجازيكم عليه وما
للظالمين الذين يبخلون في المعاصي وينذرون فيها او يمنعون الصدقات ولا
يوفون بالنذور من انصار من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه ان تبدوا الصدقات

فنعما هي فنعم شيئا ابداها وقراء ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين على
الاصل وقراء ابو عمرو وابو بكر وقالون بكسر النون وسكون العين وروي عنهم بكسر
النون واخفاء حركة العين وهو قيس وان تخفوها وتؤتوها الفقراء اي تعطوها
مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم وهذا في التطوع ولمن لم يعرف بالمال فان
ابداء الفرض لغيره افضل لنفي التهمة عن ابن عباس رضي الله عنهما صدقة السر في التطوع
تفضل علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة
وعشرين ويكفر عنكم سيئاتكم قراءة ابن عامر وعاصم في رواية حفص اي والله
يكفر والاخفاء وقراء ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش ويعقوب بالنون
مرفوعا على انه جملة فعلية مبتداة او اسمية معطوفة على ما بعد الفاء اي ونحن نكفر
وقراء نافع وحمزة والكسائي به مجزوما على محل الفاء وما بعده وقري بالتاء مرفوعا
ومجزوما والفعل للصدقات والله بما تعملون خبير ترغيب في الاسرار به ليس عليك
هداهم لا يجب عليك ان تجعل الناس مهديين وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن
والنهي عن المقابح كالمن والاذي والقاؤه الخبيث ولكن الله يهدي من يشاء صريح
بان الهداية من الله وبمشيئته وانها تخص بقوم دون قوم وما تنفقوا من خير
من نفقة معروفة فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا
الخبيث وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال وكانه قال وما تنفقوا من خير
فلانفسكم غير منفقين الا ابتغاء وجه الله وطلب ثوابه او عطف على ما قبله اي وليس
نفقتكم الا لابتغاء وجه لما كم تمنون بها وتنفقون الخبيث وقيل نفي في معنى النهي
وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فهو تاكيد للشرطية
السابقة او ما يخلف لمنفق استجابة لقوله عليه الصلاة والسلام اللهم اللهم
اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا روي ان اناسا من المسلمين كانت لهم اصهار وارضاع
في اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفعوهم فنزلت وهذا
في غير الواجب اما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وانتم لا تظلمون ليس لا تنفقون
ثواب نفقتكم للفقراء متعلق بمحذوف اي اعمدوا للفقراء فاجعلوا ما تنفقون
للفقراء الذين احصروا في سبيل الله احصرهم لجهاد لا يستطيعون
لاشتغالهم ضربا في الارض ذهابا للكسب وقيل هم اهل الصفة كانوا نحوا من
اربعماية من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم
والعبادة وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحسبهم الجاهل بحالهم وقراء ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين اغنياء من التعفف
من اجل تعففهم عن السؤال تعرفهم بسيماهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب
للرسول او لكل احد لا يسالون الناس الحافا الحاحا وهو ان يلازم المسيول حتى
يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده والمعنى انهم
لا يسالون وان سالوا عن ضرورة لم يلحفوا وقيل هو نفي للامرين كقوله
على لاحب لا يهتدي بمناره ونصبه على المصدر فانه لنوع من السؤال
او على الحال وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب الانفاق وخصوصا
على هؤلاء الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون الاوقات
والاحوال بالخير نزلت في ابي بكر رضي الله عنه تصدق باربعين الف دينار عشرة

عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل في علي رضي الله
عنه لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم سرا ودرهم
علانية وقيل في ربط الخيل في سبيل الله والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون خبر الذين ينفقون والفاء للسببية وقيل للعطف
والخبر محذوف اي منهم الذين ينفقون وذلك جوز الوقف على وعلانية الذين
يأكلون الربوا اي الاخذون له وانما ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال ولان الربوا
شايع في المطعومات وهو زيادة في الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم او نقد بنقد الى
اجل او في العوض بان يباع احدهما في الاخر باكثر من جنسه وانما كتب بالواو كالصلاة
للتفخيم على لغة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا
من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان الا قياما كقيام المصروع وهو
وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق
كخبط العشواء من المس اي الجنون وهذا ايضا من زعمانهم ان الجني يمسه فيخبط
عقله ولذلك قيل لمن به جن الرجل وهو متعلق بلا يقومون اي لا يقومون من المس الذي
بهم بسبب اكل الربوا او بيقومون او بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين
لا لاختلال عقولهم ولكن لان الله تعالى اربوا في بطونهم ما اكلوا من الربوا فاثقلهم
ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اي ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا والبيع
في سلك واحد لا قضايا ان الربح فاستحلوه استحلالا له وكان الاصل انما الربوا مثل البيع
ولكن عكس لمبالغة كانهم جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع والفرق بين فان من
اعطى درهمين بدرهم ضيع درهما ومن اشترى سلعة تساوي درهما بدرهمين فلعل
مساس الحاجة اليها اوقع رواجها يجبر هذا الغبن واحل الله البيع وحرم الربوا
انكار لتشويتهم وابطال للقياس لمعارضة النص فمن جاءه موعظة من ربه فمن
بلغه وعظ من الله فرحمه كالنهي عن الربوا فانتهى فانتظم وتبع النهي فله ما سلف
تقدم اخذه التحريم ولا يسترد منه وما في موضع الرفع بالظرف ان جعل من موصولة
وبالابتداء ان جعلت شرطية على راي سيبويه اذ الظرف غير معتمد على ما قبله وامره
الى الله يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في شانه
وانتم لا اعتراض لكم عليه ومن عاد الى تحليل الربوا اذ الكلام فيه فاولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون لانهم كفروا به يمحق الله الربوا يذهب بركته ويهلك المال
الذي يدخل فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيها اخرجت منه وعنه
عليه الصلاة والسلام ان الله يقبل الصدقة فيربيها كما يربي احدكم مهره وعنه
عليه الصلاة والسلام صلى الله عليه وسلم ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب
لا يرتضي ولا يحب محبة التوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك في
ارتكابه ان الذين امنوا بالله وبرسله وبما جاءهم منهم وعملوا الصالحات واقاموا
الصلوة واتوا الزكوة عطفهما على ما يعمهما لانافيهما على سائر الاعمال الصالحة لهم
اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون على فائت يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا واتركوا بقايا ما شرط عليكم على الناس من الربوا ان
كنتم مؤمنين بقلوبكم فان دليله امتثال ما امرتم به روي انه كان لثقيف مال على
بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا فاذنوا

بحرب من الله ورسوله اي فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرأ عاصم وحمزة في
رواية ابن عياش فاذنوا اي فاعلموا بها غيركم من الاذن وهو الاستماع فانه من
طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضي ان يقاتل المرابي بعد الاستتابة حتى
يفيء الى امر الله كالباغي ولا يقتضي كفره روي انها لما نزلت قال ثقيف لا يدي لنا
بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون باخذ الربوا
ولا تظلمون بالمطل والنقصان ويفهم منه ان لم يتوبوا فليس لهم راس مالهم وهو سديد
على ما قلناه فان المصر على التحليل مرتد وله قتل وان كان ذو عسرة وان وقع عرض
ذو عسرة وقرئ ذا عسرة فان كان العرض ذا عسرة فنظرة فالحكم نظرة او فعليكم نظرة
او فليكن نظرة وهي الانظار وقرئ فناظرة على الخبر اي فالمستحق ناظرة بمعنى منظرة
او صاحب نظرته على الكنست وعلى الامر اي فسامحه بالنظرة الى ميسرة يسار وقرأ نافع
وحمزة بضم العين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء
عند الاضافة كقوله ٭ واخلفوك عد الامر الذي وعدوا ٭
وان تصدقوا بالابراء وقراءة عاصم بتخفيف الصاد خير لكم اكثر ثوابا من الانظار
او خير مما تاخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله عليه
الصلاة والسلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون
فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله يوم القيمة او يوم
الموت فتاهبوا لمصيركم اليه وقراء ابو عمرو ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم ثم توفى
كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت من خير وشر وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف
عقاب وعن ابن عباس رضي الله عنه انها اخر اية نزل بها جبريل عليه السلام وقال ضعها
في راس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدى
وعشرين يوما وقيل احدى وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث ساعات يا ايها
الذين امنوا اذا تداينتم بدين اذا داين بعضكم بعضا تقول داينته اذا عاملته
نسيئة معطيا او اخذا وفايدة ذكر الدين ان لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم نوعه
الى الموجل والحال الباعث على الكتبة ويكون مرجع ضمير فاكتبوه الى الاجل مسمى معلوما
بالايام والاشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور
على انه استحباب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف
وليكتب بينكم كاتب بالعدل من يكتب بالسوية ولا يزيد ولا ينقص وهو في
الحقيقة امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به معدلا
بالشرع ولا يأب كاتب ولم يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه
من كتب الوثايق او لا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله تعالى
واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امرها بعد النهي عن الامتناع
منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق وليكن المملل من عليه الحق
لانه المقر للشهود عليه والاملال والاملاء واحد وليتق الله ربه اي المملي والكاتب
ولا يبخس منه شيا يقال من الحق او مما املى عليه فان كان الذي عليه الحق
سفيها ناقص العقل مبذرا او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان
يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او جهل باللغة فليملل وليه بالعدل
اي الذي يلي ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا او مختل عقل او وكيل او مترجم

١٢ الصلاة و

ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة في الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم
او الوكيل واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد على الدين شاهدان من رجالكم
من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام الشهود والية ذهب عامة العلماء وقال
ابو حنيفة تسمع شهادة الكفار بعضهم على بعض فان لم يكونا رجلين اي فان لم يكن
الشهيدان رجلين فرجل وامرتان فليشهد او فليستشهد رجل وامراتان وهذا
مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند ابي حنيفة ممن ترضون
من الشهداء لعلكم بعدالتهم ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى علة اعتبار
العدد اي لاجل ان احديهما ان ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة
في الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزله كقولهم اعددت السلاح
ان يجيء عدو فادفعه وكانه قيل ارادة تذكر احديهما الاخرى ان ضلت وقيء شعار
بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن وقراء حمزة فان تضل على الشرط فتذكر بالرفع وابن
كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر من الاذكار ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة
وسموا شهداء تنزيلا لمن يشارف منزلة الواقع ومما مزيدة ولا تسأموا ان تكتبوه ولا تملوا
من كثرة مداينا كلما ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب وقيل كني بالسام عن الكسل
لانه صفة المنافق ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لا يقول الانسان المؤمن كسلت
ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة وسموا شهداء تنزيلا لمن يشارف منزلة
الواقع ومما مزيدة صغيرا او كبيرا صغيرا كان الحق او كبيرا او مختصرا كان الكتاب
او مستوعبا الى اجله الى وقت حلوله الذي اقربه المديون ذلكم اشارة الى ان تكتبوه اقسط عند
الله اكثر قسطا واقوم للشهادة واثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام
على غير قياس ومن قاسط بمعنى ذي قسط وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في المنقاد
لجموده وادنى ان لا ترتابوا واقرب في ان لا تشكوا في جنس الدين وقدره واجله والشهود
ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح
الا تكتبوها استثناء عن الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة نعم المبايعة بدين او عين
وادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد اي الا ان يتبايعوا يدا بيد فلا باس ان لا تكتبوه
لبعده عن التنازع والنسيان ونصب عاصم تجارة على انه الخبر والاسم مضمر تقديره الا
ان تكون المتجارة تجارة حاضرة كقوله

بني سدوس لستم بلاء نا اذا لمان يوما ذا كواكب اشتتا

ورفعها الباقون على انها الاسم والخبر تديرونها او على كان التامة واشهدوا اذا تبايعتم
هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والامر الذي في هذه الاية للاستحباب عند اكثر الائمة
وقيل انها للوجوب وقد اختلف في احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل
البنائين ويدل عليه ان قرئ ولا يضار بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة
والتحريف والتغيير في الكتبة والشهادة او النهي عن الضرار بهما مثل ان يعجلا عن مهم
ويكلفا الخروج عما حد لهما ولا يعطى الكاتب جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان
وان تفعلوا الضرار وما نهيتم عنه فانه فسوق بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم والقوا
الله في مخالفة امره ونهيه ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم
كرر لفظة الله في الجمل الثلاث لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد
بالغامه والثالثة تعظيم لشانه ولانه ادخل في التعظيم من الكناية وان كنتم على

سفر

سفر مسافرين ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فالذي يستوثق به رهان وفعليكم رهان او فاليوخذ رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في الارتهان عائشة مجاهد والضحاك لانه عليه الصلاة والسلام رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير اخذه لاهله بل لاقامة التوثيق بالارتهان مقام التوثيق بالكتب في السفر الذي هو مظنة اعوازها والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك وقراء ابن كثير وابو عمرو فرهن كسقف وكلاهما رهن بمعنى فرهون وقرئ باسكان الهاء على التخفيف فان امن بعضكم بعضا اي بعض الدائنين بعض المديونين واستغنى بامانته عن الارتهان فليود الذي ايتمن امانته اي دينه سماه امانة لايتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ ايتمن بقلب الهمزة ياء والادغام فيها وقرئ ايتمن بادغام الياء في التاء وهو خطاء لان المنقلبة عن الهمزة في حكمها فلا تدغم وليتق الله ربه في الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغات ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود والمديونون والشهادة شهادتهم على انفسهم ومن يكتمها فانه اثم قلبه اي يأثم قلبه او قلبه يأثم واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان تقترفه ونظيره العين زانية والاذن زانية او للمبالغة فانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال وكانه قيل يأثم في قلبه نفسه فاخذ اشرف اجزائه وفاق سائر ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه والله بما تعملون عليم تهديد لله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني ما فيها من السوء والعزم عليه لترتيب المغفرة والعذاب عليه يحاسبكم به الله يوم القيمة وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض فيغفر لمن يشاء مغفرته ويعذب من يشاء تعذيبه وهو صريح في نفي وجوب التعذيب وقد رفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستيناف وجزمهما الباقون عطفا على الشرط ومن جزمهما بغير فاء جعلها بدلا عنه بدل البعض من الكل او الاشتمال كقوله ، متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا ، تجد حطبا جزلا ونارا تاججا ، وادغام الراء في اللام لحن اذ الراء لا تدغم الا في مثلها والله على كل شيء قدير فيقدر على الاحياء والمحاسبة امن الرسول بما انزل اليه من ربه شهادة وتنصيص من الله على صحة ايمانه والاعتداد به وانه جازم فيه من غير شك فيه والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يخلو امن ان يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الذي ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنين او يجعل مبتدا فيكون الضمير للمؤمنين وباعتبار يصح وقوع كل بخبر عن المبتدا ويكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان لا عن نظر واستدلال وقراء حمزة والكسائي وكتابه يعني القران او الجنس والفرق بينه وبين الجمع انه شايع في وحدان الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب لا نفرق بين احد من رسله اي يقولون لا نفرق وقراء يعقوب لا يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملا على معنى كل لقوله تعالى وكلهم اتوه داخرين واحد في معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي كقوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد نفي التفرق بالتصديق والتكذيب وقالوا سمعنا واطعنا امرك غفرانك ربنا اغفر لنا اغفرانك ونطلب غفرانك واليك المصير المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث لا يكلف الله نفسا الا وسعها الا ما يسعه قدرتها فضلا ورحمة او ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها او يتيسر عليها

كقوله يريد الله بكم اليسر وهو يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه لها
ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها
غيرها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه اعتماد والشر
تشتهيه النفس وتجذب اليه وكانت احث في تحصيله واعمل بخلاف الخير ربنا لا تؤاخذنا
ان نسينا او اخطأنا لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى النسيان او خطاء من تفريط وقلة
مبالاة او بانفسهما اذ لا يمتنع المؤاخذة بهما عقلا فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولها
يؤدي الى الهلاك وان كان خطأ فتعاطي الذنوب لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان
لم يكن عزيمة فالله تعالى وعد التجاوز رحمة وفضلا فيجوز ان يدعو به الانسان
استدامة واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله عليه الصلاة والسلام
رفع عن امتي الخطأ والنسيان ربنا ولا تحمل علينا اصرا عبأ ثقيلا يأصر صاحبه
اي يحبسه في المكان يريد به التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة
كما حملته على الذين من قبلنا حملا مثل حملك اياه من قبلنا او مثل الذين حملتهم اياها صفة
لاصرا او المراد به ما كلف بنو اسرائيل من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسين
صلاة في اليوم والليلة وصرف ربع المال الى الزكوة او ما اصابهم من الشدايد والمحن
ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبة او من التكاليف التي لا تفي بها
الطاقة البشرية وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق والا لما سئل عنه والتشديد
ههنا لتعدية الفعل الى مفعول ثان واعف عنا وامح ذنوبنا واغفر لنا واستره
عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا انت مولانا سيدنا
فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى ان ينصر مواليه على الاعداء والمراد به
عامة الكفرة وروي انه عليه الصلاة والسلام لما دعى بهذه الدعوات قيل له فعلت
وعنه عليه الصلاة والسلام انزل الله اية تين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل
ان يخلق الخلق بالفي سنة من قراءهما بعد العشاء الاخرة اجزأتاه عن قيام الليل
وعنه عليه الصلاة والسلام من قراء اخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وهو يرده
قوله من استكبره ان يقال سورة البقرة وقيل ينبغي ان يقال السورة التي يذكر
فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعليمها بركة وتركها حسرة ولن
يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة ال عمران مدنية وايها مايتان

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا اله الا هو انما فتح الميم في المشهورة وكان حقها ان يوقف عليها لالتقاء حركة
الهمزة عليها ليدل على انها في حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج فان
الميم في حكم الوقف كقوله واحدا اثنان لالتقاء الساكنين فانه غير محذور في باب
الوقف ولذلك لم يحرك في لام وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين
وقراء ابو بكر بسكونها والابتدا بما بعدها على الاصل الحي القيوم روي انه عليه الصلاة
والسلام ان اسم الله الاعظم في ثلاث سور في البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي
ال عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم انزل عليك
الكتاب القرآن نجوما بالحق بالعدل وبالصدق في اخباره او بالحجج المحققة
انه من عند الله وهو في موضع الحال مصدقا لما بين يديه من الكتب وانزل التورية

والانجيل

والانجيل جملة على عيسى موسى واشتقاقهما من العبري والنجل ووزنهما بتفعله
وافعيل لعسف لانهما اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وليس هو من
ابنية العربية وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان والكسائي التورية بالامالة في جميع
القرآن ونافع وحمزة بين اللفظين الاقالون فانه يقرأ بالفتح كقراءة الباقين
من قبل من قبل تنزيل القرآن هدى للناس على العموم ان قلنا انا متعبدون
بشرع من قبلنا والا فالمراد به قومهما وانزل الفرقان يريد به جنس الكتب الالهية
فانها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الالهية الثلاثة ليعم ما عداها
كانه قال وانزل سائر ما يفرق بين الحق والباطل او لزيادة او القرآن وكرر ذكره
بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انه يشارك ما في كونه وحيا منزلا
ويتميز بكونه معجزا يفرق به بين المحق والمبطل او المعجزات ان الذين كفروا بايات
الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد بسبب كفرهم والله عزيز غالب
لا يمنع عن التعذيب ذو انتقام لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل
منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو
العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه
شيء في الارض ولا في السماء اي شيء كائن في العالم جزئيا كان او كليا ايمانا وكفرا
فعبر عنه بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوزهما وانما قدم الارض ترقيا من الادنى
الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو كالذي على كونه حيا هو
الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء اي من الصور المختلفة كالدليل على كونه
على القيومية والاستدلال على انه عالم بالقان فعله في خلق الجنين وتصويره وقرئ
تصوركم اي صوركم لنفسه وعبادته لا اله الا هو اذ لا يعلم غير جملة ما يعلمه
ولا يقدر على مثله ما يفعله العزيز الحكيم اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته وقيل
وهذا احتجاج على من زعم ان عيسى كان فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم نزلت السورة من اولها الى نيف وثمانين اية تقريرا لما احتج به عليهم واجاب
عن شبههم هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات احكمت عبارتها
بان حفظت من الاحتمال ام الكتاب اصله يرد اليها غيرها ولقياس امهات فافر
على تاويل كل واحدة وعلى ان الكل بمنزلة اية واحدة واخر متشابهات محتملات لا يتضح
مقصودها لاحتمال او مخالفة ظاهرها لا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد
حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها
فينالوا بها وبالتعاب القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات
معالي الدرجات واما قوله تعالى الر كتاب احكمت اياته فمعناه انها حفظت من فساد
المعنى وركاكة اللفظ وقوله تعالى كتابا متشابها معناه انه يشبه بعضه بعضا
في صحة المعنى وجزالة اللفظ واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول
عن الاخر ولا يلزم منه معرفته لان معناه ان يعرف ان القياس ان لا يعرف ولم يعرف
لانه في معنى المعرف وعن اخر فاما الذين في قلوبهم زيغ عدول عن الحق كالمبتدعة
فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بظاهره او بتاويل باطل ابتغاء الفتنة طلب
ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه
وابتغاء تاويله وطلب ان ياولوه على ما يشتهونه ويحتمل ان يكون الداعي الى الاتباع

مجموع الطلبتين او كل واحد منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند والثاني يلايم
الجاهل **وما يعلم تاويله** الذي يجب ان يحمل عليه **الا الله والراسخون في العلم** اي
يثبتون او يمكنون ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استاثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا
ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية وانما دل القاطع على ان ظاهره
غير مراد ولم يدل على ما هو المراد **يقولون امنا به** استيناف موضح لحال الراسخين
او حال منهم او خبر ان جعلته مبتدا **كل من عند ربنا** اي كل من المحكم والمتشابه
من عنده **وما يذكر الا اولوا الالباب** مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن
النظر واشارة الى ما استعد وابه للاهتداء الى تاويله وهو تجرد العقل عن غواشي
الحس واتصال الاية بما قبلها من حيث انها في تصوير الروح بالعلم وتربيته وما
قبلها في تصوير الجسد وتسويته وانها جواب عن تشبيث النصاري بنحو قوله
وكلمته القاها الى مريم وروح منه كما انه جواب وقولهم لا اب له غير الله فتعين
ان يكون جوابا بانه مصور الاجنة كيف يشاء من نطفة اب ومن غير اب وبانه
صوره في الارحام والمصور يكون المصور **ربنا لا تزغ قلوبنا** من مقال الراسخين
وقيل استيناف والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل
لا ترتضيه قال عليه الصلاة والسلام قلب ابن ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن
ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبتلنا ببلاء تزيغ فيه قلوبنا
بعد اذ هديتنا الى الحق او الايمان بالقسمين وبعد نصب على الظرف واذ في موضع
الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان **وهب لنا من لدنك رحمة** توفقنا لثباتك
وتغفر بها عندك او توفيقا للثبات على الحق او مغفرة للذنوب **انك انت الوهاب**
الى كل سؤل وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله وانه متفضل بما يمنع على
عباده لا يجب عليه شيء **ربنا انك جامع الناس ليوم** لحساب يوم او لجزاء يوم **لا ريب فيه**
في وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء ينبه به على ان معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق
بالاخرة فانها المقصد **ان الله لا يخلف الميعاد** فان الالهية تنافيه وللاشعار
به وتعظيم الموعود به لون الخطاب واستدل به الوعيدية على ان وعيد الفساق
مشروط بعدم العفو لدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا **ان الذين**
كفروا عام في الكفرة وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او مشركو العرب **لن تغني**
عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اي من رحمته او طاعته على معنى البدلية
او من عذابه **واولئك هم وقود النار** حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها
كدأب ال فرعون متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد
بهم كما توقد باولئك واستيناف مرفوع المحل وتقديره دأب هؤلاء كدابهم في الكفر
والعذاب وهو مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه ونقل الى معنى الشان **والذين**
من قبلهم عطف على ال فرعون وقيل استيناف **كذبوا بايتنا فاخذهم الله بذنوبهم**
حال باضمار قد او استيناف بتفسير حالهم او خبر ان ابتدات بالذين من قبلهم **والله**
شديد العقاب تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة **قل للذين كفروا ستغلبون**
وتحشرون الى جهنم اي قل لمشركي مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل لليهود فانه
عليه الصلاة والسلام جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم
ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت

انا نحن

انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده لهم بقتل قريظة واجلاء بني النظير وفتح
خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلايل النبوة وقراء حمزة والكسائي بالياء
فيهما على ان الامر بان يحكي لهم ما اخبر به من وعيدهم بلفظه وبئس المهاد
تمام ما يقال لهم او استيناف وتقديره بئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم قد
كان لكم اية الخطاب لقريش قيل وليهود والمؤمنين في فيئتين التقتا يوم بدر
فيه تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم يرى المشركون المومنين
مثلي عدد المشركين وكان قريب الف او مثلي عدد المسلمين وكانوا ثلاثماية وبضعة
عشر وذلك بعد ما قللهم في اعينهم حتى اجترءوا عليهم وتوجهوا اليهم فلما التقوهم كثروا
في اعينهم حتى غلبوا مددا من الله تعالى للمؤمنين او يرى المومنون المشركين مثلي
المؤمنين وكانوا ثلاثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذي وعدهم الله بهم
به في قوله وان يكن منكم ماية صابرة يغلبوا مائتين ويؤيده قراءة نافع ويعقوب
بالتاء وقري بهما على البناء للمفعول اي يريهم الله او يريكم ذلك بقدرته وفيئة بالجر
على البدل من فيئتين والنصب على الاختصاص والحال من فاعل التقتا اي التقتا
رؤية ظاهرة معاينة والله يؤيد بنصره من يشاء كما ايد اهل بدرا ان في ذلك اي
التقليل والتكثير او غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكي السلاح وكون الوقعة اية
ايضا يحتملها ويحتمل وقوع الامر على ما اخبر به الرسول لعبرة لاولي الابصار لفظة
لذوي البصائر وقيل لمن ابصرهم زين للناس حب الشهوات اي المشتهيات سماها
شهوات مبالغة واياما على انهم كوني محبتها حتى احبوا شهواتها كقوله احببت
حب الخير والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والداعي ولعله زينه اولا
او لانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله او لانه
من اسباب التعيش وابقاء النوع وقيل الشيطان فان الاية في معرض الذم وفرق
الجباي بين المباح والمحرم من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب
والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث بيان للشهوات والقنطار المال الكثير
وقيل ماية الف دينار وقيل ملاء مسك ثور واختلف في انه فعلال او فعنال والمقنطرة
ماخوذة منه للتاكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة
او المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة والانعام الابل والبقر والغنم ذلك متاع
الحيوة الدنيا اشارة الى ما ذكر والله عنده حسن المآب اي المرجع وهو تحريض على
استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية قل ائنبيئكم
بخير من ذلكم يريد به تقرير ان ثواب الله خير من مستلذات الدنيا للذين اتقوا عند ربهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها استيناف لبيان ما هو خير ويجوز ان
يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير
وازواج مطهرة مما يستقذر ورضوان من الله قراءة عاصم في جميع القران بضم الراء
ما خلا الحرف الثاني في المايدة وهو قوله رضوانه سبل السلام وهما لغتان والله بصير
بالعباد اي باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء او باحوال الذين اتقوا فلذلك اعدلهم
جنات وقد نبه بهذه الاية على نعم فادناها متاع الدنيا واعلاها رضوان الله كقوله تعالى
ورضوان من الله اكبر واوسطها الجنة ونعيمها الذين يقولون ربنا انا امنا فاغفر لنا
ذنوبنا وقنا عذاب النار صفة المتقين او للعباد او مدح منصوب او مرفوع وفي ترتيب

السؤال على مجرد الايمان دليل على انه كاف في استحقاق المغفرة الصابرين والصادقين
والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار حصر لمقامات السالك على احسن ترتيب
فان معاملته مع الله اما توصل واما طلبة والتوصل اما بالنفس وهو منعها عن الرذايل
وحبسها على الفضايل والصبر يشملهما واما بالبدن وهو اما قولي وهو الصدق واما
فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو الانفاق في سبل الخير واما
الطلب فالاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة
على استقلال كل واحدة منها او كمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار
لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفا والروع اجمع
سيما للمتهجدين قيل انهم كانوا يصلون الى السحر ثم يستغفرون ويدعون شهد الله
انه لا اله الا هو بين وحدانيته بنصب الدلايل الدالة عليها وانزال الايات الناطقة
بها والملايكة بالاقرار واولوا العلم بالايمان بها والاحتجاج عليها شهد ذلك في البيان
والكشف بشهادة الشاهد قايما بالقسط مقيما للعدل في قسمه وحكمه وانتصابه على
الحال من الله وانما جاز افراده بها ولم يجز زيد او عمرو راكبا لعدم اللبس كقوله ووهبنا
له اسحق ويعقوب نافلة او عن هو والعامل معنى الجملة اي تفرد قايما او حقه لانها
حال مؤكدة او على المدح او الصفة المنفي وفيه ضعف للفصل وهو مندرج في المشهود
به اذ جعلته صفة او حال عن الضمير وقرئ القايم بالقسط على البدل من هو او الخبر
المحذوف لا اله الا هو كرر للتاكيد ومزيد الاعتنا بادلة التوحيد وليبني عليه
قوله العزيز الحكيم فيعلم انه الموصوف بها وقدم العزيز بقدرته على العليم بحكمته ورفعهما
على البدل من الضمير او الصفة لفاعل شهد وقد روي في فضلها انه قال عليه الصلاة
والسلام يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله تعالى ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق
من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وهي دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله ان
الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة مؤكدة للاولى اي لا دين مرضي عند الله تعالى
سوى الاسلام وهو التوحيد المتمسك والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم
وقراء الكسائي بالفتح على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه
وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ انه لا اله الا هو بالفتح على وقوع الفعل الثاني
واعتراض ما بينهما او جرا شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما وما اختلف
الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى او من ارباب الكتب المتقدمة في دين الاسلام
فقال قوم انه حق وقال اخرون قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه ما حروف مطلقا في
التوحيد فثلث النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا
بعده وقيل هم النصارى اختلفوا في عيسى الا من بعد ما جاءهم العلم اي ما علموا
حقيقة الامر وتمكنوا بالايات والحج بغيا بينهم حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة
وخفاء في الامر ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب وعد لمن كفر منهم
فان حاجوك في الدين وجادلوك فيه بعد ما اقمت الحجج فقل اسلمت وجهي لله اخلصت
نفسي وجملتي له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القيم الذي قامت عليه الحجج ودعا اليه
الايات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى
والحواس ومن اتبعني عطف على التاء وحسن للفصل او مفعول معه وقل للذين
اوتوا الكتاب والاميين الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب اسلمتم كما اسلمتم

وضحت لكم الحجة ام انتم بعد كفركم ونظيره قوله فهل انتم منتهون وفيه تعييرهم بالبلادة
او المعاندة فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها من الضلال
وان تولوا فانما عليك البلاغ اي فلم يضروك اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت والله
بصير بالعباد وعد ووعيد ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين
بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم
هم اهل الكتاب الذين في عصره قتل اولوهم الانبياء ومتابعيهم وهم راضوا به وقصدوا
قتل النبي والمومنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله في سورة البقرة وقراء حمزة يقاتلو
الذين ومنع سيبويه ادخال الفاء في خبر ان كليت ولعل ولذلك قيل الخبر اولئك
حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة كقولك زيد فافهم رجل صالح والفرق انه لا يغير معنى
المبتدا بخلافهما الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي التورية جنس الكتب
من الكتاب السماوية ومن للتبعيض او البيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير
يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم الداعي محمد صلوات الله عليه وسلامه وكتاب
الله القران او التورية لما روي انه عليه الصلاة والسلام دخل مدارسهم فقال له نعيم
ابن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت فقال على دين ابراهيم فقالا له ان ابراهيم كان
يهوديا فقال هلموا بنا الى التورية فانها بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقيل نزلت في
الرجم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما بدنهم وفيه دليل على
الادلة السمعية حجة في الاصول ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم مع علمهم بان
الرجوع واجب وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانما
صاغ لتخصيصه بالصفة ذلك اشارة للتولي والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار
الا اياما معدودات بسبب تسهيلهم امر العقاب على انفسهم على هذا الاعتقاد الزايغ
والطمع الفارغ وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان النار لن تمسهم الا اياما
قلايل او ان اباءهم يشفعون لهم او انه تعالى وعد يعقوب عليه الصلاة والسلام ان
لا يعذب اولاده الا تحلة القسم فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه استعظام لما
يحيق بهم في الاخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما مما روي ان اول راية ترفع يوم
القيمة من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار
ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت وفيه دليل على ان العبادة لا تحبط وان المومن
لا يخلد في النار لان توفية ايمانه وعمله لا يكون في النار ولا قبل دخولها فاذا اتى بعد الخلاص
منها وهم لا يظلمون الضمير لكل نفس على المعنى لانه في معنى كل انسان قل اللهم الميم عوض
من ياء ولذلك لا يجتمعان وهو من خصايص هذا الاسم لدخولها عليه مع لام التعريف
وقطع همزته وتاء القسم وقيل اصله يا الله امنا بخير فحذف بحذف حرف النداء ومتعلقات
الفعل وهمزته مالك الملك تتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك وهو نداء
ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن
تشاء تعطي منها ما تشاء ممن تشاء وتسترد فالملك عام والاخران بعضان منه وقيل المراد
بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم وتعز من تشاء وتذل من تشاء في الدنيا
او في الاخرة او فيهما بالنظر والادبار والتوفيق والخذلان بيدك الخير انك على كل شيء
قدير ذكر الخير وحده لانه المقضي بالذات والشر مقضي بالعرض اذ لا يوجد شر جزئي
ما لم يتضمن خيرا كليا او لمراعاة الادب في الخطاب او لان الكلام وقع فيه اذ روي انه عليه الصلاة

والسلام لما خط الخندق وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون فظهرت صخرة
عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء فاخذ
منه فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا
في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب
الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب
الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبر في جبريل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا
فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب
قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت وتبين
ان الشرط بيده بقوله انك على كل شيء قدير توج الليل في النهار وتوج النهار في الليل
وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب
عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت والحيوة وسعة فضله دلالة
على ان من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج الذي
في مضيق وايلاج الليل النهار ادخال احدهما بالاخرة بالتعقيب والزيادة والنقص
واخراج الحي من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات من موادها واماتتها وانشاء
الحيوانات من النطفة والنطفة منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن
وقراءة ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر الميت بالتخفيف لا يتخذ المؤمنون
الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوها حتى لا يكون
حبهم وبغضهم الا في الله وعن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية من
دون المؤمنين اشارة الى انهم احقاء بالموالاة وان في موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية
ونحوها حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا في الله ولو عن الاستعانة بهم مندوحة عن موالاة
الكفرة ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء فليس من الله في شيء من ولايته في شيء
يصح ان ينسى ولايته فان موالاة المتعادين لا يجتمعان قال

تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس المنوك عنك بعازب

الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه ويجب اتقاء والفعل
متعد بمن لانه في معنى تحذروا او تخافوا وقراءة يعقوب تقية تمنع من موالاتهم ظاهرا
وباطنا في الاوقات كلها الا وقت المخافة فان اظهار الموالاة حينئذ جائز كما قال عيسى
عليه الصلاة والسلام كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه واليه المصير
فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهي
في القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب يصدر منه فلا يوبه دونه بما يحذر
قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله اي انه يعلم ضمائركم من ولاية الكفار
وغيرها ان تخفوها او تبدوها ويعلم ما في السموات وما في الارض فيعلم سركم وعلانيتكم
والله على كل شيء قدير فيقدر عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والآية بيان لقوله
ويحذركم الله نفسه لانها متصفة بعلم ذاتي يحيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية
تعم المقدورات باسرها فلا يخسر واعلى عصيانه اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها
قادر على العقاب بها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود
لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يوم منصوب بتود اي تتمنى كل نفس يوم تجد صحائف
عملها من الخير والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك اليوم امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر

وتود حال من الضمير في عملت وخبر لما عملت من سوء وتجد مقصور على ما عملت من خير
ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود وقري ودت وعلى هذا يصح ان تكون شرطية ولكن
الحمل على الخبر اوقع معي لانه حكاية كائن واوقف للقراءة المشهورة ويحذركم الله
نفسه كرره للتاكيد والتذكير والله رؤف بالعباد اشارة الى انه تعالى انما نهاهم
وحذرهم رافة بهم ومراعاة لصلاحهم اوانه لذو مغفرة وذو عقاب فنرجي رحمته
ونخاف عذابه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال
ادرك فيه بحيث يحملها على ما يقربه اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله
وان كل ما يراه كمالا من نفسه اوغيره فمن الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله
وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته
والحرص على طاعته يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم جواب الامر اي يرض عنكم ويكشف الحجب
عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر
عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة والله غفور رحيم لمن تحبب اليه
بطاعته واتباع نبيه روي انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل
نزلت في وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقيل في اقوام زعموا على عهده
عليه الصلاة والسلام انهم يحبون الله فامروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل
قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا يحتمل المضي والمضارعة بمعنى فان تتولوا
فان الله لا يحب الكافرين لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وانما لم يقل ولا يحبهم لقصد
العموم والدلالة على ان التولي كفر وانه من هذه الحيثية ينفي محبة الله وان محبته
مخصوصة بالمومنين ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران على
العالمين بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية ولذلك قيل قووا على ما لم يقو
عليه غيرهم لما اوجب طاعة الرسل وبين انها مقدمة محبة الله عقب ذلك ببيان
مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم على الملائكة وال ابراهيم اسمعيل
واسحق واولادهما وقد دخل فيهم الرسول عليه الصلاة والسلام وال عمران موسى
وهرون ابناء عمران بن يضهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب او عيسى وامه مريم
بنت عمران بن ماثان بن ابيغاز ابن ابي ثور بن رب بابل بن شالتيل بن يوحنا بن
ابن اوسنا بن امودن بن ميشا بن حازقيا بن احاذ بن يوثام بن عزريا بن اوزام
ابن ساقط بن ايشيا بن ارنيا بن راجعيم بن سليمان بن داود بن ايشي عوذ بن
سلمون بن باعز بن يخشون بن عمياداب رام بن حصرون بن فايض بن يهودا ابن يعقوب
وكان بين العمرانين الف وثمانين سنة ذرية بعضها من بعض حال او بدل من
الآلين او منهما ومن نوح اي انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض في الدين
والذرية الولد يقع على الواحد والجمع فعليه من الجمع الذرا وفعولة من الذر ابدلت احدى
ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت والله سميع عليم بما قال الناس واعمالهم فيصطفي من كان
مستقيم القول والعمل او سميع بقول امراة عمران عليم بنيتها اذ قالت امراة عمران رب
اني نذرت لك ما في بطني محررا فينتصب به اذ وقيل نصبه باضمار اذكر وهذه حنه
بنت فاقوذ اجدة عيسى وكانت لعمران بن يضهر بنت اسمها مريم اكبر من هرون
فظن ان المراد زوجته ويرده كفالة زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج
بنته ايشاع فكان يحيى وعيسى ابني خاله من الاب روي انها كانت عاقرا عجوزا فبينما هي في ظل

شجرة اذ رأت طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني
ولدا اتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه وحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا
النذر مشروعا عندهم في الغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير او طلبت ذكرا محررا معتقا
لخدمته لا اشغله بشيء او مخلصا للعبادة ونصب على الحال فتقبل مني ما نذرته انك انت
السميع العليم لقولي ونيتي فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى الضمير لما في بطنها
وتأنيثه لان كان انثى وجاز انتصاب انثى حالا عنه لان تأنيثها علم منه فان الحال واصلها
بالذات واحد وعلى تأويل مؤنث كالنفس والحبلة وانما قالت تحسرا وتحزنا الى ربها
لانها كانت ترجوا ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره والله اعلم بما وضعت اي بالشيء الذي
وضعت وهو استئناف من الله تعالى تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشأنها وقراءة ابن عامر
وابو بكر عن عاصم وضعت على خطاب الله تعالى لها وليس الذكر كالانثى بيان لقوله والله
اعلم بما وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون
من قولها بمعنى فليس الذكر والانثى اي سيان فيما نذرت فيكون اللام للجنس واني سميتها
مريم عطف على ما قبلها من قولها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه
وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم بلغتهم بمعنى
العابدة وفيه دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية متغايرة واني اعيذها بك
اجيرها بحفظك وذريتها من الشيطان الرجيم المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة
وعن النبي عليه الصلاة والسلام ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد
فيستهل من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث
يتأثر منه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث يتأثر
منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمها ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها ربها فرضي
بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن بوجه حسن يقبل به النذور وهو اقامتها
مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روي ان حنة
لما ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه
النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانت
رؤس بني اسرائيل وملوكهم فقال زكريا انا احق بها عندي خالتها فقالوا لا بقرعة
وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفى قلم زكريا ورست
اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف اي بذي قبول حسن وان
يكون تقبل بمعنى استقبل كتقضي و تعجل اي اخذها في اول امرها حين ولدت يقول
حسن وانبتها نباتا حسنا مجازا عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها وكفلها زكريا
شدد الفاء حمزة والكسائي وعاصم وقصر وقصر وزكريا غير عاصم في رواية ابن عياش
على ان الفاعل هو الله وزكريا مفعول اي جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وخفف
الباقون ومد وزكريا مرفوعا كلما دخل عليها زكريا المحراب اي الغرفة التي بناء لها
او المسجد او اشرف مواضعه ومقدمها سمي به لانه محل محاربة الشيطان كانها وضعت
في اشرف موضع في بيت المقدس وجد عندها رزقا جواب كلما وناصبه روي انه كان
لا يدخل عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب فكان يجد عندها فاكهة الشتاء
في الصيف وبالعكس قال يا مريم اني لك هذا من اين لك هذا الرزق الاتي في غير
اوانه والابواب مغلقة عليك وفيه دليل جواز كرامة الكرامة للاولياء وجعل ذلك معجزة

خ
للخدمة

زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة ان الله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به وهو يحتمل ان يكون من كلامها وان يكون من كلام الله تعالى روي ان فاطمة رضي الله عنها اهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها وقال لعلي بانية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال لها اني لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة بني اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع اهل بيته وبقي الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها هنالك دعا زكريا ربه في ذلك المكان او الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما رأى كرامة مريم ومنزلتها من الله قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل لما رأى الفواكه في غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ الفاني فسأل وقال هب لي من لدنك لانه لم يكن على الوجه المعتاد وبالاسباب المعهودة انك سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة اي من جنسهم كقولهم زيد يركب يركب الخيل فان المنادي كان جبريل وحده وقرأ حمزة والكسائي فناداه بالامالة والتذكير وهو قائم يصلي في المحراب اي قائما في الصلوة ويصلي صفة قائم او جيء به حالا عن الضمير في قائم ان الله يبشرك بيحيى اي بان الله وقرأ حمزة وابن عامر بالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع منه وقرأ حمزة والكسائي يبشرك ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا منع صرفه للتعريف ووزن الفعل مصدقا بكلمة من الله اي بعيسى سمي بذلك لانه وجد بامر تعالى دون اب فشابه البديعيات التي هي عالم الامر او بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا قومه ويفوقهم وكان فائقا الناس كلهم في انه ما هم بمعصيه وحصورا مبالغا في حبس النفس عن الشهوات والملاهي روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت وبيا من الصالحين ناشئا منهم او كائنا من عداد من لم يات كبيرة ولا صغيرة قال رب انى يكون لي غلام استبعادا من حيث العادة او استعظاما او تعجبا او استفهاما عن كيفية حدوثه وقد بلغني الكبر ادركني كبر السن واثر في وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون سنة وامرأتي عاقر لا تلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد قال كذلك الله يفعل ما يشاء اي يفعل ما يشاء من العجايب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر وكما انت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد وكذلك مبتدأ وخبره اي الله على مثل هذه الصفة يفعل ما يشاء ببيان قال رب اجعل لي اية علامة اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار قال اية ك الا تكلم الناس ثلاثة ايام ان لا تقدر على تكليم الناس ثلاثا واتما حبس لسانه عن كلامهم خاصة ليخلص للهجة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة وكانه قال اية ك ان تحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب بما اشتق عن السؤال الا رمزا اشارة بنحو يد وراس واصله التحرك ومنه الرامز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل على الضمير وقرئ رمزا كخدم جمع رامز ورمز الرسل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس معني مرامزين كقوله

، متى ما تلقني فردين ترجف ، روانف اليتيك وتستطارا ،

واذكر ربك كثيرا في ايام الحبسة وهو مؤكد لما قبله مبين الغرض منه وتقييد الامر بالكثرة
يدل على انه لا يفيد التكرار وسبح بالعشي من الزوال الى الغروب وقيل من العصر
او الغروب الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ بفتح الهمزة
جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت الملايكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك
على نساء العالمين كلموها شفاها اكراما ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك معجزة زكريا
او ارهاصا لنبوة عيسى فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امراة لقوله وما ارسلنا
قبلك الا رجالا وقيل الهموها والاصطفا الاول تقبلها من امها ولم يقبل قبلها انثى وتفريغها
للعبادة واغناوها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها مما يستقذر من النساء والثاني
هدايتها وارسال الملايكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير اب
وتبريتها مما قذفه اليهود باطناق الطفل وجعلها وابنها اية للعالمين يا مريم
اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين امرت بالصلاة مع من في الجماعة بذكر
اركانها مبالغة في المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك في شريعتهم
او للتنبيه على ان الواو لا توجب الترتيب او لتقترن اركعي الايذان بان من ليس في صلاتهم
ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله امن هو قانت اناء الليل
ساجدا وقايما وبالسجود الصلاة لقوله وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات
ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اي ما ذكرنا من القصص من الغيوب التي لم تعرفها
الا بالوحي وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم اقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا
باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية بتركها والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم
بمنكريه فان طريق معرفة الوقايع المشاهدة وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم
فنفي ان يكون الانهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف
دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقونها ليعلموا ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون
تنافسا في كفالتها اذ قالت الملايكة بدل من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض او من
اذ يختصمون على وقوع الاختصام والنشاة في زمان متسع كقولك لقيته زمن كذا يا مريم
ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم المسيح لقبه وهو من الالقاب
المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب يسوع
واشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبركة او بما طهر من الذنوب او مسح الارض ولم يقم في موضع
او مسحه جبريل ومن العيس وهو بياض يعلوه حمرة تكلف لا طائل تحته وابن مريم لما كانت
صفة تميز تمييز الاسماء نظمت في سلكها ولا يناسبه تعدد الخبر افراد المبتدا فانه اسم جنس
مضاف ويحتمل ان يراد ان الذي يعرف به ويتميز عن غيره بهذه الثلاثة فانه اسم علامة
للمسيحي والمميز له ممن سواه ويجوز ان يكون عيسى خبر مبتدا محذوف وابن مريم صفته وانما
قيل ابن مريم والخطاب لها التنبيه على انه يولد من غير اب اذ الاولاد ينسب الى الاباء ولا
ينسب الى الام الا اذا فقد الاب وجيها في الدنيا والاخرة حال مقدرة من كلمة وهي
وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكير الضمير للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة وفي
الاخرة الشفاعة ومن المقربين من الله وقيل اشارة الى علو درجة في الجنة او رفعه
الى السماء وصحبة الملايكة ويكلم الناس في المهد وكهلا حالي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا
كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه وقيل
انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر احواله المختلفة المتنافية ارشاد الى

الله بمعزل عن الالوهية ومن الصالحين حال ثالث من كلمة او ضميرها الذي يكلم قالت
رب اني يكون لي ولد ولم يمسسني بشر تعجب او استبعاد عادي او استفهام عن انه
يكون بتزوج او غيره قال كذلك الله يخلق ما يشاء القايل جبريل او الله وجبريل حكى
لها قوله تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها
دفعة من غير ذلك ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل كلام مبتدا ذكر
تطييبا وازاحة لما اهمها من خوف اللوم لما علمت انها ولد من غير زوج او عطف على يشرك
او وجيها والكتاب للكتبة او جنس للكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما وقراء
نافع وعاصم ويعلمه بالياء ورسولا الى بني اسرايل اني قد جيتكم باية من ربكم
منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول ارسلت رسولا باني قد جيتكم او بالعطف
على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى النطق بها وكان قال وناطقا باني قد جيتكم وتخصيص
بني اسرايل لخصوص بعثته اليهم او للرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم اني اخلق
لكم من الطين كهيئة الطير نصب بدل اية او رفع على هي اني اخلق لكم والمعنى اقدر
لكم واصور شيئا مثل صورة الطير وقراء نافع بالكسر فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك
المماثل فيكون طيرا باذن الله فيصير حيا طائرا بامر الله نبه به على ان احياءه من الله لا منه
وقراء نافع هنا وفي المايدة طايرا بالالف والهمزة وابرئ الاكمه والابرص الذي ولد اعمى
او الممسوح العين روي انه ربما كان يجتمع عليه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن
لم يطق منهم اتاه عيسى ويمد وي الاماكن الدعاء واحي الموتى باذن الله كرر باذن
الله دفعا لوهم الالهوية فان الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية وانبئكم بما
تاكلون وما تدخرون في بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها ان في ذلك
لاية لكم ان كنتم مومنين موقنين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين
للحق غير معاندين ومصدقا لما بين يدي من التورية عطف رسولا على الوجهين
او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جيتكم اي وجيتكم مصدقا ولاحل لكم مقدرا باضماره
او مردود على قوله اني قد جيتكم باية او معطوف على معنى مصدقا كانه قيل جيتك معتذرا
ولاطيب قلبك بعض الذي حرم عليكم اي في شريعة موسى كالشحوم والثروب
والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت ومويد لكون شرعه كان ناسخا لشرع موسى
ولا يخل ذلك بكونه كان مصدقا للتورية كما لا يعود نسخ القران بعضه ببعض عليه
بتناقض وتكاذب فان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان وجيتكم باية
من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط
مستقيم اي جيتكم باية اخرى الهمنيها ربكم وهو قولي ان الله ربي وربكم فانه دعوة
الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارق بين النبي والساحر وجيتكم باية على ان الله
ربي وربكم وقوله تعالى فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لقوله قد جيتكم
باية بعد اخرى مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب
عليه بالفاء قوله فاتقوا الله اي لما جيتكم بالمعجزات القاهرة والايات الباهرة فاتقوا
الله واطيعوني فيما ادعوكم اليه ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول المحمل فقال ان
الله ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة الالهية النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته
التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التي هي
الاتيان بالامر والانتهاء عن المناهي ثم فرد ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق

المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه الصلاة والسلام قل امنت بالله ثم استقم
فلما احس عيسى منهم الكفر تحقق كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس قال من انصاري
الى الله ملتجئا الى الله وذاهبا او ضاما اليه ويجوز ان يتعلق بالجار بانصاري مضمنا
معنى الاضافة اي من الذين يضيفون انفسهم الى الله في نصري وقيل الى ههنا بمعنى
مع او في او اللام قال الحواريون حوار الرجل خالصه من الحور وهو البياض الخالص
ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن سميّ به اصحاب عيسى عليه الصلوة والسلام
لخلوص نيّاتهم ونقاء سرائرهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصرهم عيسى
من اليهود وقيل قصّارون يحورون الثياب اي يبيضونها نحن انصار الله اي انصار
دينه امنا بالله واشهد بانا مسلمون لتشهد لنا يوم القيمة حين يشهد الرسل لقومهم
وعليهم ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اي مع
الشاهدين بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او امة محمد عليه الصلاة
والسلام فانهم شهداء على الناس ومكروا اي الذين احسّ منهم الكفر من اليهود بان
وكلوا عليه من يقتله غيلة ومكر الله حين رفع عيسى والقى شبهه على من قصد اغتياله
حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا تسند الى الله
الا على سبيل المقابلة والازدواج والله خير الماكرين اقواهم مكرا واقدرهم على ايصال
الضرر من حيث لا يحتسب اذ قال الله ظرف لمكر الله او خير الماكرين او المضمر مثل
وقع ذلك يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجل المسمّى عاصما اياك
من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي او متوفيك نائما اذ روي انه رفع نائما
او ممتك عن الشهوات العالية عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات
ثم رفعه الى السماء واليه ذهبت النصارى ورافعك الي الى محل كرامتي ومقر ملائكتي
ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم او قصدهم وجاعل الذين اتبعوك فوق
الذين كفروا الى يوم القيمة يعلونهم بالحجة او السيف في غالب الامر ومتبوعه من امن بنبوته
من المسلمين والنصارى والى الان لم تسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة
ثم الي مرجعكم الضمير لعيسى ومن تبعه وكفر به وغلب الخاطبين على الغائبين فاحكم
بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين فاما الذين كفروا فاعذبهم
عذابا شديدا في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين واما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فيوفيهم اجورهم تفسير للحكم وتفصيل له وقرأ حفص فيوفيهم بالياء والله لا يحب الظالمين
تقرير لذلك ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه عليك
وقوله من الآيات حال من الهاء ويجوز ان يكون الخبر ونتلوه حالا على ان العامل معنى
الاشارة وان يكونا خبرين وان ينتصب بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم المشتمل على
الحكم او المحكم الممنوع عن تطرق الخلل يريد به القرآن وقيل اللوح ان مثل عيسى عند
الله كمثل ادم ان شأنه الغريب كشأن ادم خلقه من تراب جملة مفسرة للتمثيل مبينة
لما له الشبهة وهو انه خلق بلا اب وامر شبيه حاله بما هو اغرب الخامات للخصم وقطعا لمادة
الشبه والمعنى خلق قالبه من التراب ثم قال له كن اي انشأه بشرا كقوله ثم انشأناه
خلقا آخر او قدر تكوينه من تراب ثم كونه ويجوز ان يكون ثم للتراخي الخبر لا المخبر
فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر محذوف اي هو الحق وقيل الحق مبتدأ
ومن ربك الخبر اي الحق المذكور من الله فلا تكن من الممترين خطاب للنبي على طريقة

التهييج للثبات او لكل سامع فمن حاجك من النصاري فيه في عيسي من بعد ما جاءك
من العلم اي من البينات الموحية للعلم فقل تعالوا هلموا بالرأي والعزم ندع ابناءنا
ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي يدع كل منا ومنكم نفسه واعز اهله
والصقهم بقلبه الي المباهلة ويجعل عليها وانما قدمهم علي النفس لان الرجل يخاطر بنفسه
لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل ثم نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح
اللعنة واصله الترك من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله علي
الكاذبين عطف فيه بيان روي انهم لما دعوا الي المباهلة قالوا حتي ننظر فلما تخالوا قالوا
للعاقب وكان ذا رايهم ماتري فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل في امر
صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل
وانصرفوا فاتوا رسول الله صلي الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين اخذا بيد الحسن
وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقفهم يا معشر
النصاري اني لاري وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا
فتهلكوا فادعنوا لرسول الله صلي الله عليه وسلم وبذلوا الجزية الفي حلة حمراء وثلاثين درعا
من حديد فقال عليه الصلاة والسلام والذي نفسي بيده لو باهلوا لمسخوا قردة وخنازير
ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتي الطير علي الشجر وهو
دليل علي نبوته وفضل من اتي بهم من اهل بيته ان هذا لهو القصص الحق يحتملها خبر
ان او هو فصل يفيد ان ما ذكر في شان عيسي ومريم حق دون ما ذكروه وما
بعد خبر واللام دخلت فيه لانه اقرب الي المبتدا من الخبر واصلها ان تدخل علي
المبتدا وما من اله الا الله صرح فيه بمن الزايدة للاستغراق تاكيدا للرد علي النصاري
في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم لا احد سواه يساويه في القدرة التامة والحكمة
البالغة ليشاركه في الالوهية فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين وعبدهم ووضع
المظهر موضع المضمر ليدل علي ان التولي عن الحق والاعراض عن التوحيد افساد للدين
والاعتقاد المودي الي فساد النفس بل والي فساد العالم ايضا قل يا اهل الكتاب يعم
اهل الكتابين وقيل يريد به وفد نجران او يهود المدينة تعالوا الي كلمة سواء بيننا
وبينكم لا يختلف بها الرسل والكتب وتفسيرها ما بعدها الا نعبد الا الله ان نوحده
بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة
ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ولا نقول عزير
ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان
كلا منهم بعضنا بشر امثالنا روي انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون
الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون
فتاخذون بقولهم قال نعم قال فهو ذاك فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا
مسلمون اي لزمتكم الحجة فاشهدوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون بما
نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه انظر الي ما راعي في هذه القصة
من المبالغة في الارشاد وحسن التدرج في الحجاج بين اولا احوال عيسي وما تعاور
عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما راي عنادهم
وتجاهم دعاهم الي المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعظم الانقياد
عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم بان دعاهم الي ما واثق عليه عيسي

كم

والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضا عليهم وعلم ان الايات والنذر
لا تغني عنهم اعرض وقال اشهد وايانا مسلمون يا اهل الكتاب لما تحاجون في ابراهيم
وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده تنازعت اليهود والنصارى في ابراهيم
وزعم كل فريق انه منهم فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى ان اليهودية
والنصرانية حدثت بنزول التوراة والانجيل على موسى وعيسى وكان ابراهيم قبل موسى
بالف سنة وعيسى بالفين فكيف يكون عليها افلا تعقلون فتدعون المحال ها انتم هؤلاء
حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ها حرف تنبيه ينبهوا بها على
حالهم التي غفلوا عنها وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة اخرى مبينة للاولى اي
انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم حاججتم فيما لكم به علم مما وجد نموه في التوراة والانجيل
عنادا وتدعون ورود ذلك فيه فلم تحاجون فيما لا علم لكم به ولا ذكر في كتابكم من ذكر ابراهيم
وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله انتم على الاستفهام للتعجب
من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء وقرأ نافع وابو عمرو ها انتم حيث وقع بالمد من غير همز
وورش اقل مد وقنبل بالهمز من غير الف بعد الهاء والباقون بالهمز والالف والبزي
بقصر الالف على اصله والله يعلم ما حاججتم فيه وانتم لا تعلمون وانتم جاهلون به ما كان
ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان ولكن كان حنيفا
مائلا عن العقائد الزائغة مسلما منقادا لله وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاه
لاشتراك الالزام وما كان من المشركين تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح
ورد لادعاء المشركين انهم كانوا على ملة ابراهيم ان اولى الناس بابراهيم ان اخصهم به وافربهم
منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه من امته وهذا النبي والذين امنوا الموافقتهم
له في اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه وبالجر
عطفا على ابراهيم والله ولي المؤمنين بنصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم ودت طائفة
من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة ومعاذا الى اليهودية ولو
بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم ولا يتخطاهم الاضلال ولا يعود الا عليهم اذ يضاعف به
عذابهم وما يضلون به الا امثالهم وما يشعرون وزن واختصاص ضرره بهم يا اهل الكتاب
لم تكفرون بايات الله بما نطقت به التوراة والانجيل ودلت على نبوة محمد عليه الصلاة والسلام
وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون
الحق بالباطل بالتحريف وايراد الباطل في صورته او بالتقصير في التمييز بينهما وقرئ تلبسون
بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل لقوله عليه الصلاة والسلام
كلا لبس ثوبي زور وتكتمون الحق نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ونعته وانتم تعلمون
عالمين بما تكتمونه وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه
النهار اي اظهروا الايمان بالقرآن اول النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون واكفروا به
آخره لعلهم يشكون في دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف
ومالك ابن الضيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة امنوا بما انزل عليهم من الصلاة الى
الكعبة وحجوا وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون لهم اعلم منا
وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثنا عشر من احبار خيبر تعاهدوا بان يدخلوا في الاسلام اول
النهار ويقولون آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذي ورد
في التوراة لعل اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تقروا عن تصديق

٢ وباله

قلب الا لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى
واهم قل ان الهدى هدى الله بهدي من يشاء الى الايمان وبثبت عليه ان يوتى احد مثل
ما اوتيتم متعلق بمحذوف اي دبر تم ذلك وقلتم لان يوتى احد والمعنى ان الحسد حملكم
على ذلك او بلا تومنوا اي ولا تظهروا ايمانكم ان يوتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم
ولا تفشوه الى المسلمين ليلا يزيدتباعهم ولا الى المشركين ليلا يدعوهم الى الاسلام وقوله
قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدي بطائل او خبر ان على ان
هدى الله بدل عن الهدى وقراءة ابن كثير ان يوتى على الاستفهام للتقريع يؤيد
الوجه الاول اي لان يوتى احد مثل ما اوتيتم وقرئ ان على انها النافية فيكون من كلام الطائفة
اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يوتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم
عطف على ان يوتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا
حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى الجمع والمراد به غير اتباعهم قل ان الهدى الفضل
بيد الله يوتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل
العظيم رد وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار
يوده اليك ومنهم من ان تامنه بدينار لا يوده اليك كقنحاص بن عازورا
استودعه قرشي اخر دينار فجحده وقيل المامونون على الكثير النصارى اذ الغالب
فيهم الامانة والخائنون في القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة وقرا حمزة وابو بكر وابو
عمرو يوده اليك باسكان الهاء وقالون باختلاس كسرة الهاء وكذا روي عن هشام
والباقون باشباع الكسرة الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك قائما على راسه مبالغا
في مطالبته بالتقاضي والتراقع واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه
بقوله بانهم قالوا بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اي ليس علينا في شان من ليسوا
من اهل الكتاب ولم يكونوا من ديننا عتاب ودم ويقولون على الله الكذب بادعائهم
ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم
في التوراة حرمة وقيل عامل اليهود رجلا من قريش فلما اسلم تقاضوهم ففالوا اسقط
حقك حيث تركت دينكم فزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي عليه الصلاة والسلام انه
قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة
فانها مؤداة الى البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل من اوفى
بعهده واتقى فان الله يحب المتقين استيناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها
والضمير المجرور لمن او لله وعموم المتقين ناب الراجع من الجزائي من واشعر بان التقوى
ملاك الامر وهو يعم الوفي وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي ان
الذين يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول والوفا بالامانات
وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا اولئك
لا خلاق لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله بما يسرهم او بشيء اصلا وان الملايكة تبشرهم
يوم القيمة او لا ينتفعون بكلمات الله وايانه والظاهر انه كناية عن غضبه عليهم كقوله
ولا ينظر اليهم يوم القيمة فان من سخط عليه واستهان به اعرض عنه وعن التكلم معه
والالتفات نحو كما اعتد بغيض بقاوله ويكثر النظر اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب
اليم على ما فعلوا قيل انها نزلت في احبار حرفوا التورية وبدلوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وحكم
الامانات وغيرها واخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت في رجل اقام سلعته في السوق فحلف لقد

اشتراها بما لم يشتر به وقيل في نزاع كان بين اشعث بن قيس ويهودي في بئر او ارض
وتوجه الحلف على اليهودي وان منهم لفريقا كلعب وماك وحيي يلوون السنتهم
بالكتاب يفتلونها بقراءته فيميلونها عن الحرف الى المنزل او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ
يلوون على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها
لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب الدليل للمحرف المدلول عليه بقوله يلوون وقرئ
ليحسبوه بالياء والضمير ايضا للمسلمين ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله
تاكيد لقوله وما هو من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان لانهم يزعمون ذلك تصريحا بعد تعريض
اي ليس هو مما انزل من عنده وهذا لا يقتضي ان لا يكون فعل العبد فعل الله ويقولون على
الله الكذب وهم يعلمون تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه ما كان
لبشر ان يوتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي
من دون الله تكذيب ورد على عبدة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني
قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله او ان امر
بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله
نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون
الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا
ربانيين والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كالرحباني والرقباني وهو
الكامل في العلم والعمل بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمين
الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فان فايدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير
والاعتقاد والعمل وقراء ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ
تدرسون من التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم ويجوز
ان تكون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير وبما كنتم مدرسونه على الناس ولا يامركم
ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا نصبه ابن عامر وعاصم ويعقوب عطفا على ثم يقول
وتكون لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان اي ما كان لبشر ان يوتيه الله ثم
يامر الناس بعبادة نفسه ويامرهم باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا او غير مزيدة على
معنى انه ليس لاحد ان يامر بعبادته ولا امر باتخاذ الكفرة اربابا بل ينهى عنه وهو من
العبادة ورفعه الباقون على الاستيناف ويحتمل الحال وقراء ابو عمرو على اصله في الاختلاس
برواية الدوري والضم والكسر ايامركم بالكفر انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله بعد
اذ انتم مسلمون دليل على ان الخطاب للنبيين للمسلمين وهم المستاذنون لان يسجد له واذ
اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم
لتؤمنن به ولتنصرنه قيل انه كان على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم به
اولى وقيل اضافة النبيين اضافة الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه
الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل وسماهم
نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا
منا واللام في لما توطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما يحتمل الشرطية ولتؤمنن
سادّ مسدّ جواب القسم والشرط ويحتمل الجزئية وقراء حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية
اي لاجل اتياني اياكم بعض الكتاب ثم مجيء رسول مصدق له وقرئ ولمّا بمعنى حين
اتيتكم او بمن اجل ما اتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلاث

استثقالا وقراء نافع اتيناكم بالنون والالف جمعا قال اقررتم واخذتم على ذلكم اصري
اي عهدي سمي بذلك لانه يؤصر اي يشد وقرئ بالضم وهو ما لغة فيه كغير اوجمع اصار
وهو ما يشد به قالوا اقررنا قال فاشهدوا اي فيشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب
فيه للملائكة وانا معكم من الشاهدين وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو
تاكيد وتحذير عظيم فمن تولى بعد ذلك بعد التميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فاولئك
هم الفاسقون المتمردون من الكفرة افغير دين الله يبغون عطف على الجملة المتقدمة
والهمزة متوسطة بينهما للانكار او محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون
وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند ابي عمرو وعاصم في رواية
حفص ويعقوب والتاء عند الباقين على تقدير وقل لهم وله اسلم من في السموات والارض
طوعا وكرها اي طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعانيه ما يلجي الى الاسلام
كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراق او مختارين كالملائكة والمومنين او مسخرين كالكفرة
فانهم لا يقدرون ان يمتنعوا مما قضي عليهم واليه يرجعون وقرا حفص بالياء على ان الضمير
لمن قل امنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم امر للرسول عليه الصلاة والسلام
بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقرآن كما هو نزل عليه نزل عليهم بتوسط تبليغه
اليهم وايضا المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم او بان يتكلم عن نفسه طريقة الملوك
احلا له والنزول يعدي بالى لانه ينتهي الى الرسل يعدي بعلى لانه فوق وانما قدم المنزل
عليه على المنزل على سائر الرسل لانه المعرف له والعيار عليه لا نفرق بين احد منهم
بالتصديق والتكذيب ونحن له مسلمون منقادون او مخلصون في عبادته ومن يبتغ
غير الاسلام دينا اي غير التوحيد والانقياد لحكم الله فلن يقبل منه وهو في الاخرة
من الخاسرين الواقعين في الخسران فالمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد
للنفع واقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها واستدل به على ان
الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره لا
قبول كل ما يغايره ولعل الدين ايضا للاعمال كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم
وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم الله فان الحايد عن
الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال البعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار وذلك لا يقتضي ان
لا تقبل توبة المرتد وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فاصدق
واكن او حال باضمار قد من فاعل كفروا وهو على الوجهين دليل على ان الاقرار باللسان خارج
عن حقيقة الايمان والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر
ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه اولئك جزاؤهم
ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين يدل بمنطوقه على جواز لعنتهم وبمفهومه
على جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى ما يوسون
عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او العموم فان الكافر يلعن منكر
الحق والمرتد عنه لكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها اي في اللعنة او العقوبة او النار
وان لم يجر ذكرها لدلالة الكلام عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين
تابوا من بعد ذلك اي من بعد الارتداد واصلحوا ما افسدوا ويجوز ان لا يقدر له مفعول
بمعنى ودخلوا في الصلاح فان الله غفور يقبل توبته رحيم يتفضل عليه قيل انما نزلت

في الحرث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان يسئلوا هل لي من توبة فارسل
اليه اخوه الجلاس بالاية فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا
كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بمحمد
صلى الله عليه وسلم والقران او كفروا بمحمد بعد ما امنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار
والعناد والطعن فيه والصد عن الايات ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة
ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه ونناقضه باظهار التوبة لن
تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون او لا يتوبون الا اذا اشرفوا على الهلاك وكني عن عدم توبتهم
بعدم قبولها تغليظا في شانهم وابرازا لحالهم في صورة حال الايسين من الرحمة او لان
توبتهم لا تكون الا نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم يدخل الفاء فيه واولئك
هم الضالون الثابتون على الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من
احدهم ملء الارض ذهبا لما كان الموت على الكفر بسبب لامتناع قبول الفدية ادخل
الفاء ههنا للاشعار به وملء الشيء ما يملاه وذهبا نصب على التمييز وقرئ بالرفع
على البدل من ملء والخبر محذوف ولو افتدى به محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من
احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من
احدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الاخرة
او المراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه
والمثل محذوف ويزاد كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد اولئك لهم عذاب اليم
مبالغة في التحذير والقنوط لان من لم يقبل منه الفدا ربما يعفى عنه تكرما وما لهم من
ناصرين في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق لن تنالوا البر اي لن تبلغوا حقيقة البر
الذي هو كمال الخير او لن تنالوا بر الله الذي هو الرحمة والرضى والجنة حتى تنفقوا مما تحبون
اي من المال او ما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس والبدن في طاعة الله والمهجة
في سبيله روي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحا اسم
بستان فيه بئر حوالي المدينة فضعها حيث اراك الله فقال بخ بخ ذلك مال رابح ورابح
واني اري ان تجعلها في الاقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبه فقال هذا في سبيل
الله فحمل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة فقال زيد انما اردت ان تصدق به فقال
عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى قد قبله منك وذلك يدل على ان انفاق احب الاموال
على اقرب الاقارب افضل وان الاية تعم الانفاق الواجب والمستحب وقرئ بعض ما تحبون
وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين وما تنفقوا من شيء اي من شيء محبوب
اوغيره ومن لبيان ما فان الله به عليم بكل شيء تنفقونه فيجازيكم بحسبه كل الطعام
اي المطعومات والمراد كلها كان حلا لبني اسرائيل حلالا لهم وموقت ولذلك يستوي
فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال الله تعالى الا من حل لهم الا ما حرم اسرائيل يعقوب
على نفسه كلحوم الابل والبانها قيل كان يعرق النساء فنذر ان شفي لم ياكل احب الطعام
اليه وكان ذلك احب اليه وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي
ان يجتهد وللمانع ان يقول ذلك باذن من الله تعالى فهو كتحريمه ابتداء من قبل ان
تنزل التوراة اي من قبل انزالها مشتملة على تحريم ما حرم عليهم بظلمهم وبغيهم عقوبة
وتشديدا وذلك رد على اليهود في دعوى البراءة عما نعي عليهم في قوله فبظلم من الذين
هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الايتان بان

قالوا

٢ مصدر

قالوا لستا اول من حرمت وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر
الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفي منع النسخ والطعن في دعوى الرسول
موافقا ابراهيم بتحليله لحوم الابل والبانها قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين
امرهم بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما
روي انه عليه الصلاة والسلام لما قال لهم بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية وفيه
دليل على نبوته فمن افترى على الله الكذب ابتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل
نزول التورية على بني اسرائيل ومن قبلهم من بعد ذلك من بعد ما الزمهم الحجة فاولئك
هم الظالمون الذين لا ينصفون من انفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح قل صدق
الله تعريض بكذبهم اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة
ابراهيم حنيفا اي ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابراهيم او مثل ملة حنيف تخلصوا
من اليهودية التي اضرتكم الى التحريف والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية والزمتكم
تحريم طيبات احلها ابراهيم ومن تبعه وما كان من المشركين فيه تعريض بشرك اليهود
واشارة الى ان اتباعه واجب في التوحيد الصرف والاستقامة في الدين والتجنب عن
الافراط والتفريط ان اول بيت وضع للناس اي وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم
والواضع هو الله تعالى ويدل عليه انه قوي على البناء للفاعل للذي ببكة للبيت
الذي ببكة وهي لغة في مكة كالنبط والنميط وامراتب وراتم ولازم ولازب
وقيل هي موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه او من بكه اذا دقه فانها تبك
اعناق الجبابرة روي انه عليه الصلاة والسلام سئل عن اول بيت وضع للناس فقال
المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من بناه
ابراهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل هو اول بيت بناه
ادم عليه السلام فانطمس في الطوفان ثم بناه ابراهيم وقيل كان في موضعه قبل ادم
بيت يقال له الضراح ويطوف به الملائكة فلما هبط امر بان يحجه ويطوف حوله ورفع
في الطوفان الى السماء الرابعة يطوف به ملائكة السموات وهو لا يلائم ظاهر الاية وقيل
المراد انه يالشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه
وطاف حوله حال من المستكن في الظرف وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم
ولان فيه ايات عجيبة كما قال فيه ايات بينات كانجراف الطير عن هوازاة البيت
على مدى الاعصار وان ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها وان كل
جبار قصده يبتر قهرة كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى مقام ابراهيم
مبتدا محذوف خبره اي منها مقام ابراهيم او بدل من ايات بدل البعض من الكل وقيل عطف
بيان على ان المراد بالايات اثر القدم في الصخرة الصماء وغوصها فيه الى الكعبين وتخصيصهم
بهذه الاثنة من بين الصغاري وابقاؤه دون سائر اثار الانبياء وحفظه مع كثرة اعدائه
الوف سنين ويؤيده انه قوي اية بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان
الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه ومن دخله كان امنا
جملة ابتدائية او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه في معنى امن من دخله
اي ومنها امن من دخله او فيه ايات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله اقتصر فيهما
بذكرهما من الايات الكثيرة فطوي ذكر غيرهما كقوله عليه الصلاة والسلام حبب الي من
دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة لان فيهما غنية عن غيرهما في الدارين

ع
الضراع

بقاء الاثر مدى الدهر ولله على الناس حج البيت قصده للزيارة على الوجه المخصوص
وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص حج بالكسر وهو لغة نجد من استطاع اليه
سبيلا بدل من الناس مخصص له وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد
والراحلة وهو يؤيد قول الشافعي انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد
اجرة من ينوب عنه وقال مالك انها بالبدن فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق
وقال ابو حنيفة انها بمجموع الامرين والضمير في اليه للبيت او للحج وكل الشيء لهو
سبيله ومن كفر فان الله غني عن العالمين وضع كفر من لم يحج تأكيدا لوجوبه وتغليظا
على تاركه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او
نصرانيا وقد اكد امر الحج في هذه الآية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وبرد
في الصورة الاسمية وايراده على وجه انه حق واجب لله في رقاب الناس وتعميم الحكم
اولا وتخصيصه فانه كالبيان لبعد ابهام وتنبيه وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا
من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فانه في هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان
وقوله عن العالمين بدل عن عنه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء عنه
بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس وانعاب
البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله روي انه لما نزل صدر
الآية جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله كتب عليكم الحج *
فحجوا فامنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزل ومن كفر قل يا اهل الكتاب لم
تكفرون بايات الله اي اية السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد فيما يدعيه
من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح وانهم
وان زعموا انهم مؤمنون بالتورية والانجيل فهم كافرون بها والله شهيد على ما تعملون
والحال انه شهيد مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها لا يتفعكم التحريف والاستتار قل
يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من امن كرر الخطاب والاستفهام مبالغة
في التقريع ونفي العذر واشعارا بان كل واحد من الامرين مستقبح في نفسه مستقل
باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق المأمور بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا
يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية
من التعادي والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه تبغونها عوجا حال
من الواو اي باغين طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيها عوجا
عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوهما او بان تحرشوا
بين المؤمنين لتختلف كلمتهم ويختل امر دينهم وانتم شهداء انها سبيل الله وان الصد
عنها ضلال واضلال وانتم عدول عند اهل ملتكم يثقون باقوالكم وبستشهدون كم
في القضايا وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم ولما كان المنكر في الاية الاولى كفرهم
وهم يجهرون به خفقها بقوله والله شهيد ولما كان في هذه الاية صدهم المؤمنين عن
الاسلام وكانه يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين
امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين نزلت
في نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه
تالفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بغاث وينشدهم
بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا

وقالوا

وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم واصحابه وقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام
وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان فالقوا السلاح
واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع الرسول عليه الصلاة والسلام وانما
خاطبهم الله تعالى بنفسه بعدما امر الرسول بان يخاطب اهل الكتاب اظهارا لجلالة
قدرهم واشعارا بانهم هم الاحقاء بان يخاطبهم الله ويكلمهم وكيف تكفرون وانتم
تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله انكار وتعجب للكفرهم في حال اجتمع لهم الاسباب
الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه او يلتجئ اليه
في مجامع اموره فقد هدي الى صراط مستقيم فقد اهتدي لا محالة يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله حق تقاته حق تقواه وما يجب منها او هو استفراغ الوسع في القيام بالواجب
والاجتناب عن المحارم كقوله فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو ان
يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان يتزه الطاعة فلا يلتفت
اليها وعن توقع المجازاة عليها وفي هذا الامر تاكيد النهي عن طاعة اهل الكتاب ولعل
تقاه وفيه قلبت واوها المضمومة تاء كما في توده وتخمه والياء الفا ولا تموتن الا
وانتم مسلمون اي ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادركم الموت فان النهي عن
المقيد بحال وغيرها قد يتوجه بالذات نحو القعل تاه والقيد اخرى وقد يتوجه نحو المجموع
دونهما وكذلك واعتصموا بحبل الله بدينه الاسلام او بكتابه لقوله عليه الصلاة والسلام
القران حبل الله المتين استعاره للحبل من حيث ان التمسك به سبب للنجاة عن الردي كما ان
التمسك سبب للسلامة عن التردي والوثوق به والاعتماد عليه لاعتصام ترشيحا للمجاز جميعا
مجتمعين عليه ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او لا
تتفرقوا تفرقكم الجاهلي يحارب بعضكم بعضا او لا تذكروا ما يوجب التفرق ويذهب
الالفة واذكروا نعمت الله عليكم التي من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المؤدي الى
التالف وزوال الغل اذ كنتم اعداء في الجاهلية متعادين فالف بين قلوبكم بالاسلام
فاصبحتم بنعمته اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة في الله وقيل كان الاوس والخزرج
اخوين لابوين فوقع بين اولادهما العداوة والبغضاء وتطاولت الحروب مائة وعشرين
سنة حتى اطفاءها الله بالاسلام والف بينهم برسوله عليه الصلاة والسلام وكنتم على شفا
حفرة من النار مشفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت على تلك الحالة
لوقعتم في النار فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او النار او للشفا وتانيثه للتانيث
ما اضيف اليه او لانه بمعنى الشفة فان شفا البئر وشفتها طرفها كالجانب والجانبة واصله شفو
فقلبت الواو الفا في المذكر وحذفت في المؤنث كذلك مثل التبيين يبين الله لكم اياته دلائله
لعلكم تهتدون ارادة اثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ولتكن منكم امة يدعون
الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له كل احد اذ المتصدي له شروط لا يشترك فيها
جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن من القيام بها خاطب
الجمع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل حتى تركوه راسا اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل
بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية او للتبيين بمعنى وكونوا امة تامرون كقوله كنتم خير امة
اخرجت للناس تامرون بالمعروف والدعاء الى الخير يعم الامر بما فيه صلاح ديني او دنيوي

وعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عطف الخاص على العام للايذان بفضله واولئك هم المفلحون
المخصوصون بكمال الفلاح روي انه عليه الصلاة والسلام سئل من خير الناس فقال آمرهم
بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا
على حسب ما يؤمر به والنهي عن المنكر واجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والاظهر ان
العامي يجب ان ينهي غيره عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما
وجوب الاخر ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا كاليهود والنصارى اختلفوا في التوحيد
والتنزيه واحوال الاخرة على ما عرفت من بعد ما جاءتهم البينات الآيات والحجج المبينة
للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهي مخصوص بالتفرق في الاصول دون الفروع
لقوله عليه الصلاة والسلام اختلاف امتي رحمة ولقوله من اجتهد واصاب فله اجران ومن
اخطاء فله اجر واحد واولئك لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا او تهديد على التشبيه
بهم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب بما في لهم من معنى الشرط الفعل او باضمار اذكر
وبياض الوجه وسواده كنايتان من ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف وقيل بوسم اهل
الحق بياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل
الباطل باضداد ذلك فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول
فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب
كفروا برسول الله عليه الصلاة والسلام بعد ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفار كفروا بعد
ما اقروا حين اشهدهم على انفسهم وتمكنوا من الايمان بالنظر في الدلائل والآيات فذوقوا
العذاب امر اهانة بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او اجراء الكفر كم واما الذين ابيضت
وجوههم ففي رحمة الله يعني الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المؤمن
وان استغرق عمره في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله ولان حق الترتيب
ان يقدم ذكرهم ولكن قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه حيلة المؤمنين وثوابهم هم
فيها خالدون اخرجه مخرج الاستيناف للتاكيد كانه قيل كيف يكونون فيها فقال نعم فيها
خالدون تلك ايات الله الواردة في وعده ووعيده نتلوها عليك بالحق لا شبهة فيه
وما الله يريد ظلما للعالمين اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحق عليه شيء فيظلم بنقصه
ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق كما قال ولله ما في السموات وما في
الارض والى الله ترجع الامور فيجازي كلا بما عمله واوعد كنتم خير امة دل على خيريتهم فيما
مضى ولم يدل على انقطاع طرا كقوله وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم في علم الله او في اللوح او فيما
بين الامم المتقدمين اخرجت للناس اظهرت لهم تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
استيناف يبين به كونهم خير امة او خبر ثان لكنتم وتؤمنون بالله يتضمن الايمان بكل ما يجب
الايمان به انما يتحقق ويعتد به اذا حصل الايمان بكل ما امر ان يؤمن به وانما اخره وجعله
ان يقدم لانه قصد بذكر الدلالة على انهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا
به واظهارا لدينه واستدل بهذه الآية على ان الاجماع حجة لانها تقتضي كونهم امرين بكل
معروف ناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على
خلاف ذلك ولو امن اهل الكتاب ايمانا كما ينبغي لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه منهم المؤمنون
كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الناسقون المتمردون في الكفر وهذه الجملة والتي
بعدها واردتان على سبيل الاستطراد لن يضروكم الا اذى ضررا يسيرا كالطعن والتهديد
وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون

احدهم

احد ينصرهم عليكم او يدفع باسهم عنكم نفي ضررهم سوي ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا
الي القتال كانت الدبرة عليهم ثم اخبر بانه يكون عاقبتهم العجز والخذلان وقريء لا ينصروا
عطف علي يولوا علي ان ثم للتراخي في المرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية
من المغيبات التي وافقها الواقع اذ لو كان كذلك حال قريظة والنظير وبني مينقاع ويهود خيبر
ضربت عليهم الذلة هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل والجزية
اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء من اعم عام الاحوال اي ضربت
عليهم الذلة في عامة الاحوال الا معتصمين او ملتبسين بذمة الله وكتابه الذي اتاهم
او ذمة المسلمين او بدينه الاسلام واتباع سبيل المؤمنين وباؤا بغضب من الله رجعوا
به مستوجبين له وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم احاطة البيت المضروب علي اهله
واليهود في غالب الامر فقراء مساكين ذلك اشارة الي ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة وبوؤا
بالغضب بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق بسبب كفرهم
بالايات وقتلهم الانبياء والتقييد بغير حق مع انه كذلك في نفس الامر للدلالة علي انه لم يكن
حقا بحسب اعتقادهم ايضا ذلك اي الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب
عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا ليسوا سواء في المساوي والضمير
لاهل الكتاب من اهل الكتاب امة قائمة استيناف لبيان نفي الاستواء والقائمة
المستقيمة المعادلة من اقمت بالعود فقام وهم الذين اسلموا منهم يتلون ايات الله
اناء الليل وهم يسجدون يتلون القراءة في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل
مع السجود ليكون ابلغ في المدح وقيل المراد صلاة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها
لانه عليه الصلاة والسلام اخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال اما انه ليس
من اهل الاديان احد يذكر الله غيركم يؤمنون بالله واليوم الاخر ويامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات صفات اخر لامة وصفهم بخصائص ما كانت
في اليهود فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون بالله ملحدون في صفاته
واصفون لليوم الاخر بغير صفاته بخلاف صفاته مداهنون في الاحتساب متثاقلون عن
الخيرات واولئك من الصالحين اي الموصوفون بتلك الصفات من صلحت احوالهم عند الله واستحقوا
رضاه وثناه وما تفعلوا من خير فلن تكفروه فلن يضيع ولا ينتقص ثوابه البتة سمي ذلك
كفرانا كما سمي توفية الثواب شكرا وتعديته الي مفعولين لتضمنه معني الحرمان قراء حفص
وحمزة والكسائي وما يفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء والله عليم بالمتقين
بشارة لهم واشعار بان التقوي مبدأ الخير وحسن العلم وان الفائز عند الله هو اهل التقوي ان الذين
كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من العذاب ومن الغناء فيكون مصدرا
واولئك اصحاب النار ملازموها هم فيها خالدون مثل ما ينفقون ما ينفقون الكفرة قربة
او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر برد
شديد والشايع اطلاقه لريح الباردة كالصرصر فهو في الاصل مصدر نعت به او نعت وصف
به البرد للمبالغة كقولك برد بارد اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي فاهلكته
عقوبة بهم لان الاهلاك عن سخط اشد والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه بحرث كما وضربته
صر فاستاصله ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا والاخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك
لم يبال باجلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث
وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون اي ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكن ظلموا انفسهم

هذه الآية

بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكنه اي ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يقدر
ضمير الشان لانه لا يحذف الا في الشعر كقوله ، ولكن من يبصر جفونك يعشق ،
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة وبجة وهو الذي يعرفه الرجل اسراره ثقة به شبه
ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه الصلاة والسلام الانصار شعار والناس دثار
من دونكم من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف وهو صفة بطانة اي بطانة
كائنة من دونكم لا يالونكم خبالا لا يقصرون لكم في الفساد ولا ألوا التقصير واصله ان يتعدى
بالحرف وعديّ الى مفعولين كقولك لا الوك نصحا على تضمين معنى المنع او التقصير
ود وا ما عنتم تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية قد بدت البغضاء
من افواههم لي في كلامهم لانهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم وما تخفي صدورهم
اكبر مما بدا الان بدوه ليس عن رؤية واختبار قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب
الاخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون ما بيّن لكم والجمل
الاربع جاءت مستأنفات على التعليل ويجوز ان يكون الثلاث الاول صفة لبطانة
ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة الكفار وتحبونهم
ولا يحبونكم بيان لخطائهم في موالاتهم وخبر ثان او خبر لاولاء والجملة خبر انتم كقولك انت
زيد تخبه او صلته او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينصب اولاء بفعل يفسره
ما بعده وتكون الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كله بجنس الكتاب كله وهو حال من ولا يحبونكم
والمعنى انهم لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم ايضا فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون
بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم واذا لقوكم قالوا امنا نفاقا
وتغريرا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ من اجله تاسفا وتحسرا حيث
لم يجدوا الى الشفاء سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف
قوة الاسلام واهله حتى يهلكوا به ان الله عليم بذات الصدور فيعلم ما في صدوركم من البغضاء
والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اي وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما يخفونه من غيظ الانامل
غنطا وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم
بالاخفى من ضمائرهم ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي
عداوتهم الى حد حسد وما نالهم من خير ومنفعة وشماتتهم بما اصابهم من ضر وشدة والمس
مستعار للاصابة وان تصبروا على عداوتهم او على مشاق التكاليف وتتقوا موالاتهم او ما حرم
الله عليكم لا يضركم كيدهم شيئا يفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان
المجد في الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال حريا على الخصم وضمة الراء للاتباع
كضمة مد وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره يضوره ان الله بما
تعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط اي محيط علمه بجازيكم بما انتم اهله وقرئ بالياء اي بما
يعملون في عداوتكم عالم فيعاقبهم عليه واذ غدوت اي واذكر اذ غدوت من اهلك من حجرة
عايشة رضي الله عنها تبوئ المؤمنين تنزلهم او تسوي وتهيئ لهم وتؤيده القراءة بالاملاء
مقاعد للقتال مواقف واماكن له وقيل يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع
كقوله تعالى في مقعد صدق وقوله تعالى قبل ان تقوم من مقامك والله سميع لاقوالكم عليم
بنياتكم روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء ثاني عشر شهر شوال سنة ثلاث من الهجرة
فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وقد دعا عبد الله بن ابيّ ولم يدعه قبله فقال
هو واكثر الانصار اقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو الا

الا اصاب منا وغلب علينا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه وغلبنا عليهم فكيف وانت فينا فدعهم
فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان
رجعوا رجعوا خائبين واشار بعضهم الى الخروج فقال عليه الصلاة والسلام رايت في منامي بقرة
مذبوحة حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي
في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتنهم
بدر وكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لامته
فلما راوا ذلك ندموا على ما الغوهم وقالوا اصنع يا رسول الله ما رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس
لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلاة الجمعة واصبح بشعب احد يوم السبت ونزل
في عدوة الوادي وجعله ظهره وعسكره الى احد وسوى صفوفهم وامر عبد الله بن جبير على الرماة
وقال انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا اذ همت متعلق بقوله سميع عليم او بدل من اذ
غدوت طائفتان منكم بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر
ان تفشلا ان تجبنا وتضعفا روي انه عليه الصلاة والسلام خرج في نحو الف رجل ووعدهم
النصر ان صبروا فلما بلغوا الشوط اخذل ابن ابي في ثلثمائة وقال علام نقتل انفسنا واولادنا
فتبعهم عمرو بن حزام الانصاري وقال انشدكم الله في دينكم وانفسكم فقال ابن ابي لو نعلم قتالا
لاتبعناكم فهم الحيان في اتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر
انه ما كان عن نية لقوله والله وليهما اي عاصمهما عن اتباع تلك الخطيئة ويجوز ان يراد والله
ناصرهما فالهما ان تفشلا وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على غيره
لينصرهم كما نصرهم ببدر ولقد نصركم الله ببدر تذكير ببعض ما افادهم التوكل وبدر ماء
بين مكة والمدينة كان لرجل يدعى بدرا فسمي به وانتم اذلة حال من الضمير وانما قال اذلة
ولم يقل اذلاء ليدل على قلتهم مع ذلتهم لضعف حالهم وقلة المركب والسلاح فاتقوا الله في
الثبات لعلكم تفلحون لعلكم تشكرون ما انعم عليكم بتقواكم من نصره او لعلكم بنعم الله عليكم
فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه اذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم وقيل
بدل ثان من اذ غدوت على ان قوله لهم يوم احد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى من المخالفة
فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا امر الرسول صلى الله عليه وسلم لم تنزل الملائكة الن يكفيكم
ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة منزلين انكار ان لا يكفيهم ذلك وانما جيء بلن اشعارا
بانهم كانوا كالايسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم قيل امدهم الله يوم بدر
اولا بالف من الملائكة ثم صاروا ثلاثة الاف ثم صاروا خمسة وقرا ابن عامر منزلين بالتشديد
للتكثير والتدريج بلى ايجاب لما بعد لن اي بلى يكفيكم ثم وعدهم الزيادة على الصبر والتقوى
حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم اي المشركون من فورهم
هذا من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم
اطلق للحال التي لا ريب فيها والمعنى ان يأتوكم في الحال يمددكم ربكم بخمسة
الاف من الملائكة مسومين معلمين من التسويم الذي هو اظهار سيما الشيء لقوله عليه
الصلاة والسلام لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت او مرسلين من التسويم
بمعنى الارسال وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو وما جعله الله
وما جعل امدادكم بالملائكة الا بشرى لكم الا ابشارا لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم
به ولتسكن اليه من الخوف وما النصر الا من عند الله لا من العدد وهو تنبيه على ان
لا حاجة في نصرهم الى مدد وانما امدهم ووعدهم به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث

ان نظر العامة الى الاسباب اكثر وحث على ان لا يبالوا بمن تاخر عنهم العزيز الذي لا يغالب
في اقضيته الحكيم الذي يخذل وينصر بوسط وغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة ليقطع
طرفا من الذين كفروا متعلق بنصركم او وما النصر ان كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص
منهم بقتل بعض واسر بعض اخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من
صناديدهم او يكبتهم او يجزيهم والكبت شدة الغيظ او وهو يقع في القلب واو
للتنويع دون التردد فينقلبوا خائبين فينهزموا منقطعي الامال ليس لك من الامر شيء
اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم
فاما ان يملكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من
امرهم شيء وانما انت عبد مامور لانذارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون معطوفا على الامر
او شيء باضمار ان اي ليس لك من امرهم ومن التوبة عليهم او تعذيبهم وان يكون او بمعنى
الا اي ليس لك من الامر شيء الا ان يتوب الله عليهم فتسر به او يعذبهم فتشفي به منهم
روي ان عتبة بن ابي وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول
كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه
ان فيهم من يؤمن فانهم ظالمون قد استحقوا التعذيب بظلمهم ولله ما في السموات وما
في الارض خلقا وملكا فله الامر كله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء صريح في نفي وجوب
التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له والله غفور رحيم لعباده فلا
تبادروا بالدعاء عليهم يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة
لا تزيد وازيادات مكررة وفعل التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل يربي الى اجل ثم
يزيد فيه زيادة اخرى حتى يستغرق بالمال الشيء الطفيف مال المديون وقراء ابن كثير
وابن عامر ويعقوب مضعفة وتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون راجعين للفلاح
واتقوا النار التي اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي افعالهم وفيه تنبيه
على ان النار بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة واطيعوا الله والرسول لعلكم
ترحمون اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في مثل
ذلك دليل على ان التوصل الى ما جعلا خبرا له وسارعوا بادروا واقبلوا الى مغفرة من
ربكم الى ما يستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقراء نافع وابن عامر سارعوا
بلا واو وجنة عرضها السموات والارض اي عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة في وصفها
بالسعة على طريقة التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل
بعضها ببعض اعدت للمتقين هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن
هذا العالم الذين ينفقون صفة مادحة للمتقين او مرفوع على المدح او منصوب وفي السراء
والضراء في حالتي الرخاء والشدة او الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو من مسرة او مضرة
اي لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير والكاظمين الغيظ الممسكين عليه
الكافين عن امضائه مع القدرة من كظمت القربة اذا ملاتها وشددت رأسها وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملاء الله قلبه امنا وايمانا والعافين
عن الناس التاركين عقوبة من استحقوا مواخذته وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء
من امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب المحسنين يحتمل
الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد فتكون الاشارة اليهم والذين اذا فعلوا فاحشة
فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اذنبوا اي ذنب كان وقيل الفاحشة

ح يستوفي

الكبيرة

الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدي وظلم النفس الصغيرة ما ليس كذلك
ذكروا الله تذكر وعيده او حكمه او خفه لعظيم فاستغفروا لذنوبهم بالندم والتوبة
ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه تعالى
بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة ولم يصروا على ما فعلوا
ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله عليه الصلاة والسلام ما اصر من استغفر وان
عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون حال من يصروا اي ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين
به اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
خبر للذين ان ابتدأت به وجملة مستانفة مبينة لما قبلها ان عطفت على المتقين او على الذين
ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزالهم ان لا يدخلها المصرون كما لا يلزم
من اعداد النار للكافرين جزالهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل على ان
ما لهم دون ما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في تلك الآية المتقدمة وكذلك فارقا
بين القبيلين انه فصل اتيهم بما بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله تعالى وذلك لانهم
حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التحصيص بمكارمه وفصل اتيه هؤلاء بقوله ونعم اجر
العاملين لان المتدارك لتقصير كالعامل لتحصيل ما فوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك
والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف
تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن وقايع سنها
الله في الامم المكذبة كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم قال

ما عاين الناس من فضل كفضلكم ولا ارى مثله في سائر السنن

فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لتعتبروا بما ترون من اثارها لكم هذا
بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم قوله فانظروا
اي انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة للمتقين والى ما لخص من امر المتقين والتائبين
وقوله قد خلت اعتراض للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى القرآن ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية
لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم
وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم شانا فانكم على الحق وقتلاكم في الجنة وهم على الباطل
وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار ولانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم
او انتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة ان كنتم مؤمنين متعلق
بالاعلون او بالنهي اي لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله ان يمسسكم
قرح فقد مس القوم قرح مثله قراءة حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون
بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم ألمها والمعنى ان اصابوا
منكم يوم احد فقد اصبتم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم
ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا الفريقين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر
الرسول وتلك الايام نداولها بين الناس نصرفها بينهم نزيل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله

فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر

والمداولة كالمعاورة يقال داولت الشيء بينهم فتداولوه والايام يحتمل الوصف والخبر وتداولها
يحتمل الخبر والحال والمراد بها اوقات النصر والغلبة وليعلم الله الذين امنوا عطف على علة محذوفة
اي ندا ولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب المؤمن
فيه من المصالح ما لا يعلم او الفعل المعلل به محذوف وتقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين

على حرف فعلنا ذلك والمقصد في امثاله ونقائضه ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل اثبات
المعلوم ونفيه على طريقة البرهان ليعلم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشيء موجودا
ويتخذ منكم شهداء يكرمهم تاسا منكم بالشهادة يريد شهداء احد ويتخذ منكم شهودا
معدلين بما صدق منهم من الثبات والصبر على الشدايد والله لا يحب الظالمين الذين
يضعون خلاف ما يامرهم ليظهروه او الكافرين وهو اعتراض وفيه تنبيه على ان الله تعالى
لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين وليمحص
الله الذين امنوا ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم ويمحق الكافرين
ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشيء قليلا قليلا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بل حسبتم
ومعناه الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما يجاهد بعضكم وفيه دليل على انه
فرض على الكفاية والفرق بين لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم
على ان اصله يعلمن حذفت النون ويعلم الصابرين نصب باضمار ان على ان الواو للجمع
وقرئ بالرفع على ان الواو للحال كانه قال ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون
الموت اي الحرب فانه من اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا
وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من
الكرامة فالحوا يوم احد على الخروج من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته
فقد رايتموه وانتم تنظرون اى فقد رايتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من
اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا فانهزموا عنها او على تمنيهم
الشهادة فان في تمنيها تمني غلبة الكفار وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل
فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم انكارا لارتدادهم
وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلو نبي بموت او قتل بعده عليهم كخلو الرسل قبله وبقاء
دينهم متمسكا به وقتل الغاء للسببية والهمزة للانكار ان يجعلوا خلو الرسول قبله
سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد وفاته روي انه لما رمى عبد الله بن قمئة القرشي
الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر وكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه مصعب بن
عمير وكان صاحب لوائه حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل النبي عليه الصلاة والسلام
فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفا الناس وجعل الرسول عليه
الصلاة والسلام يدعوا الى عباد الله فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا
عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت بن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفيان
وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس
ابن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان محمد قتل فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون
بالحيوة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرا اليك
مما جاء به هؤلاء وشد بسيفه فقاتل حتى قتل ونزلت وما محمد الا رسول قد خلت من قبله
الرسل الى الشاكرين ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بارتداده
بل يضر نفسه ويجزي الله الشاكرين على نعمة الاسلام بالثبات عليه كانس واضرابه
وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله الا بمشيته تعالى واذنه لملك الموت عليه
الصلاة والسلام في قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسببا قد علم وقضاه لا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون بالاحجام من القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال
ووعد للرسول بالحفظ وتاخير الاجل كتابا مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا موجلا
صفة له اي موقتا لا يتقدم ولا يتاخر ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها تعريض لمن شغلتهم

الغنايم يوم احد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون فلما راي الرماة ذلك اقبلوا على النهب وخلوا اماكنهم فاتتهم المشركون وحملوا عليهم من ورايهم فهزموهم
ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي الشاكرين الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وكاين اصله اي ادخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين نبتت في الخط على غير قياس وقراء ابن كثير وكاع كما عن ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة كفوهم وعلى ولعري فصار كيان ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفا كما ابدلت من طاي من بني بيان له قاتل معه ربيون كثير ربانيون علماء اتقياء او عابدون لربهم وقيل جماعات والربي منسوبة الى الربة وهي الجماعة للمبالغة وقراء ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب قتل واسناده الى ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله فما فتروا ولم ينكسر حدهم لما اصابهم من قتلة النبي او بعضهم وما ضعفوا عن العدو او في الدين وما استكانوا وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة او استكانوا من الكون لانه يطلب من نفسه ان تكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف بقتله عليه الصلاة والسلام والله يحب الصابرين فينصرهم ويعظم قدرهم وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين اي وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم هضما لها واضافة ما اصابهم الى سوء اعمالهم والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت في مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون عن خشوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبر الا ان قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمانها وزمان الحدث فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة والله يحب المحسنين فاتاهم الله بسبب الاستغفار واللجاء الى الله النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا والجنة والنعيم في الاخرة وحسن ثوابها بالحسن اشعار بفضله وانه المعتد به عنده
يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين نزلت في قول المنافقين للمومنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تسكنوا لابي سفيان واشياعه وتستامنوهم يردوكم الى دينهم وقيل عام في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم بل الله مولاكم ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله مولاكم وهو خير الناصرين فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بكسر الشين وضمها ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه الصلاة والسلام ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم بما لستاصلهم فالقى الله الرعب في قلوبهم وقراء ابن عامر والكسائي ويعقوب بالضم على الاصل في كل القرآن بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم ما لم ينزل به عليهم سلطانا اي الهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل به عليهم به سلطانا وهو كقوله ولا تزر الضب بها تجر

واصل السلطنة بالقوة ومنه السلطنة لقوة اشتغاله والسلاطة بحدة اللسان وماواهم
النار وبئس مثوى الظالمين اي مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل ولقد
صدقكم الله وعده اي وعده اياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف
الرماة فات المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى
انهزموا والمسلمون على اثارهم اذ تحسونهم باذنه تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه حتى
اذا فشلتم جبنتم وضعف رايكم اوملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل وتنازعتم
في الامر يعني اختلاف الرماة حتى انهزم المشركون فقال بعضهم لما موقفنا ههنا وقال اخرون
لانخالف امر الرسول فثبت مكانه اميرهم في نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعني
بقوله وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام العدو وجواب
اذا محذوف وهو امتحنكم منكم من يريد الدنيا وهم الذين تركوا المركز للغنيمة ومنكم من
يريد الاخرة وهم الثابتون محافظة على امر الرسول ثم صرفكم عنهم ثم كفكم عنهم حتى
حالت الحال فغلبوكم ليبتليكم على المصايب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها ولقد
عفى عنكم تفضلا وما علم من ندمهم على المخالفة والله ذو فضل على المومنين يتفضل عليهم
بالعفو في الاحوال كلها سواء ادبل لهم اوعليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة اذ تصعدون متعلق
بصرفكم اوليبتليكم او بمقدر كاذكروا او اصعادا لذهاب والابعاد في الارض يقال صعد نا
من مكة الى المدينة ولا تلوون على احد لايقف احد لاحد ولا ينتظره والرسول
يدعوكم كان يقول الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة في اخراكم في ساقتكم
وجماعتكم الاخري فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم عطف على صرفكم
والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح
وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول او جازاكم غما بسبب غم اذ قتموه رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر في الشدايد ولا تحزنوا فيما بعد على نفع
فايت وضر لاحق وقيل لامزيدة والمعنى لتاسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى
ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في فاثابكم للرسول اي فاساكم بالاغتمام
فاغتم بما انزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثن بذم على عصيانكم تسلية لكم كيلا تحزنوا على
ما فاتكم من النصر ولا على ما اصابكم من الهزيمة والله خبير بما تعملون عالم بأعمالكم وبما قصدتم بها
ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا انزل الله عليكم الامن حتى اخذتكم النعاس وعن ابي طلحة
غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه
والامنة الامن نصب على المفعول ونعاسا بدل منها او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة
او مفعول له او حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على ان جمع امن كبار وبررة وقري امنة
بسكون الميم كانها المرة من الامن يغشى طايفة منكم اي النعاس وقري حمزة والكسايي
بالتاء ردا على الامنة والطايفة المنون حقا وطايفة هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم
اوقعتهم انفسهم في الهموم اوما بهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله غير الحق ظن
الجاهلية صفة اخري لطايفة اوحال او استيناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب
على المصدر اي يظنون بالله غير الظن الحق الذي يظن به يجب ان يظن وظن الجاهلية بدل وهو الظن
المختص بالملة الجاهلية واهلها ويقولون اي لرسول الله بدل من يظنون هل لنا من الامر من
الامر شئ هل لنا مما امر الله ووعد من النصر والظفر نصيب قط وقيل اخبر ابن ابي بقتل
بني الخزرج فقال ذلك والمعنى ان منعنا تدبير انفسنا وتصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من

الامر شئ او هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شئ قل ان الامر كله لله اي الغلبة
الحقيقية والنصر والولاية فان حزب الله هم الغالبون او القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم
ما يريد وهو اعتراض وقرأ ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء يخفون في انفسهم
ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون اي يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون
النصر مبطنين الانكار والتكذيب يقولون في انفسهم او اذ خلا بعضهم الى بعض وهو
بدل من يخفون او استيناف على وجه البيان لو كان لنا من الامر شئ كما وعد محمد عليه الصلاة
والسلام او زعم ان الامر كله لله تعالى ولاوليائه ولو كان لنا اختيار وتدبير لم نبرح
كما كان رأي ابن ابي وغيره ما قتلنا ههنا لما غلبنا ولما قتل من قتل منا في هذه المعركة قل
لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اي يخرج الذين قدر الله
عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم تنفع الاقامة بالمدينة ولم ينج
منه احد فانه قدر الامور ودبرها في سابق قضائه لا معقب لحكمه وليبتلي الله ما في
صدوركم وليمتحن الله ما في صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق وهو
علة فعل محذوف تقديره وفعل ذلك ليبتلي او عطف على محذوف اي لتفود القضاء
او لمصالح جمة في الابتلاء او على قوله لكيلا تحزنوا وليمحص ما في قلوبكم وليكشفه ويميزه
ويخلصه من الوساوس والله عليم بذات الصدور بخفياتها قبل اظهارها وفيه وعد
ووعيد وتنبيه على انه غني عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتمرين المؤمنين واظهار حال
المنافقين ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا
يعني ان الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب في انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل
فاطاعوه واقترفوا ذنوبا بترك المركز والحرص على الغنيمة او الحيوة لمخالفة النبي فمنعوا
التاييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت
لهم جرت بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم وكرهوا القتل
قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد عفى الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله
غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب يا ايها الذين امنوا لا تكونوا
كالذين كفروا يعني المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم وفيهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم
في النسب والمذهب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وكان
حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية اوكانوا غزا جمع غاز كعاف
وعفى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا مقولهم قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا
مخاطبين ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة
مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا اي لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك لقول
والاعتقاد ليجعله حسرة في قلوبهم خاصة فذلك اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد
وقيل الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في
قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم والله يحيي ويميت رد لقولهم اي هو المؤثر
في الحيوة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم
والقاعد والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرأ ابن كثير وحمزة
والكسائي يا بالياء على انه وعيد للذين كفروا ولاخوانهم قتلتم في سبيل الله او متم اي متم في سبيله
وقرأ نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون
جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى ان السفر والغزا مما يجلب الموت وتقدم

وتقدم الاجل وان وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة خير مما يجمعون
من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وقراءة حفص بالياء ولئن متم او قتلتم على اي وجه اتفق
هلاككم لا الى الله تحشرون لا الى معبود كم الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجتكم لوجهه
لا الى غيره لا محالة تحشرون فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم وقراءة نافع وحمزة والكسائي
متم بالكسر فبما رحمة من الله لنت لهم اي فبرحمة وما مزيدة للتاكيد والدلالة على ان لينة
لهم ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه على جاشه وتوفيقه لهم حتى عفت لهم بعد ان خالفوه
ولو كنت فظا سيئ الخلق جافيا غليظ القلب قاسيه لا نفضوا من حولك لتفرقوا عنك
ولم يسكنوا اليك فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما لله وشاورهم في الامر
اي في امر الحرب اذ الكلام فيه او فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا برايهم وتطييبا لنفوسهم
وتمهيدا لسنة المشاورة للائمة فاذا عزمت فاذا اوطنت نفسك على شيء بعد الشورة
فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو اصح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم
اي فاذا عزمت على شيء وعينته لك فتوكل علي ولا تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين
فينصرهم ويحيد بهم الى الصلاح ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم قلة
احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده بعد خذلانه
او من بعد الله بمعنى اذا جاوز تموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضى للتوكل وتحريض
على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون
فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه وامنوا به وما كان لنبي ان يغل وما صح
لنبي ان يخون في الغنائم فان النبوة تنافي الخيانة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا
واغل اغلالا اذا اخذه في خفية والمراد منه اما براءة الرسول عما اتهم به اذ روي
ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها او ظن
به الرماة يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم واما المبالغة في النهي للرسول على ما روي
انه بعث طلايع فغنم الرسول عليه الصلاة والسلام فقسم على من معه ولم يقسم للطلايع
فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقراءة
نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب ان يغل للبناء للمفعول وما صح لان يوجد
غالا وان ينسب الى الغلول ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة بالذي غله يحمله على
عنقه كما جاء في الحديث او بما احتمل من وبال اثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت تعطى
جزاء ما كسبت وافيا وكان اللايق بما قبله ان يقال ثم توفى ما كسبت لكنه عمم ليكون
كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم
جرمه بذلك اولى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد في عقاب عاصيهم
افمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء رجع بسخط من الله بسبب المعاصي وماواه
جهنم وبئس المصير الفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى
ولا كذلك المرجع هم درجات عند الله شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت
في الثواب والعقاب او هم ذوو درجات والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتهم
صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين انعم على من امن مع الرسول
من قومه وخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها وفي لمن من الله
على انه خبر مبتدا محذوف مثل منه او معتقه اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم من نسبهم

او من جنسهم عربيا مثلهم لينفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق
والامانة مفتخرين به وقرئ من انفسهم اى من اشرفهم لانه عليه الصلاة والسلام كان
من اشرف قبايل العرب وبطونهم يتلوا عليهم اياته اي القران ما كانوا جها لا لم يسمعوا
الوحي ويزكيهم يطهرهم من دنس الطباع وسوء العقايد والاعمال ويعلمهم الكتاب
والحكمة القران والسنة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ان هي المخففة واللام
هي الفارقة والمعني وان الشان كانوا من قبل بعثة الرسول في ضلال ظاهر ولما
اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا الهمزة للتقرير والتقريع والواو
عاطفة الجملة على ما سبق من قصة احد وعلى محذوف مثل افقلتم كذا وقلتم ولما ظرفه
المضاف الى اصابتكم اى حين اصابتكم مصيبة وهي قتل سبعين منكم يوم احد والحال
انكم قتلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا
النصر قل هو من عند انفسكم مما اقترفتموه انفسكم من مخالفة الامر بترك المركز فان
الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة او اختيار الخروج من المدينة وعن علي رضي الله عنه
باختياركم القعود يوم بدر ان الله على كل شي قدير فيقدر على النصر ومنعه وعلى ان يصيب
بكم ويصيب منكم وما اصابكم يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم
احد فباذن الله فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار ايساها اذ نالا تهامن لوازمه وليعلم
المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هولاء وكفر
هولاء وقيل لهم عطف على نافقوا داخل في الصلة او كلام مبتدا تعالوا قاتلوا في سبيل
الله او ادفعوا انفسكم للامر عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا للاخرة او للدفع عن الانفس
والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة او ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فان
كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه قالوا لو نعلم قتالا لا تبعناكم لو نعلم ما يصح
ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه ولكن ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس الى
التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم فيه وانما قالوا ذلك استهزاء هم للكفر يومئذ
اقرب منهم للايمان للخرهم وكلامهم هذا فانهما اولا امارات ظهرت منهم مؤدية بكفرهم
وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان انخزالهم ومقالهم تقوية
للمشركين وخذيلا للمؤمنين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم يظهرون خلاف
ما يضمرون لان تواطئ قلوبهم السنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه تاكيد وتصوير
والله عليم بما يكتمون من النفاق وما يخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم
واجب وانتم تعلمون مجملا بامارات للذين قالوا رفع بدلا من واو يكتمون او نصب على
الذم او الوصف للذين نافقوا او جر بدلا من الضمير في بافواههم او قلوبهم كقوله
على حوبة لصغر يا لما حاتم لاخوانهم اي لاجلهم يريد من قتل يوم احد من
اقاربهم او من جنسهم وقعدوا مقدر بقد اي قالوا قاعدين عن القتال لو اطاعونا
في القعود ما قتلوا كما لم نقتل وقرئ هشام ما قتلوا بتشديد التاء قل فادرؤا عن انفسكم
الموت ان كنتم صادقين ان كنتم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن
انفسكم الموت واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن فان اسباب الموت كثيرة
وكما ان القتال يكون سببا للهلاك والقعود سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس ولا
تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا نزلت في شهداء احد وقيل في شهداء بدر والخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد وقرأ هشام بالتاء كالباقين وبالياء علي

بعد

اسناده الى ضمير الرسول او من يحسب والى الذين قتلوا او المفعول الاول محذوف لانه في
الاصل مبتدأ جاز الحذف عند القرينة وقراء ابن عامر قتلوا بالتشديد للكثرة المقتولين
بل احياء عند ربهم يرزقون ذوو انزلفى منه يرزقون من الجنة وهو تاكيد لكونهم احياء
فرحين بما اتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحيوة الابدية والقرب
من الله والتمتع بنعيم الجنة ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم
اى باخوانهم الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم الذين من خلفهم زمانا او رتبة الاخوف
عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الاخرة
وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء حيوة لا يلاقى
خوف ووقوع محذور وخوف فوات محبوب والاية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس
بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه الاية وما روى ابن عباس
انه عليه الصلاة والسلام قال ارواح الشهداء في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل
من ثمارها وتاوى الى قناديل معلقة في ظل العرش ومن انكر ذلك ولم يران الروح الا جسما
وعرضا قال هم احياء يوم القيمة وانما وصفوا بها في الحال لتحققه ودنوه او احياء بالذكر
او بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب في الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة واحماد
لمن يتمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح يستبشرون كرره
للتاكيد وليتعلق به ما هو بيان لقوله الا خوف عليهم ويجوز ان يكون بحال اخوانهم
وهذا بحال انفسهم بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم وفضل زيادة عليه كقوله للذين احسنوا
الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم وان الله لا يضيع اجر المؤمنين من جملة المستبشر به عطف
على فضل وقراء الكسائي بالكسر على انه استيناف معرض دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم
مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة واجوره مضيعة الذين استجابوا لله والرسول
من بعد ما اصابهم القرح صفة للمؤمنين او نصب على المدح او مبتدا خبره للذين احسنوا
منهم واتقوا اجر عظيم يحملته ومن للبيان والمقصود من ذلك كل الوصفين المدح
والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون روي ان ابا سفيان واصحابه
لما رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب
اصحابه للخروج في طلبه وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج صلى الله
عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة وكان باصحابه
القروح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين
فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين استقبلهم ابن عبد قيس او نعيم
ابن مسعود الاشجعي واطلق عليه الناس لانه من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل وما
له الا فرس واحد او لانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه ان الناس قد جمعوا
لكم فاخشوهم يعني ابا سفيان بن حرب واصحابه روي انه نادى عند انصرافه من احد يا محمد
موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه الصلاة والسلام ان شاء الله فلما كان
في القابل خرج في اهل مكة حتى نزل مر الظهران قاذف الله الرعب في قلبه وبدا له ان يرجع
فمر به ركب ابن عبد قيس يريدون المدينة كلميرة فشرط لهم حمل بعير من الزبيب ان ثبطوا
المؤمنين المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم
له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمون يتجهزون فقال لهم انوكم في دياركم فلم يفلت
منكم احد الا شريدا فترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه الصلاة والسلام

والذى نفسى بيده لاخرجن ولو لم يخرج معى احد فخرج فى سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا
الله فزادهم ايمانا الضمير المستكن للقول او لمصدر قال او لفاعله ان اريد به نعيم وحده
والباء للمقول لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد
ايمانهم فاظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص
وبعضده قول ابن عمر رضى الله عنهما قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال يزيد حتى
يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة
من جملة الايمان وكذا ان لم يجعل فان اليقين يزداد بالالف وكثرة التامل وتناصر الحج وقالوا
حسبنا الله محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه ويدل على انه بمعنى المحتسب انه لا يستفيد
بالاضافة تعريفا الى قولك هذا رجل حسبك ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا
فرجعوا من بدر بنعمة من الله عافية وثبات على الايمان وزيادة فيه وفضل ربح التجارة
فانهم اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا لم يمسسهم سوء من جراحة وكيد عدو
واتبعوا رضوان الله الذى هو مناط الفوز بخير الدارين بحوبتهم وخروجهم والله ذو فضل
عظيم قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب
فى الدين واظهار الجراءة على العدو وبالحفظ على كل ما يسوءهم واصابة النفع مع ضمان
الاجر حتى انقلبوا بنعمة من الله وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة لرايه حيث حرم
نفسه ما فاز وابه انما ذلكم الشيطان يريد به المثبط نعيما او ابا سفيان والشيطان
جر ذلكم وما بعده بيان لشيطنته او صفة وما بعده خبر ويجوز ان يكون الاشارة الى
قوله على تقدير مضاف انما ذلكم قول الشيطان يعنى ابليس عليه اللعنة يخوف اوليآءه
القاعدين عن الخروج مع الرسول عليه الصلاة والسلام او يخوفكم اولياؤه الذين هم
ابو سفيان واصحابه فلا تخافوهم الضمير للناس على الاول والى الاولياء على الثانى وخافون
من مخالفة امرى فجاهدوا مع رسولى ان كنتم مومنين فان الايمان يقتضى ايثار خوف
الله على خوف الناس ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر يقعون فيه سريعا حرصا
عليه وهم المنافقون من المتخلفين او قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف
ان يضروك ويعينوا عليك لقوله انهم لن يضروا الله شيئا اى لن يضروا اولياء الله
بمسارعتهم فى الكفر وانما يضرون انفسهم وشيا يحتمل المفعول والمصدر وقرا نافع
يحزنك بضم الياء وكسر الزاى حيث وقع ماخلا قوله فى الانبياء لا يحزنهم الفزع الاكبر
فانه فتح الياء وضم الزاى والباقون كذلك فى الكل يريد الله ان لا يجعل لهم حظا
فى الاخرة نصيبا من الثواب فى الاخرة وهو يدل على تمادى طغيانهم وموتهم على الكفر فذكر
الارادة واشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من
رحمته وان مسارعتهم الى الكفر لانه تعالى لم يرد لهم ذلك ان يكون لهم حظ فى الاخرة ولهم
عذاب عظيم مع الحرمان من الثواب ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله
شيئا ولهم عذاب اليم تكرير للتاكيد او تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين
او ارتد من الاعراب ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم خطاب للرسول
او لكل من يحسب والذين مفعول وانما نملى لهم بدل منه وانما اقتضى على مفعول واحد
لان التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله تعالى ام يحسب ان اكثرهم يسمعون
او المفعول الثانى على تقدير مضاف مثل ولا يحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء
خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وما مصدرية

فون

فكان حقها ان تفصل في الخط ولكنها وقعت متصلة في الامام وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم
والكسائي ويعقوب بالياء على ان الذين فاعل وان مع ما في خبره مفعول وفتح سينه
في جميع القرآن ابن عامر وعاصم وحمزة والاملاء الامهال وقيل اطالة العمر وقيل تخليتهم
وشأنهم من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء انما نملي لهم ليزدادوا اثما
استئناف بما هو علة في الحكم قبلها ومكافئة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة
وقرئ انما بالفتح وبكسر الاولى ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن يا محمد ولا
يحسبن يا ايها الذين كفروا ان املاءنا لهم لازديادهم الاثم بل للتوبة والدخول على الايمان
وانما نملي لهم خبر عترض معناه ان املاءنا لهم خير ان انتهبوا وتداركوا فيه ما فرط منهم ولهم
عذاب مهين على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو وليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين
ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب الخطاب للعامة
المخلصين والمنافقين في عصره والمعنى لا يتركم مختلطين لا يعرف مخلصكم من
منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التي
لا يصبر عليها الا المخلص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس في سبيل الله ليختبر
به بواطنكم ويستدل به على عقايدكم وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الانفال حتى يميز
بضم الياء وفتح الميم وكسر الياء وتشديدها والباقون بفتح الياء وكسر الميم وسكون
الياء وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء وما كان
الله ليوتي احدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر او ايمان ولكن الله يجتبي
لرسالته من يشاء فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له ما يدل عليها فامنوا
بالله ورسله بصفة الاخلاص بان تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم مختبين
لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يقولون الا ما اوحى الله اليهم روي ان الكفرة قالوا ان كان
محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وعن السدي رضي الله عنه انه عليه
الصلاة والسلام قال عرضت على امتي فاعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فقال المنافقون انه
يزعم انه يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وان تؤمنوا
وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله
من فضله هو خيرا لهم القراءة فيه ما سبق ومن قرأ بالتاء قدر مضافا ليطابق مفعوله
اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم ولذا من قرأ بالياء ان جعل الفاعل ضمير
الرسول او من يحسب وان جعله الموصول كان المفعول الاول محذوفا للدلالة يبخلون
عليه اي ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم بل هو اي البخل شرا لهم لاستجلابه
العقاب عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة بيان لذلك والمعنى سيلزمون
وبال ما بخلوا الزام الطوق وعنه عليه السلام ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله الا جعل الله
له شجاعا في عنقه يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض ولله ما فيهما مما يتوارث
فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقون في سبيله لهلاكهم وتبقى
عليهم الحسرة والعقوبة والله بما تعملون من المنع والاعطاء خبير فيجازيكم وقرأ نافع وابن
عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات وهو ابلغ في الوعيد لقد سمع الله
قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قاله اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله
قرضا حسنا وروي انه عليه الصلاة والسلام كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى يهود فبنقاع
يدعوهم الى الاسلام واقام الصلاة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص

ابن عازورا عليه اللعنة ان الله فقير حين سأل القرض فلطمه ابو بكر رضي الله عنه وقال
لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد
ما قاله فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب عليه **سنكتب ما قالوا**
وقتلهم الانبياء بغير حق اى ستكتب في صحائف الكتبة او نحفظ في علمنا لانهمله
لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله واستهزاء بالقرآن والرسول ولذلك نظمه مع قتل
الانبياء وفيه تنبيه على انه ليس اول جريمة ارتكبوها وان من اجرأ على قتل الانبياء
لم يستبعد منه امثال هذا القول **ونقول ذوقوا عذاب الحريق** اى وننتقم منهم بان
نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغات في الوعيد والذوق ادراك المطعوم
على الاتساع ليستعمل الادراك سائر المحسوسات والحالات وذكره هيهنا لان العذاب
مرتب على قولهم الناشئ عن البخل والتهالك على المال وغالب حاجة الانسان اليه لتحصيل
المطاعم ومعظم بخله الخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال **ذلك** اشارة
الى العذاب **بما قدمت ايديكم** من قتلهم الانبياء وقولهم هذا وساير معاصيهم وعبر
بالايدي عن الانفس لان اكثر اعمالها بها **وان الله ليس بظلام للعبيد** عطف على ما قدمت
وسببيته العذاب من حيث ان نفي الظلم يستلزم العدل المقتضي اثابة المحسن ومعاقبة
المسيء **الذين قالوا** هم كعب بن الاشرف ومالك وحيي وفنحاص ووهب بن يهودا
ان الله عهد الينا امرنا في التورية واوصانا **ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان**
تأكله النار بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة الخاصة التي لانبياء بني
اسرائيل وهو ان يقرب بقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار سماوية فتأكله اى
تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل القربان لم يوجب
الايمان الا لكونه معجزة فهو وساير المعجزات شرع في ذلك **قل قد جاءكم رسل**
من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين تكذيب والزام
بان رسلا جاؤهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات اخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه
فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان توقفهم وامتناعهم عن
الايمان لاجله فما لهم لم يؤمنوا بمن جاء به في معجزات اخر واجترءوا على قتله **فان كذبوك**
فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير تسلية للرسول
من تكذيب قومه واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت
الشيء اذا حبسته والكتاب في عرف القرآن ما يتضمن الشرايع والاحكام ولذلك
جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة القرآن وقيل الزبر المواعظ والزواجر من
زبرته اذا زجرته وقراء ابن عامر وبالزبر وبالكتاب وهشام وبالكتاب باعادة الجار
للدلالة على انهما مغايرة للبينات بالذات **كل نفس ذائقة الموت** وعد ووعيد
للمصدق والمكذب وقرئ ذايقة الموت بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله ٢
ولا ذاكر الله الا قليلا **وانما توفون اجوركم** تعطون جزاء اعمالكم خيرا
كان او شرا جزاء وافيا **يوم القيمة** يوم قيامكم عن القبور ولفظ التوفية يشعر
بانه قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام القبر روضة
من رياض الجنة او حفرة من حفر النار **فمن زحزح عن النار** يبعد عنها والزحزحة
في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة **وادخل الجنة فقد فاز** بالنجاة ونيل المراد والفوز
الظفر بالبغية وعن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة

٢ فمنك البداء ومنك الجود والكرم ٢ وانت تجود وقد بلغت غايتها ٢ ولا ترى احدا يسعى ويحمد ٢

فلتدركه منيته وهو يومن بالله واليوم الآخر ويوتى الى الناس ما يحب ان يوتى اليه
وما الحيوة الدنيا اى لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهها بالمتاع الذى يدلس به
على المسام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن اثرها على الاخرة فاما من طلب بها الاخرة فهى له متاع
بلاغ والغرور مصدر او جمع غار لتبلون اى والله لتختبرن فى اموالكم بتكليف الانفاق
وما يصيبه من الافات وانفسكم بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف
والامراض والمتاعب ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا
اذى كثيرا من هجاء الرسول والطعن فى الدين واغراء الكفرة على المسلمين اخبرهم بذلك
قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها
وان تصبروا على ذلك وتتقوا مخالفة امر الله فان ذلك يعنى الصبر والتقوى من عزم
الامور من معزومات الامور التى يجب العزم عليها او مما عزم الله عليه اى امر به وبالغ فيه
والعزم فى الاصل ثبات الراى على الشى يخوامضايقه واذ اخذ الله اى اذكر وقت اخذه
ميثاق الذين اوتوا الكتاب يريد يه العلماء به ليبيننه للناس ولا يكتمونه حكاية
لمخاطبتهم وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم فى رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب واللام جواب
القسم الذى ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه اى الميثاق
وراء ظهورهم فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل فى ترك الاعتداد وعدم
الالتفات ونظيره جعله نصب عينه والقاءه بين عينيه واشتروا به ثمنا واخذوا
بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا واعراضها فبيس ما يشترون يختارون لانفسهم وعن
النبى عليه الصلاة والسلام من كتم علما من اهله الجم بلجام من نار وعن على رضى الله عنه
ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا لا تحسبن الذين
يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب
الخطاب للرسول ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمومنين والمفعول الاول الذين يفرحون
والثانى بمفازة وقوله فلا تحسبنهم بمفازة تاكيد والمعنى لا يحسبن الذين يفرحون بما
فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار
الحق والاخبار بالصدق بمفازة بمنجاة من العذاب اى فايزين بالعذاب بالنجاة منه
وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر لا يحسبن بالياء وقراء ابن كثير وابو عمرو فلا يحسبنهم بالياء وضم
الباء ايضا على ان الذين فاعل ومفعولا لا يحسبن محذوفان يدل عليهما مفعولا مؤكده وهو
يحسبنهم الثانى وكانه قيل لا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا فلا يحسبن انفسهم والمفعول
الاول محذوف وقوله فلا يحسبنهم تاكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاول ولهم عذاب اليم
بكفرهم وتدليسهم روى انه عليه الصلاة والسلام سال اليهود عن شى مما فى التوريه فاخبروه
بخلاف ما كان فيه اراوه انهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت فى قوم تخلفوا
عن الغزو ثم اعتذروا اليهم راوا المصلحة فى التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت فى المنافقين
فانهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذى لم يفعلوه على الحقيقة ولله
ملك السموات والارض فهو يملك امرهم والله على كل شى قدير فيقدر على عقابهم وقيل هو
رد لقولهم ان الله فقير ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى
الالباب لدلايل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه لذوى العقول المجلوة
الخالصة عن شوايب الحس والوهم كما فى سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلاثة
فى هذه الاية لان مناط الاستدلال هو التغير وهذه معترضة جملة انواعه فانه اما ان

يكون

يكون في ذات الشئ كتغير الليل والنهار وجزئيه كتغير العناصر بتبدل صورها والخارج
عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها وعن النبي عليه الصلاة والسلام ويل لمن قرأها ولم يتفكر
الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اى يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين
وقاعدين ومضطجعين وعنه عليه الصلاة والسلام من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر
ذكر الله وقيل معناه يصلون على الهيئات الثلاث حسب طاقتهم لقوله عليه الصلاة والسلام
لعمران بن حصين رضي الله عنه صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومئ
ايماء فهو حجة للشافعي في ان المريض يصلي مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه
ويتفكرون في خلق السموات والارض استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال
عليه الصلاة والسلام بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى السماء والنجوم
فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف
علم الاصول وفضل اهله ربنا ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول اى يتفكرون قائلين
ذلك وهذا يشارك المتفكر فيه والخلق على انه اريد به المخلوق من السموات والارض
او اليهما لانهما في معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا ضائعا من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة
من جملتها ان يكون مبدا الوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك ويحثه
على طاعتك لينال الحيوة الابدية والسعادة السرمدية في جوارك سبحانك تنزيها لك من
العبث وخلق الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر فيه والقيام بما
يقتضيه وفايدة الفاء هي الدلالة على ان علمهم بما اجله خلقت السموات والارض حملهم على
الاستعاذة ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته غاية الاخزاء ونظيره قولهم من ادرك مرعى
الضمان فقد ادرك والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية
منه وفيه اشعار بان العذاب الروحاني اقطع وما للظالمين من انصار اراد بهم المدخلين
ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم سبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم
في الخلاص منها نفي الشفاعة لان النصر دفع بقهر ربنا انا سمعنا منادیا ينادي للايمان
اوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست في نظائره
على نفس المسموع وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم تقييده لتعظيم شانه والمراد به الرسول
وقيل القرآن والنداء والدعاء ونحوهما يعدى بالى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص
ان امنوا بربكم فامنا اى بان امنوا فامنا فاغفر لنا ذنوبنا كبايرنا فانها ذات
تبعة وكفر عنا سيئاتنا صغايرنا فانها مستقيحة والمكفر عن مجتنب الكباير وتوفنا
مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم وفيه تنبيه على انهم يجبون لقاءه
والابرار جمع بر او بار كارباب واصحاب ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك اى ما وعدتنا على
تصديق رسلك من الثواب لما امر به سال ما وعد عليه لا خوفا من اخلاف
الوعد بل مخافة بان لا يكون من الموعدين لسوء عاقبة او قصور في الامتثال او تعبد
او استكانة ويجوز ان يعلق على بمحذوف تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا عليهم
وقيل معناه على السنة رسلك ولا تخزنا يوم القيمة بان تعصمنا عما يقتضيه انك لا تخلف
الميعاد باثابة المؤمن واجابة الداعي وعن ابن عباس رضي الله عنهما الميعاد البعث بعد الموت
وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو شانها وفي الاثار من
حوزيه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف فاستجاب لهم ربهم اى طلبتهم ومواخيهم
من اجاب ويعدى بنفسه وباللام اني لا اضيع عمل عامل منكم اى باني لا اضيع وقرئ بالكسر على

ضبابة اصابه وغترض

ارادة القول من ذكر وانثى بيان عامل بعضكم من بعض لان الذكر من الانثى والانثى من
الذكر اولانهما من اصل واحد او لفرط الاتصال والاتحاد او للاجتماع والاتفاق في الدين
وهي جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال لما روي ان ام سلمة
رضي الله عنها قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت
فالذين هاجروا الى آخره تفضيل لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح
والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الشرك والاوطان والعشائر للذين واخرجوا من ديارهم
واوذوا في سبيلي بسببي اي نهم بالله ومن اجله وقاتلوا الكفار وقتلوا في الجهاد وقرأ
حمزة والكسائي بالعكس لان الواو لا توجب ترتيبا والثاني افضل اولان المراد لما قتل منهم
قوم وقاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير لاكفرن عنهم
سيئاتهم لامحونها ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله اي يثيبهم
بذلك اثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد والله عنده حسن الثواب
على الطاعات قادر عليه لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد الخطاب للنبي ﷺ والمراد امته
او تثبيته على ما كان عليه كقوله ولا تطع المكذبين ولكل احد والنهي في المعنى للمخاطب
وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة
عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم
ومزارعهم روي ان بعض المومنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون
ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل خبر
مبتدإ محذوف اي ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته في جنب ما اعد الله للمومنين
قال عليه الصلاة والسلام ما الدنيا في جنب الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم
فلينظر بما يرجع ثم ماواهم جهنم وبيس المهاد اي ما مهدوا لانفسهم لكن الذين اتقوا
ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله النزل والنزل
ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة قال ابو الشعر الضبي

وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا ٭ جعلنا القنا والمرهفات له نزلا ٭

وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيه الظرف وقيل انه مصدر مؤكد والتقدير
انزلوها نزلا وما عند الله لكثرته ودوامه خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار لقلته
وسرعة زواله وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله نزلت في ابن سلام واصحابه
وقيل في اربعين من نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى
فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي لما نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج الى
البقيع فصلى عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم ير قط وانما
دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف وما انزل اليكم من القرآن وما انزل
عليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يومن وجمعه باعتبار المعنى لا يشترون
بايات الله ثمنا قليلا كما فعله المحرفون من احبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم
ما خص بهم من الاجر ووعد في قوله تعالى اولئك يعطون اجرهم مرتين ان الله سريع
الحساب لعلمه بالاعمال وما تستوجبه من الجزاء واستغنائه عن التامل والاحتياط ٭
والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول فان سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء ٭
يا ايها الذين امنوا اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد وصابروا
وغالبوا اعداء الله في الصبر على شدائد الحرب واعداء عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى

وتحصينه

وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته ورابطوا ابدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين
الغزو وانفسكم على الطاعة كما قال عليه الصلاة والسلام من الرباط انتظار الصلوة
بعد الصلوة وعنه صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام
شهر رمضان وقيامه لا ينقطع عن صلوته الا لحاجة واتقوا الله لعلكم تفلحون
فانقوه بالتبرء عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح او اتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل
المقامات الثلاث المرتبة التي هي الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس في فوض
العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة
والطريقة والحقيقة عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ
سورة العمران اعطي بكل اية منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه الصلاة
والسلام من قرأ السورة التي يذكر فيها العمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس خطاب عم بني ادم اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة هي ادم
وخلق منها زوجها عطف على خلقكم من شخص واحد وخلق منها زوجها امكم حواء
من ضلع من اضلاعها او محذوف تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها
وهو تقدير خلقهم من نفس واحدة وبث منهما رجالا كثيرا ونساء بيان لكيفية توالدهم
منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى
بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضي ان يكن اكثر وذكر كثيرا
حملا على الجمع وترتب الامر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة
التي من حقها ان تخشى والنعمة الباهرة التي توجب طاعة موليها او لان المراد بها تمهيد
الامر بالتقوى فيما يتوصل بحقوق اهل المنزلة وبني جنسه على ما دلت عليه الايات التي
بعدها وقرئ وخالق وبات على حذف مبتدا، تقديره وهو خالق وبات واتقوا
الله الذي تساءلون به اي يسال بعضكم بعضا فيقول اسالك بالله واصله تتساءلون
فادغمت التاء الثانية في السين وقرأ حمزة والكسائي بطرحها والارحام بالنصب عطف على محل
الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا او على الله اي اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها
ولا تقطعوها وقرأ حمزة بالجر عطف على الضمير المجرور وهو ضعيف كبعض الكلمة وقرئ
بالرفع على انه مبتدا، محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك مما يتقى او يتساءل به وقد
نبه سبحانه واذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان منه وعنه عليه الصلاة والسلام
الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ان الله كان
عليكم رقيبا حافظا مطلعا واتوا اليتامى اموالهم اي اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو
الذي مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة اما على انه لما جرى مجرى
الاسماء كفارس وصاحب جمع على يتايم ثم قلب فقيل يتامى واما على الوجه او على انه جمع
يتيم كاسرى لانه من باب الافات ثم جمع يتيم على يتامى كاسرى واسارى والاشتقاق
يقتضي وقوعه على الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ وورود في الاية امرا
المبلغ بالاصل او الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على ان يدفع اموالهم اول بلوغهم قبل
ان يزول عنهم هذا الاسم ان ونس منهم الرشد ولذلك امر بابتلايهم صغارا او لغير البلغ

والحكم مقيد فكانه قيل واتوهم اذا بلغوا ويؤيد الاول ما روي ان رجلا من غطفان كان
معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا
الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا
الحرام من اموالهم بالحلال من اموالكم او الامر الخبيث هو اختزال اموالهم بالامر الطيب الذي
هو حفظها وقيل لا تاخذوا الرفيع من اموالهم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل
وليس بتبديل ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم ولا تاكلوها مضمومة الى اموالكم اي لا تنفقوها
معا ولا تسووا بينها وهذا حلال وذلك حرام وذلك فيما زاد على قدر اجرهم لقوله تعالى
فليأكل بالمعروف انه الضمير للاكل كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما وقرئ حوبا وهو مصدر
حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب
لكم من النساء اي ان خفتم ان تعدلوا في يتامى النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب
من غيرهن ان كان الرجل يجد يتيمة ذات جمال ومال فيتزوجها رغبة في مالها ويجتمع
عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن او ان خفتم الا تعدلوا في حقوق اليتامى
فتحرجتم منها فخافوا ايضا ان لا تعدلوا بين النساء فانكحوا منهن ما امكنكم الوفاء بحقه
لان المستحرج من الذنب ينبغي ان يتحرج الذنوب كلها لما روي انه تعالى لما عظم امر اليتامى
تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء واضاعتهن فنزلت وقيل كانوا
يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان خفتم ان لا تعدلوا في امر
اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة
او اجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره او ما ملكت ايمانهم وقرئ تقسطوا
بفتح التاء على ان لا مزيدة اي ان خفتم الجور مثنى وثلاث ورباع معدولة عن اعداد
مكررة لفظي نحو جاءني القوم مثنى وثلاث واربع وهي غير منصرفة للعدل
والصفة فانها بنيت صفات وان كانت اصولها متمكنة لها وقيل لتكرير العدل فانها
معدولة باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن
لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ما شاء بالعدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك
اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة ولو افردت كان المعنى تجويز هذه
الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت بالواو لذهب تجويز الاختلاف في العدد فان خفتم الا تعدلوا
بين هذه الاعداد ايضا فواحدة فاختاروا او فانكحوا واحدة وقد روي بالجمع وقرئ بالرفع على
انه فاعل محذوف او خبر لتقدير فتكفيكم واحدة او فالمقنع واحدة او ما ملكت ايمانكم
سوى بين الواحدة من الازواج والعدد من السراري لخفة مؤنهن وعدم وجوب القسم
بينهن ذلك اي التقليل منهن او اختيار الواحدة او التسري ادنى الا تعولوا اقرب من ان
لا تميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وعول الفريضة الميل عن حد
السهام المسماة وفسر بان لا يكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم
فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا ما عال الرجل
اذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال الازواج وان اريد الاولاد فلان التسري مظنة
قلة الاولاد بالاضافة الى التزوج جواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج
الاربع واتوا النساء صدقاتهن نحلتهن وقرئ بالفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف
وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمها على التوحيد وهو تثقيل صدقة
كظلمة في ظلمة نحلة عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه عن طيب

نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظر الى مفهوم الاية لا الى موضوع اللفظ
ونصبها على المصدر لانها في معنى الايتاء والحال من الواو والصدقات اى اتوهن صدقاتهن
ناحلين او منحولة وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فيكون حالا من الصدقات
وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا اذا دان به على انه مفعول له او حال من الصدقات اى دينا
لله شرعه من الله بشرعه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور موليا
فان طبن لكم عن شيء منه نفسا الضمير للصداق حملا على المعنى او يجرى مجرى اسم الاشارة كقوله
تم كانه في الجلد توليع البهق اردت ذلك وقيل للايتاء ونفسا تمييز لبيان
الجنس ولذلك وحد والمعنى فان وهبن لكم من الصداق من طيب انفس لكن جعل العدة
لطيب النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمن معنى التجافي والتجاوز ولم تدخل من تبعيضا لهن
على تقليل الموهوب فكلوه هنيئا مريئا فجذوه واتقوه حلالا لا يلابسه تبعة والهنيء والمريء
صفتان من هنوء الطعام ومرؤ اذا ساغ من غير غص اقيمتا مقام مصدريهما او وصف بهما
المصدر وجعلتا حالا من الضمير وقيل الهنيء ما يلذه الانسان والمريء ما يحمد عاقبته روي
ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت ولا تؤتوا
السفهاء اموالكم نهي للاولياء عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم اموالهم فيضيعوها وانما
اضاف المال الى الاولياء لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملايم للايات المتقدمة
والمتاخرة وقيل نهي لكل احد ان يعمد الى ما خوله الله من المال فيعطي امرأته واولاده ثم
ينظر الى ايديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما على انفسهم
وهو وفق لقوله التي جعل الله لكم قياما اى تقومون بها وتتعيشون وعلى الاول يتوجه بانها
التي من جنس ما جعل الله لكم قياما سمي ما به القيام قياما للمبالغة وقرأ نافع وابن عامر قيما
بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقرئ قواما وهو ما يقام به وارزقوهم فيها واكسوهم واجعلوا
مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون اليه وقولوا
لهم قولا معروفا عدة جميلة تطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع او العقل بالحسن
والمنكر ما انكره احدهما القبيحة وابتلوا اليتامى اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم
في صلاح الدين والتهدي الى ضبط المال وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد
وعند ابي حنيفة رحمه الله بان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى اذا بلغوا النكاح حتى اذا بلغوا
حد النكاح بان يحتلم او يستكمل خمسة عشر سنة عندنا لقوله عليه الصلاة والسلام
اذا استكمل المولود خمسة عشر سنة كتب ما له وما عليه واقيمت عليه الحدود وثمانية عشر
عند ابي حنيفة رحمه الله وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح النكاح عنده فان
انستم منهم رشدا فان ابصرتم منهم رشدا وقرئ احسستم بمعنى احستم فادفعوا
اليهم اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ ونظم الاية ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى
الشرط والجملة غاية الابتلاء فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم
دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه لا يدفع اليهم ما لم يونس منهم
الرشد وقال ابو حنيفة رحمه الله اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة
في تغيير الاحوال اذ الطفل يتميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع اليه المال ويؤمر وان
يونس الرشد ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا مسرفين مبادرين كبرهم اولا تسرفوا
ومبادرتكم كبرهم ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف بقدر
حاجته واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر بان الولي لا حق في مال

الصبي وعنه عليه الصلاة والسلام ان رجلا قال له ان حجري يتيما فاكل من ماله قال
بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله واريد هذا التقسيم بعد قوله ولا تاكلوها يدل
على انه نهي للاولياء ان ياخذوا وينفقوا على انفسهم اموال اليتامى فاذا دفعتم اليهم اموالهم
فاشهدوا عليهم بانهم قبضوها فانه نفي للتهمة وابعد من الخصومة ووجوب الضمان وظاهره
ان القيم لا يصدق في دعواه الا بالبينة وهو المختار عندنا وعند مالك رحمه الله خلافا لابي
حنيفة رضي الله عنه وكفى بالله حسيبا محاسبا فلا تخالفوا امره ولا تجاوزوا ما حد لكم
للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون
يريد بهم المتوارثين بالقرابة مما قل منه او كثر بدل مما ترك باعادة العامل نصيبا
مفروضا نصب على انه مصدر مؤكد كقوله فريضة من الله او حال اذ المعنى ثبت لهم
مفروضا نصيب او على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على
ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط وروي ان اوس بن الصامت الانصاري خلف
زوجته ام كجة وثلاث بنات فورثوا ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة
ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما
يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت ام كجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد
الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تقربا
من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم
الله فاعطى ام كجة الثمن والبنات الثلثين والباقي لابني العم وهو دليل جواز
تاخير البيان عن الخطاب واذا حضر القسمة اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين
فارزقوهم منه فاعطوهم شيئا من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو
امر ندب للمبلغ من الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك
او ما دل عليه القسمة وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم
ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم امر
للاوصياء بان يخشوا الله ورسوله ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا ما يحبون ان يفعل
بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او للحاضرين المريض عند الايصاء بان يخشوا ربهم ويخشوا
على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه ان يضر بهم بصرف
المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين
متصورين انهم لو كانوا اولادهم يقول خلفهم ضعافا مثلهم هل يحبون حرمانهم
او للموصين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في جزم جعل صلة للذين
على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا
عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الرحم
وان يجب لاولاد غيره ما يجب لاولاده وتهديد للمخالف بحال اولاده فليتقوا الله
وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى التي هو غاية للخشية بعد ما امرهم بها مراعاة
للمبدإ والمنتهى اذ لا ينفع الاول دون الثاني ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون
لاولادهم بالشفقة وحسن الادب وللمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية ويضيع
الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او للحاضرين للقسمة عذرا جميلا وعدا حسنا
او ان يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة ان الذين يأكلون
اموال اليتامى ظلما ظالمين او على وجه الظلم انما يأكلون في بطونهم نارا ملء يطونهم نارا

مايجر الى النار ويؤول اليها وعن ابي برزة رضي الله عنه انه عليه والصلاة والسلام قال يبعث الله
قوما من قبورهم يتاججُ افواههم نارا فقيل من هم فقال الم تر ان الله يقول ان الذين يأكلون
في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا سيدخلون نارا واي نار وقرا ابن عامر وابن عياش
عن عاصم بضم الياء مخففا وقرئ به مشددا اتقول صلى النار قاسى حرها وصليته شويته
واصليته وصليته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها
يوصيكم الله يامركم ويعهد اليكم في اولادكم في شان ميراثهم وهو اجمال تفصيله للذكر
مثل حظ الانثيين اي بعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه
وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد الى بيان فضله والتنبيه على ان
التضعيف كان للتفضيل فايحرمن بالكلية وقد اشتركا في الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف
للعلم به فان كن نساء اي ان كان الاولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر فانث الضمير
باعتبار الخبر او على تاويل المولودات فوق اثنتين خبر ثان او صفة لنساء اي نساء زيادات على
اثنتين فلهن ثلثا ما ترك الميت منكم ويدل عليه المعنى وان كانت واحدة فلها النصف
وان كانت المولودة واحدة فلها النصف وقرا نافع بالرفع على كان التامة واختلف في البنتين
فقال ابن عباس رضي الله عنهما حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال
الباقون حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه
انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب
بزيادة العدد رد ذلك بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت
الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها فبالاحرى ان تستحقه مع اخت مثلها وان
البنتين امس رحما من الاختين وقد فرض لهما الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك
ولابويه ولابوي الميت لكل واحد منهما السدس بدل منه بتكرير العامل وفائدته
التنصيص على استحقاق كل منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال تاكيدا مما ترك ان كان له
للميت ولد ذكر وانثى غير ان الاب ياخذ السدس مع الانثى بالفرضية وما بقي من ذوي
الفروض يضا بالعصوبة فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك
وانما لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب الام علم ان
الباقي للاب اثلاثا وكانه قال فلهما ما ترك اثلاثا وعلى هذا ينبغي ان يكون لها حيث معها
احد الزوجين ثلث ما بقي من فرضه كما قاله الجمهور لا ثلث المال كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما
فانه يفضي الى تفضيل الانثى على الذكر المماثل لها في الجهة والقرب وهو خلاف وضع
الشرع فان كان له اخوة فلامه السدس باطلاقه يدل على ان الاخوة يردونها من الثلث
الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم ياخذون السدس
الذي حجبوا عنه الام والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث
سواء كان من الاخوة والاخوات قال ابن عباس رضي الله عنهما انهم يحجبون الام من
الثلث ما دون الثلاثة ولا الاخوات الخلص لحذا بالظاهر وقرا حمزة والكسائي فلامه بكسر
الهمزة اتباعا للكسرة التي قبلها من بعد وصية يوصى بها او دين متعلق بما تقدمه من قسمة
المواريث كلها اي هذه الانصبة للورثة بعد ما كان من وصية اودين وانما قال يوصى بها
للايذان دون الواو والدلالة على انهما متساويان في الوجوب متقدمان على القسمة مجموعين
ومفردين وقدم الوصية على الدين وهي متاخرة في الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة
مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على الندرة وقرا ابن كثير وابن عامر وابو بكر بفتح الصاد اباؤكم

وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اى لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من فروعكم واصولكم فى عاجلكم
واجلكم فتحروا فيهم ما وصيكم الله به ولا تعدوا فيه الى تفضيل بعض وحرمانه روى ان احد
المتوارثين اذا كان ارفع من الآخر فى الجنة سال ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته او من مورثيكم منهم
او من اوصى منهم فعوضكم الثواب بامضاء وصيته او من لم يوص فوفر عليكم ماله فوائد اضافة
مؤكدة لامر القسمة وتنفيذ الوصية فريضة من الله مصدر مؤكد او مصدر يوصيكم لانه
فى معنى يامركم ويفرض عليكم ان الله كان عليما بالمصالح والرتب حكيما فيما قضى وقدر ولكم نصف
ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اى ولد وارث من ظهركم
او من صلب بنيها او بنى بنيهما وان سفل ذكرا كان او انثى او من غيركم من بعد وصية يوصين
بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد
وصية توصون بها او دين فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمراة كما فى النسب وهكذا
فيما بين كل رجل وامراة اشتركا فى جهة والقرب ولا يستثنى عنه الا اولاد الام والمعتق
والمعتقة ويستوى الواحد والعدد منهن فى الربع والثمن وان كان رجل اى الميت يورث
اى يورث منه من ورث صفة رجل كلالة خبر كان او يورث خبر وكلالة حال من الضمير فيه
وهو من الكلال ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز
ان يكون الرجل الوارث ويورث من اورثه وكلالة من ليس لولد اولا ولد وقرئ يورث على البناء
للفاعل فالرجل الميت وكلالة يحتمل المعانى الثلاثة وعلى الاول خبر وحال وعلى الثانى مفعول
وعلى الثالث مفعول به وهى فى الاصل مصدر بمعنى الكلال قال الاعشى
« فآليت لا ارثى لها من كلالة » فاستعيرت لقرابة ليست بالبعضية لانها كلالة
بالاضافة اليها ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذى كلالة كقولك فلان من قرابتى
او امراة عطف على رجل وله اى وللرجل والكنى بحكمه عن حكم المراة لدلالة العطف على
تشاركهما فيه اخ او اخت اى من الام ويدل عليه قراءة ابى وسعيد بن مالك وله اخ او اخت
من الام وان ذكر اخر السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق بولد الام
وان ما قدر هيهنا فرض الام وينا سب ان يكون لاولادها فلكل واحد منهما السدس فان كانوا
اكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث سوى بين الذكر والانثى فى القسمة لان الادلاء بمحض
الانوثة ومفهوم الاية انهم لا يرثون ذلك مع الام والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت
الابن خص فيه بالاجماع من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار اى غير مضار لورثته
بالزيادة على الثلث وقصد المضار بالوصية دون القربة والاقرار بدين لا يلزمه وهو
حال من فاعل يوصى المذكور فى هذه القراءة والمدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول
فى قراءة ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم وصيه من الله مصدر مؤكد او منصوب
بغير مضار على المفعول به ويؤيده ان قرئ غير مضار وصية بالاضافة اى لا يضار وصية
من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة اوصية فيه بالاولاد بالاسراف فى الوصية والاقرار
الكاذب والله عليم بالمضار وغيره حليم لا يعاجل بعقوبته تلك اشارة الى الاحكام التى
تقدمت فى امر اليتامى والوصايا والمواريث حدود الله شرايعه التى هى كالحدود المحدودة
التى لا يجوز تجاوزها ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين
فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا
فيها وله عذاب مهين توحيد الضمير فى يدخله وجمع فى خالدين للفظ والمعنى وقرا نافع
وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صايدا

غدا، وكذا خالدا وليسا صفة لجنات وناراً والا لوجب ابراز الضمير لانها جرياً على غير من هما له
واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم اى يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وعشيها
ورهقها اذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة قبحها وشناعتها فاستشهدوا عليهن اربعة
منكم فاطلبوا ممن قذفهن اربعة من رجال المؤمنين تشهد عليهن فان شهدوا فامسكوا
في البيوت فاحبسوهن في البيوت واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفاهن الموت هـ
يستوفي ارواحهن الموت او يتوفاهن ملايكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهن في اوايل
الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يراد به التوصية بامساكهن بعد ان يجلدن كي لا يجرى
عليهن ما جرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله الزانية
والزاني او يجعل الله لهن سبيلا كتعيين الحد المخلص عن الحبس والنكاح المغني عن السفاح
واللذان ياتيانها منكم يعني الزاني والزانية وقراء ابن كثير واللذان بتشديد النون
وتمكين مد الالف واليا قون بالتخفيف من غير تمكين فاذوهما بالتوبيخ والتعنيف وقيل
بالتعيير والجلد فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما فاقطعوا عنهما الايذاء واعرضوا عنهما بالاغماض
والستر ان الله كان توابا رحيما علة الامر بالاعراض وترك المذمة قيل هذه الاية سابقة
على الاولى نزولا وكان عقوبة الزناة الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى في السحاقات هـ
وهذه في اللواطين والزانية والزاني والزناة انما التوبة على الله اى قبول التوبة كالمحتوم
على الله بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته للذين يعملون السوء بجهالة ملتبسين
بها سفها فان ارتكاب القبيح سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى
ينزع من جهالته ثم يتوبون من قريب اى قبل حضور الموت لقوله تعالى حتى اذا حضر
احدهم الموت وقوله عليه الصلاة والسلام ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه
قريبا لان آمال الحيوة قريب لقوله قل متاع الدنيا قليل او قبل ان يشرب في قلوبهم حبه
فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض اى يتوبون في اى جزء من الزمان القريب
الذي هو ما قبل ان ينزل بهم سلطان الموت ويزين السوء فاولئك يتوب الله عليهم وعد
بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله وكان الله عليما فهو يعلم باخلاصهم
بالتوبة حكيما والحكيم لا يعاقب التائب وليست التوبة للذين يعملون السيات حتى اذا حضر
احدهم الموت قال اني تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار سوى بين من سوف التوبة
الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر في نفي الحكم التوبة للمبالغة
في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة فكانه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل
المراد بالذين يعملون السوء عصاة المومنين وبالذين يعملون السيات المنافقون لتضاعف
كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون الكفار واولئك اعتدنا لهم عذابا اليما تاكيد لعدم قبول
توبتهم وبيان ان العقاب اعده لهم لا يجزه عذابهم متى شاء والاعتاد التهيئة من العتاد
وهو العدة وقيل اصله اعددنا فقلبت الدال الاولى تاء يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان
ترثوا النساء كرها كان الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امراته وقال انا احق
بها من اهلك ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء
عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لا يحل لكم ان تاخذوهن على
سبيل الارث فترثوهن كارهات لذلك او مكرهات عليه وقراء حمزة والكسائي كرها
بالضم في مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه ولا تعضلوهن
لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن عطف على ترثوا ولا لتاكيد النفي اى ولا تمنعوهن من التزوج

من

تاكيد

واصل العضل التضييق يقال عضلت الزجاجة بفيضتها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا
يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعن بمهورهن وقيل ثم الكلام لاولياء
كرهاتم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل الا ان ياتين بفاحشة مبينة كالنشوز وسوء
العشرة وعدم التعفف والاستثناء من اعم عام الظرف والمفعول له تقديره لا تعضلوهن
في وقت الا وقت ان ياتين بفاحشة مبينة وقراء ابو كثير وابو بكر بفاحشة هيهنا وفي الاحزاب
والطلاق بفتح الياء والباقون بكسرها فيهن وعاشروهن بالمعروف بالانصاف في الفعل والاجمال
في القول فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا اي لا تفارقوهن
لكراهة النفس فانها قد تكره ما هو اصلح دينا واكثر خيرا وتحب ما هو بخلافه ولينظر كم
الى ما هو اصلح في الدين وادنى الى الخير وعسى في الاصل علة للجزاء اقيم مقامه والمعنى فان
كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وان اردتم استبدال زوج مكان
زوج بتطليق زوجة امرأة وتزويج اخرى واتيتم احداهن اي احدى الزوجات جمع الضمير
لانه اراد بالزوج الجنس قنطارا ما لا كثيرا فلا تاخذوا منه شيئا اي من القنطار اتاخذونه
بهتانا واثما مبينا استفهام انكار وتوبيخ اي اتاخذونه باهتين واثمين ويحتمل النصب على
العلة كما في قولك قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ يسبب بهتانهم واقترافهم الماثم قيل كان
الرجل منهم اذا اراد رجلا جديدة بهت التي تحته كما بفاحشة حتى يلجيها الى الافتداء منه بما اعطاها
ليصرفه الى تزويج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه
وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسره ههنا بالظلم وكيف تاخذونه وقد افضى
بعضكم الى بعض انكار لاسترداد المهر والحال انه وصل اليها بالملامسة ودخل بها واقتر المهر
واخذن منكم ميثاقا غليظا عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة او ما اوثق الله عليهم
في شانهن في قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه النبي عليه الصلاة
والسلام بقوله اخذتموهن بامانات الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح
اباؤكم ولا تتكحوا التي نكح اباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة وقيل
ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر من النساء بيان ما نكح على الوجهين الا ما قد
سلف استثناء من المعنى الملازم للنهي وكانه قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح اباؤكم
الا ما قد سلف واللفظ للمبالغة في التحريم والتعميم كقوله

لا عيب فيهم غير ان سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

والمعنى لا تتكحوا حلائل اباكم الا ما قد سلف ان امكنكم ان تتكحوا وقيل الاستثناء منقطع
ومعناه لكن ما قد سلف فانه لا مؤاخذة عليه لانه مقرر انه كان فاحشة ومقتا علة
للنهي ان نكاحهن كان فاحشة عند الله مار خص فيه لامة من الامم ممقوتا عند ذوي
المروات ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة ابيه المقتي وساء سبيلا سبيل من يرتكبه
ويفعله حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم
وبنات الاخ وبنات الاخت ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن لانه ما قبله وما
بعده في النكاح وامهاتكم تعم من ولدتك او ولدت ولدك وان علمت وبناتكم يتناول
من ولدتها او ولدت من ولدها من ولد ذكرا او لدك والخالة كالاتي ولدها من
ولد انثى ولدك قريبا كان او بعيدا وبنات الاخ والاخت يتناول القربى والبعدى
وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة تنزل الله تعالى الرضاعة منزلة النسب حتى
سمى المرضعة اما والمراضعة اختا وامرها على قياس النسب باعتبار المرضعة وولد الطفل

وقد

الذى

الذى درّ عليه اللبن قال عليه الصلاة والسلام يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب واستثنى
باخت ابن الرجل بامّ اخيه من الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتها فى النسب
بالمصاهرة دون النسب وامهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم
اللاتى دخلتم بهنّ ذكر انّ لامحرمات النسب ثم الرضاع لان لها لحمة كلحمة النسب ثم
محرّمات المصاهرة فان تحريمهنّ عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة ولد المرأة
من آخر سمى به لانه يربيه كما يربّ ولده فى غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقته التاء لانه
صار اسما ومن نسائكم متعلق بربائبكم واللاتى بصلتها صفة لها مقيدة للفظ والحكم
بالاجماع قضيّة للنظم للنظم ولا يجوز تعليقها بالامّهات ايضا لان من اذا علقتها بالربائب
كانت ابتدائية فان علقتها بالامهات لم يجز ذلك بل ويجب ان يكون مبينا النسائكم والكلمة
الواحدة لا تحمل على معنيين عند جمهور الادباء اللهمّ الا اذا جعلتها للاتصال كقوله

فانى لست متكرولست منى على معنى ان امهات النساء وبناتهن متصلات
بهنّ لكن الرسول صلوات الله عليه وسلامه فرق بينهما فقال فى رجل تزوج امرأة وطلقها
قبل ان يدخل بها لا بأس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امّها واليه ذهب عامة العلماء
غير انه روى عن على رضى الله عنه تقييد التحريم فيها ولا يجوز ان يكون الموصول الثانى صفة
للنسائين لان عاملهما مختلف وفايدة قوله فى حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى الربائب
اذا دخلتم بامهاتهن ومن فى احضانكم او بصددة قوى الشبهة بينهما وبين اولادكم وصار
احقاء بان تجروها مجراهم لاتقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء وقد روى عن على رضى
الله عنه جعله شرطا والامّهات والربائب تبنا لان القريبة والبعيدة وقوله دخلتم
بهنّ دخلتم معهنّ السرّ وهى كناية عن الجماع ويؤثر ما ليس بنهى من وطى بشبهة او ملك
يمين وعند ابى حنيفة رحمه الله لمس المنكوحة ونحوه كالدخول فان لم تكونوا دخلتم بهنّ
فلا جناح عليكم تصريح بعد اشعار دفعا للقياس وحلايل ابنائكم زوجاتهم سميت
الزوجة حليلة لحلها او لحلولها مع الزوج الذين من اصلابكم احتراز عن المتبنى لا عن ابناء
الولد وان تجمعوا بين الاختين فى موضع الرفع عطف على المحرمات والظاهر ان الحرمة غير مقصورة
على النكاح فان المحرمات المعدودة كما هى محرمة فى النكاح فهى محرمة فى ملك اليمين ولذلك
قال عثمان وعلى رضى الله عنهما حرّمتهما اية واحلتهما اية يعنيان هذه الاية وقوله او ما ملكت ايمانكم
فرجح على التخريم وعثمان التحليل وقول على اظهر لان اية التحليل مخصوص فى غير ذلك ولقوله
عليه الصلاة والسلام ما اجتمع الحلال والحرام الا غلب الحرام الا ما قد سلف استثناء عن لازم
المعنى او منقطع معناه لكن ما سلف مغفور لقوله ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات
من النساء ذوات الازواج احصنهن التزويج او الازواج وقراء الكسائى فى جميع القرآن غير
هذا الحرف بكسر الصاد لانهنّ احصن فروجهن الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانهنّ من
اللاتى سبين ولهنّ ازواج كفار فهنّ حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبى لقول ابى سعيد
رضى الله عنه اصبنا سبايا يوم اوطاس ولهنّ ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسئلنا النبى صلى الله
عليه وسلم فنزلت الاية فاستحللنا منهنّ واياه عن الفرزدق بقوله

وذات حليل انكحتها رماحنا حلال لمن يبنى بها لم تطلق

وقال ابو حنيفة رحمه الله لو سبى الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابى والاية والحديث حجة
عليه كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اى كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وقرئ كتب الله عليكم
بالجمع والرفع اى هذه فرايض الله عليكم وكتب الله عليكم بلفظ الفعل واحل لكم عطف على الفعل

المضمر الذى نصب كتاب الله وقراحمزة والكسائى وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا
على حرمت ماوراء ذلكم ماسوى المحرمات الثمان المذكورات وخص عنه بالسنة ما فى معنى
المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المراءة وعمتها وخالتها ان تبتغوا باموالكم
محصنين غير مسافحين مفعول له والمعنى احل لكم ما وراء ذلكم ارادة ان تبتغوا باموالكم
بالصرف فى مهور لهن وايمانهن فى حال كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز ان لا يقدر مفعول
لتبتغوا وكانه قيل ارادة ان تصرفوا اموالكم محصنين غير مسافحين او مبدول من وراء ذلكم
بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على ان المهر لابد ان يكون مالا واجيبوا بانه الاحصان العفة
فانها تحصن النفس عن اللوم والعقاب والسفاح الزنا من السفح وهو صب الماء فانه الغرض
منه فما استمتعتم به منهن فمن استمتع بهن من المنكوحات او فما استمتع به منهن من جماع
او عقد عليهن فاتوهن اجورهن مهورهن فان المهر فى مقابلة الاستمتاع فريضة حال من
الاجور بمعنى مفروضة او صفة مصدر محذوف اى ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد ولا جناح
عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما يزاد على المسمى او يحط عنه بالتراضى وفيما تراضيتما به
من نفقة او من مقام او فراق وقيل نزلت الاية فى المتعة التى كانت ثلاثة ايام حين فتحت
مكة ثم نسخت كما روى انه عليه الصلاة والسلام اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس انى كنت
امرتكم بالاستمتاع من هذه الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وهى النكاح الموقت بوقت
معلوم سمى به اذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمراءة وتمتيعها بما يعطى وجوزها ابن
عباس رضى الله عنهما ثم رجع عنه ان الله كان عليما بالمصالح حكيما فيما شرع من الاحكام ومن
لم يستطع منكم طولا غنى واعتلا واصله الفضل والزيادة ان ينكح المحصنات المومنات
فى موضع نصب بطولا او بفعل مقدر صفة له اى ومن لم يستطع منكم ان يعتلى نكاح
المومنات المحصنات او من لم يستطع غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعنى الحرائر لقوله فمن
ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المومنات يعنى الاماء المومنات وظاهر الاية حجة الشافعى رحمه الله
فى تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعله صداق حرة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا
واول ابو حنيفة رحمة الله عليه طول المحصنات بان يملك فراشهن على ان النكاح هو الوطى
وحمل قوله من فتياتكم المومنات على الافضل كما حمل عليه قوله المحصنات المومنات ومن اصحابنا
من حمله ايضا على التقييد وجوز نكاح الامة على من قدر على الحرة الكتابية دون المومنة
حذرا عن مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور فى نكاح الامة رق الولد وما فيه من المهانة
ونقصان حق الزوج والله اعلم بايمانكم فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر وتتفاضل
ما بينكم فى الايمان فرب امة تفضل الحرة فيه ومن حقر تخير وافضل الايمان لا افضل النسب
والمراد تانيسهم بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه وتوبيخه بعضكم من بعض
اى انتم واد قاوكم متناسبون نسبكم من ادم ودينكم الاسلام فانكحوهن باذن اهلهن
مريدا ربابهن واعتبار اذنهم مطلقا لاشعاره على ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن
حتى يحتج به الحنفية واتوهن اجورهن اى ادوا اليهن مهورهن باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم
ذكره او الى اهلها مواليهن فحذف المضاف للعلم بان المهر للسيد لانه عوض خدمه فيجب ان
يودى اليه وقال مالك رحمه الله المهر للامة ذهابا الى الظاهر بالمعروف بغير مطل وضرار ونقصان
محصنات عفايف غير مسافحات غير مجاهرات بالسفاح ولا متخذات اخدان اخلاء فى السر
فاذا احصن بالتزويج وقراء ابو بكر وحمزة والكسائى بفتح الهمزة والباقون بضمها وكسر الصاد فان
اتين بفاحشة زنا فعليهن نصف ما على المحصنات الحرائر من الحد العذاب من الحد لقوله

يعنى

وليشهد

وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهو يدل على ان حد العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم
لان الرجم لا يتنصف ذلك اى نكاح الامة لمن خشي العنت منكم لمن خاف الوقوع في الزنا وهو
في الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولاضرر اعظم من مواقعة
الاثم بالخش القبايح وقيل المراد به الحد وهذا شرط اخر لنكاح الاماء وان تصبروا
خير لكم اى وصبركم من نكاح الاماء متعففين خير لكم قال عليه الصلاة والسلام
الحرائر صلاح البيت والاماء هلاكه والله غفور لمن لم يصبر رحيم بان رخص له يريد
الله ليبين لكم ما تتعبدكم به من الحلال والحرام وما خفي عليكم من مصالحكم ومحاسن
اعمالكم ويبين مفعول يريد اللام مزيدة لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما
في قولك قيس بن سعد ، اردت لكيما يعلم الناس انه ، سراويل قيس والوفود شهود ،
وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له اى يريد الحق لاهله ويهديكم سنن الذين من
قبلكم مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طريقهم ويتوب عليكم ويغفر لكم ذنوبكم
او يرشدكم الى ما يمنعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة وما يكون كفارة لسيئاتكم والله عليم
بما حكيم في وضعها والله يريد ان يتوب عليكم كرره للتاكيد والمقابلة ويريد الذين
يتبعون الشهوات يعني الخمرة فان اتباع الشهوات الايثار لها والتعاطي لما سوغه
الشرع منها دون غيره فهو متبع له في الحقيقة لاهاوقيل المجوس وقيل اليهود فانهم
يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ والاخت ان تميلوا عن الحق ميلا بموافقتهم على
اتباع الشهوات واستحلال المحرمات عظيما بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة على ندور
غير مستحل له يريد الله ان يخفف عنكم فكذلك شرع الشرعة الحنيفية السمحة السهلة
ورخص لكم في المضايق كاحلال نكاح الامة وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات
ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رضي الله عنهما ثمان ايات في سورة النساء خير
لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الثلاثة وان تجتنبوا كبائر ما تنهون
عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا ما يفعل
الله بعذابكم يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل مالم يبحه الشرع
كالغصب والربا والقمار الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع ولكن كون
تجارة عن تراض منكم غير منهي عنه او اقصدوا كون تجارة عن تراض صفة لتجارة اى تجارة
صادرة عن تراضي المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التي بها يحل تناول
مال الغير لانه اغلب واوفق لذوي المروآت ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا وقيل
المقصود بالنهي المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرا الكوفيون
تجارة بالنصب على كان التامة وانما ذكر الاسم اى الا ان تكون التجارة او الجهة تجارة
ولا تقتلوا انفسكم بالنحر اى الاهلاك كما يفعله جهلة الهند وبالقاء النفس الى التهلكة
ويؤيده ما روى ان عمرو بن العاص رضي الله عنه تاول له في التيمم خوف البرد فلم ينكر
عليه النبي عليه الصلاة والسلام او بارتكاب ما يؤدي الى قتلها او باقتراف ما يزيل لها
ورديها فانه القتل الحقيقي للنفس وقيل المراد بالانفس من كان اهل دينهم فان المؤمنين
كنفس واحدة جمع في التوصية بين حفظ والمال الذي هو شقيقها من حيث انه سبب
قوامها استيفاء لهم ريثما تستكمل النفوس وتستوفي فضايلها رافة بهم ورحمة كما
اشار اليه بقوله ان الله كان بكم رحيما اى امرها ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم
معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما لما امن بني اسرايل بقتل الانفس وتهاكم عنه ومن يفعل ذلك

اشارة الى القتل وما سبق من المحرمات عدوانا وظلما افراطا في التجاوز عن الحق وايثارا بما
لا يستحقه وقيل اراد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم ظلم النفس لتعريضها للعقاب
فسوف نصليه نارا ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه
بالياء والضمير لله او لذلك من حيث انه سبب المصلى وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا
صارف عنه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنه وقرئ
كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم سيئاتكم نغفر لكم صغائركم وتمحها عنكم واختلف في الكبائر
والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب عليه الشارع حدا او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته
بقاطع وعن النبي عليه الصلاة والسلام انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله
وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن ابن عباس
رضي الله عنهما الكبائر الى سبعمائة اقرب منها الى سبع وقيل المراد به ههنا انواع الشرك لقوله
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقيل صغائر الذنوب وكبائرها بالاضافة
الى ما فوقها وما تحتها واكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وما بينهما وسائط
يصدق عليها الامران فمن عزم له امر منها ودعت نفسه اليها بحيث لا يتمالك وفكها عن
اكبرها كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص
والاحوال الا ترى انه تعالى عاتب نبيه في كثير من خطراته لم تعد على غيره خطيئة فضلا ان
يواخذ عليها وندخلكم مدخلا كريما الجنة وما وعد من الثواب وادخالا مع كرامة
وقرأ نافع هنا وفي الحج بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ولا تتمنوا ما فضل الله به
بعضكم على بعض من الامور الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدم خيره والمقتضي للمنع كونه ذريعة
الى التعادي والتحاسد بمغرية على عدم الرضا بما قسم الله وانه نهي لحصول الشيء له من غير
طلب وهو مذموم لان تمني ما لم يقدر له معارضة لحكمة القدر وتمني ما قدر له يكسب
بطالة وتضييع حظ وتمني ما قدر له بغير كسب ضايع ومحال للرجال نصيب مما اكتسبوا
وللنساء نصيب مما اكتسبن بيان لذلك اي لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب
ما اكتسب ومن اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمني كما قال عليه الصلاة والسلام
ليس الايمان بالتمني وقيل المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل
ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقصان كالمكتسب له واسالوا الله
من فضله اي لا تتمنوا ما للناس واسالوا الله مثله من خزائنه التي لا تنفد وهو يدل على ان
المنهي عنه هو الحسد او لا تتمنوا واسالوا الله من فضله ما يقربه ويسوقه اليكم وقرأ ابن كثير
والكسائي وسلوا الله من فضله وسلهم فسل الذين وشبهه اذا كان امرا مواجها به وقبل
السين واوا وفاء بغير همز وحمزة في الوقف على اصله والباقون بالهمز ان الله كان بكل
شيء عليما فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وبيان روي ان ام سلمة رضي الله عنها
قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث فليتنا كنا رجالا فنزلت
ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون اي ولكل وارث جعلنا وارثا يلونها ويحرزونها
ومما ترك بيان مع الفصل بالعامل او ولكل ميت جعلنا وارثا مما ترك على ان من صلة موالي
لانه في معنى الوارث وفي ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استيناف مفسر للموالي وفيه
خروج الاولاد فان الاقربين لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين ولكل قوم جعلنا هم موالي
حظ مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة كل والراجع اليه محذوف وعلى
هذا فالجملة من مبتدا وخبر والذين عاقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الحليف يورث

السدس من مال خليفة فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وعن ابي
حنيفة رحمه الله لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث
والازواج على ان العقد عقد النكاح وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط وخبره فاتوهم تصييم
او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او معطوف على الوالدين وقوله
فاتوهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها والضمير للموالي وقراء الكوفيون
عقدت بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود واقيم الضمير المضاف اليه مقامه
ثم حذف الضمير كما حذف في القراءة الاولى ان الله كان على كل شيء شهيدا تهديد يدل على منعهم
نصيبهم الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك
بامرين وهبي وكسبي فقال بما فضل الله بعضهم على بعض بسبب تفضيله الرجال على
النساء وبكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الاعمال والطاعات فلذلك خصوا
بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة في مجامع القضايا ووجوب الجهاد
والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم في الميراث والاستبداد بالفراق وبما انفقوا
من اموالهم في نكاحهن كالمهر والنفقة روى ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت
عليه امراته بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فشكى فقال عليه الصلاة والسلام لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا
واراد الله امرا والذي اراد الله خير فالصالحات قانتات مطيعات لله قايمات بحقوق
الازواج حافظات للغيب لواجب الغيب اي يحفظن في غيبة الازواج ما يجب حفظه
في النفس والمال وعنه عليه الصلاة والسلام خير النساء امراة ان نظرت اليها اسرتك
وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلى الاية وقيل لاسارهم
بما حفظ الله بحفظ الله ايا هن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد
والتوفيق له او بالذي حفظه الله لهن من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب
عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية
لم تكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذي حفظ حق الله واطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال
واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز فعظوهن
واهجروهن في المضاجع في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف او لا تباشروهن فيكون كناية
عن الجماع وقيل المضاجع المبايت اي لا تبايتوهن واضربوهن يعني ضربا غير مبرح ولا
شائن والامور الثلاثة مرتبة ينبغي ان يتدرج فيها فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا
بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان
التائب من الذنب كمن لا ذنب له ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم
على من تحت ايديكم او انه على شانه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم فانتم احق بالعفو عن ازواجكم
او انه يتعالى ويكبر ان يظلم احدا وينقص حقه وان خفتم شقاق بينهما خلافا بين المرء
وزوجه لضمهما وان لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما
لاجرايه مجرى المفعول به كقوله يا سارق الليلة او الفاعل كقولك النهار صايم فابعثوا حكما
من اهله وحكما من اهلها فابعثوا الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبين الامر واصلاح ذات
البين رجلا وسطا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله واخر من اهلها فان الاقارب اعرف
ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز
وقيل الخطاب للازواج والزوجات واستدل به على جواز التحكيم والاظهر ان النصب لاصلاح

من

ايها
٤

ذات البين او لتبين الامر ولا يليان الجمع والتفريق لاباذن الزوجين وقال مالك رحمه الله
لهما ان يتخالعا ان وجدا الصلاح فيه ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما الضمير الاول للحكمين
والثاني للزوجين اى ان قصد الاصلاح اوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل
كلاهما للحكمين اى ان قصد الاصلاح يوفق الله بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل
للزوجين اى اراد الاصلاح وزوال الشقاق اوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه
على ان من اصلح نيته فيما يختاره اصلح الله مبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن
فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا صنما او غيره
او شيئا من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين احسانا ولحسنوا بهما احسانا وبذى القربى
وبصاحب القرابة واليتامى والمساكين والجار ذى القربى الذى قرب جواره وقيل الذى
معه الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاتصال اختصاص والجار الجنب
البعيد او الذى لا قرابة له وعنه عليه الصلاة والسلام الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق
حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب
والصاحب بالجنب الرفيق فى امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه يصحبك ويصل
بجنبك وقيل المرأة وابن السبيل المسافر والضيف وما ملكت ايمانكم العبيد والاماء ان
الله لا يحب من كان مختالا متكبرا تاركا عن اصحابه اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم
فخورا بتعداد ما عليهم الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل بدل من قوله من كان او نصب
على الذم او رفع عليه اى هم الذين او مبتدأ خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما مخوا به
ويامرون الناس بالبخل فيه وقرأ حمزة والكسائى هيهنا وفى الحديد بالبخل بفتح الحرفين
وهى لغة ويكتمون ما اتاهم الله من فضله الغنى والعلم احقاء بكل ملامة واعتدنا
للكافرين عذابا مهينا وضع الظاهر فيه موضع المضمر اشعارا بان من هذا شانه
فهو كافر لنعمة الله ومن كان كافرا لنعمة الله فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء
والاية نزلت فى طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار تصحا لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى
عليكم الفقر وقيل فى الذين كتموا صفة محمد عليه الصلاة والسلام والذين ينفقون اموالهم
رئاء الناس عطف على الذين يبخلون او الكافرين واتما شاركهم فى الذم والوعيد لان البخل
والسرف الذى هو الانفاق لا على ما ينبغى من حيث انهما طرفا تفريط واقراط سواء فى القبح
واستجلاب الذم او مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان له
يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ليتجروا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو مكة وقيل
المنافقون ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا تنبيه على ان الشيطان قرينهم
لحملهم على ذلك وزينته لهم كقوله ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد بليس واعوانه
الداخلة والخارجة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان يقرنهم الشيطان فى النار وماذا
عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله اى وما الذى عليهم او اى
تبعة تحيق بهم بالايمان والانفاق فى سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة
والاعتقاد فى الشئ على خلاف ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يودى بهم
الى العلم بما فيه من الفوايد الجليلة والعوايد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى الامر لا ضرر
ينبغى ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن المنافع واتما قدم الايمان همنا واخره فى الاية
الاخرى لان القصد يذكر الى التخصيص ههنا والتعليل ثمة وكان الله بهم عليما
وعيد لهم ان الله لا يظلم مثقال ذرة لا ينقص فى الاجر ولا يزيد فى العقاب اصغر شئ كالذرة

وهي النملة الصغيرة وتقال لكل جزء من اجزاء الهباء والمثقال مفعال من الثقل وفي ذكره
ايماء الى انه وان صغر قدره عظم اجره وان تك حسنة وان تكن مثقال الذرة حسنة
وانث الضمير لتانيث الخبر ولاضافة المثقال الى مونث وحذف النون من غير قياس تشبيها
بحرف العلة وقراء ابن كثير ونافع حسنة بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعفه ثوابها
وقراء ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفها وكلاهما بمعنى ويوت من لدنه اجرا ويعطي
صاحبها من عنده على سبيل التفضل زايدا على ما وعد في مقابلة العمل اجرا عظيما اعظاما لاجزلا
وانما سماه اجرا لانه تابع للاجر زايد عليه فكيف اذا جيئنا من كل امة بشهيد فكيف حال
هولاء الكفرة من اليهود وغيرهم اذا جيئنا من كل امة بشهيد يعني نبيهم يشهد على فساد
عقايدهم وقبح اعمالهم والعامل في الظرف مضمون المبتدا والخبر من هول الامر وعظم
الشان وجيئنا بك يا محمد على هولاء شهيدا تشهد على صدق هولاء الشهداء لعلمك
بعقايدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل هولاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن
حالهم وقيل الى المومنين لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
يومييذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض بيان لحالهم حينئذ اى
يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الامر والكفرة والعصاة في ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى
بهم الارض كالموتى او لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء ولا يكتمون الله
حديثا ولا يقدرون كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اى يودون ان
تسوى بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون الله حديثا ولا يذبونه بقولهم والله ربنا
ما كنا مشركين اذ روى انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم وتشهد عليهم جوارحهم
فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقراء نافع وابن عامر تسوى على ان
اصله تتسوى فادغم التاء في السين وحمزة والكسايي بحذف التاء الثانية يقال سويته
فتسوى يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون لا تقوموا
اليها وانتم سكارى من نحو نوم او خمر حتى تتيمموا وتعلموا ما تقولون في صلاتكم روى ان عبد
الرحمن بن عوف رضي الله عنه صنع طعاما ودعا نفرا من الصحابة حين كانت الخمرة مباحة
فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب فقدم احدهم ليصلي بهم فقراء اعبد
ما تعبدون فنزلت وقيل اريد بالصلاة مواضعها وهي المساجد وليس المراد منهما السكران
عن قربان الصلاة وانما المراد النهي عن الافراط في الشرب والسكر من السكر وهو ابعد
وقرئ سكارى وسكرى على انه جمع كهلك او مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى وسكرى حبلى على
انها صفة لجماعة ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة في موضع النصب على الحال
والجنب الذي اصابه الجنابة يستوى فيه المذكر والمونث والواحد والجمع لانه جرى مجرى
المصدر الا عابري سبيل متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال اى ولا تقربوا
الصلاة جنبا في عامة الاحوال الا في حالة السفر وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم ويشهد له
تعقيبه بذكر التيمم وصفة لقوله جنبا اى جنبا غير عابري سبيل وفيه دليل على ان التيمم
لا يرفع الحدث ومن فسر الصلاة بمواضعها فسر عابري سبيل بالمجتازين فيها وجوز الجنب
عبور المسجد وبه قال الشافعي وابو حنيفة لا يجوز له المرور في المسجد الا اذا كان فيه الماء
او الطريق حتى تغتسلوا غاية النهي عن القربان حال الجنابة وفي الاية تنبيه على ان المصلي
ينبغي ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه وان كنتم مرضى
مرضا يخاف معه على استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد ومرضا يمنعه عن الوصول اليه

او على سفر لا تجدون فيه او جاء احد منكم من الغائط فاحدث بخروج الخارج من احد
السبيلين وصل الغائط المطمئن من الارض او لامستم النساء او ماسستم بشرتهن
بشركم وبه استدل الشافعي المطلبي رضي الله عنه على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل
اوجامعتموهن وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي المائدة لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل
من الملامسة فلم تجدوا ماء يريد فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه
هذا التقسيم ان المترخص بالتيمم اما محدث وجنب والحال المقتضية له في غالب الامر مرض
او سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجز ذكره ذكر اسباب
ما يحدث بالذات وما يحدث بالعرض واستغنى عن تفصيل حوالة بتفصيل حال الجنب
وبيان العذر مجملا فكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر او محدثين جئتم من الغايط
او لمستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم اي فتعمدوا
شيئا من وجه الارض طاهرا وذلك قالت الحنفية لوضرب المتيمم يده على حجر صلد لجزاه
وقال اصحابنا لا بد ان يعلق باليد شئ من التراب لقوله في المائدة فامسحوا بوجوهكم
وايديكم منه اي من بعضه وجعل من لابتداء الغاية تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا
التبعيض واليد اسم للعضو الى المنكب وما روي انه عليه الصلاة والسلام تيمم ومسح
يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على ان المراد هنا وايديكم الى المرافق
ان الله كان عفوا غفورا فلذلك يسر الامر عليكم ورخص لكم الم تر الى الذين اوتوا
من رؤية البصر اي الم تنظر اليهم او القلب وعدي بالى لتضمين معنى الانتهاء نصيبا
من الكتاب حظا يسيرا من علم التوراة لان المراد احبار اليهود يشترون الضلالة
يختارونها على الهدى او يستبدلونها به بعد تمكنهم منه او حصوله لهم بانكار نبوة
محمد عليه الصلاة والسلام وقيل يأخذون الرشى ويحرفون التوراة ويريدون ان تضلوا
السبيل سبيل الحق والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبرك بعداوتهم ولاياتهم وما يريدون
منكم فاحذروهم وكفى بالله وليا على امركم وكفى بالله نصيرا يعينكم فتقوا عليه
واكتفوا به عن غيره والباء تزاد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي
من الذين هادوا بيان الذين اوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض
او بيان لاعدائكم او صلة النصير اي ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم منه او خبر
مبتدأ محذوف صفته يحرفون الكلم عن مواضعه التي وضعها الله فيها بازالتها عنها
واثبات غيرها او يؤولونها على ما يشتهون فيميلونه على ما انزل الله فيه وقرئ الكلم
بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمه ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك
واسمع غير مسمع اي مدعوا عليك بلا سمعت بصم او موت او اسمع غير مجاب الى ما تدعوا اليه
او اسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه وانما قالوه نفاقا وراعنا انظرنا
نكلمك او تفهم كلامك ليا بالسنتهم فتلا بها وصرفا للكلام الى ما يشبه السب حيث وضعوا
راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او فتلا
بها وضما ما يظهرون من الدعاء والتوقير الى ما يضمرون من السب والتحقير نفاقا وطعنا
في الدين استهزاء به وسخريه ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا ولو ثبت قولهم
هذا مكان ما قالوه لكان خيرا لهم واقوم لكان قولهم ذلك خيرا لهم واعدل وانما يجيء حذف
الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعه موقوعه ولكن لعنهم الله بكفرهم
ولكن خذلهم وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا اي الا ايمانا قليلا

لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الايات والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم كقوله
قليل التشكي للهموم يصيبه ۞ كثير الهوى شتى النوى والمسالك
يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها
فنردها على ادبارها من قبل ان تمحو اتخطيط صورها ونجعلها على هيئة ادبارها يعني الاقفا
او ننكسها الى ورائها في الدنيا او في الاخرة واصل الطمس ازالة الاعلام المايلة وقد يطلق
بمعنى الطمس في ازالة الصورة ومطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل ان
نغير وجوها في الدنيا والاخرة فنسلب وجاهتها واقبالها وننكسوها الصغار والادبار
او نردها الى حيث جاءت وهي ادريعات الشام يعني اجلا بني النضير ويقرب منه قول من
قال ان المراد بالوجوه الرؤسا او من قبل ان نطمس وجوها بان نعمي الابصار عن الاهتدا ونصم
الاسماع عن الاصغاء الى الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلالة او نلعنهم كما لعنا
اصحاب السبت او نخزيهم بالمسخ كما اخزينا به اصحاب السبت او نلعنهم على لسانك كما لعنا هم
على لسان داود والضمير لاصحاب الوجوه او الذين على الالتفات او للوجوه ان اريد بها الوجاهم
وعطفه على الطمس بالمعنى يدل على ان المراد به ليس مسخ الصورة في الدنيا ومن حمل الوعيد
على تغيير الصورة في الدنيا قال انه بعد مترقب وكان وقوعه مشروط بعدم ايمانهم وقد
امن منهم طايفة وكان امر الله بايقاع شيء اوعيده او ما حكم به وقضاه مفعولا
نافذا وكائنا فيقع لا محالة ما اوعدتم به ان لم تؤمنوا ان الله لا يغفر ان يشرك به لانه
يتحاكم على خلود عذابه ولان ذنبه لا يمحى عنه اثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره ويغفر
ما دون ذلك اي ما دون الشرك صغيرا كان او كبيرا لمن يشاء تفضلا عليه واحسانا
والمعتزلة علقوه بالفعلين على معنى ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر
ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه دليل اذ ليس عموم ايات الوعيد باولى بالمحافظة اولى
منه ونقض لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشية ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح
بعدها فالاية كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب شرك وان صاحبه
خالد في النار ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ارتكب ما يستحق دونه الاثام وهو
اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين الذنوب والافتراء كما يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق
الم تر الى الذين يزكون انفسهم يعني اهل الكتاب قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس
من اليهود جاؤا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اهل على هؤلاء ذنب قال لا
قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما علمنا بالنهار كفرعنا بالليل وما علمنا بالليل كفرعنا بالنهار
وفي معناهم من زكى نفسه واثنى عليها بل الله يزكي من يشاء تنبيه على ان تزكيته هو
المعتد به دون تزكية غيره فانه العالم بما ينطوي عليه الانسان من حسن وقبيح وقد
ذمهم وزكى الموتضين من عباد المؤمنين واصل التزكية نفي ما يستقبح فعلا او قولا
ولا يظلمون بالذم او العقاب على تزكيتهم انفسهم بغير حق فتيلا ادنى ظلم وصغره وهو
الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في الحقارة انظر كيف يفترون على الله الكذب
في زعمهم انهم ابناء الله واذكياء عنده وكفى به بزعمهم هذا او بالافتراء اثما مبينا لا يخفى
كونه ما ثما من اثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت
والطاغوت نزلت في يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى عند الله مما يدعوا اليه
محمد وقيل في حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف في جمع من اليهود خرجوا من مكة يحالفون
قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انتم اهل الكتاب وانتم اقرب الى محمد منا

م سائر

الينا فلانا من مكركم فاسجد والا لهتنا حتى نطير اليكم فعلوا والجبت في الاصل اسم
صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو ما لا خير فيه فقلبت سينه
تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود وغيره ويقولون للذين كفروا لاجلهم وفيهم
هؤلاء اشارة اليهم اهدى من الذين امنوا سبيلا اقوم دينا وارشد طريقا اولئك
الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا تمنع العذاب عنه بشفاعة او غيرها
ام لهم نصيب من الملك ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك
وجحد لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير اليهم فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اى
لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون احدا ما يواري نقيرا وهو النقرة في ظهر
النواة وهذا هو الاغراق في بيان بخلهم فانهم بخلوا بالنقير وهم ملوك فما بالك بهم
اذا كانوا اذلاء متفاقرين ويجوز ان يكون المعنى انكار انهم اوتوا نصيبا من الملك
على الكناية وانهم لا يؤتون الناس شيئا واذا اذا وقع بعد الواو والفاء لا لتشبث مفرد
جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ فاذا لا يؤتوا على النصب ام يحسدون الناس بل
يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه او العرب او الناس جميعا لان من حسد على
النبوة فكانما حسد الناس كلهم كما لهم ورشدهم ونجحهم وانكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل
وهم شر الرذائل وكان بينهما تلازم وتحاذ يا على ما اتاهم الله من فضله يعني النبوة
والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبي الموعود منهم فقد اتينا ال ابراهيم الذين هم
اسلاف محمد واتباعه الكتاب والحكمة النبوة واتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد ان
يؤتيه الله مثل ما اتاهم فمنهم فمن اليهود من امن به بمحمد او بما ذكر من حديث ال
ابراهيم ومنهم من صد عنه اعرض عنه ولم يؤمن به وقيل معناه فمن ال ابراهيم من
امن به ومنهم من كفر ولم يكن في ذلك توهين امره فكذا لا يوهن كفر هؤلاء امرك
وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة يعذبون بها اى وان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم
ما اعد لهم من سعير جهنم ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كالبيان والتقرير
لذلك كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بان يعاد ذلك الجلد بعينه على
صورة اخرى كقولك بدلت الخاتم قرطا او بان يزال عنهم اثر الاحراق ليعود احساسه
للعذاب كما قال ليذوقوا العذاب اى ليدوم لهم ذوقه وقيل خلق مكان جلد اخر
والعذاب في الحقيقة للنفس لانها العاصية المدركة لا الة ادراكها فلا يحذو
ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده حكيما يعاقب على وفق حكمته والذين امنوا
وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا اقدم
ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض لهم
فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا اى نبيتهم ظلا لا يجوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وهو
اشارة الى النعمة التامة الدائمة والظليل صفة مشتقة من الظل لتاكيده كقولهم شمس
شامس وليل ليل ويوم ايوم ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها خطاب
يعم المكلفين والامانات وان نزلت في عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما اغلق باب الكعبة
وابى ان يدفع المفتاح ليدخل وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي يده
واخذ منه وفتح فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس ان
يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فامر الله ان يرد اليه فامر عليا بان يرد
ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل الوحي بان السدانة في اولاده ابدا واذا

حكمتم

حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل اى وان تحكموا بالانصاف والتسوية اذا قضيتم
بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم ولان الحكم وضيفة الولاة قيل الخطاب لهم
ان الله نعما يعظكم به اى نعم شيأ يعظكم به او نعم الشئ الذى يعظكم به نما منصوبة
موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المامور
به من اداء الامانات والعدل فى الحكومات ان الله كان سميعا بصيرا باقوالكم واحكامكم
وما تفعلون باى الامانات يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى
الامر منكم يريد بهم امراء المسلمين فى عهد الرسول وبعده ويندرج فيهم الخلفاء
والقضاة وامراء السرية امر الناس بطاعتهم بعد ما امرهم بالعدل تنبيها على وجوب
طاعتهم ما داموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولى
الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فان تنازعتم انتم واولوا الامر منكم فى شئ
من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد فى حكمه
بخلاف المرؤس الا ان يقال الخطاب لاولى الامر على طريقة الالتفات فردوه فارجعوا
فيه الى الله الى كتابه والرسول بالسؤال عنه فى زمانه والمراجعة الى سنته بعده
واستدل به منكرو القياس قالوا ان الله تعالى اوجب رد المختلف الى الكتاب والسنة
دون القياس واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء
عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة الرسول
فانه يدل على ان الاحكام ثلاثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالرد اليهما
على وجه القياس ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر فان الايمان يوجب ذلك
ذلك اى الرد خير لكم واحسن تاويلا عاقبة او احسن تاويلا من تاويلكم بالرد
الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون
ان يتحاكموا الى الطاغوت عن ابن عباس رضى الله عنهما ان منافقا خاصم يهوديا
قد عاه اليهودى الى النبى صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف انهما
احتكما الى الرسول فحكم لليهودى فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودى
لعمر قضى لى رسول الله فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق كذلك فقال
نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب عنق المنافق
حتى برد وقال هكذا اقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل عليه
السلام ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق رضى الله عنه والطاغوت على هذا
كعب بن الاشرف وفى معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله سمى بذلك لفرط طغيانه
او لتشبيهه بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل عليه
كما قال وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا وقرئ
ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع لقوله تعالى اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم واذا
قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام
الفعل حتيا طا ثم ضم اللام لواو الضمير رايت المنافقين يصدون عنك صدودا
هو مصدر واسم المصدر الذى هو الصد والفرق بينه وبين السدانة غير محسوس
والسد محسوس ويصدون فى موقع الحال فكيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة
كقتل عمر المنافق او النقمة من الله بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك وعدم الرضاء
بحكمك ثم جاؤك حين يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل على يصدون

وما بينهما اعتراض يحلفون بالله حال ان اردنا الا احسانا وتوفيقا ما اردنا بذلك
الا التفصل بالاوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء اصحاب
القتيل طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق
بينه وبين خصمه اولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم من النفاق فلا يغنى عنهم
الكتمان والحلف الكاذب من العقاب فاعرض عنهم اى عن عقابهم لمصلحة فى استبقائهم
او عن قبول معذرتهم وعظهم بلسانك وكفهم عما هم عليه وقل لهم فى انفسهم اى فى معنى
انفسهم او خاليا فان النصح فى السر ارجح قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم امرا بالتجافى
عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الايمان
وتعليق الظرف فى بليغا على معنى بليغا فى انفسهم مؤثرا فيها صعيف لان معمول الصفة
لا تتقدم الموصوف والقول البليغ فى الاصل هو الذى يطابق مدلول المقصود به وما ارسلنا
من رسول الا ليطاع باذن الله بسبب اذنه فى طاعته وامره المبعوث اليهم بان يطيعوه
كانه احتج بذلك على ان الذى لم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا
مستوجب القتل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالنفاق او التحاكم الى الطاغوت جاوك
تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص واستغفر
لهم الرسول واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب تفخيما
لشانه وتنبيها على ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار التائب وان عظم جرمه ويشفع
له ومن منصبه ان يشفع فى كبائر الذنوب لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه قابلا
لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف كان توابا حالا ورحيما بدلا
منه او حالا من الضمير فيه فلا وربك اى فوربك ولا مزيدة لتاكيد القسم لانتظاره
لا فى قوله لا يؤمنون لانها تزاد ايضا فى الاثبات كقوله تعالى لا اقسم بهذا البلد حتى
يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا
فى انفسهم حرجا مما قضيت ضيقا مما حكمت به او من حكمك او شكا من اجله فان الشاك
فى ضيق من امره ويسلموا تسليما وينقادوا اليك انقيادا لظاهرهم وبه باطنهم ولو انا
كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم نعرضوا بها للقتل بالجهاد او اقتلوها كما قتل بنو
اسرائيل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا فى معنى امرنا او اخرجوا من ديارهم تحولوا
خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل وقراء ابو عمرو ويعقوب ان اقتلوا بكسر النون
على اصل التحريك واخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع فى نحو لا تنسوا الفضل
وقراء حمزة وعاصم بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة
بالفعل ما فعلوه الا قليل منهم لا انا نفر قليل وهم المخلصون ولما بين ان ايمانهم لا يتم
الا بان يسلموا حق التسليم نبه على قصور اكثرهم وهو من اسلامهم والضمير المكتوب ودل
عليه كتبنا او لاحدى مصدرى الفعلين وقراء ابن عامر بالنصب على الاستثناء او على
الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول ومطاوعته طوعا ورغبة
لكان خيرا لهم فى عاجلهم واجلهم واشد تثبيتا فى دينهم لانه اشد لتحصيل العلم
ونفى الشك او تثبيتا لثواب اعمالهم والاية ايضا مما نزلت فى شان المنافق واليهودى
وقيل انها والتى قبلها نزلتا فى خاطب بن ابى بلتعة خاصم زبيرا فى شراج من
الحرة كان يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف حقك
ثم ارسله الى جارك واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسؤال مقدر كانه قيل

فما يكون

لما يكون لهم بعد التثبيت فقال واذا لاتيناهم لان اذا جواب وجزاء ولهديناهم
صراطا مستقيما يصل سلوكه جناب القدس ويفتح عليهم الغيب قال عليه الصلاة والسلام
من عمل بما علم اورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم
الله عليهم مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة اكرم الخلايق واعظمهم قدرا
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بيان للذين حال منه او ضمير فسمهم
اربعة اقسام بحسب منازلهم والعلم والعمل وحث كافة الناس ان لا يتاخروا عنهم وهم
الانبياء الفايزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون
الذين صعدت نفوسهم تارة بمرآى النظر في الحجج والايات واخرى بمعارج التصفية والرياسة
الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذين ادى
بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا مهجتهم في اعلاء كلمة الله ثم الصالحون
الذين صرفوا اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته ولك ان تقول المنعم عليهم
هم العارفون بالله وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين في مقام
الاستدلال والبرهان والاولون اما ان يتالوا مع العيان القرب بحيث يكونوا ممن
يرى الشئ قريبا وهم الانبياء او لا فيكون ممن يرى الشئ من بعيد وهم الصديقون
والاخرون اما ان يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين
شهد الله في ارضه واما ان يكون بامارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصلحاء
وحسن اولئك رفيقا في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز والحال ولم يجمع لانه يقال
للواحد والجمع كالصديق وانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روى ان ثوبان مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتاه يوما وقد تغير وجهه وتخل جسمه فساله عن حاله فقال ما بي
من وجع غير اني اذا لم اراك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم
ذكرت الاخرة فخفت ان لا اراك هناك لانى عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت
الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت ذلك
اشارة الى ما للمطيعين من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم والى فضل هؤلاء
المنعم عليهم ومرتبتهم الفضل صفته من الله خبره والفضل خبره ومن الله حال
والعامل فيه معنى الاشارة وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه وبمقادير الفضل واستحقاق اهله
يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم تنقضوا واستعدوا للاعداء والحذر والحذر كالاثر
والاثر وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح فانفروا فاخرجوا الى الجهاد ثبات جماعات متفرقة
جمع ثبة من ثبيت على فلان تثبية اذا ذكرت متفرق محاسنه ويجمع ايضا على ثبين
جبرا لما حذف من عجزه او انفروا جميعا مجتمعين كوكبة واحدة والاية وان نزلت
في الحرب لان يقتضي اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيف ما امكن فتل
القوات وان منكم لمن ليبطئن الخطاب لعساكر رسول الله عليه الصلاة والسلام المنحوه
المومنون منهم والمنافقون والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطاء
بمعنى ابطاء وهو لازم او ثبطوا غيرهم كما ثبط ابن ابي اناسا يوم احد من بطاء من بطؤ ثقل
من ثقل واللام الاولى للابتداء دخلت على اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف
والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله
ليبطئن فان اصابتكم مصيبة قتل وهزيمة قال اى المبطئ قد انعم الله علي اذ لم اكن
معهم شهيدا حاضرا فيصيبني ما اصابهم ولين اصابكم فضل من الله كفتح وغنيمة ليقولن

لان قوله لمن ليبطئن على معنى الجماعة

اكده تنبيها على فرط تحسرهم وقرئ بضم اللام اعادة للضمير على معنى من كان لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو يا ليتني كنت معهم فافوز افوز اعظيما التنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وانما يريد ان يكون معكم لمجرد المال او حال عن الضمير في ليقولن او داخل في المقول اي يقول المبطئ لمن يثبطه من المنافقين وصفة للمسلمين تضريبا وحسدا كان لم يكن بينكم وبين محمد مودة حيث لم يستعن بكم فنفوز وانما فاز يا ليتني كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة الاولى وهو ضعيف اذ لا يفصل اعتراض الجملة بما يتعلق بها لفظا ومعنى وكان مخففة من الثقيلة واسمه ضمير الشان وهو محذوف وقراء ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب تكن بالتاء لتانيث لفظ المودة والمنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع فافوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز في ذلك الوقت او العطف على كنت فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة اي الذين يبيعونها بها والمعنى ان بطاءهم عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الاخرة او الذين يشترونها ويختارونها على الاخرة وهم المبطئون والمعنى حثهم على ترك ما حكي عنهم ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نوتيه اجرا عظيما وعد له الاجر العظيم غلب او غلب ترغيبا في القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا واتاق له فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد ينبغي ان يثبت في المعركة حتى يغرر نفسه بالشهادة او الذين بالظفر والغلبة ولا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين وما لكم مبتدا وخبره لا تقاتلون في سبيل الله حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى القتل والمستضعفين عطف على اسم الله اي وفي سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن الاسر وصونهم عن العدو او على السبيل بحذف المضاف اي وفي خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدي الكفار اعظمها من الرجال والنساء والولدان بيان المستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين اوضعفهم من الهجرة مستدلين ممتحنين وانما ذكر الولدان مبالغة في الحث وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى يشاركوا في استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع وليد الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا فاستجاب الله لهم دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي وناصر ففتح مكة على نبيه صلوات الله عليه وسلامه فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عقاب بن اسيد فحاماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها والقرية مكة والظالم اهلها وتذكيره لتذكير ما استد اليه فان اسم الفاعل والمفعول اذا جرى على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب ما عمل فيه الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله فيما يصلون به الى الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فيما يبلغهم الى الشيطان فقاتلوا اولياء الشيطان لما ذكر مقصد الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان ثم سجعهم بقوله ان كيد الشيطان كان ضعيفا اي ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله للكافرين ضعيف لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على اضعف شيء الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم اي عن القتال واقيموا الصلاة واتوا الزكوة واشتغلوا

بما امرتم به فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله يخشون
الكفار ان يقتلوهم كما يخشون الله ان ينزل عليهم بأسه واذ للمفاجاة جواب لما وفريق
مبتدا منهم صفة يخشون الله من اضافة المصدر الى المفعول ووقع موقع المصدر او الحال
من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل اهل خشية الله منه او اشد خشية
عطف عليه ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا لان افعل التفضيل اذا نصب ما بعده
لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم الله اى كخشية الله او كخشية اشد خشية منه على الغرض
اللهم الا ان يجعل الخشية ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية
مثل خشية الله او خشية اشد من خشية الله وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا
اخرتنا الى اجل قريب استزادة فى مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت ويحتمل انهم
ما نفوه رواية ولكن قالوه فى انفسهم فحكى الله عنهم قل متاع الدنيا قليل سريع التقضى
والاخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون ادنى شئ من ثوابكم فلا ترغبوا عنه
او من اجالكم المقدرة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى ولا يظلمون بالياء لتقدم الغيبة
اينما تكونوا يدرككم الموت وقرئ بالرفع على حذف الفاء كما فى قوله من يفعل الحسنات
الله يشكرها او على انه كلام مبتدأ واينما متصل بلا يظلمون ولو كنتم فى بروج مشيدة
فى قصور او حصون مرتفعة والبروج فى الاصل بيوت على اطراف القصر من برجت المرأة اذا
ظهرت وقرئ مشيدة وصفها بوصف صاحبها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر
اذا رفعه وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه
من عندك كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة تقعان على النعمة والبلية وبما المراد
فى الآية اى ان تصبهم نعمة خصت بنسبوها الى الله وان تصبهم بلية خصوا بها كقط اضافوها
اليك وقالوا ان بى الا بشؤمك كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها
وغلت اسعارها قل كل من عند الله بسط ويقبض حسب ارادته فما لهؤلاء القوم لا يكادون
يفقهون حديثا وهو يوعظون به وهو القرآن فانهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا
ان الكل من الله وحديثا ما كيفما يم لا افهام لهم او حادثا من صروف الزمان فيتفكروا
فيها فيعلموا ان الباسط والقابض هو الله ما اصابك يا انسان من حسنة من نعمة فمن
الله تفضلا منه فان كل ما يفعل الانسان من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود فكيف يقتضى جزاء
غيره ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت قال
ولا انا وما اصابك من سيئة من بلية فمن نفسك لانها السبب فيها لاستجلابها
بالمعاصى وهو لا ينافى قوله قل كل من عند الله فان الكل ايجادا وايصالا لغرض الحسنة احسان
وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عايشة رضى الله عنها ما مسلم يصيبه وصب
ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر والآية
كما ترى لا حجة فيها لنا ولا للمعتزلة وارسلناك للناس رسولا حال قصد به التاكيد لان علق
الجار بالفعل والتعميم ان علق بها اى رسولا لا للناس جميعا كقوله وما ارسلناك الا كافة
للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله ولا خارج من فى زور كلام وكفى بالله شهيدا
على رسالتك بنصب المعجزات من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه
فى الحقيقة مبلغ والامر هو الله روى انه عليه الصلاة والسلام قال من احبنى فقد احب الله
ومن اطاعنى فقد اطاع فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان
نتخذه ربا فنزلت ومن تولى عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم

وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف ويقولون اذا امرتهم
بامر طاعة اى امرنا طاعة او منا طاعة واصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة على
الثبات فاذا برزوا من عندك خرجوا بيّت طائفة منهم غير الذى تقول اى زورت خلاف
ما قلت لها او ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لان الامور
تدبر بالليل او من بيت الشعر او المبنى لانه يسوى ويدبر وقرأ ابو عمرو وحمزة بيّت
طائفة بالادغام لقرب مخرجها والله يكتب ما يبيتون يثبته فى صحايفهم ليجازيهم
عليها او جملة ما يوحى اليك لتطلع على اسرارهم فاعرض عنهم قلل المبالاة بهم او تجاف عنهم وتوكل على
الله فى الامور كلها لا سيما فى شانهم وكفى بالله وكيلا يكفيك معرّتهم وينتقم لك منهم
افلا يتدبرون القرآن يتاملونه فى معانيه ويتبصرون ما فيه واصل التدبر النظر
فى ادبار الشئ ولو كان من عند غير الله ولو كان كلام البشر كما زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا
كثيرا من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه يصعب
معارضته وبعضه يسهل ومطابقة بعض اخباره المستقبلة الواقعة دون بعض وموافقة
العقل لبعض احكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لتفاوت القوة البشرية ولعل
ذكره ههنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس بتناقض فى الحكم بل
لاختلاف الاحوال فى الحكم والمصالح واذا جاءهم امر من الامن او الخوف مما يوجب
الامن او الخوف اذاعوا به افشوه كان ليفعلوه قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن
سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم او اخبرهم الرسول بما اوحى اليه من وعد بالظفر او تخويف
من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم فكانت اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة او لتضمين الاذاعة
معنى التحدث ولو ردّوه ولو ردوا ذلك الخبر الى الرسول والى اولى الامر منهم الى رايه وراى
كبار اصحابه البصراء بالامور والامراء العلم به على اى وجه يدبر الذين يستنبطونه منهم
يستخرجون تدبيره بتجاربهم وانظارهم وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذيعونها
فيعود وبالها على المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى اولى منهم حتى سمعوه منهم ولتعرفوا اهل
يذاع لعلم ذلك منهم من هو لا الذين استنبطونه من الرسول واولى الامر اى يستخرجون
علمه من جهتهم واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء من البير اول ما يخرج ولولا
فضل الله عليكم ورحمته يا رسال الرسول وانزال الكتاب لاتبعتم الشيطان بالكفر والضلال
الا قليلا قليلا ممن نفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب وعصمه من
متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل او الا اتباعا قليلا على التدريج
فقاتل فى سبيل الله ان تثبطوا او تتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك الا افعل نفسك
لا يضرك تخاذلهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فالله ناصرك لا الجنود
روى انه عليه الصلاة والسلام دعى الناس فى بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم
فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على احد وقرئ لا تكلّف بالجزم ولا تكلف بالنون
على البناء للفاعل اى لا تكلفك الا فعل نفسك لانا لا نكلف احدا الا نفسك لقوله وحرض
المؤمنين اذ ما عليك فى شانهم الا التحريض عسى الله ان يكفّ باس الذين كفروا يعنى
قريشا وقد فعل بان القى فى قلوبهم الرعب حتى رجعوا والله اشد باسا من قريش واشد تنكيلا
تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه من يشفع شفاعة حسنة اى يجاهد مسلم
ودفع بها عنه ضررا او جلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله ومنها الدعاء للمسلم قال عليه الصلاة
والسلام من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب وقال له الملك ولك مثل ذلك يكن له نصيب

يلتفت

منها

منها وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها ومن يشفع شفاعة سيئة يريد بها محرما يكن له كفل منها نصيب من وزرها مساويا لها في القدر وكان الله على كل شيء مقيتا مقتدرا من اقات على الشيء اذا اقتدر وقال

، وذي الضعف كففت الضعف عنه ، وكنت على مساءته مقيتا ،

او شهيدا حاضرا واشتقاقه من القوت فانه يقوي البدن ويحفظه وان حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها الجمهور على ان في السلام ويدل على وجوب الجواب اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه ورحمة الله وان جاء به المسلم زاد بركاته وهي النهاية واما برد مثله لما روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال عليك السلام ورحمة الله وقال اخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال اخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت مثله وذلك لاستجماعه اقسام الطالب السالمة عن المضار وحصول المنافع وثباتها ومنه قيل للتردد بين ان يجيء المسلم ببعض التحية وبين ان يجيء بتمامها وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد في الخطبة وقراءة القرآن وفي الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها والتحية في الاصل مصدر حياك الله على الاخبار من الحيوة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب في السلام وقيل المراد بالتحية العطية وتوجب الثواب والرد على المهتب وهو قول قديم للشافعي رحمه الله ان الله كان على كل شيء حسيبا يحاسبكم على التحية وغيرها الله لا اله الا هو مبتدا وخبر والله مبتدا والخبر ليجمعنكم الى يوم القيمة اي الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيمة او مفضين اليه او في يوم القيمة ولا الا هو اعتراض والقيام والقيامة كالطلاب والطلابة وهي قيام الناس من الصور او للحساب لا ريب فيه في اليوم او الجمع فهو حال عن اليوم او صفة للمصدر ومن اصدق من الله حديثا انكار ان يكون احد اكثر صدقا منه فانه لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله محال فما لكم في المنافقين فما لكم تفرقتم في امر المنافقين فئتين اي فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك ان اناسا منهم استاذنوا رسول الله عليه الصلاة والسلام في الخروج الى البدو لاحتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في اسلامهم وقيل نزلت في المتخلفين يوم احد وفي قوم هاجروا ثم رجعوا مغلين باحتواء المدينة والاشتياق الى الوطن او قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عامل فيها لكم او عامل فيها ما يقول لك مالك قائما وفي المنافقين حال من فئتين اي متفرقين فيهم او من الضمير اي فما لكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين وقراءة حمزة والكسائي باشمام الصاد الزاي والله اركسهم بما كسبوا ردهم الى حكم الكفر او نكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشيء مقلوبا اتريدون ان تهدوا من اضل الله اي تجعلوه من المهتدين ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الهدى ودوا لو تكفرون كما كفروا تمنوا ان تكفروا كاكفرهم فتكونون سواء فتكونون معهم سواء في الضلال وهو عطف على تكفرون ولو تكفرون نصب على جواب التمني لجاز فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فلا تولوهم حتى يؤمنوا ويحققوا ايمانهم بهجرة لله ورسوله لا لاغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه فان تولوا عن الايمان الظاهر بالهجرة او عن اظهار الايمان فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم كسائر الكفرة ولا تتخذوا منهم وليا

مقتدر ١

المنتهب ح

وليا ولا نصيرا اى جانبوهم راسا ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة الا الذين يصلون الى
قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اى الا الذين ينتمون
ويلتجئون الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربيكم والقوم هم خزاعة وقيل الاسلميون
فانه عليه الصلاة والسلام وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويم الاسلمى على ان
لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجأ اليه فله من الجوار مثل ماله وقيل بنو بكر بن زيد
مناة اوجاؤكم عطف على الصلة او الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وعن قتال قومهم
استثنى عن المامور باخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين او الى الرسول
عليه الصلاة والسلام وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم وكانه قيل الا الذين يصلون
الى قوم معاهدين او قوم كافين عن القتال لكم وعليكم والاول اظهر لقوله فان اعتزلوكم
وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استيناف حصرت
صدورهم حال باضمار قد ويدل عليه ان قرئ حصرة صدورهم وحصرات وبيان
لجاؤكم وقيل صفة محذوف اى جاؤكم قوما حصرت صدورهم وهم بنو مدلج جاؤا
رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم
او يقاتلوا قومهم اى عن ان اولان اوكراهة ان يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم
عليكم بان قوى قلوبهم وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم
فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم الاستسلام والانقياد
فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم فى اخذهم وقتلهم ستجدون اخرين يريدون
ان يامنوكم ويامنوا قومهم هم اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار اتوا المدينة
واظهروا الاسلام ليامنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا كلما ردوا الى الفتنة دعوا الى الكفر
او الى قتال المسلمين اركسوا فيها عادوا اليها وقلبوا فيها اقبح قلب فان لم يعتزلوكم
ويلقوا اليكم السلم ويبذلوا اليكم العهد ويكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم
واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث ما كنتم منهم فان مجرد الكف لا يوجب نفى التعرض
ولوليكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة فى التعريض لهم بالقتل والسبى
لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم فى قتلهم
وما كان لمؤمن وما صح له وليس من شانه ان يقتل مؤمنا بغير حق الا خطأ فانه
على عرضيته ونصب على الحال او المفعول له او لا يقتله فى شئ من الاحوال الا لخطإ
او لا يقتله لعلة الا للخطإ او على انه صفة محذوف الا قتلا خطأ وقيل ما كان نفى فى معنى
النهى او الاستئناف منقطع اى لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يضامه
القصد الى الفعل او الشخص وما لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به
محظور اكرمى المسلم فى صف الكفار مع الجهل باسلامه ويكون فعل ضمير المكلف وقرئ
خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والاية نزلت فى عياش بن ابى ربيعة اخى ابى
جهل من الام لقى الحارث بن يزيد فى طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله ومن
قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة اى فعليه او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق
والحر كالعتيق للكريم من الشئ ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه سمى به لان الكرم
فى الاحرار والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها بالراس مؤمنة محكوم باسلامه وان
كانت صغيرة ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول
ضحاك بن سفيان الكلابى كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرنى ان اورث امراة

الصبانى من عقل زوجها وهى على العاقلة وان لم تكن فعلى بيت المال وان لم تكن
ففى ماله الا ان يصدقوا يتصدقوا عليه بالدية سمى العفو عنها صدقة حثا عليه
وتنبيها على فضله وعن النبى عليه الصلاة والسلام كل معروف صدقة وهو متعلق
بعليه او بمسلمة اى يجب الدية عليه ويسلمها الى اهله الا حال صدقهم عليه او زمانه فهو
محذوف فى محل النصب على الحال من القاتل او الاهل او الظرف فان كان من قوم عدو لكم وهو
مومن فتحرير رقبة مومنة اى ان كان المقتول من قوم كفار محاربين او فى تضاعيفهم
ولم يعلم ايمانه فعلى قاتله الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينهم وبينه لانهم
محاربون وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة
مومنة وان كان من قوم كفرة معاهدين او اهل الذمة فحكمه حكم المسلم فى وجوب الكفارة
والدية ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا او كان له وارث مسلم فمن لم يجد رقبة
بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فصيام شهرين متتابعين فعليه او فالواجب عليه
صيام شهرين توبة نصب على المفعول له اى شرع ذلك توبة من تاب الله عليه اذا قبل
توبته او على المصدر لكونه اى وتاب عليكم توبة او حال بحذف مضاف اى فعليه صيام شهرين
ذا توبة من الله صفتها وكان الله عليما بحاله حكيما فيما امر فى شانه ومن يقتل مومنا
متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما لما فيه
من التهديد العظيم قال ابن عباس رضى الله عنهما لا تقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله اراد
به التشديد اذ روى عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله والى لغفار
لمن تاب ونحوه وهو عندنا اما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيده انه
نزل فى مقيس بن ضبابة وجد اخاه قتيلا فى بنى النجار ولم يظهر قاتله فامرهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة
مرتدا والمراد بالخلود المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة على ان عصاة المسلمين لا يدوم
عذابهم يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم فى سبيل الله سافرتم فذهبتم للغزو فتبينوا
فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه وقرا حمزة والكسائى فتثبتوا فى الموضعين هنا
وفى الحجرات ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لمن حياكم بتحية الاسلام وقرا نافع وابن عامر وحمزة
السلم بغير الف اى الاستسلام والانقياد وفسر به السلام ايضا لست مومنا قاتما
فعلت ذلك متعوذا وقرئ مومنا بالفتح اى مبدولا له الامان تبتغون عرض الحيوة
الدنيا تطلبون ماله الذى هو حطام سريع النفاد وهو حال من الضمير فى تقولوا مشعرة
بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت فعند الله مغانم كثيرة يغنيكم عن قتل امثاله
كذلك كنتم من قبل اول ما دخلتم فى الاسلام تفوهتم بكلمتى الشهادة فحصنت بها
دماءكم واموالكم من غير ان يعلم مواطاة قلوبكم السنتكم فمن الله عليكم بالاستمرار بالايمان
والاستقامة فى الدين فتبينوا وافعلوا بالداخلين فى الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا
الى قتلهم طمعا فى اموالهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان اتقاء الف كافر هو عند الله من قتل مسلم
وتكريره تاكيد للتعظيم للامر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم ان الله كان بما تعملون
خبيرا عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا الا بالقتل واحتاطوا فيه روى ان غزية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم غزت اهل فدك فهربوا وبقى مرداس بقية باسلامه فلما راى الخيل
الجاءه غنمه الى عاقول من الجبل فلما تلاحقوا وكبروا وكبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد
رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل فى المقداد مر برجل

في غنيمة واراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله وقال وذلوفر باهله وماله وفيه دليل على
صحة ايمان المكره وان المجتهد قد يخطي ويخطاء مغفور لا يستوي القاعدون عن
الحرب من المؤمنين في مواضع الحال من القاعدين او من الضمير الذي فيه غير اولي الضرر
بالرفع صفة القاعدون لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقراء نافع وابن عامر
بالنصب على الحال والاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه وعن زيد
ابن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها غير اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا
اعمى فغشي رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها
ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون
في سبيل الله باموالهم وانفسهم اي لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد عن غير علة *
وفايدة تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد فيعالر تبته وانفة
عن انحطاط منزلته فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة
جملة موضحة لما نفى الاستواء فيه والقاعدون على التقييد والسابق ودرجة نصب
بنزع الخافض اي بدرجة او على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة
المرة منه والحال بمعنى ذوي درجة وكلا من القاعدين والمهاجرين وعد الله الحسنى
المثوبة الحسنى وهي الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت في زيادة
العمل المقتضي لمزيد الثواب وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما نصب على
المصدر لان فضل بمعنى اجر او المفعول الثاني له لتضمنه معنى الاعطاء كانه قيل
واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة كل واحد
منهما بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته اسواطا
او اجراء على الحال عنها لتقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار
فعلها كررت تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا وتعظيما للجهاد وترغيبا
فيه وقيل الاول ما خولهم في الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثاني ما اجل
لهم في الاخرة وقيل المراد بالدرجة ارتفاع منزلتهم عند الله والدرجات منازلهم
في الجنة وقيل القاعدون الاولى لهم الاضراء والقاعدون الثاني هم الذين اذن لهم في
التخلف لكفاية بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والاخرون من جاهد
نفسه وعليه قوله عليه الصلاة والسلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وكان
الله غفورا لما عسى ان يفرط منهم رحيما بما وعدهم ان الذين توفاهم الملايكة يحتمل الماضي
والمضارع وقرئ توفيهم وتوفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يتوفى الملايكة انفسهم
فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم
بترك الهجرة ومواقفة الكفرة فانها نزلت في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين
كانت الهجرة واجبة قالوا اي الملايكة توبيخا لهم فيم كنتم اي في شيء من امر دينكم قالوا كنا
مستضعفين في الارض اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة وعن اظهار الدين
واعلاء كلمته قالوا اي الملايكة تكذيبا لهم وتبكيتا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا
فيها الى قطر اخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة فاولئك ماواهم جهنم لتركهم
الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر ان والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم
كنتم حال من الملايكة باضمار قد او الخبر قالوا والعايد محذوف اي قالوا لهم وهو جملة معطوفة
على الجملة قبلها مستنتجة منها وساءت مصيرا مصيرهم او جهنم وفي الاية دليل على وجوب

المهاجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبي عليه الصلاة والسلام
من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة وكان رفيق ابيه
ابراهيم ونبيه محمد الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان استثنا منقطع لعدم
دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان اريد به المماليك وان اريد به
الصبيان فللمبالغة في الامر والاشعار على بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا
وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت
لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين اذ لا توقيت او حال عنه
او عن المستكن فيه واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما يتوقف عليه والاهتداء
السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليل فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ذكر بكلمة الاطماع
ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يامن ويترصد
الفرصة ويعلق بها قلبه وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض
مراغما كثيرا متحولا من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه اي يفارقهم
على رغمائهم وهو ايضا من الرغام وسعة في الرزق واظهارا في الدين ومن يخرج من
بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت وقرئ يدرك برفع الكاف على انه خبر مبتدا محذوف
اي ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان كقوله فالحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما للوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت
اجره عند الله ثبوت الامر الواجب والاية نزلت في جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها
الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق يمينه على شماله فقال اللهم هذه
لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايع عليه رسولك فمات واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة بتنصيف ركعاتها ونفي الحرج فيه يدل على جوازه
دون وجوبه ويؤيده انه عليه الصلاة والسلام اتم في السفر وعايشة رضي الله عنها اعتمرت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال
احسنت يا عايشة واوجبه ابو حنيفة رحمه الله لقول عمر رضي الله عنه صلاة السفر ركعتان
تام غير قصر على لسان نبيكم ولقول عايشة رضي الله عنها اول ما فرضت الصلاة فرضت
ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وظاهرها يخالف الاية فان صحا فالاول مؤول بانه
كالتام في الصحة والاجزاء والثاني لا يبقى جواز الزيادة فلا حاجة بتاويل الاية بانهم الفوا
الاربع مظنة لان يخطر ببالهم ان ركعتي السفر قصر ونقصان فنسخ الاتيان بهما قصرا على ظنهم
ونفي الجناح فيه لتطيب به انفسهم واقل سفر يقصر فيه اربعة برد عندنا وستة عند
ابي حنيفة وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن الصلاة صفة محذوف اي شيئا
من الصلاة عند سيبويه ومفعول تقصروا على زيادة من عند الاخفش ان خفتم ان
يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا شرطية باعتبار الغالب في ذلك
الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر في قوله تعالى فان خفتم الا يقيما حدود
الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن على جوازه ايضا في حال الامن
وقرئ من الصلاة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهية ان يفتنكم والحصار هو القتال
والتعرض بما يكره واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة تعلق بمفهومه من حضر صلاة
الخوف بحضرة الرسول لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على ان الله تعالى علم الرسول كيفيتها
ليأتم به الائمة بعده فانهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره فلتقم طائفة

ق

منهم معك فاحعلهم طايفتين فلتقم احداهما معك يصلون وتقوم الطايفة الاخرى
تجاه العدو وليأخذوا اسلحتهم اى المصلون جزما وقيل الضمير للطايفة الاخرى
وذكر الطايفة تدل عليهم فاذا سجدوا يعنى المصلين فليكونوا اى غير المصلين من ورايكم
يحرسونكم يعنى النبى ومن يصلى معه فغلب المخاطب على الغايب ولتات طايفة اخرى
لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا معك ظاهره يدل على ان الامام يصلى ركعتين
مرتين بكل طايفة مرة كما فعله النبى عليه الصلاة والسلام ببطن نخل وان ريد به
ان يصلى بكل ركعة ان كانت الصلاة ركعتين فكيفيته ان يصلى بالاولى ركعة وينتظر
قايما حتى يتموا صلاتهم منفردين ويذهبوا الى وجه العدو وتاتى الاخرى فيتم بهم
الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلاتهم ويسلم بهم كما صلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بذات الرقاع وقال ابو حنيفة يصلى بالاولى ركعة ثم تذهب هذه وتقف
بازاء العدو وتاتى الاخرى فتصلى معه ركعة ويتم صلاته ثم يعود الى وجه العدو
وتاتى الاولى فتودى الركعة الثانية بغير قراءة وتتم صلاتها وليأخذوا حذرهم
واسلحتهم جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازى فجمع بينه وبين الاسلحة فى وجوب الاخذ
ونظيره قوله والذين تبوؤ الدار والايمان ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم
فيميلون عليكم ميلة واحدة تمنوا ان ينالوا منكم غرة فى صلاتكم فيشدون عليكم شدة
واحدة وهو بيان لما لاجله امروا باخذ السلاح ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر
او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم رخصة لهم فى وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب
مطر او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب لا للاستحباب وخذوا حذركم
امرهم بذلك باخذ الحذر كيلا يهجم عليهم العدو ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا
وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر بالحزم لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر
بالحزم لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا فى الامور على مراسم التيقظ
والتدبر فيتوكلوا على الله فاذا قضيتم الصلاة اديتم وفرغتم عنها فاذكروا الله قياما
وقعودا وعلى جنوبكم فدوموا على الذكر فى جميع الاحوال واذا اردتم اداء الصلاة واشتد
الخوف فصلوها كيف ما امكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين وعلى جنوبكم
منحنين فاذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من الخوف فاقيموا الصلاة فعدلوا وحفظوا
اركانها وشرايطها واتيانها تامة ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا فرضا
محددا الاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها فى شىء من الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر
الصلاة وانها واجبة الاداء حالة المسايفة والاضطراب فى المعركة وتعليل الامر
بالاتيان بها كيف امكن وقال ابو حنيفة رحمه الله لا يصلى المحارب حتى يطمئن ولا تهنوا
ولا تضعفوا فى ابتغاء القوم فى طلب الكفار للقتال ان تكونوا تالمون فانهم يالمون
كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون الزام لهم وتقريع على التوانى فيه بان ضرر
القتال دايرين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله بسببه من اظهار الدين
واستحقاق الثواب ما لا يرجون عدوهم فينبغى ان تكونوا ابلغ منهم فى الحزم واصبر عليها
وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تالمون ويكون قوله فانهم يالمون
علة للنهى من الوهن لاجله والاية نزلت فى بدر الصغرى وكان الله عليما باعمالكم
وضمايركم حكيما فيما يامر وينهى انا انزلنا اليك الكتاب لتحكم بين الناس نزلت
فى طعمة بن ابيرق من بنى ظفر سرق ذرعا من جاره قتاد بن النعمان فى جراب دقيق

فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخباءها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست
الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق
حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الى طعمة وشهد له ناس من اليهود
فقالت بنو ظفر انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله ان يجادل عن صاحبهم
وقال ان لم تفعل هلك وافتضح ويرى اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل
بما اراك الله مما عرفك وادحى اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلاثة
مفاعيل ولا تكن للخائنين اى لاجلهم والذب عنهم خصيما للبراء واستغفر الله
مما هممت به ان الله كان غفورا رحيما لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون
انفسهم يخونونها فان وبال خيانتهم يعود عليها او جعل المعصية خيانة لها كما جعلت
ظلما عليها والضمير لطعمة وامثاله اوله ولقومه فانهم شاركوه في الاثم حين شهدوا
على براءته وخاصموا عنه ان الله لا يحب من كان خوانا مبالغا في الخيانة مصرا عليها
انما منعهم كافيه كما روي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائط ليسرق اهل فسقط
الحائط عليه فقتله يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفا ولا يستخفون
من الله وهو حاق بان يستحى ويخاف منه وهو معهم لا يخفى عليه سرهم فلا طريق
معه الا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يريدون ويزورون ما لا
يرضى من القول من رمي البرئ والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله بما يعملون
محيطا لا يفوت عنه شيء ها انتم هؤلاء مبتدا وخبر جادلتم عنهم في الحياة الدنيا
جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا وصلته عند من يجعله موصولا فمن يجادل الله عنهم يوم
القيمة ام من يكون عليهم وكيلا محاميا يحميهم من عذاب الله ومن يعمل سوءا قبيحا
يسوء به غيره او يظلم نفسه بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد ما دون الشرك وبالظلم
الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة يجد الله غفورا للذنوب
رحيما متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار ومن يكسب
اثما فانما يكسبه على نفسه فلا يتعداه وبال ذلك لقوله وان اساتم فلها وكان الله عليما
حكيما فهو عالم بفعله حكيم في مجازاته ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه او اثما
كبيرة او ما كان من عمل ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا وحد الضمير لكان او فقد
احتمل بهتانا واثما مبينا بسبب رمي البرئ وتنزيه النفس الخاطئة ولذلك سوى بينهما
وان كان مقترف احدهما دون مقترف الاخر ولولا فضل الله عليك ورحمته بالاعلام
ما هم عليه بالوحي والضمير للرسول وجمعه للتعظيم او له ولامته فان عصمة الرسول
واطلاعه على الاحوال لطف في حقهم لهمت طائفة منهم اى من بني ظفر ان يضلوك عن
القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفي همهم بل الى
نفي تاثيره فيه وما يضلون الا انفسهم لانه ما ازلك عن الحق وعاد وباله عليهم وما
يضرونك من شيء فان الله عصمك وما خطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الامر
لا ميلا في الحكم ومن شيء في موضع النصب على المصدر اى شيئا من الضر وانزل الله
عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور ومن امور الدين
والاحكام وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة لا خير في كثير
من نجواهم من متناجيهم لقوله تعالى واذ هم نجوى او من تناجيهم لقوله الا من
امر بصدقة او معروف على حذف مضاف اى الا نجوى من امر او على الانقطاع بمعنى

ولكن من امر بصدقة فنى بجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره
العقل وفسر ههنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع وساير ما قرب به
او اصلاح بين الناس واصلاح ذات بين ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله
فسوف نؤتيه اجرا عظيما بنى الكلام على الامر ورتب الجزاء على الفعل ليدل على انه لما ادخل
الامر فيما من الخيرين كان الفاعل داخل فيهم وان العمدة والغرض هو الفعل واعتبار
الامرين من حيث انهما وصلة اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضاة الله لان
الاعمال بالنيات وان من يفعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق بها من الله اجرا ووصف الاجر
بالعظيم تنبيها على حقارة ما فات في جنبه من اغراض الدنيا وقرا حمزة وابو عمرو يؤتيه
بالياء ومن يشاقق الرسول يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين في شق غير شق الاخر
من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات ويتبع غير سبيل المؤمنين
غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخلي بينه
وبين ما اختاره ونصله جهنم وندخله فيها وقرئ بفتح النون من صلى وساءت
مصيرا جهنم والاية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد الشديد
على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحدة منهما او احدهما
او الجمع بينهما والثاني باطل اذ ويقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخنزير استوجب الحد
وكذلك الثالث لان المشاقة محرمة تضم اليها غيرها او لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم
واجبا لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت الكلام
فيه في مرصاد الافهام الى مبادي الاحكام ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء كرره للتاكيد ولقصة طعمة وقيل جاء شيخ الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا مذ عرفته وامنت
به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جرءة وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله
هربا واني لنادم تائب فما ترى حالي عند الله فنزلت ومن يشرك بالله فقد ضل
ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلال وابعدها عن الصواب وانما
ذكر في الاية الاولى فقد افترى لانها متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشأ شركهم
نوع افتراء وهو دعوى التبني على الله ان يدعون من دونه الا اناثا يعني اللات
والعزى ومناة ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني فلان وذلك
امالتانيث اسمائها كما قال وما ذكر فان تسمى. فانثى شديد اللزوم له كضروس فانه عنى
القراد وهو اذا كان صغيرا سمي قرد افاذا كبر سمي حلمة او لانها كانت جمادات والجماد
تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعله تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيها على انهم
يعبدون ما يسمونه اناثا لانه لا يفعل ولا ينفعل ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير
منفعل ليكون دليلا على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة
بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربي وقرئ اثنى على التوحيد واثنى على ان جمع انيث
كخبث وخبيث ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن كاسد واسد واثنانها على
قلب الواو لضمها همزة وان يدعون وان يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا لانه
الذي امرهم بعبادتها واغواهم عليها وكانت طاعته في ذلك عبادة له والمارد والمريد
الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام امرد وشجرة مرداء
للتي تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية للشيطان وقال لاتخذن من عبادك نصيبا

محرما كان اتباع سبيلهم صح

مفروضا

مفروضا عطف عليه اى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الدال على فرط
عداوته للناس وقد برهن سبحانه اولا على ان الشرك ضلال في الغاية على سبيل التعليل
بان ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة
فان الاله تعالى ينبغي ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بان عبادة الشيطان
وهي اقبح الضلال لثلاثة اوجه الاول انه مريد منهمك في الضلال لا يعلق بشيء من
الخير والهدى فيكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثاني انه ملعون لضلاله ولا
يستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث انه في غاية العداوة والسعي في اهلاكهم
وموالاته من هذا شانه غاية الضلالة فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبا
قدر لي وفرض من قولهم فرضت له في العطاء ولاضلنهم عن الحق ولامنينهم الاماني
الباطلة كطول الحيوة وان لا بعث ولا عقاب ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام يشقونها
لتحريم ما احلها الله وهي عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحاير والسوائب واشارة
الى تحريم كل ما احل وتنقيص كل ما خلق كاملا بالفعل او القوة ولامرنهم فليغيرن
خلق الله عن وجه صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقاء عين الحامي وخصاء
العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير
فطرة الله التي هي الاسلام واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا
ولا يوجب لها من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في
خصاء البهائم للحاجة والجمل الاربع حكاية عما ذكر الشيطان نطقا او اتاه فعلا ومن يتخذ
الشيطان وليا من دون الله بان يطيعه ويدعوه اليه على ما امر الله به ومجاوزة عن
طاعة الله الى طاعته فقد خسر خسرانا مبينا اذ ضيع راس ماله وبدل مكانه من
من الجنة بمكان من النار يعدهم ما لا ينجز ويمنيهم ما لا ينالون وما يعدهم الشيطان
الا غرورا وهو اظهار النفع فيما فيه الضر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بلسان
اوليائه اولئك ماواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا معدلا ومهربا من حاص عن كذا
اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل ايضا
فيما قبله والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا اي وعدهم وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد
لنفسه فان مضمون الجملة الاسمية التي قبله وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز ان
ينتصب المفعول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم لانه بمعنى نعدهم
ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة
والمقصود من الاية معارضة المواعيد الشيطان نية الكاذبة لقرنائه بوعد الله
الصادق الاولياءه والمبالغة في تاكيده ترغيبا للعباد في تحصيله ليس بامانيكم
ولا اماني اهل الكتاب ليس ما وعد الله من الثواب نيالة بامانيكم ايها المسلمون ولا
باماني اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر
في القلب وصدقه العمل روي ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب
نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم
نبينا خاتم الانبياء وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين
ويدل عليه تقدم ذكرهم اي ليس الامر بامانيكم ايها المشركين وهو قولهم لاجنة ولا نار او قولهم
ان كان الامر كما تزعم لنكونن خيرا منهم واحسن حالا ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن

يدخل الجنة الا من كان يهودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك وقال **من يعمل سوءا يجز به** عاجلا واجلا لما روى انه لما نزلت قال ابو بكر رضى الله عنه فمن يخوامع هذا يا رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام اما تحزن اما تمرض اما تمرض اما يصيبك اللاواء قال بلى قال بهو ذلك **ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا** ولا يجد لنفسه اذا جاوز مولاه الله ونصرته من يواليه وينصره فى دفع البلاء عنه **ومن يعمل من الصالحات** بعضها وشيئا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها **من ذكر او انثى** فى موضع الحال من المستكن فى يعمل ومن للبيان او من الصالحات اى كائنة من ذكر او انثى ومن للابتداء **وهو مومن** حال شرط اقتران العمل بها فى استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به دونه **فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا** ينقص شيء من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحرى ان لا يزاد لوفور عقاب العاصى لان المجازى ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكر عقيب الثواب وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر يدخلون الجنة هنا وفى مريم وغافر بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء **ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله** اخلص نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له فى السجود وفى هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية **وهو محسن** اتى بالحسنات تارك للسيئات **واتبع ملة ابراهيم** الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها **حنيفا** مائلا عن سائر الاديان الى دين الاسلام وهو حال من المتبع او الملة او ابراهيم **واتخذ الله ابراهيم خليلا** اصطفاه وخصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما اعاد ذكره ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ودّ يخالّ النفس ويخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر او من الخل وهو الطريق فى الرمل فانهما يتوافقان فى الطريقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان فى الخصال والجملة استيناف جيء بها للترغيب فى اتباع ملته والايذان بانه نهاية فى الحسن وغاية كمال البشر روى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام بعث الى خليل له بمصر فى ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريد للاضياف وقد اصبنا بما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملوا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابراهيم اساءه الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت سارة الى غرائره منها فاخرجت جواري واختبزت فاستيقظ ابراهيم عليه الصلاة والسلام فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم هذا فقالت من عند خليلك المصري فقال بل من عند خليلي لله عز وجل فسماه الله خليلا **ولله ما فى السموات وما فى الارض** خلقا وملكا يختار منها من يشاء وما يشاء وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال **وكان الله بكل شيء محيطا** احاطة علم وقدرة فكان عالما بجميع اعمالهم قادرا على مجازاتهم على خيرها وشرها **ويستفتونك فى النساء** فى ميراثهن اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصين اتى النبى عليه الصلاة والسلام فقال اخبرنا انك تعطى الابنة النصف والاخت النصف وقد كنا نورث من كان يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عليه الصلاة كذلك امرت **قل الله يفتيكم فيهن** يبين لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم **وما يتلى عليكم فى الكتاب** عطف على اسم الله او ضمير المستكن فى يفتيكم وساغ الفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله عز وجل والى ما فى القرآن من قوله يوصيكم الله ونحوه والفعل

الواحد ينسب الى فاعلين باعتبارين مختلفين ونظيره اغناني زيد وعطاؤه اواستيناف
معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره والمراد به اللوح
المحفوظ ويجوز ان ينصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم او يخفض على القسم كانه قيل
واقسم بما يتلى عليكم ولا يجوز عطفه في على المجرور في فيهن لاختلال لفظا ومعنى في يتامى
النساء صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله اى يتلى عليكم في شانهن والا فبدل من فيهن
او صلة اخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول كلمتك اليوم في زيد
وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ بيامى على انها ايامى فقلبت
همزته ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اى فرض لهن من الميراث وترغبون ان تنكحوهن
اى عن ان تنكحوهن فان اولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات ويأكلون اموالهن
والا كانوا يعضلونهن طمعا في ميراثهن والواو تحتمل العطف ويليس فيه دليل على جواز
تزويج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها جواز العقد في صغرها والمستضعفين
من الولدان عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون النساء
وان تقوموا لليتامى بالقسط ايضا عطف عليه اى ويفتيكم او ما يتلى في ان تقوموا
هذا اذا جعلت في يتامى صلة لاحدهما فان جعلته بدلا فالوجه نصبهما عطفا على موضع
فيهن ويجوز ان ينصب وان تقوموا باضمار فعل اى ويامركم ان تقوموا وهو خطاب
للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم والقوام بالقسط في شانهم وما
تفعلوا من خير فان الله كان به عليما وعد لمن اثر الخير في ذلك وان امراة خافت من
بعلها توقعت منه لما ظهر لها من المخايل وامراة فاعل فعل يفسره الظاهر نشوزا
تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهية لها ومتعالحقوقها او اعراضا بان يقل مجالستها
ومحادثتها فلا جناح ان يصلحا بينهما صلحا يتصالحا بان تحط له بعض المهر او القسم
او تهب له شيئا تستميله به وقرأ الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين وعلى
هذا جاز ان ينصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرفا وحالا منه او على المصدر كما في القراءة
الاولى والمفعول بينهما محذوف او هو محذوف وقرئ يصلحا من اصلح بمعنى اصطلح
والصلح خير من الفرقة وسوء العشرة او من الخصومة ويجوز ان لا يراد به التفضيل
بل بيان انه من الخير كما ان الخصومة من الشر وهو اعتراض وكذا قوله واحضرت
الانفس الشح ولذلك اغتفر عدم تجانسهما والاول للترغيب في المصالحة والثاني لتمهيد
العذر في المماسكة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه ولا تكاد
المراة تسمح بالاعراض عنها والتقصير في حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها
على ما ينبغي او كرهها او احب غيرها وان تحسنوا في العشرة وتتقوا النشوز والاعراض
ونقص الحق فان الله كان بما تعملون من الاحسان والعقوبة والخصومة خبيرا عليما
به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه اقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذي
هو في الحقيقة جواب الشرط اقامة السبب مقام المسبب ولن تستطيعوا ان تعدلوا
بين النساء لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني
فيما تملك ولا املك ولو حرصتم على تحري ذلك وبالغتم فيه فلا تميلوا كل الميل يترك
المستطاع والجور على المرغوب عنها فان الايدرك لا يترك كله فتذروها كالمعلقة
التي ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن النبي عليه الصلاة والسلام من كانت له امراتان

يميل مع احدهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مايل ﴿وان تصلحوا﴾ ما كنتم تفسدون من امرهن
﴿وتتقوا﴾ فيما يستقبل ﴿فان الله كان غفورا رحيما﴾ يغفر لكم ما مضى من ميلكم ﴿وان يتفرقا﴾
وقرئ وان يتفارقا اى وان يفارق كل منهما صاحبه ﴿يغن الله كلا﴾ منهما عن الاخر ببدل
اوسلو ﴿من سعته﴾ غناه وقدرته ﴿وكان الله واسعا حكيما﴾ متقدرا متقنا فى افعاله
واحكامه ﴿ولله ما فى السموات وما فى الارض﴾ تنبيه على كمال سعته وقدرته ﴿ولقد
وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم﴾ يعنى اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس
ومن متعلقة بوصينا او باوتوا ومساق الاية لتاكيد الامر بالاخلاص ﴿واياكم﴾ عطف
على الذين ان اتقوا الله بان تقوا الله ويجوز ان يكون ان مفسرة لان التوصية فى معنى
القول ﴿وان تكفروا فان لله ما فى السموات وما فى الارض﴾ على ارادة القول فقلنا لهم
ولكم ان تكفروا فان لله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم
وتقويكم وانما وصيكم لرحمته لا لحاجة ثم قرر ذلك بقوله ﴿وكان الله غنيا﴾ عن الخلق
وعبادتهم ﴿حميدا﴾ فى ذاته حمد او لم يحمد ﴿ولله ما فى السموات وما فى الارض﴾ ذكر ثانيا
للدلالة على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما فاض عليها
من الجود وانواع الخصايص والكمالات على كونه حميدا ﴿وكفى بالله وكيلا﴾ راجع الى قوله
يغن الله كلا من سعته فانه توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك ﴿ان يشا يذهبكم
ايها الناس﴾ يفنيكم ﴿ومفعول يشا﴾ محذوف دل عليه الجواب ﴿ويات باخرين﴾ ويوجد
قوما اخرين مكانكم او خلقا اخر مكان الانس ﴿وكان الله على ذلك﴾ من الاعدام والايجاد
﴿قديرا﴾ بليغ القدرة لا يعجز مراده وهذا ايضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفر
وخالف امره وقيل موخطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب ومعناه
معنى قوله ﴿وان تتولوا يستبدل قوما غيركم﴾ لما روى انه لما نزل ضرب رسول الله صلى الله عليه
وسلم يده على ظهر سلمان وقال لهم قوم هذا ﴿من كان يريد ثواب الدنيا﴾ كالمجاهد يجاهد
للغنيمة ﴿فعند الله ثواب الدنيا والاخرة﴾ فماله يطلب احسنهما فليطلبهما كمن يقول ربنا
اتنا فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة وليطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصا لله
لم تخطئه الغنيمة وله فى الاخرة ما هى فى جنبه كلا شئ او فعند الله ثواب الدارين فيعطى
كلا هما يريد كقول من كان يريد حرث الاخرة نزد له الاية ﴿وكان الله سميعا بصيرا﴾ عارفا
بالاغراض فيجازى كلا بحسب قصده ﴿يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط﴾ مواظبين
على العدل مجتهدين فيه فى اقامته ﴿شهداء لله﴾ بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله وهو خير
شاهد واحال ﴿ولو على انفسكم﴾ ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها لان الشهادة بيان
الحق سواء كان عليه او على غيره ﴿او الوالدين والاقربين﴾ ولو على والديكم واقاربكم ﴿ان يكن﴾
اى المشهود عليه ﴿كل واحد منه ومن المشهود له ﴿غنيا او فقيرا فلا تمتنعوا من اقامة الشهادة
ولا تميلوا فيها ميلا وترحما فالله اولى بهما بالغنى والفقير وبالنظر اليهما فلو لم تكن الشهادة عليهما
اولهما صلاحا لما شرعها وهو علة الجواب اقيمت مقامه والضمير فى بهما راجع الى ما دل عليه
المذكور وهو جنسا الغنى والفقير لا اليه والا لوحد ويشهد له انه قرئ فالله اولى بهم
﴿فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا﴾ لان تعدلوا عن الحق وكراهة ان تعدلوا من العدل ﴿وان تلووا
السنتكم عن الشهادة﴾ الحق او حكومة العدل قراء نافع وابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائى
باسكان اللام وبعدها واو ان الاولى المضمومة والثانية ساكنة وقرا حمزة وابن عامر
وان تلوا بمعنى وليتم اقامة الشهادة ﴿او تعرضوا﴾ عن ادائها ﴿فان الله كان بما تعملون خبيرا﴾ فيجازيكم

عليه

عليه يا ايها الذين امنوا خطاب للمسلمين او للمنافقين او لمومنى اهل الكتاب اذ روى ان ابن
سلام واصحابه قالوا يا رسول الله انا نومن بك وبكتابك وبموسى والتورية وعزير
ونكفر بما سواه فنزلت امنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب
الذى انزل من قبل اثبتوا على الايمان بذلك ودوموا او امنوا به بقلوبكم كما امنتم بلسا
او امنوا ايمانا تاما يعم الكتب والرسل فان الايمان ببعض كلا ايمان والكتاب الاول
القرآن والثانى الجنس وقرأ نافع والكوفيون الذى نزل والذى انزل بفتح النون والهمزة
والزاى والباقون بضم النون والهمزة وكسر الزاى ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله
واليوم الاخر اى ومن يكفر بشئ من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن القصد بحيث لا يكاد
يعود الى طريقه ان الذين امنوا يعنى اليهود امنوا بموسى ثم كفروا حين عبدوا العجل ثم
امنوا بعد عوده اليهم ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد عليه الصلاة والسلام او تو
تكرر منهم الارتداد ثم اصروا على الكفر وازدادوا تماديا فى الغى لم يكن الله ليغفر لهم ولا
ليهديهم سبيلا اذ يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم
ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لانهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر
لهم وخبر كان فى امثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل ولم يكن الله مريدا ليغفر لهم بشر
المنافقين بان لهم عذابا اليما يدل على ان الاية فى المنافقين وهم قد امنوا فى الظاهر وكفروا
فى السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافساد الامر على المسلمين ووضع
بشر مكان انذر تهكم بهم الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المومنين فى محل
النصب والرفع على الذم بمعنى اريد الذين او هم الذين ايبتغون عندهم العزة اى يتعززون
بموالاتهم فان العزة لله جميعا لا يتعزز الا من اعزه وقد كتب العزة لاوليائه فقال
ولله العزة ولرسوله وللمومنين لا يقى به بعزة غيرهم بالاضافة اليهم وقد نزل عليكم
فى الكتاب يعنى القرآن وقرأ عاصم نزل والقايم مقام فاعله ان اذا سمعتم ايات الله وهى
المخففة والمعنى انه اذا سمعتم يكفر بها ويستهزء بها حالان من الايات مجى بهما للتقييد
النهى عن المجالسة فى قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره الذى جزاء الشرط
بما اذا كان من يجالسه هازيا معاندا غير موجود يويده الغاية وهذا انكار ما نزل
عليهم بمكة من قوله واذا رايت الذين يخوضون فى اياتنا الاية والضمير فى معهم
للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزء بها انكم اذا مثلهم فى الاثم لانكم قادرون
على الاعراض عنهم والانكار عليهم والكفران رضيتم بذلك ولان الذين يقاعدون
الخايضين فى القرآن من الاحبار كانوا منافقين ويدل عليه ان الله جامع المنافقين
والكافرين فى جهنم جميعا يعنى القاعدين والمقعود معهم واذا ملغاة لوقوعها بين
الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافرد مثلهم لانه كالمصدر او للاستغناء
بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى المبنى كقوله تعالى مثل ما انكم تنطقون
الذين يتربصون بكم ينتظرون وقوع امركم وهو بدل من الذين يتخذون او صفة
للمنافقين او ذم مرفوع او منصوب او مبتدا خبره فان كان لكم فتح من الله قالوا الم
نكن معكم مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم وان كان للكافرين نصيب من الحرب فانهم
سجال قالوا الم نستحوذ عليكم قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم
والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس ان يقال استحاذ كيستحيذ استحاذة فجاء على الاصل
ونمنعكم من المومنين باخذ لنا هم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا فى مظاهرتهم

فاشركونا فيما اصبتم وانما سمي ظفر المؤمنين المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم
فانه مقصور على امر دنيوي سريع الزوال فالله يحكم بينهم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين
على المؤمنين سبيلا حينئذ وفي الدنيا والمراد بالسبيل الحجة واحتج به اصحابنا على فساد
شرى الكافر المسلم والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه
لا ينفي اذا عاد الى الايمان قبل مضي العدة ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم
سبق الكلام فيه اول البقرة واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على
الفعل وقرئ كسالى بالفتح وبما جعا كسلان يراؤن الناس ليخالوهم مؤمنين والمراءاة
المفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يرى من يراءيه عمله وهو يريد
استحسانه ولا يذكرون الله الا قليلا اذ المرائي لا يفعل الا بحضرة من يراءيه وهو اقل
احواله ولان ذكرهم باللسان قليل بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر
الصلاة وقيل الذكر فيها فانهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم مذبذبين بين
ذلك حال من واو يراؤن كقوله ولا يذكرون اي يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين بين
او واو يذكرون او منصوب على الذم والمعنى مرددين بين الايمان والكفر من الذبذبة
وهو جعل الشيء مضطربا واصله الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون
قلوبهم او دينهم او يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالذال المعجمة
بمعنى اخذوا تارة في ذبة وهي الطريقة لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء لا منسوبين الى هؤلاء
المؤمنين ولا الى الكافرين او لا صائرين الى احد الفريقين بالكلية ومن يضلل الله فلن
تجد له سبيلا الى الحق والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من
نور يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين فانه صنيع
المنافقين ودينهم ولا تتشبهوا بهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة
بينة فان موالاتهم دليل على النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه ان المنافقين في الدرك
الاسفل من النار هي الطبقة التي في قعر جهنم لانهم لخثت الكفرة اذ ضموا الى الكفر استهزاء
بالاسلام وخداعا للمسلمين واما قوله عليه الصلاة والسلام ثلث من كن فيه فهو منافق
وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد خلف واذا ائتمن خان ونحوه
فمن باب التشبيه والتغليظ وانما سميت طبقاتها السبع دركات لانها متداركة
متتابعة بعضها فوق بعض وقراء الكوفيون بسكون الراء وهو لغة كالشطر والشطر والتحريك
اوجه لانه يجمع على ادراك ولن تجد لهم نصيرا يخرجهم منه الا الذين تابوا عن النفاق
واصلحوا ما افسدوا من سرهم واحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله وتقووا به
وتمسكوا بدينه واخلصوا دينهم لله لا يريدون بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع المؤمنين
ومن عداده هم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما فيسامحهم فيه ما يفعل
الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم ايتشفى به غيظا او يدفع ضرا او يستجلب نفعا وهو الغني
المتعالي عن الضر والنفع وانما يعاقب المصر بكفره لان اصراره عليه يكون كمزاج يؤدي
الى المرض فاذا زال بالايمان والشكر ونفى عنه نفسه تخلص من تبعته وانما قدم الشكر
لان الناظر يدرك النعمة اولا فيشكرها شكر امهما ثم بمعون النظر حتى يعرف المنعم
فيؤمن به وكان الله شاكرا مثيبا يقبل اليسير ويعطي الجزيل عليما بحق شكركم
وايمانكم لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم الا لمجهور من ظلم بالدعاء على الظالم
والتظلم منه روي ان رجلا ضاف قوما فلم يطعموه شيئا فشكاهم فعوتب عليه فنزلت

وقرئ

وقرئ من ظلم على البناء للفاعل فيكون الاستثناء منقطعا اى ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه
الله وكان الله سميعا لكلام المظلوم عليما بالظالم ان تبدوا خيرا طاعة وبرا او تخفوه
او تفعلوه سرا او تعفوا عن سوء لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود ابداء الخير واخفائه
تثبيت عن المعصية مع كمال القدرة على الانتقام فانهم اولى وهو حث المظلوم على العفو
بعد ما رخص له في الانتصار حملا على مكارم الاخلاق ان الذين يكفرون بالله ورسله
ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله بان يؤمنوا بالله ويكفروا برسله ويقولون
نؤمن ببعض ونكفر ببعض نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا
بين ذلك سبيلا طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة اذ الحق لا يختلف فاذا
الايمان بالله انما يتم بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا او اجمالا فالكافر
ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال كما قال تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال اولئك
هم الكافرون هم الكاملون في الكفر لا عبرة في ايمانهم بهذا حقا مصدر مؤكد لغيره او صفة
لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا اى يقينا محققا واعتدنا للكافرين
عذابا مهينا والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اضدادهم ومقابلوهم
وانما دخل بين على احد وهو يقتضي متعددا لعمومه من حيث انه وقع في سياق النفي اولئك
سوف نؤتيهم اجورهم الموعودة لهم وتصدير بسوف لتاكيد الوعد والدلالة على
انه كائن لا محالة وان تاخر وقرئ يحفص عن عاصم ويعقوب بالياء على تلوين الخطاب
وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما عليهم بتضعيف حسناتهم يسالك اهل الكتاب ان
تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت في احبار اليهود قالوا ان كنت صادقا فاتنا بكتاب
من السماء جملة كما اتى به موسى وقيل كتابا محررا بخط سماوي على الواح كما كانت التوراة
او كتابا بمعاينته حين ينزل او كتابا الينا باعياننا بانك رسول فقد سالوا موسى اكبر من
ذلك وهذا السؤال وان كان من ابائهم اسند اليهم لانهم كانوا اخذين بمذاهبهم تابعين
لمذاهبهم والمعنى ان عرقهم راسخ في ذلك وان ما اقترحوه عليك ليس بادخالهم فقالوا ارنا الله جهرة عيانا اى ارنا نره جهرة او مجاهرين معاينين له فاخذتهم الصاعقة
نار جاءت من السماء فاهلكتهم بظلمهم بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم ما يستحيل
في تلك الحال الحكم بكونهم عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل
من بعد ما جاءتهم البينات هذه الجناية الثانية التي اقترفوها اوايلهم والبينات
المعجزات ولا يجوز حملها على التوراة اذ لم تاتهم بعد فعفونا عن ذلك واتينا موسى
سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم ان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم العجل
ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليقبلوه وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا
على لسان موسى والطور مطل عليهم وقلنا لهم لا تعدوا في السبت على لسان داود ويحتمل
ان يراد على لسان موسى حين ظلل الجبل عليهم فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه
والمسخ به في زمن داود وقرئ ورش عن نافع لا تعدوا على ان اصله لا تعتدوا فادغمت
التاء الدال وقراء قالون باخفاء حركة العين وتشديد الدال والنص عنه بالاسكان
واخذنا منهم ميثاقا غليظا على ذلك وهو قولهم سمعنا واطعنا فبما نقضهم ميثاقهم
اى ونقضوا فعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة للتاكيد والباء متعلقة بالفعل
المحذوف ويجوز ان يتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض
وما عطف الى قوله فبظلم لا يدل عليه قوله بل طبع الله عليها بكفرهم مثل لا يؤمنون

لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جار
وكفرهم بايات الله بالقران وبما في كتابهم وقتلهم الانبيا بغير حق وقولهم قلوبنا غلف
اوعية للعلوم اوفي اكنة مما تدعونا اليه بل طبع الله عليها بكفرهم فخلقها مجبولة
عن العلم وخذلها ومنعها التوفيق للتدبر في الايات والتذكر في المواعظ فلا يؤمنون
الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام او ايمانا قليلا لاعبرة به لنقصانه وبكفرهم بعيسى
وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب الطبع او على قوله فبما نقضهم ويجوز ان يعطف
مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون تكريرذكر الكفر ايذانا لتكرر كفرهم
فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم الصلاة والسلام وقولهم على مريم بهتانا عظيما
يعني نسبتها الى الزنا وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله اي بزعمه
ويحتمل انهم قالوه استهزاء ونظيره ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وان يكون استيناقا
من الله بمدحه ووضعا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح وما قتلوه وما صلبوه ولكن
شبه لهم روي ان رهطا من اليهود سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير
فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بان يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى
ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب فيدخل الجنة فقام رجل منهم فالقى الله عليه شبهه فقتل
وصلب وكان رجلا ينافقه فخرج ليدل عليه فالقى الله عليه شبهه فاخذ وصلب
وقيل دخل طيطابوس اليهودي بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله عليه شبهه فلما
خرج ظن انه عيسى فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التي لا تستبعد في زمان
النبوة وانما ذمهم الله بما دل عليه الكلام من جراءتهم على الله وقصدهم قتل نبيهم
المؤيد بالمعجزات القاهرة وبجهلهم به لا لقولهم هذا على حسب حسبانهم وشبه مسند
الى الجار والمجرور وكانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول او في الامر على
قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة
انا قتلنا على انهم قتلوا مقتولا وان الذين اختلفوا فيه في شان عيسى فانه لما وقعت تلك
الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون
فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى
السماء رفع الى السماء وقال قوم صلب لناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه لفي
تردد والشك كما يطلق على ما يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل
العلم ولذلك اكد بقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اي ولكنهم
يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه
النفس جزما كان او غيره فيتصل الاستثناء وما قتلوه يقينا قتلا يقينيا كما زعموا بقولهم
قتلنا المسيح او متيقنين وقيل معناه ما علموه يقينا كقوله

كذاك نخبر عنها العالمات بها ... وقد قتلت بعلمي ذاك يقينا

من قولهم قتلت الشيء علما وخبرته علما اذا بالغ علمك فيه بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله
واثبات لرفعه وكان الله عزيزا لا يغلب على ما يريد حكيما فيما دبر لعيسى وان من اهل
الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اي وان من اهل الكتاب احد الا اليؤمنن به جملة قسمية
وقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثاني والاول لعيسى والمعنى ما من اليهود والنصارى
احد الا اليؤمنن بان عيسى عبد الله ورسوله قبل ان يموت وحين يزهق ولا ينفعه ايمانه
ويؤيد ذلك ان قرئ ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان احدا في معنى الجمع وهذا

كالوعيد

٢ وقيل ع

٢ به فعوله ليؤمنن صح

كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الايمان به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم وقيل
الضمير لعيسى والمعنى انه اذا نزل من السماء امن به اهل الملل جميعا وروى انه ينزل من
السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى احد من اهل الكتاب الا يومن به حتى تكون
الملة واحدة وهى ملة الاسلام وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر
والذياب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات ويلبث فى الارض اربعين سنة ثم يتوفى
ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا فيشهد على اليهود
بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله فبظلم من الذين هادوا اى فبای ظلم منهم
حرمنا عليهم طيبات احلت لهم يعنى ما ذكره فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا ويصدهم
عن سبيل الله كثيرا وصدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه كان الربوا محرما عليهم كما هو
محرم علينا وفيه دليل على دلالة النهى على التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة
وسائر الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما دون من تاب وامن لكن الراسخون
فى العلم منهم كعبد الله بن سلام واصحابه والمومنون اى منهم ومن المهاجرين والانصار
يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك خبر المبتدا والمقيمين الصلاة نصب على المدح
ان جعل يومنون الخبر لاولئك او عطف على ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء اى يومنون
بالكتب وبالانبياء وقرئ بالرفع عطفا على الراسخون او الضمير فى يومنون او على انه مبتدا
والخبر اولئك سنوتيهم والمؤتون الزكوة رفعه لاحد الاوجه المذكورة والمومنون
بالله واليوم الاخر قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرايع
لانه المقصود بالاية اولئك سنوتيهم اجرا عظيما على جمعهم بين الايمان الصحيح
والعمل الصالح وقراء حمزة سيوتيهم بالياء انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين
من بعده جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان تنزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج
عليهم بان امره فى الوحى كسائر الانبياء واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب
والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان خصهم بالذكر مع اشتمال
النبيين عليهم تعظيما لهم فان ابرهيم اول اولى العزم منهم وعيسى اخرهم والباقين
اشراف الانبياء ومشاهيرهم واتينا داود زبورا وقراء حمزة زبورا بالضم وهو جمع
زبر بمعنى مزبور ورسلا نصب بمضمر دل عليه اوحينا اليك كارسلنا اوفسره قد
قصصناهم عليك من قبل لى من قبل هذه السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك
وكلم الله موسى تكليما وهو منتهى مراتب الوحى خصه به موسى عليه السلام من بينهم
وقد فضل الله محمدا بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم رسلا مبشرين ومنذرين
نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال ويكون رسلا موطيا لما بعده كقولك مررت
بزيد رجلا صالحا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا لولا ارسلت الينا
رسولا فنتبعه ونعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس ضرورة
لقصور العقل عن ادراك جزئيات المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة
او بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس وعلى الله والاخر على حالك
ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها او مصدر صفة وكان الله عزيزا
لا يغلب فيما يريده حكيما فيما دبر من امر النبوة وخص كل نبى بنوع من الوحى والاعجاز
لكن الله يشهد استدراك عن مفهوم ما قبله فكانه لما تعنتوا عليه بسوال الكتاب
ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال انهم لا يشهدون ولكن

... بارسلنا
صح

الله يشهد او انهما انكروه ولكن الله يبينه ويقرره بما انزل اليك من القرآن المعجز الدال
على نبوتك روى انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك فنزلت انزله بعلمه
ملتبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بتاليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ او بحال من يستعد
للنبوة ويتساهل نزول الكتاب عليه او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم
فالجار والمجرور على الاولين حال عن الفاعل وعلى الثالث من المفعول والجملة كالتفسير لما
قبلها والملائكة يشهدون بنبوتك ايضا وفيه تنبيه على انهم يودون ان يعلموا اصحة
دعوى النبوة على وجه يستغنى عن النظر والتامل وهذا النوع من خواص الملك والاسبيل
للانسان الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر والنظر فلو اتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا
نبوتك وشهدوا بها كما عرفت الملائكة وشهدوا عليها وكفى بالله شهيدا تمييز وكفى بما
اقام من الحجج على صحة نبوتك من الاشتهاد بغير ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
قد ضلوا ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اغرق
في الضلال وابعد من الاقلاع عنه ان الذين كفروا وظلموا محمدا عليه الصلاة والسلام
بانكار نبوته او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم او باعم من ذلك والاية
تدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم لم يكن
الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا ليجري حكمه السابق
ووعده المحتوم على من مات على كفر فهو خالد في النار وخالدين حال مقدرة وكان
ذلك على الله يسيرا لا يصعب عليه ولا يستعظمه يا ايها الناس قد جاءكم الرسول
بالحق من ربكم لما قرر امر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم بها وعيد من انكرها
خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد فامنوا
خيرا لكم اي ايمانا خيرا لكم او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل لتقديره يكن الايمان
خيرا لكم ومنعه البصريون لان كان لا يحذف مع اسمه الا فيما لا بد منه ولانه يؤدي
الى حذف الشرط وجوابه وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض يعني وان
تكفروا فهو غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم وبنبه على غناه بقوله لله
ما في السموات والارض وهو يعلم ما اشتملت عليه وما تركبت منه وكان الله عليما
باحوالهم حكيما فيما دبرهم يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الخطاب للفريقين
غلت اليهود في حط عيسى عليه السلام حتى رموه بانه ولد لغير رشدة والنصارى
في رفعه حتى اتخذوه الها وقيل للنصارى خاصة فانه اوفق ولا تقولوا على الله الا الحق
يعني تنزيهه عن المصاحبة والولد انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته
القاها الى مريم اوصلها اليها وجعلها فيها وروح منه وذو روح صدر منه
لا بتوسط ما يجري مجرى الاصل والمادة له وقيل سمي روحا لانه كان يحيي الاموات والقلوب
فامنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة اي الهة ثلاثة الله والمسيح ومريم ويشهد
عليه قوله تعالى اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله او الله ثالث ثلاثة
ان صح انهم يقولون الله ثلاثة اقانيم الاب والابن وروح القدس ويريدون
بالاب الذات والابن العلم وبروح القدس الحيوة انتهوا عن التثليث خيرا لكم
نصبه لما سبق انما الله اله واحد اي واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما سبحانه
ان يكون له ولد سبحه تسبيحا من ان يكون له ولد فانه يكون ممن يكون له مثل
ويتطرق اليه فساد له ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا لا يماثله شيء من

من ذلك فيتخذه مولدا وكفى بالله وكيلا تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة اليه ليكون
وكيلا لابيه والله سبحانه قائم بحفظ الاشياء كافٍ في ذلك مستغنٍ عمن يخلفه او يعينه
لن يستنكف المسيح لن يأنف من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك كيلا يرى اثره عليك
ان يكون عبدا لله من ان يكون عبد الله فان عبودية شرف يتباهى بها وانما المذلة
والاستنكاف في عبودية غيره روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قال تقول انه عبد الله
قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح
اي ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا واحتج به من زعم فضل الملائكة على
الانبياء وقال مساقه لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي
ان المعطوف اعلى درجة منه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه
وجوابه ان الآية للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها
بالنصارى فلعله اراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك اصبح
الامر لا يخالفه رئيس ولا مرؤس وان اراد به التكبير فغاية تكبير المقربين من الملائكة
وهم الكروبيون الذين حول العرش ومن اعلى منهم رتبة للملائكة على المسيح من الانبياء
وذلك لا يستلزم فضل احد الجنسين على الاخر مطلقا والنزاع فيه ومن يستنكف
عن عبادته ويستكبر يترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه
وانما نيط العمل حيث لا استخفاف بخلاف التكبر فانه قد يكون باستخفاف فسيحشرهم
اليه جميعا فيجازيهم فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم
من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم
من دون الله وليا ولا نصيرا تفصيل المجازاة العامة المدلول عليها من فحوى الكلام
وكانه قال فسيحشرهم اليه جميعا ثم يحشر العباد للمجازاة او لمجازاتهم فان اثابة
مقابليهم والاحسان اليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة يا ايها الناس قد جاءكم
برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا عنى بالبرهان المعجزات وبالنور القرآن
اي قد جاءكم دلايل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان
الدين او رسول الله او القرآن فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في
رحمة منه وفضل ثواب قدره بازاء ايمانه وعمله رحمة منه لاقضاء لحق واجب وفضل
احسان زائد عليه ويهديهم اليه الى الله وقيل الى الموعود صراطا مستقيما هو الاسلام
والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة يستفتونك اي في الكلالة حذف لدلالة
الجواب عليه روي ان جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت وهي اخر ما نزل في الاحكام قل الله يفتيكم في الكلا
سبق تفسيرها في اوائل السورة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك
ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد صفة له وحال عن المستكن في هلك والواو
في وله يحتمل الحال والعطف والمراد بالاخت من الابوين او الاب لانه جعل اخوها عصبة
والولد على ظاهره وان الاخت وان ورثت مع البنت عند عامة العلماء عن ابن عباس
لكنها لا ترث النصف بالفريضة وهو يرثها الى والمرء يرث اخته ان كان الامر بالعكس
ان لم يكن لها ولد ذكر كان او انثى ان اريد بيرثها يرث جميع مالها والا فالمراد به
الذكر اذ البنت لا تجب الاخ والاية كما لم تدل على سقوط الاخوة لغير الولد لم تدل على عدم

سقوطهم به وقد دلت السنة على انهم لا يرثون مع الاب وكذا قوله مفهوم قوله الله يفتيكم
في الكلالة ان فسرت بالميت فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث
بالاخوة وتثنيته محمول على المعنى وفائدة الاخبار عنه باثنتين التنبيه على ان الحكم
باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر
مثل حظ الانثيين اصله وان كانوا اخوة واخوات فغلب الذكر يبين الله لكم ان تضلوا
اي يبين لكم ضلالكم الذي من شانكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتحذروا خلافه
او يبين لكم الحق والصواب كراهة ان تضلوا وقيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول
الكوفيين والله بكل شيء عليم فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة النساء فكانما تصدق على كل مومنة ومومنة وورث ميراثا واعطي
من الاجر كمن اشترى محررا له وبرئ من الشرك وكان في مشيئة من الذين يتجاوز عنهم
والله اعلم

سورة المائدة مدنية وهي مائة وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء
والعقد العهد الموثق قال الحطيئة

قوم اذا عقدوا عقد الجار لهم ... شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

واصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود التي
عقدها الله على عباده والزمها من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء
به او يحسن ان حمل الامر على المشترك بين الوجوب والندب احلت لكم بهيمة الانعام
تفصيل للعقود والبهيمة كل حي لا يميز وكل ذات ربع واضافتها الى الانعام للبيان
كقولك ثوب خز ومعناه البهيمة من الانعام تفصيل للعقود وهي الازواج الثمانية
والحق بها الظباء وبقر الوحش وقيل بها المراد بالبهيمة ونحوها مما يماثل الانعام في الاحتراز
وعدم الانياب واضافتها الى الانعام لملابسة الشبه الا ما يتلى عليكم الامحرم ما يتلى
عليكم لقوله حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم اية تحريمه غير محلي الصيد
حال من الضمير في لكم وقيل من واو اوفوا وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل
المصدر والمفعول وانتم حرم حال عما استكن في محلي الصيد والحرم جمع حرام وهو
المحرم ان الله يحكم ما يريد من تحريم وتحليل يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر
الله يعني مناسك الحج جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا اسمي به اعمال الحج
ومواقعه لانها علامات الحاج واعلام نفسك وقيل دين الله لقوله ومن يعظم شعائر
الله اي دينه وقيل فرايضه التي هي العبادة ولا الشهر الحرام بالقتال فيه او بالنسيء
ولا الهدي ما اهدي الى الكعبة جمع هدية كجدي في جمع جدية السرج ولا القلائد
اي ذوات القلائد وعطفها للاختصاص فانها اشرف الهدي والقلايد نفسها والنهي
عن احلالها مبالغة في النهي عن التعرض للهدي ونظير قوله ولا يبدين زينتهن
والقلايد جمع قلادة وهو ما قلد به الهدي من نعل او قشر جاء الشجر وغيرهما ليعلم به
انه هدي فلا يتعرض له ولا آمين البيت الحرام قاصدين لزيارته يبتغون فضلا
من ربهم ورضوانا اي بتجارتهم ورضى عنهم والجملة في موضع الحال من المستكن في آمين
وليست صفة له لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل لا يعمل وفائدته استكثار
المتعرض من هذا شانه والتنبيه على المانع له وقيل يبتغون من الله رزقا بالتجارة

٢ من الهدى
ص

ورضوانا

ورضوانا يبتغون هم اذ روى ان الاية نزلت عام القضية في حجاج اليمامة لما هم المسلمون
ان يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم الحطيم شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح
المدينة وعلى هذا فالاية منسوخة وقرئ تبتغون على خطاب المؤمنين واذا حللتم
فاصطادوا اذن في الاصطياد بعد زوال المحرم ولا يلزم من المشركين ارادة الاباحة
ههنا من الامر دلالة الامر الآتي بعد الحظر على الاباحة مطلقا وقرئ بكسر الفاء على التقاء
حركة الهمزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا واحللتم يقال لحل المحرم واحل ولا يجرمنكم
لا يحملنكم او لا يكسبنكم شنآن قوم شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر اضيف الى
المفعول او الفاعل وقرأ ابن عامر واسمعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون
وهو ايضا مصدر كليان اولغت بمعنى تعيض قوم وفعلان في اللغت اكثر ان صدوكم
عن المسجد الحرام لان صدوكم عام الحديبية وقراء ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة على
انه شرط معترض اغني عن جوابه لا يجرمنكم ان تعتدوا بالانتقام ثاني مفعولي يجرمنكم
فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب ومن قراء يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا
من المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين وتعاونوا على البر والتقوى على العفو
والاغضاء ومتابعة الامر ومخالفة الهوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان للتشفي
والانتقام واتقوا الله ان الله شديد العقاب فانتقامه اشد حرمت عليكم الميتة
بيان ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير تذكية والدم اي الدم المسفوح لقوله
او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونها ولحم الخنزير وما
اهل لغير الله به اي رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه
والمنخنقة التي ماتت بالخنق والموقوذة المضروبة بنحو خشب وحجر حتى تموت من
وقذته اذا ضربته والمتردية التي تردت من علو او في بئر فماتت والنطيحة التي
نطحتها اخرى فماتت والتاء فيها للنقل وما اكل السبع اي وما اكل منه السبع فمات
وهو يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما اصطادته لم يحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم
ذكاته وفيه حينئذ مستثنى مستغرق من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكاة
في الشرع تقطع الحلقوم والمرئ بحدد وما ذبح على النصب لنصب واحد الانصاب
وهي احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام
وعلى بمعنى اللام او على اصلها بتقدير وما ذبح مسمى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد
نصاب وان تستقسموا بالازلام اي وحرم عليكم الاستقسام بالازلام وذلك انهم اذا
قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الثاني نهاني ربي
وعلى الثالث غفل فان خرج الامر مضوا على ذلك وان خرج النهي تجنبوا عنه وان خرج الغفل
اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالازلام وقيل هو
استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعلومة او واحد الازلام زلم الجمل وزلم كصرد
ذلكم فسق اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد
ان ذلك طريق اليه وافتراء على الله ان اريد بربي الله وجهالة وشرك ان اريد به الصنم
او الميسر المحرم او الى تناول ما حرم عليهم اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الحاصل
وما يتصل به من الازمنة الاتية وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم
الجمعة عرفة حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم اي من ابطاله مرجوعكم عنه
بتحليل هذه الخبائث وغيرها او من ان يغلبوكم عليه فلا تخشوهم ان يظهروا عليكم

واخشونى واخلصوا لخشيتى لى اليوم اكملت لكم دينكم بالنصر والاظهار على الاديان
كلها او بالتنصيص على قواعد العقايد والتوقيف على اصول الشرايع وقوانين الاجتهاد
واتممت عليكم نعمتى بالهداية والتوفيق او بكمال الدين او بفتح مكة وهدم منار الجاهلية
ورضيت لكم الاسلام دينا من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير فمن اضطر متصل
بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها
من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضى والمعنى فمن اضطر الى تناول شئ
من هذه المحرمات فى مخمصة مجاعة غير متجانف لاثم غير مايل له ومنحرف اليه بان ياكلها
تلذذا او مجاوزا حد الرخصة كقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه
بأكله يسئلونك ماذا احل لهم لما تضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة وقد سبق
الكلام فى ماذا وانما قالوا لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسئلونك بلفظ الغيبة وكلا
الوجهين سائغ فى امثاله والمسئول ما احل لهم من المطاعم كانهم لما تلى عليهم ما حرم عليهم
سألوا عما احل لهم قل احل لكم الطيبات ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه
ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب وما لم يدل نص ولا قياس على حرمته وما علمتم
من الجوارح عطف على الطيبات ان جعل ما موصولة على تقدير وصيد ما علمتم وجملة
شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على اهلها من سباع ذوات
الاربع والطير مكلبين معلمين اياه الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها
بالصيد مشتق من الكلب لان التاديب يكون اكثر فيه واثر ولان كل سبع يسمى كلبا
لقوله عليه الصلاة والسلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه على الحال
من علمتم وفايدتها المبالغة فى التعليم تعلمونهن حال ثانية او استيناف مما علمكم
الله من الحيل وطرق التاديب فان العلم بها الهام من الله او مكتسب بالعقل الذى هو
منحة الله او مما علمكم الله ان تتعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وينزجر بزجره وينصرف
بدعائه ويمسك الصيد ولا ياكل منه فكلوا مما امسكن عليكم وهو مما لم ياكل منه لقوله
عليه الصلاة والسلام لعدى بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك نفسه عليه
ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ملكه مطلقا واذكروا اسم الله عليه
الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله ولما امسكن بمعنى سموا عليه اذا ادركتم
ذكاته واتقوا الله فى محرماته ان الله سريع الحساب فيؤاخذكم بما جل ودق اليوم
احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم يتناول الذبايح وغيرها
ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى على رضى الله عنه نصارى بنى
تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر ولم يلحق بهم المجوس
فى ذلك وان الحق بهم فى التقرير على الجزية لقوله عليه الصلاة والسلام سنوا بهم سنة
اهل الكتاب غير ناكحى نسائهم ولا اكلى ذبايحهم وطعامكم حل لهم قال عليكم ان تطعموهم
ويبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات من المومنات الحرائر العفايف
وخصصهن بالعفائف على ما هو الاولى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وان كن
حربيات وقال ابن عباس لا تحل الحربيات اذا اتيتموهن اجورهن مهورهن وتقييد
الحل باتيانها لتاكيد وجوبها والحث على الاول وقيل المراد باتيانها التزامها محصنين
اعفاء بالنكاح غير مسافحين مجاهرين بالزنا ولا متخذى اخدان مشترين به والخدن
الصديق يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الاخرة من

الخاسرين

الخاسرين يريد بالايمان شرايع الاسلام وبالكفر به ارتكابه والامتناع عنه يا ايها
الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة اذا اردتم اقامة الصلاة كقوله فاذا قرات القران
فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من اراد العبادة
ينبغي ان يبادر اليها بحيث لا يتفك الفعل عن الارادة او اذا قصدتم الصلوة لان التوجه
الى الشيء والقيام اليه قصد له وظاهر الاية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة وان لم
يكن محدثا والاجماع خالفه لما روى انه عليه الصلاة والسلام صلى خمس صلوات بوضوء
واحد يوم الفتح فقال عمر رضي الله عنه صنعت شيئا لم تصنعه فقال عمدا فعلته فقيل
مطلق اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلوة محدثين وقيل الامر فيه للندب وقيل
كان ذلك اول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله عليه الصلاة والسلام لما يات اخر القران
نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم امروا الماء عليها ولا حاجة
الى الدلالة خلافا لمالك وايديكم الى المرافق الجمهور على دخول المرفقين في المغسول
ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله ويزدكم قوة الى قوتكم او متعلقة بمحذوف تقديره
وايديكم مضافة الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق معنى التحديد ولا الذكر فايدة لان
مطلق اليد تشتمل عليها وقيل الى لتقييد الغاية مطلقا وامتداد خولها في الحكم او خروجها
فلا دلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم تكن في الاية وكان الايدي متناولة لها فحكم
بدخولها احتياطا وقيل الى من حيث انها لتقييد الغاية تقتضي خروجها والام تكن غاية
كقوله فنظرة الى ميسرة وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل لكن لما لم يتميز الغاية ههنا عن
ذي الغاية وجب ادخالها احتياطا وامسحوا برؤسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض
فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل ومسحت بالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على
تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي
الايجاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله تعالى واغسلوا وجوهكم واختلف العلماء
في قدر الواجب فاوجب الشافعي رضي الله عنه اقل ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة
رحمه الله مسح ربع الراس لانه عليه الصلاة والسلام مسح على ناصيته وهو ربع من الرابع
ومالك رحمه الله مسح كله اخذا بالاحتياط وارجلكم الى الكعبين نصبه نافع وابن عامر
والكسائي وحفص ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشايعة وعلى الصحايحة
وقول اكثر الامة والتحديد اذ المسح لا يحد وجرهما الباقون على الجوار ونظيره كثير في القران
والشعر كقوله تعالى عذاب يوم اليم وحور عين في قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب
وللنحاة باب في ذلك وفايدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليهما ويغسلا
غسلا يقرب من المسح وفي الفصل بينه وبين اخويه ايما على وجوب الترتيب وقرئ بالرفع
وارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا فاطهروا فاغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء
احد منكم من الغايط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا
بوجوهكم وايديكم منه سبق تفسيره ولعل تكريره لتفصيل الكلام في بيان انواع الطهارة
ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج اي ما يريد الامر بالطهارة للصلاة او الامر بالتيمم تضييقا
عليكم ولكن يريد ليطهركم لينظفكم او ليطهركم من الذنوب فان الوضوء تكفير للذنوب
او ليطهركم بالتراب اذا عوزكم التطهير بالماء فتفعلوا يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة
وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن
يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لا تقدر بعد المزيد وليتم نعمته عليكم ليتم بشرعه

ما هو مطهر لابدانكم ومكفر لابدانكم نعمة عليكم في الدين اوليتم برخصة اتمامه عليكم بعزائمه
لعلكم تشكرون نعمته والاية مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل
والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار
المحل محدود وغير محدود وان انهما مايع وجامد وموجبها حدث اصغر واكبر وان المبيح
للعدول مرض وسفر وان الموعود عليها تطهير الذنوب وتمام النعمة واذكروا نعمة الله
عليكم بالاسلام ليذكركم المنعم ويرغبكم في شكره وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا
واطعنا يعني الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على
السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره او ميثاق ليلة العقبة او بيعة
الرضوان واتقوا الله في انساء نعمته ونقض ميثاقه ان الله عليم بذات الصدور اي
بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات اعمالكم يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين
لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل
والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب
مثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما في قلوبكم اعدلوا هو اقرب
للتقوى اي العدل اقرب الى التقوى صرح لهم الامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى
بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه يقتضي الهوى واذا كان هذا العدل مع الكفار فاظنك
بالعدل مع المومنين واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم اما
لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه نزلت في اليهود او لمزيد
الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء نايرة الغيظ وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة واجر عظيم انما حذف ثانيا مفعول وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فانه استيناف
يبينه وقيل الجملة في موضع المفعول فان الوعد ضرب من القول فكانه قال وعدهم هذا
القول والذين كفروا وكذبوا بايتنا اولئك اصحاب الجحيم هذا من عادته تعالى ان يتبع
حال احد الفريقين حال الاخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمومنين وتطييب لقلوبهم
يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم روي ان المشركين ارادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه بعسفان فاموا الى الظهر معا فلما صلوا اذ موا ان لو كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا
بهم اذا قاموا الى العصر فوحد الله كيدهم بان انزل صلاة الخوف والاية اشارة الى ذلك وقيل
اشارة الى ما روي انه عليه الصلاة والسلام اتى في قيلولة ومعه الخلفاء الاربعة بيتقوضهم
لديه مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري حسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس
حتى نعطيك ونقرضك فاجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة ليطرحها
عليه فامسك الله يده فنزل جبريل فاخبره فخرج وقيل نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء اعرابي فسل سيفه فقال من يمنعك مني
فقال الله فاسقط جبريل من يده واخذه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال
لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت اذ هم قوم
ان يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش وبسط اليه
لسانه اذا شتمه فكف ايديهم عنكم منعها ان تمد اليكم ورد مضرتها عنكم واتقوا الله
وعلى الله فليتوكل المومنون فانه الكافي لا يصال الخير ودفع الشر ولقد اخذ الله ميثاق
بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش
اوكفيلا تكفل عليهم بالوفاء بما امر وابه روي ان بني اسرائيل لما فرغوا عن فرعون واستقروا

بمصر

بمصر امرهم الله بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال
انى كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فانى ناصركم وامر موسى ان ياخذ
من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا به فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار
بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار وقيل لهم ان يحدثوا قومهم فراوا
اجراما عظيمة وباسا شديدا فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم سوى كالب بن يوفنا من سبط يهوذا
ويوشع بن نون من سبط افرايثم بن يوسف وقال الله انى معكم لين اقمتم الصلوة واتيتم
الزكوة وامنتم برسلى وعزرتموهم اى نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب ومنه التعزير
واقرضتم الله قرضا حسنا بالانفاق فى سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر والمفعول
لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب القسم المدلول عليه باللام فى لين ساد مسد جواب الشرط ولادخلنكم
جنات تجرى من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك بعد ذلك الشرط الموكد المعلق به الوعد
العظيم منكم فقد ضل سواء السبيل ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر معه بخلاف من كفر
قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم
طردناهم من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم الذلة الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية لا تفعل
عن الايات والنذر وقرا حمزة والكسائى قسية قلوبهم وهى اما مبالغة قاسية او بمعنى ردية
من قولهم درهم قسى اذا كان مغشوشا وهو ايضا من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة
وقرئ قسية باتباع القاف للسين يحرفون الكلم عن مواضعه استيناف لبيان قسوة قلوبهم
فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله والافتراء عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول لعناهم
لا من القلوب اذ لا ضمير فيها ونسوا حظا وتركوا نصيبا وافيا مما ذكروا به من التورية او من
متابعة محمد عليه الصلاة والسلام والمعنى انهم حرفوا التورية وتركوا حظا مما انزل عليهم
فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فقلت اشياء منها عن حفظهم لما روى ان ابن مسعود
قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلى هذه الاية ولا تزال تطلع على خائنة منهم
خيانة او فرقة خائنة او خائن والهاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة والغدر من عاداتهم وقلة
اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا منهم لم يخونوا وهم الذين امنوا منهم وقيل الاستثناء
من قوله واجعلنا قلوبهم قاسية فاعف عنهم واصفح ان تابوا وامنوا او عاهدوا والتزموا
الجزية وقيل نسخ باية السيف ان الله يحب المحسنين تعليل للامر بالصفح وحث عليه
وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا عن العفو عن غيره ومن الذين قالوا
انا نصارى اخذنا ميثاقهم اى اخذنا من نصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم وقيل تقدير
ومن الذين قالوا انا نصارى قوما اخذنا وانما قال قالوا انا نصارى ليدل على انهم سموا انفسهم
بذلك ادعاء لنصرة الله فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا فالزمنا من غرى بالشىء اذا
لصق به بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة بين فرق النصارى وهم يعقوبية
ونسطورية وملكائية او بينهم وبين اليهود وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون
بالجزاء والعقاب يا اهل الكتاب يعنى اليهود والنصارى ووحد الكتاب لانه للجنس
قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كنعت محمد صلى الله عليه وسلم
واية الرجم فى التورية وبشارة عيسى باحمد فى الانجيل ويعفوا عن كثير مما تخفون لا يجري به
اذ لم يضطر اليه امر ديني او عن كثير منكم فلا يؤاخذ بحرمه قد جاءكم من الله نور وكتاب
مبين يعنى القران فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الاعجاز
وقيل يريد بالنور محمدا عليه الصلاة والسلام يهدى به الله وحد الضمير لان المراد بهما واحد

اولانهما فى الحكم كواحد من اتبع رضوانه من اتبع رضاه بالايمان منهم سبل السلام طرق
السلامة من العذاب وسبل الله ويخرجهم من الظلمات الى النور من انواع الكفر الى الاسلام
باذنه بارادته اوبتوفيقه ويهديهم الى صراط مستقيم طريق هو اقرب الطرق الى الله ومؤد
اليه لامحالة لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم هم الذين قالوا بالاتحاد
منهم وقيل لم يصرح به احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا الاله الواحد لزمهم
ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل فمن
يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن فى الارض جميعا احتج
بذلك على فساد قولهم وتقريرا بان المسيح مقدور ممقهور قابل للفناء كسائر الممكنات
ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية ولله ملك السموات والارض وما بينهما
يخلق ما يشاء والله على كل شئ قدير ازاحة لما عرض لهم من الشبهة فى امره والمعنى انه تعالى
قادر على الاطلاق يخلق من غير اصل كما خلق السموات ومن اصل كخلق ما بينهما فينشئ من
من اصل ليس من جنسه كادم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كحوا
او من انثى وحدها كعيسى او منهما كسائر الناس وقالت اليهود والنصارى نحن ابنؤا الله
واحباؤه اشياع ابنية عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابن الزبير الحبيبون او مقربون عنده
قرب الاولاد من والدهم وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان فى سورة ال عمران قل فلم يعذبكم
بذنوبكم اى فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان فى هذا المنصب لا يفعل ما يوجب
تعذيبه وقد عذبكم فى الدنيا بالاسر والقتل والمسخ واعترفتم انه يعذبكم فى النار اياما
معدودة بل انتم بشر ممن خلق من جملة من خلقه الله يغفر لمن يشاء وهم من امن به وبرسله ويعذب
من يشاء وهم من كفر والمعنى انه تعالى يعاملكم معاملة سائر الناس لامزية لكم ولله ملك
السموات والارض وما بينهما كلها سواء فى كونه خلقا وملكا له واليه المصير فيجازى المحسن
باحسانه والمسئ باساءته يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم اى الدين وحذف
لظهوره او ما كنتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز ان لا يقدر مفعول على معنى ويبذل لكم
البيان والجملة فى موضع الحال اى جاءكم رسولنا مبينا لكم على فترة من الرسل متعلق بجاءكم
اى جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحى ويبين حال من الضمير فيه ان تقولوا
ما جاءنا من بشير ولا نذير كراهة ان تقولوا ذلك وتعتذروا به فقد جاءكم بشير
ونذير متعلق بمحذوف اى لا تعتذروا فقد جاءكم والله على كل شئ قدير فيقدر على الارسال
متى شاء كما فعل بين موسى وعيسى عليهما السلام اذ كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف
نبى وعلى الارسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ستمائة واحد وسبعون
وتسع وستون سنة واربعة انبياء ثلاثة من بنى اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان
العبسى وفى الاية امتنان عليهم بان بعث اليهم حين انطمست اثار الوحى وكانوا احوج ما يكونون
اليه واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء فارشدكم
وشرفكم بهم ولم يبعث فى امة ما بعث فى بنى اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا اى وجعل
منكم او فيكم وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا بحيود وهى القتلى
عيسى وقيل لما كانوا مملوكين فى ايدى القبط فانقذهم الله وجعلهم ملاكين لانفسهم
وامورهم سماهم ملوكا واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر وتظليل الغمام
وانزال المن والسلوى ونحوها مما اتاهم وقيل المراد بالعالمين عالمى زمانهم يا قوم ادخلوا
الارض المقدسة ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين

وقيل

وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل الشام التي كتب
الله لكم قسمها لكم او كتب باللوح المحفوظ انها تكون مسكنا لكم ولكن ان امنتم واطعتم
لقوله لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم ولا ترتدوا على ادباركم ولا ترجعوا مدبرين
خوفا من الجبابرة قيل لما سمعوا حالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا حتى
نجعل لنا رأسا ينصرف بنا الى مصر ولا ترتدوا في حقكم بالعصيان وعدم الوثوق على
الله فتنقلبوا خاسرين ثواب الدارين ويجوز في تنقلبوا الجزم على العطف والنصب على
الجواب قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبين لا يتأتى لنا مقاومتهم والجبار
فعال من امن على الامر بمعنى جبره وسواه اذ يجبر الناس على ما يريده وانا لن ندخلها حتى
يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون اذ لا طاقة لنا بهم قال رجلان كالب ويوشع
من الذين يخافون اي يخافون الله ويتقونه وقيل كانا رجلين في الجبابرة اسلما وسارا
الى موسى فعلى هذا الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف اي من الذين يخافهم
بنو اسرائيل ويشهد له ان في ي يخافون بالضم اي المخوفين وعلى الاول يكون هذا
من الاخافة اي من الذين يخوفون من الله بالتذكير او يخوفهم الوعيد انعم الله عليهما
بالايمان والتثبيت وهو صفة ثانية لرجلين او اعتراض ادخلوا عليهم الباب باب قريتهم
اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الاصحار فاذا دخلتموه فانكم غالبون
لتعسر الكر عليهم في المضايق من عظم اجسامهم او لانهم اجسام لا قلوب فيها ويجوز ان
يكون علمهما بذلك من اخبار موسى وقوله كتب الله لكم او مما علما من عادته في نصرة
رسله وما عهد من صنعه لموسى في قهر اعدائه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين اي
مومنين به ومصدقين لوعده قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا نفوا دخولها على
التاكيد والتابيد ما داموا فيها بدل من ابدا بدل البعض فاذهب انت وربك
فقاتلا انا ههنا قاعدون قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل
تقديره اذهب انت وربك يعينك قال رب اني لا املك الا نفسي واخي قاله شكوى
منه وحزنا الى الله لما خالفه قومه وليس منهم ولم يثق معه موافق يثق به غيرهما وعليهما
السلام والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق عليهما لما كانا يداريان من تلون قومه
ويجوز ان يراد باخي من يواخيني في الدين فيدخلان فيه ويجوز نصبه عطفا على نفسي
او على اسم ان ورفعه عطفا على الضمير في نفسي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين
بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقون او بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصا
من صحبتهم قال فانها فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب
عصيانهم اربعين سنة يتيهون في الارض عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا
غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله التي كتب الله لكم ويؤيد ذلك ما روي ان موسى سار بعد
ذلك بمن بقي من بني اسرائيل ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل انه قبض
في التيه ولما احتضر اخبرهم بان يوشع بعده نبي وان الله امره بقتال الجبابرة فسار بهم
يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبني اسرائيل وما يتيهون اي يسيرون فيها متحيرون
لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقد قيل لم يدخل الارض المقدس احد ممن قال
انا لن ندخلها بل هلكوا في التيه وانما قاتل الجبابرة اولادهم روي انهم لبثوا اربعين
سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح الى المساء فاذا هم حيث ارتحلوا عنه وكان الغمام
يظلهم من الشمس وعمود من نار يطلع بالليل فيضيء لهم وكان طعامهم المن والسلوى

وما وهم من الحجر الذي يحلونه والاكثر على ان موسى وهرون كانا معهم في التيه الا انه كان ذلك
رجوعهم او زيادة في درجتهما وعقوبتهم وانهما ماتا في مات هرون وموسى بعده بسنة
ثم دخل يوشع اريحا بعد ثلاثة اشهر ومات فيه النقباء غير كالب ويوشع فلا تاس على
القوم الفاسقين خاطب به موسى لما ندم عن الدعاء عليهم وبين لهم احقاء بذلك
واتل عليهم نبأ ابني آدم قابيل وهابيل اوحى الله الى آدم عليه السلام ان يزوج كل واحد
منهما توأم الآخر فسخط منه قابيل لان توأمه كانت احمل فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما قبل
يزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل
لم يرد بهما ابني آدم لصلبه فانهما رجلان من بني اسرائيل والاول قال كتبنا على بني اسرائيل
بالحق صفة مصدر محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق او حال من الضمير في تل او من نبأ اي
ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين اذ قربا قربانا ظرف النبأ او حال منه او بدل
على حد فمضاف اي تل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به الى الله من ذبيحة
او غيرها كالعدوان اسم ما يعدى اي يعطى وهو في الاصل مصدر والذكر لم يبن وقيل تقديره
اذ قرب كل واحد منهما فقبل كان قابيل صاحب زرع قرب ارد ى فجيء عنده وهابيل صاحب ضرع
وقرب جلا سمينا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر لانه سخط حكم الله ولم يخلص النية
في قربانه وقصد الى الخسيس ما عنده قال لاقتلنك توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل
قربانه ولذلك قال انما يتقبل الله من المتقين في جوابه اي وانما اتيت من قبل نفسك بترك
التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغي ان يرى حرمانه من تقصيره
ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظا لا في ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه
وان الطاعة لا تقبل الا من مؤمن متق لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي
اليك لاقتلك الى اخاف الله رب العالمين قيل كان هابيل اقوى منه ولكن يخرج عن قتله
واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يبح بعد وتحريما لما هو الافضل قال عليه الصلاة
والسلام لن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وانما قال ما انا بباسط في جواب لئن
بسطت للتبري عن هذا الفعل الشنيع رأسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك
اكد النفي بالباء اني اريد ان تبوء بإثمي وإثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء
الظالمين تعليل لان للا ممتنع عن المعارضة والمقاومة والمعنى انما استسلم لك ارادة
ان تحمل اثمي لو بسطت اليك يدي واثمك ببسط يدك الي ونحوه المستبان ما قالا فعلى
البادي ما لم يعتد المظلوم وقيل معنى باثمي باثم قتلي وباثمك الذي لم يتقبل من اجله
قربانك وكلاهما في موضع الحال اي ترجع ملتبسا بالامرين حاملا لهما ولعله لم يرد معصية
اخيه وشقاوته قصد بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان لا محالة واقعا فاريد ان يكون لك
لا لي فالمراد بالذات ان لا يكون له لا ان يكون لاخيه ويجوز ان يكون المراد بالاثم عقوبته واراد
عقاب العاصي جائز فطوعت له نفسه قتل اخيه فسهلته له ووسعت من طاب له المرعى
اذا اتسع وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كان ندعاه الى الاقدام عليه
فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله فاصبح من الخاسرين
دينا ودنيا اذ بقي مدة عمره مطرودا محزونا وقيل قتلها هابيل وهو ابن عشرين سنة عند
عقبة حرا وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فبعث الله غرابا يبحث في الارض
ليريه كيف يواري سوءة اخيه روي انه لما قتله تحير في امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان
اول ميت من بني آدم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه

ثم القاه في الحفرة والضمير في ليريه لله او للغراب وكيف حال من الضمير في يواري والجملة ثاني مفعولي يريه والمراد بسوءة اخيه جسد الميت فانه مما يستقبح ان يرى قال يا ويلتا كلمة جزع وتحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك والويلة الهلكة اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي لا اهتدي الى ما اهتدى اليه وقوله فاواري عطف على اكون وليس جواب الاستفهام اذ ليس المعنى لو عجزت لواريت وقرئ بالسكون على فانا اواري او على تسكين المنصوب تخفيفا فاصبح من النادمين على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته سنة او اكثر على ما قيل وتمذره للغراب واسوداد لونه وتبرء ابويه منه اذ روي انه لما قتله اسود جسده فساله ادم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود اول جسدك وتبرأ عنه ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر بما فعل من اجله من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل بسببه قضينا عليهم واجل في الاصل مصدر اجل شر اذا جناه ثم استعمل في تعليل الجنايات كقولهم من جرائك فعلته اي من اجل جرمك ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا او بمحذوف وقع حالا من ذلك انه من قتل نفسا بغير نفس بغير قتل نفس يوجب القصاص او فساد في الارض او بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق فكانما قتل الناس جميعا من حيث انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه او من حيث ان قتل الواحد والجميع سواء في استجلاب غضب الله والعذاب العظيم ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا اي ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو او منع عن القتل او استنقاذ من بعض اسبابها الهلاكة فكانما فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم قتل النفس واحياءها في القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا في المحاماة عليها ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون اي بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل بالايات الواضحة تاكيدا للامر وتجديدا للعهد كي يتحامى عنها كثير منهم يفسدون في الارض بالقتل ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التباعد عن حد الاعتدال في الامر انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اي يحاربون اولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل الحرب السلب والمراد به ههنا قطع الطريق وقيل المكابرة بالصوصية وان كانت في مصر ويسعون في الارض فسادا اي مفسدين ويجوز نصبه على العلة او المصدر لان سعيهم كان فسادا فكانه قيل ويفسدون في الارض فسادا ان يقتلوا قصاصا من غير تخيير ان قرر لهم القتل او يصلبوا اي يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف في انه يقتل ويصلب او يصلب حيا ويترك او يطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف لقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا او ينفوا من الارض ينفوا من بلد الى بلد بحيث لا يتمكنوا في القرار في موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة رحمه الله النفي بالحبس وما روي في الاية على هذا للتفصيل وقيل انه للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق ذلك لهم خزي في الدنيا ذل وفضيحة ولهم في الاخرة عذاب عظيم لعظم ذنوبهم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم استثناء من المعاقبين عقاب قطع الطريق خاصة مخصوص بحق الله تعالى ويدل عليه فاعلموا ان الله غفور رحيم اما القتل

قصاصا فالى الاولياء يسقط وجوبه لاجوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على
انها بعد القدرة لاتسقط الحد وان اسقطت العذاب وان الاية فى قطاع المسلمين لان
توبة المسلم المشرك تدرء عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله وابتغوا اليه الوسيلة اى ما يتوسلون الى طاعته ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات
وترك المعاصى من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفى الحديث الوسيلة منزلة فى الجنة وجاهدوا
فى سبيله لمحاربة اعدائه الظاهرة والباطنة لعلكم تفلحون بالوصول الى الله والفوز
بكرامته ان الذين كفروا لو ان لهم ما فى الارض من صنوف الاموال جميعا ومثله معه
ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب يوم القيمة واللام متعلقة بمحذوف
يستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم ما فى الارض وتوحيد الضمير فيه والمذكور
شيآن اما لاجرائه مجرى اسم الاشارة فى نحو قوله تعالى عوان بين ذلك او لان الواو فى سله
بمعنى مع ما تقبل منهم جواب لو ولو بما فى حيزه خبران والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم
وانه لاسبيل لهم الى الخلاص منه ولهم عذاب اليم تصريح بالمقصود منه ولذلك قوله
يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم وقرئ يخرجوا
من اخرج وانما قال وما هم بخارجين منها بدل وما يخرجون للمبالغة والسارق والسارقة
فاقطعوا ايديهما جملتان عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة
اى حكمهما وجملة عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنها معنى الشرط اذ المعنى
والذى سرق والتى سرقت وقرئ بالنصب وهو المختار فى مثله لان الانشاء لايقع جزاء
الا باضمار وتاويل والسرقة اخذ مال الغير فى خفية وانما توجب القطع اذا كانت من حرز
والماخوذ ربع دينار او ما يساويه لقوله عليه الصلاة والسلام القطع فى ربع دينار فصاعدا
وللعلماء خلاف فى ذلك لاحاديث وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه فى شرح المصابيح
والمراد بالايدى الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع
المثنى كما فى قوله فقد صغت قلوبكما اكتفاء بدثنية المضاف اليه والبيد اسم تام العضو
ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الكوع لانه عليه الصلاة
والسلام اتى بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء بما كسبا نكالا من الله منصوبان على
المفعول له او المصدر ودل على فعلها فاقطعوا والله عزيز حكيم فمن تاب من السراق من
بعد ظلمه اى سرقته واصلح امره بالتقضى عن التبعات والعزم على ان لايعود اليها فان الله
يتوب عليه ان الله غفور رحيم يقبل توبته فلا يعذبه فى الاخرة اما القطع فلا يسقطها
عند الاكثرين لان فيه حق المسروق منه الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض الخطاب
للنبى او لكل واحد يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شئ قدير قدم التعذيب
على المغفرة اتيانا على ترتيب ما سبق او لان استحقاق التعذيب متقدم اولان المراد به القطع
وهو فى الدنيا يا ايها الرسول لايحزنك الذين يسارعون فى الكفر اى صنع الذين يقعون
فى الكفر سريعا اى فى اظهاره اذا وجد منه فرصة من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن
قلوبهم اى المنافقين والهاء متعلقة بقالوا الاباء والواو تحتمل الحال والعطف ومن
الذين هادوا عطف على من الذين قالوا سماعون للكذب خبر محذوف اى هم سماعون
والضمير للفريقين او للاخرين يسارعون ويجوز ان يكون مبتدا ومن الذين خبره اى ومن
اليهود قوم سماعون واللام فى الكذب اما مزيدة للتاكيد او لتضمين السماع معنى القبول
اى قابلون لما يفتريه الاحبار او للعلة والمفعول محذوف اى سماعون كلامك ليكذبوا

عليك فيما سماعون لقوم اخرين لم ياتوك اى لجمع اخرين من اليهود لم يحضروا مجلسك
ويخافوا عنك تكبرا وافراطا فى البغضاء والمعنى على الوجهين اى يصغون لهم قابلون كلامهم
او سماعون كلامهم منك لاجلهم او للاضرار اليهم ويجوز ان يتعلق اللام بالكذب لان سماعون
الثانى مكرر للتاكيد اى سماعون ليكذبوا لقوم اخرين يحرفون الكلم من بعد مواضعه
اى يميلونه عن مواضعه التى وضعه الله فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما معنى
بحمله على غير المراد واجرائه فى غير مورده والجملة صفة اخرى لقوم او صفة لسماعون
او حال من الضمير فيه او استيناف لا موضع له او فى موضع الرفع خبر لمحذوف اى هم يحرفون
وكذلك يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه اى ان اوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به
وان لم تؤتوه بل افتاكم محمد بخلافه فاحذروا اى فاحذروا قبول ما افتاكم به روى
ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط منهم الى
بنى قريظة ليسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان امركم بالجلد والتجبيم فاقبلوا وان امركم
بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا يحكم بينه وبينهم وقال له انشدك الله
الذى لا اله الا هو الذى فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق ال فرعون والذى
انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه
فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند
باب المسجد ومن يرد الله فتنته ضلالته وفضيحته فلن تملك له من الله شيئا فلن
تستطيع له من الله شيئا فى دفعها اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الكفر وهو
كما ترى نص على فساد قول المعتزلة لهم فى الدنيا خزى هوان بالجزية والخوف من المؤمنين
ولهم فى الاخرة عذاب عظيم وهو الخلود فى النار والضمير للذين هادوا ان استانفت بقوله
ومن الذين هادوا او لا فللفريقين سماعون للكذب كرر للتاكيد اكالون للسحت
اى الحرام كالرشى من اسحته اذا استاصله لانه مسحوت البركة وقراء ابن كثير وابو عمرو
والكسائى ويعقوب فى الثلاثة مواضع بضمتين وهما لغتان كالعنق وقرىء بفتح السين
على لفظ المصدر فان جاوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض وبهذا قيل لو تحاكم الكتابيان الى القاضى لم يجب
عليه الحكم وهو قول للشافعى والاصح وجوبه اذا كان المترافعان او احدهما ذميا لانا
التزمنا الذب عنهم ورفع الظلم عنهم والاية ليست فى اهل الذمة وعند ابى حنيفة رحمه الله
يجب مطلقا وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا بان يعاودوك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك
من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الذى امر الله به ان الله يحب
المقسطين فيحفظهم ويعظم شانهم وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله
تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال ان الحكم منصوص عليه فى الكتاب الذى هو عندهم
والتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون
اهون عليهم وان لم يكن حكم الله فى زعمهم وفيها حكم الله حال عن التورية ان برفعتها بالظرف
وان جعلتها مبتدا فمن ضميرها المستكن فيه وتاينثها لكونها نظيرة المؤنث فى كلامهم لفظا
كموماة ودودا ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم
بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل فى حكم التعجيب وما اولئك بالمؤمنين
بكتابهم لاعراضهم عنه او لاو عما يوافقه تاييدا اولئك اوبه انا انزلنا التورية فيها هدى
تهدى الى الحق ونور يكشف ما استبهم من الاحكام يحكم بها النبيون يعنى انبياء بنى اسرائيل

او موسى ومن بعدن ان قلنا شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ وبهذه الاية تمسك القائل
به الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين مدحا لهم وتنويها بشان المسلمين
وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء هديهم للذين هادوا متعلق
بانزلنا او يحكم ان يحكمون بها في تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين انبياؤهم والربانيون
والاحبار هادهم وعلماهم الساكلون طريقة انبيائهم عطف على النبيون بما استحفظوا
من كتاب الله بسبب امر الله اياهم بان يحفظوا كتابهم به من التضييع والتحريف والضمير
للما محذوف ومن للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لا يتركون ان يغيروا او شهداء
يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا فلا تخشوا الناس واخشون نهى للحكام ان يخشوا
غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير ولا تشتروا باياتي
باحكامي التي انزلتها ثمنا قليلا من الرشوة والجاه ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا
به منكرا له فاولئك هم الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك
وصفهم بقوله الكافرون والظالمون والفاسقون فكفرهم الانكار وظلمهم بالحكم على
خلافه وفسقهم بالخروج عنه ويجوز ان يكون كل واحدة من الصفات الثلاث باعتبار
حال انضمت الى الامتناع عن الحكم به من يمنة لها او طايفة كما قيل هذه في المسلمين
لتصالها بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وكتبنا عليهم فرضنا على اليهود
فيها في التوراة ان النفس بالنفس لما ان النفس بقتل النفس والعين بالعين والانف
بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن رفعها الكسائي على انها جمل معطوفة على
ان وما في خبرها باعتبار المعنى وكانه قيل كتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين
فان الكتبة والقراءة تقعان على الجمل كالقول او مستانفة ومعناها وكذلك العين مفقوءة
بالعين والانف مجدوعة بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن او على
ان المعروف المرفوع منها معطوف على المستكن في قوله بالنفس وانما ساغ لانه في الاصل
مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور حال مبينة للمعنى وقرا نافع والاذن بالاذن
وفي اذنيه باسكان الذال حيث وقع والجروح قصاص اي ذات قصاص وقراء الكسائي
ايضا بالرفع ووافقه ابن كثير وابو عمرو وابن عامر على انه اجمال للحكم بعد التفصيل
فمن تصدق من المستحقين به بالقصاص اي فمن عفا عنه فهو كفارة له اي للمتصدق
فيكفر الله به ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارة اي فالمتصدق
كفارة التي يستحق بالتصدق له لا ينقص منها شيء ومن لم يحكم بما انزل الله من
قصاص وغيره فاولئك هم الظالمون وقفينا على اثارهم اي واتبعناهم على اثارهم
فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيين بعيسى بن مريم مفعول
ثان عدي الفعل اليه بالباء مصدقا لما بين يديه من التورية واتيناه الانجيل
وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور في موضع النصب بالحال ومصدقا لما بين يديه
من التورية عطف عليه وكذا قوله وهدى وموعظة للمتقين ويجوز نصبهما على
المفعول لهما عطفا على محذوف او تعليقا به وعطف وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله
فيه عليه في قراءة حمزة وعلى الاول اللام فيه متعلقة بمحذوف اي واتيناه ليحكم وقرئ
وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كقوله امرتك بان قم اي وامرنا بان ليحكم ومن لم
يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون عن حكمه او عن الايمان ان كان مستهينا به
والاية تدل على ان الانجيل مشتملة على الاحكام وان اليهودية منسوخة ببعثة

عيسى عليه الصلاة والسلام وانه كان مستقلا بالشرع وحاكما على ليحكموا بما انزل الله فيه
من ايجاب العمل باحكام التوراة وخلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب بالحق اى القرآن
مصدقا لما بين يديه من الكتاب من جنس الكتب المنزلة واللام الاولى للعهد والثانية
للجنس ومهيمنا عليه رقيبا على سائر الكتب يحفظه عن التغيير ويشهد له بالصحة
والثبات وقرئ على بنية المفعول اى هو من عليه وحوقظ من التحريف والحافظ له هو
الله تعالى او الحفاظ فى كل عصر فاحكم بينهم بما انزل الله اى بما انزل اليك ولا تتبع
اهواءهم عما جاءك من الحق بالانحراف عنه الى ما يشتهونه فعن صلة لاتتبع لتضمنه
معنى لاتنحرف وحال من فاعله اى لاتتبع اهواءهم مايلا عما جاءك لكل جعلنا منكم
ايها الناس شرعة شريعة وهى الطريقة الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ما هو
سبب الحيوة الابدية وقرئ شرعة بفتح الشين ومنهاجا طريقا واضحا فى الدين
من نهج الامر اذا وضح واستدل به على انا غير متعبدين بالشرايع المتقدمة ولو شاء
الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على دين واحد فى جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل
ومفعول لو شاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام
لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم فيما اتاكم من الشرايع المختلفة المناسبة لكل عصر
وقوم هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين اختلافها مقتضى الحكمة الالهية ام تزيغون
عن الحق وتفرطون فى العمل فاستبقوا الخيرات فانتدروها انتهازا للفرصة وحيازة
لفضل السبق والتقدم الى الله مرجعكم جميعا استيناف فيه تعليل الامر بالاستباق
وعد ووعيد للمبادرين والمقصرين فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بالجزاء الفاصل
بين المحق والمبطل والعامل والمقصر وان احكم بينهم بما انزل الله عطف على الكتاب
اى انزلنا اليك الكتاب والحكم وعلى الحق اى انزلناه بالحق وبان احكم ويجوز ان يكون
جملة بتقدير وامرنا ان احكم ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض
ما انزل الله اليك اى ان يضلوك ويصرفوك عنه وان لصلته بدل من بهم بدل
الاشتمال اى احذرهم فتنتهم ومفعول له اى احذرهم مخافة ان يفتنوك روى ان احبار
اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار
اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة
فنتحاكم اليك فتقضى لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم فنزلت فان تولوا عن الحكم المنزل واراد واغيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم
ببعض ذنوبهم يعنى ذنب التولى عن حكم الله فعبر عنه بذلك تنبيها على ان لهم ذنوبا
كثيرة وهذا مع عظمه واحد منها معدود من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما فى
التنكير ونظير قوله لبيد ، تراك امكنة اذا لم ارضها ، او يرتبط بعض النفوس حمامها
وان كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون فى الحكم المعتدون فيه افحكم الجاهلية
يبغون الذى هو الميل والمداهنة فى الحكم والمراد بالجاهلية التى هى متابعة الهوى
وقيل نزلت فى بنى قريظة والنضير طلبوا رسول الله ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية
من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون خبره والراجع محذوف
حذف فى الصلة فى قوله اهذا الذى بعث الله رسولا واستضعف ذلك فى غير الشعر وقرئ
افحكم الجاهلية اى يبغون حاكم الحكام الجاهلية يحكم بحسب تشهيهم وقرأ ابن عامر تبغون
بالتاء على قل لهم افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن حكما من الله حكما لقوم يوقنون

اى عندك واللام للبيان كما فى قوله هيت لك اى هذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين
يتدبرون الامور ويتحققون الاشياء بانظارهم فيعلمون ان لا احسن حكما من الله يا ايها
الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم
معاشرة الاحباب بعضهم اولياء بعض اى فانهم متفقون على خلافكم فلم
يوال بعضهم بعضا لاتحادهم فى الدين واجتماعهم على مضادتكم ومن يتولهم منكم فانه منهم
اى ومن والاهم منكم فانه من جملتهم وهو للتشديد فى وجوب مجانبتهم كما قال عليه الصلاة
والسلام لا تتراءى نارا هما وان الموالين لهم كانوا منافقين ان الله لا يهدى القوم الظالمين
الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفار والمؤمنين بموالاة اعدائهم فترى الذين فى قلوبهم مرض
يعنى ابن ابى واضرابه يسارعون فيهم اى فى موالاتهم ومعاونتهم يقولون نخشى ان تصيبنا
دائرة ويعتذرون بانهم يخافون ان تصيبهم دائرة من الدوائر بان يتغلب الامر وتلون
الدولة للكفار روى ان عبادة بن الصامت قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لى موالى من
اليهود كثيرا عددهم واتى ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم واوالى الله ورسوله فقال
ابن ابى انى رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولايتهم فنزلت فعسى الله ان يأتى بالفتح
لرسول الله على اعدائه واظهار المسلمين او امر من عنده ليقطع شأفة اليهود من القتل
والاجلاء والامر باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيصبحوا اى هؤلاء المنافقين على ما اسروا
فى انفسهم نادمين على ما استيطنوه من الكفر والشك فى امر الرسول فضلا عما اظهروه مما
اشعر على نفاقهم ويقول الذين امنوا بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائى على انه كلام
مبتدأ ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على انه جواب قائل يقول
فماذا يقول المؤمنون حينئذ وبالنصب قراءة ابو عمرو ويعقوب عطفا على ان يأتى
باعتبار المعنى فكانه قال عسى ان يأتى الله بالفتح ويقول الذين امنوا ويجعله بدلا من
اسم الله داخلا فى اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحديث او على الفتح بمعنى عسى
الله ان يأتى بالفتح ويقول المؤمنون فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان به اهؤلاء الذين
اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم يقول المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال
المنافقين وتبجحا بما من الله عليهم من الاخلاص او يقولون لليهود فان المنافقين
حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وجهد الايمان اعظمها وهو
فى الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله يجتهدون جهد ايمانهم فحذف
الفعل واقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة او على المصدر لانه بمعنى اقسموا
حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين اما من جملة المقول او من جملة قول الله لهم بحيوط
اعمالهم وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم وما اخسرهم يا ايها الذين امنوا من
يرتد منكم عن دينه قراءة على الاصل نافع وابن عامر وهو كذلك فى الامام والباقون
بالادغام وهذا من الكائنات التى اخبر الله عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب
فى اواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم ذو الخمار الاسود
العنسى تنبأ باليمن واستولى على بلادها وقتل عمرو بن الدرمى ليلة قبض رسول الله صلى
الله عليه وسلم من غدها واخبر الرسول فى تلك الليلة فسر المسلمون واتى الخبر فى اواخر
ربيع الاول وبنو حنيفة اصحاب مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله الى محمد رسول الله
اما بعد فان الارض نصفها لى ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب
اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فجاء به ابو بكر رضى

الله

الله عنه بجند من المسلمين وقتله الوحشي قاتل حمزة وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ
فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد الغرب بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه
وفي عهد ابي بكر رضي الله عنه ثلاثة سبع فزارة قوم عيينة بن حصين وغطفان قوم
قرة بن سلمة وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة
وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة قوم الاشعث بن
قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم وكفى الله امرهم في مدته وفي امارة عمر غسان
قوم جبلة بن الايهم تنصر وسار الى الشام **فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه**
قيل هم اليمن لما روي انه عليه الصلاة والسلام اشار الى ابي موسى وقال قوم هذا وقيل
الفرس لانه عليه الصلاة والسلام سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه
وقيل الذين قاتلوا يوم القادسية الفان من النخع وخمسة الاف من كنده وبجيلة وثلاثة
الاف من فناء الناس والراجع الى من محذوف بتقدير فسوف يأت الله بقوم مكانهم
ومحبة الله للعباد ارادة الهدى والتوفيق لهم في الدنيا وحسن ثواب الاخرة ومحبة العباد
له ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه **اذلة على المؤمنين** عاطفين عليهم متذللين
لهم جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل واستعماله على مع على ما التضمن معنى العطف والحنو
او التنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين حافظون لهم او للمقابلة **اعزة**
على الكافرين شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال **يجاهدون**
في سبيل الله صفة اخرى لقوم او حال من الضمير في اعزة **ولا يخافون لومة لائم** عطف
على يجاهدون بمعنى انهم الجامعون بين الجهاد في سبيل الله والتصلب في دينه او حال
بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف المنافقين فانهم يخرجون في جيش المسلمين خائفين
ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة
من اللوم وفيها في تنكير لائم مبالغتان **ذلك** اشارة الى ما تقدم من الاوصاف **فضل**
الله يؤتيه من يشاء يمنحه ويوفقه **والله واسع** كثير الفضل **عليم** بمن يواهله **انما**
وليكم الله ورسوله والذين امنوا لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق
بها وانما قال وليكم ولم يقل اولياءكم للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة ولرسوله
وللمؤمنين على التبع **الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكوة** صفة للذين امنوا فانه
جرى مجرى الاسم او بدل منه ويجوز نصبه ورفعه على المدح **وهم راكعون** متخشعون في
صلاتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون اي يؤتون الزكوة في حال ركوعهم
في الصلاة حرصا على الاحسان ومسارعة اليه وانها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله
سائل وهو راكع في صلاته وطرح له خاتمه واستدل به الشيعة على امامته زاعمين ان
المراد بالولي المتولي للامور والمتحكم للتصرف فيهم والظاهر ما ذكرناه مع ان حمل
الجمع على الواحد ايضا خلاف الظاهر وان صح انه نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع لترغيب
الناس في مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل في
الصلاة لا يبطلها وان صدقة التطوع تسمى زكوة **ومن يتول الله ورسوله والذين**
امنوا ومن يتخذهم اولياء **فان حزب الله هم الغالبون** اي فانهم الغالبون ولكن
وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه كانه قيل ومن يتولى هؤلاء فهم حزب
الله وحزب الله هم الغالبون وتنويهها بذكرهم وتعظيما لشانهم وتشريفا لهم بهذا
الاسم وتعريضا بمن يوالي غيرهم بانه حزب الشيطان واصل الحزب لقوم يجتمعون

لامن جنسهم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث
اظهروا الاسلام ثم نافقوا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت وقد رتب النهي عن
موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا ايماء على العلة وتنبيها على ان من هذا شانه بعيد
عن الموالاة جدير بالمعاداة وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار على قراءة من جر هم
ابو عمرو والكسائي ويعقوب والكفار وان عم اهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف
كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على ان النهي عن موالاة من ليس على الحق
سواء من كان على دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن
كالمشركين واتقوا الله بترك المناهي ان كنتم مؤمنين لان الايمان حقا يقتضي ذلك وقيل
ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا اي
اتخذوا الصلاة او المناداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلاة روى ان نصرانيا
بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب
فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام فتطاير شررها في البيت فاحرقه واهله
ذلك بانهم قوم لا يعقلون فان السفه يؤدي الى الجهل بالحق والهزئة والعقل يمنع
ذلك منه قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم من الامر
اذا انكره وانتقم اذا كافاه وقرئ تنقمون بفتح القاف وهو لغة الا ان امنا بالله وما
انزل الينا وما انزل من قبل الايمان بالكتب المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون عطف على
ان امنا وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة اي ما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث
دخلنا الايمان وانتم خارجون منه او كان الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون فحذف
المضاف وعلى ما اي وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم او على علة
محذوفة والمعنى هل تنقمون منا الا لعلة انصافكم وفسقكم او نصب باضمار
فعل دل عليه هل تنقمون اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او رفع على الابتداء والخبر
محذوف اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الاعتراف
والاية ليهود سالوا رسول الله عليه الصلاة والسلام عمن يؤمن به فقال اؤمن بالله
وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى لا نعلم دينا شرا من
دينكم قل هل انبئكم بشر من ذلك اي من ذلك المنقوم مثوبة عند الله جزاء ثابتا عند الله
والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت ههنا موضعها على طريقة قوله
تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز عن مبشر من لعنه الله وغضب عليه
وجعل منهم القردة والخنازير بدل من بشر على حذف مضاف اي بشر من اهل ذلك
من لعنه الله او جر محذوف اي هو من لعنه الله وهو اليهود وابعدهم الله من رحمته
وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الايات ومسخ بعضهم قردة وبعضهم
وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار اهل مايدة عيسى وقيل كلاهما المسخين
في اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير وعبد الطاغوت عطف
على صلة من وكذا من عبد الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعبد بمعنى
صار معبودا فيكون الراجع محذوفا اي فيهم او بينهم ومن قرأ عابد الطاغوت
او عبد على انه نعت كقطن ويقظ او عبد او عبد الطاغوت على انه جمع كخدم او ان اصله
عبدة فحذفت التاء للاضافة عطفه على القردة ومن قرأ عبد الطاغوت بالجر عطفه

على من والمراد من الطاغوت العجل وقيل الكهنة وقيل كل من اطاع في معصية الله
وقرأ حمزة وعبد الطاغوت والباقون بضم الباء وجر التاء والباقون بفتح الباء ونصب
التاء اولئك اى الملعونون شر مكانا اجعل مكانهم شر ليكون ابلغ في الدلالة على
شرارتهم وقيل مكانا منصرفا واضل عن سواء السبيل فصد الطريق المتوسط بين
غلو النصارى وقدح اليهود والمراد من صيغتي التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة
الى المؤمنين في الشرارة والضلال واذا جاؤكم قالوا امنا نزلت في يهود نافقوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم او في عامة المنافقين وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اى
يخرجون من عندكم كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا
وبالكفر به حالان من فاعل دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضي من الحال
ليصح ان يقع حالا افادت ايضا ما فيها من التوقع ان امارة النفاق كانت لائحة عليهم
وكان الرسول يظنه ولذلك قال والله اعلم بما كانوا يكتمون اى من الكفر وفيه وعيد لهم
وترى كثيرا منهم اى من اليهود والمنافقين يسارعون في الاثم اى الحرام وقيل الكذب لقوله
عن قولهم الاثم والعدوان الظلم ومجاوزة الحد في المعاصي وقيل الاثم ما يختص بهم
والعدوان ما يتعدى الى غيرهم واكلهم السحت اى الحرام خصه بالذكر للمبالغة
لبئس ما كانوا يعملون لبئس شيئا عملوه لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم
واكلهم السحت تخصيص لعلمائهم على النهي عن ذلك فان لولا اذا دخل الماضي افاد
التوبيخ واذا دخل المستقبل افاد التحضيض لبئس ما كانوا يصنعون ابلغ من قوله
لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وتردد وتحر
اجادة ولذلك ذم به حواضهم ولان ترك الحشية اقبح من مواقعة المعصية لان النفس
تلتذ بها وتميل بها ولا لذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ الذم وقالت اليهود
يد الله مغلولة اى هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود
ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل او بسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك بقوله

جاد المحي بسط اليدين بوابل ... شكرت يداه تلاعه ووهاده

ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه انه فقير ونحن اغنياء غلت
ايديهم ولعنوا بما قالوا دعاء عليهم بالبخل والنكد وبالفقر والمسكنة او بغل الايدي
حقيقة يغلون اسارى في الدنيا ومسحبين الى النار في الاخرة فتكون المطابقة من حيث
اللفظ وملاحظة الاصل كقولك سبني سب الله دائر بل يداه مبسوطتان تثنى اليد
مبالغة في الرد ونفي البخل عنه واثباتا لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخي من
ماله ان يعطيه بيديه وتثنيتها على منح الدنيا والاخرة او على ما يعطي للاستدراج وما
يعطي للاكرام ينفق كيف يشاء تاكيد لذلك اى هو مختار في انفاقه يوسع تارة
ويضيق اخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق في ذات
يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولانها مضاف اليها ولا من اليدين
اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك والاية نزلت في فنحاص بن عازوراء فانه قال ذلك
لما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم تلذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم واشرك
فيه الاخرون لانهم رضوا بقوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا
وكفرا اى هم طاغون كافرون يزدادون طغيانا وكفرا لما سيمعون من القرآن كما يزداد المريض
مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحاء والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة

فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق اقوالهم كلما اوقدوا نار الحرب اطفاءها الله كلما ارادوا
حرب الرسول واثارة شر عليه ردهم الله بان اوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم
او كلما اراد واحرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا احكام التوراة سلط عليهم بخت نصر
ثم افسدوا فسلط عليهم قيطس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم
المسلمين وللحرب صلة اوقدوا وصفة نارا ويسعون في الارض فسادا اى للفساد وهو
اجتهادهم في الكيد واثارة الحروب والفتن وهتك المحارم والله لا يحب المفسدين فلا يجازيهم
الا شر اولو ان اهل الكتاب امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به واتقوا ما عددنا
من معاصيهم ونحو لكفرنا عنهم سيئاتهم التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم
جنات النعيم وجعلناهم من الداخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم
وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم ولو انهم قاموا
التوراة والانجيل باذاعة ما فيهما والقيام باحكامهما وما انزل اليهم من ربهم يعني
سائر الكتب المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان بها كالمنزل اليهم او القرآن لاكلوا
من فوقهم ومن تحت ارجلهم لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات من السماء والارض
او يكثر ثمر الاشجار وغلة الزروع او يزرقهم الجنان اليانعة الا الثمار فيجنونها من
راس الشجرة وتلتقطون ما تساقط على الارض من ذلك انما كف عنهم بشؤم كفرهم
ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو انهم امنوا واقاموا ما امروا به لوسع عليهم وجعل لهم
خير الدارين منهم امة مقتصدة عادلة غير عالية ولا مقصرة وهم الذين امنوا بمحمد
صلى الله عليه وسلم وقيل مقتصدة متوسطة في عداوته وكثير منهم ساء ما يعملون
اى بئس ما يعملونه وفيه معنى التعجب اى ما اسوء عملهم وهو المعاندة والتحريف للحق
والاعراض عنه والافراط في العداوة يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك جميع
ما انزل اليك غير مراقب حدا ولا خائف مكروها وان لم تفعل وان لم تبلغ جميعه كما امرت
فما بلغت رسالته فما اديت شيئا منها لان كتمان بعضها يضيع ما ادى منها كترك بعض
اركان الصلاة فان غرض الدعوة ينتقض به وفكانك ما بلغت شيئا منها كقوله فكانما
قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب
وقرء نافع وابن عامر رسالاته بالجمع وكسر التاء والله يعصمك من الناس عدة وضمان من
الله بعصمته روحه من تعرض الاعادي وازاحة لمعاذير ان الله لا يهدي القوم الكافرين
لا يمكنهم مما يريدون بك وعن النبي صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالة فضقت بها
ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وعن انس
رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم
فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس وظاهر الاية يوجب تبليغ كل ما
انزل اليه ولعل المراد تبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه
فان من الاسرار الالهية ما يحرم افشاؤه قل يا اهل الكتاب لستم على شيء اى دين يعتد
به ويصح ان يسمى شيئا لانه باطل حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم
ومن اقامتها الايمان بمحمد والاذعان لحكمه فان الكتب الالهية باسرها امرت بالايمان لمن
صدقه والمعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة اصولها وما ينسخ من فروعها
وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم الكافرين
فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم

٢ وابو بكر

وفى المومنين منذ وحتى لك عنهم ان الذين امنوا والذين هادوا والصابيون والنصا
سبق تفسيره فى سورة البقرة والصابيون رفع على الابتدا وخبره محذوف والنية به
التاخير عما فى خبر ان والتقدير ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصا
كذلك كقوله ، فانى وقيار بها لغريب ، وقوله
، الا فاعلموا انا وانتم ، بغاة ما بقينا فى شقاق ،
وهو كاعتراض دل عليه على انه لما كان الصابيون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان
كلها يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان
يكون والنصارى معطوف عليه ومن امن خبرهما وخبر ان مقدر دل عليه ما بعده كقوله
، نحن بما عندنا وانت بما ، عندك راض والراى مختلف ،
ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف عليه قبله كان
الخبر خبر المبتدا وخبر ان معا ويجتمع عليه عاملان ولا على الضمير فى هادوا لعدم التاكيد
والفصل ولانه يوجب كون الصابيين هودا وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها فى موضع
الرفع بالابتداء وقيل الصابيون منصوب بالفتحة وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو
من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فى محل الرفع بالابتداء وخبره فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون والجملة خبر ان او خبر المبتدا كما مر والراجح محذوف اى من امن منهم والنصب
على البدل من اسم ان وما عطف عليه وقرئ والصابيين وهو الظاهر والصابيون بقلب
الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبا بابدال الهمزة الفا او من صبوت لانهم صبوا الى
اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا لقد اخذنا ميثاق بنى اسرائيل وارسلنا
اليهم ليذكرهم ويبينوا لهم من دينهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم مما يخالف
هواهم من الشرايع ومشاق التكاليف فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب الشرط والجملة
صفة رسلا والراجح محذوف اى رسول منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو
استيناف وانما جى بيقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارا لها
واستفظاعا للقتل وتنبيها على ان ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على
رؤس الاى وحسبوا ان لا تكون فتنة اى وحسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وعذاب
بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائى ويعقوب لا تكون بالرفع
على ان ان هى المخففة من الثقيلة واصله انه لا تكون فخففت ان وحذف ضمير الشان
وادخال فعل الحسبان عليها وهى للتحقيق تنزيلا له منزلة العلم لتمكنه فى قلوبهم وان
او ان بما فى خبرها ساد مسد مفعوليه فعموا عن الدين او الدلائل والهدى وصموا عن
استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ثم تاب الله عليهم اى ثم تابوا فتاب الله عليهم
ثم عموا وصموا كثير اخرى وقرئ بالضم فى فيهما على ان الله عماهم وصمهم اى ردماهم
بالعمى والصمم وهو قليل وللغة الفاشية اعمى واصم كثير منهم بدل من الضمير او فاعل
والواو علامة الجمع لقولهم اكلونى البراغيث او خبر مبتدا محذوف اى العمى والصم كثير
منهم وقيل مبتدا والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر فى مثله ممتنع والله
بصير بما يعملون فيجازيهم وفقا عالهم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم
وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم اى انى عبد مربوب مثلكم فاعبدوا
خالقى وخالقكم انه من يشرك بالله فى عبادته وفيما يختص به من الصفات والافعال
فقد حرم الله عليه الجنة بمنع مدخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين

ری

بیٹون

۴ رسلا
۴

ومأواه النار فانهم معدة للمشركين وما للظالمين من انصار اى وما لهم من احد
ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن
طريق الحق ومحتمل ان يكون من تمام كلام عيسى وان يكون من كلام الله تنبيها على انهم قالوا
ذلك تعظيما لعيسى وتقربا اليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فاظنك بغيره
لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة اى احد ثلاثة وهو حكاية عما قال النسطورية
والملكائية منهم القائلون بالاقانيم الثلاثة وما سبق قول اليعقوبية القائلين
بالاتحاد وما من اله الا اله واحد وما فى الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث
انه مبدأ جميع الموجودات الا اله واحد موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشرك
ومن مزيدة للاستغراق وان لم ينتهوا عما يقولون ويوحدوا ليمسن الذين كفروا
منهم عذاب اليم اى ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر او ليمسن الذين كفروا من النصارى
وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها على ان العذاب على من دام على الكفر
ولم يقلع عنه ولذلك عقبه بقوله افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه الا يتوبون
بالانتهاء عن تلك العقائد الزائغة ويستغفرون لما بالتوحيد والتنزيه عن
الاتحاد والحلول عن بعد هذا التقرير والتهديد والله غفور رحيم يغفر لهم ويمنحهم
من فضله ان تابوا وفى هذا الاستفهام نوع من اصرارهم ما المسيح ابن مريم الا رسول
قد خلت من قبله الرسل اى ما هو الا رسول كالرسل قبله خصه الله بالايات كما خصهم بها
فان احيا الموتى على يده فقد احيا العصى وجعلها حية تسعى على يد موسى وهو اعجب
وان خلقه من غير اب فقد خلق ادم من غير اب وام وهو اغرب وامه صديقة كسائر النساء
اللاتى بلا زمن الصدق او يصدق الانبياء كانا يأكلان الطعام ويفتقران الى ما يقتدر
الحيوانات به ولا اقصى مالهما من الكمال ودل على انه لا يوجب لهما الالوهية لان كثيرا
من الناس يشاركهما فى مثله ثم بينه على وجه ابلغ فقصها وذكر ما ينافى الربوبية لهما مع
امثال هذه الادلة الظاهرة فقال انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر انى يؤفكون
كيف يصرفون عن اتباع الحق وتأمله وثم لتفاوت ما بين المعجبين اى ان بيانا للايات
عجب واعراضهم عنها اعجب قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعنى
عيسى وهو ان ملك ذلك اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلايا
والمصايب وما ينفع به من الصحة والسعة وانما قال لكم ما نظرا الى ما هو عليه فى ذاته توطئة
لنفى القدرة عنه رسما وتنبيها على انه من هذا الجنس ومن كان كذلك فحقيقة بقبل المحاسنة
والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما قدم الضر لان التحرز عنه اهم من تحرى النفع والله
هو السميع العليم بالاقوال والعقائد فيجازى عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر قل يا اهل
الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق اى غلوا باطلا فتفرطوا فى عيسى الى ان تدعوا له الالهية
او تضعفوا فتعموا انه غير رشيده وقيل الخطاب للنصارى خاصة ولا تتبعوا اهواء قوم
قد ضلوا من قبل يعنى اسلافهم واتباعهم الذين ضلوا قبل مبعث محمد عليه الصلاة والسلام
فى شريعتهم واضلوا كثيرا ممن شايعهم على بدعهم وضلالهم وضلوا عن سواء السبيل
عن قصد السبيل الذى هو الاسلام بعد مبعثه لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول
اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثانى اشارة الى ضلالهم عما جاءت به الشرع لعن
الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم اى لعنهم الله فى الزبور
والانجيل على لسانهم وقيل اهل ايلة لما اعتدوا فى السبت لعنهم داود فمسخهم الله قردة

واصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة الاف
رجل ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اى ذلك اللعن الشنيع المقتضى للمسخ بسبب
عصيانهم واعتدائهم ماحرم عليهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ولا ينهى بعضهم
بعضا عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر اراد وا فعله وتهيؤا
له او ينهون عنه من قولهم تناهى عن الامور وانتهى عنه اذا امتنع لبئس ما كانوا
يفعلون تعجيب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم ترى كثيرا منهم من اهل الكتاب يتولون
الذين كفروا يوالون المشركين بغضا لرسول الله عليه الصلاة والسلام والمؤمنين
لبئس ما قدمت لهم انفسهم اى لبئس شيئا قدموه ليردوا عليه يوم القيمة ان سخط الله
عليهم وفى العذاب هم خالدون هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود
فى العذاب وعلة الذم والمخصوص محذوف اى لبئس شيئا لانه كسبهم السخط والخلود
ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى يعنى نبيهم وان كانت الاية فى المنافقين فالمراد نبينا
وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء اذ الايمان يمنع ذلك ولكن كثيرا منهم فاسقون
خارجون عن دينهم او متمردون فى نفاقهم لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا
اليهود والذين اشركوا لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم فى اتباع الهوى
وتركونهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم
ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى للين جانبهم ورقة
قلوبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل والنية اشار بقوله ذلك
بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون
ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض
عن الشهوات محمود وان كانت فى كافر واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم
تفيض من الدمع عطف على يستكبرون وموبيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم
الى قبول الحق وعدم تاءبهم عنه والفيض نصاب عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء
للمبالغة واجعلت عينهم من فرط البكاء كانها تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من الاولى
للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا او للتبعيض فانه بعض الحق والمعنى انهم
عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوه كله يقولون ربنا امنا بذلك او بمحمد
فاكتبنا مع الشاهدين من الذين شهدوا بانه حق او بنبوته ومن امته الذين
هم شهداء على الامم يوم القيمة وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع
ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين استفهام انكار واستبعاد لانتفاء الايمان
مع قيام الداعى وهو الطمع فى الانخراط مع الصالحين والدخول معهم اخلهم او جواب سائل
قال لم امنتم ولا نؤمن حال من الضمير والعامل ما فى اللام من معنى الفعل اى اى شىء
حصل لنا غير مؤمنين بالله اى بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين او بكتابه ورسوله
فان الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكر توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن
او حبر محذوف والواو للحال اى ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى مقيدا بها او نؤمن
فاثابهم الله بما قالوا عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اى معتقده جنات تجرى
من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين الذين احسنوا النظر والعمل او الذين
اعتادوا الاحسان فى الامور والايات الاربع نزلت فى النجاشى واصحابه بعث اليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقراه ثم دعا جعفر بن ابى طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان

والقسيسين فامر جعفر ان يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وامنوا بالقرآن وقيل
نزلت في ثلاثين وسبعين رجلا من قومه وقد وا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم
سورة يس فبكوا واسلموا والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف التكذيب
بايات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض
المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات
ما احل الله لكم اى ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم
وحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهى عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حد
الله بجعل الحلال حراما فقال ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ويجوز ان
يراد ولا تعتدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم فتكون الاية نافية عن تحريم ما احل
وتحليل ما حرم داعية الى القصد بينهما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيمة
لاصحابه يوما وبالغ في انذارهم فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا
على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ويعتزلوا
النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم انى لم اؤمر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا
فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم
واتى النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اى كلوا
ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا مفعول كلوا ومما حال منه تقدمت عليه
لانه نكرة ويجوز ان تكون من ابتدائية متعلقة بكلوا ويجوز ان تكون مفعولا وحلالا
حالا من الموصول او العائد المحذوف او صفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه يقع الرزق
على الحرام لم يكن لذكر الحلال فايدة زايدة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم
الله باللغو في ايمانكم هو ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلى والله
واليه ذهب الشافعي وقيل الحلف على ما يظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة
وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر وحالته ولكن يؤاخذكم بما عقدتم
الايمان بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية بمعنى والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم
الايمان اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرأ حمزة والكسائي وابن عياش
عقدتم بالتخفيف وابن عامر برواية ابن ذكوان عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل
فكفارته فكفارة نكثه اى الفعلة التي تذهب اثمه وتسترة واستدل بظاهره على جواز
التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله عليه الصلاة والسلام من حلف
على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليات الذي هو خير اطعام عشرة
مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم من اقتصد في النوع او القدر وهو مد لكل مسكين
عندنا ونصف صاع عند الحنفية ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان
تطعموا عشرة مساكين طعاما من اوسط ما تطعمون والرفع على البدل من اطعام واهلون
كارضون وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الاحوال الثلاث كالالف وهو
جمع اهل كالليالي في جمع ليل والاراضي في جمع ارض وقيل جمع اهلاه او كسوتهم عطف على
اطعام او من اوسط ان جعل بدلا وهو ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص او رداء او
ازار وقرئ بضم الكاف وهي لغة كقدوة في قدوة وكاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون
اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف في محل الرفع

٢ لولم
ع

وتقديره

وتقديره اوطعامهم كاسوتهم او تحرير رقبة او اعتاق انسان وشرط الشافعي فيه الايمان
قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال الثلاث مطلقا وتخيير المكلف
في التعيين فمن لم يجد اى واحدا منها فصيام ثلاثة ايام فكارته صيام ثلاثة ايام وشرط
ابو حنيفة فيه التتابع لانه قرئ ثلاثة ايام متتابعات والشواذ لبيس بحجة عندنا اذلم تثبت
كتابا ولم تر وسنة ذلك اى المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم اى اذا حلفتم وحنثتم واحفظوا
ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر او بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت فيها
خير او بان تكفروها اذا حنثتم كذلك يبين الله اى مثل ذلك البيان يبين لكم آياته اعلام
شرائعه لعلكم تشكرون نعمة التعليم او نعمة الواجب شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل
لكم المخرج منه يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب اى الانصاب التي نصبت
للعبادة والازلام سبق تفسيرهن في اول السورة رجس قذر تعاف عنه العقول وافراده
لانه خبر للخمر وخبر للمعطوفات محذوف ومضاف محذوف كانه قال انما تعاطي الخمر
والميسر من عمل الشيطان لانه مسبب من تسويله وتزيينه فاجتنبوه الضمير للرجس
او لما ذكر والتعاطي لعلكم تفلحون لكي تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم انه تعالى كذا
تحريم الخمر والميسر في هذه الاية بان صدر الجملة بانما وقرنها بالانصاب والازلام وسماها
رجسا وجعلها من عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بها شر محض او غالب وامر بالاجتناب
عن عينها وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين ما فيها من المفاسد الدنيوية
والدينية المقتضية للتحريم فقال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة
والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة وانما خصهما باعادة
الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها على انهما المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام
للدلالة على انهما منضمان في الحرمة والشرارة لقوله عليه الصلاة والسلام شارب الخمر كعابد الوثن
وخص الصلاة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان
من حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام
مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف فقال فهل انتم منتهون ايذانا بان المنع والتحذير
بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت واطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما امر به وحذروا
عما نهيا عنه ومخالفتهما فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين اى فاعلموا
انكم لم تضروا الرسول بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم به انفسكم
ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما لم يحرم عليهم اذا ما اتقوا
وامنوا وعملوا الصالحات اى اتقوا المحرم وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة ثم اتقوا
ما حرم عليهم بعد كالخمر وامنوا بتحريمه ثم اتقوا ثم استمروا وثبتوا على اتقاء المعاصي
واحسنوا وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روى انه لما نزل تحريم الخمر قال اصحابه
يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فنزلت ويحتمل
ان يكون هذا التكرير باعتبار الاوقات الثلاثة وباعتبار الحالات الثلاث استعمل
الاتقاء الاول في التوقي عن المحرم والثاني في التحرز عن العقاب والثالث في التحري للخير
بدل الايمان باحسان في الكرة الثالثة اشارة الى ما قال عليه الصلاة والسلام في تفسيره
او باعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك
المحرمات لتوقيا من العقاب والمشبهات تحرزا عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات
تحفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة والله يحب المحسنين فلا يؤاخذهم

بشئ وفيه ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا يا ايها الذين
امنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله ايديكم ورماحكم نزلت عام الحديبية ابتلاهم
الله بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا بايديهم
وطعنا برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير في شئ للتنبيه على انه ليس من
العظائم التي تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل النفس والاموال فمن لم يثبت عند كيف
يثبت عندما هو اشد منه ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز الخائف من عقابه وهو
غايب منتظر لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم واراد وقوع
المعلوم وظهوره او تعلق العلم بمن اعتدى بعد ذلك بالابتلاء بالصيد فله عذاب اليم
فالوعيد لاحق به فان من لا يهلك جاشه في مثل ذلك ولم يراع حكم الله قينه فكيف به فيما
يكون النفس اميل اليه واحرص عليه يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم
اي محرمون جمع حرام كرداح ورداح ولعله ذكي القتل دون الذبح والذكاة للتعميم
واراد بالصيد ما يوكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام
خمس يقتلن في الحل والحرم الحداة والغراب والعقرب والفارة والكلب العقور وفي
رواية اخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل كل مؤذ واختلف
في ان هذا النهي يلغي حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثني او لى
فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب ومن قتله منكم متعمدا ذاكرا لاحرامه
عالما بانه حرام عليه قبل ما يقتله والاكثر على ان ذكر للتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف
العامد والمخطي واحد في ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولان الاية
نزلت فيمن تعمد روى انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه ابو اليسر في ورحه
فقتله فنزلت فجزاء مثل ما قتل من النعم برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيون ويعقوب
بمعنى فعليه او فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل
بينهما بالصفة فان متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم بها وانما يكون صفته
وقراء الباقون على اضافة المصدر الى المفعول والقيام مثل كما في قولهم مثل لا يقول كذا
والمعنى فعليه اي يجزي جزاء يماثل ما قتل او فجزاه مثل ما قتل او فجزاء مثل ما قتل *
وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي والقيمة عند ابي حنيفة
فقال يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت ثمن هدي تخير بين ان يهدي ما قيمته قيمته
وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره وبين
ان يصوم عن كل مسكين يوما وان لم تبلغ تخير بين الاطعام والصوم واللفظ الاول اوفق
يحكم به ذوا عدل منكم صفة جزاء ويحتمل ان يكون حالا صفة من ضميره في جزاه او منه
اذا اضفته او وصفته ورفعته بجعني مقدد لمن في قوله ومن قتله وكما ان التقويم يحتاج
الى نظر واجتهاد يحتاج المماثلة والخلقة ايضا فان الانواع يتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل
على ارادة الجنس او الامام هديا حال من الهاء في به او من جزاء وان نون لتخصيص
الصفة او بدل عن مثل باعتبار محله او لفظه فمن نصبه بالغ الكعبة وصف به هديا
لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به وقال ابو حنيفة
يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء او كفارة عطف على جزاء ان رفعته وان نصبته فخبر
محذوف طعام مساكين عطف بيان او بدل منه او خبر محذوف اي هي طعام وقراء نافع
وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى عند الشافعي او ان

يكفر

يكفر باطعام مساكين ما يساوى قيمة الهدى من غالب قوت البلد فيعطى كل مسكين مدا
او عدل ذلك صياما او ما ساواه من الصوم فيصوم عن كل طعام كل مسكين يوما
وهو فى الاصل مصدر اطلق للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ما عدل بالشئ فى المقدار
كعدل الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز بالعدل ليذوق وبال امره متعلق
بالمحذوف اى فعلنه الجزاء او الطعام او الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبة هتكه
لحرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امر الله واصل الوبال الثقل ومنه الطعام الوبيل
عفى الله عما سلف من قتل الصيد محرما فى الجاهلية او قبل التحريم او فى هذه المرة ومن عاد
الى مثل هذا فينتقم الله منه فيوجب عليه ما يمنع الكفارة على العائد
كما حكى عن ابن عباس وشريح والله عزيز ذو انتقام ممن اصر على عصيانه احل لكم صيد
البحر ما صيد منه مما لا يعيش الا فى الماء وهو حلال كله لقوله عليه الصلاة والسلام فى البحر
هو الطهور ماؤه الحل ميتته وقال ابو حنيفة لا يحل منه الا السمك وقيل يحل ما يؤكل
نظيره فى البر وطعامه ما قذفه ونضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه اكله متاعا لكم
تمتيعا لكم ونصب على المفعول له والسيارة اى ولسياراتكم يتزودونه قديدا وحرم عليكم
صيد البر اى ما صيد فيه او الصيد فيه فعلى الاول يحرم على المحرم ايضا ما صاده الحلال
وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله عليه الصلاة والسلام لحم الصيد حلال لكم
ما لم تصطادوه او يصد لكم ما دمتم حرما اى محرمين وقرئ بكسر الدال من دوام يدوم
واتقوا الله الذى اليه تحشرون جعل الله الكعبة صيرها وانما سمى البيت كعبة لتكعبه
البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح او المفعول الثانى قياما للناس انتعاشا
لهم اى سبب انتعاشهم فى امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويامن فيه الضعيف
ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار او ما يقوم به امر دينهم ودنياهم وقرأ
ابن عامر قيما على انه مصدر كالشبع اعل عينه كما اعل فى فعله ونصبه على المصدر والحال
والشهر الحرام والهدى والقلائد سبق تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذى يؤدى فيه
الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرنائه وقيل الجنس ذلك اشارة الى الجعل او الى ما ذكر
من الامر بحفظ حرمة الحرم وغيره لتعلموا ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض
فاشرع الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها ولعلم حكمة الشارع
وكمال علمه وان الله بكل شئ عليم لتعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق اعلموا ان الله
شديد العقاب وان الله غفور رحيم وعيد ووعد لمن انتهك محارمه ولمن حافظ عليها
او لمن اصر عليه ولمن اقلع عنه ما على الرسول الا البلاغ تشديد فى ايجاب القيام بما امر به
الرسول بما امر به من التبليغ ولم يتوكل عند فى التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون
من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة قل لا يستوى الخبيث والطيب حكم عام فى نفى المساواة
عند الله بين الردى من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها رغب به فى صلح العمل
وحلال المال ولو اعجبك كثرة الخبيث فان العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة
فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال فاتقوا الله
يا اولى الالباب اى فاتقوه فى تحرى الخبيث وان كثر واثروا الطيب وان قل لعلكم
تفلحون راجين ان تبلغوا الفلاح روى انها نزلت فى حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان
يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشياء
ان تبد لكم تسؤكم وان تسالوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم الشرطية وما عطف

عليها صفتان لاشياء والمعنى لاتسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء ان تظهر لكم تسؤكم
وان تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم وهما مقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو ان
ما يهمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه واشياء اسم جمع كطرفاء غير انه قلبت لامه فجعلت قبل
او قبل افعلاء حذفت لامه جمع لشيء على ان اصله شيئ كهين او شيء كصديق فخفف وقيل
افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده جمع صرفه عفى الله عنها صفة اخرى اي
عن اشياء عفى الله عنها ولم يكلف بها اذ روي انه لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال
سراقة بن مالك اكل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اعاد ثلثا فقال
لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فنزلت واستيناف
اي عفى الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم بعقوبة ما فرط
منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس رضي الله عنه انه عليه الصلاة والسلام كان يخطب ذات
يوم غضبان من كثرة ما يسئلونه عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسئل عن شيء الا اجبت فقال رجل
اين انا فقال في النار وقال اخر من ابي فقال حذافة وكان يدعى لغير قد سالها قوم
الضمير للمسألة التي دل عليها تسألوا ولذلك لم يعد بعن او لاشياء بحذف الجار من قبلكم
متعلق بسألها وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة لجثة ولا حالا منها ولا
خبرا عنها ثم اصبحوا بها كافرين اي بسببها حيث لم يأتمروا بما سألوا بجحود ما جعل الله
من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ردا وانكارا لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انه
اذا انتجت الناقة خمسة ابطن اخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب
ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع
بها واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا هو لآلهتهم وان ولدتهما وصلت
الانثى اخاها فلا يذبح لها الذكر واذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم
يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد ظهره وسموه الحامي ما جعل ما شرع ووضع ولذلك تعدى
الى مفعول واحد وهو البحيرة ومن مزيدة ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب
بتحريم ذلك ونسبته اليه واكثرهم لا يعقلون اي الحلال من الحرام والمبيح من
المحرم والامر ولكنهم يقلدون كبارهم وفيهم ان منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن
يمنعهم حب الرياسة وتقليد الاباء ان يعترفوا به واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل
الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا بيان لقصور عقلهم وانهماكهم
في التقليد وان لا سند لهم سواه اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون
الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه الحالة اي حسبهم ما وجدوا
عليه اباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى ان الاقتداء انما يصح بمن علم انه عالم
مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة فلا يكفي التقليد يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم
اي احفظوها والزموا صلاحها والجار والمجرور جعل اسما للزموا ولذلك نصبت انفسكم
وقرئ بالرفع على الابتداء لا يضركم من ضل اذا اهتديتم لا يضركم الضلال
اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عليه الصلوة
من رأى منكم منكرا واستطاع ان يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه
فان لم يستطع فبقلبه والاية نزلت لما كانت المؤمنون متحسرون على الكفرة ويتمنون
ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت بابك فنزلت لا يضركم يحتمل الرفع
على انه مستانف ويؤيده ان قرئ لا يضيركم والجزم على الجواب والنهي لكنه اضمت الراء

اتباعا

انتاعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الواء المدغمة وينصره قراءة من قرأ لا يضركم
بالفتح ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضارّ يضير ويضوره الى الله مرجعكم جميعا
فيبئكم بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بذنب
غيره يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اى فيما امرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد
او الوصية واضافتها الى الظرف على الاتساع وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ايقم اذا
حضر احدكم الموت اذا شارف وظهرت امارته وهو ظرف للشهادة حين الوصية بدل
منه وفى ابداله تنبيه على ان الوصية مما ينبغى ان لا يتهاون فيها وظرف حضر اثنان فاعل
شهادة ويجوز ان يكون خبرها على حذف المضاف تقديره شهادة اثنين حذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه ذوا عدل منكم من اقاربكم او من المسلمين وهما صفتان لاثنان
او اخران من غيركم عطف على اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة جعله منسوخا فان شهادتهم
على المسلم لا تسمع اجماعا ان انتم ضربتم فى الارض اى سافرتم فيها فاصابتكم مصيبة
الموت اى قاربتم الاجل تحبسونهما تقفونهما وتصيّرونهما صفة لاخران والشرط اجزاءه
المحذوف والمدلول عليه بقوله او اخران من غيركم اعتراض فايدته الدلالة على انه ينبغى
ان يشهد اثنان منكم فان تعذر كما فى السفر فمن غيركم او استيناف كانه قيل كيف نعمل
ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما من بعد الصلاة صلاة العصر لانه وقت
اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل اى صلاة فيقسمان بالله ان
ارتبتم اى ارتاب الورثة منكم لا نشترى به ثمنا مقسم عليه وان ارتبتم اختصاص
يفيد القسم بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل بالقسم او بالله عرضا من الدنيا اى لا نحلف
بالله كاذبا ولو كان ذا قربى ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه ايضا محذوف
اى لا نشترى ولا نكتم شهادة الله اى الشهادة التى امرنا باقامتها وعن الشعبى انه وقف على
شهادة ثم ابتدأ الله بالمدّ على حذف حرف القسم وعوض حرف الاستفهام منه وروى
عنه بغيره كقولهم الله لافعلنّ انا اذا لمن الاثمين اى ان كتمنا وقرئ لملاثمين بحذف
الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها فان عثر فاطلع على انهما استحقا اثما
اى فعلما ما اوجب اثمهما كالتحريف فاخران فشاهدان اخران يقومان مقامهما من الذين
استحق عليهم من الذين جنى عليهم وهم الورثة وقرأ حفص استحق على البناء للفاعل وهو
الاولیان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر محذوف اى هما الاوليان وخبر
اخران او مبتدأ خبره اخران او بدل منهما او من الضمير فى يقومان وقرأ حمزة ويعقوب
وابو بكر عن عاصم الاولين على انه صفة للذين او بدل منه اى من الذين استحق عليهم وقرئ
الاولين على التثنية وانتصابه على المدح والاولان واعرابه اعراب الاوليان فيقسمان بالله
لشهادتنا احق من شهادتهما اصدق منها واولى بان تقبل وما اعتدينا وما تجاوزنا
فيها الحق انا اذا لمن الظالمين الواضعين الباطل موضع الحق او الظالمين انفسهم ان
اعتدينا ومعنى الايتين ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغى ان يشهد عدلين من ذوى
نسبه او دينه على وصيته او يوصى اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان فى سفر فاخران
من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتياب اقتسما على صدق ما يقولان بالتغليظ فى الوقت فان
اطلع على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف اخران من اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان
شاهدين فانه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه يمين الوارث وثابت ان كانا وصيين
ورد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين فان تصديق الموصى باليمين لامانته او لتغيير

ب الأولين
ج

الدعوى اذ روى ان تميما الدارى وعدى بن بزيد خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ
نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص رضى الله عنه وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض
بديل فدون ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به واوصى اليهما بان يدفعا
متاعه الى اهله فمات ففتشاه واخذا منه اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب
فغيباه فاصاب اهل الصحيفة وطالبوهما بالاناء فحلفا فتر افعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت يا ايها الذين امنوا الاية فحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العصر عند المنبر
وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء في ايديهما فاتاهم بنو اسهم فى ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن
لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان عثر
فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابى وداعة السهميان وحلفا واعلم تخصيص العدد بحصول
الموافقة ذلك اى الحكم الذى تقدم او تحليف الشاهد ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها
على نحو ما تحملوها من غير تحريف وخيانة فيها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم ان ترد
اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور خيانة واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير
لانه حكم يعم الشهود كلهم واتقوا الله واسمعوا ما تؤمرون به سمع اجابة والله لا يهدى
القوم الفاسقين اى فان لم تتقوا وتسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدى القوم
الفاسقين اى لا يهديهم الى الحجة او الطريق الجنة فقوله يوم يجمع الله الرسل ظرف
له وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال او مفعول واسمعوا على حذف المضاف
اى واسمعوا خبر يوم جمعهم او منصوب باضمار اذكر فيقول اى للرسل ماذا اجبتم اى اجابة
اجبتم على ان ماذا فى موضع المصدر او باى شئ اجبتم فحذف الجار وهذا السؤال للتوبيخ
قومهم كما ان سؤال الموءودة لتوبيخ الوائد ولذلك قالوا لا علم لنا اى لا علم لنا بما لست
تعلمه انك انت علام الغيوب فتعلم ما اجابونا واظهر لنا وبالم تعلم ما
اضمر وا فى قلوبهم وقيه التشكى منهم وردّ الامر الى علمه بما كابدوا منهم وقيل المعنى لا علم لنا
الجنب عملك او لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على
ان الكلام قد تم بقوله انت اى انك الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب على
الاختصاص والنداء وقرأ ابو بكر وحمزة الغيوب بكسر الغين حيث وقع اذ قال الله
يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك بدل من يوم يجمع وهو على طريقة نادى
اصحاب الجنة والمعنى انه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وتعديد ما اظهر
عليهم من الايات فكذبتهم طائفة وسموها سحرا وغلا آخر فاتخذوهم آلهة او نصب باضمار
اذكر اذ ايدتك قويتك وهو ظرف لنعمتى وحال منه وقرئ ايدتك بروح القدس
بجبريل عليه السلام او بالكلام الذى تحيى به الدين والنفس حيوة ابدية تظهر من الاثام وتؤيد
قوله تكلم الناس فى المهد وكهلا لما كانتا فى المهد وكمثله والمعنى تكلمهم فى الطفولية
والكهولة على سواء والمعنى الحاقه حاله فى الطفولية بحال الكهول فى كمال العقل والتكلم
وبه استدل على انه سينزل فانه رفع قبل ان يكهل واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة
والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى وتبرئ
الاكمه والابرص باذنى واذ تخرج الموتى باذنى سبق تفسير في سورة آل عمران
وقرأ نافع ويعقوب طائرا ويحتمل الافراد والجمع كالباقر واذ كففت بنى اسرائيل عنك
يعنى اليهود حين هموا بقتله اذ جئتهم بالبينات ظرف لكففت فقال الذين كفروا منهم
ان هذا الا سحر مبين ما هذا الذى جئت به الا سحر وقرأ حمزة والكسائى الا ساحر فالاشارة

الى

الى عيسى عليه افضل الصلاة والسلام واذ اوحيت الى الحواريين امرتهم على السنة رسلى ان
امنوا بى وبرسولى يجوز ان يكون ان مصدرية وان تكون مفسرة قالوا امنا واشهد
بانا مسلمون مخلصون اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم منصوب باذكر او ظرف
لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص مع قولهم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا
مائدة من السماء لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة على
ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه الاقدرة وقيل المعنى هل يطيع
ربك اى هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقرأ الكسائى تستطيع
ربك اى سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان الذى اذا كان
عليه الطعام من مادّ الماء يميد اذا تحرك او من ماده اذا اعطاه كانها تميد من تقدم
اليه ونظيره قولهم شجرة مطعمة قال اتقوا الله من مثل هذا السؤال ان كنتم مؤمنين
بكمال قدرته وصحة نبوتى او صدقتم فى ادعاء الايمان قالوا نريد ان ناكل منها تمهيد
وعذر وبيان لما دعاهم الى السؤال وهو ان يتمتعوا بالاكل منها ونطمئن قلوبنا بانضمام
علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته ونعلم ان قد صدقتنا فى ادعاء النبوة او ان
يجيب دعوتنا ونكون عليها من الشاهدين اذا استشهدتنا او من الشاهدين للعين
دون السامعين الخبر قال عيسى ابن مريم لما راى ان لهم غرضا صحيحا فى ذلك او انهم
لا يقلعون عنه واراد الزامهم الحجة بكمالها اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء
تكون لنا عيدا اى يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور والمائدة لذلك
سمى يوم العيد عيدا وقيل لم تكن على جواب الامر لانه لنا واخرنا بدل من لنا باعادة العامل
اى عيدا لمتقدمنا ومتاخرينا روى انها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى
عيدا وقيل ياكل منه اولنا واخرنا وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة والطايفة وآية
عطف على عيد منك صفتها اى اية كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتى
وارزقنا المائدة والشكر عليها وانت خير الرازقين خير من يرزق لانه خالق الرزق
ومعطيه بلا عوض قال الله انى منزلها عليكم اجابة الى سؤالكم وقراءة نافع وابن عامر منزلها
بالتشديد فمن يكفر بعد منكم فانى اعذبه عذابا اى تعذيبا ويجوز ان يكون مفعولا
به على لا اعذبه الضمير للمصدر او للعذاب ان اريد به ما يعذب به على حذف حرف
الجر احدا من العالمين اى عالمى زمانهم او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير
ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روى انها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون
اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام وقال اللهم اجعلنى من
الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام فتوضا وصلى وبكى
ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك
تسيل دسما عند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من انواع البقول ما خلا الكراث واذا
خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن
وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الاخرة قال
ليس منهما ولكنه اختراعه الله بقدرته كلوا ما سالتم واشكروا يمدكم الله ويزدكم
من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الاية اية اخرى فقال يا سمكة احيى باذن
الله فاضطربت ثم قال لها عودى كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا
بعدها فمسخوا وقيل كانت تاتيهم اربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والاغنياء

٢ ص ٤

٣ الوان ٤

والصغار والكبار يأكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينتظرون في ظلها ولم يأكل منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض طول عمره ابدا ثم اوحى الله الى عيسى ان اجعل مايدني في الفقر والمرض دون الماعنيا والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فنسخ منهم ثلاثة وثلثون رجلا وقيل لما وعدهم الله انزال هذه الشريطة اشفقوا وقالوا لا نريد فلم تنزل وعن مجاهد ان هذا مثل ضربه الله لمقترحي المعجزات وعن بعض الصوفية المائدة ههنا عبارة عن حقايق المعارف فانها غذاء للروح كما ان الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا في حقايق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال والحوافي فسأل لاجل اقتراحهم فبين الله تعالى ان انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له ما هو اعلى من مقامه لعله لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا

واذ قال الله يا عيسى ابن مريم انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله يريد توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة الهين او صلة اتخذوني ومعنى دون ما المغايرة فيكون فيه تنبيه على ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبد مع عبادته كانه عبدهما ولم يعبده او القصور فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق الهين العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل الى عبادة الله تعالى وكانه قيل اتخذوني وامي الهين متوصلين بنا الى الله قال سبحانك اي انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ما ينبغي لي ان اقوله قولا لا يحق لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك تعلم ما اخفيه في نفسي كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه ما قلت لهم الا ما امرتني به تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه ان اعبدوا الله ربي وربكم عطف بيان للضمير في به او بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع او خبر مضمر ومفعول له مثل هو او اعني ولا يجوز زيدا له ما امرتني به فان المصدر لا يكون مفعول القول ولا تكون ان مفسرة لان الامر مسند الى الله وهو لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم والقول لا يفسر بل الجملة تحكى بعده او ان يؤول القول بالامر فكما ومثل ما امرتهم الا مثل ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم اي رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان فلما توفيتني بالرفع الى السماء لقوله اني متوفيك ورافعك الي والتوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع قال الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها كنت انت الرقيب عليهم المراقب لاحوالهم فتمنع من اردت عصمته من القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الايات وانت على كل شيء شهيد مطلع عليه مراقب له ان تعذبهم فانهم عبادك اي ان تعذبهم فانهم لك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فلا عجز ولا استقباح فانك القادر القوي على الثواب والعقاب الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة بكل مجرم فان عادت

فعدل

فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك مقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته
ليمتنع التردد والتعليق بان قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقرا نافع
يوم بالنصب على انه ظرف لقال وجر هذا بحذف في او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا
الذي من كلام عيسى واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكنه بني على الفتح لاضافته الى الفعل
وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق الصدق في الدنيا فان النافع
ما كان حال التكلف لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم
ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم بيان النفع لله ملك السموات والارض وما في هن
وهو على كل شيء قدير تنبيه على كذب النصارى وفساد دعواهم في المسيح وامه
وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقال ما فيهن انباعا لهم غير اولي العقلاء في غاية
القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة العبودية والاهانة بهم وتنبيها على
المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق متناول للاجناس كلها فهو اولى بارادة العموم
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة اعطي من الاجر عشر
حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني في الدنيا والله اعلم

سورة الانعام مكية غير ست آيات وثلاث من قوله تعالى قل تعالوا وهي مائة وخمس وستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والارض اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق
له على هذه النعم الجسام احمد ولم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات
دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الاثار والحركات وقدمها
لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها وجعل الظلمات والنور انشاءها والفرق بين جعل
وخلق الذي له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير ولذلك عبر عن احداث النور
والظلمة بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية وجمع الظلمات لكثرة
اسبابها والاجرام الحاملة لها او ان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد
والضلال متعدد وتقديمها لتقدم الامكان عدم على الامكان الملكان ومن زعم ان الظلمة
عرض يضاد النور احتج بهذه الاية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى
لا يتعلق بالجعل ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عطف على قوله الحمد لله على ان الله حقيق
بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا بربهم يعدلون فيكفرون نعمته ويكونون
بربهم تنبيها على انه تعالى خلق هذه الاشياء سببا لاسبابا لتكوينهم وتعيشهم فحقه ان
يحمد عليها ولا يكفر او على قوله خلق على معنى يخلق ما لا يقدر عليه سواه ثم هم بعد ذلك به
ما لا يقدر عليه شيء منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على الاول متعلقة
بيعدلون بربهم الاوثان اي يسوونها به هو الذي خلقكم من طين اي ابتدا خلقكم منه فانه
المادة الاولى وان ادم الذي هو اصل البشر خلق منه او خلق اباء كم فحذف المضاف ثم
قضى اجلا اجل الموت واجلا مسمى عنده اجل القيمة وقيل الاول ما بين الخلق والموت
والثاني ما بين الموت والبعث فان الاجل كما يطلق لاخر المدة يطلق لجملتها وقيل الاول
الموت بالنوم والثاني الموت وقيل الاول لمن مضى والثاني لمن بقي ولمن ياتي واجل نكرة
خصصت بالصفة ولذلك استغني عن تقديم الخبر والاستئناف به لتعظيمه ولذلك نكرة
ووصف بانه مسمى اي مثبت معين لا يقبل التغيير واخبر عنه بانه عند الله لا مدخل فيه لغيره
فيه يعلم ولا قدرة ولا ارادة والمقصود بيانه ثم انتم تمترون استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت

معنى

انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى اجالهم فاى من قدر على جمع المواد وجمعها وابداع
الحيوة فيها وابقائها ما يشاء اكان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالاية الاولى
دليل التوحيد والثانية دليل البعث ولا مبنى الشك واصله المرى وهو استخراج
اللبن من الضرع وهو الله الضمير لله والجر فى السموت وفى الارض متعلق باسم الله
والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله او بقوله
يعلم سركم وجهركم والجملة خبر ثان او هى الخبر والله بدل ويكفى لصحة الظرفية كون المعلوم
فيهما كقولك رميت الصيد فى الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه وظرف مستقر وقع
خبرا بمعنى انه تعالى لكمال علمه بهما يعلمهما فيهما كائنة فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير
وتقرير له وليس متعلق المصدر لان صلته لا تتقدم ويعلم ما تكسبون من خير او شر فيثيب
عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من حوال الانفس وبالمكتسب اعمال
الجوارح وما تاتيهم من اية من ايات ربهم من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض
اى ما يظهر لهم دليل قط من الادلة او معجزة من المعجزات او اية من القرآن الا كانوا عنها
معرضين تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه فقد كذبوا بالحق لما جاءهم يعنى القرآن
وهو كالدليل على ما قبله كانه قيل انهم لما كانوا معرضين عن الايات كلها كذبوا لما جاءهم
او كالدليل عليه على معنى انهم لما اعرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو اعظم الايات فكيف
لا يعرضون عن غيره ولذلك رتب عليه بالفاء فسوف ياتيهم انبؤا ما كانوا به يستهزءون
اى سيظهر لهم ما كانوا به يستهزءون عند نزول العذاب بهم فى الدنيا او الاخرة او عند
ظهور الاسلام وارتفاع امره الم يروا كم اهلكنا قبلهم من قرن اى من اهل زمان والقرن
اغلب اعمار الناس وهو سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبى او فايق
فى العلم قلت المدة او كثرت واشتقاقه من قرنت مكناهم فى الارض جعلنا لهم فيها
مكانا وقررناهم فيها واعطيناهم من القوى والالات تمكنوا بها من انواع التصرف فيها
ما لم نمكن لكم ما لم نجعل لكم فى السعة وطول المقام يا اهل مكة او ما لم نعطكم من القوة والسعة
فى المال والاستظهار بالعدد والاسباب وارسلنا السماء عليهم اى المطر او السحاب سميت
او المظلة فان مبداء المطر منها مدرارا مغزارا وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم فعاشوا
فى الخصب والريف بين الانهار والثمار فاهلكناهم بذنوبهم اى لم يغن عنهم شيئا وانشانا
واحدثنا من بعدهم قرنا اخرين بدلا منهم والمعنى انه تعالى كما قدر ان يهلك من قبلكم
كعاد وثمود وينشئ مكانهم اخرين يعمرهم بلاده قدر ان يفعل ذلك بكم ولو نزلنا
عليك كتابا فى قرطاس مكتوبا فى ورق فلمسوه بايديهم نسبوه وتخصيص اللمس
لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار
حيث لا مانع وتقييده بالايدى لدفع التجوز فانه قد يتجوز فيه للفحص كقوله وانا
لمسنا السماء لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا وقالوا لولا انزل
عليه ملك هلا انزل معه ملك يكلمنا انه نبى كقوله لولا انزل عليه ملك فيكون معه
نذيرا ولو انزلنا ملكا لقضى الامر جواب لقولهم وبيان لما هو المانع مما اقترحوه
والخلل فيه والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق هلاكهم فان سنة
الله جرت بذلك فيمن قبلهم ثم لا ينظرون بعد نزوله لطرفة عين ولو جعلناه ملكا
لجعلناه رجلا ولبسنا عليهم ما يلبسون جواب ثان جعل الهاء للمطلوب وان جعل
للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة والمعنى

ولو جعلناه قرينا لك ملكا يعاينوه او الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبريل في
صورة دحية فان القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك في صورته وانما راهم كذلك
الا فراد من الانبياء بقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف اى فلو جعلناه رجلا
للبسنا اى لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وقرئ
لبسنا بلام وللبسنا بالتشديد للمبالغة ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم على ما يرى من قومه فحاق بهم بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون
فاحاط بهم الذى كانوا يستهزؤن به حيث اهلكوا لاجله او نزل بهم وبال استهزائهم
قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين كيف اهلكهم الله بعد ات
الاستيصال كى تعتبروا والفرق بينه وبين قوله قل سيروا في الارض فانظروا ان
السير ثمة لاجل النظر ولا كذلك ههنا ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة
وغيرها وايجاب النظر في اثارها للدين قل لمن ما في السموات والارض خلقا وملكا
وهو سؤال تبكيت قل لله تقرير لهم وتنبيه على ان المتعين للجواب بالاتفاق بحيث
لا يمكنهم ان يذكروا غيره كتب على نفسه الرحمة التزمها تفضلا واحسانا والمراد
بالرحمة ما تعم الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة
وانزال الكتب والامهال على الكفر ليجمعنكم الى يوم القيمة استيناف وقتم للوعيد على
اشراكهم واغفالهم النظر اى ليجمعنكم في القبور مبعوثين الى يوم القيمة فيجازيكم على
شركهم او في القيمة والى بمعنى في وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فان من رحمته
بعثه اياكم وانعامه عليكم لا ريب فيه في اليوم او الجمع الذين خسروا انفسهم بتضييع
راس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع الذين نصب على الذم او رفع
على الخبر اى وانتم الذين او على الابتداء والخبر فهم لا يؤمنون والفاء للدلالة على
عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك
في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع عن الايمان وله عطف على
لله ما سكن في الليل والنهار من السكنى وتعديته بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن
الذين ظلموا انفسهم والمعنى على ما اشتملا عليه او من السكون اى ما سكن فيهما او تحرك
فاكتفى باحد الضدين عن الاخر وهو السميع لكل مسموع العليم بكل معلوم فلا يخفى
عليه شيء ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم قل اغير الله اتخذ وليا
انكار لاتخاذ غير الله وليا لاتخاذ الولي قبل ذلك قدم واولى الهمزة والمراد بالولي
المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك فاطر السموات والارض مبدعهما وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بير فقال احدهما انا
فطرتها اى ابتدأتها وجر على الصفة لله فانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر وقرئ
بالرفع والنصب على المدح وهو يطعم ولا يطعم يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام
لشدة الحاجة اليه وقرئ ولا يطعم بفتح الياء والعكس الاقل على ان الضمير لغير الله والمعنى
انه المتفرد بالالهية لا شريك له ممن هو فاطر السموات والارض ما هو منزل عن رتبة الحيوانية وبناهما للفاعل
على ان الثاني من اطعم بمعنى استطعم او على انه لطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله يقبض
ويبسط قل اني امرت ان اكون اول من اسلم لان النبي سابق امته في الدين ولا تكونن
من المشركين وقيل له ولا تكونن من المشركين ويجوز عطفه على قل قل اني اخاف
ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم مبالغة اخرى في قطع اطماعهم والتعريض لهم بانهم

ون

عصاة مستوجبون العذاب والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجواب محذوف
دل عليه الجملة من يصرف عنه يومئذ اى يصرف العذاب عنه وقرأ حمزة والكسائى
ويعقوب وابو بكر عن عاصم يصرف على ان الضمير فيه لله وقد قرئ باظهاره والمفعول
محذوف او يومئذ بحذف المضاف فقد رحمه نجاه وانعم عليه وذلك الفوز المبين
اى الصرف والرحمة وان يمسسك الله بضر بلية كمرض وفقر فلا كاشف له فلا
قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير بنعمة كصحة وغنى فهو على كل شئ قدير
فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على دفعه لقوله فلا مرد لفضله
وهو القاهر فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم فى امره
وتدبير والخبير بالعباد وخفايا احوالهم قل اى شئ اكبر شهادة نزلت حين قال قريش
يا محمد لقد سئلنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة
فأرنا من يشهد انك رسول الله والشئ يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه
فى سورة البقرة قل الله اى الله اكبر شهادة ثم ابتدأ شهيد بينى وبينكم اى موحد
وحيث كان يكون الله شهيد هو الجواب لانه تعالى اذا كان الشهيد كان اكبر شئ شهادة
واوحى الى هذا القرآن لانذركم به اى بالقرآن واكتفى بذكر الانذار عن ذكر
البشارة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين اى لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه
من الاسود والاحمر ومن الثقلين او لانذركم ايها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيمة
وهو دليل على ان احكام القرآن تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وانه لا يجوز الاخذ
بها من لم يبلغه اءنكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى تقرير لهم مع انكار واستبعاد
قل لا اشهد بما تشهدون قل انما هو اله واحد اى قل اشهد ان لا اله الا هو وانني برئ
مما تشركون يعنى الاصنام الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه يعرفون رسول الله صلى
الله عليه وسلم بحليته المذكورة فى التوراة والانجيل كما يعرفون ابناءهم بحلاهم الذين
خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين فهم لا يؤمنون لتضييعهم ما به
يكتسب الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء
شفعاؤنا عند الله او كذب بآياته كان كذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا وانما
ذكر او وهم قد جمعوا بين الامرين تنبيها على ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط فى الظلم
على النفس انه الضمير للشان لا يفلح الظالمون فضلا عما لا احد اظلم منهم ويوم
نحشرهم جميعا منصوب بمضمر تهويلا للامر ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم
اى الهتكم التى جعلتموها شركاء لله وقرأ يعقوب يحشر ويقول بالياء الذين
كنتم تزعمون اى تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من السؤال استفهام
التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين شركائهم الهتهم حينئذ لتفقدوها فى الساعة
التى علقتم بها الرجاء فيما ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم فكأنهم
غيب عنهم ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا اى كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم
التى يتوهمون ان يتخلصوا بها من فتنت اذا خلصته وقيل جوابهم وانما
سماه فتنة لانه كذب او لانهم قصدوا به الخلاص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص
بالتاء وفتنتهم بالرفع على انها الاسم وحمزة والكسائى بالياء والنصب على ان الاسم ان
قالوا والتانيث للخبر كقولهم من كانت امك والباقون بالتاء والنصب والله ربنا
ما كنا مشركين يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بانه لا ينفع من فرط الحيرة والدهشة

كما يقولون ربنا اخرجنا منها وقد يقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين عند انفسنا
وهو لا يوافق قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم اى بنفى الشرك عنها وحمله على كذبهم فى الدنيا
لتعسف يخل بالنظم ويطرد ذلك قوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون
لكم وقرأ حمزة والكسائى ربنا بالنصب على النداء والمدح وضل عنهم ما كانوا يفترون
من الشركاء ومنهم من يستمع اليك حين تتلو القرآن والمراد ابو سفيان والوليد
والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل وامثالهم اجتمعوا فسمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقرأ فقالوا للنضر ما يقول فقال والذى جعلها بيته ما ادرى ما يقول الا انه يحرك لسانه
ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثكم وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية جمع كنان
وهو ما يستر الشئ ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وفى اذانهم وقرا يمنع من استماعه
وقدم من تحقيق ذلك فى اول البقرة وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها بفرط عنادهم
واستحكام التقليد فيهم حتى اذا جاؤك يجادلونك اى بلغ تكذيبهم الايات الى انهم
جاؤك يجادلونك وحتى هى التى تقع بعدها الجمل لا عملها والجملة اذا وحرابه وهو يقول
الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين فان جعل اصدق احاديث خرافات الاولين
غاية التكذيب ويجادلونك حال بجيئهم ويجوز ان تكون لجاءوك واذا جاؤك فى موضع
الجر ويجادلونك جواب ويقول تفسير له والاساطير الاباطيل جمع اسطور واسطار
واسطار جمع سطر واصله السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه اى ينهون الناس عن القرآن
او الرسول او الايمان به وينأون عنه بانفسهم او ينهون من التعرض لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وينأون عنه فلا يؤمنون به كابى طالب وان يهلكون وما يهلكون
بذلك الا انفسهم وما يشعرون ان ضررهم لا يتعداهم الى غيرهم ولو ترى اذ وقفوا على
النار جواب محذوف اى لو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها او يطلعون
عليها او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها لرأيت امرا شنيعا وفظيعا ووقفوا على البناء
للفاعل من وقف عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا ونكون من
المؤمنين استيئنافى كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم دعنى ولا اعود اى انا لا اعود
تركتنى او لم تتركنى او عطف على نرد او حال من الضمير فيه فيكونون فى حكم المتمنى وقولهم انهم
لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمنى من الوعد ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص على الجواب
باضمار ان بعد الواو واجراها مجرى الفاء وقرأ ابن عامر برفع الاول على العطف ونصب
الثانى على الجواب بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل الاضراب عن ارادة الايمان المفهوم
من التمنى والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم وقبايح اعمالهم فتمنوا ذلك صحرا
لا عزما على انهم لو ردوا لامنوا ولو ردوا الى الدنيا بعد الوقوف والظهور لعادوا لما نهوا
عنه من الكفر والمعاصى وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم وقالوا عطف على لعادوا
او على انهم لكاذبون او على نهوا واستيئناف بذكر ما قالوه فى الدنيا ان هى الا حوتنا الدنيا
الضمير للحياة وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم محازعن الحبس للسؤال
والتوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم واجزائه او عرفوه حتى التعريف قال اليس هذا
بالحق كانه جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب والاشارة
الى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب قالوا بلى وربنا اقرارا باليمين لانتفاء الامر غاية
الانتفاء قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او بدله قد خسر الذين
كذبوا بلقاء الله اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث حتى اذا جاءتهم

الساعة غاية للكذبوا لا لحسن لان حسرتهم لا غاية له بغتة فجاءة ونصبها على الحال او المصدر
فانها نوع من المجئ قالوا يا حسرتنا اى تعالى فهذا اوانك على ما فرطنا قصرنا فيها فى الحيوة
الدنيا اضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها او فى الساعة بمعنى فى شانها والايمان بها وهم
يحملون اوزارهم على ظهورهم تمثيل لاستحقاقهم اصار الاثام الاساء ما يزرون بئس شيئا
يزرونه وزرهم وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو اى وما اعمالها الا لعب ولهو يلهى الناس
ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم ان هى الا حيوتنا
الدنيا وللدار الاخرة خير للذين يتقون لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها وقوله
للذين يتقون تنبيه على ان ما ليس من اعمال المتقين لعب ولهو وقراء ابن عامر ولدار الاخرة
* افلا تعقلون اى الامر ين خير وقراء نافع وابن عامر ويعقوب وحفص بالتاء على خطاب
المخاطبين به او تغليب الحاضرين على الغائبين قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون معنى
قد زيادة الفعل وكثرته كما فى قوله ، ولكنه قد يهلك المال نائله ،
والهاء فى انه للشان وقرئ ليحزنك من احزن فانهم لا يكذبونك فى الحقيقة وقراء
نافع والكسائى لا يكذبونك من اكذبه اذا وجده كاذبا او نسبه الى الكذب ولكن
الظالمين بايات الله يجحدون ولكنهم يجحدون بايات الله ويكذبونها فوضع الظالمين
موضع الضمير للدلالة على انهم ظلموا بجحودهم او جحدوا لتفخيم الظلم والباء لتضمن الجحود
معنى التكذيب روى ان ابا جهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا الصادق وانما
نكذب ما جئت به فنزلت ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وفيه دليل على ان قوله تعالى لا يكذبونك ليس بنفى لتكذيبه مطلقا فصبروا على
ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا فيه ايماء بوعد النصر للصابرين ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده ومنه قوله ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين الايات ولقد جاءك من نبإ المرسلين اى من قصصهم
وما كابدوا من قومهم وان كان كبر عليك عظم وشق اعراضهم عنك وعن الايمان
بما جئت به فان استطعت ان تبتغى نفقا فى الارض وسلما فى السماء فتاتيهم بآية
منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع له آية او مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل منها
آية وفى الارض صفة لنفقا وفى السماء صفة لسلما ويجوز ان يكونا متعلقين بتبتغى
او حالين من المستكن وجواب الشرط الثانى محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الاول
والمقصود بيان علمه بحرصه المقصور البالغ على اسلام قومه ولو انه لو قدر ان ياتيهم
باية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم ولو شاء الله لجمعهم على
الهدى اى لو شاء الله جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان حتى يؤمنوا ولكن لم يتعلق به مشيئة
فلا تتهالك عليه والمعتزلة اولوا بانه لو شاء لجمعهم على الهدى بان ياتيهم باية ملجئة
ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين بالحرص على ما لا يكون والجزع
فى مواطن الصبر فان ذلك من دأب الجهلة انما يستجيب الذين يسمعون انما يجيب
الذين يسمعون بفهم وتامل كقوله اوالقى السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتى الذين
لا يتمعون والموتى يبعثهم الله فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان ثم اليه يرجعون للجزاء
وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه اى اية مما اقترحوا او اية اخرى سوى ما انزل من الايات
المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا قل ان الله قادر على ان ينزل اية مما اقترحوه واية
تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل اوابة ان جحدوها هلكوا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان

الله قادر على ان ينزل ما يستحلب عليهم البلاء وان لهم فيما انزل منذ وحنة عن غيرها وقراء ابن
كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد وما من دابة في الارض تدب على وجهها والطائر
وقرئ ولا طائر بالرفع على المحل بطير يحتاجه في الهوى وصفة قطعا لجواز السرعة ونحوها
الا امم امثالكم محفوظ احوالها مقدر ارزاقها واجالها والمقصود من ذكر الدلالة على كمال
قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر ان ينزل اية وجمع الامم
للحمل على المعنى ما فرطنا في الكتاب من شيء يعني اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجري في
العالم من جليل ودقيق لم يهمل فيه من حيوان ولا جماد والقرآن فانه قد دون فيه ما يحتاج
اليه من امر الدين مفصلا او مجملا ومن مزيدة وشيء في موضع المصدر لا المفعول به
فان فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدي بفي الى الكتاب وقرئ ما فرطنا بالتخفيف ثم الى ربهم
يحشرون يعني الامم كلها فينصف بعضها بعضا كما روي انه ياخذ للجماء من القرناء وعن ابن
عباس حشرها موتها والذين كذبوا بايتنا صم لا يسمعون مثل هذه الايات الدالة على
كمال ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعا يتاثر به نفوسهم وبكم لا ينطقون
بالحق في الظلمات جمع ثالث اي خابطون في ظلمات الكفر او في ظلمة الجهل وظلمة العناد
وظلمة التقليد ويجوز ان يكون حالا من المستكن في الخبر من يشاء الله يضلله من يشاء
الله اضلاله يضله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة ومن يشاء يجعله على صراط مستقيم
يلطف به الى الهدى ويحمله عليه قل ارايتكم استفهام وتعجيب والكاف حرف خطاب
لحقه الضمير للتاكيد لا محل له من الاعراب لانك تقول ارايتك زيدا ما شانه فلو جعلت
الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لتعديت الفعل الى ثلاثة مفاعيل والزم في الاية ان
يقال ارايتموكم بل الفعل معلق والمفعول محذوف تقديره ارايتكم الهتكم تنفعكم
او تدعونها وقراء نافع ارايتكم او رايت وافرايت وشبهه اذا قبل الراء همزة
بتسهيل الهمزة التي بعد الراء والكساءي يسقطها اصلا والباقون يحققونها وحمزة
اذا وقف وافق نافعا ان اتاكم عذاب الله كما اتى من قبلكم او اتتكم الساعة وهولها
ويدل عليه اغير الله تدعون وهو تبكيت لهم ان كنتم صادقين ان الاصنام الهة وجوابه
محذوف اي فادعوه بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم في مواضع وتقديم
المفعول لافادة التخصيص فيكشف ما تدعون اليه ما تدعونه الى كشفه ان شاء
ان يتفضل عليهم ولا يشاء في الاخرة وتنسون ما تشركون وتتركون الهتكم في ذلك
الوقت لما ركز في العقول على انه القادر على كشف الضر دون غيره او تنسونه
من شدة الامر وهوله ولقد ارسلنا الى امم من قبلك اي فكذبوا ومن مزيدة فاخذ
اي فكفروا وكذبوا المرسلين فاخذناهم بالباساء بالشدة والفقر والضراء
الضر والافات وهما صيغتا تانيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون يتذللون
لنا وينقلبون عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا معناه نفي تضرعهم في ذلك
الوقت مع قيام ما يدعوهم ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون
استدراك على المعنى وبيان للصارف لهم عن التضرع وانه لا مانع لهم الا قساوة قلوبهم
واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به من الباساء والضراء
ولم يتعظوا ففتحنا عليهم ابواب كل شيء من انواع النعم مرموزة عليهم بين حالتي
تولبتي الضراء والسراء امتحانا لهم بالشدة والرخاء والزاما للحجة وازاحة للعلة او مكرا
بهم لما روي انه عليه الصلاة والسلام قال اذا رايتم الرجل يعطى ما يحب وهو مقيم على
معاصي الله فانما هو استدراج ثم تلا فلما نسوا الخ وقرأ ابن عامر

ناهم

فتحنا بالتشديد في جميع القرآن ووافقه يعقوب فيما عدا هذا والذي في الأعراف
حتى إذا فرحوا أعجبوا بما أوتوا من النعم والمول على البطر والاشتغال بالنعمة عن المنعم
والقيام بحقه أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون متحسرون آيسون فقطع دابر القوم
الذين ظلموا أي آخرهم بحيث لم يبق أحد من دبر دبر وأدبر إذا تبعه والحمد لله رب
العالمين على هلاكهم فإن هلاك الكفرة والعصاة من حيث إنه تخليص لأهل الأرض
من شؤم عقايدهم وأعمالهم نعمة جليلة يحق أن يحمد عليها قل أرأيتم إن أخذ الله
سمعكم وأبصاركم أصمكم وأعماكم وختم على قلوبكم بأن يغطي عليها ما يزول به
عقلكم وفهمكم من إله غير الله يأتيكم به أي بذلك أو بما أخذ وختم عليه أو بأحد
هذه المذكورات انظر كيف نصرف الآيات نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية
وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير بأحوال المتقدمين
ثم هم يصدفون يعرضون عنها ولم لاستبعاد الإعراض بعد تعريف الآيات وتظهيرها
قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة من غير مقدمة أو جهرة بتقدمها أمارة تنذر
بحلوله وقيل ليلا ونهارا أو فرقا بغتة وجهرة هل يهلك ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب
إلا القوم الظالمون وإذ لك صح الاستثناء المفرغ منه وقرئ يهلك بفتح الياء وما نرسل
المرسلين إلا مبشرين المؤمنين بالجنة ومنذرين الكافرين بالنار ولم نرسلهم ليقترح
عليهم ويتلهى بهم فمن آمن وأصلح ما يجب إصلاحه على ما شرع لهم فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون بفوت الثواب والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب جعل العذاب
ماسا لهم كأنه الطالب الوصول إليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف بما كانوا به
يفسقون بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة قل لا أقول لكم عندي خزائن الله مقدوراته
أو خزائن رزقه ولا أعلم الغيب مما لم يوح إلي ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المنفي
ولا أقول لكم إني ملك أي من جنس الملائكة وأقدر على ما يقدرون عليه إن أتبع إلا ما يوحى
إلي تبرأ عن دعوى الألوهية والملكية وادعى النبوة التي هي من كمالات البشر رد الاستبعادهم
دعواه وجزمهم على فساد مدعاه قل هل يستوي الأعمى والبصير مثل للضال والمهتدي
أو الجاهل والعالم أو مدعي المستحيل كالألوهية والملكية ومدعي المستقيم كالنبوة أفلا
تتفكرون فتعتقدوا أو تميزوا بين دعاء الحق والباطل وتفعلوا إن اتباع الوحي مما
لا محيص عنه وأنذر به الضمير لما يوحى إلى الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم هم المؤمنون
المفرطون في العمل أو المجوزون للحشر مؤمنا كان أو كافرا مقرا به أو متردد افيه فإن
الإنذار يجدي فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته ليس لهم من دونه ولي ولا
شفيع في موضع الحال من يحشروا فإن الخوف هو الحشر على هذه الحالة لعلهم يتقون
لكي يتقوا ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي بعدما أمر بإنذار غير
المتقين ليتقوا أمر بإكرام المتقين وتقريبهم وأن لا يطردهم ترضية لقريش روي
أنهم قالوا لو طردت هؤلاء الأعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان
جلسنا إليك وحدثناك فقال ما أنا بطارد المؤمنين قالوا فاقهم عنا إذا جئنا قال نعم
وروي أن عمر رضي الله عنه قال لو فعلت حتى ننظر إلى ما ذا يصيرون فدعا بالصحيفة ليعلي
رضي الله عنه ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل صلاة الصبح والعصر
وقرأ ابن عامر بالغدوة ههنا والكهف يريدون وجهه حال من يدعون أي يدعونهم
مخلصين فيه قيد الدعاء بالإخلاص تنبيها على أنه ملاك الأمر وترتب النهي عليه اشعارا

بانه يقتضى اكرامهم ودنيا فى ابعادهم **ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من**
شيء اى ليس عليك حساب ايمانهم فلعل ايمانهم عند الله اعظم من ايمان من تطردهم لسوء الهم
طمعا فى ايمانهم لو امنوا وليس عليك اعتبار ايجاد بواطنهم والخلو صهم لما اتسموا بسيرة
المتقين وان كان لهم باطن غير مرضى كما ذكره المشركون وطعنوا فى دينهم فحسابهم عليهم لا يتعد
اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم اى من فقرهم
وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك ايمانهم
بحيث تطرد المؤمنين طمعا فيه **فتطردهم** فتبعدهم وهو جواب النفى **فتكون من الظالمين**
جواب النهى وجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبب وفيه نظر **وكذلك فتنا بعضهم ببعض**
ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس فى امور الدنيا فتنا اى ابتلينا بعضهم ببعض
فى امور الدنيا فقدمنا هؤلاء الضعفاء على اشراف قريش بالسبق الى الايمان **ليقولوا اهؤلاء**
من الله عليهم من بيننا اى هؤلاء انعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا
ونحن الاكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء وهو انكار لان يخص هؤلاء من بينهم باصابة
الحق والسبق الى الخير كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه واللام للعاقبة والتعليل على ان فتنا
متضمن معنى خذلنا **اليس الله باعلم بالشاكرين** بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه
وبمن لا يقع منه فيخذله **واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم**
على نفسه الرحمة الذين يؤمنون هم الذين يدعوهم وصفهم بالايمان وبالقرآن واتباع
الحق بعدما وصفهم بالايمان وبالقرآن بالمواظبة على العبادة وامره ان يبدأ بالتسليم ويبلغ
سلام الله اليهم ويبشرهم بسعة الله وفضله بعد النهى عن طردهم ايذانا بانهم الجامعون لفضيلة
العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغى ان يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله
بالسلامة فى الدنيا والرحمة فى الاخرة وقيل ان قوما جاؤا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا
انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت **انه من عمل منكم سوءا** استينافا
بتفسير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منها **بجهالة** فى موضع
الحال اى من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد لعمى فيما اشار اليه
او ملتبسا بفعل الجهالة فان ارتكاب ما يؤدى الى الضرر من افعال اهل السفه والجهل **ثم تاب**
من بعده بعد العمل او السوء **واصلح** بالتدارك والعزم على ان لا يعود اليه **فانه غفور رحيم**
فتحة من فتح الاول غير نافع على اضمار مبتدأ او خبرا فامره او فعله غفرانه **وكذلك** ومثل
ذلك التفصيل الواضح **نفصل الآيات** آيات القرآن او صفة المطيعين والمجرمين والمصرين منهم
والاوابين **ولتستبين سبيل المجرمين** قرأ نافع بالتاء ونصب السبيل على معنى والتستوضح
سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يخصه فصلنا هذا التفصيل وابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب
وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل
فانه يونث ويذكر ويجوز ان يعطف على علة مقدرة اى نفصل الآيات لتظهر الحق ولتستبين
قل انى نهيت صرفت وزجرت بما نصب لى من الادلة وانزل على من الآيات فى امر التوحيد
ان اعبد الذين تدعون من دون الله عن عبادة ما تعبدون من دون الله او ما تدعونه الهة
قل لا اتبع اهواءكم تاكيد لقطع اطماعهم واشار الى الموجب للنهى وعلة الامتناع عن
متابعتهم واستجهالهم وبيان لمبدأ ضلالهم وان مبناه على هوى وليس هدى وتنبيه
لمن تحرى الحق على ان يتبع الحجة ولا يقلد **قد ضللت اذا** اى ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت
وما انا من المهتدين اى فى شىء من الهدى حتى اكون من عدادهم وفيه تعريض بانهم كذلك

قل اني على بينة تنبيه على ما يجب اتباعه بعد ما بين ما لا يجوز اتباعه والبينة الدلالة الواضحة التي تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القرآن والوحي والحجج العقلية او ما يعمها من ربي من معرفته وان لا معبود سواه ويجوز ان يكون صفة لبينة وكذبتم به الضمير لربي اي كذبتم به حيث شركتم به غيره او للبينة باعتبار المعنى ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ان الحكم الا لله في تعجيل العذاب وتاخيره يقضي الحق اي القضاء الحق او يصنع الحق ويدل عليه قولهم قضى الذرع اذا صنعها وفيما يقضي من تعجيل وتاخير وأصل القضاء الفصل تماما لامر واصل الحكم المنع فكانه منع الباطل وقراء ابن كثير ونافع وعاصم يقص الحق من قص الاثر وقص الخبر وهو خير الفاصلين القاضين قل لو ان عندي اي في قدرتي وملكتي ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي ولقطع ما بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين في معنى استدراك كانه قال ولكن الامر الى الله وهو اعلم بمن ينبغي ان يؤخذ وبمن ينبغي ان يمهل منهم وعنده مفاتح الغيب خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن او ما يتوصل به الى المغيبات المحيط علمه بها لا يعلمها الا هو فيعلم اوقاتها وما في تعجيلها وتاخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها ويعلم ما في البر والبحر عطف للاخبار عن تعلق علمه بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات به وما تسقط من ورقة الا يعلمها مبالغة في احاطة علمه بالجزئيات ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس معطوفات على ورقة وقوله الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين علم الله وبدل الاشتمال ان اريد به اللوح وقرئ بالرفع للعطف على محل من ورقة للابتداء والخبر الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفي من الموت لما بينهما من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز فان اصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه حس الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على المعتاد ثم يبعثكم يوقظكم اطلق البعث ترشيحا للتوفي فيه في النهار ليقضى اجل مسمى ليبلغ المتيقظ اخر عمره المسمى له في الدنيا ثم اليه مرجعكم بالموت ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وقيل الاية خطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل وكاسيون للاثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور في شان ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الاثام بالنهار ليقضي الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحسنات ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان ازجر عن المعاصي وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المتطلعين عليه حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا ملك الموت واعوانه وقراء حمزة توفاه بالف مالة وهم لا يفرطون بالتواني والتاخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم بان يأتوا او ينقصان ثم ردوا الى الله الى حكمه وجزائه مولاهم الذي يتولى امرهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ لا لاحكم لغيره فيه وهو اسرع الحاسبين يحاسب الخلائق في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب قل

قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر من شدايدهما استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما
في الهول وابطال الابصار فيقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب اومن الخسف
في البر والغرق في البحر وقراء يعقوب ينجيكم بالتخفيف والمعنى واحد تدعونه تضرعا
وخفية معلنين ومسرين او اعلانا واسرارا وقراء ابو بكر هنا وفي الاعراف خفية بالكسر
لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول اى يقولون لئن انجيتنا وقرا
الكوفيون لئن انجانا لموافق قوله تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة قل الله ينجيكم منها
شدده الكوفيون وهشام وخففه الباقون ومن كل كرب غم سواها ثم انتم تشركون
تعودون الى الشرك والتوفون بالعهد وانما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها
على ان من اشرك في عبادة الله فكانه لم يعبده رأسا قل هو القادر على ان يبعث عليكم
عذابا من فوقكم كما فعل في قوم نوح ولوط واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم
كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم من تحت ارجلكم
سفلتكم وعبيدكم او يلبسكم يخلطكم شيعا فرقا متحزبين على اهواء شتى فينشب
القتال بينكم فرقا وكتيبة لكتيبة حتى اذا التبست نقضت لها يدي
ويذيق بعضكم باس بعض يقاتل بعضكم بعضا انظر كيف نصرف الايات بالوعد
والوعيد لعلهم يفقهون وكذب به قومك اى بالعذاب وبالقران وهو الحق
الواقع لا محالة او الصدق قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الى امركم فامنعكم
من التكذيب واجازيكم انما انا منذر والله الحفيظ لكل نبأ خبر يريد به العذاب
او الابعاد مستقر وقت استقراره وقوعه وسوف تعلمون عند وقوعه في الدنيا
او في الاخرة واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا في التكذيب والاستهزاء بها
والطعن فيها فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره اعاد
الضمير على معنى الايات والقران واما ينسينك الشيطان بان يشغلك بوسوسته
حتى تنسى النهي وقراء ابن عامر ينسينك بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان
تذكر مع القوم الظالمين اى معهم فوضع الظاهر موضع المضمر دلالة على انهم ظلموا
بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام وما على الذين يتقون
وما يلزم المتقين من قبايح اعمالهم واقوالهم الذين يجالسونهم من حسابهم من شيء مما
يحاسبون عليه ولكن ذكرى ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى وينعوهم عن الخوض وغيره
من القبايح ويظهر كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم
ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شيء لان من حسابهم ياباه والاعلى شيء لذلك ولان
من لا تزاد في الاثبات لعلهم يتقون يجتنبون ذلك حياء او كراهة لمساءتهم
ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم ولا ينثلم
بما يستهزؤن به روي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقران لم نستطع
ان نجلس في المسجد ونطوف فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا
اى بنوا امر دينهم على التشهي وتدينوا بما لا يعود بنفع عاجل واجل كعباد الصنم
وتحريم البحائر والسوائب واتخذوا دينهم الذي كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا
به او جعلوا عيدهم الذي جعل ميقات عبادتهم وزمان لهو ولعب والمعنى اعرض
عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم كقوله تعالى ذرني
ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا بآية السيف حمله على الامر بالكف عنهم وترك

التعرض لهم وغرتهم الحيوة الدنيا حتى انكروا البعث وذكر به اى بالقران ان تبسل نفس
بما كسبت مخافة ان تسلم الى الهلاكة وترهن بسوء عملها واصل الابسال والتبسيل المنع
ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من فرسته
وهذا يسأل عليك اى حرام ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع يدفع عنها العذاب وان
تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدى وههنا الغداء
وكل يصب على المصدر او يوخذ منها الفعل مسند الى منهما لا الى ضميره بخلاف قوله تعالى
ولا يوخذ منها عدل فانه المفدى به اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا اى اسلموا الى
العذاب بسبب اعمالهم القبيحة واعقابدهم الزائغة لهم شراب من حميم وعذاب اليم
بما كانوا يكفرون تاكيد وتفصيل لذلك والمعنى ما بين مغلا متحرجوف
بطونهم وتارة تشتعل بابدانهم بسبب كفرهم قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا
يضرنا ما لا يقدر على نفعنا وضرنا ونرد على اعقابنا ونرجع الى الشرك بعد اذ هدانا
الله فانقذنا منه ورزقنا الاسلام كالذى استهوته الشياطين كالذى اذهبت
به مردة الجن فى المهامة استفعال من هوى يهوى هويا اذا ذهب وقراء حمزة *
استهواه بالف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد اى مشبهين بالذى
استهوته او على المصدر اى ردا مثل رد الذى استهوته فى الارض حيران متحيرا
ضالا عن الطريق له اصحاب لهذا المستهوى رفقة يدعونه الى الهدى اى يهدونه الى
الطريق المستقيم وسماه هدى تسوية للمفعول بالمصدر ائتنا يقولون له ائتنا
قل ان هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال وامرنا لنسلم
لرب العالمين من جملة المقول عطف على ان هدى واللام لتعليل الامر اى امرنا بذلك
لنسلم وقيل هى بمعنى الباء وقيل زايدة وان اقيموا الصلوة واتقوه عطف على لنسلم
اى للاسلام واقامة الصلاة او على موقعه كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا وفى
ان عبد الرحمن بن ابى بكر دعا ابا الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر الرسول
بهذا القول اجابة عن الصديق تعظيما لشانه واظهارا للاتحاد الذى كان بينهما
وهو الذى اليه تحشرون يوم القيمة وهو الذى خلق السموت والارض بالحق قايما بالحق
ويوم يقول كن فيكون قوله الحق جملة اسمية قدم فيها الخبر اى قوله يقول لقولك القتال يوم
الجمعة والمعنى انه خالق السموت والارضين قوله الحق نافذ فى الكاينات وقيل يوم منصوب
بالعطف على السموت والهاء فى واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدا وخبر
وفاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله اى لقضاياه كن فيكون والمراد به حين يكون الاشياء
ويجدها اوحين يقوم القيمة فيكون لتكوين حشر الاموات واحياءها وله الملك يوم ينفخ
فى الصور كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اى هو عالم الغيب
والشهادة وهو الحكيم الخبير كالذى قبله للاية واذ قال ابراهيم لابيه ازر وهو عطف بيان
لابيه فى كتب التواريخ ان اسمه تارح فقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل العلم تارح
وازر وصف بمعناه الشيخ او المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمى حمل على موازنه او نعت
مشتق من الازر والوزر والاقرب انه علم عجمى علم فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبد
فلقب به لالتزوم عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل
مضمر يفسره ما بعده اى تعبد ازرا تتخذ اصناما الهة تفسير او تقرير اويد
عليه ان قرئ ازرا اتتخذ اصناما بفتح همزة ازر وكسرها وهو اسم صنم وقراء يعقوب بالضم على

النداء وهو يدل على انه علم انى اراك وقومك فى ضلال عن الحق مبين ظاهر الضلال وكذلك
نرى ابراهيم ومثل هذا التبصير نبصّره وهو حكاية حال ماضية وقرئ ترى بالتاء ورفع
الملكوت والمعنى معناه نبصره دلائل الربوبية ملكوت السموات والارض ربوبيتها
وملكها وقيل عجايبها وبدايعها والملكوت اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة وليكون من
الموقنين اى ليستدل وليكون وفعلنا ذلك فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى
تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابراهيم وكذلك نرى اعتراض فان اباه وقومه كانوا
يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق
النظر والاستدلال وجن عليه الليل ستر بظلامه والكوكب كان الزهرة والمشترى وقوله
هذا ربى على سبيل الوضع فان المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يبكته
عليه بالافساد او على وجه النظر والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته واول اوان بلوغه
فلما افل اى غاب قال لا احب الآفلين فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب
بالاستتار يقتضى الامكان والحدوث وينافى الالوهية فلما رأى القمر بازغا مبتدئا فى
الطلوع قال هذا ربى فلما افل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين استيجز
نفسه واستعان بربه فى درك الحق فانه لا يهتدى اليه الا بتوفيقه ارشاد القوم وتنبيه
لهم على ان القمر لتغير حاله لا يصلح للالوهية وان من اتخذه الها فهو ضال فلما رأى الشمس
بازغة قال هذا ربى ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التانيث
هذا اكبر كبّر استدلالا واستظهارا لشبهة الخصم فلما افلت قال يا قوم انى برئ مما
تشركون من الاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها بما يختص
به ثم لما تبرأ عنها توجه الى موجدها ومبدعها الذى دلت هذه الممكنات عليه وقال انى
وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وانما احتج بالافول
دون البزوغ مع انه انتقال لتعدد دلالته ولانه رأى الكوكب الذى يعبدونه فى وسط
السماء حين حال الاستدلال وحاجه قومه وخاصموه فى التوحيد قال اتحاجونى فى الله
وحدانيته وقرأ نافع وابن عامر بخلاف عن هشام بتخفيف النون وقد هدانى الى توحيده
ولا اخاف ما تشركون به اى لا اخاف معبوداتكم فى وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع الا
ان يشاء ربى شيئا ان يصيبنى بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه من آلهتهم وتهديدهم
لهم بعذاب الله وسع ربى كل شىء علما كانه علة الاستثناء اى احاط به علما فلا يبعد ان يكون
فى علمه ان يجيئ فى مكروه من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد
والقادر والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم ولا تتحلق به ضرّ ولا تخافون انكم اشركتم
بالله وهو حقيق بان يخاف منه لانه اشراك المصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز
بالقادر الضار النافع ما لم ينزل به عليكم سلطانا ما لم ينزل باشراكه كتابا ولم ينصب عليه
دليلا فاى الفريقين احق بالامن اى الموحدون والمشركون وانما لم يقل اينا انا ام انتم
احتراز امن تزكية نفسه ان كنتم تعلمون ما يحق ان يخاف منه الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون استيناف منه او من الله بالجواب عما استفهم عنه
والمراد بالظلم ههنا الشرك لما روى ان الاية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا اينا
لم يظلم نفسه فقال عليه الصلاة والسلام ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمان لابنه يا بنى
لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان يصدق بوجود الصانع الحكيم
ويخاطب بهذا التصديق الاشراك بالله به وقيل المعصية وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم

جز

ارشدناه اليها وعلمناه اياها على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك ومحذوفا ان جعل بدله
اى اتيناها ابراهيم حجتنا على قومه نرفع درجات من نشاء فى العلم والحكمة وقرأ الكوفيون
بالتنوين ان ربك حكيم فى رفعه وخفضه عليم بحال من يرفعه او استعداده له ووهبنا له
اسحق ويعقوب وكلا هدينا اى كلا منهما ونوحا هديناه من قبل من قبل ابراهيم هذه نعمة
على ابراهيم من حيث انه ابوه وشرف للذرية متعد الى الولد ومن ذريته الضمير لابراهيم
اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوط ليسا من ذرية ابراهيم فلو كان
لابراهيم اختص البيان بالمعدودين فى تلك الاية التى بعدها والمذكورون فى الاية
الثالثة عطف على نوح داود وسليمان وايوب ايوب بن امرص من اسباط عيصا بن اسحق
ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين وبجزى المحسنين جزاء مثل ما جزينا
ابراهيم برفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم وزكريا ويحيى وعيسى هو ابن مريم
وفى ذكر دليل على ان الذرية تتناول اولاد البنات والياس قيل هو ادريس جد نوح فيكون
البيان مخصوصا فى الاية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخى موسى كل من الصالحين
الكاملين فى الصلاح وهو الاتيان بما ينبغى والتحرز عما لا ينبغى واسمعيل واليسع بن اخطوب
وقرأ حمزة والكسائى واليسع وعلى القراءتين علم اعجمى ادخل عليه اللام كما ادخل على اليزيد
فى قوله رأيت اليزيد بن الوليد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله
ويونس هو يونس بن متى ولوطا هو ابن هرون بن اخى ابراهيم وكلا فضلنا على العلمين
بالنبوة وفيه دليل فضلهم على من عداهم من الخلق ومن اباءهم وذرياتهم واخوانهم عطف
على كلا او نوحا اى فضلنا كلا منهم اى هدينا هؤلاء وبعض اباءهم وذرياتهم واخوانهم فان
منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا واجتبيناهم عطف على فضلنا او هدينا وهديناهم الى
صراط مستقيم تكرير لبيان ما هدوا اليه ذلك هدى الله اشارة الى ما دانوا به يهدى به
من يشاء من عباده دليل على انه متفضل بالهداية ولو اشركوا اى لو اشرك هؤلاء الانبياء
مع فضلهم وعلو شانهم لحبط عنهم ما كانوا يعملون لكانوا لغيرهم فى حبوط اعمالهم بسقوط
ثوابها اولئك الذين اتيناهم الكتاب يريد به الجنس والحكم الحكمة او فصل الامر
على ما يقتضيه الحق والنبوة والرسالة فان يكفر بها هؤلاء اى بهذه الثلاثة هؤلاء
يعنى قريشا فقد وكلنا بها اى بمراعاتها قوما ليسوا بها بكافرين وهم الانبياء المذكورون
ومتابعوهم وقيل هم الانصار واصحاب النبى او كل من امن به والفرس وقيل الملائكة
اولئك الذين هدى الله يريد الانبياء المتقدم ذكرهم فبهداهم اقتده فاختص طريقهم
بالاقتداء والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد واصول الدين دون الفروع المختلف
فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التاسى بهم جميعا فليس فيه دليل على انه
عليه الصلاة والسلام متعبد بشرع من قبله والهاء فى اقتده للوقف ومن اثبتها فى الدرج
ساكنة كابن كثير ونافع وابى عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف ويحذف الهاء فى الوصل
خاصة حمزة والكسائى واشبعها ابن عامر فى رواية ابن ذكوان على انها كناية المصدر وكسر
الهاء بغير اشباع رواية هشام قل لا اسالكم عليه اى على التبليغ او القرآن اجرا جعلا من جهتكم
كما لم يسئل من قبلى من النبيين وهذا من جملة ما امر بالاقتداء بهم فيه ان هو اى التبليغ او القرآن
او الغرض الاذكرى للعالمين تذكير او عظة لهم وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق
معرفته فى الرحمة والانعام على العباد اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شىء حين انكروا الوحى
وبعثة الرسل وذلك من عظايم رحمته وجلايل نعمته او فى السخط على الكفار وشدة البطش

بهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال
القران بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا
وهدى للناس وقراءة الجمهور تجعلونه قراطيس تبدونها ويخفون كثيرا بالتاء وانما
قرأ ابن كثير وابو عمرو حملا لما قالوا وما قدروا وتضمين ذلك توبيخهم على سوء جهلهم
التوبة وذمهم على تحريفها بابداء بعض التحوه وكتبوه في ورقات متفرقة واخفاء بعض
لا يشتهونه روى ان مالك بن الضيف قال لما اغضبه الرسول بقوله انشدك بالذي
انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين قال نعم فان الله يبغض
الحبر السمين فانت الحبر السمين وقيل هم اليهود المشركون والزامهم بانزال التورية لانه
كان من المشهورات الذايعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا
اهدى منهم وعلمتم على لسان محمد عليه الصلاة والسلام ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم
زيادة على ما في التورية وبيانا لما التبس عليكم وعلى اباءكم الذين كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا القرآن
يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن امن من قريش قل الله
اي انزله الله او الله انزل امره بان يجيب عنهم اشعارا بان الجواب متعين لا يمكن غيره وتبهيتا
على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب ثم ذرهم في خوضهم في اباطيلهم فلا عليك بعد
التبليغ والزام الحجة يلعبون حال من هم الاول والظرف صلة ذرهم او يلعبون او حال من المفعول
او فاعل يلعبون او من هم الثاني والظرف متصل بالاول وهذا كتاب انزلناه مبارك
كثير الفايدة والنفع مصدق الذي بين يديه يعني التورية او الكتب التي قبله ولتنذر ام القرى
عطف على ما دل عليه مبارك اي كثير البركات ولتنذر او علة محذوف اي ولتنذر اهل القرى
انزلناه وانما سميت مكة بذلك لانها قبلة اهل القرى وحجهم ومجتمعهم واعظم القرى شانا
وقيل لان الارض دحيت من تحتها او لانها مكان اول بيت وضع للناس وقراء ابو بكر عن
عاصم لينذر بالياء اي لينذر الكتاب ومن حولها اهل الشرق والغرب والذين يؤمنون
بالاخرة يومنون به وهم على صلوتهم يحافظون فان من صدق بالاخرة خاف العاقبة
والزمه الخوف بحمله على النظر والتدبر حتى يومن بالنبي والكتاب والضمير يحتملهما ويحافظ
على الطاعة وتخصيص الصلاة لانها عماد الدين وعلم الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسي واختلف عليه احكاما كعمرو بن لحي وتابعيه
او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء كعبد الله بن سعد بن ابي السرح كان يكتب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ
قوله ثم انشاناه خلقا اخر قال عبد الله تبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل
خلق الانسان فقال عليه الصلاة والسلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال
لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال ومن
قال سانزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون
حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه اي ولو ترى الظالمين في غمرات الموت شدائده من
غمره الماء اذا غشيه والملايكة باسطوا ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضي المسلط
بالعذاب اخرجوا انفسكم اي يقولون لهم اخرجوها الينا من اجسادكم تغليظا عليهم
او اخرجوها من العذاب وخلصوها من ايدينا اليوم تريدون به وقت الاماتة او الوقت
الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون اي الهوان يريد العذاب
المتضمن لشدة واهانة واضافته الى الهوان لعراقته وتمكنه فيه بما كنتم تقولون على الله غير

الحق كادعاء الولد والشريك له ودعوى النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن اياته تستكبرون
فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون ولقد جئتمونا للحساب والجزاء فرادى منفردين عن الاموال
والاولاد وسائر ما اشركتموه في الدنيا او عن الاعوان والاوثان الذين زعمتم انها شفعاؤكم
وهو جمع فرد والالف للتانيث كسالى وقرئ فرادى كجال بالتنوين وفرادى كثلاث وفرد
كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل منه اى على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد وحالة
ثانية ان جوز التعدد فيها او حال من الضمير في فرادى اى مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة
عزلا لانهما او صفة مصدر جئتمونا اى مجيئا كخلقتكم وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به
عليكم في الدنيا فشغلتم عن الاخرة وراء ظهوركم ما قدمتموه شيئا ولم تحتملوا انفسكم وما
نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اى شركاء الله في ربوبيتكم واستحقاق
عبادتكم لقد تقطع بينكم اى تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد يستعمل للوصل
والفصل وقيل هو الظرف فاسند اليه الفعل على الاتساع والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد
له قراءة حمزة ونافع والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة ما قبله
عليه واقيم مقام موصوفه واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به كقول الشاعر

* فو الله لولا البين لم يكن الهوى * ولولا الهوى ما حن للبين الف *

وضل عنكم ضاع وبطل ما كنتم تزعمون انها شفعاء لكم او ان لا بعث ولا جزاء ان الله
فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وقيل المراد به الشق الذي في المشمش للخنطة والنواة
يخرج الحي يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله من الميت مما لا ينمو كالنطفة
والحب ومخرج الميت من الحي ومخرج ذلك من الحيوان والنبات ذكر بلفظ الاسم حملا على
فالق الحب فان قوله يخرج الحي واقع موقع البيان له ذلكم الله اى ذلكم المحيي المميت هو الذي
يحق له العبادة فانى تؤفكون تصرفون عنه الى غيره فالق الاصباح شاق عمود الصبح عن
ظلمة الليل او عن بياض النهار او شاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذي يليه والاصباح في
الاصل مصدر اصبح اذا دخل في الصبح سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ
فالقَ بالنصب على المدح وجاعل الليل سكنا يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن
اليه اذا اطمأن اليه استئنافا سابه او يسكن فيه من قوله لتسكنوا فيه ونصبه يفعل دل عليه جاعل
لانه في معنى الماضي ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان
فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به اوبه على ان المراد منه جعل مستمر في الازمنة المختلفة وعلى
هذا يجوز ان يكون والشمس والقمر عطفا على محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر والاحسن
نصبهما بجعل مقدر وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اى مجعولان حسبانا وعلى دورات
مختلفة تحسب بها الاوقات فيكونان على الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كالحسبان
بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان ذلك اشارة الى جعلها حسبانا
اى ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي قهرها وسيرها على الوجه المخصوص
العليم بتدبيرها والانفع من التداوير الممكنة لها وهو الذي جعل لكم النجوم خلقها لكم
لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة
او في مشبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهو افراد بعض منافعها بالذكر بعد
ما اجملها بقوله لكم لتهتدوا بها في ظلمات قد فصلنا الايات بيناها فصلا وفصلا لقوم
يعلمون فانهم المنتفعون وهو الذي انشأكم من نفس واحدة هو ادم عليه السلام فمستقر
ومستودع اى فلكم استقرار في الاصلاب وفوق الارض واستيداع في الارحام وتحت الارض

او موضع استقرار واستيداع وقراء ابن كثير والبصريان بكسر القاف على انه اسم فاعل
والمستودع اسم مفعول اى فمنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار هنا دون الاستيدا
قد فصلنا الايات لقوم يفقهون ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها ظاهر ومع
ذكر تخليق بنى ادم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة
دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر وهو الذى انزل من السماء ماء من السحاب
او من جانب السماء فاخرجنا على تلوين الخطاب به بالماء نبات كل شئ نبت كل صنف من
النبات والمعنى اظهار القدرة فى انبات الانواع المفتنة بماء واحد كما فى قوله يسقى بماء واحد
ونفضل بعضها على بعض فى الاكل فاخرجنا منه من النبات او الماء خضرا شيأ اخضر يقال
اخضر وخضر كاعور وعور وهو الخارج من الحبة المتشعب يخرج منه من الخضر حبا
متراكبا وهو السنبل ومن النخل من طلعها قنوان اى واخرجنا من النخل لان طلعها قنوان
ويجوز ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصلة من طلع النخل
قنوان وهو العذق جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان
وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع دانية قريبة من المتناول او ملتفة قريب
بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدلالتها عليها وزيادة النعمة فيها
وجنات من اعناب عطف على نبات كل شئ وقرئ بالرفع على الابتداء اى ولكم او ثمة جنات
او من الكروم جنات ولا يجوز عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل والزيتون والرمان
ايضا عطف على نبات او نصب على الاختصاص لخروجهما عن الصنفين عندهم مشتبها وغير
متشابه حال من الرمان ومن الجميع اى بعض ذلك متشابه فى الهيئة والمقدار والطعم
واللون انظروا الى ثمره الى ثمر كل واحد من ذلك وقراء حمزة والكسائى بضم الثاء
واللام وهو جمع ثمر كخشب وخشب وثمار ككتاب وكتب اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يثمر
ضئيلا لا يكاد ينتفع به وينعه والى حال النضج كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة وهو فى
الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو
لغة فيه ويانعه ان فى ذلكم لايات لقوم يومنون اى الايات على وجود القادر الحكيم
وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع المفتنة من اصل واحد ونقلها من
حال الى حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما يقتضيه حكمته مما يمكن ان تكون عليه
ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه او ضد يمانعه ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه
فقال وجعلوا لله شركاء الجن اى الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسلم
حيث اجتبناهم لخير الشاهم اى الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله او عبدوا الاوثان
بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشياطين خالق الشر وكل ضار كما رأى
الثنوية ومفعولا جعلا لله وشركاء والجن بدل من شركاء او شركاء الجن ولله متعلق بشركاء
او حال منه وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة للتبيين وخلقهم
حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا بان الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق
وقرئ وخلقهم عطفا على الجن اى وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اى وجعلوا لله اخسائهم
اذ حيث نسبوا اليه وخرقوا له افتعلوا وافتروا والده وقرأ نافع بالتشديد للتاثير وقرئ
وخرقوا اى وزوروا بنين وبنات فقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن
الله وقالت الملائكة بنات الله بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ويبرهنوا عليه دليلا وهو فى موضع
الحال من الواو او المصدر اى خرقا بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون وهو ان له شركاء وولد

ع

المختلف

ضعيفا

٢ العرب

بديع السموات والارض من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها او الى الظرف كقولهم ثبت العذر
بمعنى انه عديم النظير فيهما وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدا
محذوف او على المبتدا وخبره انى يكون له ولد اى من اين او كيف يكون له ولد ولم تكن
له صاحبة يكون منها الولد وقرئ بالياء للفصل او لان الاسم ضمير الله او ضمير الشان
وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم لا يخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص
الى الاول وفى الاية استدلال على نفى الولد من وجوه الاول انه من مبتدعات السموات
والارضين وهى مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبراة عنها لاستمرارها طول
مدتها فهو اولى بان يتعالى عنها والثانى ان المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وانثى
متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة والثالث ان الولد كفوء الوالد ولا كفوء له لوجهين
الاول ان كل ما عداه مخلوقه فلا يكافيه والثانى انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك
غيره بالاجماع ذلكم اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدا الله ربكم لا اله
الا هو خالق كل شئ اخبار مترادفة ويجوز ان يكون المحض بيانا لا وصفة والمحض خبرا
فاعبدوه حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة وهو
على كل شئ وكيل اى وهو مع تلك الصفات متولى اموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته
الى انجاح مآربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم عليها لا تدركه لا تحيط به الابصار جمع بصر
وهو حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة على امتناع
الرؤية وهو ضعيف لانه ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفى فى الاية عاما فى الاوقات
فلعله مخصوص فى بعض الحالات ولانا نخصه فانه فى قوة قولنا لا كل بصر يدركه
مع ان النفى لا يوجب الامتناع وهو يدرك الابصار يحيط علما بها وهو اللطيف الخبير
فيدرك ما لا يدركه الابصار ويجوز ان يكون من باب اللف اى لا يدركه الابصار
لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل
الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع
بصيرة وهى النفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلوها الحق وتبصرها
فمن ابصر اى بصر الحق وآمن فلنفسه ابصر لان نفعه لها ومن عمى عن الحق وضل فعليها
وبالها وما انا عليكم بحفيظ وانما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم
عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول عليه الصلاة والسلام وكذلك نصرف الايات
ومثل ذلك التصريف نصرف وهو اجراء المعانى الدالة فى المعانى المتعاقبة من الصرف
وهو نقل الشئ من حال الى حال وليقولوا درست اى وليقولوا صرفناها واللام لام العاقبة
والدرس القراءة والتعلم وقراءة ابن كثير وابو عمرو دارست اى دارست اهل الكتاب
وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست من الدروس اى قدمت هذه الايات وعفت
كقولهم اساطير الاولين وقرئ درست بضم الراء مبالغة فى درست ودرست على البناء
للمفعول فى ثيث او عفيت ودارست بمعنى درست او دارست اليهود محمدا وجاز اضمارهم
بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة ودرسن اى عفون ودرس اى درس محمد ودارسات اى
قديمات او ذات درس كقوله تعالى عيشة راضية ولنبينه اللام على اصلها لان التبيين
مقصود التصريف والضمير للايات باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر لكونه معلوما
او للمصدر لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به اتبع ما اوحى اليك من ربك بالبناء به
لا اله الا هو اعتراض لتاكيد ايجاب الاتباع او حال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا فى الالوهية

واعرض عن المشركين فلا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى ايذائهم ومن جعله منسوخا بآية
السيف حمل الاعراض على ما يكف عنهم ولو شاء الله توحيدهم وعدم اشراكهم ما اشركوا وهو دليل
على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر وان مراده اوجب الوقوع وما جعلناك عليهم حفيظا
رقيبا وما انت عليهم بوكيل تقوم بامورهم ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اى
ولا تذكروا الهتهم التى يعبدونها بما فيها من القبائح فيسبوا الله عدوا بتجاوزا عن الحق
الى الباطل بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به وقرأ يعقوب عدوا بالضم لغة
فلان عدو وعدو وعداء وعدوان روى انه عليه الصلاة والسلام كان يطعن فى
الهتهم فقالوا لتنتهين عن سب الهتنا او لنهجون الهك فنزلت وقيل كان المسلمون
يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله وفيه دليل على ان الطاعة اذا ادت الى
معصية راجحة وجب تركها لان ما يودى الى الشر شر كذلك زينا لكل امة عملهم من الخير
والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز تخصيص العمل بالشر
وكل امة بالكفر لان الكلام فيهم والمشبه به تزيين سب الله لهم ثم الى ربهم مرجعهم
فينبئهم بما كانوا يعملون بالمجازاة عليه واقسموا بالله جهد ايمانهم مصدر
فى موضع الحال والداعى لهم الى هذا القسم والتاكيد فيه التحكم على الرسول عليه الصلاة والسلام
فى طلب الايات واستحقار ما راوا منها لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها
قل انما الآيات عند الله هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شىء منها بقدرتى وارادتى
وما يشعركم وما يدريكم استفهام انكارى اى لا تدرون ان الآية المقترحة اذا جاءت
لا يؤمنون اى لا تدرون انهم لا يومنون لكسر السبب مبالغة فى نفى المسبب وفيه
تنبيه على انه تعالى انما ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة
وقيل ان بمعنى لعل اذ فى لعلها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر بخلاف عنه عن
عاصم ويعقوب انها بالكسر كانه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بما علم منهم
والخطاب للمومنين فانهم يتمنون مجىء الآية طمعا فى ايمانهم فنزلت وقيل فى المشركين
اذ قرأ ابن عامر وحمزة لا تومنون بالتاء وفرى وما يشعرهم انها اذا جاءتهم فيكون
انكارا لهم على خلفهم اى وما يشعرهم ان قلوبهم حينئذ لن تكن مطوعة كما كانت عند نزول
القرآن وغيره من الآيات فيؤمنون بها ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يومنون
وما يشعركم انا حينئذ نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه
فلا يؤمنون بها كما لم يومنوا به اول مرة اى بما انزل من الآيات اول مرة وندرهم فى
طغيانهم يعمهون وندعهم متحيرين لانهدهم هداية المؤمنين وقرئ ويقلب ويذرهم
على الغيبة وتقليبها على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قبلا كما اقترحوا قالوا لو انزل علينا الملائكة
فاتوا بآبائنا او ناتى بالله والملائكة قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل اى كفلاء بما
يشهدوا به وقرئ قبلا جمع قبيلة بمعنى جماعات وبمعنى مصدر
مقابلة كعثلا وهو قراءة نافع وابن عامر وعلى الوجوه حال من كل وانما جاز ذلك
لعمومه ما كانوا ليؤمنوا لما سبق عليهم من القضاء بالكفر الا ان يشاء الله استثناء
من اعم الاحوال اى لا يؤمنون فى حال الاحوال مشيئة الله ايمانهم وقيل منقطع وهو حجة
واضحة على المعتزلة ولكن اكثرهم يجهلون انهم لو اتوا بكل آية لم يومنوا فيقسمون بالله
جهد ايمانهم على ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم

ولكن اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الاية طمعا في ايمانهم وكذلك
جعلنا لكل نبي عدوا اي كما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبي ستقك عدوا وهو دليل
على ان عداوة الكفرة للانبياء بفعل الله وخلقه شياطين الانس والجن مردة الفريقين
وهو بدل من عدوا اول مفعولي جعلنا وعدوا مفعوله الثاني والكل متعلق به او حال
منه يوحي بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس وبعض الجن الى بعض
وبعض الانس الى بعض زخرف القول الاباطيل الموهمة من زخرفوا ذا زينه غرورا
مفعوله او مصدر مفعول له او مصدر في موضع الحال ولو شاء ربك ايمانهم ما فعلوه
اي ما فعلوا ذلك يعني معاداة الانبياء وايحاء الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء
او الزخارف او الغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة فذرهم وما يفترون وكفرهم ولتصغى
اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة عطف على غرورا ان جعل علة او متعلق بمحذوف
اي وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة
او لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون او لام الامر وضعفه اظهر والصغو الميل والضمير
لما له الضمير في فعلوه وليرضوه لانفسهم وليقترفوا وليكتسبوا ما هم مقترفون من الاثام
افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اي قل لهم يا محمد فغير الله اطلب من يحكم بيني وبينكم
ويفصل الحق منا من المبطل وغير مفعول ابتغي وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما البالغ
من احكام ولذلك لا يوصف به غير العادل وهو الذي انزل اليكم الكتاب القران المعجز مفصلا
مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط والالتباس وفيه تنبيه على ان القران باعجازه
وتقريعه مغن عن الايات والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق
تاييد لدلالة الاعجاز على ان القران حق منزل من عند الله يعلم اهل الكتاب به لتصديقه
ما عندهم مع انه عليه الصلاة والسلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف
جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بادنى تامل وقيل المراد مؤمنوا
اهل الكتاب وقرا ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد فلا تكونن من الممترين
في انهم يعلمون ذلك او في انه منزل فلا ترتب بجهود اكثرهم فيكون من باب التهيج كقوله
ولا تكن من المشركين او خطاب الرسول لخطاب الامة وقيل الخطاب لكل احد على معنى ان الادلة
لما تعاضدت فلا ينبغي لاحد ان يمتري فيه وتمت كلمات ربك بلغت الغاية اخبارا
واحكاما ومواعيده صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام ونصبهما يحتمل
التمييز والحال والمفعول لا مبدل لكلماته لا احد يبدل شيئا منها بما هو اصدق واعدل
او لا احد يقدر ان يحرفها شايعا ذايعا كما فعل بالتوراة على ان المراد بها القران فيكون ضمانا
لها من الله بالحفظ لقوله تعالى وانا له لحافظون او الانجيل والكتاب يعدها يشملهما او يبدل
احكامها وقراء الكوفيون ويعقوب كلمة ربك اي ما تكلم به او القران وهو السميع العليم
بما يضمرون فلا يهملهم وان تطع اكثر من في الارض اي اكثر الناس يريد الكفار والجهال واتباع
الهوى وقيل الارض مكة يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه فان الضال في غالب الامر
لا يامر الا بما فيه الضلال ان يتبعون الا الظن ومن ضمنهم ان اباءهم كانوا على الحق او جهلا انهم
اوارائهم الفاسدة فان الظن يطلق على ما يقابل العلم وان هم الا يخرصون يكذبون على الله فيما
ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر
او يقدرون انهم على شيء وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله
وهو اعلم بالمهتدين اي اعلم بالفريقين ومن موصولة او موصوفة في محل النصب يفعل دل عليه اعلم

لابه لا فان افعل لا ينصب الظاهر في مثل ذلك واستفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر
يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ من يضل اى يضله الله فتكون من منصوبة
بالفعل المقدر ومجرورة باضافة اعلم اليه اى اعلم المضلين من قوله من يضلل الله او من
اضللته اذا وجدته ضالا والتفضيل بالعلم بكثرته واحاطة بالوجوه التى يمكن تعلق
العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالعرض فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار
اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحللون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله
على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره او مات حتف انفه ان كنتم باياته مؤمنين فان الايمان
بها يقتضى استباحة ما احله الله واجتنابه ما حرمه وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه
واى غرض لكم فى ان تحرجوا عن اكله وما يمنعكم عنه وقد فصل لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم
بقوله حرمت عليكم الميتة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول
ونافع ويعقوب وحفص حرم على البناء للفاعل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم
فانه ايضا حلال حالة الضرورة وان كثيرا ليضلون تحليل الحرام وتحريم الحلال قراءة
الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح باهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير تقليد
يفيد العلم ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام
وذروا ظاهر الاثم وباطنه ما يعلن وما يسر او ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا بالحوا
واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون يكسبون وانا كلوا
مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهره فى تحريم متروك التسمية عمدا ونسيانا واليه ذهب
داود وعن احمد مثله وقال مالك والشافعى بخلافه لقوله عليه الصلاة والسلام ذبيحة
المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان واولوه
بالميتة او بما ذكر غير اسم الله عليه لقوله وانه لفسق فان الفسق ما اهل لغير الله به والضمير
لما ويجوز ان يكون للاكل الذى دل عليه لا تاكلوا وان الشياطين ليوحون ليوسوسون
الى اوليائهم من الكفار ليجادلوكم بقولهم تاكلون ما قتلتم وحرام حكم وتدعون ما قتله
الله وهو يؤيد التاويل بالميتة وان اطعتموهم فى استحلال ما حرم انكم لمشركون فان من ترك
طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه فى دينه فقد اشرك وانما حسن حذف الفاء فيه لان الشرط
بلفظ الماضى اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس مثل به من هداه
الله واتقذه من الضلال وجعل له الحجج والايات يتامل بها فى الاشياء فيميز بين الحق والباطل
والحق والمبطل وقرأ نافع ويعقوب ميتا على الاصل كمن مثل صفته وهو مبتدا خبره
فى الظلمات وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن فى الظرف لا من الهاء فى مثله للفصل
وهو مثل لمن بقى على الضلالة لا يفارقها بحال كذلك كما زين للمؤمنين ايمانهم زين للكافرين
ما كانوا يعملون والاية نزلت فى حمزة وابى جهل وقيل فى عمار وابى جهل وكذلك جعلنا
فى كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اى كما جعلنا فى مكة اكابر مجرميها على تقديم المفعول
الثانى وفى كل قرية اكابر مجرميها بدل ويجوز ان يكون مضافا اليه ان فسر الجعل بالتمكين
او فعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها وتخصيص
الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس والمكر بهم وما يمكرون الا بانفسهم لان وبال ذلك يحيق
بهم وما يشعرون ذلك واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل
الله يعنى كفار قريش روى ان ابا جهل قال تزاحمنا بنى عبد مناف حتى اذا صرنا كفرسى رهان
قالوا منا نبى يوحى اليه والله لا نرضى الا ان ياتينا وحى كما ياتيه فنزلت الله اعلم حيث يجعل

نبت

رسالاته استيناف للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب والمال وانما هي بفضائل
نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالته من علم انه يصلح لها وهو اعلم
بالمكان الذي فيه يضعها وقراء ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته سيصيب الذين
اجرموا صغار ذل وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيمة وقيل تقدير من عند الله
وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم او جزاء على مكرهم فمن يرد الله ان يهديه
يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره للاسلام فيتسع له ويفسح فيه
محاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه
واليه اشار عليه الصلاة والسلام حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن
فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك امارة يعرف بها قال نعم فقال نعم الانابة الى دار
الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضله
يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقراء ابن كثير
ضيقا بالتخفيف ونافع وابو بكر عن عاصم حرجا بالكسر اي شديد الضيق والباقون
بالفتح وصفا بالمصدر كانما يصعد في السماء شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول
ما لا يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة وبنبو به على ان الايمان يمنع
منه كما يمتنع عنه الصعود وقيل كانما يتصاعد الى السماء ينبو عن الحق ويتباعد اذ الهرب
منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقراء ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم يصاعد
بمعنى يتصاعد كذلك اي كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق يجعل الرجس على الذين
لا يؤمنون يحمل العذاب او الخذلان عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل وهذا
اشارة الى البيان الذي جاء به القرآن او الى الاسلام او الى ما سبق من التوفيق والخذلان
صراط ربك الطريق الذي ارتضاه واعادته وطريقة الذي اقتضته حكمته مستقيما
لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله تعالى وهو الحق مصدقا او مقيدة
والعاملة فيه معنى الاشارة قد فصلنا الايات لقوم يذكرون فيعلمون ان القادر
بهذه وان كل ما يحدث من خير او شر فهو بقضائه وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم
عادل فيما يفعل بهم لهم دار السلام دار الله اضافة الجنة الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة
من المكاره او دار يحيتهم فيها سلام عند ربهم في ضمانه او دخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها
غيره وهو وليهم موالهم وناصرهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متولهم فيجزيهم بها
فيتولى ايصاله اليهم ويوم يحشرهم جميعا نصب باضمار اذكر او القول والضمير لمن يحشر
من الثقلين وقراء حفص عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء يا معشر الجن يعني الشياطين
قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم واضلالهم ومنهم ما ان جعلتموهم اتباعكم
في الحشر وما معكم كقوله استكثر الامير من الجنود وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم
ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل
به اليها والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا
يعوذون بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على
اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي البعث وهو اعترافا بما فعلوا من طاعة الشيطان
واتباع الهوى وتلهف لتأخير البعث وتحسر على حالهم قال النار مثواكم منزلكم او ذات مثواكم خالدين
فيها حال والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكان الا ما شاء الله
الا الاوقات التي يقلعون فيها من النار الى الزمهرير وقيل الا ما شاء قبل الدخول كانه قيل الا النار

النار مثواكم ابدا الا ما اعمهم ان ربك حكيم في افعاله عليم باعمال الثقلين واحوالهم وكذلك نولي بعض
الظالمين بعضا نكل بعضهم الى بعض ونجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم اولياء بعض وقرناءهم
في العذاب كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس الم يأتكم
رسل منكم الرسل من الانس خاصة للتي لما جمعوا مع الانس الجن في الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج
منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق بظاهر قوم وقالوا البعث
الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم لقوله تعالى ولوا الى قومهم
منذرين يقصون عليكم اياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا يعني يوم القيمة قالوا جوابا شهدنا
على انفسنا بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب وغرتهم الحيوة الدنيا
وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذم لهم على سوء نظرهم وخطاء رأيهم فانهم اغتروا بالحيوة
الدنيوية واللذات المخدجة واعرضوا عن الاخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا
الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخل تحذير للسامعين من مثل حالهم
ذلك اشارة الى ارسال الرسل وهو خبر مبتدأ محذوف اى الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك
القرى بظلم واهلها غافلون تعليل للحكم وان مصدرية او مخففة من الثقيلة اى الامر ذلك
لانتفاء كون ربك اولان الشان لم يكن ربك مهلك اهل القرى بسبب ظلم فعلوه او متلبسين بظلم
او ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول او بدل من ذلك ولكل من المكلفين درجات مراتب
مما عملوا من اعمالهم او من جزاءها وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل او قدر ما
يستحق به من ثواب وعقاب وقراء ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة وربك الغني عن
العباد والعبادة ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه
على ان ما ستوذكر من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتاسيس لما بعده وهو قوله
ان يشأ يذهبكم لبني ما به حاجة اليكم ان يشأ يذهبكم ايها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء
من الخلق كما انشأكم من ذرية قوم اخرين اى قرنا بعد قرن لكنه ابقاكم تترحما عليكم انما توعدون
من البعث وحوله لات لكاين لا محالة وما انتم بمعجزين طالبكم به قل يا قوم اعملوا على
مكانتكم على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وعلى ناحيتكم وجهتكم
التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة ومقام ومقامة وقراء ابو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع
في كل القران وهو امر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم اني عامل ما كنت عليه من المصابرة
والثبات على الاسلام والتهديد بصيغة الامر مبالغة في التوعيد كان المهدد يريد تعذيبه جمعا
عليه فيحمله بالامر على ما يفضي اليه ويتسجيل بان المهدد لا ياتي منه الا الشر كالمامور به الذي
لا يقدر ان يقضي عنه فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ان جعل من استفهامية بمعنى
اينا تكون له عاقبة الحسنى التي خلق الله لها هذه الدار فحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان
جعلت جزية فالنصب بتعلمون اى فسوف تعرفون الذي تكون له عاقبة وفيه مع الانذار انصاف
في المقال وحسن ادب وتنبيه على وثوق المنذر بانه محقوق قراء حمزة والكسائي منا وفي
القصص يكون بالياء لان تانيث العاقبة غير حقيقي انه لا يفلح الظالمون وضع الظالمين موضع
الكافرين لانهم اعم واكثر فايدة وجعلوا اى مشركو العرب لله مما ذرأ من الحرث والانعام
نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان
لله فهو يصل الى شركائهم روى انهم كانوا يعينون شيئا من حرث او نتاج لله ويصرفونه الى
الضيفان والمساكين وشيئا منهما لاصنامهم وينفقونه على سدنتها ويذبحون عندها ثم ان
راوا ما عينوا لله ازكى بدلوه بما لاصنامهم وان راوا ما لاصنامهم ازكى تركوه لها جبرا لاصنامهم وفي

قوله مما ذرأ تنبيه على فرط جهالتهم فانهم اشركوا بالخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء ثم رجموه
عليه بان جعلوا الزكي له وفي قوله بزعمهم تنبيه على ان ذلك مما اختر عوه لم يامرهم الله به وقرئ
الكسائي بالضم في الموضعين وهو لغة فيه وقد جاء فيه الكسر ايضا كالوذ ساء ما يحكمون
حكمهم هذا وكذلك ومثل ذلك التزيين في قسمة القربات زين لكثير من المشركين قتل
اولادهم بالواد ونحرهم لالهتهم شركاؤهم من الجن او من السدنة وهو فاعل زين وقرأ
ابن عامر زين على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة
القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف في العربية معدود من ضرورات الشعر كقوله

فزججتها متمكنا بزجه ٭ زج القلوص ابي مزاده ٭

وقرئ بالبناء للمفعول وجر اولادهم ورفع شركائهم باضمار فعل دل عليه زين ليردوهم
ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل
او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة
ان كان من السدنة ولو شاء الله ما فعلوه ما فعل المشركون ما زينوهم او الشركاء التزيين
او الفريقان جميع ذلك فذرهم وما يفترون افتراهم او ما يفترونه من الافك وقالوا
هذه اشارة الى ما جعل للالهة انعام وحرث حجر وحرام فعل بمعنى مفعول كالذبح
يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والانثى وقرئ حجر بالضم وحرج اي مضيق لا يطعمها
الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء بزعمهم من غير حجة وانعام
حرمت ظهورها يعني البحائر والسوائب والحوامي وانعام لا يذكرون اسم الله عليها
في الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام عليها في الذبح وقيل لا يحجون على ظهورها افتراء
عليه نصب على المصدر لان ما قالوه تقول على الله والجار متعلق بقالوا او بمحذوف هو
صفة له او على الحال او المفعول له او الجار متعلق به او بالمحذوف سيجزيهم بما كانوا
يفترون بسببه او بدله وقالوا ما في بطون هذه الانعام يريدون اجنة البحائر والسوائب
خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا حلال للذكور خاصة دون الاناث ان ولدت حيا لقوله
وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فالذكور والاناث فيه سواء وتانيث الخالصة للمعنى فان
ما في معنى الاجنة ولذلك وافق عاصم في رواية ابي بكر وابن عامر في تكن بالتاء وخالفه
هو وابن كثير في ميتة فنصب كغيرهم والتاء فيه للمبالغة كما في رواية الشعر وهو مصدر
كالمعاقبة وقع موقع الخاص وقرئ بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا
او حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في لذكورنا ولا من الذكور لانها لا تقدم
على العامل المعنوي وعلى صاحبه المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب وخالصة
بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدا ثان والمراد بها ما كان حيا
والتذكير فيه لان المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى فغلب الذكر سيجزيهم وصفهم
اي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحريم والتحليل من قوله تعالى ولا تصف لسنتهم الكذب
انه حكيم عليم بامورهم قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها يريد بهم العرب الذين
كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبي والفقر وقراء ابن كثير وابن عامر قتلوا بالتشديد
يعني لتكثير بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بان الله رازق اولادهم لا هم ويجوز نصبه
على الحال او المصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحائر ونحوها افتراء على الله يحتمل الوجوه
المذكورة في مثله قد ضلوا وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب وهو الذي انشأ
جنات من الكروم معروشات مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات ملقيات على وجه

الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير معروشات ما نبت في البراري
والجبال والنخل والزرع مختلفا اكله ثمره الذي يوكل في الهيئة والكيفية والضمير
للزرع والباقي معطوف عليه او النخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه او الجميع
على تقدير اكل ذلك او كل واحد منهما ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن لذلك عند الانشاء
والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه يتشابه بعض افرادهما في اللون والطعم
ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك ولم
ينع بعد وقيل فائدة رخصة المالك في الاكل منه قبل اداء حق الله منه واتوا حقه
يوم حصاده يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكوة المقدرة فانها فرضت
بالمدينة والاية مكية وقيل الزكوة والاية مدنية والامر باتيانها يوم الحصاد ليهتم
حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنعة وقراء
ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي حصاده بكسر الحاء ومبالغة فيه ولا تسرفوا في التصدق
كقوله ولا تبسطها كل البسط انه لا يحب المسرفين لا يرتضي فعلهم ومن الانعام حمولة
وفرشا عطف على جنات وانشاء من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او وما
يفرش للمنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار
الدانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله كلوا ما احل لكم منه
ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم انه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا او مفعول كلوا ولا تتبعوا معترض
بينهما او فعل دل عليه كلوا او حال مما بمعنى مختلفة او متعددة او الزوج ما معه اخر
من جنسه بزوجه وقد يقال للمجموع هما والمراد الاول من الضان اثنين زوجين
اثنين الكبش والنعجة وموبدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتدا والضان
اسم جنس كالابل وجمع ضئين او جمع ضاءن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة ومبالغة
فيه ومن المعز اثنين التيس والعنز وقراء ابن كثير وابو عمرو وابو بكر وابن عامر
ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ معزى قل
الذكرين ذكر الضان وذكر المعز حرم ام الانثيين ام انثييهما ونصب الذكرين
والانثيين بحرم اما اشتملت عليه ارحام الانثيين او ما حملت اناث الجنسين ذكرا كان
او انثى نبؤني بعلم بامر معلوم يدل على ان الله حرم شيئا من ذلك ان كنتم صادقين
في دعوى التحريم عليه ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل الذكرين حرم ام
الانثيين ام اشتملت عليه ارحام الانثيين كما سبق والمعنى انكار ان الله حرم
من الاجناس الاربعة ذكرا او انثى او ما يحمل اناثها ردا عليهم فانهم كانوا يحرمون ذكور
الانعام تارة واناثها تارة وولادها كيف كانت تارة زاعمين ان الله حرمها ام كنتم
شهداء بل كنتم شاهدين محاضرين اذ وصاكم الله بهذا حين وصاكم بهذا التحريم
اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرمه والمراد كبراؤهم المقررون
لذلك او عمرو بن لحي المؤسس له ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين
قل لا اجد فيما اوحي الي في القرآن او فيما اوحي الي مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم يعلم
بالوحي لا بالهوى محرما طعاما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الا ان يكون
الطعام ميتة وقراء ابن كثير وحمزة بالتاء لتانيث الخبر وقراء ابن عامر بالتاء ورفع

صنت

ميتة على ان كان هى التامة او دما مسفوحا عطف على ان مع ما فى خبرها اى الا
وجود ميتة او دما مسفوحا اى مصبوبا كالدم فى العروق لا الكبد والطحال او لحم
خنزير فانه رجس فان الخنزير اولحمه فذر لتعوده اكل النجاسة او خبيثا محبث او فسقا
عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل اهل لغير الله به صفة لمؤنث وانما يعم
ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله فى الفسق وبجوز ان يكون فسقا مفعولا له من
اهل وهو عطف على يكون والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن فى يكون فمن اضطر
فمن دعته الضرورة الى تناول شئ من ذلك غير باغ على مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة
فان غفور رحيم ولا يتحكمة لانها تدل على انه لم يوجد فيما اوحى اليه الى تلك الغاية تحرم
غير هذه وذلك لا ينافى ورود التحريم فى شئ آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر
الواحد ولا على حل الامع الاستصحاب وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر كل ما له اصبع
كالابل والسباع والطيور وقيل ذى مخلب وحافر وسمى الحافر ظفرا مجازا او لعل المسبب
عن الظلم تعميم التحريم ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الثروب وشحوم الكلى
والاضافة لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اشتمل
على الامعاء جمع حاوية او حاوياء كقصاع وقواصع او حوية كسفينة وسفاين
وقيل هو عطف على شحومهما واو بمعنى الواو او ما اختلط بعظم هو شحم الالية لاتصالها
بالعصعص ذلك التحريم او الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون فى
الاخبار او الوعد والوعيد فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة فلا تغتر وامهاله فانه لا يهمل ولا يبدا سه عن القوم المجرمين حين ينزل اوذو رحمة
واسعة للمطيعين وذو بأس شديد للمجرمين فاقام مقامه ولا يبدا سه لتضمنه التنبيه
على انزال البأس عليهم مع الدلالة على انه لا ذب بهم لا يمكن رده عنهم سيقول الذين اشركوا
اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدل على ان مجانا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا
من شئ اى لو شاء الله خلاف ذلك مشيئة ارتضاها لقوله فلو شاء لهداكم اجمعين لما
فعلنا نحن ولا اباؤنا اراد وابذلك انهم على الحق المشروع المرضى عند الله لا الاعتذار
عن ارتكاب مناهى القبايح بارادة الله اياها منهم حتى يعضد دعواهم به ذليلا للمعتزلة
وليس يؤيد ذلك قوله كذلك كذب الذين من قبلهم اى مثل هذا التكذيب كذب كل فان الله منع
من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب من قبلهم الرسل وعطف اباؤنا على الضمير فى اشركنا
من غير تاكيد للفصل بلا حتى ذاقوا باسنا الذى انزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم
من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا فتظهروه لنا ان تتبعون
الا الظن ما تتبعون فى ذلك الا الظن وان انتم الا تخرصون تكذبون على الله وفيه دليل
على المنع من اتباع الظن لاسيما فى الاصول ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع اذ الاية فيه
قل فلله الحجة البالغة البينة الواضحة التى بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات او بلغ
بها صاحبها صحة دعواه وهى من الحج بمعنى القصد كانها تقصد اثبات الحكم وتطلبه فلو
شاء لهداكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلال آخرين قل هلم
شهداءكم احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف وعند اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بنى
تميم واصله عند البصريين هالم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون فى اللام
فانه الاصل وعند الكوفيين هلا م حذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان امر
لا تدخل الامر ويكون متعديا كما فى الاية ولازم كقوله هلم الينا الذين يشهدون ان الله حرم

هذا

مستمسك

هذا يعني قد وبخهم فيما استخضروهم لتلين لهم الحجة وتظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا
لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهادة بالاضافة ووصفهم بما يقتضي العهدة بهم فان شهدوا
فلا تشهد معهم فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فان تسليمهم موافقة لهم في الشهادة الباطلة
ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بايتنا من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان مكذب
الايات متبع الهوى لا غير وان متبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها والذين لا يؤمنون بالاخرة
كعبدة الاوثان وهم بربهم يعدلون يجعلون معه عديلا قل تعالوا امر من التعالي وأصله
ان يقوله من كان في علو لمن كان في سفل فاتسع فيه للتعيم اتل اقراء ما حرم ربكم منصوب
بأتل وما يحتمل الخبرية والمصدرية ويجوز ان يكون استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول
اتل لانه بمعنى اتل اي شيء حرم ربكم عليكم متعلقة بحرم او اتل ان لا تشركوا به اي لا تشركوا
ليصح عطف الامر عليه ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم فان التحريم باعتبار الاوامر
يرجع الى ضدها ومن جعل ان تاصبة فمحلها النصب بتعليم على انه للاغراء وبالبدل من
ما او من عائده المحذوف على ان لا زائدة او الجر بتقدير اللام او الرفع على تقدير المتلو
ان لا تشركوا او المحرم ان تشركوا شيئا يحتمل المصدر والمفعول وبالوالدين احسانا
اي واحسنوا بهم احسانا وضعه موضع النهي عن الاساءة اليهما للمبالغة والدلالة على ترك
الاساءة في شانهما بما غير كاف بخلاف غيرهما ولا تقتلوا اولادكم من املاق من اجل فقر
ومن خشيته لقوله خشية املاق نحن نرزقكم واياهم منع لموجبة ما كانوا يفعلون
من اجله واحتجاج لاجله ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب والزنا ما ظهر منها وما بطن
بدلالته وهو مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق كالقود
وقتل المرتد وقتل المحصن ذلكم اشارة الى ما ذكر مفصلا ووصاكم به بحفظه لعلكم
تعقلون ترشدون فان كمال العقل هو الرشد ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن
الا بالفعلة التي هي احسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره حتى يبلغ اشده حتى يصير بالغا وهو
جمع شدة كنعمة وانعم او شدة كنصر واصر وقيل مفرد كانك وأوفوا الكيل والميزان بالقسط
بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا يعسر عليها فذكر عقيب
الامر معناه ان ايفاء الحق عسر فعليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم في
حكومة ونحوها فاعدلوا فيه ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له او عليه من ذوي قرابتكم
وبعهد الله اوفوا يعني ما عهد اليكم من ملازمة العدل وتادية احكام الشرع ذلكم ووصاكم
به لعلكم تذكرون تتعظون به وقرا حمزة وحفص والكسائي تذكرون بتخفيف الذال
حيث وقع واذا كان بالتاء والباقون بتشديدها وان هذا صراطي مستقيما الاشارة
فيه الى ما ذكر في السورة فانها باسرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة
وقرا حمزة والكسائي ان بالكسر على الاستيناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف
والباقون به مشددة بتقدير اللام على انه علة لقوله فاتبعوه وقرا ابن عامر صراطي
بفتح الياء وقرئ وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل
الاديان المختلفة او الطرق التابعة للهوى فان مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد
لاختلاف الطبايع والعادات فتفرق بكم فيفرقكم ويزيلكم عن سبيله المنهج وهو اتباع الوحي
واقتفاء البرهان ذلكم الاتباع ووصاكم به لعلكم تتقون الضلال والتفرق عن الحق
ثم اتينا موسى الكتاب عطف على وصاكم وثم للترتيب في الاخبار او التفاوت في الرتبة
كانه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك اتينا موسى الكتاب تماما

للكرامة والنعمة **على الذى احسن** على كل من احسن القيام به ويؤيده ان قرئ على الذين احسنوا او على الذى احسن تبليغه وهو موسى او تماما على ما احسنه اى اجاده من العلم والشرائع اى زيادة على علمه اتماما له وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اى على الذين الذى هو احسن او على الذى هو احسن ما يكون عليه الكتب **وتفصيلا لكل شئ** وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه فى الدين وهو عطف على تماما وتضمنهما يحتمل العلة والحال والمصدر **وهدى ورحمة لعلهم** لعل بنى اسرائيل **بلقاء ربهم يؤمنون** اى بلقاء الجزاء **وهذا كتاب** يعنى القرآن **انزلناه مبارك** كثير النفع **فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون** بواسطة اتباعه وهو العلم بما فيه **ان تقولوا** كراهة ان تقولوا علة لانزلناه **انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا** اليهود والنصارى ولعل الاختصاص فى انما ان الباقى المشهور حينئذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم **وان كنا** هى المخففة ولذلك دخلت اللام الفارقة على خبر كان اى وانه كنا **عن دراستهم** قراءتهم **لغافلين** لا ندرى ما هى ولا نعرف مثلها **او تقولوا** عطف على الاول **لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم** لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا متونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب على انا اميون **فقد جاءكم بينة من ربكم** حجة واضحة تعرفونها **وهدى ورحمة** لمن تامل فيه وعمل به **فمن اظلم ممن كذب بايات الله** بعد ان عرف صحتها وتمكن من معرفتها **وصدف عنها** اعرض وصد عنها فضل واضل **سنجزى الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب** شديده **بما كانوا يصدفون** باعراضهم وصدهم **هل ينظرون** يعنى ما ينتظرون يعنى اهل مكة وهم ما كانوا منتظرين ذلك ولكن لما كان يلحقهم خوف المنتظر شبهوا بالمنتظرين **الا ان تاتيهم الملائكة** ملائكة الموت والعذاب وقرأ حمزة والكسائى بالياء هنا وفى النحل **او ياتى ربك** اى امره بالعذاب او كل اياته يعنى ايات القيمة والهلاك الكلى لقوله **او ياتى بعض ايات ربك** يعنى اشراط الساعة وعن حذيفة واليرمين عازب رضى الله عنهما كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تذاكرون قلنا نتذاكر الساعة فقال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن **يوم ياتى بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها** كالمحتضر اذا صار الامر عيانا والايمان برهانى وقرئ تنفع بالتاء لاضافة الايمان الى الضمير المؤنث **لم تكن امنت من قبل** صفة نفسا **او كسبت فى ايمانها خيرا** عطف على امنت والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ لنفس غير مقدمة ايمانها او مقدمة ايمانها غير كاسبة فى ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل والمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وقد ورد على اشتراط * النفع باحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا خلت عن احدهما ايمانها والعطف على لم تكن بمعنى لا ينفع نفسا ايمانها الذى احدثته حينئذ وان كسبت فيه خيرا **قل انتظروا انا منتظرون** وعيد لهم اى انتظروا ايان احد الثلاثة فانا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل **ان الذين فرقوا دينهم** بددوه فامنوا ببعض وكفروا ببعض وافترقوا فرقا قال عليه الصلاة والسلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وتفترق امتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وقرأ حمزة والكسائى هنا وفى الروم فارقوا بمعنى باينوا **وكانوا شيعا** فرقا تشيع كل فرقة اماما **لست منهم فى شئ** اى من السؤال عنهم وعن تفرقهم

او من عفا بهم او انت بری منهم وقیل هو نهی عن التعرض لهم وهو منسوخ بایة السیف
انما امرهم الی الله یتولی جزاءهم ثم ینبئهم بما کانوا یفعلون بالعقاب من جاء بالحسنة
فله عشر امثالها ای عشر حسنات امثالها فضلا من الله وقرأ یعقوب عشر بالتنوین وامثالها
بالرفع علی الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعین وسبعمایة وبغیر
حساب ولذلك قیل المراد بالعشر الکثرة دون العدد ومن جاء بالسیئة فلا یجزی الا
مثلها قضیة للعدل وهم لا یظلمون بنقص الثواب وزیادة العقاب قل انني هداني
ربي الی صراط مستقیم بالوحی والارشاد الی ما نصب من الحج دینا بدل من محل الی صراط
اذ المعنی هداني صراطا کقوله ویهدیك صراطا مستقیما او مفعول فعل مضمر دل علیه الملفوظ
قیما فیعل من قام کسید من ساد وهو ابلغ من المستقیم باعتبار الزنة والمستقیم باعتبار
الصیغة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والکسائی قیما علی انه نعت مصدر نعت له وکان
قیاسه قوما کعوض فاعل لاعلال فعله کالقیام ملة ابراهیم عطف بیان لابراهیم حنیفا
حال من ابراهیم وما کان من المشرکین عطف علیه قل ان صلاتي ونسکي وعبادتي کلها
او قرباتي وحجي ومحیای ومماتي وما اتاعله في حیاتي واموت علیه من الایمان والطاعة
او طاعات الحیّ وخیرات المضافة الی المیت کالوصیة والتدبیر والحیاة والممات انفسهما
وقرأ نافع محیای باسکان الیاء اجراء للوصل مجری الوقف لله رب العالمین لا شریك له
خالصة له لا اشرك فیها وبذلك امرت وانا اول المسلمین لان اسلام
کل نبي متقدم علی اسلام امته قل اغیر الله ابغي ربا فاشرکه في عبادتي وهو جواب عن دعائهم
الی عبادة الهتهم وهو رب کل شيء حال في موقع العلة للانکار والدلیل له ای وکل ما سواه
مربوب لا یصلح للربوبیة ولا تکسب کل نفس الا علیها فلا ینفعني في ابتغاء ربّ غیره ما انتم
علیه من ذلك ولا تزر وازرة وزر اخری جواب عن قولهم اتبعوا سبیلنا ولنحمل خطایاکم
ثم الی ربکم مرجعکم یوم القیمة فینبئکم بما کنتم فیه تختلفون بتبیین الرشد من الغي
وتمییز الحق من المبطل وهو الذي جعلکم خلائف الارض یخلف بعضکم بعضا او خلفاء
الله في ارضه تتصرفون فیها علی ان الخطاب عام او خلفاء الامم السالفة علی ان الخطاب
للمؤمنین ورفع بعضکم فوق بعض درجات في الشرف والغنی لیبلوکم فیما اتاکم
من الجاه والمال ان ربك سریع العقاب لانه ما هو آت قریب ولانه یسرع اذا اراده
وانه لغفور رحیم وصف العقاب ولم یضفه الی نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضمّ
الیه الوصف بالرحمة واتی ببناء المبالغة واللام المؤکدة تنبیها علی ان تعالی غفور لذنوب
معاقب بالعرض کثیر الرحمة مبالغ فیها قلیل العقوبة مسامح فیها عن رسول الله صلی الله علیه وسلم
انزلت علی سورة الانعام جملة وحولها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبیح والتحمید فمن
قرأ الانعام صلی علیه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد کل آیة من سورة الانعام یوما ولیلة

سورة الاعراف مکیة والله اعلم الا ثمان آیات من قوله واسئلهم الی قوله وان
تتقنا محکمها کلها الا قوله واعرض عن الجاهلین وهي ماتان وخمس آیات

بسم الله الرحمن الرحیم

المص سبق الکلام في مثله کتاب خبر محذوف ای هو کتاب او خبر المص والمراد
السورة او القرآن انزل الیك صفته فلا یکن في صدرك حرج منه ای شك فان الشك حرج
الصدر او ضیق قلب من تبلیغه مخافة ان تکذب فیه او تقصر بالقیام بحقه ونحوه
النهي الیه للمبالغة کقولهم لا ارینك ههنا والفاء تحتمل العطف والجواب وکانه قیل اذا نزل

اليك لتنذر فلا يحرج صدرك منه لتنذر به متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن انه
من عند الله جسر على الانذار واذا لم يخفهم وعلم انه موفق للقيام بتبليغه وذكرى
للمؤمنين يحتمل النصب باضمار فعلها اى لينذر ويذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر
عطفا على محل لتنذر والرفع عطفا على كتاب وخبر المحذوف اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم
يعم القرآن والسنة لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ولا تتبعوا من دونه
اولياء يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير في من دونه لما انزل اى ولا تتبعوا من
دون دين الله اولياء وقرئ ولا تتبعوا قليلا ما تذكرون اى تذكرا قليلا او زمانا
قليلا ما تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتاكيد القلة
وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا تتذكرون وقرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم
تذكرون بحذف التاء وابن عامر يتذكرون على ان الخطاب بعد مع النبى وكم من قرية وكثيرا
من القرى اهلكناها اردنا اهلاك اهلها او اهلكناها بالحذلان فجاءها فجاء اهلها بأسنا
عذابنا بياتا بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال او هم قائلون عطف عليها اى
قائلين نصف النهار كقوم شعيب وانما حذف واو الحال استقلالا لاجتماع حرفى عطف فانها
واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه غير صحيح وفى التعبيرين مبالغة فى
غفلتهم وامنهم عن العذاب ولذلك خص الوقتين ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون
مجئ العذاب فيهما اقطع فما كان دعواهم اى دعاؤهم او استغاثتهم او ما كانوا يدعونه
من دينهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا
عليه وبطلانه حسرا عليه فلنسألن الذين ارسل اليهم عما اجيبوا به والمراد من هذا السؤال
توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفى فى قوله تعالى ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون سؤال
الاستعلام اوله الاول فى موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة فلنقصن
عليهم على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب وعلى الرسل والمرسل اليهم
ما كانوا عليه بعلم عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلوماتهم وما كنا غائبين عنهم
فيخفى علينا شئ من احوالهم والوزن اى القضاء او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء
والجمهور على ان صحائف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان يبصر بنظر اليه الخلائق
اظهارا للعدالة وقطعا للمعذرة كما سيأتيهم عن اعمالهم فتعترف بها السنتهم وتشهد بها
جوارحهم ويؤيده ما روى ان الرجل يؤتى يوم القيمة به الى الميزان فينشر عليه تسعة
وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمة الشهادة فتوضع السجلات
فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل توزن الاشخاص لما
روى انه عليه الصلاة والسلام قال ليأتى العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح
بعوضة يومئذ خبر المبتدإ الذى هو الوزن الحق صفته او خبر محذوف ومعناه العدل
السوى فمن ثقلت موازينه حسناته او يوزن به حسناته ووجه باعتبار اختلاف الموزونات
والعدد الوزن فهو جمع موزون او ميزان فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب
ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بتضييع الفطرة السليمة التى فطرت
عليها واقترافهم ما عرضها للعذاب بما كانوا بآياتنا يظلمون فيكذبون بدل التصديق
ولقد مكناكم فى الارض اى مكنا كم من سكناها وزرعها والتصرف فيها وجعلنا لكم
فيها معايش سببا لتعيشون به جمع معيشة وعن نافع انه همز تشبيها بما الياء فيه
زائدة كصحائف قليلا ما تشكرون فيما صنعت لكم ولقد خلقناكم ثم صورناكم

اى خلقنا اباكم ادم حينا غير مصوّر ثم صوّرناه نزّل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل
وتصوير ابتداءنا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا ادم ثم صوّرناه ثم قلنا للملائكة
اسجدوا لادم وقيل ثم قلنا لتاخر الاخبار فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين
ممن يسجد لادم قال ما منعك الا تسجد اى ان تسجد ولا صلة مثلها فى قولك لئلا يعلم مؤكدة
معنى الفعل الذى دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع
من الشئ مضطر الى خلافه فكانه قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد اذ امرتك دليل على
ان مطلق الامر الوجوب والفور قال انا خير منه جواب من حيث المعنى ستانف به
استبعادا لان يكون مثله مامورا بالسجود لمثله كانه قال لما بغى انى خير منه والحسن
للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يومر به فهو الذى سنّ التنابر وقال بالحسن
والقبح العقليين او لاحتقانى من نار وخلقته من طين تحليل لفضله عليه وقد غلط
فى ذلك بان راى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه
بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدىّ اى بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبّه عليه
بقوله ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك
امر الملائكة لما بيّن لهم انه اعلم منهم وان له خواص ليست لغيره والآية دليل الكون والفساد
وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشيطان الى النار
باعتبار الجزء الغالب قال فاهبط منها من السماء او الجنة فما يكون لك فما يصح ان
تتكبر فيها ولقصى فانها مكان الخاشع المطيع وفيه تنبيه على ان الكبر لا يليق باهل الجنة
وانه تعالى انما طرده واهبطه للكبر لا لمجرد عصيانه قال عليه الصلاة والسلام من
تواضع رفعه الله ومن تكبّر وضعه الله فاخرج انك من الصاغرين من اهانه الله لكبره
قال انظرنى الى يوم يبعثون امهلنى الى يوم القيمة فلا تمتنى والا تخل عقوبتى قال
انك من المنظرين يقتضى الاجابة الى ما سالة ظاهرا لكنه محمول على ما جاء مقيدا الى
بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى ووقت يعلمه الله انتهاء اجله وفيه
وفى اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته قال فبما اغويتنى
اى بعد ان امهلتنى لاجتهدن فى اغوائهم طريق تمكننى بسبب اغوائك اياى بواسطتهم
تسمية وحملا على النحو او تكليفا بما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف
لا باقعدن فان اللام تصدّ عنه وقيل الباء للقسم فعلى الاول الباء للسببية والتقدير احلف
بالله بسبب اغوائك اياى لاقعدن وعلى الثانى الباء قسمية اى اقسم باغوائك لاقعدن
لهم ترصدا لهم كما يقعد المقطع للسابلة صراطك المستقيم طريق الاسلام ونصبه على الظرف
كقوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل بتقدير على صراطك المستقيم كقولهم
ضرب زيدا الظهر والبطن ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم
اى من جميع الجهات مثل قصدا ايامهم بالتسويل والاضلال من اى وجه يمكنه باتيان
العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم
لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لانّ الاتيان منه يوحش وعن ابن عباس رضى الله
عنهما من بين ايديهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم
ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث لا يعلمون ويقدرون التحرز عنه ومن خلفهم
حيث لا يعلمون ولا يقدرون على التحرز وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث تيسرهم ان
يعلموا ويحترزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف

بين

الابتداء لانه منهما يتوجه اليهم والى الآخرين بحرف المجاورة فان الاتي منهما كالمنحرف عنهم
المار على عرضهم وتظن قومهم جلست عن يمينهم ولا تجد اكثرهم شاكرين مطيعين وانما
قاله ظنا لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما راى فيهم مبدأ الشر متعدد ومبدأ الخير
واحد وقيل سمعه من الملائكة قال اخرج منها مذءوما من ذامه اذا ذمه وقرئ
مذوما مسولا او مكلولا فمكيل من ذامه يذيمه ذيما مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم
اللام لتوطئة القسم وجوابه لاملان جهنم منكم اجمعين وسواد مسد جواب الشرط
وقرئ لمن بكسر اللام على انه جر لاملان على معنى تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملان
جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب ويا ادم اى وقلنا يا ادم اسكن
انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذى وهو الاصل
لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين فتصيرا من الذين ظلموا وتكونا
يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب فوسوس لهما الشيطان اى فعل الوسوسة
لاجلهما وهو في الاصل الصوت الخفي كالهيمنة والخشخشة ومنه وسوس الحلي وقد سبق في
البقرة كيفيته وسوسته ليبدي لهما ليظهر لهما واللام للعاقبة او الغرض على انه اراد
بوسوسته ان يبسوهما بانكشاف عورتهما ولذلك عبر عنها بالسوءة وفيه دليل على
ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع ما ودى
عنهما من سوآتهما ما غطى عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الاخر
وانما لم تقلب الواو المضمومة بالهمزة في المشهور كما قلبت في اويصل تصغير واصل لان الثانية
مدة وقرئ سواتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وقلبها واوا وادغام الواو
الساكنة فيها وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا الا كراهة ان
تكونا ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة واستدل به على
فضل الانبياء على الملائكة وجوابه انه من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت عنها
في ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة
وذلك لا يدل على افضلهم مطلقا وقاسمهما انى لكما من الناصحين اى اقسم لهما على ذلك واحرجه
على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسم له بالقبول وقيل اقسما عليه بالله انه لمن الناصحين
فاقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما فنزلها الى الاكل من الشجرة يقال دلاه بغرور
بذكر من درجة عالية الى مرتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال الشئ من اعلا الى
اسفل بغرور بما غرهما من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف بالله كاذبا او ملتبسين بغرور
فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما فلما وجدا طعمها اخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة
وشؤم المعصية فتناثر عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف في ان الشجرة كانت
السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان حلية او نورا او ظفرا وطفقا يخصفان اخذا
يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ورق التين وقرئ
يخصفان من خصف اى يخصفان انفسهما ويخصفان واصله يختصفان وناداهما
ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين عتاب على
مخالفة النهي وتوبيخ على الاغترار بقوله العدو وفيه دليل على ان مطلق النهي للتحريم
قالا ربنا ظلمنا انفسنا ضررناها بالمعصية والتعريض بطلب الاخراج عن الجنة وان لم
تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين دليل على الصغائر معاقب عليها ان لم يغفر وقالت
المعتزلة لا تجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا انما فعلا ذلك على عادة

المقربين

المقربين فى استعظام الصغير من السيات واستحقار العظيم من الحسنات قال اهبطوا الخطاب
لادم وحواء وذريتهما او لهما او لهما ولابليس كرر الامر لتبعا ليعلم انهما قرنا ابدا والخبر
عاق لهم مفرقا بعضكم لبعض عدو فى موضع الحال اى متعادين ولكم فى الارض مستقر
استقرار او موضع استقرار ومتاع تمتع الى حين الى تقضى اجالكم قال فيها تحيون
وفيها تموتون ومنها تخرجون للجزاء وقرأ حمزة والكسائى وابن ذكوان ومنها تخرجون
وفى الزخرف وكذلك تخرجون بفتح التاء والراء يا بنى ادم قد انزلنا عليكم لباسا اى
خلقنا لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة ونظيره قوله وانزل لكم من الانعام وقوله وانزلنا
الحديد يوارى سوآتكم التى تقصد الشيطان ابداءها ويخنيكم عن خصف الورق روى
ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف فى ثياب عصينا الله فيها
فنزلت ولعله ذكر قصة ادم تقدمة لذلك حتى لا يعلم ان انكشاف العورة اول سوءة
اصاب الانسان من الشيطان وانه اغواهم فى ذلك كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا يتجملون
به والريش الجمال وقيل ما ظهر من ريش الرجل اذا تمول وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب
وشعاب ولباس التقوى خشية الله وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب
ورفعه بالابتداء وخبره ذلك خير او خير وذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه
خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائى ولباس بالنصب عطفا على لباسا ذلك اى انزل
اللباس من ايات الله الدالة على فضله ورحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته ويتعظون
فينتهون عن المقابح يا بنى ادم لا يفتننكم الشيطان لا يمتحننكم بان يمنعكم دخول الجنة
باغوائكم كما اخرج ابويكم من الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها والنهى فى اللفظ للشيطان
والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من
ابويكم او من فاعل اخرج والاسناد الى الفعل للتسبب نزعكم هو وقبيله من حيث
لا ترونهم تعليل للنهى وتاكيد للتحذير من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا
من حيث لا نراهم فى الجملة لا يقتضى امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين
اولياء للذين لا يؤمنون بما اوجده بينهم من التناسب وبارسالهم عليهم وتمكينهم
من خذلانهم وحملهم على ما سولوا لهم والاية مقصورة العصة وقد ذكرت الحكاية واذا
فعلوا فاحشة فعلة متناهية فى القبح كعبادة الصنم وكشف العورة فى الحرم الطواف
قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها اعتذروا واحتجوا بامرين تقليد الاباء والافتراء
على الله فاعرض عن الاول لظهور فساده ورد الثانى بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشاء
لان عادته جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح
الفعل بمعنى ترتب الذم عليه لجاز عقلى فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم
ويستنقصه العقل المستقيم وقيل ما جاوز عن سوءتين متربتين كانه قيل لهم لما فعلتم
لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها اباءنا فقيل ومن اين اخذ اباؤكم فقال الله امرنا بها وعلى
الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا اتقولون على الله ما لا تعلمون
انكار يتضمن النهى عن الافتراء على الله قل امر ربى بالقسط بالعدل وهو الوسط من كل
امر المنجافى عن طرفى الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين
غير عادلين الى غيرها واقيموها نحو القبلة عند كل مسجد فى كل وقت سجود او مكان منه
وهو الصلاة او فى اى مسجد حضرتكم الصلوة ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم
وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اى الطاعة فان اليه مصيركم كما بدأكم

انشأكم ابتداء تعودون باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا
لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون اليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة
غرلا تعودون وقيل كما بدأكم مومنا وكافرا تعودون فريقا هدى بان وفقهم للايمان
وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده اى
وخذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانهم او تحقيق
لضلالتهم ويحسبون انهم مهتدون يدل على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء فى استحقاق
الذم والفارق ان يحمله على المقصر والنظر يا بنى ادم خذوا زينتكم ثيابكم للمواراة عوراتكم
عند كل مسجد لطواف او صلاة ومن السنة ان ياخذ الرجل احسن ثيابه للصلاة وفيه
دليل على وجوب ستر العورة فى الصلوة وكلوا واشربوا ما طاب لكم روى ان بنى عامر فى ايام
حجهم كانوا لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون
به فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدى الى الحرام او بافراط الطعام والشره عليه
وعن ابن عباس رضى الله عنهما كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان سرف
ومخيلة وقال على بن الحسين بن واقد جمع الله الطب فى نصف اية فقال كلوا واشربوا ولا
تسرفوا انه لا يحب المسرفين اى لا يرضى فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب وسائر
ما يتجمل به التى اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان ومن الحيوان كالحرير والصوف
والمعادن كالدروع والطيبات المستلذات من المآكل والمشارب
وفيه دليل على ان الاصل فى المطاعم والمشارب وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام فى
معنى للانكار قل هى للذين امنوا فى الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع
خالصة يوم القيمة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرا نافع بالرفع على
انها خبر بعد خبر كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون اى كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر
الاحكام لهم قل انما حرم ربى الفواحش ما تزايد قبحه وقيل ما تعلق بالفروج ما ظهر منها
وما بطن جهرها وسرها والاثم وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر والبغى
الظلم او الكبر افرده للمبالغة بغير الحق متعلق بالبغى مؤكد له معنى وان تشركوا بالله ما لم
ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدع عليه برهان وان
تقولوا على الله ما لا تعلمون بالالحاد فى صفاته والافتراء عليه كقولهم الله امرنا بها ولكل امة
اجل مدة او وقت لنزول العذاب مدتهم وموعد لاهل مكة فاذا جاء اجلهم انقضت
وانقرضت مدتهم او حان وقتهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون اى لا يتاخرون
ولا يتقدمون اقصر وقت او لا يطلبون التاخر والتقدم لشدة الهول يا بنى ادم
اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتى شرط ذكر بحرف الشك للتنبيه على ان اتيان الرسل
امر جايز غير واجب كما ظنه اهل التعليم وضمت لها ما لتاكيد معنى الشرط ولذلك لحقت فعلها
بالنون وجوابه فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا
واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح
عمله منكم والذين كذبوا باياتنا منكم وادخال الفاء فى الخبر الاول دون الثانى للمبالغة فى
الوعد والمسامحة فى الوعيد فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته
ممن يقول على الله
ما لم يقله وكذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب من الارزاق والاجال
وقيل الكتاب اللوح اى مما اثبت لهم فيه حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم اى يتوفون ارواحهم
وموحال من الرسل وحتى غاية لنيلهم التى يبتداء بعدها الكلام قالوا جواب اذا اين ما كنتم تدعون

من دون الله اى الاصنام التى كنتم تعبدونها وما وصلت بأين فى خط المصحف وحقها الفصل
لانها موصولة قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين اعترفوا بانهم
كانوا ضالين فيما كانوا عليه قال ادخلوا اى قال الله لهم يوم القيمة او احد من الملائكة فى امم قد
خلت من قبلكم اى كائنين فى جملة امم مصاحبين لهم من الجن والانس يعنى كفار الامم الماضية
من المنوعين فى النار متعلق بادخلوا كلما دخلت امة اى فى النار لعنت اختها التى ضلت بالاقتداء
بها حتى اذا ادارکوا فيها جميعا اى تداركوا وتلاحقوا فى النار قالت اخراهم دخولا او منزلة
وهم الاتباع لاولاهم لاجل اولاهم فالخطاب مع الله لامهم ربنا هؤلاء اضلونا سنوا
لنا الضلال فاقتدينا بهم فاتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا لانهم ضلوا وقال لكل ضعف
اما للقادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون ما لكم
وما لكل فريق وقرأ عاصم برواية ابى بكر بالياء على الانفصال وقالت اولاهم لاخراهم فما
كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم على جواب الله لاخراهم ورتبوه عليه اى فقد ثبت ان لا فضل
لكم علينا وانا وايا كم متساوون فى الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب بما كنتم
تكسبون من قول القادة او من قول الفريقين ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها
اى عن الايمان بها لا تفتح لهم ابواب السماء لادعيتهم ولا ارواحهم كما تفتح لاعمال المؤمنين
وارواحهم لتتصل بالملائكة والتاء فى تفتح لتانيث الابواب والتشديد للكثرة وقرأ
ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائى به وبالياء لان التانيث غير حقيقى والفعل مقدم
وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على ان الفعل للآيات وبالياء على ان الفعل
لله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط اى حتى يدخل ما هو مثل فى عظم الجرم
وهو البعير فيما هو مثل فى ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون فلذا ما يتوقف
عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالثمر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل
وهو الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وفى سم المخيط وهو
والخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفضيع نجزى المجرمين لهم
من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش اغطية والتنوين فيه للبدل عن اللام عند سيبويه
والمبرد وغيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف وكذلك نجزى الظالمين عبر عنهم بالمجرمين
تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بهذه الصفات الذميمة
وذكر الجرم مع الجرمات من الخبث والظلم مع التعذيب بالنار تليها على انه اعظم الاجرام والذين
امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
على عادته سبحانه وتعالى ان يشفع الوعد بالوعيد ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين
المبتدا وخبره للترغيب فى اكتساب النعيم المقيم بما تسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ
لا تكلف نفس ونزعنا ما فى صدورهم من غل اى نخرج من قلوبهم اسباب الغل وانظارها
منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وعن على رضى الله عنه انى لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة
والزبير منهم تجرى من تحتهم الانهار زيادة فى لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله الذى هدانا
لهذا لما لجزاء هذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله لولا هداية الله وتوفيقه واللام
لتوكيد النفى وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرأ ابن عامر ما كنا بغير واو على
انها مبينة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك
اغتباطا وتحجبا بان ما علموه يقينا فى الدنيا صار لهم عين اليقين فى الآخرة ونودوا ان تلكم
الجنة اذا راوها من بعيد او بعد دخولها والمنادى له بالذات اورثتموها بما كنتم تعملون

العلق

اى اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة
صفة تلكم وان فى المواقع الخمسة هى المخففة او المفسرة لان المناداة والتنادين من القول
ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار انا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم
حقا انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل ما وعدكم ربكم
كما قال ما وعدنا لان ما ساءهم من الموعود لم يلق باسرهم مخصوصا وعدوه بهم كالبعث
والحساب وانعم اهل الجنة قالوا نعم وقراء الكسائى حيث وقع بكسر العين وهما لغتان
فاذن مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين وقرأ
ابن كثير برواية البزى وابن عامر وحمزة والكسائى ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ
ان بالكسر على ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة
للظالمين او ذم مرفوع او منصوب ويبغونها عوجا حال اى زائغا او ميلا مما هو عليه والعوج بالكسر
فى المعانى والاعيان مالم تكن منتصبة وبالفتح فى المنتصبة كالحائط وهم بالاخرة كافرون
وبينهما حجاب اى بين الفريقين كقوله فضرب بينهم لصور او بين الجنة والنار ليمنع
وصول احدهما الى الاخر وعلى الاعراف اى اعراف الحجاب اى اعاليه وهو السور المضروب بينهما
جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من شىء فانه يكون بظهور واعراف
من غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا فى العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضى
الله فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء او خيار المؤمنين على الجواز
او ملائكة يرون فى صورة الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة والنار بسيماهم بعلاماتهم
التى اعلمهم الله بها بياض الوجه وسواده فعلى من سام اذا ارسلها فى المرعى معلمة
او من وسم على القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالهام او بتعليم الملائكة ونادوا
اصحاب الجنة ان سلام عليكم اى اذا نظروا اليهم سلموا عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون
حال من الواو على الوجه الاول ومن الاصحاب على الوجه واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب
النار قالوا نعوذ بالله ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اى فى النار ونادى اصحاب
الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم من رؤساء الكفرة قالوا ما اغنى عنكم جمعكم كثرتكم او جمعكم
المال وما كنتم تستكبرون عن الحق او على الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة اهؤلاء
الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى الضعفاء اهل الجنة
الذين كانت الكفرة يحتقرونهم فى الدنيا ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة
لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون اى فالتفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهو فى
للوجوه الاخيرة او فقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة تفضل الله بعد ان حبسوا حتى
ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا او قيل لما غيروا اصحاب النار افتموا ان
اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله تعالى لبعض الملائكة اهؤلاء الذين
اقسمتم وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستيناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف
عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا اى صبوا علينا وهو دليل على
ان الجنة فوق النار من النار ومما رزقكم الله من سائر الاشربة ليلايم الافاضة او من
الطعام كقوله علفتها تبنا وماء باردا قالوا ان الله حرمهما على الكافرين
منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية
حول البيت واللهو صرف الهم بما لا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن
ان يطلب به وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين فنترکهم

حتى نفنى ما لم تعينا ها

والها

فى النار

في النار كما نسوا لقاء يومهم هذا فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وما كانوا بآياتنا
يجحدون وكما كانوا منكرين لها من عند الله ولقد جئناهم بكتاب فصلناه بينا معانيه
من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة على علم عالمين بوجوه تفصيله حتى جاء محكما
وفيه دليل على انه تعالى عالم بعلم او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضلناه
اى على سائر الكتب عالمين بانه حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون حال من الهاء
هل ينظرون الا تاويله ويله ما يؤل اليه امره من تبين صدقه بظهور ما نطق به
من الوعد والوعيد يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك النابذ قد
جاءت رسل ربنا بالحق اى قد تبين انهم قد جاؤا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا
اليوم او نرد او هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان او بمعنى الى فعلى الاول
المسئول احد الامرين وعلى الثاني ان يكون لهم شفعاء اما احد الامرين او لامر واحد وهو
الرد فنعمل غير الذي كنا نعمل جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع اى فنحن نعمل قد خسروا
انفسهم بصرف اعمارهم بالكفر وضل عنهم ما كانوا يفترون يبطل عنهم فلم ينفعهم ان ربكم الله
الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اى في مقدار ستة ايام او في ستة اوقات كقوله ومن يومئذ دبره
اوفى مقدار ستة ايام فان المتعارف في اليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفي
خلق الانسان مدد جامع القدرة على ايجادها دفعة دليل الاختيار واعتبار للنظار وحث
الثاني في الامور ثم استوى على العرش ستوى امر او استولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش
صفة الله بلا كيف والمعنى انه تعالى استوى على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن
والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه وللتشبيه بسرير الملك فان الامور *
والتدبير ينزل منه وقيل الملك يغشى الليل النهار يغطيه ويعقبه ولم يذكر عكسه للعلم به
اولان اللفظ يحتملهما وقد دل قوله يغشى الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار وقرأ حمزة
والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفي الرعد للدلالة على التكثير يطلبه
حثيثا يطلبه يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شئ والحثيث فعيل من الحث وهو
صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا والشمس والقمر
والنجوم مسخرات بامره بقضايته وتدبيره ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات
على الحال وقرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر فانه الموجد والمتصرف
تبارك الله رب العالمين تعالى بالوحدانية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الآية
والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين ربابا قد بين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى
لانه الذي له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع
الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه بقوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين
وعدى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيات ثم قسمها
بصور نوعية متضادة الاثار والافعال واليه اشار بقوله تعالى وخلق الارض في يومين
اى ما في جهة السفل في يومين ثم انشأ انواع المواليد الثلاثة المعادن والحيوان والنبات
بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قول وخلق الارض في يومين وجعل
فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اى مع اليومين الاولين
لقوله تعالى في سورة السجدة الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم لما
تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء
الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوين الليالي والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير

ونتيجته فقال الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امرهم بان يدعوا متذللين
مخلصين فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية اى ذوى تضرع وخفية فان الاخفا دليل
الاخلاص انه لا يحب المعتدين المجاوزين له ما امروا به فى الدعاء وغيره وبنبه به على ان
الداعى لا ينبغى ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل الصياح
فى الدعاء والاسهاب به وعن النبى صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون وحسب المرء ان يقول
اللهم انى اسئلك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرا انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا
فى الارض بالكفر والمعاصى بعد اصلاحها ببعث الانبياء وشرع الاحكام وادعوه خوفا
وطمعا ذوى خوف من الرد لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمعا فى اجابته تفضلا واحسانا
لفرط رحمته ان رحمة الله قريب من المحسنين ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة
وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة محذوف اى امر قريب او على تشبيه
بفعيل الذى بمعنى مفعول او الذى هو مصدر كالنقيض والفرق بين القرب من النسب والقرب
من غيره وهو الذى يرسل الرياح وقرا ابن كثير وحمزة والكسائى الريح على الوحدة نشرا
جمع نشور بمعنى ناشر وقرا ابن عامر بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائى نشر بفتح النون
حيث وقع على انه مصدر فى موقع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر
متقاربان وعاصم بشرا حيث وقع وهو تخفيف بشر جمع بشير وقد قرئ به وبشرا بفتح الباء
مصدر بشرة بمعنى باشرات والبشارة بين يدى رحمته قدام رحمته يعنى المطر فان الصبا
تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت
اى حملته واشتقاقه من القلة فان المقل للشئ يستقله سحابا ثقالا بالماء جمعه لان السحاب
بمعنى السحائب سقناه اى السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ لبلد ميت لاحله
او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت فانزلنا به الماء بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح
وكذلك فاخرجنا به ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباء للالصاق
فى الاول وللظرفية فى الثانى واذا كان لغيره فهى للسببية فيهما من كل الثمرات من كل
انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة فيه الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اى كما نحييه
باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النباتات والثمرات نخرج الموتى من
الاجداث ونحييهم برد النفوس الى موادها بعد جمعها وتطريتها بالقوى فى جميع
الحواس لعلكم تذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا والبلد الطيب الارض
الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه
وغزارة نفعه لانه اوقعه فى مقابلة والذى خبث اى كالحرة والسبخة لا يخرج الا نكدا
قليلا عديم النفع ونصبه على الحال وتقدير الكلام والبلد الذى خبث لا يخرج نباته الا
نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يخرج اى
يخرج اهله البلد فيكون الا نكدا مفعولا ونكدا على المصدر اى ذا نكد ونكدا بالاسكان
للتخفيف وكذلك نصرف الايات نرددها ونكررها لقوم يشكرون لنعمة الله فيتفكرون
فيها ويعتبرون بها والاية مثل لمن تدبر الايات وانتفع بها ومن لم يرفع اليها راسا ولم
يتاثر بها لقد ارسلنا نوحا الى قومه جواب قسم محذوف ولا يكاد يطلق هذا اللام الا
مع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدرت بها ونوح
ابن لمك بن متوشلخ بن ادريس وهو اول نبى بعث بعد ادم وهو ابن خمسين سنة او اربعين
فقال يا قوم اعبدوا الله اى اعبدوه وحده لقوله ما لكم من اله غيره وقرا الكسائى غيره بالكسر

على اللفظ حيث وقع اذا كان قبل لا الا من التي تخفض وقرئ بالنصب على الاستثناء انى اخاف
عليكم عذاب يوم عظيم اذ لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان لما اراعى الى عباده تنبيها على ان اليوم يوم القيمة
او يوم نزول الطوفان قال الملا من قومه اى الاشراف فانهم يملؤن العيون رواء انا لنراك
في ضلال زوال عن الحق مبين بين قال يا قوم ليس بي ضلالة اى شئ من الضلال بالغ
في النفي كما بالغوا في الاثبات وعرضهم به ولكني رسول من رب العالمين استدراك باعتبار
ما يلزمه وهو كونه على هداية في الغاية لانه رسول من الله ابلغكم رسالات ربي وانصح
لكم واعلم من الله ما لا تعلمون صفات واستيناف ومساق على الوجهين لبيان كونه مرسلا
وقرأ ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها
كالعقائد والمواعظ والاحكام او لان المراد بها ما اوحى الله والى الانبياء قبله كصحف
شيث وادريس ونزيادة اللام في لكم للدلالة على اختصاص النصح لهم وفي اعلم من الله تقرير
لما اوعدهم به فان معناه علم من قدرته وشدة بطشه او من جهته بالوحي اشياء لا علم لكم بها
او عجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف اى كذبتم وعجبتم ان جاءكم من
جاءكم ذكر كائن من ربكم رسالة او موعظة على رجل على لسان رجل منكم من جملتكم او من
جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا
بهذا في ابائنا الاولين لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا منهما لسبب
الانذار ولعلكم ترحمون بالتقوى وقيد بحرف الترجي للتنبيه على ان التقوى غير موجب
والترحم من الله تفضل وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يامن من عذاب الله
فكذبوه فانجيناه والذين معه وهم من امن به ينبوه وكانوا اربعين رجلا واربعين
امراة وقيل تسعة كسام وحام ويافث وستة ممن امن به في الفلك متعلق بمعا و
بانجيناه او حال من الموصول او الضمير في معه واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان
انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين واصله عميين مخفف وقرئ عامين
والاول ابلغ لدلالته على الثبات والى عاد اخاهم عطف على نوحا الى قومه هودا عطف
بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقوله يا اخا العرب فانه هود بن عبد الله بن
رياح بن الخلود بن عوص بن ادم بن سام بن نوح وقيل هو ابن شالخ بن ارفخشد
بن سام عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم اهم لقومه واعرف بحاله ورغب في اتباعه
فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره استيناف ولم يعطف كانه جواب سائل
قال فما قال لهم حين ارسل وكذلك جوابهم افلا تتقون عذاب الله وكان قومه اقرب
من قوم نوح ولذلك قال قال الملا الذين كفروا من قومه اذ كان من اشرافهم من امن به
كمرثد بن سعد انا لنراك في سفاهة متمكنا في خفة عقل او اسخافة حيث فارقت دين قومك
وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين
ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل
منكم لينذركم سبق تفسيره وفي اجابة الانبياء الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا
والاعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهلذا
ينبغي لكل ناصح وفي قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه بالامرين وقرأ ابو عمرو
ابلغكم والموضعين الا في هذه السورة وفي الاحقاف مخففا واذكروا اذ جعلكم خلفاء
من بعد قوم نوح او في مساكنهم او في الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد
ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى بحر عمان خوفهم من عقاب الله ثم ذكرهم

بانعامه وزادكم في الخلق بسطة قامة وقوة تعميم بعد تخصيص فاذكروا الاء الله
لعلكم تفلحون لكي يفضي بكم ذكر النعم الى شكرها المؤدي الى الفلاح قالوا اجئتنا لنعبد الله
وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما اشرك
به اباؤهم انما كان في التقليد وحبا لما الفوه ومعنى المجيء في اجئتنا اما المجيء من مكان اعتزل
به عن قومه او من السماء على التهكم والقصد على المجاز كقولهم ذهب يشتمني فاتنا بما
تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله افلا تتقون ان كنت من الصادقين فيه قال قد
وقع عليكم قد وجب وحق او نزل عليكم على ان المتوقع كالواقع من ربكم رجس عذاب
من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب ارادة الانتقام اتجادلونني في اسماء سميتموها
انتم وابآؤكم ما نزل الله بها من سلطان اي في اشياء سميتموها الهة وليس فيها معنى
الالهية لان المستحق للعبادة هو الموجد للكل ولانها لو استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى
اما بانزال اية او بنصب حجة بين ان منتهى حجتهم وسندهم ان الاصنام تسمى الهة من
غير دليل يدل على تحقيق المسمى واسناد الاطلاق الى من له الولاية يقوله اظهار الغاية
جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به على ان الاسم هو المسمى وان اللغات توقيفية اذ
لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال بانها اسماء مخترعة لم ينزل الله بها سلطانا وضعفه
ظاهر فانتظروا ما وضح الحق وانتم مصرون على العناد نزول العذاب انى معكم من
المنتظرين فانجيناه والذين معه في الدين رحمة منا عليهم وقطعنا دابر الذين
كذبوا بآياتنا اى استاصلناهم وما كانوا مؤمنين تعريض بان امن منهم وتنبيه على
ان الفارق بين من نجا ومن هلك هو الايمان روى انهم كانوا يعبدون الاصنام
فبعث الله اليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك الله عنهم القطر ثلاث سنين
حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت
الحرام فطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد في سبعين من
اعيانهم وكان ذلك بمكة العمالقة اولاد عملیق بن لاوذ بن سام وسيدهم معاوية
بن بكر فلما قدموا عليه وهم بظاهر مكة انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فلبثوا
عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجاريتان قينتان له فلما راى ذهولهم باللهو عما بعثوا
اليه اهمه ذلك واستحيى ان يكلمهم مخافة ان يظنوا به ثقل مقام فعلم القينتين

الا قيل ويحكما فهيجا ... لعل الله يسقينا غماما

فيسقي ارض عاد ان عادا ... قد امسوا ما يبينون الكلاما

حتى غنتا به فازعجهم ذلك فقال مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم
الى الله سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه عنا لا يقدم معنا مكة فانه قد اتبع دين هود
وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشاء الله
سحابات ثلاث بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه منادٍ من السماء يا قيل اختر لنفسك
ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثر ماء فخرجت على عاد من وادي المغيث
فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم وبخا هود ومن
معه فاتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا والى ثمود اخاهم صالحا صالح بن عبيد بن
اسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من الهة غيره قد
جاءتكم بينة من ربكم معجزة ظاهرة الدلالة على صحة النبوة وقوله هذه ناقة الله لكم اية
استيناف لبيانها واية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هي له اية

ويجوز ان تكون ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا فى آية واضافة الناقة الى الله
لتعظيمها ولانها جاءت من عند الله بلا وسائط واسباب معهودة ولذلك كانت اية فذروها
تاكل فى ارض الله العشب ولا تمسوها بسوء نهى عن المس الذى هو مقدمة الاصابة بالسوء
الجامع لانواع الاذى مبالغة فى الامور وازاحة للعذر فيأخذكم عذاب اليم جواب النهى
واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الارض تتخذون من
سهولها قصورا اى تبنون فى سهولها او من سهولة الارض ما تعملون منها كالطين والآجر
وتنحتون الجبال بيوتا وقرئ تنحتون بالفتح وتخاتون بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال
المقدرة والمفعول على ان التقدير من الجبال او ينحتون بمعنى يتخذون فاذكروا الاء الله
ولا تعثوا فى الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه عن الايمان للذين
استضعفوا اى للذين استضعفوهم واستذلوهم لمن امن منهم بدل من الذين استضعفوا
بدل الكل ان كان الضمير فى منهم لقومه وبدل البعض ان كان للذين وقرأ ابن عامر وقال
الملأ بالواو اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا على الاستهزاء قالوا انا بما ارسل به
مؤمنون عدلوا عن الجواب السوى الذى هو نعم تلبيها على ان ارساله اظهر من ان يشك فيه
عاقل ويخفى على ذى مرى وانما الكلام به فيمن امن به ومن كفر به فلذلك قال قال الذين
استكبروا انا بالذى امنتم به كافرون على المقابلة ووضعوا المنتم به موضع ارسل به ردا
لما جعلوه معلوما مسلما فعقروا الناقة اسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة او لانه كان
برضاهم وعتوا عن امر ربهم واستكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح بقوله فذروها وقالوا
يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة الزلزلة فاصبحوا فى دارهم
جاثمين خامدين ميتين روى انهم بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا
اعمارا طوالا لا يفنيها الا بنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا فى خصب وسعة فعتوا
وافسدوا فى الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من اشرافهم فانذرهم فسألوه
اية فقال اية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك وندعو الهتنا فان استجيب
لك اتبعنا فخرج معهم ودعوا اصنامهم فلم يجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة
يقال لها الكاثبة وقال له اخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك
فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتومنن بى فقالوا نعم فصلى ودعى ربه فتمخضت
الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون
ثم تحت ولد مثلها فى العظم فامن به جندع فى جماعة ومنع الباقين عن الايمان دواب بن
عمرو والحباب صاحبا وثانهم ودباب بن صمعر كاهنهم فكانت الناقة مع ولدها ترعى
الشجر وترد الماء غبا فاذا فرغ راعيها من البئر حتى تشرب كل ما فيها ثم تنفج فيحلبون
ما شاؤا حتى تملئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وتصيف بظهر الوادى فتهرب منها
انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها
لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقى فى سقبها جبلا اسمه
قارة فرغا ثلاثا فقال صالح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه
اذا انفجت الصخرة بعد غايته فدخلها فقال لهم تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد
محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه
فاجاه الله الى ارض فلسطين وكان صحى اليوم الرابع تحنطوا وتلفعوا بالانطاع
فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة

ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين
ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قليب بدر وقال
انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا او ذكر ذلك على سبيل التحسر
عليهم ولوطا اى وارسلنا لوطا اذ قال لقومه وقت قوله لهم او واذكر لوطا واذ بدل
منه اتاتون الفاحشة توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية فى القبح ما سبقكم بها
من احد من العالمين ما فعلها من قبلكم احد قط والباء للتعدية ومن الاولى لتاكيد
النفى والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استيناف مقرر للانكار كانه وبخهم
اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه سوء اينكم لتاتون الرجال شهوة من دون
النساء بيان لقوله اتاتون الفاحشة وهو ابلغ فى الانكار والتوبيخ وقرا نافع وحفص
انكم على الاخبار المستانف وشهوة مفعول له او مصدر فى موقع الحال او التقدير بها
وصفهم بالبهيمة الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغى ان يكون الداعى له الى المباشرة طلب
الولد وبقاء النوع لا قضاء الوطر بل انتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار الى الاخبار
عن حالهم التى ادت بهم الى ارتكاب مثالها وهى اعتياد الاسراف فى كل شئ او عن الانكار عليهم
الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان
جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم اى ما جاؤا بما يكون جوابا عن كلامهم ولكنهم
قالوا لنصيحتهم بالامر باخراجه فيمن معه من المؤمنين من قريتهم والاستقذار بهم فقالوا انهم
اناس يتطهرون اى من الفواحش فانجيناه واهله اى من امن به الا امرأته واهله استثناء
من اهله فانها كانت تسر الكفر كانت من الغابرين من الذين بقوا فى ديارهم فهلكوا والتذكير
لتغليب الذكور وامطرنا عليهم مطرا اى نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وامطرنا
عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين روى ان لوط بن هاران
ابن تارخ لما هاجر مع عمه ابراهيم الى الشام نزل بالاردن فارسله الله الى اهل سدوم ليدعوهم
الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا
وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم والى مدين اخاهم شعيبا اى
وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابراهيم بن شعيب بن ميكيل بن يشخر بن مدين
وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم يريد المعجزة التى كانت له وليس فى القرآن انها ماذا
وما روى من محاربة موسى لثنين وولادة الغنم التى دفعها اليه الدرع خاصة وكانت
الموعودة له من اولادها وقوع عصى آدم على يده فى المرات السبع فتاخر عن هذه
المقاولة ويحتمل ان يكون كرامة لموسى وارهاصا للنبوة فاوفوا الكيل اى آلة الكيل
على الاضمار واطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش كقوله والميزان كما قال فى سورة
هود واوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد ولا
تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم تنبيها
على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون
شيئا الا مكسوه ولا تفسدوا فى الارض بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلح امرها
واهلها الانبياء واتباعهم بالشرايع لو اصلحوا فيها او الاضافة اليها كالاضافة بل مكر
الليل والنهار ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين اشارة الى العمل بما امرهم ونهاهم عنه ومعنى
الخيرية اما الزيادة مطلقا او فى الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال ولا تقعدوا

بكل

بكل صراط توعدون بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان
واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا راوا احدا يسعى فى شئ منها
منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب فلا يفتنك
عن دينك وتوعدون لان امن به وقيل كانوا يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله
يعنى الذى قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما
يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه والايمان بالله من امن اى بالله او بكل صراط على الاول
ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال تصدونهم وتوعدون
بما عطف عليه فى موقع الحال من الضمير فى ولا تقعدوا وتبغونها عوجا وتبغون لسبيل
الله عوجا بالقاء الشبه او وصفها للناس بانها معوجة واذكروا اذ كنتم قليلا عددكم
او عددكم فكثركم بالبركة فى النسل والمال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم
قبلكم واعتبروا بهم وان كان طائفة منكم امنوا بالذى ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا
فتربصوا حتى يحكم الله بيننا اى بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد
للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ
الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن
فى ملتنا اى ليكونن احد الامرين اما اخراجكم عن القرية او عودكم فى الكفر وشعيب لم يكن
فى ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر لما غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه
بخطابهم وعلى ذلك جرى الجواب فى قوله اولو كنا كارهين اى كيف نعود فيها ونحن كارهون
لها او تعيدوننا فى حال كراهتنا قد افترينا على الله كذبا قد اختلقنا عليه ان عدنا فى
ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرط جوابه محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم
يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقربه من الحال اى قد افترينا الان ان عدنا بالعود
بعد الخلاص منها حيث نزعم ان لله ندا وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه باطل وما انتم عليه حق
وقيل ان جواب قسم محذوف وتقديره والله لقد افترينا وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان
يشاء الله ربنا خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر بمشيئته وقيل اراد به حسم طمعهم
فى العود بالتعليق على ما لا يكون وسع ربنا كل شئ علما اى احاط علمه بكل شئ مما كان ومما
يكون منا ومنكم على الله توكلنا فى ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار ربنا افتح بيننا
وبين قومنا بالحق اى احكم بيننا وبينهم والفتاح القاضى والفتاحة الحكومة واظهر امرنا حتى
ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز الحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين
على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا وتركتم دينكم انكم اذا
لخاسرون لاستبداله الكفر بالله بعد ايمانكم او لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو
سادّ مسدّ جواب الشرط والقسم الموطإ باللام فاخذتهم الرجفة الزلزلة وفى سورة الحجر
الصيحة ولعلها كانت من مبادئها فاصبحوا فى دارهم جاثمين اى فى مدينتهم الذين كذبوا
شعيبا مبتدا وخبر كان لم يغنوا فيها اى استوصلوا كان لم يتمولوا بها والمعنى المنزل الذين
كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين دينا ودنيا لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم
الرابحون فى الدارين والتنبيه على هذا المعنى والمبالغة فيه كرر الموصول واستانف
بالجملتين واتيها اسميتين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربى ونصحت
لكم قاله تاسفا لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه فقال فكيف اسى على قوم كافرين ليسوا
اهلا لنصحى لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قال اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى

لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت لكم وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي
فكيف اسي عليكم وقرئ فكيف اسى يا مالئين **وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها**
بالباساء والضراء بالبؤس والضر **لعلهم يضرعون** كي يتضرعوا ويتذللوا **ثم بدلنا**
مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة
ابتلاء لهم بالامرين **حتى عفوا** اكثروا وعددا وعدة يقال عفى النبات اذا كثر ومنه اعفى اللحى
وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء كفرانا لنعمة الله ونسيانا للذكر واعتقادا بانه من
عادة الدهر يعاقب الناس بين الضراء والسراء وقد مس اباءنا مثل ما مسنا **فاخذناهم**
بغتة فجاءة **وهم لا يشعرون** بتردد العذاب **ولو ان اهل القرى** يعني القرى المدلول
عليها بقوله وما ارسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها **امنوا واتقوا** مكان كفرهم
وعصيانهم **لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض** لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم
من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقراء ابن عامر لفتحنا بالتشديد **ولكن كذبوا**
الرسل **فاخذناهم بما كانوا يكسبون** من الكفر والمعاصي **افامن اهل القرى** عطف على قوله
فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى افبعد ذلك من القرى **ان**
ياتيهم باسنا تبييتا ووقت بيات ومبيتا ومبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة
ويجئ بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم **وهم نايمون** حال من ضميرهم البارز والمستتر
في بياتا **او من اهل القرى** وقراء ابن كثير ونافع وابن عامر اوامن بالسكون على التريدين **ياتيهم**
باسنا ضحى ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت **وهم يلعبون** يلهون من
فرط الغفلة او بشيء تغلون بما لا ينفعهم **افامنوا مكر الله** تقرير لقوله افامن اهل القرى ومكر
الله استعارة لاستدراج العبد واخذه من حيث لا يحتسب **فلا يامن مكر الله الا القوم**
الخاسرون الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار **اولم يهد للذين يرثون الارض من**
بعد اهلها اي يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عدي يهد باللام لانه بمعنى
يبين **ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم** ان الشان لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم كما اصبنا
من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قراءه بالنون جعله مفعولا **ونطبع على قلوبهم** عطف على مادل
عليه اولم يهد اي يغفلون عن الهداية او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع والجوز عطفه على
اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا لانه في سياق جواب لو لان فضاياه الى التي الطبع عنهم **فهم**
لا يسمعون سماع تفهم واعتبار **تلك القرى** يعني قرى الامم المار ذكرهم **نقص عليك من**
انبائها حال ان جعل القرى خبرا ويكون اقادته بالتقييد بها وحينئذ ان جعلت صفة ويجوز
ان يكونا خبرين ومن للتبعيض اي نقص بعض انبائها ولها انباء غيرها لا نقصها **ولقد**
جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات **فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بما كذبوا من قبل**
بما كذبوه من قبل الرسل بما كانوا مستمرين على التكذيب **وما كانوا ليؤمنوا** مدة عمرهم بما
كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل ولم يؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والايات المتتابعة
واللام لتاكيد النفي والدلالة على انهم ما صلحوا للايمان لمنافاة حالهم في التصميم على الكفر
والطبع على قلوبهم **كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين** فلا تلين شكيمتهم بالايات والنذر
وما وجدنا لاكثرهم لاكثر الناس والاية اعتراض **ولاكثر الامم من عهد** من وفاء عهد
فان اكثرهم نقضوا ما عهد الله اليهم في الايمان والتقوى باتيان الايات ونصب الحجج او ما
عاهدوا اليه حين كانوا في ضر ومخافة مثل لئن انجيتنا لنكونن من الشاكرين **وان**
وجدنا اكثرهم اي علمنا هم **لفاسقين** من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول ان المخففة

٢ بياتا

واللام الفارقة وذلك لا يجوز الا في المبتدا والخبر والافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين
ان المنفي واللام بمعنى الا ثم بعثنا من بعدهم موسى الضمير للرسل في قوله ولقد جاءت
رسلهم او للام بايانتا يعني المعجزات الى فرعون وملائه فظلموا بها بان كفروا بها بدل
الايمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لكل
من ملك مصر كقيصر ملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان
فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين
اليك وقوله حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق لعله جواب لمن لامه ايباه في دعوى
الرسالة واتمام بنكره لدلالة قوله فظلموا بها عليه ومن حقيق معنى حريص او وضع على
مكان الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حالة حسنة ويؤيده قراءة
ابي بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول وكان اصله حقيق علي ان لا اقول كما قراءة نافع فقلبت لامن
الالباس كقوله وتشفي الرياح بالضياطرة الحمراء ولان ما لزمك فقد لزم كنه او
للاغراق يوصف نفسه بالصدق والمعنى انه حقيق وواجب على القول الحق ان اكون انا قائله
لا يرضى الا بمثلي ناطقا به قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل فخلهم حتى
يرجعوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن اباءهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم
في الاعمال قال ان كنت جئت باية من عند من ارسلك فات بها فاحضرها عندي
ليثبت بها صدقك ان كنت من الصادقين في الدعوى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان
مبين ظاهر امره لا يشك في انه ثعبان وهو الحية العظيمة وروي انه لما القاها
صارت ثعبانا اشعر فاغر فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض
والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه وحدث وانهزم الناس
مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا وصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي
ارسلك خذه وانا اؤمن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا ونزع
يده من جيبه او من تحت ابطه فاذا هي بيضاء للناظرين اي بيضاء بيضاء خارجا
عن العادة مجتمع عليه النظارة او بيضاء للنظارة انها كانت بيضاء في جبلها روي
انه كان ادم شديد الادمة فادخل يده في جيبه او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هي
بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس قال الملا من قوم فرعون ان هذا
لساحر عليم قيل قاله هو واشراف قومه على سبيل التشاور في امر خافي عنه في صورة
الشعر وعنهم ههنا يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون تشيرون في ان نفعل
قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم كانه التقت
عليه اراؤهم فاشاروا به الى فرعون والارجه التاخير اي اخر امره واصله ارجيه
كما قراء ابو عمرو ويعقوب من ارجات وكذلك ارجهوا على قراءة ابن كثير وهشام
على الاصل في الضمير او ارجهي من ارجيت كما قراء نافع في رواية ورش واسمعيل
والكسائي واما ما قراءته في رواية قالون ارجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة
عنها وقراءة حمزة وعاصم بسكون الهاء فلتشبيه المتصل بالمنفصل وجعل جه كابل في
اسكان وسطه واما قراءة ابن عامر برواية ابن ذكوان ارجئه بالهمزة وكسر الهاء
فلان تضيه النحاة فان الهاء لا تكسر الا اذا كان قبلها كسرة او ياء ساكنة ووجهه ان
الهمزة لما كانت ساكنة تقلب ياء اجريت مجراها وقراءة حمزة والكسائي بكل ساحر فيه
وفي يونس ويؤيده التفاتهم عليه في الشعراء وجاء السحرة فرعون بعدما ارسل الشرط

فى طلبهم قالوا ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين استئنافوا به كانه جواب سائل قال ما قالوا
اذ جاؤا وقرأ ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم ان لنا على الاخبار وايجاب الاجر كانهم قالوا
لا بد لنا من اجر فالتنكير للتعظيم قال نعم ان لكم اجرا وانكم من المقربين عطف على ما سد مسد
نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين
خيّروا موسى عليه الصلاة والسلام مراعاة للادب واظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم
فى ان يلقوا قبله فنبّهوا عليها بتغيير النظم الى ما هو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل
او تاكيد ضمير الم المتصل بالمنفصل فلذلك قال القوا كما وتسامحا او ازدراء بهم ووثوقا
على شانه فلما القوا سحروا اعين الناس بان خيّلوا اليها والحقيقة بخلافه واسترهبوهم
ورهبوهم ارهابا شديدا كانهم طلبوا رهبتهم وجاؤا بسحر عظيم فى فنه روى انهم القوا حبالا
غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات ملات الوادى وركب بعضها بعضا واوحينا الى موسى ان الق
عصاك فالقاها فصارت حية اذا هى تلقف ما يافكون اى ما يزورونه من الافك وهو الصرف
وقلب الشئ عن وجهه ويجوز ان تكون ما مصدرية وهى مع الفعل بمعنى المفعول روى
انها لما تلقفت حبالهم وعصيّهم وابتلعتها باسرها واقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا
حتى هلك جمع عظيم ثم اخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقالت السحرة لو كان هذا
سحرا لبقيت حبالنا وعصيّنا وقرأ حفص عن عاصم تلقف هنا وفى طه وفى الشعراء تلقف
الحق فثبت لظهوره امن وبطل ما كانوا يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك وانقلبوا
صاغرين فصاروا اذلاء مبهوتين ورجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والضمير لفرعون
وقومه والقى السحرة ساجدين جعلهم ملقين على وجوههم تشبيها على ان الحق بهرهم
واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك او ان الله الهمهم ذلك وحملهم عليه حتى يتكسر
فرعون بالذين اراد بهم كسر موسى وينقلب الامر عليهم او مبالغة فى سرعة خرورهم وشدته
قالوا امنا برب موسى العالمين رب موسى وهرون ابدلوا الثانى من الاول لئلا يتوهم
انهم اراد وا به فرعون قال فرعون اءمنتم به بالله او بموسى والاستفهام للانكار وقرأ
حمزة والكسائى وابو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرأ حفص
امنتم على الاخبار وقرأ قنبل قال فرعون وامنتم بمدة فى حال الوصل من همزة الاستفهام
واو امفتوحة ويمد بعدها مدة فى تقدير الفين وقرأ الباقون بتخفيف فهمزة الاولى لهم
وتليين الثانية قبل اذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه اى ان هذا لصنيع حيلتموها
انتم وموسى فى المدينة قبل ان تخرجوا للميعاد لتخرجوا منها اهلها يعنى القبط
وتخلصوا لكم ولبنى اسرائيل فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل لتفصيله لاقطعن
ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين لتضييعكم ايّاكم وتنكيلا لامثالكم
قيل انه اول من سن ذلك وشرع الله القطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سمّاه الله محاربة لله
ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته قالوا انا الى ربنا منقلبون بالموت لا محالة فلا
نبالى بما تهددنا به او بعدك او انا منقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوا
شتى فى لقاء الله او مصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا وما تنكر منا الا ان
امنا بايات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتاتى لنا العدول عنه
طلبا لمرضاتك ثم دعوا الى الله فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا صبرا يغمرنا
كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا من الاثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين
ثابتين على الاسلام قيل انه فعل بهم ما وعدهم به وقيل لم يقدر عليهم لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما

الغالبون

الغالبون وقال الملا من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض بتغييرالناس
عليك ودعوتهم الى مخالفتك ويذرك عطف على ليفسدوا او جواب للاستفهام بالواو كقوله
الخطيئة ٭ ٭ الملك جاركم ويكون بيني ٭ وبينكم المودة والاخاء ٭ في
على معنى ليكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على اتذر او استئنافا
او حال وقرئ بالسكون كانه قيل ليفسدوا ويذرك كقوله فاصدق وأكن والهتك هو
معبودتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا
اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى ويذرك قرئ الهتك اى عبادتك قال فرعون سنقتل
ابناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا كنا ما عليه من الغلبة والقهر ولا يتوهم
انه المولود الذى علم به المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يديه وقراء ابن كثير ونافع
سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا قال موسى
لقومه استعينوا بالله واصبروا لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم ان
الارض لله يورثها من يشاء من عباده تسلية لهم وتقرير للامر بالاستعانة بالله به
والتثبيت في الامر والعاقبة للمتقين وعدا لهم بالنصرة وتذكيرا لما وعدهم من اهلاك
القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق لهم وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان واللام
في الارض تحتمل العهد والجنس قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا بالرسالة بقتل الابناء
ومن بعد ما جئتنا باعادته قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض
تصريح بما كنى عنه اولما راى انهم لم يتسلوا بذلك ولعله انما فعل الطمع لعدم جزمه بانهم
المستخلفون باعيانهم واولادهم وقد روى انه مصرهما فتح لهم في زمن داود عليه الصلاة
والسلام لينظر كيف تعملون فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان فيجازيكم على
حسب ما يوجد منكم ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين بالجدوب لقلة الامطار والمياه
والسنة غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويوصف به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم
اذا قحطوا ونقص من الثمرات بكثرة العاهات لعلهم يذكرون لكي يتذكروا هو اعلى ان ذلك
لبشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعطفوا ويرق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما
عنده فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والسعة قالوا لنا هذه لاجلنا ونحن مستحقوها وان
تصبهم سيئة جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابنا الا
بشؤمهم وهذا اغراق في وصفهم بالخباثة والنقاوة فان الشدائد ترقق القلوب وتذلل
العرائك وتزيل التماسك شيئا بعد شيء الايات ومع ذلك لم تؤثر فيهم بل ازدادوا عتوا
عتوا وانما كانت الحسنة وانما عرفت السيئة وذكرها مع اداة التحقيق للكثرة وقوعها ولتعلق الارادة
باحداثها بالذات وتكر السيئة وانيثها مع حرف الشك لتذكيرها وعدم القصد لها الا
بالتبع الا انما طائرهم عند الله اى سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته او بسبب
شؤمهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها التي ساقت اليهم ما يسوءهم وقرئ
انما طيرهم وهو اسم جمع وقيل هو جمع ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ما يصيبهم من الله انما
شؤم اعمالهم وقالوا مهما اصله ما الشرطية ضمت اليها ما الزايدة للتاكيد ثم قلبت الفها هاء
استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذى يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع على
الابتداء او النصب بفعل يفسره تاتنا به اى اى شيء تحضرنا تاتنا به من اية بيان لمهما
وانما سموها اية على زعم موسى لا اعتقادهم ولذلك قالوا لتسحرنا بها فما نحن لك بمومنين
اى لتسحرنا بها اعيننا وتشبه علينا والضمير فيه وفيها لما ذكر قبل التبيين باعتبار اللفظ وانث

بعده باعتبار المعنى فارسلنا عليهم الطوفان ما طاف بهم وغشى اماكنهم وحروثهم من مطر
او سيل وقيل الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل
اولاد الجراد قبل نبات اسنتها والضفادع والدم روى انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة
لا يقدر احدان يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكان بيوت بني
اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة وركب على اراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف
فيها ودام ذلك عليهم سبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعى
فكشف عنهم ونبت لهم من الكلاء والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكان
زروعهم وثمارهم ثم اخذت باكل الابواب والسقوف والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعا
وخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها
فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقاه وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم
وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فدعا فرفع عنهم فقالوا لقد حققتنا الان انك ساحر ثم ارسل الله
عليهم الضفادع بحيث لا ينكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها
مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي وافواههم عند التكلم ففزعوا اليه وتضرعوا
فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم فنقضوا العهد ثم ارسل الله عليهم الدم
فصارت مياههم دما غبيطا حتى كان يجتمع القبطي مع الاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه
دما وما يلي الاسرائيلي ماء ويمص الماء من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط الله عليهم
الرعاف آيات نصب على الحال مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات الله وتقسمه
عليهم او منفصلات لامتحان احوالهم اذ كان بين كل اثنتين منها شهر وكان امتداد كل
واحدة اسبوعا وقيل ان موسى عليه الصلاة والسلام لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين
سنة يريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا عن الايمان وكانوا قوما مجرمين ولما وقع
عليهم الرجز يعني العذاب المفصل او الطاعون ارسله الله عليهم بعد ذلك قالوا يا موسى
ادع لنا ربك بما عهد عندك بعهد عندك وهو النبوة بالذي عهد اليك ان تدعوه به
فيجيبك كما اجابك في اياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه
بما عهد عندك او متعلق بمحذوف دل عليه التماسهم مثل اشفعنا الى ما يطلب منك بحق ما
عهد عندك او قسم يجاب بقوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل
اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن فلما كشفنا عنهم
الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه فيعذبون فيه او يهلكون وهو وقت الغرق
او الموت وقيل الى اجل عينوه لايمانهم اذا هم ينكثون جواب لما او اذا لما كشفنا عنهم فاجؤا
النكث من غير توقف وتامل فيه فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم
في اليم اي البحر الذي لا يدرك قعره وقيل لجته بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين
اي كان اغفالهم بسبب تكذيبهم بالآيات وسبب فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها
وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
بالاستعباد وذبح الابناء من مستضعفهم مشارق الارض ومغاربها يعني ارض الشام
ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتملكوا في نواحيها التي باركنا فيها بالخصب وسعة
العيش وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدة
ايامهم بالنصرة والتمكين وهو قوله نريد ان نمن الى قوله ما يحذرون وقرئ كلمات ربك
لتعدد المواعيد بما صبروا بسبب صبرهم على الشدائد ودمرنا وخربنا ما كان يصنع فرعون

جمع قراد

وقومه

وقومه من القصور والعمارات وما كانوا يعرشون من الجنات او ما كانوا يرفعون من البنيات كصرح هامان وقرأ ابن عامر وابو بكر هنا يعرشون بالضم وهذا الخرقصة فرعون وقومه وقوله وجاوزنا ببني اسرائيل البحر وما بعده ما احدثه بنو اسرائيل من الامور الشنيعة بعد ان من الله عليهم من النعم الجسام واراهم من الايات العظام تسلية لرسول الله عليه الصلاة والسلام مما رآى منهم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومن ثم قيل حاسبوا قبل ان تحاسبوا روى ان موسى عليه الصلاة والسلام عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه بسعد فصاموه شكرا فاتوا على قوم مرّوا عليهم يعكفون على اصنام لهم يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك اوّل شان العجل والقوم كانوا من الماقة الذين امر موسى بقتالهم وقيل من لخم وقرأ حمزة والكسائي يعكفون بالكسر قالوا يا موسى اجعل لنا الها مثالا نعبده كما لهم الهة يعبدونها وما كافة للكاف قال انكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق والكدرة لبعد ما صدر عنهم بعد ما رأوا من الايات الكبرى عن العقل ان هؤلاء اشارة الى القوم متبر مكسر مدمر ما هم فيه يعني ان الله يهدم دينهم الذي هم عليه ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا وباطل مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى وانما بالغ صلى الله عليه وسلم في هذا الكلام بايقاع هؤلاء اسم ان والاخبار عما هم فيه من التبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرا ان للتنبيه على ان الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة وان الاحباط الكلي لازب لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا قال اغير الله ابغيكم الها اطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم من بين امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا لا ان قصدوا ان يشركوا به اخس مخلوقاته واذ انجيناكم من آل فرعون واذكروا صنيعة الله معكم في هذا الوقت وقرأ ابن عامر انجاكم يسومونكم سوء العذاب استيناف لبيان ما انجاهم او حال من المخاطبين او من آل فرعون او منهما يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم بدل منه مبين وقرأ نافع يقتلون بفتح الياء واسكان القاف وضم التاء مخففا وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وفي الانجاء او العذاب نعمة او محنة عظيمة ووعدنا موسى ثلاثين ليلة ذا القعدة وقرأ ابو عمرو ويعقوب وعدنا واتممناها بعشر من ذي الحجة فتم ميقات ربه اربعين ليلة بالغا اربعين روي انه عليه الصلوة والسلام وعد بني اسرائيل بمصر ان يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون ويذرون فلما هلك سأل ربه فأمر بصوم ثلثين فلما اتم انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فافسدته بالسواك فأمر الله ان يزيد عليها عشرا وقيل امر ان يتخلى ثلاثين بالصوم والعبادة ثم انزل عليه التوراة في العشر وكلمه فيها وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح ما يجب ان يصلح من امورهم او كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع سبيل من سلك الافساد ولا تطع من دعاك اليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص اي اختص مجيئه لميقاتنا وكلمه ربه من غير وسط كما يكلم الملائكة وفيما روي ان موسى عليه الصلاة والسلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه القديم ليس من جنس سماع كلام المحدثين قال رب ارني انظر اليك ارني نفسك بان تمكنني من رؤيتك او تجلى لي فانظر اليك واراك وهو دليل على ان رؤيته تعالى جائزة في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله ولذلك رد بقوله لن ترانيذ ون لن ارى ولن اراك ولن تنظر الي تنبيه على انه قاصر عن

قبيلة من العرب

شيء من

رؤيته لتوقفها على معدّ في الرأى ولم يوجد فيه بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين
قالوا ارنا الله جهرة خطاء اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يحقّقهم ويزيح شبهتهم
كما فعل حين قالوا اجعل لنا الها ولا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل والاستدلال
بالجواب على استحالها اشد خطاء اذ لا يدل الاخبار عن عدم رؤيتهم اياه على ان لا يراه
ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا من ان يستدل على استحالته ودعوى الضرورة فيه كثيرة
اوجهها لة بحقيقة الرؤية قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف
ترانى استدراك يريد ان يبين به انه لا يطيقه وفى تعليق الرؤية فى الاستقرار ايضا
دليل الجواز لضرورة ان المعلق على الممكن ممكن والجبل قيل جبل بير قلما تجلى ربه للجبل
ظهر له عظمته وتصدى له اقتدارا وامرا وقيل اعطى له حيوة ورؤية حتى رآه جعله دكا
مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشق والشق وقراءة حمزة والكسائى دكاء
اى ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء التى لا سنام لها وقرئ دكا اى قطعا دكا جمع دكاء
وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما راى فلما افاق قال تعظيما لما راى سبحانك
تبت اليك من الجراءة والاقدام على السؤال من غير اذن وانا اول المؤمنين من قومى او من
وقيل معناه انا اول من آمن بانك لا ترى فى الدنيا قال يا موسى انى اصطفيتك اخترتك
على الناس اى الموجدين فى زمانك وهرون وان كان نبيا كان مامورا باتباعه ولم يكن
كليما ولا صاحب شرع برسالاتى يعنى اسفار التوراة وقراءة ابن كثير ونافع برسالتى وبكلامى
وبتكليمى اياك فخذ ما اتيتك اعطيتك من الرسالة وكن من الشاكرين على النعمة فيه روى
ان سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطاه التوراة يوم النحر وكتبنا له فى الالواح من كل
شئ مما يحتاجون اليه من امر الدين موعظة وتفصيلا لكل شئ بدل من الجار والمجرور
اى كتبنا كل شئ من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف فى ان الالواح كانت عشرة او سبعة
وكانت من زمرد او من برجد او ياقوت احمر او صخرة صماء انبعها الله لموسى فقطعها بيده
او شققها باصابعه وكانت تنبئ التوراة او غيرها فخذها على اضمار القول عطفا على كتبنا
او بدل من قوله فخذ ما اتيتك والهاء للالواح او لكل شئ فانه بمعنى الاشياء او للرسالات
بقوة بجد وعزيمة وامر قومك يأخذوا باحسنها اى باحسن ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة
الى الانتصار والاقتصاص على طريق الندب والحث على الافضل كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم
او بواجباتها فان الواجب احسن من غيره ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ فى الحسن مطلقا
لا بالاضافة وهو المامور به كقولهم الصيف احر من الشتاء سأريكم دار الفاسقين دار فرعون
وقومه بمصر خاوية على عروشها او منازل عاد وثمود واخربهم لتعتبروا فلا تفسقوا او دارهم فى
الاخرة وهى جهنم وقرئ سأوريكم بمعنى سابين لكم من واريت الزند وساورتكم ويؤيده قوله
داورتنا القوم ساصرف عن اياتى المنصوبة فى الافاق والانفس الذين يتكبرون فى الارض
بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل ساصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا
كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم بغير الحق صلة يتكبرون اى يتكبرون بما ليس
بحق وهو دينهم الباطل او حال من فاعله وان يروا كل اية منزلة او معجزة لا يؤمنوا بها
لعنادهم واختلال عقلهم بسبب تماديهم فى الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الاول وان
يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا لاستيلاء الشيطنة عليهم وقراءة حمزة والكسائى
الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد وثلاثتها لغات كالسقم والسقم والسقام وان يروا
سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بايتنا وكانوا عنها غافلين اى ذلك الصرف

بسبب

بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للايات ويجوز ان ينصب ذلك على المصدر اى سار ف
ذلك الصرف بسببها والذين كذبوا بايتنا ولقاء الاخرة اى ولقايهم الدار الاخرة
او ما وعد الله فى الدار الاخرة حبطت اعمالهم لا ينتفعون بها هل يجزون الا ما كانوا
يعملون الاجزاء اعمالهم واتخذ قوم موسى من بعده من بعد ذهابه للميقات من حليهم
التى استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها كانت فى
ايديهم او ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلى كثدى وثدى وقراء حمزة والكسائى بالكسر
بالاتباع كدلى ويعقوب على الافراد عجلا جسدا بدنا ذا لحم ودم او جسدا من الذهب
خاليا من الروح ونصبه على البدل له خوار صوت البقر روى ان السامرى لما صاغ
العجل القى فى فمه من تراب اثر فرس جبريل فصار حيا قيل صاغه بنوع من الحيل فدخل الريح
جوفه ويصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو فعله اما لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذهم
اياه الها وقرئ خوار اى صياح الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا تقرير على فرط
ضلالتهم واختلالهم بالنظر والمعنى لم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا على
ارشاد سبيل كما حاد البشر حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى والقدر اتخذوه
تكرير للذم اى اتخذوه الها وكانوا ظالمين واضعين الاشياء فى غير مواضعها فلم يكن اتخاذ
العجل بدعا منهم ولما سقط فى ايديهم كناية من اشتد ندمهم فان النادم المتحير يعض
يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على بناء الفاعل بمعنى وقع العض فيها
وقيل معناه وقع الندم فى نفسهم ورأوا وعلموا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل قالوا لئن
لم يرحمنا ربنا بانزال التوبة ويغفر لنا بالتجاوز عن الخطيئة لنكونن من الخاسرين
وقراها حمزة والكسائى بالتاء ورفعا على النداء ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا
شديد الحزن وقيل الغضب وقيل حزينا قال بئسما خلفتمونى من بعدى فعلتم بعدى
حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة او قمتم مقامى ولم تنكروا العبدة والخطاب لهرون والمؤ
منين معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن فى بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة
خلفتمونيها من بعدى خلافتكم ومعنى من بعدى من بعد انطلاقى او من بعد ما رأيتم منى من التوحيد
والتنزيه والحمل عليه والكف عما نيا فيه اعجلتم امر ربكم اى تركتموه غير تام كأنه ضمن يعجل معنى
سبق فعدى تعديته او اعجلتم وعد ربكم الذى وعدنيه من الاربعين وقد تم موتى وغيرتم
بعدى كما غيرت الامم بعد انبيائهم والقى الالواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجرة حمية
للدين روى ان سبعة اسباع فى سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفع ستة اسباعها
وكان فيها تفصيل كل شئ وبقى سبع واحد كان فيه المواعظ والاحكام واخذ برأس اخيه
يشعر رأسه يجره اليه لوحها بانه قصر فى كفهم وهرون كان اكبر منه بثلاث سنين وكان
حمولا لينا ولذلك كان احب الى بنى اسرائيل قال ابن ام ذكر الام لحثه على الرفقة عليه وكانا من اب
وام وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وابو بكر عن عاصم هنا وفى طه ابن ام واصله ابن امى
فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء والباقون بالفتح زيادة
فى التخفيف لطوله وتشبيها بخمسة عشر ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى
اى لاحتقارهم التقصير بى حتى فى كفهم حتى قهرونى واستضعفونى
وقاربوا قتلى فلا تشمت بى الاعداء ولا تفعل بى ما يشتهون بى لاجله ولا تجعلنى مع القوم
الظالمين معدودا فى عدادهم بالمؤاخذة بسبب التقصير قال رب اغفر لى ما صنعت
باخى ولاخى ان فرط فى فهم ضم اليه نفسه فى الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه

٣ التوراة كانت ج

بمزيد الانعام علينا [illegible] فانت ارحم بنا منا على انفسنا ان
[illegible] وهو ما امرهم به من قتل انفسهم وذلك في
[illegible] وهي خروجهم من ديارهم وقيل الجزية [illegible] على الله ولا فرية
اعظم من فريتهم هذا الحكم والله موسى واعلم لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم [illegible]
[illegible] من الكفر والمعاصي [illegible] من بعد السيئات واستمروا واشتغلوا
بالايمان وما هو مقتضاه من الاعمال الصالحة ان ربك من بعدها اي من بعد التوبة لغفور
رحيم وان عظم الذنب كجريمة عبادة العجل وكثير من جرائم بني اسرائيل ولما سكت سكن
وقد قرئ به عن موسى الغضب باعتذار هرون وتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة
من حيث انه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالامر به والغازي عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت
وقرئ سكت واسكت على ان المسكت هو الله تعالى واخوه او الذين تابوا اخذ الالواح التي القاها
وفي نسختها وفيما نسخ فيها اي كتب نقلة بمعنى المفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح
المنكسرة هدى بيان للحق ورحمة ارشاد الى الصلاح والخير للذين هم لربهم يرهبون دخلت
اللام المفعول لضعف الفعل بالتاخير او حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصي
الله لربهم واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل اليه سبعين رجلا لميقاتنا
فلما اخذتهم الرجفة روي انه تعالى امره ان ياتيه في سبعين من بني اسرائيل فاختار من كل سبط
ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم اثنان فتشاحوا فقال ان امر فعد اجر من خرج فقعد
كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا
سجدا فسمعوه يكلم موسى يامره وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه فقالوا لن نؤمن لك حتى
نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها قال رب لو شئت
اهلكتهم من قبل واياي تمني هلاكهم وهلاكه قبل ان يرى ما راى او سبب اخر او عنى به
انك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك لكل فرعون على اهلاكهم وباغراقهم في البحر وغيرها فترحمت
عليهم بالانقاذ منها فان تو حمت من اخرى فلا يبعد من عميم احسانك اتهلكنا بما فعل
السفهاء منا من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما
فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة
فلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى
وبكى فبكى ودعا الى الله فكشفها الله عنهم ان هي الا فتنتك ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك
حتى طمعوا في الرؤية او وجدت في العجل خوار اقر اغوابه تضل بها من تشاء ضلالة
بالتخاذ عن الحق او اتباع للخايل وتهدي من تشاء هداه فيقوى بها ايمانه انت ولينا
القايم بامرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا وارحمنا وانت خير الغافرين لخير الستة
وتبدلها بالحسنة واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة حسن معيشة وتوفيق طاعة وفي
الاخرة الجنة انا هدنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بالكسر من هاد يهيد اذا اماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى املنا انفسنا واملنا اليك
ويجوز ان يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض قال
عذابي اصيب به من اشاء لتعذيبه ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا المومن والكافر
المكلف وغيره فساكتبها فساثبتها في الاخرة او فاكتبها في الاخرة او فاكتبها كتبة خاصة
منكم يا بني اسرائيل للذين يتقون الكفر والمعاصي ويوتون الزكوة خصها بالذكر لانافتها
او لانها كانت اشق عليهم والذين هم بايتنا يومنون فلا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون

الرسول النبي مبتدأ خبره يأمرهم او خبر مبتدأ تقديره هم الذين او بدل من الذين يتقون بدل البعض او الكل والمراد من امن منهم بمحمد عليه الصلاة والسلام وانما سماه رسولا بالاضافة الى الله ونبيا بالاضافة الى العباد الامي البعيد الامي الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه بها تنبيها على ان كمال علمه مع حاله احدى معجزاته الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل اسما وصفة يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ما حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير او كالربا او الرشوة ويضع عنهم اصرهم ويخفف عنهم ما كلفوا من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطأ وقطع الاعضاء الخاطئة وفرض عين موضع النجاسة واصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله وقرأ ابن عامر اصارهم فالذين امنوا به وعزروه وعظموه بالتقوية وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اي مع نبوته يعني القرآن وانما سماه نورا لانه بإعجازه ظاهر امره مظهر غيره او لانه كاشف الحقايق مظهر لها ويجوز ان يكون معه متعلقا بانزل او بمحذوف اي وانبعوا النور المنزل مع اتباعه النبي فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة اولئك هم المفلحون الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الاية جواب دعاء موسى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم خطاب عام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى كافة الثقلين وسائر الرسل الى اقوامهم جميعا حال من اليكم الذي له ملك السموات والارض صفة لله وان جعل بينهما بما هو متعلق المضاف اليه لانه كالمتقدم عليه او مدح منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره لا اله الا هو وهو على الوجه الاول بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره وفي يحيي ويميت مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته ما انزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على ارادة الجنس او القرآن او عيسى تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان به والاتباع له واتبعوه لعلكم تهتدون جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد في خطط الضلالة ومن قوم موسى يعني بني اسرائيل امة يهدون بالحق يهدون الناس محقين او بكلمة الحق وبه وبالحق يعدلون بينهم في الحكم والمراد بها الثابتون على الايمان القائمون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكر هم ذكر اضدادهم على ما هو عادة القرآن تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتراحم اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل مؤمنو اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين راهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فامنوا به وقطعناهم وصيرناهم قطعا ممتازا بعضهم عن بعض اثنتي عشرة مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى صير او حال وثانية للحمل على الامة او القطعة اسباطا بدل منه ولذلك جمع او تمييز له على ان كل واحد من اثنتي عشرة اسباط فكانه قيل اثنتي عشرة قبيلة وقرئ بكسر السين واسكانها اما على الاول يدل بعدد كل وعلى الثاني تبدل من اسباطا واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست اي فضربه فانبجست وحذف للايماء على ان موسى لم يتوقف في الامتثال وان ضربه لم يكن موثرا بتوقف عليه الفعل في ذاته منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس كل سبط مشربهم وظللنا عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا اي قلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون سبق تفسيره في سورة البقرة واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية يا ضمار اذكر

والقرية بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا مثل ما في
البقرة معنى غير ان قوله فكلوا بالفاء اذ تسبب سكناهم للاكل منها ولم يتعرض له ههنا اكتفاء
بذكره ثم او بدلالة الحال عليه وانما تقديم قولوا على ادخلوا فلا اثر له في المعنى لانه لا يوجب
الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين وعد بالغفران والزيادة
عليه بالاثابة وانما اخرج الثاني مخرج الاستئناف للدلالة على انه تفضل محض ليس في مقابلة
ما امروا به وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطيئاتكم بالجمع
والرفع غير ابن عامر فانه وحد وقرأ ابو عمر وحطايا كم وقرأ ابن عامر خطيئتكم بالهمز ورفع التاء
من غير الف على التوحيد وقرأ نافع كذلك الا انه على الجمع فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي
قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون مضى تفسيرها في اواسطها
والتقريع بتقديم كفرهم وعصيانهم والاعلان بما هو من علومهم التي لا يعلم الا بتعليم او وحي
ليكون ذلك معجزة عليهم عن القرية عن خبرها وما وقع باهلها التي كانت حاضرة البحر اذ
يعدون في السبت يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذ ظرف لكانت او حاضرة
او للمضاف المحذوف او بدل منه بدل اشتمال اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل
وقرئ يعدون واصله يعتدون ويعدون من الاعداد اي يجدون الات الصيد يوم السبت
وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة يوم سبتهم شرعا يوم تعظيمهم امر السبت مصدر
سبت اليهود سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم اليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد
الاول ان قرئ ويوم اسباتهم وقوله ويوم لا يسبتون لا تاتيهم وقرئ لا يسبتون من اسبت
ولا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه
ظاهر على وجه الماء من شرع علينا اذا دنا واشرف كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون مثل
ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم وقيل ذكر متصل بما قبله اي لا ياتيهم مثل اتيانهم
يوم السبت والباء متعلق بجزوف يعدون واذ قالت عطف على يعدون امة منهم
جماعة من اهل القرية يعني صلحاءهم الذين اجتهدوا في موعظتهم حتى ايسوا من انتعاظهم
لم تعظون قوما الله مهلكهم محترمهم او معذبهم عذابا شديدا في الاخرة لتماديهم
في العصيان قالوه مبالغة في ترك الوعظ ان الوعظ لا ينفع فيهم او سؤالا عن علة الوعظ ونفعه
وكانه تقاول بينهم او قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل المراد طايفة من الفرقة
الهالكة اجابوا به وعاظهم رد اعليهم وتهكما قالوا معذرة الى ربكم جواب للسؤال اي موعظتنا
انهاء عذر الى الله حتى لا ننسب الى تفريط في النهي عن المنكر وقرأ حفص معذرة بالنصب على
المصدر او العلة اي اعتذرنا به معذرة او وعظناهم معذرة ولعلهم يتقون اذ اليأس
لا يحصل الا بالهلاك فلما نسوا تركوا ترك الناهي ما ذكروا به ما ذكرهم به صلحاؤهم
انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة امر الله بعذاب
بئيس شديد فيعل من بؤس يبؤس باسا اذا اشتد وقرأ ابو بكر بخلاف عنه بيس
على فيعل كضيغم وابن عامر بيئس بكسر الباء وسكون الهمزة على انه بيئس كحذر كما قرئ
حذف عينه بنقل حركتها الى الفاء كذيد في كيد ونافع بيس على قلب الهمزة ياء وكما قالت ذيب
او على انه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ بيئس كريس على قلب الهمزة ياء ثم ادغام وبيس
على التخفيف كهين وبائس على فاعل بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم فلما عتوا عما نهوا
عنه تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين
كقوله انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والظاهر يقتضي ان الله عذبهم بعذاب

شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم قردة ويجوز ان تكون الآية الثانية تقريرا وتفصيلا
للاولى وروى ان الناهين لما ايسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية
بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا يوما ولم يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا ان لهم
شانا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسباءهم وتسنم ثيابهم وتدور باكيه حولهم
ثم ماتوا بعد ثلاث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم واذ تاذن ربك اى اعلم تفعل
من الايذان بمعنى كالتوعد والايعاد او عزم لان العازم على الشئ يوذن نفسه بفعله وجرى
مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم الى يوم
القيمة والمعنى واذ اوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء العذاب
كالاذلال وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان عليه الصلاة والسلام بخت نصر فخرب
ديارهم وقتل مقاتلتهم وسبا نساءهم وذراريهم وضرب الجزية عليهم على من بقى منهم وكانوا
يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا عليه الصلاة والسلام فعفا عما فعل بهم وضرب الجزية عليهم
فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر ان ربك لسريع العقاب عاقبهم في الدنيا وانه لغفور
رحيم لمن تاب وآمن وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم
تتمة لاد بارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط وامما مفعول ثان او حال منهم الصالحون صفته
او بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم ومنهم دون ذلك ومنهم ناس دون
ذلك اى منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات
بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتبهون فيرجعون عما كانوا عليه فخلف من بعدهم خلف
من بعد المذكورين خلف بدل سوء مصدر بغت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع
شايع في الشر والخلف بالفتح في الخير والمراد بهم الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم
ورثوا الكتاب التوراة من اسلافهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها يأخذون عرض هذا الادنى ... حطام هذا الشئ الادنى مح
يعني الدنيا وهو من الدنو او الدناءة وهو ما كانوا يأخذون من الرشا في الحكومة وعلى تحريف
الكلم والجملة حال من الواو ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه
وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر يأخذون وان يأتهم
عرض مثله يأخذوه حال من الضمير في لنا اى يريدون المغفرة ومصرين على الذنب عايدين
الى مثله غير تائبين عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اى في الكتاب ان لا يقولوا على الله الا
الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اى بان لا يقولوا والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة
مع عدم التوبة والدلالة على انه افتراء على الله وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه
عطف على لم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض والدار الآخرة خير
للذين يتقون مما يأخذ هؤلاء افلا تعقلون فيعلموا ذلك والا يستبدلوا الادنى الذى المؤدى
الى العقاب بالنعيم المخلد وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين
والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة عطف على الذين يتقون وقوله افلا تعقلون
اعتراض او مبتدأ خبره انا لا نضيع اجر المصلحين على تقدير منهم ووضع الظاهر موضع المضمر
تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع وقرأ ابو بكر يمسكون بالتخفيف وافراد الاقامة
لانافتها على سائر المتمسكات واذ نتقنا الجبل فوقهم اى قلعناه ورفعناه فوقهم وصل النتق
بالجذب كانه ظلة سقيفة وهو كل ما اظلك وظنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت
في الجو ولانهم كانوا يعدون به وانما اطلق الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا ان
يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا يقعن عليكم
شرفها

خذوا على اضمار القول اى وقلنا خذوا او قايلين خذوا ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد
وعزم على تحمل ميثاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل به والا تتركوه كالمنسى لعلكم
تتقون قبايح الاعمال ورذايل الاخلاق واذ اخذ ربك من بنى ادم من ظهورهم ذريتهم
اى اخرج من اصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بنى ادم
بدل البعض وقراء نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم واشهدهم على انفسهم
الست بربكم ونصب لهم دلايل معرفة ربوبيته وركب فى عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها
حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم فقالوا بلى وفى تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه
منزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله قالوا بلى شهدنا ان تقولوا
يوم القيمة اى كراهة ان تقولوا انا كنا عن هذا غافلين لم ينبه عليه بدليل او تقولوا عطف على
ان تقولوا وقراء ابو عمرو وحده بالياء لان اول الكلام بالياء على الغيبة انما اشرك اباونا
من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم
لا يصلح عذرا افتهلكنا بما فعل المبطلون يعنى اباءهم المبطلين بتاسيس الشرك وقيل لما
خلق الله ادم اخرج من ظهره ذريته كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق والهمهم
ذلك الحديث رواه عمر رضى الله عنه وقد حققت الكلام فيه فى شرحى لكتاب المصابيح والمقصود
من ايراد هذا الكلام ههنا الزام اليهود مقتضى الميثاق العام بعد ما الزمهم بالميثاق
المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بايجاب السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر
والاستدلال كما قال وكذلك نفصل الايات ولعلهم يرجعون اى عن هذا التقليد وابتاع
الباطل واتل عليهم اى على اليهود نبأ الذى اتيناه اياتنا هو احد علماء بنى اسرايل او امية
ابن ابى الصلت كان قد قرأ الكتب وعلم ان الله مرسل رسولا فى ذلك الزمان ورجى ان يكون هو فلما
بعث محمد عليه الصلاة والسلام حسده وكفر به او بلعم بن باعوراء من الكنعانيين اوتى علم
بعض كتب الله فانسلخ منها من الايات بان كفر بها واعرض عنها فاتبعه الشيطان حتى لحقه وقيل
استتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين روى ان قوم موسى لما اتوه ان يدعو على موسى
ومن معه فقال كيف ادعو على من معه الملايكة فالحوا عليه حتى دعا عليهم فبقوا فى التيه ولو شئنا
لرفعناه الى منازل الابرار من العلماء بها بسبب تلك الايات وملازمتها ولكنه اخلد الى الارض
مال الى الدنيا او الى السفالة واتبع هواه فى ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الايات
وانما علق رفعه بمشيئة الله ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشيئة سبب لفعله
الموجب لرفعه وان عدمه دليل عدمها دليل على انتفاء المسبب على انتفاء سببه
وان السبب الحقيقى هو المشيئة فان ما نشاهده من الاسباب وسايط معتبرة فى حصول
المسبب من حيث ان المشيئة تعلقت به كذلك وكان من حقه ان يكون ولكنه اعرض عنها فاوقع
موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ان ما حمله عليه هو هواه وان حب الدنيا
راس كل خطيئة فمثله وصفته التى هى مثل فى الخسة كمثل الكلب كصفته فى احد احواله وهو
ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اى يلهث دايما سواء حمل عليه بالزجر والطرد او ترك
ولم يتعرض له لجلاف سايل الحيوانات لضعف فؤاده واللهث ادلاع اللسان من التنفس الشديد
والشرطية فى موضع الحال والمعنى لاهثا فى الحالتين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذى
هو نفى الرفع ووضع المنزلة البالغة والبيان وقيل لما دعى بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره
وجعل يلهث كالكلب ذلك مثل الذين كذبوا بايتنا اقصص القصص المذكورة على اليهود
فانها نحو قصصهم لعلهم يتفكرون تفكرا يؤدى بهم الى الاتعاظ ساء مثلا القوم اى مثل القوم

ابن ابى

وقرئ

وقرئ ساء مثل القوم على حذف المخصوص بالذم الذين كذبوا بآياتنا بعد قيام الحجة عليها
وعلمهم بها وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون داخلا في الصلة معطوفا على كذبوا اي معنى الذين
جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم انفسهم او منقطعا عنها وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان
وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فاولئك
هم الخاسرون تصريح بان الهدى والضلال من الله وان هداية الله تختص ببعض دون بعض
فانها مستلزمة للاهتداء والافراد في الاول والجمع في الثاني لاعتبار اللفظ والمعنى تنبيه
على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاختصار في الاخبار عن من هداه الله
بالمهتدي لتعظيم شان الاهتداء وتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل
غيره لكفاه وانه المستلزم بالفوز بالنعيم لاجله والعفو ان لها ولقد ذرانا خلقنا لجهنم كثيرا
من الجن والانس يعني المصرين على الكفر في علمه تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها اذ لا يليق بها الا
معرفة الحق والنظر في دلائله ولهم اعين لا يبصرون بها اي لا ينظرون الى ما خلق الله نظر
اعتبار ولهم اذان لا يسمعون بها الآيات والمواعظ سماع تامل وتذكر اولئك كالانعام
في عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع للتدبر وفي ان مشاعرهم وقواهم متوجهة
الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها تدركه ما يمكن ان يدرك بها ان تدرك من
المنافع والمضار ويجتهد في جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل اكثرهم يعلم
انه معاند فيقدم على النار اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة ولله الاسماء
الحسنى لانها دالة على معان هي احسن المعاني والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات فادعوه
بها فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الزائغين فيها
الذين يسمون ما لا توفيق فيه او بما يوهم معنى فاسدا كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه
ولا تبالوا بانكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف الا رحمن اليمامة وذروهم والحادهم
فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز
ولا توافقوهم عليه او عرضوا عنهم فان الله مجازيهم كما قال سيجزون ما كانوا يعملون
وقرأ حمزة هنا وفي فصلت يلحدون بفتح الياء يقال لحد والحد اذا مال عن القصد ومن خلقنا
امة يهدون بالحق وبه يعدلون ذكر ذلك بعد ما ذكر انه خالق للنار طائفة ضالين ملحدين
عن الحق للدلالة على انه خلق للجنة ايضا امة هادين الى الحق عادلين في الامر واستدل به
على صحة الاجماع لان المراد منه ان في كل قرن طائفة قائمة بهذه الصفة لقوله عليه الصلاة
والسلام لا يزال من امتي طائفة على الحق الى ان ياتي امر الله اذ لو اختص بعهد الرسول وغيره
لم يكن لذكره فايدة فانه معلوم والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم
الى الهلاك قليلا قليلا واصل الاستدراج الاستصعاد والاستنزال درجة بعد درجة
من حيث لا يعلمون ما نريد بهم وذلك ان يتوالى عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله
فيزدادوا بطرا وانهماكا في الغي حتى يحق عليهم كلمة العذاب واملي لهم وامهلهم عطف
على سنستدرجهم ان كيدي متين اي اخذي شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان
وباطنه خذلان اولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا عليه الصلاة والسلام من جنة
جنون روي انه عليه الصلاة والسلام قام على الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم باس
الله فقال قايلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت ان هو الا نذير مبين
موضح انذاره بصوت بحيث لا يخفى على ناظر ولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت
السموات والارض وما خلق الله من شيء مما يقع عليه الشيء من الاجناس التي لا يمكن حصرها

ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شان مالكها او متولى امرها ليظهر لهم
صحة ما يدعوهم اليه وقد عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مصدرية
او مخففة من الثقيلة واسمه ضمير الشان وكذا اسم يكون والمعنى افلم ينظروا فى اقتراب
اجالهم وتوقع حلولها فيسارعون الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل معاجئة
الموت ونزول العذاب فباى حديث بعده اى بعد القران يؤمنون اذ لم يؤمنوا به
وهو فى النهاية والبيان كانه قيل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقران
وما ينتظرون بعد وضوحه فان لم يؤمنوا به فباى حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا
به وقوله من يضلل الله فلا هادى له كالتقرير والتعليل له ويذرهم فى طغيانهم بالرفع
على الاستيناف وقراء ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله ومن يضلل الله وحمزة
والكسائى به وبالجزم عطفا على محل فلا هادى له كانه قيل لا يهده احد غيره ويذرهم يعمهون
حال من هم يسالونك عن الساعة اى عن القيمة وهى من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما
لوقوعها بغتة او لشرعة حسابها او لانها على طولها عند الله كساعة ايان مرساها متى
اثباتها واستقرارها ورسو الشئ ثباته واستقراره ومنه رسى الجبل وارسى السفينة وشقاق
ايان من اين اى لان معناه اى وقت وهو من اويت لان البعض اوى الى الكل قل انما علمها
عند ربى استاثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لا يجليها لوقتها لا يظهر امرها
فى وقتها الا هو والمعنى ان الخفاء مستمر على غيره الى وقت وقوعه واللام للتاقيت كاللام فى قوله
تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس ثقلت فى السموات والارض عظمت على اهلها من الملائكة
والثقلين لهولها وكانه اشارة الى الحكمة فى اخفائها لا تاتيكم الا بغتة فجاءة على غفلة كما قال
عليه الصلاة والسلام ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقى ماشيته
والرجل يقوم بسلعته فى سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسالونك كانك حفى عنها عالم بها
فعيل من حفى عن الشئ اذا سال عنه فان من بالغ فى السؤال عن الشئ والبحث عنه استحكم علمه فيه
ولذلك عدى بعن وقيل هى صلة يسالونك وقيل هى من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا
قالوا لليهود عرفنا بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسالونك عنها كانك حفى تحتفى
فتخصهم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه كانك حفى بالسؤال عنها تحبه اى تكثر لانه من
العيب الذى استاثر الله بعلمه قل انما علمها عند الله كرر لتكرير يسالونك لما ينبئ به من هذه
الزيادة وللمبالغة ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان علمها عند الله لم يؤته احدا من خلقه قل
لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا جلب نفع ولا دفع ضر وهو اظهر والعبودية والتبرى عن ادعاء
العلم بالغيوب الا ما شاء الله من ذلك فيلهمنى اياه ويوفقنى له ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت
من الخير وما مسنى السوء ولو كنت اعلم كما انت تعالى ما ينالنى عليه من المنافع واجتناب المضار حتى
لا يمسنى سوء ان انا الا نذير وبشير وما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة لقوم يؤمنون
فانهم المنتفعون بذلك بهما ويجوز ان يكون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوف هو
الذى خلقكم من نفس واحدة هو ادم وجعل منها من جنسها من ضلع من اضلاعها او من جنسها
كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا زوجها حواء ليسكن اليها ليانس بها ويطمئن اليها الطمينان
الشئ الى جزئه وجنسه وانما ذكر الضمير ردها الى المعنى ليتناسب فلما تغشاها اى جامعها
حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما تلق من الحوامل غالبا من الايذاء ومحمولا خفيفا وهو
النطفة فمرت به فاستمرت به فقامت وقعدت وقرئ فمرت بالتخفيف فاستمرت فمارت
من المور وهو المجئ والذهاب او من المرية اى فظنت الحمل وارتابت به فلما اثقلت صارت

ذا ثقل

١ استكثار

وانثقل بكبر المولود في بطنها وقرئ على البناء للمفعول اى اثقلها حملها دعوا الله ربهما لئن
اتيتنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه لتكونن من الشاكرين لك على هذه النعمة المجددة فلما
اتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما اتاهما اى جعل اولادهما له شركاء فيما اتى اولادهما فسموه
عبد العزى وعبد مناف على حذف مضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويدل عليه قوله فتعالى
الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون يعنى الاصنام وقيل لما حملت حواء اتاها
ابليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة او كلمة وما يدريك من اين يخرج
لخاف من ذلك وذكرت لادم فهما ثم عاد اليهما وقال انى من الله بمنزلة فان دعوت الله ان
يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه فسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا في الملائكة فقبلت
فلما ولدت سمياه عبد الحارث وامثال ذلك لا يليق بالانبياء ويحتمل ان يكون الخطاب لاولاد قصى
من قريش فانهم خلقوا من نفس واحدة وكان له زوج من جنسها عربية قرشية وطيا من الله
الولد فاعطاهما اربعة بنين فسميا هم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصى وعبد الدار ويكون
الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما وقرأ نافع وابو بكر شركا اى شركه بان اشركا فيه
غيره او ذوى شرك وهم الشركاء وهم ضمير الاصنام جمع به على تسميتهم اياها الهة ولا يستطيعون
لهم نصرا اى لعبدتهم ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها وان تدعوهم اى
المشركين الى الهدى الى الاسلام لا يتبعوكم وقرأ نافع بالتخفيف كما يحبكم سواء عليكم ادعوتموهم
ام انتم صامتون وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة في عدم افادة الدعاء من حيث انه مستوى
بالنسبة على الصمات ولانهم ما كانوا يدعونها لحوائجهم فكانه قيل سواء عليكم احداثكم ودعاءهم
واستمراركم على الصمات عن دعائهم ان الذين تدعون من دون الله اى تعبدونهم وتسمونهم
الهة عباد امثالكم من حيث انها مملوكة مسخرة فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين
انهم الهة ويحتمل انهم لما نحتوها بصورة الناسى قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلا
امثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه النقض فقال الهم
ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون
بها وقرئ ان الذين بالتخفيف ويضب عباد على انها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت
مثله ويبطشون بالضم ههنا وفى القصص وفى الدخان قل ادعوا شركاءكم واستعينوا
بهم في عداوتى ثم كيدون فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكروهى انتم وشركاؤكم فلا
تنظرون فلا تمهلونى فانى لا ابالى بكم لوثوقى على ولاية الله وحفظه ان وليى الله الذى
نزل الكتاب القرآن وهو يتولى الصالحين اى ومن عادته تعالى ان يتولى الصالحين من
عباده فضلا عن انبيائه والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم
ينصرون من تمام التعليل لعدم مبالاتهم بهم وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون
اليك وهم لا يبصرون يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا بصور من ينظر الى من
يواجهه خذ العفو اى خذ ما عفى لك من افعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم
من العفو الذى هو ضد الجهد وخذ العفو من المذنبين والفضل وما يسهل من صدقاتهم
وذلك قبل وجوب الزكوة وامر بالعرف بالمعروف المستحسن من الافعال واعرض عن الجاهلين
فلا تمارهم ولا تكافيهم بمثل افعالهم وهذه الاية جامعة لمكارم الاخلاق امر للرسول
باستجماعها واما ينزغنك من الشيطان نزغ يخسك منه نخس اى وسوسة تحملك على خلاف
ما امرت به كاعتراء غضب والنزغ والنخس والغمز شبه وسوسة للناس اغراء
لهم على المعاصى وازعاجا بغير السايق ما يسوقه فاستعذ بالله انه سميع لسمع استعاذتك

وفكر

عليم يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه او سميع باقوال من اذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها معنيا اياك عن الانتقام ومتابعة الشيطان ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كانها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر ان تؤثر فيهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا وقراء ابن كثير وابو بكر والكسائي وحمزة وطيف على انه مصدر او مخفف طيف كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره في يمدونهم اخوانهم تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فاذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطإ ومكائد الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه فيها والاية تاكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله واخوانهم يمدونهم اي واخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشيطان في الغي بالتزيين والحمل عليه وقراء نافع يمدونهم من امد وقرئ يمادونهم كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهو ابلغ من يعينونهم بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اي لا يكفون عن الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يريد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له واذا لم تاتهم باية من القران او مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها هلا جمعتها تقولا من نفسك كسائر ما تقرؤه اولا طلبتها من الله قل انما اتبع ما اوحى الي من ربي لست بمختلق الايات ولست مقترحا لها هذا بصائر من ربكم هذا القران بصائر للقلوب بما تبصر الحق وتدرك الصواب وهدى ورحمة لقوم يومنون سبق تفسيرهما واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون نزلت في الصلوة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع قراءة الامام والانصات له وظاهر اللفظ يقتضي وجوبها حيث يقرا القران مطلقا وعامة العلما على استحبابها خارج الصلوة واحتج بها من لا يرى القراءة على الماموم وهو ضعيف واذكر ربك في نفسك عام في الاذكار من القراءة وغيرها والامر للماموم بالقراءة سرا بعد فراغ الامام من قراءته كما هو مذهب الامام الشافعي تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول ومتكلما كلاما فوق السر دون الجهر فانه ادخل في الخشوع والاخلاص بالغدو والاصال باوقات الغدو والعشيات وقرئ هو والايصال مصدر واصل اذا دخل في الاصيل مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله ان الذين عند ربك يعني ملايكة الملا الاعلى لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه ويزهونه وله يسجدون ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبي عليه الصلاة والسلام اذا قراء ابن ادم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه عليه الصلاة والسلام من قراء سورة الاعراف جعل الله بينه وبين ابليس سترا وكان ادم شفيعا له يوم القيمة

سورة الانفال مدنية وايها ست وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يسالونك عن الانفال اي الغنايم وانما يعنى بها سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله وفضل كما سمي به ما يشرط الامام لمقتحم خطر عظيم عطية له زيادة له على سهمه قل الانفال لله والرسول اي امرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يامره الله تعالى به وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنايم بدر انها كيف تقسم ومن يقسم لها جرون منهم او الانصار وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان له عناء ان ينفله فتسارع بشانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين

كانوا

كانوا عند الرايات كتاردا لكم وفيئة تتجاوزون اليها فنزلت فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء وبهذا قال لا يلزم الامام ان ينفي بما وعده وبه قال الشافعي وعن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت سعيد بن العاص واخذت سيفه فاتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم سالتني السيف وليس لي فانه قد صار لي فاذهب فخذه وقرئ يسالونك على النقال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها ويسالونك الانفال اي يسالك الشبان ما شرط لهم فاتقوا الله في الاختلاف والمشاجرة واصلحوا ذات بينكم الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم امره الى الله والرسول واطيعوا الله ورسوله فيما ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ذلك وان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلاثة طاعة الاوامر والانتهاء عن المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان انما المؤمنون اي الكاملون الايمان الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا لجلاله وقيل الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عند خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة ووقرت اي خافت واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا لزيادة المؤمن او لاطمئنان النفس ورسوخ اليقين بظاهر الادلة او بالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه وعلى ربهم يتوكلون يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التي العماد عليها كالصلوة والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف او مصدر مؤكد كقوله هو عبد الله حقا لهم درجات عند ربهم كرامة وعلو منزلة وقيل درجات الجنة لقوله يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم اعدهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي مدده كما اخرجك ربك من بيتك بالحق جر مبتدا محذوف لتقدير الحال في كراهتهم اياها كالخروج للحرب في كراهتهم له او صفة مصدر الفعل المقدر في قوله لله والرسول اي الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موضع الحال اي اخراجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم لكثرة الاموال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رات ذلك ثلاث عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة الا اصابه شئ منها فحدثت به العباس وبلغ ذلك ابا جهل فقال ما رضي رجالهم ان يتنبئ احدهم حتى تتنبا نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي ذفران فنزل عليه جبريل بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتاهب له انما خرجنا للعير فردد عليهم وقال ان العير مضت الى ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو

فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن
عبادة فقال انظن امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن اليمن ما تخلف عنك رجل من الانصار
ثم قال مقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانا معك حيثما احببت لا نقول لك كما قالت
بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك
فقاتلا فانا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس
وهو يريد الانصار لانهم كانوا اكثر عددهم وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم براء
من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لا يروا نصرته الا على عدوهم بالمدينة
فقام سعد بن معاذ وقال كانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد امنا بك وصدقناك
وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة
فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق نبيا لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته
لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب
صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فنشطه
قوله ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكاني
الان انظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه الصلاة لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير فناداه
العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له لم فقال له لان الله وعدك احدى الطائفتين
فكر وقد اعطاك ما وعدك فكن بعضهم قوله يجادلونك في الحق في اثار الجهاد
باظهار الحق لايثارهم تلقي العير عليه بعد ما تبين انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام
الرسول كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون اي يكرهون القتال كراهة من يساق
الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم او عدتهم او روي انهم كانوا
رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم كانت لفزعهم ورهبتهم
واذ يعدكم الله احدى الطائفتين على اضمار اذكر واحدى ثاني مفعولي يعدكم
وقد يبدل عنها انها لكم بدل الاشتمال ولودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم يعني العير فلم
يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك يسمونها وكروهون ملاقات النفير لكثرة عددهم
وعددهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله ان يحق الحق اي يثبته
ويعيده بكلماته الموحى بها في هذا الحال او بامره للملائكة بالامداد وقرئ بكلمته ويقطع
دابر الكافرين ويستاصلهم والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا ما لا ولا تلقوا مكروها
والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين ليحق الحق ويبطل
الباطل اي فعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد وما بينه وبين مراده
من التفاوت والثاني لبيان الداعي الى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها
ولو كره المجرمون ذلك اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق
الحق او على اضمار اذكر واستغاثتهم انهم لما علموا ان لا محيص من القتال اخذوا يقولون
اي رب انصرنا على عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر رضي الله عنه انه عليه
الصلاة والسلام نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلاثمائة فاستقبل
القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة
لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر رضي الله عنه كفاك
مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم الى ممدكم اي باني ممدكم
فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ ابو عمرو بالكسر على ارادة القول او اجراء استجاب

٢ لفرط

مجرى قال لان الاستجابة من القول بالف من الملائكة مردفين متبعين المؤمنين
او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعض المؤمنين
او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقراء نافع ويعقوب مردفين بفتح
الدال اى متبعين او متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ
مردفين بكسر الراء وضمها واصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء
في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل وبالضم على الاتباع وقرئ
بالاف ليوافق ما في سورة العمران ووجه التوفيق بينه وبين الالف المشهور ان المراد
بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم
واختلف في مقاتلتهم وقد روى اخبار تدل عليها وما جعله الله اى الامداد او البشارة
الا بشرى لكم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم فيزول ما بها من الوجل وذلك لتلم وما النصر
الا من عند الله ان الله عزيز حكيم ينصر من يشاء وهو يقدر ولا يغالب ويمنع
ويهب ما وسايط لا تاثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تيئسوا من نصره بفقدها اذ
يغشيكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر
او بما في عند الله من معنى الفعل او بجعل او باضمار اذكر وقراء نافع بالرفع لتخفيف
من اغشيته الشئ اذا غشيته اياه والفاعل على القراءتين هو الله وقراء ابن كثير
وابو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع امنة منه امنا من الله وهو مفعول له باعتبار
المعنى فان قوله يغشاكم النعاس متضمن معنى تنعسون ويغشيكم بمعناه والامنة
فعلة لفاعله ويجوز ان يكون المراد بها الافاعل فيكون فعل المغشى وان تجعل على
القراءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه او لان كان من حقه ان لا
يغشيهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكانه قد حصلت له الامنة من الله ولولاها لم
يغشهم كقوله يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود
وقرئ امنة كرحمة وهي لغة وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به من
الحدث والنجاسة ويذهب عنكم رجز الشيطان يعني الجنابة لانها من تخييله
او وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روي انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام
على غير ماء ونامو فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فسوس اليهم الشيطان وقال
كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء
الله وفيكم رسوله فاشفقوا فانزل الله المطر فطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا
الحياض على عدوته فسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤا وتلبد الرمل الذي بينهم
وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وذالت الوسوسة وليربط على قلوبكم
بالوثوق على لطف الله بكم ويثبت به الاقدام اى بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل او بالربط على
القلوب حتى تثبت في المعركة اذ يوحي ربك بدل ثالث او متعلق بيثبت الى الملائكة
اني معكم في اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على ارادة القول او اجراء
الوحي مجراه فثبتوا الذين امنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدائهم فيكون
قوله سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا وقيه
دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب
او على ان قوله سالقي الى قوله كل بنان تلقين الملائكة ما يثبتون المؤمنين كانه قال
لهم قولوا لهذا فاضربوا فوق الاعناق اعاليها التي هي المذابح او الرؤس واضربوا

منهم كل بنان اصابع اى حزوا رقابهم وقطعوا اطرافهم ذلك اشارة الى الضرب والامر بالخطاب
للرسول او لكل احد من المخاطبين قيل بانهم شاقوا الله ورسوله بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه
من الشق لان كلا من المتعاندين فى شق خلاف شق الاخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة
من الخصم وهو الجانب ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب تقرير للتعليل
او وعيد بما اعد لهم فى الاخرة بعد ما لحقهم فى الدنيا ذلكم الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة
الالتفات ومحله الرفع اى الامر ذلكم اوذلكم واقع او نصب بفعل دل عليه فذوقوه او غيره مثل
باشروا او عليكم ليكون الفاء عاطفة وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلك او نصب على المفعول
معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما اجل لكم فى الاخرة ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان
الكفر سبب العذاب الاجل والجمع بينهما وقرئ بالكسر على الاستيناف يا ايها الذين امنوا اذا
لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كانهم يزحفون وهو مصدر زحف الصبى
اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمى به وجمع على زحوف وانتصابه على الحال فلا تولوهم الادبار
بالانهزام فضلا على ان يكونوا مثليكم او اقل متكم والاظهر انها محكمة مخصوصة بقوله حرض
المومنين الاية ويجوز ان ينتصب زحفا من الفاعل والمفعول اى اذا لقيتموهم متزاحفين
يدبون اليكم وتدبون اليهم فلا تنهزموا من الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون
منهم يوم حنين تولوهم اثنا عشر الفا ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال يريد الكر بعد
الفر وتغرير العدو فانه من مكايد الحرب وتحيزا الى فية اومنحازا الى فية اخرى من المسلمين على القرب
ليستبعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روى ابن عمر رضى الله عنهما انه كان فى سرية بعثهم رسول
الله فحرفوا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفارون فقال بل انتم العائدون وانا فئتكم وانتصاب
متحرفا ومتحيزا على الحال والالغو لاعماله ولاستثنا من المولين اى الا رجلا متحرفا او متحيزا ودون
متحرف متفعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم
وبئس المصير هذا اذا لم يزد العدد على الضعف لقوله الان خفف الله عنكم الاية وقيل الاية مخصوصة
باهل بيته والحاضرين معه فى الحرب فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم
عليهم والقا الرعب فى قلوبهم روى انهم لما طعنوا وثبت من العقنقل قال عليه الصلاة والسلام
هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم انى اسئلك ما وعدتنى فاتاه جبريل
وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها
فى وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المومنون
يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت وسرت فنزلت
والفا جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت
يا محمد رميا توصلها الى اعينهم ولم تقدر عليه اذ رميت اى اثبت بصورة الرمى ولكن الله رمى
اتى بما هو غاية الرمى فاوصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان
اللفظ يطلق على المسبتى وعلى ما هو كماله او المقصود منه وقيل معناه ما رميت بالرعب اذ رميت
بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب فى قلوبهم وقيل انه تزل فى طعنة طعن بها ابى بن خلف يوم احد
ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات ورمية سعد رماه يوم حنين نحو الحصن فاصاب لبابة
ابن الحقيق على فرسه والجمهور على الاول وقراء ابن عامر وحمزة والكسائى ولكن بالتخفيف ورفع
ما بعدن فى الموضعين وليبلى المومنين منه بلاء حسنا وليتعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة
ومشاهدة الايات فعل ما فعل ان الله سميع لاستغاثتهم ودعائهم عليم بنياتهم واحوالهم ذلكم
اشارة الى البلاء الحسن او القتل والرمى ومحله الرفع اى المقصود ذلك او الامر ذلكم وقوله وان الله موهن

كيد

كيد الكافرين معطوف عليه اى المقصود ابداء المؤمنين وتوهين الكافرين وابطال حيلهم وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو موهن بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين اراد الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وان تنتهوا عن الكفر ومعاداة الرسول فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين وان تعودوا للمحاربة نعد للنصرة ولن تغنى ولن تدفع عنكم فئتكم جماعتكم شيئا من الاغناء والمضار ولو كثرت فئتكم وان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص وان الله بالفتح على ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل فى القتال والرغبة عما يستبان للرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار وتهييج العدو ولن تغنى حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين ايمانهم ويؤيده يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه اى ولا تتولوا عن الرسول فان المراد من الآية الامر بطاعته والنهى عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على ان طاعة الله فى طاعة الرسول كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد وللامر الذى دل عليه الطاعة وانتم تسمعون القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة والمنافقين الذين ادعوا السماع وهم لا يسمعون سماعا ينتفعون به فكانهم لا يسمعون راسا ان شر الدواب عند الله شر ما يدب على الارض وشر البهايم الصم عن الحق البكم الذين لا يعقلون اياه عدهم من البهايم ثم جعلهم شر منها لان البهايم ما ميزوا به وفضلوا لاجله ولو علم الله فيهم خيرا سعادة كتبت لهم وانتفعوا بالآيات لاسمعهم سماع تفهم ولو اسمعهم وقد علم ان لا خير فيهم لتولوا وهم يتنفعوا به او ارتدوا بعد التصديق والقبول وهم معرضون لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبى احى لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصى يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول بالطاعة اذا دعاكم وحد الضمير فيهما لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول وروى انه عليه الصلاة والسلام مر على ابى وهو يصلى فجعل فى صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتى فقال كنت اصلى فقال الم تخبر فيما اوحى الى استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته لا تقطع الصلاة فان الصلاة ايضا اجابة وقيل ان دعاءه كان لامر لا يحتمل التاخير والمصلى ان يقطع الصلاة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول لما يحييكم من العلوم الدينية فانها حيوة القلب والجهل موته قال

لا تعجبن الجهول حلته ... فذاك ميت وثوبه كفن

او مما يورثكم من الحياة الابدية فى النعيم المقيم الدايم من العقايد والاعمال او من الجهاد فانه سبب بقايكم اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب ما عسى يغفل عنه صاحبها او حث الى الاخلاص فى القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين قلبه بالموت وغيره او تصوير وتخييل لتملكه على قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته وقرئ بين المرء بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يسدد فيه وانه اليه تحشرون اى فيجازيكم باعمالكم واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اتقوا ذنبا يعم ضرره كاقرار المنكر بين اظهرهم والمداهنة فى الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل فى الجهاد على ان قوله لا تصيبن اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به

النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صيغة لفظه
ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون لا يدخل المنفي في غير القسم والنهي على ارادة القول كقول
• حتى اذا جن الظلام واختلط • جاؤا بمذق هل رايت الذيب قط •
واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وان اختلفا في المعنى ويحتمل ان يكون نهيا
بعد الامر بانتفاء الذنب عن المتعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة ويجوز عليه ومن
في منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدة التنبيه على ان الظلم منكم
اقبح من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض
ارض مكة تستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي
فارس والروم تخافون ان يتخطفكم الناس كفار قريش او من عداهم فانهم جميعا كانوا معادين
مضادين لهم فاواكم الى المدينة وجعل لكم ماوى يحصنون به عن اعدائكم وايدكم بنصره على
الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم
تشكرون هذه النعم يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول بتعطيل الفرايض والتبين
او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول في المغانم وروي انه عليه الصلاة والسلام حاصر بني قريظة
احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا والى اخوانهم باذرعات
واريحا من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل لنا ابا لبابة وكان مناصحا
لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه
انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت انى خنت الله ورسوله ونزلت فشد نفسه
على سارية في المسجد وقال لا والله لا اذوق طعاما حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام
حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا اطلقها
حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاء فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان
اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه الصلاة والسلام يجزيك
الثلث ان تصدق به واصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة
لتضمنه اياه وتخونوا امانتكم فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول او منصوب على الجواب بالواو
وانتم تعلمون انكم تخونون او انتم علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم
فتنة لانهم سبب الوقوع في الاثم والعقاب وفي محنة من الله ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة
كابي لبابة وان الله عنده اجر عظيم لمن آثر رضى الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانبطوا هممكم بما يؤديكم
اليه يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل
او نصرا يفرق بين الحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات ونجاة مما
تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم افعل كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح
ويكفر عنكم سيئاتكم ويسترها ويغفر لكم بالتجاوز والعفو عنه وقيل السيئات الصغاير والذنوب
الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تاخر لانها في اهل بدر وقد غفرها الله لهم والله ذو الفضل العظيم
تنبيه على ان ما وعدهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب لتقويهم عليه كالسيد
اذا وعد عبده انعاما على عمل واذ يمكر بك الذين كفروا تذكار لما مكروا وتبيين بحسن كان بمكة
ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك ليثبتوك بالوثاق
او الحبس او الاثخان بالجراح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك له ولا براح وقرئ ليبيتوك بالتشديد
وليبيتوك من البيات وليقيدوك او يقتلوك بسيوفهم او يخرجوك من مكة وذلك لما سمعوا
باسلام الانصار ومنابعتهم فرقوا ولجمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس

في صورة

في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال
ابو البختري يرى ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى
يموت فقال الشيخ بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو
ورأى ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الرأي ويفسد قومكم غيركم ويقاتلكم
بهم فقال ابو جهل انا رأي ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق
دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على قتال قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى
فتفرقوا على رأيه فاتى جبريل النبي عليه الصلاة والسلام واخبره بالخبر وامره بالهجرة فبات علي رضي الله عنه
على مضجعه وخرج مع ابي بكر رضي الله عنه الى الغار ويمكرون ويمكر الله رد مكرهم عليهم او بجعلهم مغلوبة
او بمعاملة الماكرين معهم بان اخرجهم الى بدر وقتل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم والله خير الماكرين
لا يؤبه بمكرهم دون مكر واسناد امثال هذا مما يحسن المجاوزة للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء
لما فيه من ايهام الذم واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا هو قول
النضر بن الحارث واسناده الى الجمع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فانه كان قاضيهم وقول الذين
ايمرو في من عليه الصلاة والسلام وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك لما امتنعوا
ان يشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سواه مع الفتهم
وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب البيان ان هذا الا اساطير الاولين اساطير الاولين من القصص واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء
او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا من كلام ذلك القائل بلغ في العجو دروى انه لما قال النضر ان هذا الا
اساطير الاولين قال له النبي عليه الصلاة والسلام ويلك انه كلام الله فقال ذلك والمعنى ان كان
القرآن حقا منزلا فامطر الحجارة علينا عقوبة على انكارنا او ائتنا بعذاب اليم سواه واراد منه انتهكم
واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على انه مبتدأ غير فصل وفائدته
التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه النبي وهو تنزيله لا الحق مطلقا
لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كاساطير الاولين وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم
وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم
واللام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استيصال والنبي بين اظهرهم خارج عن عادته
غير مستقيم في قضائه والمراد باستغفارهم اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك
او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا لقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وما لهم
الا يعذبهم الله وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد
الحرام وحالهم ذلك ومن صدهم عنه اجلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية
وما كانوا اولياءه مستحقين ولاية امر من مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم
فنصد من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضمير
لله ولكن اكثرهم لا يعلمون ان لا ولاية له عليه كانه نبه بالاكثر ان منهم من يعلم ويعاند واراد به الكل كما يرد
بالقلة العدم وما كان صلاتهم عند البيت اي دعاؤهم او ما يسمونه صلاة او ما يضعون موضعها الامكاء
صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا وتصدية تصفيقا تفعلة من الصدا او من
الصد على احد حرفي التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب على انه الخبر والمقدم ومساق الكلام لتقرير
استحقاقهم العذاب وعدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق لمن هذه صفته روي انهم كانوا يطوفون عراة
الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي
صلى الله عليه وسلم ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا فذوقوا العذاب يعني القتل يوم

ببدر وقيل عذاب الاخرة والام تحتمل ان تكون للعهد والمعهود اثنا بعذاب اليم بما كنتم تكفرون
اعتقادا واعمالا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين يوم بدر
وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزور او في ابي سفيان استاجر يوم
احد للضعن من العرب سوى من اجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية او في اصحاب العير فانه لما
اصيب قريش ببدر قيل لهم عينوا بهذا المال على حرب محمد عليه الصلاة والسلام لعلنا ندرك منه
ما زنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها ولعل الاول اخبار عن
انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني انفاقهم فيما استقبل وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد
بهما احد على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون
عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها تضير حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة
ثم يغلبون اخر الامر وان كان الحرب منهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اي الذين ثبتوا على الكفر منهم
اذ اسلم بعضهم الى جهنم يحشرون يساقون ليميز الله الخبيث من الطيب الكافر من المؤمن والفساد
من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب
ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجمعه بعضه على بعض
حتى يرتكبوا لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد عليه عذابه كما للكافرين فيجعله في جهنم
كله اولئك اشارة الى الخبيث لانه مفسر بالفريق الخبيث والى المنفقين هم الخاسرون الكاملون
في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا يعني ابا سفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم
ان ينتهوا عن معاداة الرسول بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف
على خطابهم وبفتح على البناء للفاعل وهو الله وان يعودوا الى قتاله فقد مضت سنة الاولين الذين
خلوا على الانبياء بالنصر كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة
لا يوجد فيهم شرك ويكون الدين كله لله وتضمحل عنهم الاديان الباطلة فان انتهوا عن الكفر فان الله بما
يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى فان الله
بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الاسلام بصير يجازيكم ويكون
تعليقه بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعي اثابتهم للمباشرة يستدعي اثابة مقاتلتهم للسبب وان
تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه
ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم اي الذي اخذتموه من الكفار قهرا من شيء مما يقع عليه
اسم الشيء حتى الخيط فان لله خمسه مبتدا خبره محذوف اي ثابت لله خمسه وقرئ فان بالكسر والجمهور
على ان ذكر الله للتعظيم كما في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوف عليها
وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فانه قال فان لله خمسه يصرف الى هؤلاء
الاخصين به وحكمه بعد ما فيء سهم الرسول صلوات الله عليه وسلامه يصرف الى ما كان يصرف
اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان رضي الله عنهما وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة
وقال ابو حنيفة رضي الله عنه سقط سهمه وسهم ذوي القربى بعده فانه وكان كله مصروفا الى الثلاثة الباقية
وعن مالك رحمه الله الامر فيه مفوض الى راي الامام يصرفه الى ما يراه هو اهم وذهب ابو العالية الى ظاهر
الاية فقال يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الى الكعبة لما روي انه عليه الصلاة والسلام كان يأخذ
منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم
الرسول وذوي القربى بنو هاشم وبنو المطلب لما روي انه عليه الصلاة والسلام سهم ذوي القربى
عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء اخوتك بنو هاشم الذي لا ننكر فضلهم لمكانك الذي

جعلك الله منهم ارأيت اخوانا من بني المطلب اعطيتهم واحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة فقال عليه الصلاة
والسلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام وسيمنك بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل
جميع قريش والغنى والفقر فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله
لهم وقيل المراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص والاية نزلت
ببدر وقيل كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام وللنصف من شوال على
رؤس عشرين شهرا من الهجرة ان كنتم امنتم بالله متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اى ان كنتم
امنتم بالله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم وانتفعوا بالاخماس الاربعة الباقية
فان العلم للعمل اذ الامر به فلم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالغرض والمقصود بالذات هو
العمل وما انزلنا على عبدنا محمد عليه الصلاة والسلام من الايات والملايكة والنصر وقرئ
على عبدنا بضمتين اى الرسول والمؤمنين يوم الفرقان يوم بدر فانه فرق بين الحق والباطل
يوم التقى الجمعان المسلمون والكفار والله على كل شئ قدير فيقدر على نصر القليل على الكثير
والامداد بالملايكة اذ انتم بالعدوة الدنيا بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلاث
شط الوادي وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وهم
بالعدوة القصوى البعدى من المدينة تانيث الاقصى وكان قياسه قلب الواو ياء كالدنيا
والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فكان صفاء على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا
والركب اى العير او قوادها اسفل منكم في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على
الظرف وقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفايدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم
بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطينهم وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا امر العير ويسلموا
منتهى جهدهم وضعف شان المسلمين والتيان امرهم واستبعاد غلبتهم عادة ولذا ذكر مراكز
الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل لا يمشي فيها الا بتعب ولم يكن بها
ماء بخلاف العدوة القصوى ولو قلة ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اى تواعدتم انكم
وهم للقتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم ثم في الميعاد هيبة منهم وباسا من الظفر عليهم ليتحقق
ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنيعا من الله خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا ولكن جمع
بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل وهو نصر
اوليايه وقهر اعدايه وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل منه او متعلق
بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها اليتم
يكون له حجة ومعذرة فان وقعت بدر من الايات الواضحة والبصيرة كفر من كفر وايمان من امن
عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحياة للكفر والاسلام والمراد بمن هلك ومن حي المشارف
للهلاك والحيق او من هذا حاله في علم الله وقضايه وقرئ ليهلك بالفتح وقراءة ابن كثير ويعقوب
وابو بكر من حيي يحيى الادغام للحمل على المستقبل وان الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وايمان من
امن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاستعمال الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله في منامك
قليلا متعلق باذكر او بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بيعلم اى يعلم المصلح اذ يقللهم في عينك
في رؤياك وهو ان يخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اراكهم كثيرا فجبنتم
ولتنازعتم في الامر بالقتال ولتفرقت اراؤكم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم انعدم
بالسلامة من القتل والتنازع انه عليم بذات الصدور بما يعلم ما سيكون فيها وما يغير احوالها واذ
يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا الضمير ان مفعولا يرى وقليلا حال من الثاني وانما قللهم
في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مايه

تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل ان محمدا واصحابه اكلة جزور مثل القلة قللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترءوا عليهم ولا يستعدوا لهم فكثرهم حتى رأوهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة وتنكسر قلوبهم وهذا من عظائم تلك الواقعة فان البصر وان كان يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي في الشروط ليقضي الله امرا كان مفعولا كررهم لاختلاف الفعل المعللية اولا لان المراد بالامر ثم الاول التقاء على الوجه المحلي وههنا اعزاز الاسلام واذلال الشرك وحزبه والى الله ترجع الامور يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا حاربتم جماعة ولم يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا للقائهم واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر الله وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشر فارغ البال واثقا بانه لطفه لا ينفك عنه في شيء من الاحوال واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر واحد فتفشلوا جواب النهي وقيل عطف عليه ولذلك قرئ وتذهب ريحكم بالجزم والريح مستعارة للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذ مشبهة بها في هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا ان الله مع الصابرين بالكلاءة والنصر ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا يعني اهل مكة حين خرجوا لحماية العير بطرا فخرا واشرا ورياء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهما بلغوا الجحفة واقام رسول ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القينات ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا كاس المنايا فناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين ان يكونوا امثالهم بطرين مرائين وامرهم بان يكونوا اهل تقوى واخلاص من حيث ان النهي عن الشيء امر بضده ويصدون عن سبيل الله معطوف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له على تاويل المصدر والله بما يعملون محيط فيجازيكم عليه واذ زين لهم الشيطان معد ياذكر اعمالهم في معاداة الرسول وغيرها بان وسوس اليهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم مقالة نفسانية والمعنى انه القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعديدهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انهم فيه قربات يحرزهم حتى قالوا اللهم انصر احدى الفئتين وافضل الدينين واكرم خيرا غالب او صفقة وليس صلة ولا لا تنصب كقولك لا ضيار يا زيد عندنا فلما تراءت الفئتان اي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى اي بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مخيرهم سبب هلاكهم وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله اي تبرأ منهم وخاف عليهم وايس من حالهم لما رأى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال له الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف الله اني اخافه ان يصيبني مكروه من الملائكة او يهلكني ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذ رأى فيه ما لم ير قبله والاول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر والله شديد العقاب يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستانفا اذ يقول المنافقون والذين

في قلوبهم مرض والذين لم يطمئنوا الى الايمان بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين غرهؤلاء يعنون المؤمنين دينهم حتى تعرضوا لما لا يدان لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى نزهاء الف ومن يتوكل على الله جواب لهم فان الله عزيز غالب لا ينال من استجاره وان قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستتبعه العقل ويعجز عن ادراكه ولو ترى ولو رأيت فان لو تجعل المضارع ماضيا عكس ان اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ببدر واذ ظرف ترى والمفعول محذوف اى ولو ترى الكفرة او حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو سيد اجراه يضربون وجوههم والجملة حال من الذين كفروا واستغنى فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم او من الملائكة او منهما لاشتماله على الضميرين وادبارهم ظهورهم واستاههم ولعل المراد تعميم الضرب اى يضربون ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا عذاب الحريق عطف على يضربون باضمار القول اى ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الاخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف لتفظيع الامر وتهويله ذلك الضرب والعذاب بما قدمت ايديكم بسبب ما كسبتم من الكفر وهو خبر لذلك وان الله ليس بظلام للعبيد عطف عليه للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمام مدلوليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم لا ان يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى يتعرض نفي الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل العبيد كدأب ال فرعون اى دأب هؤلاء مثل دأب ال فرعون وهو علمهم وطريقتهم الذي دابوا فيه اى داموا عليه والذين من قبلهم من قبل ال فرعون كفروا بايات الله بتفسير المدابهم فاخذهم الله بذنوبهم كما اخذ هؤلاء ان الله قوي شديد العقاب لا يغلبه في دفعه شئ ذلك اشارة الى ما حل بهم بانه بسبب ان الله لم يكن يك مغيرا نعمة انعمها على قوم مبدلا اياها بالنقمة حتى يغيروا ما بانفسهم يبدلوا ما بهم من الحال الى حال سواء كتغيير قريش حالهم في صلة الرحم والكف عن تعرض الايات وارسل بمعاداة الرسول ومن تبعه منهم والسعي في ازالة دمائهم والتكذيب بالايات والاستهزاء بها الى غير ذلك مما احدثوه بعد البعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغير واحالهم بل ما هو المفهوم له وهو جرى عادته تعالى على تغيير حتى يغير واحالهم واصل يك يكون حذفت حركة النون لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا وان الله سميع لما يقولون عليم بما يفعلون كدأب ال فرعون والذين من قبلهم كذبوا بايات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا ال فرعون تكرير للتاكيد ولما نشط من الدلالة على كفران النعم بقوله بايات ربهم وبيان ما اخذ به ال فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثاني لتشبيه التغيير في النعمة بسبب تغييرهم ما بانفسهم وكل كانوا من الفرق المكذبة او من غرقى القبط وقتلى قريش ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي ان شر الدواب عند الله الذين كفروا اصروا على الكفر وتخوا فيه فهم لا يؤمنون فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوع على الكفر بانهم لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على ان تحقق المعطوف عليه سبب لتحقق المعطوف وقوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يعاونوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا وما لهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم ومن لتضمن المعاهدة معنى الاخذ او المراد بالمرة مرة المعاهدة او المحاربة وهم لا يتقون سبب الغدر وعقبه او لا يتقون الله فيه وينصر المؤمنين ويتسلطه عليهم فاما تثقفنهم فاما تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب فشرد بهم ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم من خلفهم من ورائهم

من الكفر والتشريد تفريق على اضطراب وقرئ شرذ بالذال المعجمة وكانه مقلوب شذر اومن
خلفهم والمعنى واحد فانه اذا شرد من ورائهم فقد فعل التشريد في الورى لعلهم يذكرون
لعل المشردين يتعظون واما تخافن من قوم معاهدين خيانة نقض عهد بامارات تلوح
فانبذ اليهم فاطرح اليهم عهدهم على سواء على عدل وطريق قصد في المداوة فلا تناجزهم الحرب
فانه يكون خيانة منك وعلى سواء في الخوف والعلم بنقض العهد وهو في موضع الحال من النابذ
على الوجه الاول اى ثابتا على طريق قوى سوى اومنه او من المنبوذ اليه او منهما على غرر وقولوا ان
الله لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ والنهى عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال
على طريقة الاستيناف ولا تحسبن خطاب للنبى الذين كفروا سبقوا مفعولاه وقرأ ابن عامر
وحمزة وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير احد او من خلفهم والذين كفروا والمفعول الاول انفسهم
فحذف للتكرار او على تقدير ان سبقوا وهو ضعيف لان ان المصدرية كالموصول فلا يحذف
او على ايقاع الفعل على انهم لا يعجزون بالفتح على قراءة ابن عامر وان لا صلة وسبقوا حال بمعنى
سابقين اى مفلتين والاظهر انه تعليل للنهى اى لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا انهم لا يفوتون الله
اولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكذا ان كسرت ان الا انه تعليل على سبيل الاستيناف
ولعل الاية ازاحة لما يحذر من نبذ العهد وايقاظ للعدو وقيل نزلت فيمن افلت من المشركين
واعدوا ايها المؤمنون لهم ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب وعن عقبة بن عامر
رضى الله عنه سمعته عليه الصلاة والسلام يقول على المنبر الا ان القوة الرمى قالها ثلاثا ولعله عليه
الصلاة والسلام خصه بالذكر لانه اقواه ومن رباط الخيل اسم للخيل التى تربط في سبيل الله
فعال بمعنى مفعول ومصدر سمى به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا اقيم
ربط كفضيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة
كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة ترهبون به تخوفون وعن يعقوب ترهبون بالتشديد والضمير
لما استطعتم والاعداد عدو الله وعدوكم كفار مكة واخرين من دونهم من الكفرة وقيل هم اليهود
وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم باعيانهم الله يعلمهم يعرفهم وما تنفقوا من شئ
في سبيل الله يوف اليكم جزاؤه وانتم لا تظلمون بتضييع العمل او نقص الثواب وان جنحوا ما لوا
ومنه الجناح وقد يعدى باللام والى للسلم للصلح والاستسلام وقرأ ابو بكر بالكسر فاجنح لها وعاهد
معهم وتانيث الضمير لحمل السلم على نقيضها انه قال

السلم تاخذ منها ما رضيت به ... والحرب تكفيك من انفاسها جرع

وقرئ فاجنح بالضم وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله يعصمك من مكرهم
ويحقق بهم انه هو السميع العليم بنياتهم والاية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصصهم
وقيل عامة نسختها اية السيف وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله فان معك
الله وكافيك قال جرير

اني وجدت من المكارم حسبكم ... ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا

هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين جميعا والف بين قلوبهم مع ما فيهم من العصبية والضغينة
في ذات شئ والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يتالف فيهم قلبان حتى صار والكفس واحدة وهذا من
باب معجزاته صلى الله عليه وسلم وبيانه لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم اى تناهى عداوتهم
الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات بينهم ما في الارض من الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح
ولكن الله الف بينهم بقدرته البالغة فانه الملك للقلوب يقلبها كيف شاء انه عزيز تام القدرة
والغلبة لا يعصى عليه ما يريد حكيم يعلم انه كيف ينبغي ان يفعل ما يريد وقيل الاية نزلت في الاوس
والخزرج وكان بينهم احن لا امد لها وقايح هلكت فيها سادا تهم فانساهم الله ذلك والف بينهم

بالاسلام حتى تصافوا وصاروا انصارا يا ايها النبي حسبك الله كافيك ومن اتبعك من المؤمنين
اما في محل النصب على المفعول له كقوله ، اذا كانت الهيجاء واستحر القتال ، فحسبك والضحاك سيف مهند
والجر عطفا على المكنى اى الضمير عند الكوفيين او الرفع عطفا على اسم الله اى كفاك الله والمؤمنون
والاية نزلت بالمدينة في غزوة بدر وقيل اسلم مع النبي ثلاثة وثلاثون رجلا وستة نسوة ثم اسلم عمر
رضي الله عنه فنزلت وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في اسلامه يا ايها النبي حرض
المؤمنين على القتال بالغ في حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفي على الموت
وقرئ حرض من الحرصان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مايتين وان يكن منكم مايتة صابرة
يغلبوا الفا من الذين كفروا الشرط في معنى الامر بمصابرة الواحد العشرة والوعد بانهم ان صبروا
غلبوا بعون الله وتاييده قراء ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء في الايتين ووافقهم البصريان
في وان يكن منكم مايتة صابرة بانهم قوم لا يفقهون بسبب انهم جهلة بالله واليوم الاخر لا يثبتون
لثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالي الدرجات قتلوا او قتلوا ولا يستحقون من الله لا الهوان
والخذلان الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مايتة صابرة يغلبوا مايتين
وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله لما اوجب على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم
وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما
كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير
واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة
عاصم والضم وهو قراءة الباقين والله مع الصابرين بالنصرة والمعونة فكيف لا يغلبون ما كان لنبي
ان تكون له اسرى وقرأ البصريان بالتاء حتى يثخن في الارض يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل
الكفر ويعل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض اذا اثقله واصله الغلبة وقرئ يثخن
بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا حطامها باخذكم الفداء والله يريد الاخرة والله يريد لكم
ثواب الاخرة او سبب نيل الاخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الاخرة على اضمار المضاف
كقوله ، اكل امرئ تحسبين امرءا ، ونار توقد بالليل نارا ،
والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق لكل حال ويخصه به كما امر بالاثخان ومنع
عن الاقتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة
للمؤمنين روي انه عليه الصلاة والسلام اتي يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن
ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر رضي الله عنه قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم
وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر رضي الله عنه اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان
الله اغناك عن الفداء مكني من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهو
ذلك رسول الله عليه الصلاة والسلام وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن
وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال
فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض
من الكافرين دياراً لخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت فقال
ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه والاية دليل
على ان الانبياء يجتهدون وانه قد يكون خطاء ولكن لا يقرون عليه لولا كتاب من الله سبق لولا حكم
من الله سبق اثباته في اللوح المحفوظ وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده وان لا يعذب اهل بدر
او قوما بما لم يصرح لهم بالنهي عنه وان الفدية التي اخذوها سخط لهم لمسكم لنالكم فيما اخذتم من

لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم روى انه عليه الصلاة والسلام قال لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لانه ايضا اشار بالاثخان فكلوا مما غنمتم من الفدية فانها من جملة الغنائم وقيل مسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء للتسبب والسبب محذوف تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا ونحوه تثبت من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة حملا للحال من المغنوم اوصفة المصدر اى اكلا حلالا وفائدته ازاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة او حرمها على الاولين ولذلك وصفه بقوله طيبا واتقوا الله في مخالفته ان الله غفور غفر لكم ذنبكم رحيم بان لكم ما اخذتم يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى وقرأ ابو عمرو من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا ايمانا واخلاصا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء وهي انما نزلت في العباس كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدي نفسه وبني اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحرث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال فاين الذهب الذي دفعته لام الفضل وقلت لها لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال وما يدريك قال اخبرني به ربي تعالى قال فاشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك رسول الله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك الى الان عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانتظر المغفرة من ربكم يعني الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا اي الاسرى خيانتك نقض ما عاهدوك فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاق الماخوذ بالعقل من قبل فامكن منهم اي فامكنك منهم كما فعل يوم بدر فان اعادوا الخيانة فسيمكنك منهم والله عليم حكيم ان الذين امنوا وهاجروا وهم المهاجرون هاجروا الله اوطانهم حبا لله ولرسوله وجاهدوا باموالهم فصرفوها في الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج وانفسهم في سبيل الله بمباشرة القتال والذين اووا ونصروا وهم المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض بالنصرة والمظاهرة والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا الى من تولاهم في الميراث وقرأ حمزة ولايتهم بالكسر تشييها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كانه يتوليه صاحبه من تولى عمله فان استنصروكم في الدين فعليكم النصر اى فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فانه لا ينقض عهدهم لنصرهم عليه والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض في الميراث والموازنة وهو مفهوم يدل على منع التوارث والموازرة بينهم وبين المسلمين الا تفعلوه ان لا تفعلوا ما امرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع الموادة بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض يحصل فتنة فيها عظيمة وهي ضعف الايمان وظهور الكفر وفساد كبير في الدين وقرئ كثير والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لما قسم المؤمنين ثلاثة اقسام بين ان الكاملين منهم في الايمان منهم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق وعدلهم الموعد الكريم فقال لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه ثم الحق بهم في الامرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم اي من جملتكم ايها المهاجرون والانصار واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في التوارث من الاجانب في كتاب الله في حكمه او في اللوح المحفوظ او القرآن واستدل به على توريث ذوي الارحام ان الله بكل شيء عليم من المواريث والحكمة في اناطتها بسبب الاسلام والمظاهرة اولا واعتبار القرابة ثانيا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد انه بري من النفاق واعطي له عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش والكرسي يستغفرون له ايام حياته والله اعلم

سورة براءة

سورة براءة مدنية وقيل الا اية من قوله لقد جاءكم رسول

وهي آخر ما نزلت ولها اسماء اخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والتقشقشة من النفاق وهي التبرئ منه والبحث عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وتخزيهم وتفضيحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم وايها مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون اية وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله امان وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزلت عليه سورة او اية بين موضعها او توفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الانفال لان في الانفال ذكر العهود والحي التي وفى براءة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلف الصحابة في انهما سورة واحدة او سابعة السبع الطوال او سورتان تركت بينهما فرجة ولم يكتب بسم الله براءة من الله ورسوله اي هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز ان يكون براءة مبتدا لتخصيصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم من المشركين وقرئ بنصبهما على اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله بريا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانما علقت البراءة بالله وبرسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن الله واتفاق الرسول فانهما بريا منها وذلك انهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا الا اناسا منهم بني ضمرة وبني كنانة فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين واهل المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤا فقال فسيحوا في الارض اربعة اشهر شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم لانها نزلت في شوال وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الاخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روي انها لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه راكبا العضباء ليقرأها على اهل الموسم وكان قد بعث ابا بكر رضي الله عنه امير على الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنى علي رضي الله عنه سمع ابو بكر رضي الله عنه الرغاء فوقف فقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امرا او مامور قال مامور فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر رضي الله عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام علي رضي الله عنه يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول الله اليكم فقالوا بما ذا فقرأ عليهم ثلاثين او اربعين اية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده وعلى قوله لا يؤدي عني الا رجل مني ليس على العموم فانه عليه الصلاة والسلام بعث لان يؤدي عنه كثيرا لم يكونوا من عترته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب انهم لا يتولى العهد وتقضه على القبيلة الا رجل منها ويدل عليه انه في بعض الروايات لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي واعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه وان الله مخزي الكافرين بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب في الاخرة واذان من الله ورسوله الى الناس يوم اي اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطاء ورفعه كرفع براءة على الوجهين يوم الحج الاكبر يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولانه عليه الصلاة والسلام وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه الصلاة والسلام الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر ولان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال ولان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيد اليهود عيد اهل الكتاب ولانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ان الله بري اي بان الله بري من المشركين من عهودهم ورسوله عطف على المستكن في بري او على محل ان واسمها في قراءة

من كسرها اجراء للاذن مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان اولان الواو بمعنى مع ولا تكرير
فيه فان قوله براءة من الله اخبار بثبوت البراءة وهذا اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك
علقه بالناس ولم يخصص بالمعاهدين فان تبتم من الكفر والغدر وهو فالتوبة خير لكم وان توليتم
عن التوبة او تبتم على التولي عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير معجزي الله اي لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه
هربا في الدنيا وبشر الذين كفروا بعذاب اليم في الاخرة الا الذين عاهدتم من المشركين استثنا
من المشركين او استدراك او كانه قيل لهم بعد ما امر وا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا
منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط العهد ولم ينكثوا ولم يقاتلوا معكم ولم يضروكم قط
ولم يظاهروا عليكم احدا من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم الى تمام مدتهم ولا
تجروهم مجرى الناكثين ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان تمام عهدهم من تمام التقوى
فاذا انسلخ انقضى واصل الانسلاخ خروج الشئ مما لابسه من سلخ الشاة الاشهر الحرم
التي ابيح للمتاكدين ان يسيحوا فيها وقيل رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا يخل بالنظم
مخالف للاجماع فانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها فاقتلوا
المشركين الناكثين حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم واسروهم والاخذ الاسر
واحصروهم واحبسوهم وحيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر ليلا
يتبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف فان تابوا عن الشرك بالايمان واقاموا الصلوة
واتوا الزكوة تصديقا للتوبة منهم وايمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم ولا تتعرضوا لهم لشئ من
ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة لا يخلى سبيله ان الله غفور رحيم تعليل
للامر اي فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم ما سلف ووعدهم التوبة بالتوبة وان احد من
المشركين المامور بالتعرض لهم استجارك استنسك وطلب منك جوارك فاجره فامنه
حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه مامنه موضع امنه ان لم يسلم
واحدر ان تفعل بقسره ما بعده لانا لا بد لان ان من عوامل الفعل ذلك الامن والامر
بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان وما حقيقته ما تدعوهم اليه فلا بد من اماتهم فيما يسمعون
ويتدبرون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله استفهام بمعنى الانكار
والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع غرة صدا ولان يفي الله ورسوله بالعهد وهم
ينكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام والمشركين او عند الله او على الاولين صفة للعهد
او ظرف له او ليكون وكيف على الاخيرين حال من العهد والمشركين ان لم يكن خبرا فتبين الا الذين
عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون قبل وحكمه النصب على الاستثنا او الجر على البدل او الرفع
على ان الاستثنا منقطع اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا
لهم اي فتربصوا امرهم فان استقاموا لكم على العهد فاستقيموا على الوفا وموكفوله فاتموا اليهم عهدهم
غير انه مطلق وهذا مقيد وما تحتمل الشرطية والمصدرية ان الله يحب المتقين سبق بيانه كيف
تكرار الاستبعاد تنبيها تهم على العهد او بقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله

وخبر تماني انما الموت بالقرى ، فكيف وهاتا قبضة وقليب ،

اي فكيف هات وان يظهروا عليكم اي وحالهم ان يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم لا يراعوا قبلكم الا حلفا
وقيل قرابة قال حسان يلمزك انك من قريش ، كال السقب من ال النعام ،
وقيل ربوبية ولعله اشتق للحلف من ال وهو الجوار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه
ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقد الحلف ثم الربوبية والتربية وقيل
اشتقاقه من ال الشئ اذا حدده او من ال البرق اذا لمع وقيل انه عبري بمعنى الاله لانه قرئ ايئل كجبريل

وغدة وهي غدة قلح

وجبريل ولا ذمة عهدا وحقا يعاب على اغفاله يرضونكم بافواههم استيناف ببيان حالهم المنافية لما بناهم على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد في الحال واستبطان الكفر والعادات بحيث ان ظفروا بهم لم يبقوا عليهم والجملة وتابى قلوبهم ما تنفوه به قلوبهم واكثرهم فاسقون متمردون لا عقيدة تمرعهم ولا مروة تردعهم وتخصيص الاكثر لما في بعض الكفرة من التفادي عن العذر والتعفف عما يجر احدوثة السوء اشتروا بايات الله استبدلوا في القرآن ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الهوى والشهوات فصدوا عن سبيله دينه الموصل اليه وسبيل بيت حصر الحاج والعمار والقاء للدلالة على ان اشتراهم اداهم الى الصد انهم ساء ما كانوا يعملون عملهم هذا ومادل عليه قوله لا يرقبون في مومن الاولا ذمة فهو تفسير لا تكرير وقيل الاول عام في المنافقين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود والاعراب الذين جمعهم ابو سفيان ولعلهم واولئك هم المعتدون في الشر فان تابوا عن الكفر واقاموا الصلاة واتوا الزكوة فاخوانكم فهم اخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الايات لقوم يعلمون اعترض لحث على تامل ما فصل من احكام المعاهدين واحصال التائبين وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وان نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان او الوفاء بالعهود وطعنوا في دينكم بتصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر اى فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوي الرياسة والتقدم في الكفر اخفاء بالقتل وقيل المراد بالائمة رؤساء المشركين والتخصيص اما لان قتلهم اهم او هم احق به او للمنع من مراقبتهم وقراء عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وروح عن يعقوب بتخفيف الهمزتين على الاصل والتصريح بالياء لحن وقراءة هشام باد خال الفين الهمزتين وروى عنه بخلاف ذلك انهم لا ايمان لهم اى لا ايمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمي اذا طعن في الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية على ان يمين الكافر ليس بيمين وهو ضعيف لجواز ان المراد نفي الوثوق عليها الا انها ليست بايمان لقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم وقراءة ابن عامر لا ايمان لهم بمعنى لا امان ولا اسلام وتثبت به من لم يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز ان يكون لا يؤمنون على الاخبار عن قوم معينين او لنيتهم ايمان فيراقبوا لاجله لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا اى ليكن غرضكم في المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريق المؤمنين الا تقاتلون قوما تحريض على القتال لان الهمزة دخلت على النفي للانكار فافادت لما النفي في الفعل نكثوا ايمانهم التي حلفوها مع الرسول والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول حتى تشاوروا في امر الندوة على ما مر ذكره في قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه من المدينة وهم بدوكم اول مرة بالمعاداة والمقاتلة لانه عليه الصلاة والسلام بدأهم بالدعوة والزام الحجة بالكتاب والتحدي به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة فايمنعكم ان تعارضوهم وتصادموهم انخشونهم ان تتركون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره ان كنتم مؤمنين فان قضية الايمان ان لا يخشى الا منه قاتلوهم امر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعيد عليه يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم وعدهم ان قاتلوهم بالنصر والتمكن من قتلهم واذلالهم ويشف صدور قوم مؤمنين يعني بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقد وفى

الله بما وعدهم والاية من المخبرات ويتوب الله على من يشاء ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما نسبب لتعذيب قوم نسبب لتوبة قوم اخرين والله عليم بما كان وما سيكون حكيم لا يفعل ولا يحكم الا على وفق الحكمة ام حسبتم خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين ولم منقطعة ومعنى همزتها التوبيخ على الحسبان ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتبين المخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم لنفي العلم وارادة نفي المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في الصلة من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة بطانة يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما في لما من معنى التوقع منبه على ان تبيين ذلك متوقع والله خبير بما تعملون يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا مساجد الله شيأ من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامرو كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب بالتوحيد شاهدين على انفسهم بالكفر باظهار الشرك وتكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره روي انه لما اسر العباس يوم بدر عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ له علي رضي الله عنه في القول فقال تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت اولئك حبطت اعمالهم التي تفتخرون بها بما قارنها من الشرك وفي النار هم خالدون لاجله انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلوة واتى الزكوة اي انها انما يستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج ودوامة العلم والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي حق على المزور ان يكرم زائره واتمام يذكر الايمان بالرسول لما علم ان الايمان بالله قرينته وتمامه الايمان به ولدلالة قوله واقام الصلوة واتى الزكوة عليه ولم يخش الا الله اي في ابواب الدين فان الخشية في المحاذير جبلة لايكاد الرجل يتمالك عنها فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين ذكر بصيغة التوقع قطعا لاطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باضدادهم ومتعلق المؤمنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله السقاية والعمارة مصدر اسقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لابد من اضمار تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج كمن امن او جعلتم سقاية الحاج كايمان من امن ويؤيد الاول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون عند الله بين عدم تساويهم بقوله والله لا يهدي القوم الظالمين الى الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول منهمكون في الضلالة فكيف يساوون من الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات او من اهل السقاية والعمارة عندكم واولئك هم الفائزون بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم دايم وقراء حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به اشعار بانه وراء التعيين والتعريف خالدين فيها ابدا الدال على الخلود بالتابيد لانه قد

يستعجل الملك الطويل ان الله عنده اجر عظيم يستحقر عنده دونه ما استحبوه لاجله واثم الدنيا
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة
قالوا ان هاجرنا قطعنا اباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وتقينا ضايعين وقيل نزلت
نهيا عن موالات التسعة الذين ارتدوا والحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم اولياء يمنعونكم عن
الايمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله ان استحبوا الكفر على الايمان ان اختاروا وحرصوا عليه ومن
يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون بوضعهم الموالاة في غير محلها قل ان كان اباؤكم وابناؤكم و
واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم اقرباؤكم ماخوذ من العشرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد
العشرة وقراء ابو بكر وعشيراتكم وقرئ وعشائركم واموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة
تخشون كسادها قرئ وقف نفاقها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في
سبيله لحب الاختياري دون الطبيعي فانه لا يدخل تحت التكليف ويتحفظ عنه فتربصوا حتى
يأتي الله بامره جواب ووعيد والامر عقوبة عاجلة او اجلة وقيل فتح مكة والله لا يهدي القوم
الفاسقين لا يرشدهم وفي الاية تشديد عظيم وقل من يتخلص عنه لقد نصركم الله في مواطن
كثيرة يعني مواطن الحرب وهي مواقعها ويوم حنين وموطن يوم حنين ويجوز ان يعد ايام
مواطن او يفسر المواطن بالوقت كقتل الحسين رضي الله عنه ولا يمنع بدل قوله اذ اعجبتكم كثرتكم
منه ان يعطف على مواضع في مواطن فانه لا يقتضي تشاركهما فيما اضيف اليه المعطوف وحتى يقتضي
كثرتهم واعجابها اياهم في جميع المواطن وحنين واد بين مكة والطائف حارب فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمسلمون وكانوا اثني عشر الفا العشر الذين حضروا فتح مكة والفان انضموا
اليهم من الطلقاء هوازن وثقيف وكانوا اربعة الاف فلما التقوا قال النبي صلى الله عليه وسلم
او ابو بكر او غيره من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فاعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فادرك
المسلمين اعجابهم واعتمادهم على انفسهم كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله
صلى الله عليه وسلم في مركز ليس معه الا عمه العباس اخذ بلجامه وابن عمه ابو سفيان بن الحرث
وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس وكان صيتا اصح بالناس فنادى
يا عباد الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك
ونزلت الملايكة والتقوا مع المشركين فقال عليه الصلاة والسلام هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ
كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا فلم تغن عنكم اي الكثرة شيئا
من الاغناء او من امر العدو وضاقت عليكم الارض بما رحبت برحبها اي سعتها لا تجدون فيها
مصيرا تطمئنون اليه نفوسكم من شدة الرعب ولا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكان ثم وليتم الكفار
ظهوركم مدبرين منهزمين والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال ثم انزل الله سكينته رحمته
التي سكنوا بها واسنوا على رسوله وعلى المومنين الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف
حالهما وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول ولم يفروا وانزل جنودا لم تروها باعينكم يعني الملايكة
وكانوا خمسة الاف او ثمانية او ستة عشر على اختلاف الاقوال وعذب الذين كفروا بالقتل
والاسر والسبي وذلك جزاء الكافرين اي ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد
ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق للاسلام والله غفور رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم
روي ان ناسا منهم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير الناس
وابرهم وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا وقد سبي يوم هوازن ستة الاف نفس واخذ
من الابل والغنم ما لا يحصى فقال اختاروا اما سباياكم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب
شيئا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذرى والاموال

نضم النون وسكونها اي ميلا يتحرى

فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده شيء وطابت نفسه ان يرد فشأنه ومن لا فليعطنا ولكي
قرضا علينا حتى يضب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من
لا يرضا فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا اليه انهم قد رضوا يا ايها الذين امنوا انما المشركون
نجس نجث باطنهم اي لانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس او لانهم لا يتطهرون ولا
يجتنبون النجاسة فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل على ان ما الغالب نجاسته نجس وعن
ابن عباس رضي الله عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو
كالبدن في تبد وأكثر ما جاء تابعا للرجس فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وانما نهي عن الاقراب
للميا لغة او للمنع عن دخول الحرم وقيل المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه
ذهب ابو حنيفة رحمه الله وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع والجمهور على خلافه وفيه دليل
على ان الكفار مخاطبون بالفروع بعد عامهم هذا يعني سنة براءة وهي التاسعة وقيل سنة حجة
الوداع وان خفتم عيلة فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب
والارفاق فسوف يغنيكم الله من فضله اوعدهم بوجه اخر وقد انجز وعده بان ارسل
عليهم السماء مدرارا ووفق اهل تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم
وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرئ عائلة على انها مصدر كالعاقبة او حال ان شاء
قيده بالمشيئة لتنقطع الامال الى الله ولبينة على انه متفضل في ذلك فان الغنى الموعود يكون
لبعض دون بعض وفي عام دون عام ان الله عليم بأحوالكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله ولا باليوم الاخر اي يؤمنون بهما على ما ينبغي كما بيناه في اول البقرة فان ايمانهم كلا ايمان ولا
يحرمون ما حرم الله ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذين يزعمون
اتباعه والمعنى انهم مخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت
الذي هو ناسخ الاديان كلها من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون حتى يعطوا الجزية
ما يقر عليهم ان يعطوه مشتق من جرى دينه اذا قضاه عن يد حال من الضمير او عن يدهم انقيادا
بمعنى منقادين او عن يدهم اي مسلمين بايديهم غير ياعين بايدي غيرهم ولذلك منع من التوكل
فيه او عن غنى ولذلك قيل لا يؤخذ من الفقير او عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين اذلاء
او من الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد الى يد او عن انعام عليهم فان ابقاءهم في الجزية نعمة عظيمة
وهم صاغرون اذلاء عن ابن عباس رضي الله عنه انما يؤخذ الجزية من الذمي ويوجأ عنقه ومفهوم
الاية يقتضي تخصيص الجزية باهل الكتاب ويؤيده ان عمر رضي الله عنه لم يكن ياخذ من المجوس
حتى شهد عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه انه عليه الصلاة والسلام اخذها من مجوس هجر
وانه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب فالحقوا بالكتابيين وامام سائر
الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابي حنيفة تؤخذ منهم الا من مشركي العرب لما روي
الزهري انه عليه الصلاة والسلام صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعند مالك يؤخذ
من كل كافر الا المرتد وانها في كل سنة دينار سواء فيه الغني والفقير وقال ابو حنيفة على الغني ثمانية
واربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير المكسوب ربعها ولا شيء على الفقير غير المكسوب
وقالت اليهود عزير ابن الله انما قال بعضهم من متقدميهم ومن كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك
لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بخت نصر من يحفظ التوراة وهو لما احياه الله بعد مائة عام املى
عليهم التوراة حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا الا انه ابن الله والدليل على ان هذا القول
كان فيهم ان الاية قرئت عليهم فلم ينكروا مع تهالكهم على التكذيب وقراء عاصم والكسائي ويعقوب
عزير بالتنوين على انه عربي خبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه في القراءة الاخرى اما لمنع صرفه

للعجمة

للعجمة والتعريف ولا لتقاء الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين اولان الابن وصف والخبر محذوف
مثل معبودنا او صاحبنا وهو مزيف لانه يؤدي الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدر وقالت
النصارى المسيح بن الله وهو ايضا قول بعضهم وانما قالوه لاستحالة ان يكون ولد بلا اب او لان
يفعل ما فعل من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك قولهم بافواههم امّا
تاكيد نسبته ذلك القول اليهم ونفي التجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل
الذي يوجد في الافواه ولا يوجد مفهومه في الاعيان يضاهون قول الذين كفروا اي يضاهي قولهم
قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه من قبل اي من قبلهم والمراد قدماؤهم
على معنى ان الكفر قديم فيهم او المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله او اليهود على ان الضمير
للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمزة لغة فيه وقد قرىء به عاصم ومنه قولهم مراءة ضهيا
على فيعل للتي شابهت الرجال في انها لا تحيض قاتلهم الله دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله
الله هلك او تعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق الى الباطل اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله بان اطاعوهم في تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم او بالسجود لهم
والمسيح بن مريم بان جعلوه ابنا لله وما امروا اي وما امر المتخذون والمتخذون اربابا فيكون
دليلا على بطلان الاتخاذ الا ليعبدوا ليطيعوا الها واحدا وهو الله تعالى اما طاعة الرسل وسائر
من امر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة الله لا اله الا هو صفة ثانية او استيناف مقرر للتوحيد
سبحانه عما يشركون تنزيه له من ان يكون له شريك يريدون ان يطفئوا نور الله حجته
الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد او القرآن او نبوة محمد عليه الصلاة والسلام بافواههم
بشركهم وتكذيبهم ويابى الله لا يرضى الا ان يتم نوره باعلاء التوحيد واعلاء الاسلام وقيل
انه تمثيل لحالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد عليه الصلاة والسلام بالتكذيب بحال من يطلب
اطفاء نور عظيم منبث في الافاق يريد الله ان يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل
موجب كانه في معنى النفي ولو كره الكافرون محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه هو الذي
ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله كالبيان لقوله ويابى الله الا ان يتم
نوره ولذلك كرر ولو كره المشركون موضع الكافرين للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول
الى الشرك بالله والضمير في ليظهره للدين الحق او الرسول واللام في الدين للجنس اي على سائر
الاديان فينسخها او على اهلها فيخذلهم يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان
ليأكلون اموال الناس بالباطل باخذ ورشا في الاحكام سمي اخذ المال كله لانه الغرض
الاعظم منه ويصدون عن سبيل الله دينه والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها
في سبيل الله يجوز ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال
والضن به او ان يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقترانه
بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر رضي الله عنه
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وقوله عليه
الصلاة والسلام ما ادى زكاته فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم
الانفاق فيما امر الله ان ينفق فيه وما قوله من ترك صفرا او بيضا كوي بها ونحوه فالمراد منها
لم يؤد حقها لقوله عليه الصلاة والسلام فيما اورده الشيخان مرويا عن ابي هريرة رضي الله عنه
ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفائح من نار
فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب اليم هو الكي بها يوم يحمى عليها في نار جهنم
اي يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذف

التاء واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التانيث الى صيغة
التذكير وانما قال عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دراهم ودنانير كثيرة كما قال رضي الله عنه
اربعة الاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيها للاكوز
او الاموال فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او الفضة وتخصيصها لقربها
ودلالة حكمها على ان الذهب وفي هذا الحكم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم
وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية اولانهم اذا زوروا
عن السايل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم اولانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على
الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد ولانها اصول الجهات الاربع التي هي مقادم
البدن وماخره وجنبياه هذا ما كنزتم على ارادة القول لانفسكم اي لمنفعتها فكان عين
مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ تكنزون
بضم النون ان عدة الشهور اي مبلغ عددها عند الله مع مجعول مدة لانها مصدر اثنا عشر
شهرا في كتاب الله في اللوح المحفوظ او في حكمه وهو صفة لقوله اثني عشر وقوله يوم خلق
السموات والارض متعلق بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل مصدرا لمعنى انه هذا
امر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله الاجرام والازمنة منها اربعة حرم واحد فرد وهو رجب
وثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ذلك الدين القيم اي تحريم الاشهر الاربعة هو الدين
القيم دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام والعرب ورثوه منهما فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك
حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة وعن عطاء انه لا يحل للناس
ان يغزوا في الحرم والاشهر الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول ما روي انه عليه الصلاة والسلام حاصر
الطايف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة
جميعا وهي مصدر كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة ووقع موقع الحال واعلموا ان الله مع
المتقين بنصرة وضمان لهم بالنصر بسبب تقواهم انما النسيء اي تاخير حرمة الشهر الى شهر اخر كانوا اذا
جاءهم شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا اخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد
العدد وعن نافع برواية ورش انما النسيء بقلب الهمزة وادغام الياء فيها وقرئ النسيء بحذفها والنسي
والنساء وثلاثتها مصادر نسأه اذا اخره زيادة في الكفر تحريم ما احل الله وتحليل ما حرمه فهو كفر
اخر ضموا الى كفرهم يضل به الذين كفروا اضلالا لاتباعهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص يضل على البناء
للمفعول وعن يعقوب يضل على ان الفعل لله يحلونه عاما يحلون النسيء من الاشهر الحرم سنة
ويحرمون مكانه شهرا اخر ويحرمونه عاما فيوافقوا ترك تحريمه قيل اول من احدث ذلك جنادة
ابن عوف الكناني كان يقوم على جمل في الموسم فينادي ان الهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم
ينادي في القابل ان الهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للاضلال او حال ليواطئوا
عدة ما حرم الله اي ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل عليه مجموع
الفعلين فيحلوا ما حرم الله بمواطاة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت زين لهم سوء اعمالهم
وقرئ على البناء للفاعل وهو الله والمعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا والله
لا يهدي القوم الكافرين هداية موصلة الى الاهتداء يا ايها الذين امنوا مالكم اذا قيل لكم
انفروا في سبيل الله اثاقلتم تباطاتم وقرئ على الاصل تثاقلتم واثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ
الى الارض متعلق به كانه ضمن معنى الاخلاد والميل فعدي بالى او كان ذلك في غزوة تبوك امروا
بها بعد رجوعهم من الطايف في وقت عسرة وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق
عليهم رضيتم بالحيوة الدنيا وعروضها من الاخرة بدل الاخرة ونعيمها فما متاع الحيوة الدنيا

فما التمتع بها في الاخرة الا قليل مستحقر الا تنفروا الى ما استنفرتم اليه يعذبكم عذابا اليما بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو وتسليط لقوم غيركم ويستبدل قوما غيركم وينتصر لكم اعزين مطيعين كاهل اليمن وابناء فارس ولا تضروه شيئا اذ لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه شيئا فانه الغني عن كل شيء وفي كل امر وقيل الضمير للرسول اي ولا تضروه فان الله وعده بالعصمة وبالنصر ووعده حق والله على كل شيء قدير فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة بلا مدد كما قال لا تنصروه فقد نصره الله اي ان لم تنصروه فسينصره الله كما نصره اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ولم يكن معه الا رجل واحد فخذ فيما يجزأ واقيم ما هو كالدليل عليه مقامه او ان لم تنصروه فقد وجب الله له النصر حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره وسناد الاخراج الى الكفرة لان همهم باخراجه وقتله تسبب لاذن الله له بالخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون على لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور في الاعراب ونصبه على الحال اذ هما في الغار بدل من اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار ثقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا اذ يقول بدل ثان او ظرف لثاني لصاحبه وهو ابو بكر رضي الله عنه لا تحزن ان الله معنا بالعصمة والمعونة روي ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما فاعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار نسجت العنكبوت على بابه فانزل الله سكينته امنته التي تسكن عندها القلوب عليه على النبي عليه الصلاة والسلام او على صاحبه وهو الاظهر لانه كان متزعجا وايده بجنود لم تروها يعني الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار او ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين فتكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك او دعوة الكفر وكلمة الله هي العليا يعني التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول عن ايدي الكفار الى المدينة فانه المبدأ له او بتاييده بالملائكة في هذا الموطن او بحفظه ونصره له حيث حضر وقرأ يعقوب كلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع بالخبر لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوق ولا اعتبا ولذلك وسط الفصل والله عزيز حكيم في امره وتدبيره انفروا خفافا للنشاط كله وثقالا عنه لمشقته عليكم او لقلة عيالكم ولكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا من السلاح او صحاحا ومراضا او لذكر ما قال ابن ام مكتوم لرسول الله عليه الصلاة والسلام اعلي ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله بما امكن لكم منهما كليهما او احدهما ذلكم خير لكم من تركه ان كنتم تعلمون الخير او علمتم انه خير اذ الجهاد لا يامر الا بالخير والله به صدق فبادروا اليه لو كان عرضا قريبا اي لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا قريبا سهل المأخذ وسفرا قاصدا متوسطا لاتبعوك لوافقوك ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر الشين والعين وسيحلفون بالله اي المتخلفون اذا رجعت من تبوك لو استطعنا يقولون لو كان استطاعة العدة او البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو وتشبيها لها بواو الضمير في اشتروا الضلالة لخرجنا معكم سادا مسد جوابي القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه اخبار بما وقع قبل وقوعه يهلكون انفسهم بايقاعها في العذاب وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع النفس في الهلاك او حال من فاعله والله يعلم انهم لكاذبون في ذلك لانهم كانوا مستطيعين للخروج عفا الله عنك كناية عن خطابه في الاذن فان العفو من روادفه لم اذنت لهم بيان لما كني عنهم بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لاي شيء اذنت لهم في القعود حتى استاذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت حتى يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار وتعلم الكاذبين فيه

قيل انما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما اخذه الفدية واذنه للمنافقين فعاتبه
الله عليهما لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم
اى ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك فى ان يجاهدوا وان الخلص منهم يبادرون اليه ولا
يوقفون على الاذن فيه فضلا عن ان يستاذنوك فى التخلف كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين
شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه انما يستاذنك فى التخلف الذين لا يؤمنون بالله واليوم
الاخر تخصيص الايمان بالله واليوم الاخر فى الموصفين للاشعار بان الباعث على الجهاد والواقع
عنه الايمان وعدم الايمان بهما وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون يتحيرون ولو ارادوا
الخروج لاعدوا له للخروج عدة اهبة وقرئ عدة بفتح التاء عند الاضافة كقوله
واخلفوك عند الامر الذى فعلوا وعده بكسر العين باضافة وبغيرها ولكن كره الله انبعاثهم
استدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج كانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا لانه تعالى كره
انبعاثهم اى تهوضهم للخروج فثبطهم فخبسهم بالجبن والكسل وقيل اقعدوا مع القاعدين
تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج فى قلوبهم او وسوسة الشيطان بالامر للمقعود او حكاية قول
بعضهم لبعض او اذن الرسول لهم والقاعدون يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو
عن ذم لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك ان يكونوا هم
خبالا حتى لو خرجوا ازادوهم لان الزيادة باعتبار العام فى الذى وقع منه الاستثناء ولا يجعل
هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك لانه لا يكون مفرغا ولا وضعوا خلالكم
اى ولاسرعوا ركابهم بينكم بالنميمة والتضريب والهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا
اسرع يبغونكم الفتنة يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم او الرعب فى قلوبكم والجملة
حال من الضمير فى اوضعوا وفيكم سماعون لهم ضعفة تسمعون قولهم وتطيعونهم او نمامون
يسمعون حديثكم للنقل اليهم والله عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما يتاتى منهم لقد ابتغوا
الفتنة تشتيت امرك وتفريق اصحابك من قبل يعنى يوم احد فان ابن ابى واصحابه كما
تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا مع الرسول الى ذى حدى اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم
احد وقلبوا لك الامور ودبروا لك المكايد فحيل دون ارادتهم فى ابطال امرك حتى
جاء الحق النصر والتاييد الالهى وظهر امر الله على ادينه وهم كارهون على رغم منهم والايتان
تسلية الرسول والمومنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم
وكشف اسرارهم وازاحة اعذارهم تدارك لما فوت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمبادرة الى الاذن ولذلك
عوتب عليه ومنهم من يقول ائذن لى فى القعود ولا تفتنى ولا توقعنى فى الفتنة اى المعصية
والمخالفة بان لا تاذن لى وفيه اشعار بانه لا محالة متخلف اذن او لم ياذن او فى الفتنة بسبب
ضياع المال والعيال اذ لا كافل لهم بعدى فى الفتنة فى نساء الروم لما روى ان جد بن قيس قال
قد علمت الانصار انى مولع بالنساء فلا تفتنى ببنات الاصفر ولكنى اعينك بمالى فاتركنى الا فى
الفتنة سقطوا اى ان الفتنة هى التى سقطوا فيها وهى فتنة التخلف واظهور النفاق لا ما
احترزوا عنه وان جهنم لمحيطة بالكافرين جامعة لهم يوم القيمة او لان احاطة اسبابها
بهم كوجودها ان تصبك فى بعض غزواتك حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم لفرط حسدهم وان
تصبك فى بعضها مصيبة كسر وشدة كما اصاب يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل
يعنون ايانا نصرافهم واستحمدوا ارايهم فى التخلف وينولوا عن متحدثهم بذلك ويجتمعوا له وهم
الرسول وهم فرحون مسرورون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا الا ما اختصنا باثباته
وايجابه من النصرة والشهادة او ما كتب لاجلنا فى اللوح لا يتغير بموافقتكم ومخالفتكم وقرئ

هل

هل يصيبنا وهل بصيبنا وهو من فيعل لا من فعل لانه من بنات الواو كقولهم صاب السهم يصوب
واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشئ فيما قصد به وقيل من الصوب هو مولانا هو ناصرنا وتولى
امرنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان حقهم ان لا يتكلوا على غيره قل هل تربصون بنا تنتظرون
بنا الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب النصر والشهادة
ونحن نتربص بكم ايضا احد السوئين ان يصيبكم الله بعذاب من عنده بقارعة من السماء او بايدينا
او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا انا معكم متربصون ما سوغ
عاقبتكم قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم امر في معنى الخبر اى لن تقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا
او كرها وفائدته المبالغة في تساوى الانفاقين في عدم القبول كانهم امروا بان يتحنوا فينفقوا
وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب جد بن قيس واصحابه بمانع وتلقى التقبل يحتمل امرين ان
لا يؤخذ منهم وان لا يثابوا عليه وقوله انكم كنتم قوما فاسقين تعليل له على سبيل الاستئناف
وما يعده بيان وتقرير له وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله
او ما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرأ حمزة والكسائى ان يقبل بالياء لان تانيث النفقات
غير حقيقى وقرئ يقبل على ان الفعل لله ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى متثاقلين ولا ينفقون
الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بها ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا فلا تعجبك اموالهم ولا
اولادهم فان ذلك استدراج ووبال كما قال انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا بسبب
ما يكابدون بجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها الشدائد والمصائب وتزهق انفسهم
وهم كافرون فيموتون كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجا
واصل الزهوق الخروج بصعوبة يحلفون بالله انهم لمنكم لمن جملة المسلمين وما هم منكم لكفر
قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلوا بالمشركين فيظهرون
الاسلام تقية لو يجدون ملجا حصنا يلجئون اليه او مغارات غيرانا او مدخلا ينجحرون فيه مفتعل
من الدخل وقرئ يعقوب مندخلا من ادخل وقرئ مدخلا مكانا يدخلون فيهم انفسهم ومتدخلا
ومندخلا من تدخل واندخل لولوا اليه لاقبلوا نحوه وهم يجمحون يسيرعون اسراعا لا يردهم
شئ كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك يعيبك وقرأ يعقوب بالضم
وابن كثير بلا مز ك في الصدقات في قسمها فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا اذا هم يسخطون
قيل انها نزلت في ابي الجواظ المنافق قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم
انه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة براس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنايم
حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنايم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك
ان لم اعدل فمن يعدل واذ للمفاجاة نابت مناب فاء الجزاء ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله
ما اعطاهم الرسول من الغنيمة او الصدقة وذكر الله للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول كان
بامره وقالوا حسبنا الله كفانا فضله سيؤتينا الله من فضله صدقة وغنيمة اخرى ورسوله
فيؤتينا الكرما اتانا انا الى الله راغبون في ان يغنينا من فضله والاية باسرها في حيز الشرط
والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تنصيصا وتحقيقا لما فعله
الرسول فقال انما الصدقات للفقراء والمساكين اى الزكاة لهؤلاء المعدودين دون غيرهم
وهو دليل على ان المراد باللمز لمزهم في قسم الزكوة دون الغنايم والفقير من لا مال له ولا كسب
يقع موقعا من حاجته من الفقار كانه اصيب فقاره والمسكين من له مال او كسب لا يكفيه من السكون
كان البرا سكنه ويدل عليه قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين يعملون وانه عليه الصلاة
والسلام سال المسكنة وتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله تعالى او مسكينا ذا متربة والعاملين عليها

السّاعين في تحصيلها او جمعها والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا ونيتهم فيه ضعيفة فيستالف
قلوبهم او اشراف يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم وقد اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس لذلك وقيل اشراف يستالفون على ان
يسلموا فانه عليه الصلاة والسلام كان يعطيهم والاصح انه كان يعطيهم من خمس الخمس الذي كان خاص
ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه دينٌ منها على قتال الكفار وما نحى الزكوة وقيل كان سهم المؤلفة
لتكثير سواد الاسلام فلما اعز الله وكثر اهله سقط وفي الرقاب وللصرف في فك الرقاب
بان يعاون المكاتب بشيء منها على اداء النجوم وقيل بان يبتاع الرقاب فتعتق وبه قال مالك
واحمد او بان يفدى الاسارى والعدول عن اللام الى في للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا
للرقاب وقيل للايذان بانهم احق بها والغارمين المدينين لانفسهم في غير معصية اذا لم
يكن وفاء او لاصلاح ذات البين وان كانوا اغنياء لقوله عليه الصلاة والسلام لا تحل الصدقة
لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله او لغارم او رجل اشتراها بماله او رجل له دار مسكين فتصدق
على المسكين فاهدى المسكين للغني او لعامل عليها وفي سبيل الله وللصرف في الجهاد م
بالانفاق على الغزاة المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل في بناء القناطر والمصانع وابن
السبيل المسافر المنقطع عن ماله فريضة من الله مصدر لما دلت عليه الاية اى فرض لهم
الصدقات فريضة او حال من الضمير المستكن في الفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة والله عليم
حكيم وضع الاشياء في مواضعها فظاهر الاية يقتضي تخصيص استحقاق الزكوة بالاصناف
الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية الاشتراك
واليه ذهب الشافعي وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين جواز
صرفها الى صنف واحد وبه قال الائمة الثلاثة واختاره بعض اصحابنا وبه كان يفتي شيخي
والدي رحمه الله على ان الاية بيان ان الصدقة لا تخرج منهم لا ايجاب قسمها عليهم ومنهم
الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمي بالجارحة للمبالغة
كانه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عينا كذلك او اشتق له فعل من
اذن اذا قال اذن خير لكم بتصديقهم بانه اذن ولكن لا على الوجه الذي ذموا به بل من حيث
انه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله يؤمن بالله يصدق به لما قام عندنا من الادلة
ويؤمن للمؤمنين ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق
فانه بمعنى التسليم وايمان الايمان ورحمة اى وهو رحمة للذين امنوا منكم لمن اظهر الايمان
حيث يقبله ولا يكشف ستره وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم جهارا بحالكم بل رفقا
بكم ورحما عليكم وقرأ حمزة ورحم بالجر عطفا على خير وقرئ بالنصب على انها علة فعل دل عليه
اذن خير اى ياذن لكم رحمة وقرأ نافع اذن بالتخفيف فيهما وقرئ اذن خير على ان خير صفة
له او خبر ثان والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم بانذاله يحلفون بالله لكم على
معاذيرهم فيما قالوا وتحلفوا اليرضوكم لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين والله ورسوله
احق ان يرضوه احق بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضائين
او لان الكلام في ايذاء الرسول وارضائه ولان التقدير والله احق ان يرضوه ورسوله
كذلك ان كانوا مؤمنين صدقا الم يعلموا انه اى الشان وقرئ بالتاء من يحادد الله ورسوله
يشاقق مفاعلة من الحد فان له نار جهنم خالدا فيها على احد فالخبر فحق ان له او على تكرير
ان للتاكيد ويحتمل ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحاد الله
ورسوله يهلك وقرئ فان بالكسر ذلك الخزي العظيم يعني الاهلاك الدائم يحذر المنافقون

ان تنزل عليهم على المؤمنين سورة تبئهم بما في قلوبهم وتهتك عليهم استارهم ويجوز ان
تكون الضمائر للمنافقين فان الذي ينزل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقروء ومحتج به عليهم
وذلك يدل على ترديدهم ايضا في كفرهم وانهم لم يكونوا على البت في امر الرسول شيئ وقيل انه
خبر في معنى الامر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله قل استهزؤا ان الله مخرج
مبرز واظهر ما تحذرون اي ما تحذرونه من انزال السورة فيكم او تحذرون اظهاره
من مساويكم ولئن سالتهم ليقولون انما كنا نخوض ونلعب روي ان راكب المنافقين مروا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور
الشام وحصونه هيهات هيهات فاخبر الله به نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا الا والله
ما كنا في شئ من امرك وامر اصحابك ولكن كنا في شئ مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض
السفر قل ابالله وايآته ورسوله كنتم تستهزؤن توبيخا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء
به والزاما للحجة عليهم ولا يعبأ باعتذارهم الكاذب لا تعتذروا لا تشتغلوا باعذاركم فانها
معلولة الكذب قد كفرتم فذا ظهرتم الكفر بايذاء الرسول والطعن فيه بعد ايمانكم بعد اظهاركم
الايمان ان نعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم وتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء
نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق ومقدمين على الايذاء والاستهزاء
وقراء عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله وان نعف بالتاء والبناء
على المفعول ذهابا الى المعنى كانه قال ان ترحم طائفة المنافقون والمنافقات بعضهم
من بعض اي متشابهة في النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشئ الواحد وقيل انه تكذيب لهم
في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه فانه يدل على مضادة
حالهم لحال المؤمنين وهو قوله يامرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف عن الايمان
والطاعة ويقبضون ايديهم عن الجهاد وقبض اليد كناية عن البخل نسوا الله اغفلوا ذكره
وتركوا طاعته فنسيهم فتركهم من لطفه وفضله ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون
في التمرد والمنسوق عن دائرة الخير وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين
فيها مقدرين الخلود اي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها ولعنهم الله ابعدهم
من رحمته واهانهم ولهم عذاب مقيم لا ينقطع والمراد به ما وعد وما يقاسونه من تعب النفاق
كالذين من قبلكم اي انتم مثل الذين او فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة
واكثر اموالا واولادا بيان لمشبههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم نصيبهم
من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم
كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخرجة من الشهوات
الفانية والتهائهم بها عن النظر في العاقبة والسعي في اللذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين
بمشابهتهم واقتفاء امرهم وخضتم ودخلتم في الباطل كالذي خاضوا كالذين خاضوا او كالفوج
الذي خاضوا او كالخوض الذي خاضوه اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة لم يستحقوا
عليها ثوابا في الدارين واولئك هم الخاسرون الذين خسروا الدنيا والاخرة الم ياتهم نبا
الذين من قبلهم قوم نوح اغرقوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم
ابراهيم اهلك نمرود ببعوض واهلك اصحابه واصحاب مدين اهلكوا بالرجفة وقوم
شعيب اهلكوا
بالنار يوم الظلة والمؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت فصارت عاليها ساقلها وامطر وا حجارة
من سجيل وقيل قريات المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم
رسلهم يعني الكل بالبينات فما كان الله ليظلمهم اذ لم يكن من عادته ما يشابه ظلم الناس

كالعقوبة بلا جرم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حين عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم اولياء بعض في مقابلة قوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض
يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله
ورسوله في سائر الامور اولئك سيرحمهم الله لا محالة فان السين مؤكدة للوقوع ان الله عزيز
غالب على كل شئ لا يمتنع عليه ما يريده حكيم يضع الاشياء مواضعها وعد الله المؤمنين والمؤمنات
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة تستطيبها النفس وتستلذ
فيها العيش وفي الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر في جنات عدن م
اقامة وخلود وعنه عليه الصلاة والسلام عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر
لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك ومرحبا
العطف فيها يحتمل ان يكون الى المعدد الموعود لكل واحد والجمع على سبيل التوزيع او الى تغاير وصفه
او لانه جنس ما هو اهلها الاماكن التي تعرفها تميل طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه
بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا تخلو عنها اماكن الدنيا
وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات في جوار العليين لا يتجرهم
فناء ولا تغيرهم وعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال ورضوان من الله اكبر لانه مبداء لكل سعادة
وكرامة والمؤدي الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى يقول لاهل الجنة
هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل
من ذلك فقالوا واي شئ افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اي الرضوان
او جميع ما تقدم هو الفوز العظيم الذي تستحقر دونه الدنيا وما فيها يا ايها النبي جاهد الكفار
بالسيف والمنافقين بالزام الحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا تحابهم وماواهم
جهنم وبئس المصير مصيرهم يحلفون بالله ما قالوا روي انه عليه الصلاة والسلام قام في غزوة
تبوك يوما بين يديه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد ليئن كان ما يقول محمد
لاخواننا حقا فنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ما قاله
فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم واظهروا الكفر
بعد اظهار الاسلام وهموا بما لم ينالوا اي قتل الرسول وهو ان خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه
من تبوك ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته
يقودها وحذيفة خلفها يسوقها اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم
اليكم يا اعداء الله فهربوا واخراجه واخراج المومنين من المدينة بان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا وما انكروا وما وجدوا ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم الله
ورسوله من فضله فان اكثر اهل المدينة كانوا محاويج في ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم اثروا بالغنايم وقتل الجلاس فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية التي عسر الف درهم
فاستغنى والاستثنا مفرغ من اعم المفاعيل او العلل فان يتوبوا يك خيرا لهم هو الذي حمل الجلاس
على التوبة والضمير ذيك للتوب وان يتولوا بالاصرار على النفاق يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا
والاخرة بالقتل والنار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير فينجيهم من العذاب ومنهم من عاهد
الله لين اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى النبي صلى الله
عليه وسلم وقال ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه الصلاة والسلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من
كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق نبيا لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه
فدعى له فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت به المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة

فسار

فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه وادفقال يا ويح ثعلبة فبعث
مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلها الناس بصدقاتهم وامر ثعلبة فسالاه الصدقة واقراه
الكتاب الذي فيه الفرايض فقال ما هذه الا اخت الجزية فارجعا حتى ارى رايي فنزلت
فجاء ثعلبة بالصدقة فقال انا الله منعني ان اقبل منك فجعل يحثو التراب على راسه فقال هذا عملك
قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ابي بكر فلم يقبلها ثم جاء بها
الى عمر في زمن خلافته فلم يقبلها وهلك في زمن عثمان فلما اتاهم من فضله بخلوا به ومنعوا حق الله منه
وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض عنها فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي
جعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقادهم في قلوبهم ويجوز ان يكون المرجع الضمير
للبخل والمنع فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم الى يوم يلقونه يلقون الله بالموت او يلقون
عمله اي جزاءه وهو يوم القيمة بما اخلفوا الله ما وعدوه بسبب اخلافهم ما وعدوه من التصدق
والصلاح وبما كانوا يكذبون ويكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح
من الوجهين او المقال مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد الم يعلموا اي المنافقون او من عاهد
الله وقرئ بالتاء على الالتفات ان الله يعلم سرهم ما سروه في انفسهم من النفاق والعزم من الاخلاف
ونحوها وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن او تسمية الزكوة جزية وان الله علام الغيوب
فلا يخفى عليه ذلك الذين يلمزون ذم مرفوع او منصوب او بدل من الضمير في سرهم وقرئ يلمزون
بالضم المطوعين المتطوعين من المؤمنين في الصدقات روي انه عليه الصلاة والسلام
حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف درهم وقال كان لي ثمانية الاف فاقرضت
ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما
امسكت فبارك الله له حتى صولحت احدى امراته عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم وتصدق
عاصم بن عدي بماية وسق تمر او جاء ابو عقيل الانصاري بصاع تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على
صاعين فتركت صاعا لعيالي وجيت بصاع فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره على الصدقات
فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين
عن صاع بن عقيل ولكنه احب ان يذكر نفسه ليعطى من الصدقات فنزلت والذين لا يجدون
الا جهدهم الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيسخرون منهم يستهزؤن
بهم سخر الله منهم جازاهم الله على سخريتهم لقوله الله يستهزئ بهم ولهم عذاب اليم على كفرهم استغفر
لهم او لا تستغفر لهم يريدون التساوي في الامرين في عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله ان تستغفر
لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم روي ان عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سال رسول الله
صلى الله عليه وسلم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت فقال عليه الصلاة والسلام لازيدن
على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه
عليه الصلاة والسلام فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه
حكم ما وراءه فبين له ان المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعماية ونحوها
في التكثير لاستعمال السبعة على جملة اقسام العدد وكانه العدد باسره ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله
اشارة الى ان الياس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم
قابليتهم بسبب الكفر الصادر عنهم والله لا يهدي القوم الفاسقين المتمردين في كفرهم
وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك
في كفره المطبوع عليه لا يقلع ولا يهتدي والتنبيه على عذر الرسول في استغفاره وهو عدم ياسه
عن ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والممتنع هو الاستغفار بعد العلم بقوله

ماكان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم
فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله بقعودهم عن الغزو خلفه يقال اقام خلف الحي اى
بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون نصبه على العلة او الحال وكرهوا ان يجاهدوا
باموالهم وانفسهم في سبيل الله ايثارا للدعة والخفض على طاعة ربه وفيه تعريض للمؤمنين
الذين اثروا تحصيل رضاه بدل الاموال والمهج وقالوا لا تنفروا في الحر قاله بعضهم لبعض
او قالوه للمؤمنين تثبيطا فل نار جهنم اشد حرا وقد اثروها بهذه المخالفة لو كانوا يفقهون
ان ما بهم اليها اولها كيف هي ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة فليضحكوا قليلا
وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون اخبار عما يؤل اليه حالهم في الدنيا والاخرة اخرجه على
صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور
والغم والمراد من القلة العدم فان رجعك الله الى طائفة منهم فان ردك الى المدينة وهم طائفة
من المتخلفين يعني منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين او من بقي منهم وكان المتخلفون
اثني عشر رجلا فاستاذنوك للخروج الى غزوة اخرى غير تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا
ولن تقاتلوا معي عدوا اخبار في معنى النهي للمبالغة انكم رضيتم بالقعود اول مرة تعليل
له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم واول من نهي للخرجة الى غزوة
تبوك فاقعدوا مع الخالفين اى المتخلفين لعذر ليأتم للجهاد كالنساء والصبيان
وقرئ مع المخلفين على قصد الخالفين ولا تصل على احد منهم مات ابدا روي ان ابن ابي دعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه فلما دخل عليه سأله ان يستغفر له ويكفنه في قميصه الذي
يلي جسده ويصلي عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت وقام
صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه على التكفين في قميصه ونهى عن الصلاة عليه لان الضنة بالقميص
كان مخلة بالكرم لانه كان مكافاة لا لباسه العباس قميصه حين اسر يبدد والمراد من الصلاة
الدعاء للميت والاستغفار له وهو ممنوع في حق الكافر وكذلك رتب النهي على قوله مات ابدا يعني
على الكفر فان احياء الكافر للتعذيب دون التمتع وكانه لم يحي ولا تقم على قبره ولا تقف
عند قبره للدفن او الزيارة انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهي
اولتابيد النهي ولا يعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا
وتزهق انفسهم وهم كافرون تكرير للتاكيد والامر حقيق به فان الابصار طامحة للاموال
والاولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز ان يكون هذا في فريق غير الاول واذا انزلت سورة
من القران ويجوز ان يراد بعضها ان امنوا بالله بان امنوا ويجوز ان تكون ان المفسرة وجاهدوا
مع رسوله استاذنك اولوا الطول منهم ذوو الطول والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين
الذين قعدوا العذر رضوا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء جمع خالفة وقد يقال للخالفة
للذي لا خير فيه وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ما في الجهاد وموافقة الرسول من السعادة
وما في التخلف عنه من الشقاق لكن الرسول والذين معه جاهدوا باموالهم وانفسهم
اى ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد خير منهم واولئك لهم الخيرات منافع الدارين
النصرة والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الاخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان
وهي جمع خيرة تخفيف خيرة واولئك هم المفلحون الفائزون بالمطالب اعد الله لهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لحالهم من الخيرات الاخروية وجاء
المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم يعني اسد وغطفان استاذنوا في التخلف معتذرين بالجهد
وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت طي على مواشينا

من اهوى

واهلينا

واهلينا والمعذرانا من عذر في الامر اذا قصر فيه موهما ان له عذرا ولا عذر فيه او من اعتذر اذا مهد العذر بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين وبجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرأ بهما وقرأ يعقوب معذرون من اعذر اذا اجتهد في العذر وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال على انه من تعذر بمعنى اعتذر وموحن اذ التاء لا تدغم في العين وقد اختلف في انهم كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة فيكون قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله في غيرهم وهم منافقو الاعراب كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان وان كانوا هم الاولين فكذبهم بالاعتذار سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب او من المعذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والنار ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كهينة ومزينة وبني عذرة حرج اثم في التاخير اذا نصحوا لله ورسوله بالايمان والطاعة في السر والعلانية كما يقول الموالي الناصح اوبما قدروا عليه فعادوا وقولا يعود على المسلمين الاسلام والمسلمين بالصلاح ما على المحسنين من سبيل اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين بذلك والله غفور رحيم لهم او للمحسنين او للمسيئ فيكون فيكف للمحسن ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على الضعفاء او على المحسنين وهم البكاؤن سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وعلبة بن عمة وعبد الله بن مغفل وعلبة بن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا احملنا فحلف انه لا يحملهم فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغزو معك فقال لا اجد فيولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد تولوا جواب اذا وعينهم تفيض تسيل من الدمع فان من للبيان وهي مع المجرور في محل النصب على التمييز وهو ابلغ من يفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت دمعا فياضا حزنا نصب على العلة او الحال او المصدر لفعل دل عليه ما قبله الا يجدوا اي لئلا يجدوا او متعلق بحزنا او تبغيض ما ينفقون في معزاهم انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستاذنونك وهم اغنياء واجدون للاهبة رضوا بان يكونوا مع الخوالف ستينا في بيان ما هو السبب لاستيذانهم من غير عذر وهو رضاءهم بالدناءة والانتظام في جملة الخوالف ايثارا للدعة وطبع الله على قلوبهم حتى غفلوا عن وخامة العاقبة فهم لا يعلمون معتبة يعتذرون اليكم في التخلف اذا رجعتم اليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لانا لن نؤمن لكم اي نصدقكم لانه قد نبانا الله من اخباركم اعلمنا بالوحي الى نبيه بعض اخباركم وهو ما في ضمايركم من الشر والفساد وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تتوبون عن الكفر فتتوبون عليه وكانه استيناف وامهال للتوبة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شئ من ضمايرهم واعمالهم فينبئكم بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فلا تقاتبوهم فاعرضوا عنهم فلا توبخوهم انهم رجس لا ينفع فيهم التاديب فان المقصود منه التطهير بالحمل على الاتية وهؤلاء ارجاس لا تقبل التطهر فهو علة الاعراض وترك المعاتبة ومأواهم جهنم من تمام التعليل فكانه قال انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا والاخرة او التعليل لان والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علة يحلفون لكم لترضوا عنهم يحلفهم فتسدير عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اي فان رضاكم

لا يستلزم رضاء الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذ كانوا في سخط الله ويصدد عقابه وان امكنهم
ان يلبسوا عليكم فلا يمكنهم ان يلبسوا على الله فلا يهتك ستورهم ولا يتزلزل الهوا بهم والمقصود
من الاية النهي عن الرضا عنهم والاعتداد بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات
نحوهم **الاعراب** اشد كفرا ونفاقا من الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم
وقلة استماعهم للكتاب والسنة **واجدر** ان لا يعلموا واحق بان يجلموا **حدود ما انزل الله**
على رسوله من الشرايع فرايضها وسننها **والله عليم** حال كل احد من اهل الوبر والمدر **حكيم** فيما
يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا **ومن الاعراب من يتخذ** يعد **ما ينفق** يصرفه في سبيل الله
ويصدق به **مغرما** وخسرانا اذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وانما ينفق رياء او تقية
ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان وتوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق عليهم
دائرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصون او اخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم
والدائرة في الاصل مصدر واسم فاعل من دار يدور وسمي بها عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر
اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل صدق وقراء ابن كثير وابو عمر والسوء هنا وفي الفتح بضم السين
والله سميع لما يقولون عند الانفاق **عليم** بما يضمرون **ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر**
ويتخذ ما ينفق قربات عند الله سبب قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ وعند الله صفتها او ظرف
ليتخذ **وصلوات الرسول** وسبب صدقته لانه عليه الصلاة والسلام كان يدعو للمتصدق وان
ويستغفر ولذلك سن للمتصدق ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن
ليس له ان يصلي عليه كما قاله عليه الصلاة والسلام اللهم صل على ال ابي اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل
به على غيره **الا انها قربة لهم** شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستيناف
مع حرف التنبيه وان المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم وقراء ورش بضم الراء **سيدخلهم الله**
في رحمته وعدهم باحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله **ان الله غفور رحيم** لمقررين
قبل الاولى في اسد وغطفان وبني تميم والثانية في عبد الله ذي البجادين وقومه **والسابقون**
الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا
قبل الهجرة **والانصار** اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا
سبعين والذين امنوا حيث اقبل عليهم ابو ذر ردا مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على
والسابقون **والذين اتبعوهم باحسان** الاحقون بالسابقين من القبيلتين او من اتبعوهم
بالايمان والطاعة الى يوم القيمة **رضي الله عنهم** بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم **ورضوا عنه**
بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية **واعد لهم جنات تجري** من تحتها **الانهار** وقراء ابن كثير تجري تحتها
كما هو في سائر المواضع **خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم** **ومن حولكم** ومن حول بلدتكم
يعني المدينة **من الاعراب منافقون** وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها
ومن اهل المدينة عطف على من حولكم وخبر لمحذوف صفته **مردوا على النفاق** ونظيره في حذف
الموصوف واقامة الصفة مقامه قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا
وعلى الاول صفة للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف على الجزا وكلام مبتدا لبيان تمرنهم
وتمهرهم في النفاق **لا تعلمهم** لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم في تحامي
مواقع التهم لحدة اخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك **نحن نعلمهم** ونطلع
على اسرارهم ان قدروا ان يلبسوا عليك لم يقدروا ان يلبسوا علينا **سنعذبهم مرتين** بالفضيحة
والقتل او باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكوة وهتك الابدان **ثم يردون الى عذاب عظيم** هو عذاب
النار او اخرون اعترفوا بذنوبهم وهم اثنا عشر او سبعة او من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طايفة من

اليجاد الكسار المخطط

المتخلفين

المتخلفين اوثقوا انفسهم على سوارى المسجد لما بلغهم ما نزل بالمتخلفين فقدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا
انفسهم حتى تحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى يحلوا او من يحلهم فيهم فنزلت فاطلقهم
خلطوا عملا صالحا واخر سيئا خلطوا العمل الصالح الذى هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب
باخر سيئ هو التخلف وموافقة اهل النفاق والمراد بما معنى الباء كما فى قولهم نعت الشاة سواة
ودرهما او للدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط بالاخر عسى الله ان يتوب عليهم ان يقبل توبتهم
وهى مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن التائب ويتفضل
عليه خذ من اموالهم صدقة روى انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التى خلفتنا
فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان اخذ من اموالكم شيأ فنزلت تطهرهم عن الذنوب وحب
المال المؤدى الى بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من اطهر بمعنى طهر وتطهرهم بالجزم جوابا للامر
وتزكيهم بها وتنمى بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين وصل عليهم واعطف عليهم
بالدعاء والاستغفار لهم ان صلوتك سكن لهم يسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها
لتعذر المدعو لهم وقراء حمزة والكسائى وحفص بالتوحيد والله سميع باعترافهم عليم بندامتهم
الم يعلموا الضمير اما للتائب عليهم والمراد ان يمكن فى قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم
او لغيرهم والمراد به التحضيض عليها ان الله هو يقبل التوبة عن عباده اذا صحت وتعديته
بعن لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ الصدقات يقبلها قبول من يأخذ شيأ ليؤدى بدله وان
الله هو التواب الرحيم وان من شأنه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم وقل اعملوا ما شئتم
فسيرى الله عملكم فانه لا يخفى عليه خير كان او شر ورسوله والمؤمنون فانه تعالى لا يخفى عنهم
كما ائتيتم وتبين لكم وسترددون الى عالم الغيب والشهادة بالموت فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة
عليه واخرون من المتخلفين مرجون مؤخرون اى موقوف امرهم من ارجأته اذا اخرته وقرأ نافع
وحمزة والكسائى وحفص مرجون بالواو وهما لغتان لامر الله فى شأنهم اما يعذبهم ان اصروا على
النفاق واما يتوب عليهم ان تابوا والترديد للعباد وفيه دليل على ان كلا الامرين بارادة
الله والله عليم باحوالهم حكيم فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك
وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان لا يسلموا عليهم
ولا يكلموهم فلما راعوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم الى الله ترجمهم الله والذين اتخذوا مسجدا
عطف على واخرون مرجون ومبتدأ خبره محذوف اى وفيمن وصفنا الذين اتخذوا او منصوب
على الاختصاص وقرأ نافع وابن عامر بغير واو ضرارا مضارة للمؤمنين روى ان بنى عمرو بن عوف
لما بنوا مسجد قبا وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم
بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام
فلما اتموه اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا بنينا مسجد الذى لحاجة والعلة والليلة
المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعى مالك
ابن الدخشم ومعن بن عدى وعامر بن السكن والوحشى فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم
اهله فاهدموه واحرقوه ففعلوا واتخذ مكانه كناسة تطرح فيها الجيف وكفرا وتقوية للكفر
الذى يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين يريد الذين يجتمعون للصلاة فى مسجد قبا وارصادا
ترقبا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعنى الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حد
لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين انهزم مع هوازن وهرب
الى الشام ليأتى من قيصر بجنود يحارب به رسول الله ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع

لجيوش يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام ومن قبل متعلق بحاربا وباتخذوا اى اتخذوا
مسجدا من قبل ان يبنى قوى هو لاء بالتخلف لما روى انه بنى قبيل غزوة تبوك فسالوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ياتيه فقال انا على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله صليتا فيه
فلما فعل ذكر عليه فنزلت ولحلفن ان اردنا الا الحسنى ما اردنا ببنايته الا الخصلة الحسنى
او الا ارادة الحسنى وهى الصلاة والذكر والتوسعة على المصلين والله يشهد انهم لكاذبون
فى حلفهم لا تقم فيه ابدا للصلوة لمسجد اسس على التقوى يعنى مسجد قبا اسسه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيها ايام مقامه بقبا من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصة ومسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم لقول ابى سعيد سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال هو مسجدكم هذا
مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده وذلك يوم الزمان والمكان لقوله

لمن الديار بقنة الحجر ، اقوين من حج ومن دهر ،

احق ان تقوم فيه اولى بان يصلى فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا من المعاصى والخصال
المذمومة طلبا لمرضات الله وقيل من الجنابة قلا يناموا عليها والله يحب المطهرين يرضى
عنهم ويدنيهم من جنابه دنو المحب حبيبه وقيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعه المهاجرون حتى وقف على مسجد باب بنى فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكتوا
فاعادها فقال عمر انهم مؤمنون وانا معهم فقال عليه الصلاة والسلام ارضون بالقضاء
قالوا نعم قال تصبرون على البلاء قالوا نعم قال تشكرون فى الرخاء قالوا نعم قال عليه الصلاة
والسلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله تعالى قد اثنى عليكم
فما الذى تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار
الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فقال رجال يحبون ان يتطهروا الله يحب المطهرين افمن اسس بنيانه بنيان
دينه على تقوى من الله ورضوان خير على قاعدة محكمة من التقوى من الله وطلب رضاته
بالطاعة ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار على قاعدة هى اضعف القواعد وارخاها
فانهار به فى نار جهنم فاداه به نحو وقلة استمساكه الى السقوط فى النار وانما وضع
شفا جرف وهو ما جرفه الوادى الهائر فى مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم فى
البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهاره فى النار ووضعه فى مقابلة الرضوان تنبيها
على ان تاسيس ذلك على امر يحفظ من النار يوصله الى رضوان الله ومقتضيات التى ادناها
الجنة وتاسيس هذا على ما هو سببه على صدد الوقوع فى النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم
الى النار لا محالة وقرا ابن عامر ونافع اسس على البناء للمفعول وقرئ اساس بنيانه واس على اضافة
واسس واساس واساس بالكسر لاستهجان الجمع الا وتقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق
لا للتانيث كتترى وقراء ابن عامر وحمزة وابو بكر جرف بالتخفيف والله لا يهدى القوم الظالمين
الى ما فيه صلاح ونجاة لا يزال بنيانهم الذى بنوا بناؤهم الذى بنوه مصدر اريد به المفعول
وليس بجمع ولذلك قد يدخله التاء ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله ريبة فى قلوبهم اى شكا
ونفاقا والمعنى ان بقاءهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما
هدمه الرسول صلى الله عليه وسلم رسخ ذلك فى قلوبهم وازداد بحيث لا يزول ولا يسمع عن قلوبهم
الا ان تقطع قلوبهم قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهو فى غاية المبالغة
والاستدناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطيع ما هو كائن بالقتل او فى القبر او فى النار وقيل
التقطيع بالتوبة ندما واسفا وقراء الى بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحمزة
وحفص وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب

ولو قطعت على البناء للفاعل او المفعول والله عليم بنياتهم حكيم فيما امر بهدم بنائهم ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة تمثيل لاثابته اياهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم
في سبيله يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون استيناف في بيان ما لاجله الشرى وقيل
يقاتلون في معنى الامر وقراءة حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت ان الواو لا توجب
الترتيب ولان فعل البعض قد يسند الى الكل ووعدا عليه حقا مصدر مؤكد لما دل عليه الشرى فانه في
معنى الوعد في التوراة والانجيل والقرآن مذكورا فيما أنيت في القرآن ومن اوفى بعهده من الله
مبالغة في الايجاب وتقرير لكونه حقا فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فافرحوا به غاية
الفرح فانه مما اوجب لكم عظايم المطالب كما قال وذلك هو الفوز العظيم التائبون رفع على
المدح اي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز ان يكون مبتدأ خبره محذوف
تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى واخبره ما بعده
اي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء من التائبون
الى والحافظون نصبا على المدح او جر اصفة للمؤمنين العابدون الذين عبدوا الله مخلصين
له الحامدون لنعمائه اولما نابهم من السراء والضراء السائحون الصائمون لقوله عليه
الصلاة والسلام سياحة امتي الصيام شبه بها من حيث انه يعوق عن الشهوات او لانه رياضة
نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السائحون للجهاد او لطلب العلم
الراكعون الساجدون في الصلاة الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر عن الشرك
والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كانه قال الجامعون
بين الوصفين وفي قوله والحافظون لحدود الله اي فيما بينه وعينه من الخفايا والشرايع للتنبيه
على ان ما قبله مفصل للفضايل وهذا مجملها وقيل انه للايذان بان العدد قديم بالسابع
من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن هو ابتداء عدد آخر معطوف عليه ولذلك
تسمى واو الثمانية وبشر المؤمنين يعني به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضايل ووضع المؤمنين
موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك وان المؤمن الكامل ايمانه كذلك وحذف
المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام ما كان للنبي
والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين روي انه عليه الصلاة والسلام قال لابي طالب لما حضرته
الوفاة قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى فقال لاازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت
وقيل نزلت لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قال قام مستعبرا فقال اني استاذنت
ربي في زيارة قبر امي فاذن لي فاستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي وانزل على الآيتين
ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر وفيه دليل على
جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب لتوفيقهم للايمان وبه وقع النقض باستغفار ابراهيم
لابيه الكافر فقال وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه وعدها
ابراهيم اباه بقوله لاستغفرن لك لاطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب ما قبله
ويدل عليه قراءة من قراه اباه او وعدها ابراهيم ابوه وهي الوعد بالايمان فلما تبين له انه
عدو لله بان مات على الكفر او وحي اليه بانه لن يؤمن تبرا منه قطع استغفاره ان ابراهيم
لاواه يكثر التاوه وهو كناية عن فرط رحمه ورقة قلبه حليم صبور على الاذى والجملة بيان
لما حمله على الاستغفار لم مع شكاسته عليه وما كان الله ليضل قوما اي يسميهم ضلالا ويؤاخذهم
مؤاخذتهم بعد اذ هداهم للاسلام حتى يبين لهم ما يتقون حتى يبين لهم خطر ما يجب اتقاؤه
وكانه بيان عذر الرسول في قوله لهما ولمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه في قوم

مضوا على الامر الاول في الفضيلة والخير وتخوذلك وفي الجملة دليل على ان الفاعل غير مكلف ان الله بكل
شئ عليم فيعلم امرهم في الحالين ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون
الله من ولي ولا نصير لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى وتضمن ذلك وجوب
التبري عنهم راسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولي امره والغالب عليه ولا تنافي
لهم ولاية ولا نصرة الامنه ليتوجهوا بسر اسرهم اليه ويتبرؤا عما عداه حتى لا يبقى لهم
مقصود فيما يأتون ويذرون سواه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار من
اذن المنافقين في التخلف وبراهم عن علقة الذنوب لقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تاخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى
النبي والمهاجرين والانصار لقوله وتوبوا الى الله جميعا اذ ما من احد الا وله مقام ينتقص
دونه ما هو فيه والترقي اليه توبة من تلك النقيصة واظهار لفضلهم بالفعل مقام الانبياء
والصالحين من عباده الذين اتبعوه في ساعة العسرة في وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك
كانوا في عسرة الظهر يعتقبون العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين كانا يقتسمان
تمرة والماء حتى شربوا الفظ من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان
واتباع الرسول وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم والعايد عليه الضمير في منهم وقرأ حمزة
وحفص يزيغ بالياء لان تانيث القلوب غير حقيقي وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني
المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد وتنبيه على انه تاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة
او المراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة وتاب على الثلاثة
كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة ابن الربيع الذين خلفوا تخلفوا عن الغزو او اخلف امرهم
فانهم المرجون حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية
وهو مثل لشدة الحيرة وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها
انس ولا سرور وظنوا وعلموا ان لا ملجاء من الله من سخطه الا اليه الا الى استغفار ثم
تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا اذ انزل قبول توبتهم ليعدوا من جملة التايبين او جمع
عليهم بالقبول مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب لمن تاب ولو عاد
في اليوم مايه مرة الرحيم المتفضل عليه بالنعم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله فيما امروا به
وكونوا مع الصادقين في ايمانهم وعهودهم او في دينهم دين الله نية وقولا وعملا وقرئ
من الصادقين او في توبتهم وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلاثة واضرابهم ما كان
لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله نهي عنه بصيغة النفي
للتاكيد ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه لا يصونوا انفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا
معه ما يكابد من الاهوال روي ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكان له امراة حسناء فرشت له في الظل
وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر به فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء
بارد وامراة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير فقام ورحل ناقته
واخذ سيفه ورحمه ومر كالريح فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب
يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له وفي لا يرغبوا
يجوز النصب والجزم ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان من النهي عن التخلف ووجوب المتابعة
بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ شئ من العطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة في سبيل الله
ولا يطئون لا يدوسون موطيا مكانا يغيظ الكفار يغيضهم وطيه ولا ينالون من عدو نيلا
كالقتل والاسر والنهب الا كتب لهم به عمل صالح الا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب المتابعة

ان الله لا يضيع اجر المحسنين وهو تعليل للكف وتنبيه على ان الجهاد احسان اما في حق
الكفار فلانه سعي في تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوي المجنون واما في حق المؤمنين
فلانه صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة ولا
كبيرة مثل ما انفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة ولا يقطعون واديا في مسيرهم وهو كل
منعرج ينصب فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض لا كتبهم اثبت لهم ذلك
ليجزيهم الله بذلك احسن ما كانوا يعملون جزاء لاحسن اعمالهم او احسن جزاء اعمالهم وما كان المؤمنون
لينفروا كافة وما استقام لهم ان ينفروا جميعا للغزو واطلب علم كما لا يستقيم لهم ان يثبطوا
جميعا فانه يخل بامر المعائش فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة فهلا نفر من كل جماعة كثيرة
كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة ويتجشموا مشاقها
تحصيلا ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة
ارشاد القوم وانذارهم وتحصيله بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والانذار من فروض
الكفاية وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط في
البلاد لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على ان اخبار الآحاد حجة
لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل قبيلة نفر وا بقربة طائفة الى التفقه لينذروا قرقهما
كي يتذكروا ويحذروا فلولم يعتبر الاخبار بما يتواثر لم يفده ذلك وقد اشبعت القول فيه تقريرا
واعتراضا في كتابي المرصاد وقد قيل الاية معترضة وهو انها لما نزل بالمتخلفين ما نزل سبق المؤمنون
الى النفير وانقطعوا عن التفقه فانفروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون
حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون
الضمير في ليتفقهوا ولينذروا للبواقي في الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو او في رجعوا اللطوائف اي
ولينذر البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين امنوا
قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امر وا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
اولا بانذار عشيرته فان الاقرب حتى بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود حوالي المدينة لقربه
والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة وليجدوا فيكم غلظة
شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح العين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله مع المتقين بالنصرة
والاعانة واذا ما انزلت سورة منهم فمن المنافقين من يقول انكارا واستهزاء ايكم زادته هذه
السورة ايمانا وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا
بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم وهم يستبشرون
بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم واما الذين في قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا
الى رجسهم كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه
اولا يرون يعني المنافقين انهم يفتنون يبتلون باصناف البليات او بالجهاد مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيعاينون ما يظهر عليه من الآيات في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون لا ينتهون
ولا يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يعتبرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم
الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية او غيظا لما في عيونهم هل يراكم من احد اي يقولون
هل يراكم من احد ان قمتم من حضرة الرسول فان لم يرهم احد قاموا والا ان يرهم احد قاموا ثم
انصرفوا عن حضرته لخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن الايمان وهو يحتمل الاخبار
والدعاء بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم او عدم تدبرهم لقد جاءكم رسول من
انفسكم من جنسكم عربي مثلكم وقرئ من انفسكم اي اشرفكم عزيز عليه شديد شاق ما عنتم

وقرا حمزة بالناء صح

عنتكم ولقاءكم الملكروه حريص عليكم اى على ايمانكم وصلاح شانكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم قدم الابلغ منهما وهو الرؤف لان الرافة شدة الرحمة محافظة على الفواصل فان تولوا اعتت الايمان فقل حسبى الله فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا اله الا هو كالدليل عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه ورب العرش العظيم الملك العظيم والجسم الاعظم الذى ينزل منه الاحكام والمقادير وقرى العظيم بالرفع وعن ابى بن كعب رضى الله عنه ان اخر ما نزل هاتان الايتان وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما نزل القران على ابراية اية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا على ومعهما سبعون الف صف من الملايكة والله اعلم

سورة يونس عليه السلام مكية وهى مائة وتسع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

الر فخمها ابن كثير ونافع برواية قالون وحفص وقراء ورش بين اللفظين واما لها الباقون اجراء لالف الراء مجرى المنقلبة من اليه تلك ايات الكتاب الحكيم اشارة الى ما تضمنته السورة او القران من الاى والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانه كلام حكيم او محكم اياته لم ينسخ منه شئ اكان للناس عجبا استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه ان اوحينا وقرى بالرفع على ان الامر بالعكس وعلى ان كان تامة وان اوحينا بدل من عجبا واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم فيوجهون نحو انكارهم واستغرابهم الى رجل منهم من فنائهم وجاهم دون عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يرسل رسولا يرسله للناس الا يتيم ابو طالب وهو فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحى والنبوة هذا وانه عليه الصلاة والسلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا فى المال وخفة الحال اعون شئ فى هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا كما سيوذكر فى سورة الانعام ان انذر الناس ان هى المفسرة او المخففة من الثقيلة فيكون فى موضع مفعول اوحينا وبشر الذين امنوا عمم الانذار اذ قل من احد ليس فيه مما ينبغى ان ينذر منه وخصص البشارة اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به ان لهم بان لهم قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق بها كما علم سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها والتنبيه على انهم انما ينالونها بصدق القول والنية قال الكافرون ان هذا يعنون الكتاب او ما جاء به الرسول لساحر مبين وقرا ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول وفيه اعتراف بانهم صادقون فى امر الرسول امور خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة وقرى ما هذا الا سحر مبين ان ربكم الله الذى خلق السموت والارض التى هى اصول الممكنات فى ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر يقدر امر الكاينات على ما اقتضته حكمته وسبقت كلمته وقرى بتحريك اسبابها وتبين لها منه والتدبير النظر فى ادبار الامور ليجئ محمودة العاقبة ما من شفيع الا من بعد اذنه تقرير لعظمته وعزة جلاله ورد على من زعم ان الهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات للشفاعة من اذن له ذلكم الله اى الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية ربكم لا غيره لا يشارك احدا فى شئ من ذلك فاعبدوه وحدوه بالعبادة افلا تذكرون تتفكرون ادنى تفكر فينبهكم على ان المستحق للربوبية والعبادة لا ما يعبدونه اليه مرجعكم جميعا بالموت او بالنشور لا الى غيره فاستشهدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله حقا مصدر اخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله انه يبدؤ الخلق ثم يعيده بعد بدئه واهلاكه ليجزى الذين امنوا وعملوا الصلحات بالقسط اى بعدله

او بعدالتهم وقيامهم على العدل في امورهم وباياتهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو
الاوجه لمقابلة قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان مقتضاه
ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم
العقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض
وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكانه
داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وسوء افعالهم والاية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان
المقصود من الابداء والاعادة مجازاة الله المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لا محالة ويؤيده
قراءة من قرأ انه يبدؤ الخلق بالفتح اي لانه ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا على وعد الله
او بما نصب حقا هو الذي جعل الشمس ضياء اي ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط
وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير ضئاء بهمزتين في كل القرآن على القلب بتقديم
اللام على العين والقمر نورا اي ذا نور وسمي نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما
بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه بذلك على انه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر
نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها وقدره منازل الضمير لكل واحد او قدر سير
كل واحد منهما منازل او قدره ذا منازل او للقمر تخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة
منازله ولمناطة احكام الشرع ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب حساب
الاوقات من الاشهر والايام في معاملاتكم وتصرفاتكم ما خلق الله ذلك الا بالحق الا ملتبسا
بالحكمة مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا نفصل الايات لقوم يعلمون فانهم
المنتفعون بالتامل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص بالياء ان في اختلاف الليل والنهار
وما خلق الله في السموات والارض من انواع الكائنات لايات على وجود الصانع ووحدته
وكمال علمه وقدرته لقوم يتقون العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر ان الذين لا يرجون
لقاءنا لا يتوقعونه لانكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها ورضوا بالحيوة الدنيا
من الاخرة لغفلتهم عنها واطمانوا بها وسكنوا اليها مقصرين همهم على لذايذها وزخارفها
او سكنوا فيها سكون من لا يرجو عنها والذين هم عن اياتنا غافلون لا يتفكرون لانهما لهم
فيما يضادها والعطف مالتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن
الايات رأسا والانهماك في الشهوات بحيث لا تخطر الاخرة ببالهم اصلا واما التغاير الفريقين
والمراد بالاولين من انكر البعثة وبالاخرين من الهاهم حب العاجل عن
التامل في الاجل والاعداد له اولئك ماواهم النار بما كانوا يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا
عليه من المعاصي ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم بسبب ايمانهم
الى مسلوك سبيل يؤدي الى الجنة وادراك الحقايق كما قال عليه الصلاة والسلام من عمل
بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم او الى ما يريدونه في الجنة ومفهوم الترتيب وان دل على ان سبب
الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية
وان العمل الصالح كالتتمة والرديف له تجري من تحتهم الانهار استيناف او خبر ثان
او حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير وقوله في جنات النعيم خبر او حال اخرى منه
او من الانهار او متعلق بتجري او يهديهم دعواهم فيها اي دعاؤهم سبحانك اللهم انا نسبحك
تسبيحا وتحيتهم ما يحيي بعضهم بعضا او تحية الملايكة اياهم فيها سلام وآخر دعواهم
وآخر دعائهم ان الحمد لله رب العالمين اي يقولون ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة
وعاينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعوت الجلال ثم حياهم الملايكة بالسلامة عن الافات

والفوز باصناف الكرامات والله تعالى يحمدونه ويثنون عليه بصفات الاكرام وان هي المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد ولو يعجل الله للناس الشر ولو يسرع اليهم استعجالهم بالخير وضع موضع تعجيلهم لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم في الخير حتى كان استعجالهم به تعجيل لهم وبان المراد بالشر استعجالهم كقولهم فامطر علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه لقضي اليهم اجلهم لاماتوا واهلكوا وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضي على البناء للفاعل وهو الله وقرئ لقضينا فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية كانه قيل ولا نعجل فلا نقضي فنذرهم امهالا لهم واستدراجا واذا مس الانسان الضر دعانا لاذ الله مختصا فيه بجنبه ملقيا لجنبه اي مضطجعا او قاعدا او قائما وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الاحوال او لاصناف المضار فلما كشفنا عنه ضره مر مضيا على طريقته واستمر على كفره او مر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه كان لم يدعنا كانه لم يدعنا لخفف وخذف ضمير الشان كما قال ، ونحر مشرف اللون ، كان ثدياه حقان ، الى ضر مسه الى كشف ضره كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الانهماك في الشهوات والاعراض عن العبادات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم يا اهل مكة لما ظلموا حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغي وجاءتهم رسلهم بالبينات بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد وعطف على ظلموا وما كانوا ليؤمنوا وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم واللام لتاكيد النفي كذلك مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم الرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فائدة في امهالهم نجزي القوم المجرمين نجزي كل مجرم او نجزيكم فوضع المظهر موضع المضمر للدلالة على كمال جرمهم وانها اعلام فيه ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم استخلفناكم فيها بعد القرون التي اهلكناها استخلاف من يختبر لننظر كيف تعملون اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم على مقتضى اعمالكم وكيف معمول لتعملون فان معنى الاستفهام يجب ان يعمل فيه ما قبله وفائدة الدلالة على ان المعتبر جهات الافعال وكيفياتها لا هي من حيث ذواتها ولذلك يحبس الفعل تارة ويقبح اخرى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ايتى المشركين ايت بقرآن غير هذا بكتاب اخر تقرأه ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت او ما نكرهه من معايب آلهتنا او بدله بان تجعل مكان الاية المشتملة على ذلك اية اخرى ولعلهم سألوا ذلك كما سيعنفهم الى ذلك فيلزمونه قل ما يكون لي ما يصح ان ابدله من تلقاء نفسي قبلي وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقرآن اخر ان اتبع الا ما يوحى الي تعليل لما يكون فان المتبع لغير في امر لم يستبد بالتصرف فيه بنقض بوجه وجواب النقض بنسخ بعض الايات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القرآن كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل في الجواب وسماه عصيانا فقال اني اخاف ان عصيت ربي اي بالتبديل عذاب يوم عظيم وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به على لساني وعن ابن كثير في رواية قنبل والبزي مع خلف وعنه ولا ادراكم به بلام التاكيد اي لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا اعلمكم به على لسان غيري وقرئ ولا ادراكم ولا ادرايكم بالالف فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة او على انه من الدرء بمعنى الدفع اي ولا جعلنكم بتلاوته خصما تدرونني بالجدال والمعنى ان الامر بمشيئة الله لا بمشيئتي حتى اجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله

فقد لبثت فيكم عمرا مقدارا اربعين سنة من قبله من قبل القرآن ولا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة
الى ان القرآن معجز خارق للعادة فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما
ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريظا ولا خطبة ثم قراء عليهم كتابا بذت فصاحته كل منطبق وعلا
كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علم الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين واحاد
الاخرين على ما هي عليه علم انه معلم به من الله افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم بالتدبر
والتفكر لتعلموا انه ليس الا من الله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بتعاد مما اضافوه اليه
كنايته او تظليم للمشركين بافترائهم على الله في قولهم انه له شريك وذو ولد او كذب بايا ته
فكفر بها انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم لانه جماد
لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغي ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى تعود عبادته بجلب
نفع او دفع ضر ويقولون هؤلاء الاوثان شفعاؤنا عند الله يشفع لنا فيما يهمنا من امور
الدنيا في الاخرة ان يكون بعث فكانهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة
الموجد الضار النافع الى عبادة ما يعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم تدريما يشفع لهم
عنده قل اتنبئون الله اتخبرونه بما لا يعلم وهو ان له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم او هؤلاء
شفعاء عنده وما لا يعلم العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق في السموات ولا في الارض
حال من العايد المحذوف مؤكدة للنفي منبهة على ان ما يعبدون من دون الله اتما سماوي
او ارضي ولا شيء من الموجودات فيهما الا وهو حادث مقهور تحت ملكوته لا يليق ان يشرك به سبحانه
وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن الشركاء الذين يشركونهم به وقراء حمزة والكسائي
هنا وفي الموضعين في اول النحل والروم بالتاء وما كان الناس الا امة واحدة موجودين على
الفطرة او متفقين على الحق وذلك في عهد ادم عليه الصلاة والسلام الى ان قتل قابيل هابيل
او بعد الطوفان او على الضلال في فترة واحدة فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل او ببعثة الرسل
فتبعهم طايفة واصرت اخرى ولولا كلمة سبقت من ربك بتاخير الحكم بينهم والعذاب الفاصل
بينهم الى يوم الفصل والجزاء لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون باهلاك المبطل وانقاذ المحق
ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه اي من الايات التي اقترحوها فقل انما الغيب لله هو المختص
بعلمه فلعله يعلم في انزال الايات المقترحة من مفاسد تصرف عن انزالها فانتظروا النزول
ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم بجحودكم ما انزل عليه من الايات العظام
واقتراحكم غيره واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مسهم كقحط ومرض
اذا لهم مكر في اياتنا بالطعن فيها والاحتيال لدفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى
كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يقدحون في ايات الله ويكيدون رسوله قل الله اسرع
مكرا منكم قدر عقابا على مكركم قبل ان تدبروا كيدكم واضاف المكر الى سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجاة
الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله اما الاستدراج واما الجزاء على
الكفر ان رسلنا يكتبون ما تمكرون تحقيق للانتقام وتنبيه على ان ما تدبروا في اخفائه
لم يخف على الحفظة فضلا ان يخفى على الله وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله هو الذي
يسيركم يحملكم على السير ويمكنكم منه وقراء ابن عامر ينشركم بالنون والشين من النشر في البر
والبحر حتى اذا كنتم في الفلك في السفن وجرين بهم بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة
للمبالغة فانه تذكر لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا
بها بتلك الريح جاءتها جواب اذا والضمير للفلك او للريح الطيبة او تلقتها ريح عاصف ذات
عصف شديدة الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان يجيء الموج منه وظنوا انهم احيط بهم

اهلكوا او سدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط بهم العدو دعوا الله مخلصين له الدين
من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال العارض من سورة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل الاشتمال
لان دعاءهم من لوازم ظنهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول او
مفعول دعوا لانه من جملة القول فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض فاجؤا
الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه وهو اخبار عن تخريب المسلمين
ديار الكفرة واحراق زروعهم وقطع اشجارهم فانها افساد بحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم
فانه وبال عليكم او اثمه على امثالكم او ابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا منفعة الحيوة الدنيا
لا تبقى ويبقى عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر محذوف لتقديره ذلك
متاع الحيوة الدنيا وعلى انفسكم خبر متاع بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد اى يتمتعون
متاع الحيوة الدنيا او مفعول البغى لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوفا لتقدير
بغيكم متاع الحيوة الدنيا او متاع الحيوة الدنيا محذور او ضلال او مفعول فعل دل عليه البغى وعلى
انفسكم خبر ثم الينا مرجعكم فى القيمة فننبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا
حالها العجيبة فى سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه من
السماء فاختلط به نبات الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما يأكل الناس
والانعام من الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها تزينت باصناف
النبات واشكالها والوانها المختلفة كمروس اخذت من الوان الثياب فتزينت بها وازينت
اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى
صارت ذات زينة وازدانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من التصرف فى
حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا ضرب زرعها بما يجتاحه اى ما يستأصله من الافات
ليلا او نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما حصد من اصله كان لم تغن زرعها
اى لم يبت والمضاف محذوف فى الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل بالامس فيما قبيله
وهو مثل فى الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات ونضارته
حطاما بعد ما كان غضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح
لا الما وان وليس فى حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون
فانهم المنتفعون به والله يدعو الى دار السلام دار السلامة من النقص والافة او دار الله وتخصيص
هذا الاسم للتنبيه على ذلك او دار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها او لمن اراد الجنة ويهدى
من يشاء بالتوفيق الى صراط مستقيم هو طريقها وذلك الاسلام والتذرع بلباس التقوى
وفى تعميم الدعوة وتخصيص الهداية دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة
لم يرد الله رشده للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما ينال على المثوبة تفضلا
كقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف
والكثير وقيل الزيادة مغفرة الله ورضوانه وقيل الحسنى الجنة والزيادة ما لا تقاس ولا يرهق
وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد وذلة هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار
ولا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون
لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمهم بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيات جزاء سيئة
بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز فى الدار زيد والحجرة عمرو والذين
مبتدأ والخبر جزاء على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيات جزاء سيئة بمثلها اى ان يجازى سيئة
بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة هى التفضل او التضعيف او كانما

اغشيت

اغشيت واولئك اصحاب النار وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتدا خبره محذوف او فجزاء سيئة
بمثلها واقع او بمثلها على زيادة الباء او تقدير مقدر بمثلها وترهقهم ذلة وقرئ بالياء مالهم
من الله من عاصم ما من احد يعصمهم من سخط الله او من جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين
كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل
والعامل فيه اغشيت لانه العامل في قطعا وهو موصوف الجار والمجرور والعامل في الموصوف
عامل في الصفة او معنى الليل في من الليل وقراءة ابن كثير والكسائي وبعقوب قطعا بالسكون
وعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له اوحالا منه اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الاية في الكفار لاشتمال السيئات على الشرك والكفر ولان الذين
احسنوا مثناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه ويوم نحشرهم جميعا
يعني الفريقين ثم نقول للذين كفروا مكانكم الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تاكيد
للضمير المنتقل اليه من عامله وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه فزيلنا بينهم
ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون مجاز
عن براءة ما عبدوه من عبادتهم فانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم لانها الامرة فيها بالاشراك لا ما
اشركوا به وقيل ينطق الله الاصنام فيبشافههم بذلك مكان الشفاعة التي توقعوا منها وقيل
المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العالم بكنه
الحال ان كنا عن عبادتكم لغافلين ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة هنالك في ذلك
المقام تبلوا كل نفس ما اسلفت تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره وقراءة حمزة والكسائي
تتلوا من التلاوة اي تقرا ذكر ما قدمت ومن التلو اي تتبع عمله فيقوده الى الجنة او الى النار وقرئ
نبلوا بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعنى نختبرها اي نفعل بها فعل المختبر لحالها المتعرف
لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء اي العذاب كل
نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون ما منصوبا بنزع الخافض ورددوا الى الله مولاهم الحق
اياهم بما اسلفوا او المصدر
الى جزائه
مولاهم الحق ربهم ومتولي امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح والمصدر المؤكد وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون من انهم لهتهم تشفع
لهم وما كانوا يدعون الها هة قل من يرزقكم من السماء والارض اي منهما جميعا فان الارزاق
تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحدة منهما توسعة عليكم وقيل من بيان من على حذف
المضاف اي من اهل السماء والارض ام من يملك السمع والابصار اي من يستطيع خلقها وتسويتها
او من يحفظها من الافات مع كثرتها وسرعة تقلبها من اذى شيء ومن يخرج الحي من الميت ويخرج
الميت من الحي ومن يحيي ويميت او من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه ومن يدبر الامر
ومن يلي تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص فسيقولون الله اذ لا يقدرون على المكابرة
والعناد في ذلك لفرط وضوحه فقل افلا تتقون انفسكم عقابه باشراكم اياه ما لا يشاركه
في شيء من ذلك فذلكم الله ربكم الحق اي المتولي لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت
ربوبيته لانه الذي انشاكم وحياكم ورزقكم ودبر امركم فماذا بعد الحق الا الضلال
استفهام انكاري ليس بعده للحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذي هو عبادة الله وقع
في الضلالة فانى تصرفون عن الحق الى الضلال كذلك حقت كلمة ربك اي كما حقت الربوبية
او ان الحق بعد الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمه وقرأ نافع وابن عامر
كلمات هنا وفي آخر السورة وفي غافر الذين على الذين فسقوا تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد
الاستصلاح انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب

قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده جعل الاعادة كالابداء في الالزام بها لظهور برهانها
وان لم يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول بان يتولى جوابهم في الجواب قل الله يبدأ الخلق ثم
يعيده لانه لا جاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها فاني تؤفكون تصرفون عن قصد السبيل قل هل
من شركائكم من يهدي للحق الحق بفتح الحاء وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر وهدى
كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها له
يتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدى بها ما اسند الى اللام الله قل الله يهدي للحق
افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع ام من لا يهدي الا ان يهدى ام الذي لا يهتدي
الا ان يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى ولا يهدي غيره الا ان يهديه الله وهذا
حال اشرف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقراء ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدي
بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدي فادغم
وفتحت الهاء بحركة التاء وكسرت لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر يهدي باتباع الياء الهاء
وقراء ابو بكر وعمرو بالادغام المجرد ولم يبالوا بالتقاء الساكنين لان المدغم في حكم المتحرك
وعن نافع برواية قالون مثله وقرئ الا ان يهدى على المبالغة فما لكم كيف تحكمون بما يقضي
صريح العقل ببطلانه وما يتبع اكثرهم فيما يعتقدونه الا ظنا مستندين الى خيالات فارغة
واقيسة فاسدة كقياس الغايب على الشاهد والخالق على المخلوق لادنى مشاركة موهومة
والمراد بالاكثر الجميع او من يتنمى منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف ان الظن
لا يغني من الحق من العلم والاعتقاد الحق شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق
حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم في الاصول واجب وان الاكتفاء بالتقليد والظن غير جايز
ان الله عليم بما يفعلون وعيد على اتباعهم الظن واعراضهم عن البرهان وما كان هذا القرآن
ان يفترى افتراء من دون الله من الخلق ولكن تصديق الذي بين يديه مطابق لما تقدمه من
الكتب الالهية المشهود على صدقها ولا يكون كذبا وكيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد
على صحتها ونصبه بانه خبر كان مقدرا او علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق
الذي وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق وتفصيل الكتاب وتفصيل ما حقق واثبت
من العقايد والشرايع لا ريب فيه منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك
ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول في المعنى وان يكون استينافا من رب العالمين
خبرا اخر بتقدير كاينا من رب العالمين او متعلق بتصديق او بتفصيل ولا ريب فيه اعتراض ويفعل
المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا من الكتاب او الضمير فيه ومساق الاية بعد المنع عن اتباع
الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه ام يقولون بل يقولون افتراه محمد ومعنى الهمزة
فيه الانكار قل فاتوا بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الاقتراء فانكم
مثلي في العربية والفصاحة وشدة التمرن في اللفظ والعبارة وادعوا من استطعتم ومن ذلك
فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به من دون الله سوى الله تعالى فانه وحده قادر على
ذلك ان كنتم صادقين انه اختلقه بل كذبوا بل ساغوا الى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه بالقرآن
اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا ايانه ويحيطوا بالعلم بشانه وبما جهلوه ولم يحيطوا به علما
من ذكر البعث والجزاء وسائر ما يخالف دينهم ولما يأتهم تاويله ولم يقفوا بعد على تاويله ولم
تبلغ اذهانهم معانيه او لما يأتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق
ام كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجؤا تكذيبه قبل ان يتدبروا
نظمه ويتخصصوا معناه ومعنى التوقع في لما انه قد ظهر لهم بالاخرة لجاجة لما كرر عليهم التحدي

قرائن فواتحهم فى معارضته فتضاءلت دونها وما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره
مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا ذلك كذب الذين من قبلهم انبياءهم فانظر كيف
كان عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم ومن المكذبين من يؤمن
به من يصدق به فى نفسه ويعلم انه حق لكن يعاند او من سيؤمن به ويتوب عن كفره ومنهم
من لا يؤمن به فى نفسه لفرط عناد وقلة تدبر او فيما سيستقبل بل يموت على الكفر وربك
اعلم بالمفسدين والمعاندين او المصرين وان كذبوك وان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة
فقل لى عملى ولكم عملكم فتبرأ منهم فقد اعذرت والمعنى لجزاء عملى ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا
انتم بريئون مما اعمل وانا برئ مما تعملون لا تؤاخذون بعملى ولا اواخذ بعملكم ولما فيه من ايهام
الاعراض عنهم وتخليته سبيلهم قيل انه منسوخ بآية السيف ومنهم من يستمعون اليك اذ اقرات القرآن
وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون كالاصم الذى لا يسمع اصلا افانت تسمع الصم تقدر على اسماعهم ولو كانوا لا يعقلون
ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك
لا يوصف به البهائم وهو لا ياتى الا باستعمال العقل السليم فى تدبره وعقولهم لما كانت ماوقة بمعارضة
الوهم ومتابعة الالف والتقليد تقاصرت افهامهم الحكم والمعانى الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ
عليهم فيما ينتفع به البهائم من كلام الناعق ومنهم من ينظر اليك يعاينون دلايل نبوتك ولكن
لا يصدقون افانت تهدى العمى تقدر على هدايتهم ولو كانوا لا يبصرون ولو انضم الى عدم
البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمى فى ذلك البصيرة
ولذلك يحدس الاعمى المستبصر وينفطن لما لا يدركه البصير الاحمق والآية كالتعليل للامرين بالتبرى
والاعراض عنهم ان الله لا يظلم الناس شيئا بسبب حواسهم وعقولهم ولكن الناس انفسهم يظلمون
بافسادها وتعويد مناقعها عليها وفيه دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس مسلوب الاختيار
بالكلية كما زعمت الجبرية ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعنى انا نحيق بهم يوم القيمة من العذاب عدل
من الله لا يظلم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه وقرأ حمزة والكسائى بالتخفيف ورفع الناس ويوم
نحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا او القبور لهول ما يرون والجملة
التشبيهية فى موقع الحال اى نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او صفة ليوم والعايد محذوف
تقديره كان لم يلبثوا قبله او المصدر محذوف اى حشرا كان لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف
بعضهم بعضا كان لم يتعارفوا الا قليلا وهذا اول ما ينشرون ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم
وهو حال اخرى مقدرة او بيان لقوله كان لم يلبثوا او متعلق الظرف يتعارفون يوم نحشرهم قد خسر
الذين كذبوا بلقاء الله للشهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير فى
يتعارفون على ارادة القول وما كانوا مهتدين لطرق استعمال ما منحوا من المعاون فى تحصيل
المعارف فاكتسبوا بها جهالات ادت الى الردى والعذاب الدايم وامانرينك بنصرتك بعض
الذى نعدهم من العذاب فى حيوتك كما راه يوم بدر او نتوفينك قبل ان نريك فالينا مرجعهم
فنريكه فى الاخرة وهو جواب لنتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ثم الله شهيد على
ما يفعلون مجاز عليه ذكر الشهادة وارد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم او مورد
شهادته على افعالهم يوم القيمة ولكل امة من الامم الماضية رسول يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق
فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضى بينهم بين الرسول ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجى
الرسول واهلك المكذبون وهم لا يظلمون وقيل معناه لكل امة يوم القيمة رسول ينسب اليه
فاذا جاء رسولهم الموقول ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضى بينهم بانجاء المومن وعقاب الكافر
لقوله وجى بالنبيين والشهداء وقضى بينهم ويقولون متى هذا الوعد استبعاد له واستهزاء

الذى لا يسمع صح

بهم صح

به ان كنتم صادقين خطاب منهم للنبي والمؤمنين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف املك لكم
فاستعجل في جلب العذاب اليكم الا ما شاء الله ان املكه او لكن ما شاء الله من ذلك كائن لكل امة
اجل مضروب لهلاكهم اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون لا يتاخرون ولا
يتقدمون قل ارايتم ان اتاكم عذابه الذي تستعجلون
به بياتا وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ماذا يستعجل منه
المجرمون اي شيء من العذاب تستعجلونه وكلمة مكروه لا يلائم الاستعجال وهو متعلق بارايتم لانه بمعنى
اخبروني والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة على انهم مجرمون ينبغي ان يفر عوا من مجيء الوعيد لا ان
يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال تعرفوا خطاءه ويجوز ان يكون الجواب
ماذا الخ وقوله اذا ما اتيتك ماذا تعطاني وتكون الجملة متعلقة بارايتم او قوله اثم اذا ما وقع امنتم به
بمعنى اذا اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان وماذا يستعجل اعتراض
ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار التاخير الان على ارادة القول اي قيل لهم اذا امنوا بعد
وقوع العذاب الان امنتم به وعن نافع الان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقد كنتم به تستعجلون
تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر ذوقوا عذاب الخلد الموئم على الدوام هل
تجزون الا بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي ويستنبئونك ويستخبرونك احق هو اي ما تقول
من الوعد او ادعاء النبوة تقول بحذام ياطل تقول له ذلك حيي بن اخطب لما قدم مكة والاظهر ان الاستفهام
فيه على اصله وقيل لقوله ويستنبئونك وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ الحق هو فان فيه تعريض
بانه باطل واحق مبتدا والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او خبر مقدم والجملة في موقع الحال النصب
يستنبئونك قل اي وربي انه لحق ان العذاب لكائن او ما ادعيته لثابت وقيل كلا الضميرين
للقران واي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواو في التصديق فيقال اي والله ولا
يقال اي وحده وما انتم بمعجزين فائتين العذاب ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك او العدوان
على الغير ما في الارض من خزائنها واموالها لافتدت به لجملته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه
بمعنى فداه واسروا الندامة لما راوا العذاب لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحسبوا من فظاعة الامر
وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها او لانه يقال بيّر
الشيء لخلاصته من حيث انها تخفى ويظن بها وقيل اظهروها من قولهم اسر الشيء واسره اذا اظهره وقضي
بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ليس تكريرا لان الاول قضاء بين الانبياء ومكذبيهم والثاني مجازاة
للمشركين على الشرك والحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير اما تناولهم لدلالة الظلم عليهم الا ان
لله ما في السموات والارض تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب الا ان وعد الله حق ما وعده
من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه ولكن اكثرهم لا يعلمون لقصور عقلهم الاظهر من الحيوة
الدنيا هو يحيي ويميت في الدنيا فهو يقدر عليها في العقبى لان القادر لذاته لا تزول قدرته
والمانع المقابلة بالذات الحيوة والموت قابلة لهما ابدا واليه ترجعون بالموت او بالنشور يا ايها
الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين اي قد جاءكم
كتاب جامع للحكمة العلمية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها المرغبة في المحاسن والزاجرة عن المقابح
والحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين
ورحمة للمؤمنين حيث ترتل عليهم فتحولهم من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم
من طبقات النيران الى بمصاعد من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته
بانزال القران والباء متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك فليفرحوا فان اسم الاشارة بمنزلة
الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليصنعوا او فليفرحوا وانما ذكر ذلك لتكرير التاكيد ولبيان

لانهم لا يعلمون

بعد

والبيان بعد الاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح او بفعل دل عليه قد جاء تكرر ذلك
اشارة الى مصدره اى بمجئ الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتاكيد
كقوله ٭ واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي ٭ وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض
وقد روى مرفوعا وبؤيده انه قرئ مرفوعا فافرحوا هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا فانها
الى الزوال وهو ضمير ذلك وقرأ ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير
مما تجمعون ايها المخاطبون قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق جعل الرزق منزلا لانه مقدر
في السماء يحصل باسباب منها وما في موضع النصب بانزل او بارايتم فانه بمعنى اخبروني ولكم
دل على ان المراد منه ما حل ولذلك وبخ على التبعيض فقال فجعلتم منه حراما وحلالا مثل
هذه انعام وحرث حجر ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا قل الله اذن لكم في التحريم
والتحليل فتقولون ذلك بحكمه ام على الله تفترون في نسبة ذلك اليه ويجوز ان يكون المنفصلة متصلة
بارايتم وقد تكرر للتاكيد وان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقريرهم
لافترائهم على الله وما ظن الذين يفترون على الله الكذب اى شئ ظنهم يوم القيمة ايحسبون
ان لا يجازوا عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضي لانه كائن وفي ابهام الوعيد
تهديد عظيم ان الله لذو فضل على الناس من حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل
وانزال الكتب ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة وما تكون في شان ولا تكون في امر واصله الهمزة
من شانت شأنه اذا قصدت قصده والضمير في وما تتلوا منه للشان لان تلاوة القرآن معظم شان
الرسول اولان القراءة تكون لشان فيكون التقدير من اجله او مفعول تتلوا من قرآن على ان من
تبعيضية او مزيدة لتاكيد النفي والقرآن واضماره قبل الذكر تفخيم له والله ولا تعملون من عمل
تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو اسهم ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث
عم ما يتناول الامر الجليل والحقير الا كنا عليكم شهودا رقبا مطلعين عليه اذ تفيضون فيه
تخوضون فيه وتندفعون وما يعزب عن ربك ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرأ الكسائي
بكسر الزاي هنا وفي سبا من مثقال ذرة موازن نملة صغيرة او هباء في الارض ولا في السماء
اى في الوجود والامكان فان العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقديم
الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود منه البرهان على احاطة علمه بها ولا اصغر
من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية للجنس واصغر اسمها
وفي كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال
ذرة وجعل الفتح بعد الكسر لامتناع الصرف او محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد
بالكتاب اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم
من لحوق مكروه ولا هم يحزنون بفوت مامول والآية تجمل فسر قوله الذين امنوا وكانوا
يتقون وقيل الذين امنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم لربهم لهم البشرى في الحياة الدنيا وهو
ما بشر به المتقين في كتابه العزيز على لسان نبيه وما يريهم في الرؤيا الصالحة وما ينسخ
لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع وفي الآخرة تتلقى الملائكة اياهم مسلمين
مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليهم اياهم ومحل الذين امنوا النصب او الرفع على المدح
او على وصف الاولياء او على الابتداء وخبره لهم البشرى لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله
ولا اخلاف لمواعيده ذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة
والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شانه وليس من شرطه ان يقع بعد كلام متصل
بما قبله ولا يحزنك قولهم شركهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ نافع يحزنك من احزنه

وكلاهما معنى ان العزة لله جميعا استيناف بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم لان الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم ويتصرم عليهم هو السميع لاقوالهم العليم بعزماتهم فيكافئهم عليها الا ان لله من في السموت ومن في الارض من الملئكة والثقلين واذ كان هؤلاء الذين هم اشرف الممكنات عبيد لا يصلح احد منهم للربوبية فما لا يعقل منها احق ان لا يكون له ندا وشريك فهو كالدليل على قوله وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء اى شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز ان يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبعون محذوف دل عليه ان يتبعون الا الظن اى ما يتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم انهم شركاء ويجوز ان يكون ما استفهامية منصوبة بيتبع وموصولة معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى واى شئ يتبعون الذين تدعونهم شركاء من الملئكة والنبيين اى انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه لقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم فيكون الزاما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشاء رايهم وان هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبون الى الله او يخرصون ويقدرون انهم شركاء تقديرا باطلا هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته المتوحد بها ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد الذى هو السبب ان فى ذلك لايات لقوم يسمعون سماع تدبر واعتبار قالوا اتخذ الله ولدا ابتداء اى تبناه سبحانه تنزيه له عن التبنى فانه لا يصح الا ممن يتصور له الولد وتعجب من كلمهم الخما هو الغنى علة كتنزيهه فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة له ما فى السموت وما فى الارض تقرير لغناه ان عندكم من سلطان بهذا نفى لما عارض ما اقامه من البرهان مبالغة فى تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان او نعت له او لعندكم كانه قيل ان عندكم فى هذا سلطان اتقولون على الله ما لا تعلمون توبيخ وتقريع على اختلافهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وان العقايد لا بد لها من قاطع وان التقليد فيها متابعة قل ان الذين يفترون على الله الكذب باتخاذ الولد واضافة الشريك لا يفلحون لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة متاع فى الدنيا خبر مبتداء محذوف اى فترائهم متاع فى الدنيا يتمتعون به رياستهم فى الكفر او حياتهم او تقلبهم متاع او مبتداء خبره محذوف اى لهم متع فى الدنيا ثم الينا مرجعهم بالموت فنيلقون الشقاء المؤبد ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم واتل عليهم نبا نوح خبره مع قومه اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم وشق مقامى بفتحى كقولك فعلت ذلك المكان فلان او كونى واقامتى بينكم مدة مديدة او قيامى على الوعظ وتذكيرى ايا كم بايات الله فعلى الله توكلت وثقت به فاجمعوا فاعزموا عليه امركم وشركاءكم اى مع شركائكم وتؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير توكيد للفصل وقيل انه معطوف على امركم بحذف المضاف اى وامر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم بالعزم او الاجتماع على قصده والسعى فى اهلاكه على اى وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاتهم ثم لا يكن امركم فى قصدى عليكم غمة مستورا وجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه اذا ستره او ثم لا يكن حالكم علىّ غما اذا اهلكتمونى وتخلصتم عن قتل مقامى وتذكيرى ثم اقضوا الىّ ذلك الامر الذى تريدون بى وقرئ ثم افضوا بالفاء اى انتهوا الىّ بشركم او ابرزوا الىّ من افضى اذا خرج للفضاء ولا تنظرون ولا تمهلون فان توليتم اعرضتم عن تذكيرى فما سالتكم من اجر يوجب توليكم لفقده عليكم

وانهاكم اياى لاجله او نفوتنى لتوليكم ان اجرى ما اتوبى على الدعوة والتذكير الا على الله لا تعلق
لكم يتيسير به امنتم او توليتم وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا
ارجو اغيره فكذبوه فاصر وا على تكذيبه بعد ما الزمهم الحجة وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم
وتمردهم لا لجرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه من الغرق ومن معه فى الفلك وكانوا ثمانين
وجعلناهم خلائف من الهالكين به واغرقنا الذين كذبوا بايتنا بالطوفان فانظر كيف
كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول وتسلية له ثم بعثنا
ارسلنا من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم كل رسول الى قومه فجاؤهم بالبينات المعجزات
الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا لما استقام لهم ان يؤمنوا لسدة تمكنهم فى الكفر
وخذلان الله اياهم بما كذبوا به من قبل اى بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة
الرسل كذلك نطبع على قلوب المعتدين نجعل لانهم لانهماكهم فى الضلال واتباع المألوف
وفى مثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله وكسب العبد وقد مر تحقيق ذلك ثم
بعثنا من بعدهم من بعد هؤلاء الرسل موسى وهرون الى فرعون وملائه بايتنا بالايات
التسع فاستكبروا عن اتباعها وكانوا قوما مجرمين معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة
ربهم واجترءوا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوا بتظاهر المعجزات القاهرة المزيحة
للشك قالوا من فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين ظاهر انه سحر وفايق فى فنه واضح فيما بين
اخوانه قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر فحذف محكى القول للدلالة ما قبله عليه
ولا يجوز ان يكون اسحر هذا لانهم بنوا القول بل هو استيناف باذكار ما قالوه اللهم الا ان
يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكى مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى تقولون للحق تتبعونه
من قولهم فلان يقول بالحق المقالة فعلى هذا لا حاجة الى تقدير شئ ولا يفلح الساحرون
من تمام كلام موسى والدلالة على ان ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان
العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر ومن تمام قولهم ان جعل اسحر هذا محكيا كانهم قالوا احقا جئتنا بالسحر
تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عما
وجدنا عليه اباءنا من عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء فى الارض الملك فانها سمى بها لاتصاف
الملوك بالكبرياء والتكبر على الناس باستتباعهم وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين بما جئتنا
به وقال فرعون ايتونى بكل ساحر وقرأ حمزة والكسائى بكل سحار عليم حاذق فيه فلما جاء السحرة
قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر اى الذى جئتم
به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ ابو عمرو السحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء
وجئتم بخبرها والسحر بدل منها وخبر مبتدأ محذوف تقديره ءالذى جئتم به هو السحر او مبتدأ خبره
محذوف اى السحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده تقديره اى شئ اتيتم ان
الله سيبطله سيحقه ويظهر بطلانه ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يقويه
وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه
وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك فما امن لموسى فى مبدأ امره الا ذرية من قومه الا اولاد
من اولاد قومه بنى اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة من شبانهم وقيل الضمير
لفرعون والذرية طائفة من شبانهم منوا به او مومن من ال فرعون وامرأته اسية وجاريته
وزوجته وماشطته على خوف من فرعون وملائهم اى مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على
ما هو المعتاد فى جمع العظماء او على ان المراد بفرعون له كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او القوم
ان يفتنهم ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه او مفعول له خوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف

كان بسببه وان فرعون لعال في الارض لغالب فيها وانه لمن المسرفين في الكبر والعتو حتى ادعى
الربوبية واسترق اسباط الانبيا وقال موسى لما راى تخويف المومنين به يا قوم ان كنتم امنتم
بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له
وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضى له والمشروط
بالاسلام حصوله فانه لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت فقالوا على
الله توكلنا لانهم كانوا مومنين مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم ربنا لا تجعلنا فتنة موضع
فتنة للقوم الظالمين اى لا تسلطهم علينا فيفتنوا او نجنا برحمتك من القوم الكافرين
من كيدهم وشؤم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعي ينبغي ان يتوكل
اولا ليجاب له دعوته واوحينا الى موسى واخيه ان تبوا ان اتخذا مباءة لقومكما بمصر
بيوتا تسكنون فيها او يرجعون اليها للعبادة واجعلوا انتم وقومكم بيوتكم قبلة مصلى وقيل
مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان موسى يصلي اليها واقيموا الصلاة فيها امروا
بذلك اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر المومنين
بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وانما ثنى الضمير لان النبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه
روس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلاة فيها مما ينبغي ان يفعله كل احد
ثم وحد لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشريعة وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاه
زينة ما تزين به من الناس والمراكب ونحوها واموالا في الحيوة الدنيا وانواعا من المال ربنا ليضلوا
عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم من مباشرة احوالهم انه لا يكون غيرهم كقولك لعن الله ابليس
وقيل اللام للعاقبة واى متعلقة باتيت ويحتمل ان تكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج
وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها سببا في الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا
للاول تاكيدا وتنبيها على المقصود غرض ضلالهم وكفرانهم نعدمه لقوله ربنا اطمس على اموالهم
اهلكها والطمس المحو وقرئ والطمس بالضم واشدد على قلوبهم اى اقسها واطبع عليها حتى لا
تنشرح للايمان فلا يومنوا حتى يروا العذاب الاليم جواب الدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف
على ليضلوا او ما بينهما دعاء معترض قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون لانه كان يومن
فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن ولكن
في وقته روي انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون طريق
الجهلة في الاستعجال او عدم الوثوق والاطمينان بوعد الله وعن ابن عامر ولا تتبعان بالنون الخفيفة
وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعا بتخفيف التاء من تبع ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببني
اسرايل البحر اى جوزناهم في البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوزنا وهو من فعل المرادي
لفاعل كضعف وضاعف فاتبعهم فاداكم يقال تبعته حتى اتبعته فرعون وجنوده بغيا وعدوا
باغين وعادين او للبغي والعدو وقرئ وعدوا حتى اذا ادركه الغرق لحقه قال امنت انه اى بانه
لا اله الا الذي امنت به بنو اسرايل وانا من المسلمين وقراحمزة والكسائي انه بالكسر على
اضمار القول او الاستيناف بدلا او تفسيرا لامنت فتكف عن الايمان او ان القبول وبالغ فيه حين
لا يقبل الا ان اتوه من الاين وقد اسيت من نفسك ولم يبق لك اختيار وقد عصيت قبل ذلك
مدة عمرك وكنت من المفسدين الضالين المضلين عن الايمان فالليوم ننجيك ننعدك مما
وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة من الارض لياتك بنو اسرايل وراءك
يعتبرون بك ننجيك من انجى وقرئ ننجيك بالحاء اى نلقيك بناحية الساحل ببدنك في موضع الحال
اى ببدنك عاريا عن الروح او كاملا سويا او عريانا من غير لباس وبدرعك وكانت له درع من ذهب

يعرف بها وقرئ بابدانك باجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجامه وبدروعك كانه كان مطاهر
بينها لتكون لمن خلفك اية لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمته
ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطرحا
على ممر هم من الساحل لمن ياتي بعدك من القرون اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا
على الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشان وكبرياء الملك مقهور
بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلفك اية كسائر الايات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل
دليل على انه تمم منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة في امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه
وارادته وهذا الوجه ايضا محتمل على المشهور وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون لا يتفكرون
فيها ولا يعتبرون بها ولقد بوانا انزلنا بني اسرائيل مبوا صدق منزلا صالحا مرضيا وهو
الشام ومصر ورزقناهم من الطيبات من اللذايذ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم فما اختلفوا
في امر دينهم الا من بعد ما قرأوا التوراة وعلموا احكامها او في امر محمد عليه الصلاة والسلام الا من
بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه
يختلفون فيميز المحق من المبطل بالانجاء والاهلاك فان كنت في شك مما انزلنا اليك من
القصص على سبيل الفرض والتقدير فاسال الذين يقرؤن الكتاب من قبلك فانه محقق
عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما القينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة
وان القرآن مصدق لما فيها ووصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل اليه او تهييج الرسول
وزيادة تثبيته لا امكان وقوع الشك له لقوله ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لا اشك
ولا اسال وقيل الخطاب للنبي والمراد به امته او لكل من يسمع اي ان كنت ايها السامع في شك مما
انزلناه على لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على ان من خالجه شبهة في الدين ينبغي ان يسارع
الى حلها بالرجوع الى اهل العلم لقد جاءك الحق من ربك واضحا لا مدخل للريبة فيه بالادلة
القاطعة فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ولا تكونن من الذين
كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين ايضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه
كقوله قد تكون ظهيرا للكافرين ان الذين حقت عليهم كلمة ربك بانهم يموتون
في الكفر ويخلدون في العذاب لا يؤمنون اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه ولو جاءتهم
كل اية فان السبب الاصلي لايمانهم وهو تعلق ارادة الله به موجود مفقود حتى يروا العذاب
الاليم وحينئذ لا ينفعهم كما لا ينفع فرعون فلولا كانت قرية امنت فهلا كانت قرية من القرى
التي اهلكناها امنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون فنفعها ايمانها بان يقبله
الله منها ويكشف العذاب عنها الا قوم يونس لكن قوم يونس لما امنوا اول ما راوا امارة العذاب
ولم يؤخروه الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ويجوز ان تكون الجملة في معنى
النفي لتضمن حرف التخصيص معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من القرى اهاليها
كانه قال ما امنت اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده قراءة
الرفع على البدل ومتعناهم الى حين الى اجالهم روي ان يونس عليه الصلاة والسلام بعث الى
نينوى من الموصل فكذبوه وصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلث وقيل الى اربعين فلما دنا
الوعد غامت السماء غيما اسود اذ دخان شديد فهبط حتى غشي مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس
فلم يجدوه فايقنوا بصدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم
ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضهم الى بعض وعلت الاصوات والعجيج
واخلصوا التوبة واظهروا الايمان فتضرعوا الى الله فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة

ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا بحيث لا يشذ منهم احد جميعا مجتمعين
على الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرية في انه تعالى لم يشأ ايمانهم اجمعين وان
من يشاء ايمانه يؤمن لا محالة والتقييد بمشيئة الالجاء خلاف الظاهر اقانت تكره الناس
بمالم يشأ الله منهم حتى يكونوا مؤمنين وترتيب الاكراه على المشيئة بالفاء والتاء حرف
الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على الفعل لافادة الدلالة على ان خلاف المشيئة مستحيل فلا
يمكنه تحصيل الايمان بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روي انه كان حريصا على ايمان
قومه شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله وما كان لنفس ان تؤمن بالله الا باذن
الله الا بارادته واطلاقه وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها فانه الى الله ويجعل الرجس
العذاب او الخذلان فان سببه وقرئ بالزاي وقراء ابوبكر ويجعل بالنون على الذين لا يعقلون
لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحق والايات او لا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع
ويؤيد الاول قوله قل انظروا تفكروا ماذا في السموات والارض من عجائب صنعه ليدلكم على
وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل وما تغني الايات
والنذر عن قوم لا يؤمنون في علمه وحكمه وما نافية او استفهامية في موضع النصب فهل ينظرون
الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم مثل وقايعهم وتزول باس الله بهم اذ لا يستحقون غير من قومهم
ايام العرب لوقايعها قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين لذلك فانظروا اهلاكي اني معكم من المنتظرين
اهلاكم ثم ننجي رسلنا والذين امنوا عطف على محذوف دل عليه المثل ايام الذين خلوا كانه قيل
نهلك الامم ثم ننجي رسلنا ومن امن على حكاية الحال الماضية كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين
كذلك الانجاء او انجاء كذلك ننجي محمدا وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض ونصبه
بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك وقرا حفص والكسائي ننج بتخفيفا قل يا ايها الناس خطاب
لاهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته فلا اعبد الذين تدعون من دون الله ولكن اعبد
الله الذي يتوفاكم فهذا خلاصة ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا
فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهو الذي لا اعبد الذي تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد
خالقكم الذي هو يوجدكم ويتوفاكم وانما خص التوفي بالذكر للتهديد وامرت ان اكون من
المؤمنين يدل عليه العقل ونطق به الوحي وحذف الجار من ان يجوز ان يكون من المطرد
مع ان وان يكون من غيره كقوله ما امرتك الخير فافعل ما امرت به وان اقم وجهك
للدين عطف على ان اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما في الغرض لان المقصود
وصلها بما يتضمن معنى المصدر ليتدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر منها
والطلب والمعنى وامرت بالاستقامة في الدين والاعتداد فيه باداء الفرايض والانتهاء عن القبايح
وفي الصلوة باستقبال القبلة حنيفا حال من الدين او الوجه ولا تكونن من المشركين ولا تدع
من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك بنفسه ان دعوته او خذلته فان فعلت فانك اذا من الظالمين
جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء وان يمسسك الله
بضر وان يصبك به فلا كاشف له برفعه الا هو الا الله وان يردك بخير فلا راد لفضله الذي
اراد ك به ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير
مراد بالذات وان الضر انما مسهم لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على
انه متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن رده يصيب
به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم فتعرضوا رحمته بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية
قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم رسوله او القران ولم يبق لكم علة فمن اهتدى بالايمان

والمتابعة

والمبايعة فانما يهتدي لنفسه لان نفعه لها وقد يضل بالكفر بهما فانما يضل عليها لان وبال الضلال عليها وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكل الى امركم وانما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك بالامتثال والتبليغ واصبر على دعوتهم حتى يحكم الله بالنصر او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطأ في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق يونس وكذب به وبعدد من غرق فرعون والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله وسلم على محمد وآله

سورة هود مكية وهي مائة وثلاث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب مبتدأ وخبر او كتاب خبر مبتدأ محذوف احكمت آياته نظمت نظما محكما لا يعتريه اخلال من جهة اللفظ والمعنى او منعت عن الفساد والنسخ فان المراد آيات السورة وليس فيها منسوخ او احكمت بالحج والدلايل وجعلت حكمية منقول من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على اثبات الحكم النظرية والعملية ثم فصلت بالفوايد من العقايد والاحكام والمواعظ والاخبار او بجعلها سورا او بالانزال نجما نجما او فصل فيها وخلص ما يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت اي فرق بين الحق والباطل واحكمت آياته ثم فصلت على البناء للمتكلم وثم للتفاوت في الحكم او للترامي في الاخبار من لدن حكيم خبير صفة اخرى للكتاب وخبر بعد خبر او صلة لاحكمت او فصلت وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على الحكم اكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره وما خفي الا تعبدوا الا الله لان لا تعبدوا وقيل ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ للاغراء على التوحيد والامر بالتبري عن عبادة الغير كانه قيل ترك عبادة غير الله. بمعنى الزموه او اتركوه تركا انني لكم منه اي من الله نذير وبشير بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد وان استغفروا ربكم عطف على ان لا تعبدوا ثم توبوا اليه ثم توصلوا الى مطلوبكم بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لابد له من الرجوع وقيل استغفروا لما من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز ان يكون ثم للتفاوت ما بين الامرين يمتعكم متاعا حسنا بعيشكم في امن ودعة الى اجل مسمى هو اخر اعماركم المقدرة او لا يهلكم بعذاب الاستيصال والارزاق والآجال وان كانت متعلقة بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة الى كل واحد فلا تتغير ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا والاخرة وهو وعد للموحد لتناسب خبر الدارين وان تولوا وان تتولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير يوم القيمة وقيل يوم السدايد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولى الى الله مرجعكم رجوعكم في ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس وهو على كل شئ قدير فيقدر على تعذيبكم اشد عذاب وكانه تقرير لكبر اليوم الا انهم يثنون صدورهم يثنونها عن الحق ويحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم او يولون ظهورهم وقرئ يثنوني بالتاء والياء من اثنوني وهو بناء المبالغة وتثنوني وتثنوي واصله تثنونني من الثني وهو الكلام الضعيف اراد به ضعف قلوبهم او مطاوعة صدورهم للثني وتثنئن من اثنان بالهمزة كابيض ليستخفوا منه من الله سرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنون عليه قيل انها نزلت في طائفة من المشركين قالوا اذا رخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطويناها صدورنا على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم كيف يعلم وقيل نزلت في المنافقين وفيه نظر لان الاية مكية والنفاق حدث بالمدينة الا حين يستغشون ثيابهم الا حين يأوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم يعلم ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون بافواههم يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه انه عليم بذات الصدور

باسرار ذات الصدور او بالقلوب واحوالها وما من دابة في الارض الا على الله رزقها غذاها
ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ لوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل
فيه ويعلم مستقرها ومستودعها اماكنها في الحيوة والممات او الاصلاب والارحام او مساكنها
من الارض حين وجدت بالفعل وموادعها من المواد والمقار حين كانت بعد ما القوة كل اى
كل واحد من الدوابّ واحوالها في كتاب مبين مذكور في اللوح المحفوظ وكانه اريد بالاية بيان
كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد
ولما سبق من الوعد والوعيد وهو الذي خلق السموت والارض في ستة ايام اى خلقهما وما
بينهما وما بينهما كما مرّ بيانه في الاعراف وانما في جهتي العلو والسفل وجمع السموت دون الارض
لاختلاف العلويّات بالاصل والذات دون السفليّات وكان عرشه على الماء خلقهما ولم يكن حائل
بينهما لانه كان موضوعا على متن الماء واستدل به على امكان الخلاء وان الماء اول حادث بعد
العرش من اجرام هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك ليبلوكم ايكم احسن عملا
متعلق بخلق اى خلق ذلك الخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلى لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك
اسباب وموادّ لوجودكم ومعاشكم وما يحتاج اليه اعمالكم ودلائل واماراتستدلون بها وتستنبطون
منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث ان طريق العلم كالنظر والاستماع
وانما ذكر صيغة التفضيل والاختيار لشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح القبيح
للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض على ارادة الزفي ذلك في مراتب العلم والعمل فان المراد
بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ايكم احسن عقلا واورع
عن محارم الله واسرع في طاعته والمعنى ايكم اكمل علما وعملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد
الموت ليقولنّ الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين اى ما البعث او المقول به او القرآن
المتضمّن لذكره الا كالسحر في الخديعة والبطلان وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر على الاشارة
الى القائل وترى انكم بالفتح على ان تضمين قلت معنى ذكرت او يكون ان بمعنى على اى ولئن
قلت على كم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا بانكاره لعدوه من قبل ما لا حقيقة له مبالغة
في انكاره ولئن اخرنا عنهم العذاب الموعود الى امة معدودة الى جماعة من الاوقات قليلة
ليقولن استهزاء ما يحبسه ما تمنعه من الوقوع الا يوم ياتيهم كيوم بدر ليس مصروفا
عنهم اى ليس العذاب مدفوعا عليهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على
جواز تقديم خبرها عليها وحاق بهم واحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا
ومبالغة في التهديد ما كانوا به يستهزؤن اى العذاب الذي كانوا به يستعجلون فوضع
يستهزؤن موضع يستعجلون فوضع يستهزؤن موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء
ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه
ثم سلبناه تلك النعمة منه انه ليؤس قطوع رجاء من رحمة الله لقلة صبره وعدم ثقته به كفور
مبالغ في كفران ما سلف له من النعمة ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسّته كصحة بعد
سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى ليقولن ذهب السيئات عني
اى المصايب التي ساءتني انه لفرح بطر بالنعم مغتر بها فخور على الناس مشغول عن الشكر
والقيام بحقها وفي لفظ الاذاقة والمسّ تنبيه على ان ما يجده الانسان في الدنيا من النعم والمحن
كالانموذج لما يجده في الاخرة وانه يقع في الكفران والبطر باد نى شيء لان الذوق ادراك الطعم
والمسّ لمبدء الوصول الا الذين صبروا على الضراء ايمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات
شكرا لالائه سابقها ولاحقها اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير اقله الجنة والاستثناء من الانسان

لان المراد

لان المراد به الجنس فاذا كان باللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكافر ليس بذاك جعل الاستثناء
منقطعا فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك تترك بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف آراء
المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به ولا يلزم من توقع الشئ لوجود ما يدعوا اليه وقوعه
لجواز ان يكون ما يصرفه عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والتقية في التبليغ ههنا
وضايق به صدرك وعارض لك احيانا ضيق صدر بان تتلوه عليهم مخافة ان يقولوا
لولا انزل عليه كنز ينفقه في الاستتباع كالملوك او جاء معه ملك ليصدقه وقيل الضمير
في به لهم يعسر ان يقولوا انما انت نذير ليس عليك الا الانذار مما اوحي اليك ولا عليك
ردهم اذا قترحوا فلا يضيق صدرك والله على كل شئ قدير وكيل فتوكل عليه فانه
عالم بجاهلهم وقاعل بهم جزاء اقوالهم وافعالهم ام يقولون افتراه ام منقطعة والضمير لما
يوحى قل فاتوا بعشر سور مثله في البيان وحسن النظم تحداهم اولا بسورة ثم عجزوا
عنها سهل الامر عليهم وتحداهم بسوره وتوحيد المثل باعتبار كل واحد مفتريات
مختلقات من عند نفسكم ان صح اني اختلقته من عند نفسي فانكم عرب فصحاء مثلي تقدرون
على مثل ما اقدر عليه بل انتم اقدر لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض والنظم
وادعوا من استطعتم من دون الله الى المعاونة على المعارضة ان كنتم صادقين انه مفترى
فان لم يستجيبوا لكم باتيان ما دعوتم اليه وجمع الضمير امّا لتعظيم الرسول ولان المؤمنين
ايضا كانوا يتخذونهم وكان امر الرسول متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم في كل امر
الا ما خصه الدليل وللتنبيه على ان التحدي بما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة ايمانهم يقينهم
فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله فاعلموا انما انزل بعلم الله بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر
عليه سواه وان لا اله الا هو واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر
عليه غيره وظهور عجزهم وتخصيص هذا الكلام الثابت صدقه باعجازه عليه وفيه
تهديد واقناط من ان يجيبهم لا من باس الهتهم فهل انتم مسلمون ثابتون على الاسلام
راسخون فيه مخلصون فيه اذا تحقق عندكم اعجازه مطلقا ويجوز ان يكون الكل خطابا للمشركين
والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم اي فان لم يستجيبوكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم
من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله وانه منزل من عند الله فان
ما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون في الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل
هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر
من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها باحسانه وبره نوف اليهم اعمالهم فيها نوصل اليهم
جزاء اعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء
اي يوفي الله ويوفى على البناء للمفعول ونوف بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله

، وان اتاه خليل يوم مسغبة ، يقول لا غائب مالي ولا حرمي

وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون شيأ من اجورهم والاية في اهل الرياء وقيل في المنافقين
وقيل في الكفرة وبرهم اولئك ليس لهم في الاخرة الا النار مطلقا في مقابلة ما عملوا لانهم استوفوا
ما تقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزائم السيئة وحبط ما صنعوا فيها
لانهم لم يبق لهم ثواب في الاخرة او لم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله تعالى والعمدة في اقتضاء
ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا وباطل في نفسه ما كانوا
يعملون لانه لم يعمل على ما كان ينبغي وكان كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ
باطلا على انه مفعول يعملون وما ابهامية او في معنى المصدر كقولهم على خلقه لا اسم الزية مسلما

الذين صح

ولا خارجا من في زور كلامي، ويدل على الفصل افمن كان على بينة من ربه برهان من اسيد له
على الحق والصواب بما يانيه ويدره والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شانه هؤلاء المقصرين هممهم
واقكارهم على الدنيا وان يقارب بينهم في المنزلة وهي هو الذي اغنى عن ذكر الخبر وتقديره
افمن كان على بينة كمن كان يريد الحيوة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي
عليه الصلاة والسلام وقيل مؤمنو اهل الكتاب ويتلوه ويتبع ذلك البرهان الذي يدل الفصل
شاهد منه شاهد من الله يشهد بصحته وهو القراءة ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى يعني
التورية فانها ايضا تتلوه في التصديق او البينة هو القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد
جبريل او لسان الرسول عليهما السلام على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير
في يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتداة وقرئ كتاب بالنصب
عطفا على الضمير في يتلوه اي يتلو القرآن ممن كان على بينة دالة على انه حق كقوله وشهد شاهد
من بني اسرائيل ويقراء من قبيل القرآن التوراة اماما كتابا موتما به في الدين ورحمة على المنزل
عليهم لانه الوسيلة الى الفوز بخير الدارين اولئك اشارة الى من كان على بينة يؤمنون
به اي بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فالنار موعده يرد ها لا محالة فلا تك في مرية منه من الموعد او القرآن
وقرئ مرية بضم الميم وهما لتيك انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لقلة
نظرهم واختلال تفكرهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كان اسند اليه ما لم ينزل له او نفى
عنه ما انزله اولئك يعرضون على ربهم في الموقف بان يحاسبوا وتعرض اعمالهم ويقول
الاشهاد من الملئكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب وشهيد
كاشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين تهويل لما يحق بهم حينئذ
بظلمهم بالكذب على الله تعالى الذين يصدون عن سبيل الله عن دينه ويبغونها عوجا ويصفونها
بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا بالردة وهم بالاخرة هم كافرون
والحال انهم كافرون بالاخرة وتكريرهم لتاكيد كفرهم واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين
في الارض اي ما كانوا معجزين الله في الدنيا ان يعاقبهم وما كان لهم من دون الله من اولياء يمنعونهم
من العقاب ولكنه اخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون اشد ودوم يضاعف لهم العذاب استيناف
وقراء ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم
عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن ايات الله فكان العلة لمضاعفة العذاب
وقيل هو بيان ما نفاه من ولاية الالهة بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء فان ما لا يسمع
ولا يبصر لا يصلح للولاية وقرئ له يضاعف لهم العذاب اعتراض اولئك الذين خسروا انفسهم
باشتراء عبادة الالهة بعبادة الله وضل عنهم ما كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها او خسروا
بما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق لهم سوى الحسرة والندامة لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون
لا احد ابين واكثر خسرانا منهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اطمانوا اليه
وخشعوا له من الخبت وهو الارض المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دايمون مثل
الفريقين الكافرين والمؤمنين كالاعمى والاصم والبصير والسميع يجوز ان يراد به
تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن ايات الله وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله وتابيه عن
تدبر معانيه وتشبيه المومن بالسميع والبصير لان امره بالضد فيكون كل منهما مشبها
باثنين باعتبار وصفين او تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمومن بالجامع بين ضديهما
والعاطف لعطف الصفة على الصفة كقوله، فالصلح فالغانم فالآيب، وهذا من باب

اللف والطباق هل يستويان بل يستوى الفريقان مثلا تمثيلا او صفة او حالا افلا تذكرون
بضرب الامثال والتامل فيها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم بانى لكم وقرا نافع وعاصم وابن
عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول نذير مبين ابين لكم موجبات العذاب ووجه جه الخلاص
الا تعبدوا الا الله بدل من انى لكم او مفعول مبين ويجوز ان تكون ان مفسرة متعلقة
بارسلنا او بنذير انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم مؤلم وهو فى الحقيقة صفة للمعذب لكن يوصف
به العذاب وزمانه على طريق جد جده ونهاره صائم للمبالغة فقال الملا الذين كفروا من
قومه ما نراك الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة وما
نراك اتبعك الا الذين هم ارادلنا اخساؤنا جمع ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر
او الارذل جمع رذل بادى الراى ظاهر الراى من غير تعمق من البدو او اول الراى من البدء
والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرا ابو عمرو بالهمز وانتصابه بالظرف على حذف
مضاف اى وقت حدوث بادى الراى والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم
فانهم لم يعلموا الا ظاهرا من الحيوة الدنيا كان الاخطب بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل
وما نرى لكم لك ولمتبعيك علينا من فضل بل نظنكم كاذبين يوصلكم للنبوة واستحقاق المتابعة
بل نظنكم كاذبين اياك فدعوى النبوة وايهام فى دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على
العالمين قال يا قوم ارايتم اخبرونى ان كنت على بينة من ربى حجة شاهدة بصحة دعوى
وآتانى رحمة من عنده بايتاء البينة او النبوة فعميت عليكم خفيت عليكم فلم تهتدوا
وتوحيد الضمير لان البينة فى نفسها هى الرحمة او لان خفاءها يوجب خفاء النبوة او لانه
على تقدير فعميت عليكم بعد البينة وخذفها للاختصار ولانه لكل واحد منهما وقرا حمزة
والكسائى وحفص فعميت اى خفيت وقرئ فعماها على ان الفعل لله تعالى انلزمكموها
انلزمكم على الاقتداء بها وانتم لها كارهون لاتختارونها ولا تتاملون فيها وحيث اجتمع ضميران
واسناد احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز فى الثانى الفصل والوصل ويا قوم لا اسالكم عليه
على التبليغ وهو وان لم يذكر معلوم مما ذكر ما لاجعلا ان اجرى الا على الله فانه المامول منه
وما انا بطارد الذين امنوا جوابهم حين سالوه طردهم انهم ملاقوا ربهم فيحاسبهم
طردهم عندكم او انهم يلاقونه صور ويفوزون بقربه فكيف اطردهم ولكنى اراكم قوما
تجهلون بلقاء ربكم او باقدارهم او فى التماس طردهم او تتسفهون عليهم بل تدعوهم ارذل
ويا قوم من ينصرنى من الله بدفع انتقامه ان طردتهم وهم بتلك الصفة والمثابة
افلا تذكرون لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب ولا اقول لكم
عندى خزائن الله معه رزقه وفضله حتى تحقدوا على تخصيصى وتحسدونى ولا اعلم الغيب عطف على عندى
خزائن الله اى ولا اقول اعلم الغيب حتى تكذبونى استبعادا او حتى اعلم ان هؤلاء اتبعوك فى
بادى الراى من غير بصيرة ولا عقد قلب وعلى الثانى يجوز عطفه على اقول ولا اقول انى
ملك حتى تقولوا ما انت الا بشر مثلنا ولا اقول للذين تزدرى اعينكم ولا اقول فى شان
من استرذلتموهم لفقرهم لن يوتيهم الله خيرا فان ما اعدلهم فى الاخرة خير مما اتاكم فى
الدنيا الله اعلم بما فى انفسهم انى اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك ولا زدرا
افتعال من زرى اذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس الزاى فى الجهر والاسناد الى الاعين
للمبالغة وللتنبيه على انهم استرذلوهم بادى الروية من غير روية وبما عاينوا من ثالثة
حالهم وقلة مالهم دون تامل فى معانيهم وكمالاتهم قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا
فاطلته واتيت بانواعه فاتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين

في الدعوى والوعيد فان مناظرتك لا تؤثر فينا قال انما يأتيكم به الله ان شاء عاجلا او اجلا وما
انتم بمعجزين يدفع العذاب او الهرب منه ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم شرط ودليل
جواب والجملة دليل جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم وتقدير الكلام ان كان الله يريد
ان يغويكم فان اردت انصح لكم فلا ينفعكم نصحي ولذلك لو قال الرجل انت طالق ان
دخلت الدار فكلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما او هو من ان جداله كلام بالاطلاق
ودليل على ان ارادة الله يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده محال وقيل ان يغويكم ان يهلكم
من غوى الفصيل غوى اذا انسم فهلك هو ربكم خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته واليه ترجعون
فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي وبالة وقرئ اجرامي على
الجمع وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم في اسنادكم الافتراء الي واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك
الا من قد امن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اقنطه الله من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوه من
التكذيب والايذاء واصنع الفلك باعيننا ملتبسا باعيننا عن كثرة الحس الذي به يحيط
السوي ويراعي عن الاخلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل ووحينا
اليك كيف تصنعها ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تراجعني فيهم ولا تدن مني باستدفاع
العذاب عنهم انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه ويصنع الفلك حكاية
حال ماضية وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه استهزؤا به لعمله السفينة فانه كان
يعملها في برية بعيدة عن الماء او عن عتريه فكانوا يضحكون منه ويقولون له صرت نجارا
بعدما كنت نبيا قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون اذ انذكم الغرق في الدنيا
والحرق في الاخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه
يعني به اياهم وبالعذاب الغرق ويحل عليه ويتزل او يحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك
عنه عذاب مقيم دايم وهو عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله ويصنع الفلك وما
بينهما حال من الضمير في حتى اي الى ان يبتدئ بعدها الكلام وفار التنور نبع الماء فيه وابلغ
كالقدر يفور او التنور تنور الخبز ابتداء منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة في
موضع مسجدها او في الهند او بعين وردة من الجزيرة وقيل التنور وجه الارض واشرفه موضع
فيها قلنا احمل فيها في السفينة من كل من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها زوجين اثنين
ذكرا وانثى هذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى اضافة احمل اثنين من كل زوجين
اي من كل صنف ذكر وصنف انثى واهلك عطف على زوجين او اثنين والمراد امراته وبنوه
ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين يريد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما
كانا كافرين ومن امن والمؤمنون من غيرهم وما امن معه الا قليل قيل كانوا تسعة وسبعين
زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا وامراة
من غيرهم روي انه عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها ثلثمائة ذراع
وعرضها خمسون وسمكها ثلاثون وجعل لها ثلاث بطون فحمل في اسفلها الدواب والوحوش
وفي اوسطها الانس وفي اعلاها الطير وقال اركبوا فيها اي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا
لانها في الماء كالمركوب في الارض بسم الله مجراها ومرساها متصل باركبوا حال من الواو
اي اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها ومرسيها او مكانهما على ان المجرى
والمرسى للوقت او للمكان او للمصدر والمضاف محذوف كقولك لهم اتيك خفوق النجم ونضناضها
بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما بسم الله على ان المراد بهما المصدر او جملة من مبتدا محذوف
اي اجراؤها بسم الله على ان بسم الله خبرا وصلته والخبر محذوف وهي اما جملة مقتضية لاتعلق

لها

لها بما قبلها او حال مقدرة من الواو والهاء وروى انه كان اذا اراد ان يجرى قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مبتدأ كقوله ثم اسم السلام عليكما وقرأ حمزة والكسائى وعاصم برواية حفص مجراها بالفتح من جرى وقرئ مرسيها ايضا من رسى وكلاهما يحتمل الثلاثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله تعالى ان ربى لغفور رحيم اى لو لا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم وهى تجرى بهم متصل بمحذوف دل عليه اركبوا اى فركبوا مسمين وهى تجرى وبهم فيها فى موج كالجبال فى ضوج من الطوفان وهو ما يرتفع من الارض الماء عند اضطرابه كل موجة منها كالجبل فى تراكمها وارتفاعها وما قيل ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجرى فى جوفه ليس بثابت والمشهور انه علا فوق الجبال خمسة عشر ذراعا وان صح ذلك فلعل ذلك قبل التطبيق ونادى نوح ابنه كنعان وقرئ ابنها وبنه بحذف الالف على ان الضمة لامراته وكانت ربيبته وقيل كان لغير رشده كقوله فخانتاهما وهو خطاء اذ الانبياء عصمت من ذلك فالمراد بالخيانة الخيانة فى الدين وقرئ ابناه على التثنية ولكونها حكاية سوء خذف الحرف وكان فى معزل عزل نفسه عن ابيه او عن دينه مفعل للمكان من عزله عنه اذا بعده يا بنى اركب معنا اركب معنا فى السفينة والجمهور كسروا الياء ليدل على الياء الاضافة المحذوفة فى جميع القرآن غير ابن كثير فانه وقف عليها فى لقمان فى الموضع الاول باتفاق الرواية عنه وفى الثانى فى رواية قنبل وعاصم فانه فتح ههنا اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة واختلف الرواية عنه فى سائر المواضع وقد ادغم الباء فى الميم ابو عمرو والكسائى وحفص لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين فى الدين او الانعزال قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء ان يغرقنى قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم والاستثناء منقطع اى لكن من يرحمه الله يعصمه وهو الراحم وهو الله تعالى او الامكان من رحمهم الله وهم المؤمنون رد بذلك ان يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم الا ايذانا بان المعتصم المؤمنين وهى السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة ويكون معناه لا معصوم الا المرحوم كقولهم فى عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع لكن من يرحمه الله يعصمه وحال بينهما الموج بين نوح وولده او بينه وبين الجبل فكان من المغرقين فصار من المهلكين بالماء وقيل يا ارض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى نوديا يا سماء ينادى به اولوا العلم او امرا بما يؤمرون تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء بتكوينه فيهما بالامر المطاع الذى يامر به المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره مهابة من عظمته وخشية من اليم عقابه والبلع النشف والاقلاع الامساك وغيض الماء نقص وقضى الامر انجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين واستوت السفينة على الجودى جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بايل روى انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم فصار سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا بعيدا لا يرجى عوده ثم استعمل للهلاك وخص بدعاء السوء والآية فى غاية الفصاحة لتخامة لفظها وحسن نظمها ودلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالى عن الاخلال وايراد الاخبار على البناء للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل وانه متعين فى نفسه مستغنى عن ذكره اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال لا يقدر عليها سوى الواحد القهار ونادى نوح ربه اراد نداءه بدليل عطف قوله قال ربى ان ابنى من اهلى فانه الذى وعدته ان ينجى اهله وان وعدك الحق وان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه الخلف وقد وعدت ان تنجى اهلى فما حاله او فما لم يف ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه وانت احكم الحاكمين لانك اعلمهم واعدلهم ولانك اكثر حكمة من ذوى الحكم على ان الحكمة من الحكم كالذراع من الذرع قال يا نوح انه ليس من

تبع صح

اهلك يقطع الولاية بين المؤمنين والكافرين واليه اشار بقوله انه عمل غير صالح فانه تعليل لنفي كونه من اهله واصله ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقولك الحشا تصف ناقة ترتع ما رتعت حتى اذا ذكرت فانما هي اقبال وادبار ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه وقراء الكسائي وليعقوب انه عمل اي عمله غير صالح فلا تسالن ما ليس لك به علم مالم تعلم اصوبه هو لم ليس بصواب وانما سمي ندائه سؤالا لتضمن ذكر الموعد بنجاة اهله استنجاز في شان ولده واستفسارا لمانع الانجاز في حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله اني اعظك ان تكون من الجاهلين لان استثناء من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال واغناه عن السؤال لكن شفقة حب الولد حملته على ما شبهه الامر عليه وقراء ابن كثير بفتح اللام والنون المشددة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون على ان اصله تسالنني فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت المشددة للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة واثبتها نافع برواية ورش في الوصل قال رب اني اعوذ بك ان اسالك فيما يستقبل ما ليس لي به علم ما لا اعلم لي صحته ولا تغفر لي وان لم تغفر لي ما فرط مني من السؤال وترحمني بالتوبة والتفضل على اكن من الخاسرين اعمالا قيل يا نوح اهبط بسلام منا انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا او مسلما عليك مكرما وبركات عليك ومباركا عليك وزيادات في نسلك حتى تصير امما ما نا وقرئ اهبط بالضم وبركة على التوحيد وهو الخير النامي وعلى امم ممن معك وعلى امم هم الذين معك سموا امما لتخريهم ولتشعب الامم منهم او على امم ناشئة ممن معك واريد بهم المؤمنون وامم سنمتعهم اي ومن معك امم سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم منا عذاب اليم في الاخرة واريد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل قوم هود وصالح وشعيب عليهم السلام والعذاب ما انزل بهم تلك اشارة الى قصته نوح ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها من انباء الغيب اي بعضها نوحيها اليك خبرا ان والضمير لها اي في الدنيا موحيات اليك او حال من الانباء او هو الخبر ومن انباء متعلق به او حال من الهاء ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا خبرا خر اي مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك او حال من الهاء في نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك بها وفي ذكرهم تنبيه على انه لم تتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوه فكيف بواحد منهم فاصبر على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح ان العاقبة في الدنيا بالظفر وفي الاخرة بالفوز للمتقين عن الشرك والمعاصي والى عاد اخاهم هودا عطف على قوله نوحا الى قومه وهود عطف بيان فقال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من اله غيره وقرئ بالجر حملا على المجرور وحده ان انتم الا مفترون على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء يا قوم لا اسالكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني خاطب به كل رسول قومه ازاحة للتهمة وتحبيضا للنصيحة وانها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم فتعرفون المحق من المبطل والصواب من الخطا ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اطلبوا مغفرة الله تعالى بالايمان بالله والرجوع ثم توسلوا اليه بالتوبة وايضا التبري عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة فيما عنده يرسل السماء عليكم مدرارا كثير الدر وزيدكم قوة الى قوتكم ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زرع وعمارات وقيل حبس الله عنهم المطر واعقم ارحام نسايهم ثلاث سنين فوعدهم هود عليه السلام على الايمان والتوبة بكثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل ولا تتولوا ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على اجرامكم

قالوا

قالوا يا هود ما جئتنا ببينة بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتقادهم
بما جاءهم من المعجزات وما نحن بتاركي آلهتنا بتاركي عبادتهم عن قولك صادرين عن
قولك حال من الضمير في تاركي ويمانحن لك بمؤمنين اقتاط من الاجابة والتصديق ان
نقول الا اعتراك ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك
اياهم وصدك عنها ومن ذلك يهذي ويتكلم بالخرافات والجملة مفعول القول والا لغو لان
الاستثناء مفرغ قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه
فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اجابة عن مقالتهم الحقها بان شهد الله تعالى على براءته
مو من آلهتهم وفراغه عن اضرارهم تاكيدا لذلك وتثبيتا له وامرهم بان يشهد واعليه بتلك
سهم وان يجتمعوا على الكيد في اهلاكه من غير انتظار حتى اذا جهد وفيه وراوا انهم
قد عجزوا عن اخرهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه فلم يبق لهم شبهة ان آلهتهم التي هي جماد
لا تضر ولا تنفع ولا تتمكن من الضرر اتقانا مامنه وهذا من جملة معجزاته صلى الله عليه وسلم
فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة دمه بهذا الكلام
ليس الا لثقة بالله تعالى وتشطيرهم على اضرار ليس الا لعصمته اياه ولذلك عقبه بقوله
اني توكلت على الله ربي وربكم تقرير له والمعنى انكم وان بذلتم غايته وسعكم لم تضروني
فاني متوكل على الله واثق بكلاءته وهو مالكي ومالككم لا يحيق بي ما لم يرده ولا تقدرون
على ما لم يقدر ثم برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها اي الا هو مالك
لها قادر عليها يتصرف فيها على ما يريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك ان ربي على
صراط مستقيم انه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم فان تولوا
فان تتولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم فقد ادیت ما علي من الابلاغ والزام الحجة فلا
تقريط مني ولا عذر لكم فقد بلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم استينافا
بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما اخرين في ديارهم واموالهم او عطف على الجواب
بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع وكانه قيل وان تتولوا يخذرني ويستخلف
ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر ومن جزم يستخلف اسقط النون عنه ان ربي على
كل شيء حفيظ رقيب فلا يخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ مسئول عليه
فلا يمكن ان يضره شيء فلما جاء امرنا اي عذابنا او امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين
امنوا معه برحمة منا وكانوا اربعة آلاف ونجيناهم من عذاب غليظ تكرير لبيان ما انجاهم
عنه وهو السموم كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم او المراد
تنجيتهم من عذاب الاخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم
معذبون في الاخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد اتى باسم الاشارة باعتبار القبيلة مع
اولان الاشارة الى قبورهم واثارهم جحدوا بايات ربهم كفروا بها وعصوا رسله لانهم
عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكانما عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول واتبعوا
امر كل جبار عنيد يعتسفهم الطاغين وعنيد من عند عندا وعنودا اذا طغى والمعنى
عصوا من دعاهم الى الايمان وما يجبهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يردهم واتبعوا
في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم في العذاب
الا ان عادا كفروا ربهم جحدوه او كفروا نعمه او كفروه بحذف الجار الا بعدا لعاد دعاء
عليهم بالهلاك والمراد الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكى
عنهم وانما كرر فاعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم قوم هود عطف

بيان لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية لاعادارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بمجرى
بينهم وبين هود والى ثمود اخاهم صلحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشاكم
من الارض واستعمركم فيها عمركم فيها واستبقاكم من العمر او قدركم على عمارتها وامركم بها وقيل
هو من العمرى يعنى اعمركم فيها دياركم وبوأكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم
تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب قريب الرحمة
مجيب الدعوة قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اى قبل ان تدعى ما تدعى اليه من التوحيد والنهى عن الاوثان مرجو موضع فى الرجاء من ارابه اذا رأى فيه ريبة
على الاستفهام الانكارى من ارتاب فى الامر قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربى بيان
وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين وآتانى منه رحمة نبوة فمن ينصرنى من الله فمن يمنعنى
من عذابه ان عصيته فى تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك به فما تزيدوننى اذا باستتباعكم
اياى غير تخسير غير ان تخسروننى بابطال ما يمنحنى الله به والتعرض لعذابه او فما تزيدوننى بما
تقولون لى غير ان انسبكم الى الخسران ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية انتصابه على الحال
وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها فذروها تأكل فى ارض
الله ترعى نباتها وتشرب ماءها ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب عاجل لا يتراخى
عن مسكم بها بالسوء الا يسير وهو ثلاثة ايام فعقروها فقال تمتعوا فى داركم عيشوا فى منازلكم
او فى قريتكم فى الدنيا ثلاثة ايام الاربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون ذلك وعد غير مكذوب
اى غير مكذوب فيه فاستغنى فيه باجرائه مجرى المفعول به كقوله ، ويوم شهدناه سليما
وعامرا وغير مكذوب على المجاز وكان الواعد قال له انى بك ما وعدان وفى به صدقه والا
كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمفعول فلما جاء امرنا بخيتنا صالحا والذين
امنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ اى وبخيتناهم من خزى يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة
او ذلهم وفضيحتهم يوم القيمة وقراءة نافع والكسائى يومئذ بالفتح على اضافة من المضاف اليه
ان ربك هو القوى العزيز القادر على كل شئ
والغالب عليه واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين سبق تفسيره فى سورة
الاعراف كأن لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم وقراءة حمزة والكسائى وحفص ان ثمودا ههنا
وفى العنكبوت وفى الفرقان بغير تنوين ونونه الكسائى فى جميع القرآن وابن كثير ونافع
وابن عامر وابو عمرو فى قوله الا بعدا لثمود ذهابا الى الحى او الاب الاكبر ولقد جاءت رسلنا
ابراهيم يعنى الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام
بالبشرى ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط قالوا سلاما اى سلمنا عليك سلاما او نحوه
نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما قال سلام اى امركم سلام او جوابى سلام او عليكم سلام رفعه
ليجابه باحسن من تحيتهم وقراءة حمزة والكسائى سلم وكذلك فى الذاريات وهما لغتان كحرم
وحرام وقيل المراد به الصلح فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فما ابطأ بمجيئه به او فما ابطأ فى
المجيء به او فما تأخر عنه والجار والمجرور منصوب بلبث او بمحذوف والحنيذ المشوى بالرضف
وقيل الذى يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال كقوله بعجل سمين فلما رأى
ايديهم لا تصل اليه يعودون اليه ايديهم نكرهم ووجس فى نفسه خيفة انكر ذلك منهم وخاف
ان يريد وا به مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس الادراك بالاضمار قالوا لما احسوا

منه ان الخوف لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط انا ملائكة مرسلة الى القوم بالعذاب وانما نمد اليه
ايدينا لانا لا نأكل وامرأته قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم او على رؤوسهم لخدمة فضحكت
سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد او باصابة رأيها فانها كانت تقول لابراهيم اضم
اليك لوطا فانى اعلم ان العذاب ينزل بهؤلاء القوم وقيل ضحكت فحاضت ق ل
، وعهدى بسلمى ضاحكا فى جماعة ، ولم يعد حقا تذبيحها ان تحلما ،
ومنه ضحكت الشجرة اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق
يعقوب نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره وهبنا لها
من وراء اسحاق يعقوب وقيل معطوف على موضع باسحاق او على لفظ اسحاق وفتحة الجر
لانه غير منصرف ورد للفصل بينه وبين ما عطف عليه بالظرف وقراء الباقون بالرفع على
انه مبتدأ خبره الظرف اى ويعقوب مولود من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمى
به لانه ولد الولد وعلى هذا يكون اضافته الى اسحاق ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل من
حيث انه وراء ابراهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما بالبشارة كيحيى ويحتمل
وقوعهما فى الحكاية بعد ان ولد فسميا به وتوجيه البشارة انها للدلالة على ان الولد المبشر
به يكون منها ولانها كانت عقيمة حريصة على الولد قالت يا ويلتا يا عجبا واصله فى الشر
فاطلق فى كل امر فظيع وقرئ بالياء على الاصل الد وانا عجوز ابنة تسعين او تسعة وتسعين
وهذا بعلى شيخا وقرئ واصله القائم بالامر شيخا ابن مائة او مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل
فيه معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اى هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلى
البدل ان هذا لشىء عجيب يعنى الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة
ولذلك قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت منكرين عليها
فان خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم
والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بان يستغرب به عاقل فضلا عمن نشأت وشابت فى ملاحظة
الايات واهل البيت نصب على المدح او النداء لاهل التخصيص كقوله اللهم اغفر لنا ايتها العصابة
انه حميد فاعل بما يستوجب به الحمد مجيد كثير الخير والاحسان فلما ذهب عن ابراهيم الروع م
ما اوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم وجاءته البشرى بدل الروع يجادلنا فى قوم لوط
يجادل رسلنا فى شأنهم ويجادلنه يأمرهم كقوله ان فيها لوطا وهو ما جواب لما جئ به مضارعا
على حكاية الحال او لانه فى سياق الجواب بمعنى الماضى فى جواب لو ودليل جواب المحذوف فمثل
اجترى على خطابنا او سعى فى جدالنا او متعلق به فقام مقامه مثل اخذ واقبل يجادلنا ان
ابراهيم لحليم غير عجول على الانتقام من المسئ اليه اواه كثير التأوه من الذنوب والتأسف
على الناس منيب راجع الى الله والمقصود من ذكر بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه
وفرط رحمته يا ابراهيم اعرض عن هذا عن هذا الجدال انه قد جاء امر ربك قدره بمقتضى
قضايا الازلى بعذابهم وهو علم بحالهم وانهم اتيهم عذاب غير مردود معروف بجدال
ولا عذاب ولا غيره ذلك ولما جاءت رسلنا لوطا سيئ بهم ساء مجيئهم لانهم جاؤا فى صورة
غلمان فظن انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدوهم قومه فيعجز عن ملك فعتهم وقرأ
نافع وابن عامر والكسائى سئ من سيئت باتمام السين الضم وفى العنكبوت وفى الملك
والباقون باختلاس حركة السين وضاق بهم ذرعا وضاق بمكانهم صدره وهو كناية
عن شدة الانقباض المجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقال هذا يوم عصيب شديد
من عصبه اذا شده وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون اليه كانهم يدفعون دفعا لطلب

الفاحشة من اضافة ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيات الفواحش فتمرنوا عليها
ولم يستحوا منها حتى جاؤا يجاهرون لها مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي فتدى بهن اضيافه كرما
وحمية والمعنى هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكانوا يطلبون بهن قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم
لاحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع طار وميا لغة في تناهى خبث مائر وموند حتى ان ذلك
ليهون منه او اظهار السدة امتعاضه من ذلك كما يرقوله وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل
نبي ابو امته من حيث الشفقة والتربية وفي مصحف ابن مسعود وازواجه امهاتهم وهو
اب لهم هن اطهر لكم انظف فعلا واقل فحشا كقولهم الميتة اطيب من المغصوب واحل منه وقرئ اطهر
بالنصب على ان هن خبر بناتي كقولك هذا اخي هو لا فصل فانه لا يقع بين الحال وصاحبها فاتقوا
الله بترك الفواحش وبايثارهن عليهم ولا تخزون ولا تفضحون من الخزي او لا تخجلوني من الخزاية
بمعنى الحياء في ضيفي في شانهم فان افتراء المنيف لرجل افتراؤه اليس منكم رجل رشيد يهتدي
الى الحق ويرعوي عن القبيح قالوا لقد علمت ما لنا من حق في بناتك من حق من حاجة وانك لتعلم
ما نريد وهو ايان الذكران قال لو ان لي بكم قوة لو قويت بنفسي على دفعكم او اوي الى ركن
شديد اي قوي امتنع به عنكم شبهه بركن الجبل في شدته وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي
لوطا كان ياوي الى ركن شديد وقرئ او اوي بالنصب باضمار ان كانه قيل لو ان لي بكم قوة او ايواء
وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم روي انه صلى الله عليه وسلم اغلق بابه دون اضيافه واخذ
يجادلهم من وراء الباب فلما رات الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك
لن يصلوا اليك لن يصلوا الى ضررك باضرارنا فهون عليك ودعنا واياهم فخذهم ان
يدخلوا فضرب جبريل عليه السلام بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا يقولون
النجاة النجاة فان في بيت لوط سحرة فاسر باهلك بالقطع من الاسراء وقراء ابن كثير ونافع
بالوصل حيث جاء في القران من السري بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم احد ولا يتخلف
ولا ينظر الى ورائه والنهي في اللفظ لاحد وفي المعنى للوط عليه السلام الا امراتك استثناء
من قوله فاسر باهلك ويدل عليه انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك وهذا
انما يصح على تاويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسر بالنظر الى الوراء في الذهاب ناقض
ذلك قراءة ابن كثير وابي عمرو بالرفع على البدل من احد ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين
في انه خلفها مع قومها واخرجها فلما سمعت صوت العذاب فالتفتت ثم قالت يا قوماه فادركها
حجر فقتلها لان القواطع لا يصح حملها على المعاني المتناقضة والاولى جعل الاستثناء في القراءتين
عن قوله ولا يلتفت منكم في قوله ما فعلوه الا قليل منهم ولا بعد ان يكون اكثر القراء على غير
الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله
على طريقة الاستيناف بقوله انه مصيبها ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على
قراءة الرفع ان موعدهم الصبح كانه علة الامر بالاسراء اليس الصبح بقريب جواب لاستعجال
لوط عليه السلام واستبطائه العذاب فلما جاء امرنا عذابنا او امرنا به وتوثيره الاصل لفعل
التعذيب مسببا عنه بقوله جعلنا عاليها سافلها فانه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها
اي الملائكة المامورون به فاسند الى نفسه من حيث انه المسبب لعظيم الامر فانه روي
ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء
نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وامطرنا عليها على المدن او على سداد ها
حجارة من سجيل اي من طين متحجر كقوله حجارة من طين واصله سنكيل فعرب وقيل انه من اسجله
اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى مثل الشيء المرسل او من مثل العطية في الادرار او من السجل

اى مما كتب الله تعالى ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اى من جهنم فابدلت نونه لاما منضود
نضد بعد العذابهم او نضد فى الارسال يتابع بعضها بعضا كقطار الامطار او نضد بعضه
على بعض والتصق به مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيما يتميز به
عن حجارة الارض او باسم من يرمى به عند ربك فى خزائنه وما هى من الظالمين ببعيد فانهم
بظلمهم حقيق بان يمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه السلام انه سأل جبريل عليه السلام
فقال كيف ظالمى متك ما من ظالم منهم الا وهو يرض بحجر يسقط من ساعته عند الساعة وقيل
الضمير للقرى اى هى قريبة من ظالمى مكة يمرون عليها فى اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد
على تاويل الجار والمكان والى مدين اخاهم شعيبا اراد او لاد مدين ابن ابراهيم عليه السلام
او اهل مدين وهو بلد بناه فسماه باسمه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا
تنقصوا المكيال والميزان امرهم بالتوحيد اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه
من البخس المتناهى فى العدل المخل بحكمة التعاوض انى اراكم بخير بسعة تغنيكم عن البخس وبنعمة
حقها ان تفضلوا على الناس بشكر اهليها لا ان تنقصوا حقوقهم او بسعة فلا تزيلوها
بما انتم عليه وهى فى الجملة علة للنهى واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط لا يشذ منه احد
منكم وقيل عذاب مهلك من قولهم احيط بثمره والمراد عذاب يوم القيمة او عذاب الاستيصال
ووصف اليوم بالاحاطة وهى صفة العذاب لاشتماله عليه ويا قوم اوفوا المكيال
والميزان صرح الامر بالايفاء بعد النهى عن ضده مبالغة وتنبيها على انه لا يكفيهم الكف
عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعى فى الايفاء ولو بزيادة لا يتأتى دونها بالقسط بالعدل
والسوية عن زيادة ونقصان فان الازدياد ايفاء وهو مندوب غيرها مور به وقد
يكون محظورا ولا تبخسوا الناس اشياءهم تعميم بعد تخصيص فانه اعم من ان يكون فى
المقدار او فى غيره وكذا قوله ولا تعثوا فى الارض مفسدين فان العثو يعم تنقيص الحقوق
وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكث كاخذ العشور من المعاملات والعثو
السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله
الخضر عليه السلام وقيل معناه ولا تعثوا فى الارض مفسدين من دينكم ومصالح اخرتكم
بقية الله ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم خير لكم مما تجمعون بالتطفيف
ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان خيرها يستتبع الثواب مع النجاة وذلك مشروط
بالايمان او ان كنتم مصدقين لى فى قولى لكم وقيل البقية الطاعة لقوله تعالى والباقيات
الصالحات وقرئ بقية الله بالتاء وهى تقواه التى تكف عن المعاصى وما انا عليكم بحفيظ
احفظكم عن القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت
حين انذرت او لست بحافظ عليكم نعم الله لوم تتركوا سوء صنيعكم قالوا يا شعيب اصلوتك
تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا من الاصنام اجابوا به بعد امرهم بالتوحيد على الاستهزاء
به والتهكم بصلاته والاشارة بان مثله لا يدعوا اليه داع عقلى وانما دعاك اليه خطرات
وسواس من جنس ما تواظب عليه وكان كثير الصلاة فلذلك جمعوا وخصوه بالذكر
وقراءة حمزة والكسائى وحفص على الافراد والمعنى صلوتك تامرك بتكليف ان نترك
فحذف المضاف فان الرجل لا يؤمر بفعل غيره او ان نفعل فى اموالنا ما نشاء عطف
على ما اى وان نترك فعلنا ما نشاء فى اموالنا وقرئ بالتاء فيهما على ان العطف على ان نترك
وهو جواب النهى عن التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن قطع الدراهم والدنانير
فاراد بذلك انك لانت الحليم الرشيد فتهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك

او عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة
الى امثال ذلك قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي اشارة الى ما اتاه الله من العلم
والنبوة ورزقني منه رزقا حسنا اشارة الى ما اتاه الله من المال الحلال وجواب الشرط
محذوف تقديره هل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان
اخون في وحيه واخالفه في امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغير المالوفات والتنبي
عن دين الاباء والضمير في منه لله اي من عنده وباعانته بلا كد مني في تحصيله وما اريد
ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه اي وما اريد ان اتي ما انهاكم عنه لاستبدته فلو كان صوابا
لاثرته ولم التعرض عنه فضلا عن ان انهاكم عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته
وهو مولى عنه وخالفت عنه اذا كان الامر بالعكس ان اريد الا الاصلاح ما استطعت ما
اريد به الا ان اصلحكم بامري بالمعروف ونهي عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح فلو وجدت
الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه وهذه الاجوبة الثلاثة على هذا النسق شان وهو التنبيه
على ان العاقل يجب ان يراعي في كل ما يأتيه ويذر احد حقوق ثلاثة احدها اهمها واعلاها حق
الله تعالى وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضي ان امركم بما امركم به
وانهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح
اي المقدور الذي استطيع او اصلاح ما استطعته فحذف المضاف وما توفيقي الا بالله
وما توفيقي لاصابة الحق والصواب الا بهدايته ومعونته عليه توكلت فانه القادر الممكن
من كل شيء وما عداه عاجز في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة
الى محض التوحيد الذي هو اقصى مراتب العلم بالمبدا واليه انيب اشارة الى معرفة المعاد
وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم الصلة على الفعل وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة
الحق فيما ياتي ويذر من الله عز وجل والاستعانة به في مجامع امره والاقبال عليه بشراشره
وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالات بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع
الى الله للجزاء ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم شقاقي معاداتي ان يصيبكم مثل ما اصاب
قوم نوح من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح من الرجفة وان لصلتها ثاني
مفعولي يجرمنكم فانه يعدى الى الواحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم
وهو منقول من المتعدي الى مفعول والاول افصح فان اجرم اقل دورانا على السنة
الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لاضافته الى المبني كقوله

، لا يمنع الشرب منها غير ان نطقت ، حمامة في غصون ذات اوقال ،

وما قوم لوط منكم ببعد زمانا او مكانا فان محلهم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم
وليس ببعد منكم في الكفر والمساوي فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد لان المراد
وما اهلاكهم او وما هم بشيء بعيد ولا يبعد ان يساوي في امثاله بين المذكر والمونث
لانها على زنة المصدر كالصهيل والشهيق واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه عما انتم عليه
ان ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود فاعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعله
البليغ المودة لمن يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار قالوا يا شعيب
ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول لوجوب التوحيد وحرمة البخس وما ذكرت دليلا عليهما
وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه او لانهم لم يلقوا
اليه اذهانهم لشدة نفرتهم عنه وانا لنراك فينا ضعيفا لا قوة لك فتمتنع منا
ان اردناك بسوء او مهينا لا عز لك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته يرده

التقسيم

التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استثناء الاعمى قياسا على القضاء والشهادة والفرق
بين ولولا رهطك قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا الخوف من شوكتهم فان الرهط
من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة لرجمناك لقتلناك برمي الحجارة او باصعب وجه
وما انت علينا بعزيز فتمنعنا عزتك عن الرجم وهذا يدرن السفيه المجنون يقال
الحجج والايات بالسب والتهديد وفي ايلاء ضميره حرف النفي تنبيه على ان الكلام فيه لا في ثبوت
العزة وان المانع لهم عن ايذيه عزته في قومه ولذلك قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله
واتخذتموه وراءكم ظهريا وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر بان لم تراقبوه ولم تهابوه
برسوله فلا تتقون على الله وتتقون على رهطي وهو يحتمل الانكار والتوبيخ والرد والتكذيب
وظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ان ربي بما تعملون محيط فلا يخفى
عليه شيء منها فيجازي عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من يأتيه
عذاب يخزيه سيتوعدهم مثله في سورة الانعام والفاء في سوف تمت للتصريح بان الاحراز
والتمكن فيما هم عليه سبب لذلك وحذفها ههنا لانه جواب سائل قال فماذا يكون بعد
ذلك فهو ابلغ في التهويل ومن هو كاذب عطف على من يأتيه لا انه قسيم له كقوله
ستعلم الصادق والكاذب بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب
والكاذب مني ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثاني اليه
مما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم وارتقبوا وانتظروا ما اقول لكم
اني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم والراكب كالعشير او المرتقب كالعشير
كالرفيع ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا انما ذكر بالواو وتمم
في قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فانه ذكر
بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح ولذلك جاء بفاء السببية
واخذت الذين ظلموا الصيحة قيل صاح بهم جبريل فهلكوا فاصبحوا في ديارهم
جاثمين ميتين واصل الجثوم اللزوم في المكان كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا فيها الا بعدا
لمدين كما بعدت ثمود شبههم بهم لان عذابهم كان ايضا بالصيحة غير ان صيحتهم كانت
من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر
يعتبر لتخصيص معنى البعد بما يكون سبب الهلاك والبعد مصدرهما والبعد مصدر المكسور
ولقد ارسلنا موسى بآياتنا بالتوراة او المعجزات وسلطان مبين وهو المعجزات القاهرة
او العصا وافرادها لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحد اي ولقد ارسلناه بالجامع بين
كونه آياتنا وسلطانا له على نبوته واضحا في نفسه او موضحا اياها فان ابان جاء لازما
ومتعديا والفرق بينهما ان الآية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص بالقاطع
والمبين يخص بما فيه جلاء الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون فاتبعوا امره بالكفر
بموسى وما اتبعوا موسى الهادي الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة
فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي الى ما لا يخفى فساده على من له ادنى مسكة
من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم وما امر فرعون برشيد مرشدا وذي رشد
وانما هو غي محض وضلال صريح يقدم قومه يوم القيمة الى النار كما كان يقدمهم في الدنيا
الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم فاوردهم النار ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه
ونزل النار لهم منزلة فنمي اتيانها موردا ثم قال وبئس الورد المورود اي بئس
المورود الذي وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد

طرف

والاية كالدليل على قوله وما امر فرعون برشيد فان من هذا عاقبته لم يكن في امره رشد او تفسير له على ان المراد ما يكون مامورا من العاقبة حميدها واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيمة اى يلعنون في الدنيا والاخرة بئس الرفد المرفود بئس المعون المعان او بئس العطا المعطا واصل الرفد ما يضاف الى غيره ليعضده والمخصوص بالذم محذوف اى رفدهم وهو اللعنة في الدارين ذلك اى ذلك النبأ من انباء القرى المهلكة نقصه عليك مقصوص عليك منها قائم من تلك القرى باق كالزرع القايم وحصيد ومنها عافي الاثر كالزرع المحفوظ والمحصود والجملة مستانفة وقيل حال من الهاء في نقصه وليس بصحيح اذ لا واو ولا ضمير وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بان عرضوها لما يوجب فما اغنت عنهم فما نفعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك حين جاءهم عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب هلاك او تخسير وكذلك ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك وقرئ اخذ ربك بالفعل فيكون محل الكاف النصب على المصدر اذا اخذ القرى اى اهلها وقرئ اذ لان المعنى على الماضي وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامهم اجريت عليها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا بظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره من وخامة العاقبة ان اخذه اليم شديد وجيع غير مرجو الخلاص عنه وهو مبالغة في التهديد والتحذير ان في ذلك اى فيما نزل في الامم الهالكة او فيما قصصناه من قصصهم لاية لعبرة لمن خاف عذاب الاخرة يعتبر بها عظمته لعلمه بانه ما حاق بهم انموذج مما اعد الله للمجرمين في الاخرة ويزجر به عن موجبات لعلمه بانها من الامور المختارة يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من انكر الاخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقايع لاسباب فلكية انتفت في تلك الايام لا لذنوب المهلكين بها ذلك اشارة الى يوم القيمة وعذاب الاخرة دل عليه يوم مجموع له الناس اى يجمع له الناس والتفسير للدلالة على ثبات معنى الجمع في اليوم وانه من شانه لا محالة وان الناس لا ينفكون عنه فهو ابلغ من قوله ليوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة وذلك يوم مشهود اى يوم مشهود فيه اهل السموات والارض فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله في محفل من نواصي الناس مشهودا اى كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتميزه فان سائر الايام كذلك وما نؤخره اى اليوم او الجزاء الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف المضاف واراده مدة التاجيل كلها بالاجل لانتهائها فانه غير معدود يوم ياتي اى الجزاء او اليوم لا كقوله ان تاتيهم الساعة على ان يوم بمعنى حين او الله عز وجل كقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله ونحوه وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة ياتي بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة لا تتكلم نفس اى لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب او شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر او بالانتهاء المحذوف الا باذنه الا باذن الله كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف اخر والماذون فيه هو الجوابات الحقة والممنوع عنه هو الاعذار الباطلة فمنهم شقي وجبت له النار بمقتضى الوعيد وسعيد وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل الموقف وان لم يذكروا لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس او للناس فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق

الزفير اخراج النفس والشهيق ردّه واستعمالهما في اول الشهيق وآخره والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمّهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم **خالدين فيها ما دامت السموات والارض** ليس لارتباط دوامهم في النار بل للتعبير عن التابيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا من زوال السموات والارض زوال عذابهم ولا من دوامهما دوامه الا من قبيل المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات الآخرة وارضها ويدل عليه يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وان اهل الآخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف الا كنه الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجري فيه التشبيه **الا ما شاء ربك** استثناء من الخلود في النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثاني فانهم مفارقون عن الجنة ايام عذابهم فان التابيد من مبداء معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا فلم يكن اذا لم يكن قوله فمنهم شقي وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه ان يكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه لان ذلك الشرط حتى التقسيم لانفصال حقيقي او مانع عن الجمع وههنا المراد ان الموقف لا يخرجون عن القسمين لان حالهم لا يخلو عن الشقاوة والسعادة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين في شخص باعتبارين او لان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله تعالى ولقائه او من اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب لان ظاهره يقتضي ان يكونوا في النار حين ياتي اليوم او مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التاويل يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الا ههنا بمعنى سوى كقولك علي الف الا الفان القديمان والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا اخر لها على مدة بقاء السموات والارض **ان ربك فعال لما يريد** من غير اعتراض **واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ** غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان المراد من الاستثناء في العقاب ليس الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب والعقاب في التابيد وقراء حمزة والكسائي وحفص سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى اسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد اي اعطوا عطاء او الحال من الجنة **فلا تك في مرية** شك **مما يعبد هؤلاء** من عبادة هؤلاء المشركين في انها ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصت عليك سوء عاقبة عبادتهم او من حال ما يعبدونه من انه لا يضر ولا ينفع **ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل** استيناف في معناه التعليل النهي عن المرية اي هم واباؤهم سواء في الشرك اي ما يعبدون عبادة الا كعبادة اسلافهم او ما يعبدونه شيئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان فقد يلحق ما لحق اباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل في الاسباب يقتضي التماثل في المسببات ومعنى كما يعبدون كما كان يعبد اقحذف لدلالة ما قبله عليه **وانا لموفوهم نصيبهم** حظهم من العذاب كاباءهم او من الرزق فيكون عذرا لتاخير العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه **غير منقوص** من النصيب لتقييد

التوفية فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه وهو مجاز ولقد آتينا موسى الكتاب
فاختلف فيه فامن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن ولولا كلمة سبقت من
ربك يعني كلمة الانظار الى يوم القيمة لقضي بينهم بانزال ما يستحقه المبطل لتميز به
عن المحق وانهم اي كفار قومك لفي شك منه من القرآن مريب موقع للريبة وان كلا وان
كل المختلفين المومنين منهم والكافرين والتنوين بدل من المضاف اليه وقراء ابن كثير ونافع
وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام الاولى موطئة
للقسم والثانية للتاكيد وبالعكس وما من زيدت بينهما للفصل وقراء ابن عامر وعاصم وحمزة
لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما فاجتمعت ثلث ميمات فحذفت الوسطى من
والمعنى لمن الذي يوفيهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله اكلا لما
وان كلا لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به انه بما تعملون خبير فلا يفوت شئ عنه
وان خفي عليكم فاستقم كما امرت لما بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب في شرح
الوعد والوعيد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة مثل ما امر بها وهي شاملة
للاستقامة في العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا
من الطرفين والاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما انزل والقيام بوظائف العبادات
من غير تفريط وافراط مفوت للحقوق ونحوها وهي في غاية العسر ولذلك قال عليه
الصلاة والسلام شيبتني سورة هود ومن تاب معك اي من تاب من الشرك والكفر
وامن معك وهو عطف على المستكن في استقم وان لم يوكد بفاصل لقيام الفاصل
مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا احدا منكم انه بما تعملون بصير فهو يجازيكم عليه وهو
في معنى التعليل للامر والنهي وفي الاية دليل على وجوب اتباع المنصوص من غير تصرف
وانحراف بنحو قياس واستحسان ولا ترتكنوا الى الذين ظلموا ولا تميلوا اليهم ادنى ميل
فان الركون هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم واستدامته فتمسكم النار
وهو بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه ما سماه ظلما كذلك فما ظنك بالركون
الى الظالمين اي الموسومين بالظلم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك
فيه ولعل الاية بلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول
ومن معه من المومنين بها للتثبت على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال عنها الى
احد طرفي افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه او غيره بل ظلم في نفسه وقرئ ترتكنوا
فتمسكم بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول من اركنه وما لكم من دون
الله من اولياء من انصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال ثم لا تنصرون اي ثم
لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم ولا ينجي عليكم وثم لاستبعاد نصرهم اياهم وقد
اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون من لا منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد
فانه لما بين ان الله تعالى معذبهم وان غيره لا يقدر على نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون
اصلا واقم الصلاة طرفي النهار غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف
اليه وزلفا من الليل وساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو
جمع زلفة وصلاة الغداة صلاة الصبح لانها اقرب الصلاة من اول النهار وصلاة
العشية العصر وقيل الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب
والعشاء وقرئ زلفا بضمتين كضمة وسكون كبسر وبسر في بسر بمعنى زلفة كقربى
وقربة ان الحسنات يذهبن السيئات يكفرنها وفي الحديث ان الصلاة الى الصلاة كفارة

لما بينهما ما احتنث الكنايين وفي سبب النزول ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
اني قد اصبت من امراة غير اني لم اتها فنزلت ذلك اشارة الى قوله فاستقم فما بعده وقيل
الى القران ذكرى للذاكرين عظة للمتقين واصبر على الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع
اجر المحسنين عدول عن المضمر ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصلاة والصبر
احسان وايماء بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص فلولا كان فهلا كان من القرون من قبلكم
اولو بقية من الراي والعقل او الوافضل وانما سمي بقية لان الرجل يستبقى افضل ما يخرجه
ومنه يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية
اي ذوي ابقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده انه قرئ بقية وهي المرة مصدر
لقاه يبقيه اذا راقبه ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا
منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله اذ لجعل استثناء من النفي اللازم له
للتخصيص واتبع الذين ظلموا ما انعموا فيه ما النعوا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل
اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين كانه اراد ان يبين ما كان
السبب لاستيصال الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك النهي عن المنكر
مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينتهوا عن الفساد واتبع الذين
ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع او اعتراض وقرئ واتبع اي واتبعوا جزاء ما اترفوا فتكون
الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى
بظلم بشرك واهلها مصلحون فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لفرط
رحمته ومسامحته في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد
وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة هم
مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان من كل احد
وان ما اراده يجب وقوعه ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل
لا يكاد يجد اثنين يتفقان مطلقا الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا
على ما هو اصول دين الحق والعمدة فيه ولذلك خلقهم ان كان الضمير للناس فالاشارة
للاختلاف واللام للعاقبة او اليه والى الرحمة واذ كان اسم فاعلى الرحمة وتمت كلمة ربك وعيده
او قوله لملائكة لاملان جهنم من الجنة والناس اي من عصاتهما اجمعين او منهما اجمعين
لا من عصاتهما وكلا اي كل نباء نقص عليك من انباء الرسل نخبرك به ما نثبت به فؤادك
بيان لكلا او بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه
وطمانينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذاء الكفار او مفعول وكلا منصوب
على المصدر بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فؤادك من انباء
الرسل وجاءك في هذه الحق السورة او الانباء المقتصة عليك الحق ما هو حق وموعظة
وذكرى للمؤمنين اشارة الى سائر فوائده العامة وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم
على حالكم التي انتم عليها من قولهم مكانك بمعنى اثبت او تمكن انا عاملون على حالنا وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل علينا نحو
ما نزل على امثالكم ولله غيب السموات والارض خاصة لا يخفى عليه خافية مما فيهما
واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة امرهم وامرك اليه وقراء نافع وحفص يرجع بالبناء
للمفعول فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه
على انه انما ينتفع العابد وما ربك بغافل عما تعملون انتم وهم فيجازي كلا مما يستحقه
وقراء نافع وابن عامر وحفص بالتاء هنا وفي خاتم النمل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا يؤمنون صح

من قراء سورة هود اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وبهود
وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وكان يوم القيمة

سورة يوسف من السعداء ان شاء الله تعالى والله اعلم عليه السلام مكية وهي مائة واحدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك ايات الكتاب المبين تلك اشارة الى ايات السورة الظاهر امرها في الاعجاز او الواضحة
معانيها او المبينة لمن تدبرها انها من عند الله او لليهود ما سألوا اذ روى ان علماءهم
قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لما انتقل الى يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف
فنزلت انا انزلناه اى الكتاب قرانا عربيا سمي البعض قرانا لانه في الاصل اسم جنس
يقع على الكل والبعض فصار علما للكل بالغلبة ونصبه على الحال وهو في نفسه اما موطئة
للحال التي هي عربيا او الحال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفته له او حال من الضمير
فيه او حال بعد حال وفي كل ذلك خلاف لعلكم تعقلون علة لانزاله بهذه الصفة اى
انزلناه قصصا مجموعا او مقروا بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه وتستعملوا فيه ما هو
عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه بذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا بالايحاء
نحن نقص عليك احسن القصص احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب
واحسن ما نقص لاشتماله على العجائب والحكم والايات والعبر فعل بمعنى مفعول
كالنقص والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه بما اوحينا اليك هذا القران
يعني السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر وان
كنت من قبله من الغافلين عن هذه القصة ولم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل
لكونه موحى وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة اذ قال يوسف بدل من احسن القصص
ان جعل نصبه لا بفعل لا بدل الاشتمال او منصوب باضمار اذكر ويوسف عبري ولو كان
عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلقب به لا على انه فعل مضارع بني للمفعول
او للفاعل من اسف لان المشهورة سهدت بحميته لابيه يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم
عليهم الصلاة والسلام وعنه عليه السلام الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن اسحاق
ابن يعقوب بن ابراهيم يا ابت اصله يا ابي عوض على الياء تاء التانيث لتناسبهما في الزيادة
ولذلك قليها هاء في الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض عن حرف
تناسبها وفتحها ابن عامر في كل القران لانها حركة اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف الالف
وابقي الفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابني لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم
اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم يسكن كاصلها لانها
حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها كاكاف الخطاب اني رايت من الرؤيا لا من الرؤية
كقوله لا تقصص رؤياك وقوله هذا تاويل رؤياي احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي
عن جابر رضي الله عنه ان يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد عن
النجوم التي رآهن يوسف فسكت فنزل جبريل فاخبره بذلك فقال ان اخبرتك هل تسلم
قال نعم قال جريان والطارق وذو الكتفين وذيال وقابس وعمودان وفليق والمصبح والضروح
والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف عليه السلام والشمس والقمر نزلن من السماء
فسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها رايتهم لي ساجدين استيناف
ببيان حالهم الذي رآهم عليها وانما اجريت مجرى العقلاء لما وصفها بصفاتهم قال يا بني
تصغير ابن صغره للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن ثنتي عشرة سنة وقرئ حفص هنا

بايحائنا ع

وقاب خ

وفى الصافات بفتح الياء **لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا** فيحتالوا لاهلاكك
حيلة فهم يعقوب عليه السلام من رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف
عليه حسدهم ويعبهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون فى النوم فرق بينهما بحرف التاء
كالقربة والقربى وهى انطباع الصورة المتخيلة من قوى المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة
منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغ من تدبير البدن اذ فى
فراغ فيتصور بما بينهما فيها مما يليق بهما من المعانى الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة
تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك
المعنى بحيث لا يكون الا التفاوت بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت
اليه وانما عدى كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل تعدى به تاكيدا ولذلك
اكد بالمصدر وعلله بقوله **ان الشيطان للانسان عدو مبين** ظاهر العداوة لما فعل بادم
وحوى فلا يالو جهدا فى تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد **وكذلك** اى وكما
اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس **يجتبيك ربك** للنبوة والملك
او لامور عظام والاجتباء من جبيت الشئ اذا خلصته لنفسك **ويعلمك** كلام مبتدا خارج
عن التشبيه فكانه قيل وهو يعلمك **من تاويل الاحاديث** من تعبير الرؤيا لانها احاديث الملك
ان كانت صادقة واحاديث النفس والشيطان ان كانت كاذبة او من تاويل غوامض كتب الله
وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث كاباطيل اسم جمع للباطل **ويتم نعمته عليك** بالنبوة
او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الاخرة **وعلى ال يعقوب** يريد به سائر بنيه ولعل يعقوب استدل
على بنوتهم بضوء الكواكب او تسلمه **كما اتمها على ابويك** بالرسالة وقيل على ابراهيم بالخلة والانجا
من النار وعلى اسحاق بانفداه من الذبح وفدائه بذبح عظيم **من قبل** من قبلك او من قبل هذا
الوقت **ابراهيم واسحاق** عطف بيان لابويك **ان ربك عليم** بمن يستحق الاجتباء **حكيم** يفعل
الاشياء على ما ينبغى **لقد كان فى يوسف واخوته** فى قصصهم **ايات** دلايل قدرة الله وحكمته
او علامات نبوتك وقراء ابن كثير اية **للسائلين** لمن سال عن قصتهم والمراد باخوته علامة العشرة
وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوى وربالون ويشجر ودينة من بنت خالة لما تزوجها
يعقوب اولا فلما توفت تزوج اختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين وقيل جمع بينهما
ولم يكن الجمع محرما حينئذ واربعة اخرون قرماد ودان ويفتالى واشر من سريتين زلفة
وبلهة **اذ قالوا ليوسف واخوه** بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة
من الطرفين **احب الى ابينا منا** وحده لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر
وما يقابله بخلاف اخويه فان الفرق واجب فى المحلى جائز فى المضاف **ونحن عصبة** والحال
انا جماعة اقوياء احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة
فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم **ان ابانا لفى ضلال مبين** لتفضيله المفضول
او لترك التعديل فى المحبة روى انه كان احب اليه لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه
فلما راى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض
له **اقتلوا يوسف** من جملة المحكى بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الامر الا من قال
لا تقتلوه وقيل انما قاله شمعون اودان ورضى به الاخرون **او اطرحوه ارضا** منكورة بعيدة من
العمران وهو معنى تنكيرها او ابهامها ولذلك نصبت كالظروف المبهمة **يخل لكم وجه ابيكم** جواب
الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم فى
محبته احد **وتكونوا** جزم بالعطف على يخل او نصب باضمار ان **من بعده** من بعد يوسف او القراع

من امره او تقتلوا وطرحه **قوما صالحين** تائبين الى الله عما جنيتم او صالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم
وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في امر دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلوّ وجه ابيكم **قال**
قائل منهم يعني يهودا وكان احسنهم فيه رأيا وقيل روبيل **لا تقتلوا يوسف** فان القتل عظيم
والقوه في غيابة الجب في قعره سمّي بها لغيبوبته عن عين الناظر وقراءة نافع في غيابات الجب
في الموضعين كانه كان لذلك الجبّ غيابات وقرئ غيبة وغيابات بالتشديد **يلتقطه** يلتقطه
بعض السيارة بعض الذين يسيرون في الارض **ان كنتم فاعلين** في مشورتكم او ان كنتم على ان
تفعلوا ما تفرقون بينه وبين ابيه **قالوا يا ابانا مالك لا تامنا على يوسف** لم تخافنا عليه **وانا**
له لناصحون ونحن نشفق عليه ونريد له الخير اراد وابه استنزاله عن رايه فحفظه منهم
بما تنسّم من حسدهم والمشهور تامنا باشمام وعن نافع بترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام
لانها من كلمتين وتيمنا بكسر التاء مع الادغام **ارسله معنا غدا** الى الصحراء **نرتع** نتسع في اكل
الفواكه ونحوها من الرتعة وهي الخصب **ونلعب** بالاستباق والانتضال وقراءة ابن كثير
نرتع بكسر العين على انه من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر والياء فيه ونلعب وقراءة الكوفيون
ويعقوب بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ ويرتع من اربع ماشيته ويرتع
بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء **وانا له لحافظون** ان يناله مكروه **قال انى ليحزننى**
ان تذهبوا به لشدة مفارقته على وقلة صبري عنه **واخاف ان ياكله الذيب** لان الارض
كانت مذيبة وقيل راى في المنام ان الذيب قد شدّ على يوسف وكان يحذره وقراءة ورش
وابي عمرو وحمزة اذا وقعت بغير همز همزوا والباقون بالهمز واشتقاقه من تذاءبت الريح اذا
هبت من كل جهة **وانتم عنه غافلون** لاشتغالكم بالرتع واللعب ولعلّه اهتمامكم بحفظه
قالوا لئن اكله الذيب ونحن عصبة اللام موطئة للقسم وجوابه **انا اذا لخاسرون** ضعفا
مغبونون او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والويل وفي نحن للحال **فلما ذهبوا به واجمعوا**
ان يجعلوه في غيابة الجب وعزموا على القائه فيها والبئر البئر المقدس او بئر بارض الاردن
او بئر مصر ومدين او على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب لما محذوف مثل فعلوا به
ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم لما برزوا به الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى
كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهودا يا اما عاهدتموني ان لا تقتلوه فاتوا به
الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به
على ابيهم فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس
والقمر يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها الفوه وكان فيها ماء فسقط ثم اوفى صخرة
كانت فيها فقام عليها يبكي فجاءه جبريل بالوحي كما قال **واوحينا اليه** وكان ابن سبع
عشرة سنة وقيل كان مراهقا اوحي اليه في صغره كما اوحي الى يحيى وعيسى عليهما السلام وفي القصص
ان ابراهيم عليه السلام لما حين القي الى النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل بقميص من حرير الجنة
فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحاق واسحاق الى يعقوب فجعله في تميمة علقها على بيوسف
فاخرجه جبريل والبسه اياه **لتنبئنهم بامرهم هذا** لتحدثنهم بما فعلوا بك **وهم لا يشعرون**
انك يوسف لعلوّ شانك وبعدك عن اذهانهم وطول العهد المغيّر للحلى والهيات وذلك
اشارة الى ما قال لهم بمصر حين خلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بشّرهم بما يؤل
اليه امره انبا سالة وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون متصل بقوله واوحينا اي
اينساه بالوحي وهم لا يشعرون ذلك **وجاءوا اباهم عشاء** اخر النهار وقرئ عشيا وهو
تصغير عشيّ وعشا بالضمّ والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكاء **يبكون** متباكين روي

انه لما سمع بكاءهم فزع وقال مالكم يا بنيّ واين يوسف قالوا يا ابانا انّا ذهبنا نستبق
نتسابق في العدو والرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل
وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذيب وما انت بمؤمن لنا بمصدّق لنا ولو كنا صادقين
لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف وجاؤا على قميصه بدم كذب اى ذى كذب بمعنى
مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو
اى جاؤا كاذبين وكذب بالذال غير المعجمة اى كثيرا وطرى وقيل اصله البياض الخارج على
اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه في موضع النصب على الظرف
اى فوق قميصه او على الحال من الدم ان جوّز تقديمها على المجرور وروى انه لما سمع بخبر يوسف
صاح وسال قميصه واخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال
ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق قميصه عليه ولذلك قال بل سولت لكم
انفسكم امرا اى سهلت لكم وهونت في اعينكم امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء فصبر
جميل اى فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل وفي الحديث الصبر الجميل الذى لا شكوى فيه اى
الى الخلق والله المستعان على ما تصفون على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف وهذه
الجرية كانت قبل استنبائهم ان صح وجاءت سيارة رفقة يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا
قريبا من الجبّ وكان ذلك بعد ثلاثة ايام من الغيابة فيه فارسلوا واردهم الذى يرد الماء
ويستقي لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعي قادلي دلوه فارسلها في الجبّ ليملاءها فتدلى بها يوسف
فلما راه قال يا بشرى هذا غلام نادى البشرى بشارة لنفسه او لقومه كانه قال يا قوم تعالوا
فهذا اوانك وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقراء غير الكوفيين يا بشراى
بالاضافة والمال فتحة الراء حمزة والكسائي وقراء وبين اللفظين وقرئ يا بشرىّ
بالادغام وهو لغة وبشراى بالسكون على قصد الوقف واسروه اى الوارد واصحابه
من سائر الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا دفعة البيت اهل الماء لنبيعهم بمصر وقيل الضمير
لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان ياتيه كل يوم بالطعام فاتاه يوما فلم يجده فيها
فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلام ابق منا فاشتروه منا فاشتروه وسكت
يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال اى اخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه
من ابضاع الناقة ما يقتطع من المال للتجارة والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم
او ضيع اخوة يوسف بايهم واخيهم وشروه وباعوه وفي مرجع الضمير الوجهان او اشتروه
من اخوته بثمن بخس مبخوس لزيفا ونقصانه دراهم بدل من الثمن معدودة قليلة
فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها قيل كان عشرين درهما وقيل اثنين
وعشرين وكانوا فيه في يوسف من الزاهدين الراغبين عنه والضمير فيه وكانوا ان كان
للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بايعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط للشئ
متهاون فيه خايف عن انتزاعه مستعجل في بيعه وان كانوا متبايعين فلانهم اعتقدوا
انه ابق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذى فهو
متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول وقال
الذى اشتراه من مصر هو العزيز الذى كان على خزائن مصر واسمه قطفير او اطفير
وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد امن بيوسف ومات في حياته وقيل
كان فرعون موسى عاش اربعمائة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور
انه من اولاد فرعون يوسف والاية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الاباء روى انه اشتراه

العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان وهو
ابن ثلاثين سنة واداه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن
مائة وعشرين سنة واختلف فيما اشتراه به من جعل ثمراه غير الاول فقيل عشرون دينارا
ونزوجا نعلين وثوبان ابيضان وقيل ونزنة فضة وقيل ذهبا **لامرأته** راعيل او زليخا **اكرمي**
مثواه اجعلي مقامه عندنا كريما اي حسنا والمعنى احسني تعهده **عسى ان ينفعنا** في ضياعنا
واموالنا ونستظهر به في مصالحنا **او نتخذه ولدا** نتبناه وكان عقيما هم به لما تفرس فيه
من الرشد ولذلك قيل افرس الناس ثلاثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت
استاجره وابو بكر حين استخلف عمر **وكذلك مكنا ليوسف في الارض** وكما مكنا محبته
في قلب العزيز او كما مكناه في منزله وكما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكناه فيها **ولنعلمه**
من تاويل الاحاديث عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه اي كان
القصد في انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم معاني كتاب الله
واحكامه فينفذها وتعبير المنامات المنبهة عن الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل
بتدبيرها قبل ان تحل كما فعل بسببه **والله غالب على امره** لا يرد شيء ولا ينازعه فيما يشاء
او على امر يوسف اراد به اخوة يوسف سوءا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده **ولكن اكثر الناس**
لا يعلمون ان الامر كله لله او لطائف صنعه وخفايا لطفه **ولما بلغ اشده** منتهى شبابه
جمعه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبداؤه
بلوغ الحلم **اتيناه حكما** حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس **وعلما** يعني علم
تاويل الاحاديث **وكذلك نجزي المحسنين** تنبيه على انه تعالى انما اتاه ذلك جزاء على احسانه
في عمله واتقانه في عنفوان امره **وراودته التي هو في بيتها عن نفسه** طلبت منه
وتحيلت ان يواقعها من اراد يرود اذا جاء وطلب وذهب لطلب شيء ومنه الرائد **وغلقت الابواب**
قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير او للمبالغة في الايثاق **وقالت هيت لك** اي اقبل وبادر
او تهيات والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح كاين واللام للتبيين كالتي في سقيا لك
وقرا ابن كثير هيت بالضم تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر في رواية بن ذكوان بالفتح وكسر
الهاء كعيط وهي لغة فيه وقراء هشام كذلك الا انه يهمز وقد روي عنه بضم التاء وقرئ هيت
كجير وهيئت كجئت من هاء اي اذا تهيا وعلى هذا فاللام من صلته **قال معاذ الله** اعوذ بالله
معاذا **انه** اي الشان **ربي احسن مثواي** سيدي قطفير احسن تعهدي اذ قال لك في اكرمي
مثواه فاجازوه ان اخونه في اهله وقيل الضمير لله اي انه خالقي واحسن منزلتي بان عطف على قلبه
فلا اعصيه **انه لا يفلح الظالمون** المجازون الحسن بالسيء وقيل الزناة فان الزنا ظلم الزاني
والمزني باهله **ولقد همت به وهم بها** قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشيء قصده
والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بشيء امضاه والمراد به ميل الطبع ومنازعة الشهوة
لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من
يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم او مشارفته لهم كقوله ك قتلته لو لم اخف الله **لولا ان**
راى برهان ربه في قبح الزنا وسوء مغبته مخالطها لسبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز
ان يجعل وهم بها جوابا لولا فانها في حكم ذوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب
محذوف يدل عليه الكلام وقيل راى جبريل وقيل تمثل له يعقوب عاضا على انامله وقيل
قطفير وقيل نودي يا يوسف انت مكتوب في الانبياء وتعمل عمل السفهاء **كذلك** اي مثل ذلك
التثبيت **لنثبت** اه والامر مثل ذلك **لنصرف عنه السوء** خيانة السيد **والفحشاء** الزنى **انه**

المخلصين من عبادنا المخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر في كل القرآن اي الذين اخلصوا دينهم لله واستبقا الباب اي تسابقا الى الباب فحذف الجار او ضمن الفعل معنى الابتداء وذلك ان يوسف قربها ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه من الخروج وقدت قميصه من دبر اجتذبته من ورائه فانقد قميصه والقد الشق طولا والقط الشق عرضا والفيا سيدها وصادفا زوجها لدا الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ايهاما بانها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغيير على يوسف واغراء به انتقاما منه وما نافية او استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن قال هي راودتني عن نفسي طالبتني بالمواطاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضت له من السجن والعذاب ولعلم تكذب عليه لما قاله وشهد شاهد من اهلها قيل ابن عمها وقيل ابن خالها صبي في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة صغارا ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى وانما القى الله الشهادة على لسان اهلها ليكون الزم عليها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين لانه يدل انها قدت قميصه من قدام بالدفع عن نفسها او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته والشرطية محكية على ارادة القول او على ان فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة لانها ادت موادها والجمع بين ان وكان على تاويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره في قولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك فان معناه ان تمنن علي باحسانك امنن عليك باحسانك السابق وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين لمنعهما الصرف وسكون العين فلما راى قميصه قد من دبر قال انه ان قولك ما جزاء من اراد باهلك الا ان السوء او ان هذا الامر من كيدكن من حيلكن والخطاب لها ولامثالها اولسائر النساء ان كيدكن عظيم فان كيد النساء الطف واعلق بالقلب واشد تاثيرا في النفس لانهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس به مصارفة يوسف حذف منه حرف النداء للقريبة وتخفيفه للحديث اعرض عن هذا اكتمه ولا تذكر واستغفري لذنبك يا راعيل انك كنت من الخاطئين من القوم المذنبين من خطأ اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقال نسوة هي اسم لجمع امراة وتاءيثه بهذا الاعتبار غير حقيقي ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيه في المدينة ظرف لقالوا اي اشاعوا الحكاية في مصر او صفة نسوة وكن خمسا زوجة الحاجب والساقي والخباز والسجان وصاحبا الدواب امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز بلسان العرب الملك واصل فتى كقولهم فتيان والفتوة شاذة قد شغفها حبا شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها حبا ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ شغفها من شغف البعير اذا اطلاه بالقطران فاحرقه انا لنراها في ضلال مبين في خطا عن الرشد وبعد عن الصواب فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفى الماكر مكره او قلن ذلك ليرين يوسف اولانها استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين امراة فيهن الخمسة واعتدت لهن متكاء ما يتكين عليه من الوسائد وآتت كل واحدة منهن سكينا حتى يتكين والسكاكين بايديهن فاذا خرج عليهن يبهتهن ويشغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها فيبكين بالحجة او ليهاب يوسف من مكرها اذا خرج وحده على اربعين امراة في ايديهن الخناجر وقيل متكاء طعاما او مجلس الطعام

فانهم كانوا يتكؤن للطعام والشراب تنق فاولذلك نهى عنه ق ل جميل

وظللنا بنعمة واتكاء ... وشربنا الحلال من قلله

وقيل المتكا طعام يحز حزا كان القاطع يتكى عليه بالسكين وقرئ متكا بحذف الهمزة ومتكا باشباع الفتحة كمتراح ومتكا وهو الاترج او ما يقطع من متك الشئ اذا ابتكه ومتكا من تكا يتكى اذا اتكا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفايق وعن النبى صلى الله عليه وسلم رايت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى اتلالاء وجهه على الجدران وقيل اكبرنه بمعنى حضن من اكبرت المراة اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر او ليوسف على حذف اللام اى حضن له من شدة الشوق كما قال ل المتنبى

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع ... فان تحت حاضت فى الخدور العواتق

وقطعن ايديهن جرحنها بالسكاكين من شدة الدهشة وقلن حاش لله تنزيها لله من صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله واصله حاشا كما قراءه ابو عمرو فى الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التنزيه فى باب الاستثنا فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما فى قولك سقيا لك وقرئ حاشا الله وبغير اللام بمعنى براءة الله وحاشا لله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشى الذى هو الناعية وفاعله ضمير يوسف اى صار فى ناحية الله مما يتهم فيه ما هذا بشرا لان هذا الجمال غير معهود للبشر وهو على لغة الحجاز فى اعمال ما عمل ليس لمشاركتها فى نفى الحال وقرئ بشرُ بالرفع على لغة تميم وبشرى اى بعبد مشترى لتميم ان هذا الا ملك كريم فان الجمع بين الجمال الرايق والكمال الفايق والعصمة البالغة من خواص الملايكة اولان جماله فوق جمال البشر ولا يفوقه فيه الا الملك قالت فذلكن الذى لمتننى فيه اى فهو العبد الكنعانى الذى لمتننى فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة المشار اليه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فامتنع طلبا للعصمة اقرت هن حين عرفت انهن يعذرنها كى يعاونها على الاذعر يكته ولين لم يفعل ما امره اعما امر به فحذف الجار واوصل اياه بمعنى موجب امرى والضمير ليوسف ليسجنن وليكونا من الصاغرين الاذلاء من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير من صغر بالضم صغر وقرئ ليكونن وهو يخالف خط المصحف لان النون كتبت فيه بالالف تنسيقا على حكم الوقف وذلك فى الحقيقة لشبهها بالتنوين قال رب السجن وقراء يعقوب بالفتح على المصدر احب الى مما يدعونني اليه اى اثر عندى من مواتاتهن زناء نظرا الى العاقبة وان كان هذا مما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن خوفنه عن مخالفتها وزين له مطاوعتها او دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلى بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به ان يسال الله العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسال الصبر وان لا تصرف عنى كيدهن فى تجنب ذلك الى وتحسينه عندى فى التثبيت على العصمة اصب اليهن امل الى اجابتهن او الى انفسهن يطمع ومقتضى شهوتى والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها وتميل اليها وقرئ اصبب من الصبابة وهى الشوق فاكن من الجاهلين من انسها بارتكاب ما يدعونني اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح او من الذين لا يعلمون ما يعلمون فانهم والجهال سواء فاستجاب له ربه دعاءه الذى تضمنه قوله والا تصرف فصرف عنه كيدهن فثبته

بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان انه هو
السميع لدعاء الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم من بعد ما راوا
الايات ثم ظهر للعزيز واهله من بعد ما راوا من الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة
الصبي وقد القميص وقطع النساء ايديهن واعتصامه عنهن وفاعل وبدا مضمر يفسره
ليسجننه حتى حين وذلك لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما
يكون منه او يحسب الناس انه المجرم فلبث في السجن سبع سنين وقرئ بالتاء على ان
بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم او العزيز ومن يليه وعنى بلغة هذيل ودخل
معه السجن فتيان اى ادخل يوسف السجن واتفق ان ادخل معه حينئذ اخران من
عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما يريدان ان يسماه فقال احدهما يعني
الشرابي اني اراني اى في المنام وهي حكاية حال ماضية اعصر خمرا اى عنبا وسماه بما يؤل
اليه وقال الاخر اى الخباز اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه تنبئنا
بتاويله انا نراك من المحسنين من الذين يحسنون تاويل الرؤيا او من العالمين
وانما قالا ذلك لانهما راياه في السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم او من المحسنين لاهل
السجن فاحسن الينا بتاويل ما رايناه ان كنت تعرف قال لا ياتيكما طعام ترزقانه
الا نبانا كما بتاويله اى بتاويل ما قصصتما علي او بتاويل الطعام يعني بيان ماهيته
وكيفيته فانه يشبه تاويل المشكل كانه اراد ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما
الطريق القويم قبل ان يسعف لهما سالا منه كما هو طريقة الانبياء والنازلين منازلهم
من العلماء في الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة له من الاخبار بالغيب ليدعوهما
على طريقة في الدعوة والتعبير قبل ان ياتيكما ذلكما اى ذلك التاويل مما علمني ربي
بالالهام والوحي وليس من قبيل التكهن والتنجم اني تركت ملة قوم لا يومنون بالله
وهم بالاخرة هم كافرون تعليل لما قبله اى علمني ذلك لاني تركت ملة اولئك
واتبعت ملة اباي ابراهيم واسحاق ويعقوب او كلام مبتدا للتمهيد لدعوتهما واظهار
انه من بيت النبوة لتقوى رغبتهما في الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوز للخاطر
ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم
وتاكيد كفرهم بالاخرة ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله من شيء
اى شيء كان ذلك من فضل الله علينا بالوحي وعلى الناس ببعثتنا لارشادهم وتنبيههم
عليه ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون عنه ولا
ينتهون عنه ومن فضل الله علينا وعليهم نصب الادلة وانزال الايات ولكن اكثرهم
لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلقونها كمن ينكر النعمة ولا يشكرها يا صاحبي
السجن اى يا ساكنيه او يا صاحبي فيه فاضافتهما اليه على الاتساع كقوله يا سارق الليلة
اهل الدار ارباب متفرقون شتى متعددة متساوية الاقدام خير ام الله الواحد المتوحد
في الالوهية القهار الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه غيره ما تعبدون من دونه
خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل
الله بها من سلطان اى في الاشياء باعتبار اسامي اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق
مسمياتها فيها فكانكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على
استحقاقه الالهية عقل ولا نقل الها ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها
ان الحكم في امر العباد ان الامر لله لانه المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد

للكل والمالك لامره امر على لسان انبيائه الا تعبدوا الا اياه التحدث عليه الحج ذلك
الدين القيم الحق وانتم لا تميزون المعوج عن القويم وهذا من التدرج في الدعوة والزام
الحجة بين لهم اولا رجحان التوحيد على اتخاذ الالهة على طريق الخطابة ثم برهن ان ما
تسمونه الهة وتعبدونها لا يستحق العبادة الالهية فان استحقاق العبادة اما
بالذات واما بالغير وكلا الامرين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم
الذي لا يقتضي العقل غيره ولا يرتضي العلم دونه ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيخطؤن
في جهالاتهم يا صاحبي السجن اما احدكما يعني الشرابي فيسقي ربه خمرا كما كان يسقيه
قبل ويعود الى ما كان عليه واما الاخر يريد الخباز فيصلب فتاكل الطير من رأسه
فقالا كذبنا فقال قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي قضي الامر الذي تستفتيان
فيه وهو ما يؤل اليه امركما ولذلك وحده فانهما وان استفتيا في امرين لكنهما ارادا
استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال للذي ظن انه ناج منهما الظان يوسف ان ذكر
ذلك عن اجتهاد وان ذكره عن وحي فهو الناجي الا ان يؤل الظن باليقين اذكرني
عند ربك اذكر حالي عند الملك كي يخلصني فانساه الشيطان ذكر ربه فانسى
الشرابي ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر لملابسته له او على تقدير ذكر اخبار ربه
او انسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغير ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام
رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الحبس
والاستعانة بالعبادة في كشف الشدايد وان كانت محمودة لكنها لا تليق بمنصب الانبياء
فلبث في السجن بضع سنين البضع ما بين الثلاث الى السبع من البضع وهو القطع
وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف لما دنى فرج راى
الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات هزايل فابتلعت الهزايل
السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات وسبعا اخر يابسات
فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها لما
قص من حال البقرات واجرى السمان على المميزة دون المميز لان التمييز بها ووصف
السبع الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف وانه لبيانه الجنس
وقياسه عجف لانه جمع عجفا لكنه حمل على سمان لانه يقتضيه يا ايها الملا افتوني
في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا يا وهي الانتقال
من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي مثاله من الصور وهو المجاوزة
وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبارتها تعبيرا واللام للبيان او لتقوية العامل
فان الفعل اذا اخر عن المفعول ضعفت قوته باللام كاسم الفاعل او لتضمين تعبرون
معنى فعل يعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا قالوا اضغاث
احلام اي هذه اضغاث احلام وتخاليطها جمع ضغث واصله ما جمع من اخلاط
النبات وحزم واستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان
كقولهم فلان يركب الخيل او لتضمنه اشياء مختلفة وما نحن بتاويل الاحلام
بعالمين يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة ليس لها تاويل عندنا وانما
التاويل للمنامات الصادقة وانه مقدمة ثانية للعذر في جهلهم بتاويله وقال
الذي نجا منهما من صاحبي السجن وهو الشرابي وادكر بعد امة وتذكر يوسف
بعد جماعة من الزمان مجتمعة اي مدة طويلة وقرئ امة بكسر الهمزة وهي النعمة

اى بعدما انعم عليه بالنجاة وامة اى نسيان يقال امه يأمه امها اذا نسى والجملة اعتراض وقيل
المقول انا انبئكم بتاويله فارسلون الى من عنده علمه او الى السجن يوسف ايها الصديق
اى فارسل الى يوسف فجاء وقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق وهو المبالغ فى الصدق
لانه جرب احواله وعرف صدقه فى تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه افتنا فى سبع بقرات سمان
ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات اى فى رؤيا ذلك لعلى ارجع
الى الناس اعود الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد وقيل ان السجن لم يكن فيه لعلهم يعلمون
تاويلها او فضلك ومكانك وانما لم يبت الكلام فيها لانه لم يكن جازما على الرجوع فربما
اختزم دونه ولامن عليه علمهم قال تزرعون سبع سنين دابا على عادتكم المستمرة وانتصابه
على الحال بمعنى دائبين او المصدر باضمار فعله اى تدابون دابا وتكون الجملة حالا وقراءة
حفص دابا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب فى العمل وقيل تزرعون امر اخرجه فى صورة
الخبر مبالغة لقوله فما حصدتم فذروه فى سنبله ليلا ياكله السوس وهو على الاول
نصيحة خارجة عن العبارة الا قليلا مما تاكلون فى تلك السنين ثم ياتى من بعد ذلك
سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن اى ياكل اهلهن ما ادخرتم لاجلهن فاسند اليهن على المجاز
تطبيقا بين المعبر والمعبر به الا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذر الزراعة ثم ياتى من بعد
ذلك عام فيه يغاث الناس بمطرون من الغيث او يغاثون من الغوث وفيه يعصرون ما يعصر
كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ حمزة والكسائى يالتاء على تغليب
المستفتى وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبنى للفاعل متعديا
يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا او من اعصرت السحابة عليهم فعدى بنزع الخافض او بتضمنه
معنى المطر وهذه بشارة يشرهم بها بعد ان اول البقرات السمان والسنبلات الخضر سنين
مخصبة والعجاف واليابسات سنين مجدبة وابتلاع السمان العجاف لسمان كل ما جمع فى السنين
المخصبة فى السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحى له او بان انتهاء الجدب بالخصب او بان
السنة الاهلية على ان يوسع على عباده بعد ان ضيق عليهم وقال الملك ايتونى به بعد ما جاء
الرسول بالتعبير قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن ايديهن انما قاله فى
الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص حالهن ليظهر براءة ساحته ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد
ان يتوسل به الى تقبيح امره وفيه دليل على انه ينبغى ان يجتهد فى نفى التهم وتبقى مواقعها وعن النبى
صلى الله عليه وسلم لو كنت مكانه ولبثت فى السجن ما لبثت لاسرعت الاجابة وانما قال فاسأله
ما بال النسوة ولم يقل فاسأله ان يفتش عن حالهن تعريضا له على البحث وتحقيق الحال وانما لم يتعرض
لسيدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة بضم النون ان ربى بكيدهن
عليم حين قلن لئن لم اطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى انه يرد
مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن قال الملك لهن ما خطبكن قال الملك لهن ما شأنكن والخطب امر
يحق ان يخاطب فيه صاحبه اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله تنزيه له وتعجب من
قدرته على خلق عفيف مثله علمنا عليه من سوء من ذنب قالت امرأة العزيز الان حصحص
الحق ثبت واستقر من حصحص البعير اذا القى مباركه لناقة قال

* حصحص فى صم الصفا ثفناته * وناء يسلى ثوءه ثم صمما

او ظهر من حصحص شعره اذا استاصله بحيث ظهر بشرته وقرئ على البناء للمفعول انا راودته عن
نفسه وانه لمن الصادقين فى قوله هى راودتنى عن نفسى ذلك ليعلم قاله يوسف
لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن اى ذلك التثبت ليعلم العزيز انى لم اخنه بالغيب اى

من التحط

نظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اى لم اخنه وانا غائب عنه او هو غائب عنى وظرف
اى بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة وان الله لا يهدى كيد الخائنين لا ينفذه
ولا يسدده او لا يهدى الخائنين لكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل
فى خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه بقوله وما ابرئ نفسى اى ولا انزهها
تنبيها على انه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل لاظهار ما انعم الله عليه من العصمة
والتوفيق وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه لما قال ليعلم انى لم اخنه قال له جبريل ولا
حين همت فقال ذلك ان النفس لامارة بالسوء من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات
فتهتم بها وتستعمل القوى والجوارح فى اثرها كل الاوقات الا ما رحم ربى الا وقت رحمة
ربى او الا ما رحمه الله من النفوس فعصمه عن ذلك وقيل الاستثنا منقطع اى ولكن رحمة
ربى هى التى تصرف الاساءة وقيل الاية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف واضرابه
وعن ابن كثير ونافع بالسوء على قلب الهمزة واوا مع الادغام ان ربى غفور رحيم يغفر هم النفس
ويرحم من يشا بالعصمة او يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ما استغفره ويرحمه ما استرحمه
مما ارتكبه وقال الملك ايتونى به استخلصه لنفسى اجعله خالصا لنفسى فلما كلمه
اى فلما اتى به وكلمه وشاهد منه الرشد والدها قال انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين
مؤتمن على كل شئ روى انه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل
على الملك قال اللهم انى اسالك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وعظمتك وقدرتك من شره
ثم سلم عليه ودعا له بالعبرية فقال ما هذا اللسان قال لسان ابائى وكان الملك يعرف
سبعين لسانا فكلمها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع رؤياى منك فحكاها
ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما راها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل
توفى قطفير فى تلك الليالى فنصبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدها عذرا واولد منها افرائيم
وميشا قال اجعلنى على خزائن الارض ولنى امرها والارض ارض مصر انى حفيظ لها
ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها ولعله عليه الصلاة والسلام لما راى انه يستعمله
فى امر لا محالة اثر ما يعم نفوذ رايه ويجل عوايده وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار
انه مستعد لها والتولى من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل الى اقامة الحق وسياسة الخلق
الا بالاستظهار به وعن مجاهد ان الملك سلم على يده وكذلك مكنا ليوسف فى الارض
ارض مصر يتبوا منها حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى وقرا ابن كثير ننشاء
بالنون نصيب برحمتنا من نشاء فى الدنيا والاخرة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفى اجورهم
عاجلا واجلا ولاجر الاخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون الشرك والفواحش لعظمه
ودوامه وجاء اخوة يوسف روى انه لما استوزره الملك قام العدل واجتهد فى تكثير
الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشام ونواحيها
ولوجه الناس اليه فباعها اولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شئ منها ثم بالحلى والجواهر
ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال
الراى رايك فاعتقهم وردّ عليهم اموالهم وكان قد اصاب كنعان ما اصاب سائر البلاد فارسل
يعقوب بنيه غير بنيامين اليه للميرة فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون اى عرفهم يوسف
ولم يعرفوه لطول العهد وغاربتهم اياه فى سن الحداثة ولنسيانهم اياه ولتوهمهم انه هلك
وبعد حاله التى راوه عليها من حالة الجب فارقوه وقلة تامّلهم فى حلله من التهيب
والاستعظام ولما جهزهم بجهازهم اصلحهم لبعدتهم واوقر ركائبهم بما جاؤا لاجله

والجهاز ما يعدّ من الامتعة للنقلة كالعدد للسفر وما يحمل من بلدة الى اخرى وما يوزف به المراءة الى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر **قال ائتوني باخ لكم من ابيكم** روى انهم لما دخلوا عليه قال من انتم وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبيّ من الانبياء اسمه يعقوب قال فكم انتم قالوا اثنى عشر فذهب احدنا الى البرية فهلك قال فكم انتم ههنا قالوا عشر قال فاين الحادى عشر قالوا عند ابينا يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم قال لا يعرفنا احد ههنا من يشهد لنا فقال فدعوا بعضكم عندى رهينة وائتونى باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصاب سمعون وقيل كان يوسف يعطى لكل نفر حمله فسألوا حملا زائدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان يأتوه به ليعلم صدقهم **الا ترون انى اوفى الكيل** اتمه **وانا خير المنزلين** المضيف والمضيفين لهم وكان احسن انزالهم وضيافتهم **فان لم تاتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون** اى لا تقربون ولا تدخلوا دارى وهو اما نهى او نفى معطوف على الجزاء **قالوا سنراود عنه اباه** سنجتهد فى طلبه من ابيه **وانا لفاعلون** ذلك ولا نتوانى فيه **وقال لفتيته** لغلمانه الكيالين جمع فتى وقراء حمزة والكسائى وحفص لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله **اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم** فانه وكل رجل واحد اى لعلهم فيها بضاعتهم التى اشتروا بها الطعام منهم وكانت نعالا واداما وانما فعل ذلك توسيعا وتفضيلا عليهم وترفعا من ان ياخذ من الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيهم ما يرجعون به **لعلهم يعرفونها** لعلهم يعرفون حق ردها او لكى يعرفوها **اذا انقلبوا الى اهلهم** وفتحوا اوعيتهم **لعلهم يرجعون** لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع **فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل** حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب بنيامين **فارسل معنا اخانا نكتل** برفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج اليه وقراء حمزة والكسائى بالياء على اسناده الى الاخ اى يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالنا **وانا له لحافظون** عن ان ينا له مكروه **قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل** وقد قلتم فى يوسف وانا له لحافظون **فالله خير حافظا** وتوكلى عليه وافوض امرى اليه **وهو ارحم الراحمين** وارجو ان يرحمنى بحفظه ولا يجمع مصيبتين وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا فى قراءة حمزة والكسائى وحفص يحتملهما والحال كقولك لله درّه فارسا وقرئ خير حافظ وخير الحافظين **ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم** وقرئ ردّت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء نقلها فى بيع وقيل **قالوا يا ابانا ما نبغى** ماذا نطلب هل مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا ولا نطلب وراء ذلك احسانا او لا نبغى فى القول ولا نزيد فيما حكينا لك من احسانه وقرئ ما تبتغى اى اى شئ تطلب وراء هذا الاحسان او من الدليل على صدقنا **هذه بضاعتنا ردت الينا** استئنافى موضح لقوله ما نبغى **ونمير اهلنا** معطوف على محذوف اى ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك **ونحفظ اخانا** عن المخاوف فى ذهابنا وايابنا **ونزداد كيل بعير** وسق بعير باستصحابه اياه هذا اذا كانت ما استفهامية فاما اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل ان يكون الجمل معطوفة على ما ينبغى اى لا ينبغى فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ذلك **كيل يسير** اى مكيل قليل لا يكفينا استقلالا ما اكيل لهم فاراد وا ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك او يزدادوا اليه مكيال لاخيهم ويجوز ان تكون الاشارة الى كيل بعير اى ذلك شئ قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل انه من كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شئ يسير لا يخاطر لمثله بالولد **قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله**

حتى تعطوني ما اتوثق به من عهد الله اى عهدا موكدا بذكر اسمه لتاتنني به جواب القسم
اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتاتنني به الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فانه يطلق ذلك
او الا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتاتنني به على
كل حال الا حال الاحاطة بكم او من اعم العلل على ان قوله لتاتنني به فى تاويل النفى اى
لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم كقولهم اقسمت بالله لافعلن اى ما اطلب الا
فعلك فلما اتوه موثقهم عهدهم قال الله على ما نقول من طلب الموثق واتيانه وكيل
رقيب مطلع وقال يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة لانهم
كانوا ذوى جمال وابهة مشتهرين فى مصر بالغربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم
ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا او لعله لم يوصهم بذلك فى الكرة الاولى لانهم كانوا
مجهولين حينئذ والداعى اليها خوفه على بنيامين وللنفس اثار منها العين والذى
يدل على قوله عليه الصلاة والسلام فى عوذته اللهم انى اعوذ بكلمات الله من كل هامة وعين
لامة وما اغنى عنكم من الله من شئ مما قضى عليكم بما اشرت به اليكم فان الحذر لا يمنع
القدر ان الحكم الا لله يصيبكم لا محالة ان قضى عليكم سوء ولا يشفعكم ذلك عليه
توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين فى عطف الجملة على الجملة لتقدم
الصلة للاختصاص كان الواو للعطف والفاء لافادة السبب فان فعل الانبياء سبب
لان يقتدى بهم وما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اى من ابواب متفرقة فى البلد
ما كان يغنى عنهم اى يعقوب واتباعهم له من الله من شئ مما قضاه عليهم كما قال
يعقوب فتفرقوا واخذ بنيامين بوجدان الصواع فى رحله وتضاعفت المصيبة
على يعقوب الا حاجة فى نفس يعقوب استثناء منقطع اى ولكن حاجة فى نفسه
يعنى شفقته عليهم وحرارته من ان يعانوا قضاها اظهارها ووصى بها وانه لذو
علم لما علمناه بالوحى ونصب الحجج ولذلك قال وما اغنى عنكم من الله من شئ ولم يغتر
من تدبير ولكن اكثر الناس لا يعلمون سر القدر وانه لا يغنى عنه الحذر ولما
دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين على الطعام او فى المنزل روى
انه اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقى بنيامين وحده فبكى وقال لو كان اخى يوسف حيا
لجلس معى فاجلسه معه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا اثانى له فيكون
معى فبات عنده وقال له ايحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قالى من يجد اخا مثلك
ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال انى انا اخوك فلا تبتئس فلا تحزن افتعال من البوس
بما كانوا يعملون فى حقنا فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية المشربة فى رحل اخيه
قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت تسقى بها الدواب ويكال فيها وكانت
من فضة وقيل من ذهب وقرئ جعل على حذف الجواب كلما تقدير امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن
مؤذن نادى منادى ايتها العير انكم لسارقون لعله لم يقل تامر يوسف او كان تعبيته
السقاية والنداء عليها برضى بنيامين وقيل بعناه انكم لسارقون يوسف من ابيه او انكم
لسارقون والعير القافلة وهو اسم الابل التى عليها الاحمال لانها تعير اى تتردد فقيل لاصحابها
كقوله عليه الصلاة والسلام يا خيل الله اركبى وقيل جمع عيرة واصله فعل كسقف فعل به ما فعل
ببيض يجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون
اى اى شئ ضاع عنكم والفقد غيبة الشئ عن الحس بحيث لا يدرك مكانه وقرئ تفقدون
من افقدته اذا وجدته فقيدا قالوا نفقد صواع الملك وقرئ صاع وصوع بالفتح

والضم

والضم والعين والعين وصواع من الصياغة ومن جاء به حمل بعير من الطعام جعالة وأنا به زعيم كفيل أو دية إلى من رده وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله تعالى لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين استشهد بعلمهم على براءة أنفسهم لما عرفوا منهم في كرتي مجيئهم ومداخلهم للملك مما يدل على فرط أمانتهم كرد البضاعة التي جعلت في رحالهم وكتم الجواب كيلا تتناول زرعا أو طعاما لأحد قالوا فما جزاؤه فما جزاء السارق أو السرق أو الصواع على حذف المضاف إن كنتم كاذبين في ادعاء البراءة قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه أي جزاء سرقته أخذ من وجد في رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له أو خبر من والفاء لتضمنه معنى الشرط أو جواب لها على أنها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه على إقامة الظاهر فيها مقام الضمير كأنه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو كذلك نجزي الظالمين بالسرقة فبدأ بأوعيتهم فبداء المؤذن وقيل يوسف لأنهم ردوا إلى مصر قبل وعاء أخيه بنيامين نفيا للتهمة ثم استخرجها أي السقاية أو الصواع لأنه يذكر ويؤنث من وعاء أخيه وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كذلك مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف بأن علمناه إياه أو أوحينا به إليه ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك ملك مصر لأن دينه الضرب وتغريم الضعف ما أخذه دون الاسترقاق وهو بيان للكيد إلا أن يشاء الله أن يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من أعم الأحوال ويجوز أن يكون منقطعا أي لكن أخذه بمشيئة الله وإذنه نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجته وفوق كل ذي علم عليم أرفع درجة منه واحتج به من زعم أنه تعالى عالم بذاته إذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو علم والجواب أن كل ذي علم من الخلق لأن الكلام فيهم ولأن العليم هو الله تعالى ومعناه الذي له العلم البالغ غاية ولأنه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل يعنون يوسف قيل ورثت عمته من أبيها منطقة إبراهيم وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب أراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه ثم أظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت تحزموا عليه فصارت أحق به في حكمهم وقيل كان لبني أمه صنم فسرقه وكسره والقاه في الخيف وقيل كان في البيت عناق أو دجاجة فأعطى السائل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم أي الكلمة أو لم يظهرها لهم والضمير للاجابة أو المقالة أو نسبة السرقة إليه وقيل إنها كناية بشريطة التفسير ويفسرها قوله قال أنتم شر مكانا فإنه بدل من أسرها والمعنى قال في نفسه أنتم شر مكانا أي منزلة في السرقة لسرقتكم أخاكم أو في سوء الصنيع بما فعلتم عليه وتأنيثها باعتبار الكلمة أو الجملة وفيه نظر إذ الجملة المفسرة لا تكون الا ضمير الشأن والله أعلم بما تصفون وهو يعلم أن الأمر ليس كما تصفون قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا في السن والقدر ذكروا له حالة استعطافا له عليه فخذ أحدنا مكانه بدله فإن إباه يتسلى على فقد الهالك مستأنس بهذا نراك من المحسنين إلينا فأتم إحسانك ومن المتعودين الإحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده فإن أخذ غيره ظلم على قولكم فلو أخذ أحدكم مكانه أنا إذا لظالمون في مذهبكم هذا وإن مرادنا أن الله تعالى أذن لنا أن أخذ من وجدنا الصاع في رحله لمصلحة فرضاه علينا فلو أخذت غيره كنت ظالما فلما استيأسوا منه يئسوا من يوسف وأجابته إياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة وعن البزي واستايسوا بالألف وفتح الياء من غير همزة وإذا وقف

يجوز في الجعل الركان المذكوران وهو ما يجعل للشخص على عمله ه

يقال كعم البعير كمنع فهو مكعوم وكعيم إذا شد فاه لئلا يعض أو يأكل ه

نفج العنز وهي الأنثى من أولاد المعز ه

الكلان أي حزين عليه لفقده ه

حمزة التي حركة الهمز على الياء على اصله **خلصوا** انفردوا واعتزلوا **نجيا** متناجين وانما وحده لانه مصدر او بزنة كما قيل هم صديق وجمعه بجمعه كندىّ وانديّة **قال كبيرهم** في السن وهو روبيل او في الراى وهو شمعون وقيل يهوذا **الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله** عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا منه لانه باذن منه وتاكيد من جهته **ومن قبل** ومن قبل هذا **ما فرطتم في يوسف** قصرتم في شانه وما مزيدة ويجوز ان تكون مصدرية في موضع النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا يمنع بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف او على اسم ان وخبره في يوسف ومن قبل او الرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل اذا كان خبرا او صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وان تكون موصولة اى ما فرطتموه بمعنى ما قد متموه في حقه من الخيانة ومحله ما تقدم **فلن ابرح الارض** فلن افارق ارض مصر **حتى ياذن لي ابي** في الرجوع اليه **او يحكم الله لي** ويقضي لي بالخروج منها او بخلاص لخي منها او بالمقاتلة معهم لتخليصه روى انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك لتتركنا او لاصيحن صيحة تضع منها الحوامل ووقفت شعور جسدي فخرجت من ثيابه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه وكانوا ان بنو يعقوب اذا غضب احدهم مس الاخر ذهب غيظه فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد لبزرا من بزر يعقوب **وهو خير الحاكمين** لان حكمه لا يكون الا بالحق **ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق** على ما شهدنا من ظاهر الامر وقرئ سرّق اى نسب الى السرقة **وما شهدنا** عليه **الا بما علمنا** بان راينا الصواع استخرج من وعاءه **وما كنا للغيب** لباطن الحال **حافظين** فلا ندري انه سرق او سرق ودس الصاع في رحله وما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انك تصاب به كما اصبت بيوسف **واسال القرية التي كنا فيها** يعني مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسئلهم عن القصة **والعير التي اقبلنا فيها** واصحاب العير التي توجهنا فيهم فكنا معهم **وانا لصادقون** تاكيد في محل القسم **قال بل سولت** اى فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت اى زينت وسهلت **لكم انفسكم امرا** اردتموه فقرر تموه والا فما ادرى الملك ان السارق يوخذ بسرقته **فصبر جميل** فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل **عسى الله ان ياتيني بهم جميعا** بيوسف وبنيامين واخيهما الذي توقف بمصر **انه هو العليم** بحالي وحالهم **الحكيم** في تدبيره **وتولى عنهم** واعرض عنهم كراهة لما صادف منهم **وقال يا اسفا على يوسف** اى يا اسفي تعال فهذا اوانك والاسف اشد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما تاسف على يوسف دون اخويه والحادث رزاهما لان رزاه كان قاعدة المصيبات وكان غضا اخذ بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحياتهما دون حياتهم وفي الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد صلى الله عليه وسلم الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصاب لم يسترجع وقال يا اسفى **وابيضت عيناه من الحزن** لكثرة بكايه من الحزن كان العبرة محقت سوادها وقيل ضعف بصره وقيل عمي وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التاسف والبكاء عند التفجع ولعل السؤال عن ذلك لا يدخل تحت التكليف لانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولد ابراهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون **فهو كظيم** مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شد على ملية او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا جرعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه **قالوا تالله تفتؤا تذكر يوسف** اى لا تزال تفتو ولا تنزال تذكره فحذف لا كما في قوله

فقلت يمين الله ابرح قاعدا، لانه لا يلتبس بالاثبات لان القسم اذا لم يكن معه علامة على الاثبات
كان على النفي حتى تكون عرضا مريضا مشرفا على الهلاك وقيل الحرض الذي ادابهم او مرض
وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يثنى ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ به
وبضمتين كجنب او تكون من الهالكين من الميتين قال انما اشكو بثي وحزني بمعنى همي الذي لا اقدر
الصبر عليه من البث بمعنى النشر الى الله لا الى احد منكم ومن غيركم تخلوني وشكايتي واعلم من الله
من صنعته ورحمته وانه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجي اليه ما لا تعلمون او من الله بنوع من
الالهام ما لا تعلمون من حيوة يوسف قيل راى ملك الموت في المنام فساله عنه فقال هو حي وقيل
علم من رؤيا يوسف انه لا يموت حتى يخر له اخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه
فتعرفوا امرهما وتفحصوا عن حالهما والتحسس طلب الاحساس ولا تيأسوا من روح الله ولا تقنطوا
من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله اي من رحمته التي تحيى بها العباد انه لا ييأس من روح الله
الا القوم الكافرون بالله وصفاته فان العارف لا يقنط من رحمة في شيء من الاحوال فلما دخلوا
عليه قالوا يا ايها العزيز بعدما رجعوا الى مصر رجعة ثانية مسنا واهلنا الضر شدة الجوع
وجئنا ببضاعة من جاة ردية او قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه
تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوف وقيل صوفا او سمنا وقيل الصنوبر والحبة الخضراء
وقيل الاقط وسويق المقل فاوف لنا الكيل واتم لنا الكيل وتصدق علينا برد اخينا او بالمسامحة
وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها واختلف في ان حرمة الصدقة تعم الانبياء او تختص
بنبينا عليه الصلاة والسلام ان الله يجزي المتصدقين احسن الجزاء والمتصدق المتفضل مطلقا
ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في القصر هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته
لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اي هل علمتم
قبحه فتبتم عنه وفعلتم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بخفر
وذلة اذ انتم جاهلون قبحه فلذلك اقدمتم عليه او عاقبته وانما قال ذلك تنصحا لهم وتحريضا
على التوبة وشفقة عليهم لما راى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتابا يعقوب
في خلاص بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان
فعلهم كان فعل الجهال او لانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين قالوا ائنك لانت يوسف استفهام
تقرير ولذلك حقق بان واللام عليه وقرا ابن كثير على الايجاب قيل عرفوه برؤيته وشمائله حين كلمهم
وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن راسه فراوا علامة في قرنه تشبه الشامة البيضاء
وكانت لسارة وليعقوب مثلها قال انا يوسف وهذا اخي من ابي وامي ذكره تعريفا لنفسه به وتفخيما
لشانه وادخالا له في قوله قد من الله علينا اي بالسلامة والكرامة انه من يتق اي يتق الله ويصبر
على البليات او على الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين وضع المحسنين موضع
الضمير للتنبيه على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر قالوا تالله لقد اثرك الله علينا
اختارك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة وان كنا لخاطئين والحال ان شاننا انا كنا مذنبين
بما فعلنا معك قال لا تثريب عليكم لا اثيبكم بفعلكم من الثرب وهو الشحم الذي يغشى الكرش
للازالة كالمجلد فاستعير للتعريض الذي يمزق العرق ويذهب ماء الوجه اليوم متعلق بالتثريب
او بالمقدر الخبر الواقع خبر لا التثريب والمعنى لا اثرب عليكم اليوم الذي هو في مظنته فما بالكم في سائر
الايام او بقوله يغفر الله لكم لا نصفح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا بها وهو ارحم الراحمين
فانه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب ومن كرم يوسف انه لما عرفوه ارسلوا اليه
وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشي الى الطعام ونحن نستحي منك لما فرط منا فيك فقال

تمامه ولو قطعوا راسي لديك واوصالي

وهي كما قال في البحر المنسق ٥

ان اهل مصر كانوا ينظرون الى البعير الاول ويقولون سبحان من باع عبدا ابيع بعشرين درهما
ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي وانا من حفدة ابراهيم عليه السلام
اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان عليه وقيل القميص المتوارث الذي كان في التعويذ
فالقوه على وجه ابي يات بصيرا يرجع بصيرا اي ذا بصر وائتوني باهلكم اجمعين بنسائكم
وذراريكم ومواليكم ولما فصلت العير من مصر وخرجت من عمرانها قال ابوهم
لمن حضره انى لاجد ريح يوسف وجده الله ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين اقبل به اليه يهوذا
من ثمانين فرسخا لولا ان تفندون تنسبوني الى الفند وهو نقصان العقل يحدث من
من الهرم ولذلك لا يقال لمجنون مفند لان نقصان عقلها ذاتي وجواب لولا محذوف تقديره
لصدقتموني او لقلت انه قريب قالوا اى الحاضرون انك لفي ضلالك القديم لفرط هيامك
عن الصواب قدما بالافراط في محبة يوسف والخلط وكثار ذكره والتوقع للقائه فلما ان
جاء البشير يهوذا روى انه قال كما احزنته بحمل القميص الملطخ بالدم فافرحه بحمل هذا القاه
على وجهه طرح البشير القميص على وجه يعقوب او يعقوب نفسه فارتد بصيرا عاد بصيرا
لما انتعش فيه من القوة قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حيوة يوسف وانزال
الفرج وقيل اني اعلم كلام مبتدا والمقول لا نيأسوا من روح الله اوانى لاجد ريح يوسف قالوا
يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسال له
المغفرة قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم اخره الى السحر او الى صلاة الليل او الى
ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة او الى ان يستحلهم من يوسف او يعلم انه عفى عنهم فان عفو المظلوم
شرط المغفرة ويؤيده ما روى انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا
خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل جبريل وقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعفا عنهم لاجلك
بعدك على النبوة وهو ان صح فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استيناسهم فلما
دخلوا على يوسف روى انه وجه اليه ورحل وامر ان لا يتخلف اليه بمن معه واستقبله يوسف
والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامراة وكانوا
حين خرجوا مع موسى ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى
اوى اليه ابويه ضم اليه اباه وخالته لام واعتنقهما نزلها منزلة الام منزلة العم في قوله والد
ابائك ابراهيم واسحاق ويعقوب تزوجها بعد امه والربيبة تدعى اما وقال ادخلوا مصر
ان شاء الله امنين من القحط واصناف المكاره والمشيئة متعلقة بالدخول المكيف بالامن
والدخول الاول كان في موضع خارج البلد حين استقبلهم ورفع ابويه على العرش وعرش الله
سجدا تحية وتكرمة له فان السجود عندهم كان يجري مجراها وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله
شكرا وقيل الضمير لله والواو لابويه واخوته والرفع مؤخر عن الجزاء وان قدم لفظا للاهتمام
بتعظيمهما وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل التي رايتها ايام الصبا قد جعلها ربي
حقا صادقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن ولم يذكر الجب ليلا يكون تثريبا عليهم وجاء
بكم من البدو من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشي واهل البدو ومن بعد ان نزغ الشيطان
بيني وبين اخوتي افسد بيننا وحرش من نزغ الرائض الدابة اذا نخسها وحملها على الجري
ان ربي لطيف لما يشاء لطيف التدبير له اذ ما من صعب الا وينفذ فيه مشيئته ويتسهل
دونها انه هو العليم بوجوه المصالح والتدبير الحكيم الذي يفعل كل شيء في وقت على وجه
يقتضي الحكمة روى ان يوسف طاف بابيه في خزائنه فلما ادخله خزانة القراطيس قال يا بني
ما اغفلك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبريل ان لا

انتم ع

اعقد ع

اوا

اوما تسأله قال انت ابسط منى اليه فسأله فقال جبريل الله تعالى امرنى بذلك لقولك انى اخاف
ان يأكله الذيب قال فهلا خفتنى رب قد اتيتنى من الملك بعض الملك وهو ملك مصر
وعلمتنى من تاويل الاحاديث الكتب والرؤيا ومن ايضا للتبعيض لانه لم يؤت كل التاويل
فاطر السموات والارض مبتدءهما وانتصابه على انه صفة المنادى او منادى برأسه انت
وليى ناصرى او متولى امرى فى الدنيا والاخرة اى الذى يتولانى بالنعمة فيهما توفنى مسلما اقبضنى
والحقنى بالصالحين من اباءى وبمامة الصلحين فى الرتبة والكرامة روى ان يعقوب
اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم توفى واوصان يدفن بالشام الى جنب ابيه اسحاق فذهب به
ودفنه ثمه وعاد وعاش بعده ثلاثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت
فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر فى مدفنه حتى هموا بالقتال فرأوا ان يجعلوه فى صندوق
من مرمر ويدفنوه فى النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكون نثر عافيه ثم نقله موسى
الى مدفن اباءه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل افرائيم وميشا وهو
جد يوشع بن نون ورحمة امراءة ايوب ذلك اشارة الى ما ذكر من نباء يوسف والخطاب
فيه للرسول وهو مبتدا من انباء الغيب نوحيه اليك خبران له وما كنت لديهم فاجمعوا
امرهم وهم يمكرون كالدليل عليهما والمعنى ان هذا النباء غيب لم تعرفه الا بالوحى لانك لم تحضر
اخوة يوسف حين عزموا على ما هموا به من ان يجعلوه فى غيابة الجب وهم يمكرون به وبابيه
ليرسله معهم ومن المعلوم الذى لا يخفى على مكذبيك انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمته
منه وانما حذف فى هذا الشق استغناء بذكره فى غيره هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها انت
ولا قومك من قبل هذا وما اكثر الناس ولو حرصت على ايمانهم وبالغت فى اظهار الايات
عليهم بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسالهم عليه على الانباء او على القران
من اجر جعل كما يفعله جملة الاخبار ان هو الا ذكر عظة للعالمين عامة وكاين من اية
وكم من اية والمعنى وكاى عدد ثبت من الدلايل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال
قدرته وتوحيده فى السموت والارض يمرون عليها على الايات ويشاهدونها وهم عنها
معرضون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدا خبره
يمرون فيكون لها الضمير فى عليها وبالنصب على ويطئون الارض وقرئ والارض يمشون
عليها اى يترددون فيها فيرون اثار الامم الهالكة وما يؤمن اكثرهم بالله فى اقرارهم
بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادة غيره او باتخاذ الاحبار اربابا وبنسبة
النبى اليه او القول بالنور والظلمة او النظر الى الاسباب وتخويدها وقيل الاية فى مشركى
مكة وقيل فى المنافقين وقيل فى اهل الكتاب افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله
عقوبة تغشاهم وتشملهم او تاتيهم الساعة بغتة فجاءة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون
باتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلى يعنى الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك
فسر السبيل بقوله ادعو الى الله وقيل هو حال من الباء على بصيرة بيان وحجة واضحة
غير عمياء انا تاكيد للمستتر فى الدعو على بصيرة لانه حال منه او مبتدا خبره على بصيرة ومن
اتبعنى عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين وانزهه تنزيها من الشركاء وما
ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه نفى استنباء
النساء يوحى اليهم كما اوحى اليك وتميز وابتدئ عن غيرهم وقراء حفص نوحى فى كل القران
ووافقه حمزة والكساءى فى الحرف الثانى فى سورة الانبياء وعمرة والكساءى يميلانها على اصلها
منا وفى النحل والاول من من الابنيا من اهل القرى لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو افلم

يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا
تكذيبك او من المشغوفين بالدنيا المنهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الآخرة ولدار الحال
او الساعة او الحياة الآخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي افلا يعقلون فيستعملوا
عقولهم ليعرفوا انها خير وقراء نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلي اي
قل لهم افلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل غاية لمحذوف دل عليه الكلام اي لا يغرنهم تمادي
ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى اذا يئس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او عن ايمانهم لانهماكهم
في الكفر مترصين فهين متمادين فيه من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم
حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبتهم العقوبة بعد الايمان وقيل الضمير للرسل اليهم اي وظن
المرسل اليهم ان المرسل قد كذبوهم بالعقوبة والوعيد وقيل الاول للمرسل اليهم والثاني للرسل
اي وظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعدهم من النصر وخلط الامر عليهم وبما روي
عن ابن عباس ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما
يهجس في القلب على طريق الوسوسة هذا وان المراد به المبالغة في التراخي والامهال على
سبيل التمثيل وقراء غير الكوفيين بالتشديد اي وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما وعدوهم
وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اي وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما رأوا فيهم
عنهم ولم يروا لهم اثر جاءهم نصرنا فنجي من نشاء النبي والمؤمنين وانما يعينهم للدلالة
على انهم الذين يستاهلون ان يشاء نجاتهم لا ليشاركهم فيه غيرهم وقراء ابن عامر وعاصم ويعقوب
على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرئ فنجا ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين اذا نزل بهم
وفيه بيان المستثنين لقد كان في قصصهم في قصص الانبياء واممهم او في قصة يوسف
واخوته عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبراة عن شوائب الالف والركون الى الحس
ما كان حديثا يفترى ما كان القرآن حديثا مفترى ولكن تصديق الذي بين يديه
من الكتب الالهية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وله سند من
القرآن بوسط او غير وسط وهدى من الضلال ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون
يصدقون وعن النبي صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم
تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما
والله اعلم

سورة الرعد مدنية وقيل مكية الا قوله ولا يزال الذين كفروا الآية او الخمس وهي اربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر قيل معناه انا الله اعلم وارى تلك اشارة الى آيات السورة الكاملة او القرآن آيات الكتاب يعني بالكتاب السورة وتلك اشارة
الى آياتها اي آيات السورة الكاملة او القرآن والذي انزل اليك من ربك وهو القرآن كله
ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص او احدى الصفتين على الاخرى او الرفع بالابتداء
وخبره الحق والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه
حقا فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه
ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لاخلالهم بالنظر والتأمل فيه الله الذي رفع السموات مبتدأ
وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفته والخبر يدبر الامر بغير عمد اساطين جمع عماد كاهاب
واهب او عمود كاديم وادم وقرئ عمد كسقف وسقف ترونها صفة لعمد او استيناف للاستشهاد
برؤيتهم السموات كذلك ولهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام
المساوية لها في حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد وان يكون بمخصص

ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر
من الايات ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير وسخر الشمس والقمر ذللهما لما اراد
منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة ينفع وحدوث الكائنات وبقائها كل يجري لاجل
مسمى لمدة معينة يتم فيها دوران او لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهي اذا الشمس
كورت واذا النجوم انكدرت يدبر الامر امر ملكوته من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير
ذلك يفصل الايات ينزلها ويبينها مفصلة او يحدث الدلايل واحدا بعد واحد لعلكم بلقاء ربكم
توقنون لكي تتفكروا فيها وتحفظوا فيها كمال قدرته فتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشياء
وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء وهو الذي مد الارض بسطها طولا وعرضا ليثبت عليها الاقدام
وينقلب عليها الحيوان وجعل فيها رواسي جبالا اثوابت من رسى الشيء اذا ثبت جمع راسية والتاء
للتانيث على انها صفة اجبل او للمبالغة وانهارا اضافها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث
ان الجبال سبب لتولدها ومن كل الثمرات متعلق بقوله جعل فيها زوجين اثنين اي وجعل
فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير
يغشى الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعدما كان مضيئا وقرا عمزة والكسائي ويعقوب
يغشى بالتشديد ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فيها فان تكونها وتخصصها بوجه دون
وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيا اسبابها وفي الارض قطع متجاورات بعضها
طيبة وبعضها يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على
وجه دون وجه لم تكن كذلك لاشتراك تلك القطع في الطبيعة الارضية وما يلزمها ويعرضها
بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة متشاركة في النسب والاوضاع
وجنات من اعناب وزرع ونخيل وبساتين فيها انواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه
مصدر في الاصل وقراء ابن كثير وابو بكر ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفا على وجنات
صنوان نخلات اصلها واحد وغير صنوان متفرقات مختلفة بالاصول وقراء حفص بالضم
وهو لغة تميم كقنوان في جمع قنو يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل في الثمر
شكلا وقدرا وريحا وطعما وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول
والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر مختار وقراء ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير
على تاويل ما ذكر وحمزة والكسائي ينفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الامر ان في ذلك لايات لقوم
يعقلون فيستدلون عقولهم بالتفكر وان تعجب يا محمد من انكارهم البعث فعجب قولهم حقيق
بان يتعجب منه فان من قدر على انشاء ما قص عليك كانت الاعادة ايسر عليه والايات المعدودة
كما هي دالة على وجود المبدئ فهي دالة على وجود الاعادة من حيث انها تدل على كمال علمه وقدرته
وقبول المواد لانواع تصرفاته ائذا كنا ترابا ائنا لفي خلق جديد بدل من قولهم او مفعول
له والعامل فيه اذا المحذوف دل عليه ائنا لفي خلق اولئك الذين كفروا بربهم لانهم كفروا بقدرته على
البعث واولئك الاغلال في اعناقهم مقيدون بالضلال لا يرجى خلاصهم او يغلون يوم القيمة
واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل للتخصيص الخلود
بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل العافية وذلك انهم استعجلوا ما
هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء به وقد خلت من قبلهم المثلات عقوبات امثالهم من المكذبين
فما لهم لم يعتبروا بها ولم يحجزوا حلول مثلها عليهم والمثلة بضم الثاء وفتحها كالصدقة والصدقة
العقوبة لانها تمثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص وامثلت الرجل من صاحبه اذا اقتصصت منه
وقرئ المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع

والمثلات بفتح الثاء على انها جمع مثلة كركبة وركبات **وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم** مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد به يجوز دليل جواز العفو قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر او اول المغفرة بالستر والامهال **وان ربك لشديد العقاب** للكفار او لمن يشاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ احد العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد **ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه** لعدم اعتدادهم بالايات المنزلة عليه واقتراحا لنحو ما اتى موسى وعيسى **انما انت منذر** مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك **ولكل قوم هاد** نبي مخصوص من بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب او قادر على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته بما ينزل من الايات ثم اورد في ذلك ما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها على انه تعالى قادر على انزال ما اقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانه قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم بسبق قضائه عليهم بالكفر فقال **الله يعلم ما تحمل كل انثى** اي حملها او ما تحمله وانه على اي حال هو من الاحوال الحاضرة والمترقبة **وما تغيض الارحام وما تزداد** وما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد واقصى مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك وسنتان عند ابي حنيفة روي ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان لاربع سنين والى عدده لاحد له وقيل نهايته ما عرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة وقال الشافعي اخبرني شيخ باليمن ان امرأته ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازديادها وغاض جاء متعديا ولازما ولذا ازداد قال الله تعالى وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين تعين ما ان تكون مصدرية واسنادهما الى الارحام على المجاز فانهما لله او لما فيها **وكل شيء عنده بمقدار** بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر فانه تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيأ له اسبابا مسوقة اليه يقضي ذلك وقراءة ابن كثير هاد ووال وواق وما عند الله باق بالتنوين في الوصل واذا وقف وقف بالياء في هذه الاربعة الاحرف حيث وقعت لاغير والباقون يصلون بالتنوين ويقفون بغير ياء **عالم الغيب** الغائب عن الحس **والشهادة** الحاضر له **الكبير** العظيم الشان **المتعال** الذي لا يبرح عن علمه شيء المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه **سواء منكم من اسر القول** في نفسه **ومن جهر به** لغيره **ومن هو مستخف بالليل** طالب للخفاء في مختبأ من الليل **وسارب بالنهار** بارز يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز وهو عطف على من او مستخف على ان من في معنى الاثنين كقوله تكن مثلي من باذيء يصطحبان كانه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والاية متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله له لمن اسر او جهر او استخفى او سرب **معقبات** ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقبه مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون افعاله واقواله فيكتبونه او اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب ومعقبة على تعويض الياء من حذف احدى القافين **من بين يديه ومن خلفه** من جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر **يحفظونه من امر الله** من باس مني اذنب بالاستهلاك والاستغفار له او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية للمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة

حول السلطان يحفظونه فى توهم من قضاء الله ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى
يغيروا ما بانفسهم ما من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد
له فلا رد له والعامل فى اذا ما دل على الجواب وما لهم من دونه من الله من والٍ من يلى
امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف مراد الله محال هو الذى يريكم البرق خوفا
من اذاه وطمعا فى الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف اى ارادة خوف وطمع او التاويل
بالاخافة والاطماع او الحال من البرق او المخاطبين على اضمار ذوى او وطلاق المصدر بمعنى المفعول
او الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه وينشئ السحاب الغيم
المنسحب فى الهوى الثقال وهو جمع لقيلة وانما وصف به السحاب لانه اسم جنس يجمع فى معنى
الجمع ويسبح الرعد ويسبح سامعوه بحمده ملتبسين فيه فيضجون بسبحان الله والحمد لله
او يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله
ونزول رحمته وعن ابن عباس رضى الله عنهما سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الرعد
فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب والملائكة من خيفته
من خوف الله واجلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه
وهم يجادلون فى الله حيث يكذبون رسول الله فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد
بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدد فى الخصومة من الجدل وهو الفتل
والواو اما للعطف الجملة على الجملة او للحال فانه روى ان عامر بن الطفيل وارْبَد بن ربيعة
اخا لبيد وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدين لقتله فاخذ عامر بالمجادلة ودار
اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على
اربد صاعقة فقتله ورمى عامرا بغدة فمات فى بيت سلولية وكانت يقول غدة كغدة
البعير وموت فى بيت سلولية فنزلت وهو شديد المحال المماحلة والمكايدة لاعدائه من
محل بفلان اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه محل اذا تكلف فى استعمال الحيلة ولعل اصله المحل
بمعنى المحط وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل على غير
قياس وبعضهم انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون
بمعنى العقاب فيكون مثلا فى القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساة احد له دعوة
الحق الدعاء الحق قائم الذى يحق ان يعبد او يدعى الى عبادته دون غيره او له الدعوة المجابة فان
من دعاه اجاب ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل واضافة الدعوة اليه
لما بينهما من الملابسة او على تاويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة
الحق والمراد بالجملتين ان كانت الاية فى عامر واربد ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من
الله واجابة لدعوة رسوله او دلالة على انه على الحق وان كانت عامة فالمراد تمثيل وعيد الكفرة
على مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محالة بهم وتهديدهم باجابة دعاء الرسول عليهم
او بيان ضلالهم وفسادرايهم والذين يدعون اى والاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف
الراجع او والمشركون الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول للدلالة من دونه عليه لا يستجيبون
لهم بشئ من الطلبات الا كاستجابة كباسط كفيه الاستجابة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء ليبلغ
فاه يطلب منه ان يبلغه وما هو ببالغه لانه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته
والاتيان بغير ما حيل عليه وكذلك حالهم وقد شبههم فى قلة جدوى دعائهم لها بمن بغترف
الماء ليشربه وقرئ تدعون بالتاء وباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين الا فى ضلال فى
ضياع وخسار وباطل ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها يحتمل ان يكون السجود

مخاريق جمع مخراق وهو فى الاصل ثوب يلف ويضرب الصبيان بعضهم بعضا وهى الة يتخيل بها الملائكة السحاب ويسوقه ٩

الغدة قرحة تهيج فى الطاعون ٩

على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين حالتي الشدة والرخاء والكفرة له كرها
حالة الشدة والضرورة وظلالهم بالعرض وان يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده فيهم شاؤا
اوكرهوا او انقياد ظلالهم لتصريفه اياها والتقلص وانتصاب لطوعا وكرها بالحال او العلة وقوله
بالغدو والآصال ظرف للسجود والمراد بهما الدوام او حال من الظلال وتخصيص الوقتين لان
الامتداد والتقلص ظهر فيهما والغدو جمع غداة كقنى وقناة والآصال جمع اصيل وهو ما بين
العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويوضعه انه قرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل
قل من رب السموات والارض خالقهما ومتولي امرهما قل الله اجب عنهما بذلك اذ لا جواب
لهم سواه ولانه البين الذي لا يمكن المراقبة او لقنهم الجواب به ثم قل افاتخذتم من دونه
الزاما بذلك لان اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا
ولا ضرا لا يقدرون ان يجلبوا لها نفعا او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير
ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رايهم في اتخاذهم اولياء جاء ان يشفعوا لهم
قل هل يستوي الاعمى والبصير المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموحد العالم
بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على احوالكم ام هل تستوي الظلمات والنور
الشرك والتوحيد وقراء حمزة والكسائي وابو بكر بالياء ام جعلوا لله شركاء بل اجعلوا لله
والهمزة للانكار وقوله خلقوا كخلقه صفة لشركاء داخلة في حكم الانكار فتشابه الخلق
عليهم خلق الله وخلقهم والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه
عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحق العبادة كما استحقها ولكنهم
اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق قل
الله خالق كل شيء لا خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولا زم
استحقاقها بانتفاء من سواه ليدل على قوله وهو الله الواحد المتوحد بالالوهية القهار
الغالب على كل شيء انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء نفسها فان المبادي
منه فسالت اودية انهارا جمع واد وهو الموضع الذي يسيل منه الماء فيه بكثرة فاتسع فيه
واستعمل للماء الجاري فيه وتنكيرها لان المطر يأتي على تناوب بين البقاع بقدرها
بمقدارها الذي علم الله انه نافع غير ضار او بمقدارها في الصغر والكبر فاحتمل السيل زبدا
رابيا عاليا رفعه والزبد وضر الغليان ومما توقدون عليه في النار يعم الفلزات كالذهب
والفضة والحديد والنحاس على وجه آلتهاون بها اظهارا للكبرياء ابتغاء حلية طلب حلي
او متاع كالاواني والآلات للحرث والحرث والمقصود من ذلك بيان منافعها زبد مثله اي
ومما توقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن للابتداء او للتبعيض وقراء حمزة والكسائي
وحفص بالياء على ان الضمير للناس واضماره للعلم به كذلك يضرب الله الحق والباطل مثل
الحق والباطل فانه مثل الحق في افادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الاودية على
قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به انواع المنافع ويمكث في الارض بان يثبت في منافعه ويسلك
بعضه في عروق الارض الى العيون والقنى والآبار وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ الحلي
واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله
بين بدهما وبين ذلك بقوله فاما الزبد فيذهب جفاء يجفاه اي يرمي به السيل او الفلز
المذاب وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد واما ما ينفع الناس كالماء
وخلاصة الفلز فيمكث في الارض ينتفع به اهلها كذلك يضرب الله الامثال لايضاح
المشبهات للذين استجابوا للمؤمنين الذين استجابوا لربهم الحسنى الاستجابة الحسنى

والذين لم يستجيبوا له وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على انه جعل ضرب المثل لسان الفريقين كضرب المثل بهما وقيل الذين استجابوا خبر الحسنى وهى المثوبة او الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لو ان لهم ما فى الارض جميعا وانه مثله معه لافتدوا به وهو على الاول كلام مبتدأ لبيان مآل غير المستجيبين اولئك لهم سوء الحساب وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه لا يغفر منه شئ ومأواهم مرجعهم جهنم وبئس المهاد المستقر والمخصوص بالذم محذوف افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق فيستجيب كمن هو اعمى على القلب لا يستبصر فيستجيب والهمزة لانكار ان يقع شبهة فى تساويهما بعدم ما ضرب من المثل انما يتذكر اولوا الالباب ذوو العقول المرآة عن متابعة الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى او ما عهد الله عليهم فى كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله تعالى وبين العباد وهو نعم بعد تخصيص والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء ويندرج فى ذلك مراعاة جميع حقوق الناس ويخشون ربهم وعيده عموما ويخافون سوء الحساب خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا على ما تكرهه النفس ومخالفة الهوى ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه لا لخوف او سمعة ونحوهما واقاموا الصلاة المفروضة وانفقوا مما رزقناهم بعضه الذى وجب عليهم انفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال وعلانية لمن عرف به ويدرءون بالحسنة السيئة ويدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وما ينبغى ان يكون مآل امرها اهلها وهى الجملة الجنة والجملة خبر الموصولات ان رفعت بالابتداء وان جعلت صفات لاولى الالباب فاستئنافا فيذكر ما استوجبوا بتلك الصفات جنات عدن بدل من عقبى الدار او مبتدأ خبره يدخلونها والعذاب الاقامة اى جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم عطف على المرفوع فى يدخلونها وانما ساغ للفصل بالضمير الاخر او مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من آبائهم اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تتبعا لهم وتعظيما لشانهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة وان الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة فى دخول الجنة زيادة فى انسهم والتقييد بالصلاح دلالة على ان مجرد الانساب لا تنفع والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم بشارة بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف اى هذا بما صبرتم لا بسلام فان المخبر فاصل والباء للسببية او البدلية فنعم عقبى الدار وقرئ بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل حركتها الى العين وبغيره والذين ينقضون عهد الله يعنى بهم مقابلى الاولين من بعد ميثاقه من بعدما اوثقوه به من الاقرار والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون فى الارض بالظلم وتهييج الفتن اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار عذاب جهنم او سوء عاقبة الدنيا لانه فى مقابلة عقبى الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه وفرحوا اهل مكة بالحيوة الدنيا بما بسط لهم فى الدنيا وما الحيوة الدنيا فى الاخرة فى جنب الاخرة الا متاع الا متعة لانه دوم كجالة الراكب وزاد الراعى والمعنى انهم استروا بما نالوا من الدنيا ولم يعرفوا فيما يستوجبون به نعيم الاخرة واغتروا بما هو فى جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه قل ان الله يضل من يشاء باقتراح الايات بعد

ظهور المعجزات ويهدى اليه من اناب اقبل الى الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجري مجرى
التعجب من قولهم كانه قال قلهم ما اعظم عنادكم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم
فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت كل اية ويهدى اليه من اناب بما جئت به بل باد فى منه من
الايات الذين امنوا بدل من من او خبر مبتدا محذوف وتطمئن قلوبهم بذكر الله
انسابه واعتمادا عليه ورجاء منه او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته او بذكر دلايله
الدالة على وجوده ووحدانيته او بكلامه يعنى القران الذى هو اقوى المعجزات الا بذكر الله
تطمئن القلوب تسكن اليه الذين امنوا وعملوا الصالحات مبتدا خبره طوبى لهم وهو
فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة ما قبلها او مصدر لطاب كبشرى وزلفى ويجوز فيه
الرفع والنصب ولذلك قرئ وحسن ماب بالنصب كذلك مثل ذلك يعنى ارسال الرسل
قبلك ارسلناك فى امة قد خلت من قبلها لتقدمنها امم ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك
اليها لتتلو عليهم الذى اوحينا اليك لتقراء عليهم الكتاب الذى اوحيناه اليك وهم
يكفرون بالرحمن وحالهم انهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذى حاطت بهم رحمته نعمته وسعت
كل شئ رحمته فلم يشكروا النعم وخصوصا ما انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القران
الذى هو مناط المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزلت فى مشركى مكة حين قال
لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قل هو ربى الذى الرحمن خالقى ومتولى امرى لا اله الا
هو لا مستحق للعبادة سواه عليه توكلت فى نصرتى عليكم واليه متاب مرجعى ومرجعكم
ولو ان قرانا سيرت به الجبال شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شان القران او المبالغة
فى عناد الكفرة وتصميمهم اى ولو ان كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها او قطعت به
الارض تصدعت من خشية الله عند قراءته او شققت فجعلت انهارا وعيونا او كلم به
الموتى فتقراه فتسمع ويجيب عند قراءته لكان هذا القران لانه الغاية فى الاعجاز
والنهاية فى التذكير والانذار ولما امتوا به لقوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الاية
وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقراءتك الجبال عن مكة حتى
تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر بها الى الشام
او ابعث لنا به قصى بن كلاب وغيره من ابائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع
الارض قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض
وتذكير كلم خاصة لاستعمال الموتى على التذكير الحقيقى بل لله الامر جميعا بل لله القدرة على
كل شئ وهو اضراب عما تضمنته لو من معنى النفى اى بل لله قادر على الاتيان بما اقترحوه
من الايات الا ان ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بان لا يلين شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله
افلم ييأس الذين امنوا من ايمانهم مع ما راوا من احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه افلم
يعلم لما روى ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم اجمعين قرؤا
افلم يتبين وهو تفسير وانما استعمل اليأس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم فان المايوس
عنه لا يكون الا معلوما ولذلك علقه بقوله اى لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فان معناه
نفى هدى بعض الناس لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم وهو على الاول متعلق بمحذوف
تقديره افلم ييأس الذين امنوا من ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا
او بامنوا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من الكفر وسوء الاعمال قارعة داهية
تقرعهم وتقلعهم او تحل قريبا من ديارهم فيفزعون منها ويتطاير اليهم شررها وقيل
الاية فى كفار مكة فانهم لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله فانه عليه الصلاة والسلام

جمع قطيعة وهى الارض التى يزرع فيها

كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حواليهم وتخطف مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون تحل خطابا للرسول فانزل بجيشه وبيأس من دارهم عام الحديبية حتى يأتي وعد الله الموت او القيمة او فتح مكة ان الله لا يخلف الميعاد لامتناع الكذب في كلامه ولقد استهزئ برسل من قبلك فاماليت للذين كفروا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه والاملاء ان يترك ملاوة مدة من الزمان في دعة ومن ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اي عقابي اياهم افمن هو قايم على كل نفس صالحة او طالحة رقيب عليها بما كسبت من خير وشر لا يخفى عليه شئ من اعمالهم ولا يفوت عنده شئ من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك وجعلوا لله شركاء استيناف وعطف على كسبت ان جعلت ما مصدرية او على الخبر المقدر للمبتدا اى افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له شركاء اولم يوحدوه وجعلوا عطف عليه ويكون الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه على انه المستحق للعبادة وقوله قل سموهم تنبيها على ان هؤلاء الشركا لا يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة وتساهلون الشركة ام تنبئونه بل تنبئونه وقرئ تنبؤنه بالتخفيف بما لا يعلم في الارض بشركاء له يستحقون العبادة لانه يعلمهم او بصفات لهم يستحقون بها لاجلها لانه يعلمها وهو العالم بكل شئ ام بظاهر من القول ام تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير اعتبار حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجي كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادي على نفسه بالاعجاز بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا اباطيل ثم خالوها اوكيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل سبيل الحق وقرأ ابن وناف وابو عمرو وابن عامر وصدوا بالفتح اى وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر صدوا وصد بالتنوين ومن يضلل الله يخذله فما له من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصايب ولعذاب الاخرة اشق لشدته ودوامه وما لهم من الله من عذابه او من رحمته من واق حافظ مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي هي مثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه اى فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره تجري من تحتها الانهار على طريقة قوله صفة زيد اسم او على حذف موصوف اى مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار او على زيادة المثل وهو على قوله سيبويه حال من العايد المحذوف من الصلة اكلها دايم لا ينقطع ثمرها وظلها اى وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس تلك اى الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا مالهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين النار لا غير وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين وايئاس للكافرين والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك يعني المسلمين من اصل الكتاب كابن سلام واصحابه ومن امن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران واثنان واربعون بالحبشة او عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ومن الاحزاب يعني كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة كعب بن الاشرف واصحابه والعاقب واشياعهما من ينكر بعضه وهو ما يخالف شرائعهم او ما يوافق ما حرفوه منها قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به جواب للمنكرين اى قل لهم انى امرت فيما انزل الى بان اعبد الله واوحده وهو العمدة في الدين والاسبيل لكم الى انكاره واما ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرايع والكتب الالهية في جزئيات الاحكام وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستيناف اليه ادعوا لا الى غيره واليه ماب واليه مرجعي للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبيا فاما ما عدا ذلك من التفاريع فما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى لانكارهم تمام المخالفة له وكذلك

اى ظنوا احقاره

ومثل هذا الانزال المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها انزلناه حكما يحكم في القضا
والوقايع بما تقتضيه الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه واتصابه
على الحال ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلاة الى قبلتهم
بعد ما حولت عنها بعد ما جاءك من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله من ولي ولا واق
ينصرك ويمنع العقاب عنك وهم حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات في دينهم
ولقد ارسلنا رسلا من قبلك بشرا مثلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا
كما ملك وما كان لرسول وما صح له ولم يكن في وسعه ان ياتي باية تقترح عليه وحكم
يلتمس منه الا باذن الله فانه الملي بذلك لكل اجل كتاب لكل وقت وامد حكم يكتب
على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه
ويثبت ما تقتضيه حكمته وقيل يمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات مكانها وقيل
يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء ويترك غير مثبتا او يثبت ما رآه وحده في صميم
قلبه وقيل يمحو اقرانا ويثبت اخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكاينات وقراء نافع
وابن عامر وحمزة والكسائي ويثبت بالتشديد وعنده ام الكتاب اصل الكتب وهو
اللوح المحفوظ اذ ما من كاين الا وهو مكتوب فيه واما نرينك بعض الذي نعدهم
او نتوفينك وكيف ما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم او توفيناك قبله فانما
عليك البلاغ لا غير وعلينا الحساب للمجازاة لا عليك فلا تختفل بلواضهم ولا تستعجل
بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلايعه او لم يروا انا نات الارض ارض الكفر ننقصها
من اطرافها بما نفتحه على المسلمين منها والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد له وحقيقته الذي
يعقب لشيء بالابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو اثر غريمه بالاقتضاء والمعنى
انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كاين لا يمكن تغييره ومحل لا مع المنفي
النصب على الحال اي يحكم نافذا حكمه وهو سريع الحساب فيحاسبهم عما قليل في الاخرة بعد
ما عذبهم بالقتل والاجلاء في الدنيا وقد مكر الذين من قبلهم بانبيايهم والمؤمنين منهم
فلله المكر جميعا اذ لا يوبه بمكرهم دون مكره فانه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره
يعلم ما تكسب كل نفس فيعد جزاءها وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار من الفريقين حيثما ياتيهم
العذاب المعتد لهم وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله بهم واللام تدل على ان العقبى العاقبة
المحمودة مع ما في الاضافة الى الدار كما عرفت وقراء ابن كثير ونافع وابو عمرو والكاف على ارادة الجنس
وقرى الكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله وسيعلم من اعلم اذا اخبره ويقول الذين كفروا
لست مرسلا قيل المراد بهم رؤساء اليهود قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه اظهر من الادلة
على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها ومن عنده علم الكتاب علم القران وما الف عليه من
النظم المعجز او علم التورية وهو ابن سلام واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو الله تعالى اي كفى
بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بيننا فيجزي الكاذب
منا ويثيب قراءة من قرء ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاولى ترتفع بالظرف فانه معتمد
على الموصوف ويجوز ان يكون مبتدا والظرف خبره وهو متعين للثانية وترى ومن عنده علم
على الحرف والبنا للمفعول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قراء سورة الرعد اعطي من الاجر
عشر حسنات بعدد كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة ويبعث يوم القيمة من
الموفين بعهد الله تعالى والله اعلم

سورة ابراهيم مكية وهي احدى وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الركتاب اى هو كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس بدعايك اياهم الى ما تضمنه من الظلمات من انواع الضلال الى النور الى الهدى باذن ربهم بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذى هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل او استيناف على انه جواب لمن سال عنه واضافة الصراط الى الله اما لانه مقصدهم او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لا يدل سالكه ولا يخيب سائله الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض على قراءة نافع وابن عامر مبتدا وخبره الذى والله خبر محذوف والذى صفته وعلى قراءة الباقين عطف بيان لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق وويل للكافرين من عذاب شديد وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل نقيض الوال وهو الهلاكة واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه لكنه رفع لافادة الثبات الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة يختارونها عليها فان المختار للشئ يطلب من نفسه ان يكون احب اليها من غيره ويصدون عن سبيل الله يبغونها للناس عن الايمان وقرئ ويصدون من اصده وهو منقول من صد صدودا اذا انتكب وليس فصيحا لان صده متدوحة عن تكلف التعدية ويبغونها عوجا ويبغون لها زيغا وتكوبا عن الحق ليفقد حواشيه فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع عليه او على انه مبتدا خبره اولئك فى ضلال بعيد اى ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد فى الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة او للامر الذى به الضلال فوصف به لملابسته وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الذى بلغة قومه الذى هو منهم وبعث اليهم ليبين لهم ما امر به فيهمون عنه بيسر وسرعة ثم يتعلوه ويترجموه لغيرهم فانهم اولى الناس به فان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبى صلى الله عليه وسلم بانذار عشيرته اولا ولو نزل على من بعث الى الامم مختلفة كتب على السنتهم استغل ذلك بنوع من الاعجاز لكن ادى الى اختلاف الحكمة واضاعة فضل الاجتهاد فى تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما فى التعاب القرائح وكد النفس المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كرئس ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون كعمد وعمد وقيل الضمير فى قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم وانه انزل الكتب كلها بالعربية وثم ترجمها جبريل او كل نبى بلغة المنزل عليهم وذلك يرده قوله ليبين لهم فانه ضمير القوم والتوراة والانجيل ونحوهما نزلا ليبين للعرب فيضل من يشاء فيخذله عن الايمان ويهدى من يشاء بالتوفيق له وهو العزيز فلا يغلب على مشيئته الحكيم الذى لا يضل ولا يهدى الا لحكمة ولقد ارسلنا موسى بايتنا يعنى اليد والعصا وسائر معجزاته ان اخرج قومك من الظلمات الى النور بمعنى اى اخرج لان فى الارسال معنى القول او بان اخرج فان صيغ الافعال سواء فى الدلالة على المصدر فيصح ان يوصل بها ان الناصبة وذكرهم بايام الله بوقائعه التى وقعت على الامم الدارجة وايام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه ان فى ذلك لايات لكل صبار شكور يصبر على بلائه ويشكر لنعمائه فانه اذا سبح بما نزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من ال فرعون اى اذكروا نعمته وقت انجائه اياكم ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعماء وذلك اذا اريدت بها العطية ذون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم

احوال من آل فرعون او من صميم المخاطبين والمراد بالعذاب هنا غير المراد به في سورة البقرة والاعراف
لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثم ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو ما حسن العذاب واستعبادهم
واستعمالهم بالاعمال الشاقة وفي ذلكم من حيث انه باقدار الله اياهم وامهالهم فيه بلاء من ربكم
عظيم ابتلاء منه ويجوز ان تكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة وإذ تأذن ربكم
ايضا من كلام موسى وتأذن بمعنى اذن كوعد واوعد غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف
والمبالغة وقال لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح
لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ان عذابي لشديد فلعلي اعذبكم على الكفران عذابا شديدا
ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مفعول قول مقدر
او مفعول ثان على ان يجري مجرى قال لانه ضرب منه وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في
الارض جميعا من الثقلين فان الله لغني عن شكركم حميد مستحق للحمد فيما يتعبدكم به يحمد الملائكة
وتنطق بوصفه بنعمة ذرات الوجود المخلوقات فما ضرتم بالكفران الا انفسكم حيث عرضتموها
لمزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد
وثمود من كلام موسى او كلام مبتدأ من الله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة وقعت
اعتراضا او الذين من بعدهم وقعت عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم
لا يعلم عددهم الا الله وكذلك قال ابن مسعود كذب النسابون جاءتهم رسلهم بالبينات
فردوا ايديهم في افواههم فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل
من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منه واستهزاء عليه من غلبه الضحك او اسكات الانبياء
وامرائهم بالطباق الافواه او اشاروا بها الى ألسنتهم وانطقوا به من قولهم انا كفرنا بما جئتم به
هم سماه او ردوها في افواه الانبياء يمنعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل
الايدي بمعنى الايادي اي ردوا ايادي الانبياء التي هي مواعظهم وما اوحي اليهم من الحكم والشرايع
لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم
به على زعمكم وانا لفي شك مما تدعوننا اليه من الايمان وفي تدعوننا بالادغام مريب
موقع في الريبة او ذي ريبة وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى الشيء قالت رسلهم افي الله شك دخلت
همزة الانكار على الظرف لان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك اي انما تدعوكم الى الله ولا يحتمل
الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليها واشار الى ذلك بقوله فاطر السموات والارض وهو
صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف يدعوكم الى الايمان بعثته ايانا لنغفر لكم او يدعوكم الى المغفرة
كقولك دعوته لينصرني على اقامة المفعول له مقام المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما
بين الله وبينكم وبينه فان الاسلام يجبّ ما قبله دون المظالم وقيل جيء بمن في خطاب الكفرة دون المؤمنين
في جميع القرآن تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة
على الايمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي وتحوذلك
فيتناول الخروج عن المظالم ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه الله وجعله اخر اعماركم قالوا
ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تخصون دوننا ولو شاء الله لجعل ان يبعث الى
البشر رسلا نبعث من جنس افضل تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا نهونا بهذا الدعوى
فاتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية او على صحة دعاكم النبوة
كانهم لم يعتبروا ما جاؤا به من البينات وبالغ وا فاقترحوا عليهم اية اخرى تعنتا ولجاجا قالت
لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده سلموا مشاركتهم في
الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوة

عطائه وان ترجيح بعض الجايزات على بعض بمشيئة الله تعالى **وما كان لنا ان نأتيكم بآية الا باذن الله** اى ليس لنا الاتيان بالايات ولا تستبد به استطاعتنا حتى ياتى بما اقترحتموه وانما هو متعلق بمشيئة الله فيخص كل نبى بنوع من الايات **وعلى الله فليتوكل المؤمنون** فليتوكل عليه فى الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمم الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا الا ترى قوله **وما لنا ان لا نتوكل على الله** اى اى عذر لنا فى ان لا نتوكل **وقد هدانا سبلنا** التى بها نعرفه ونعلم ان الامور كلها بيده وقرأ ابو عمرو بالتخفيف هنا وفى العنكبوت **ولنصبرن على ما اذيتمونا** جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجرى من الكفار عليهم **وعلى الله فليتوكل المتوكلون** فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم **وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن فى ملتنا** حلفوا على ان يكون احد الامرين اما اخراجهم للرسل او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى التصيير ونحوه لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب لكل رسول ولمن امن معه فغلب الجماعة على الواحد **فاوحى اليهم ربهم** الى اى الى الرسل **لنهلكن الظالمين** على اضمار القول او اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه **ولنسكننكم الارض من بعدهم** اى ارضهم وديارهم لقوله **وورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها** وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى كقوله اقسم زيد ليخرجن **ذلك** اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين **لمن خاف مقامى** موقفى وهو الموقف الذى يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيمة او قيامى عليه وحفظى لاعماله وقيل المقام مقحم **وخاف وعيد** اى وعيدى يوم القيمة بالعذاب او عذابى الموعود للكفار **واستفتحوا** سالوا الله الفتح على اعدائهم او القضاء بينهم وبين اعدائهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فاوحى والضمير للانبياء وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم سالوه ان ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن **وخاب كل جبار عنيد** اى ففتح لهم فافلح المؤمنون وخاب كل عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من القبيلين كان اوقع **من ورائه جهنم** اى من بين يديه فانه مرصد لها واقف على شفيرها فى الدنيا متبوئ لها فى الاخرة وقيل من وراء حيوته وحقيقته ما توارى عنك **ويسقى من ماء** عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم اى من بين يديه فانه ما يلقى ويسقى **صديد** عطف بيان للماء وهو ما يسيل من جلود اهل النار **يتجرعه** يتكلف جرعه وهو صفة للماء او حال من الضمير فى يسقى **ولا يكاد يسيغه** ولا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس **ويأتيه الموت من كل مكان** اى اسبابه من الشدائد فيحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره واطراف انامله **وما هو بميت** فيستريح **ومن ورائه عذاب غليظ** اى يستقبل فى كل وقت عذابا اشد مما هو عليه وقيل هو الخلود فى النار وقيل حبس الانفاس وقيل الاية منقطعة عن قصة الرسل نازلة فى اهل مكة طلبوا الفتح الذى هو المطر فى سنيهم التى ارسل الله عليهم بدعوة رسوله فجئ رجاءهم فلم يسقهم ووعدهم ان يسقيهم فى جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار **مثل الذين كفروا بربهم** مبتدا خبره محذوف اى فيما يتلى عليكم صفتهم التى هى مثل فى الغرابة او قوله **اعمالهم كرماد** وما بعد الاول جملة مستانفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد **اشتدت به الريح** حملته واسرعت لذهاب به وقرأ نافع الرياح **فى يوم عاصف** العصف اشد

الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهارك صائم وليلك قائم شبه صنعاءهم من الصدقة
وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها البناء على
غير اساس من معرفة الله والتوجه بها اليه واعمالهم للاصنام كرماد طيرته الريح العاصفة
لا يقدرون يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم على شيء لحبوطه فلا يرون له اثرا من
الثواب وهو قد لكلة التمثيل ذلك اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون هو الضلال
البعيد فانه الغاية في البعد عن طريق الحق المر خطاب للنبي والمراد به امته وقيل لكل
واحد من الكفرة على التلوين ان الله خلق السموات والارض بالحكمة وبالوجه الذي
يحق ان يخلق عليه وقراء حمزة والكسائي خالق السموات ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق
جديد يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم مرتب ذلك على كونه خالق السموات والارض
استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل
الصور وتغيير الطبائع قادر اه يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال وما
ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور ومن
هذا شانه كان حقيقا بان يومن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم القيمة
وبرزوا لله جميعا اي يبرزون من قبورهم يوم القيمة لامر الله ومحاسبته او لله على
ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون انها تخفى على الله فاذا كان يوم
القيمة انكشفوا لله عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه فقال الضعفاؤا
للاتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الراي وانما كتبت بالواو على لفظ من يفخم الالف
قبل الهمزة فيميلها الى الواو للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم
انا كنا لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض عن نصايحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب
او مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار مضاف فهل انتم مغنون عنا دافعون عنا من عذاب
الله من شيء من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول
اي بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز ان تكونا للتبعيض اي بعض شيء هو بعض عذاب
الله والاعراب ما سبق ويجوز ان تكون الاولى مفعولا به والثانية مصدرا اي هل انتم
مغنون بعض العذاب بعض الاغناء قالوا اي الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع
واعتذارا عما فعلوهم لو هدانا الله للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا
فاضللناكم اي اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لهدانا الله طريق النجاة من العذاب
لهديناكم واغنيناه عنكم كما عرضناكم له لكن سددونا طرق الخلاص سواء علينا اجزعنا
ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب من الحيص
وهو العدول على جهة الفرار وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز
ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون
جسماية عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا
وقال الشيطان لما قضي الامر اي حكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار
خطيبا في الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه ان يتحراوه وعد يجزم
وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كانا
فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم جعل بتبين خلف وعدكم كالاخلاف منه وما كان لي عليكم
من سلطان تسلط فالجيكم الى الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم الادعاء اي باكد اليها
بتسويل وهو من جنس السلطان ولكنه على طريقة قولهم، تحية بينهم ضرب وجيع،

ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لى فاسرعتم اجابتى فلا تلوموني بوسوستى
فان من صرح العداوة لا يلام بامثال ذلك ولوموا انفسكم حيث اطعتمونى اذ دعوتكم ولم تطيعوا
ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد لافعاله وليس فيها ما يدل
عليها وليس فيها ما يدل عليها اذ يكفى لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما فى فعله وهو الكسب
الذى يقوله اصحابنا ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما انتم بمصرخى بمغيثى وقراء
حمزة بكسر الياء على الاصل فى التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض فى مثلها لما فيه من اجتماع يائين
وثلاث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فان لم تكسر وقبلها الف فالحرى ان لا تكسر
وقبلها ياء او على لغة من يزيد يا على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف فى ضربته واعطيتكه
وحذف الياء اكتفاء بالكسرة انى كفرت بما اشركتمونى من قبل ما امامصدرية ومن متعلقة
باشركتمونى اى كفرت اليوم باشراكم اياى من قبل هذا اليوم اى فى الدنيا بمعنى تبرأت منه
واستنكرته كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم او ما موصولة بمعنى من نحو ما فى قوله
سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اى كفرت بالذى اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم
اياى فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراكم حين رددت امره بالسجود
لآدم واشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة
كلامه او ابتداء كلام من الله تعالى وفى حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يجاسبوا
انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها
الانهار خالدين فيها باذن ربهم باذن الله وامره والمدخلون هم الملائكة وقرئ ادخل
على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله تحيتهم فيها سلام اى تحييهم الملائكة بالسلام
باذن ربهم الم تر كيف ضرب الله مثلا كيف اعتمد ووضعه كلمة طيبة كشجرة طيبة اى جعل
كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان تكون كلمة بدلا من مثلا
وكشجرة صفتها او خبر مبتدا محذوف اى هى كشجرة وان تكون اول مفعولى ضرب اجراها
مجرى جعل وقد قرئ بالرفع على الابتدا اصلها ثابت فى الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها
اعلاها فى السماء ويجوز ان يريد وفروعها اعلاها على الاكتفا بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق
من الاضافة وقرئ ثابت اصلها والاول على اصله ولذلك قيل انه اقوى والثانى ابلغ تؤتى
اكلها تعطى ثمرها كل حين اقته الله لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها وتكوينه ويضرب
الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان فى ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعانى
وادناء لها من الحس ومثل كلمة خبيثة كشجرة كمثل شجرة خبيثة اجتثت استوصلت واخذت
جثتها بالكلية من فوق الارض لان عروقها واهية منه ما لها من قرار استقرار واختلف
فى الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقرآن والكلمة الخبيثة
بالاشراك بالله والدعا الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة
ما اعرب عن حق ودعا الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك وفسرت الشجرة بالنخلة
وروى ذلك مرفوعا وبشجرة فى الجنة والخبيثة بالحنظلة والكشوث ولعل المراد بهما ايضا ما يعم
ذلك يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت الذى ثبت بالحجة عندهم وتمكن فى قلوبهم
فى الحيوة الدنيا فلا يزلون اذا افتتنوا كزكريا ويحيى وجرجيس وشمعون والذين فتنتهم
اصحاب الاخدود وفى الاخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم فى الموقف ولا دهشهم
اهوال القيمة وذكر انه عليه الصلاة والسلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه
فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فى قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول

ربي الله ودبني الاسلام ونبي محمد فنادى منادى من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله تعالى
يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار على
التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن ويفعل الله ما يشاء من تثبيت
بعض واضلال اخرين من غير اعتراض عليه الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا اى شكر نعمته كفرانا
بان وضعوه مكانه او بدلوا نفس النعمة كفرانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين
لها مخلصين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع
عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلوات الله عليه وسلامه فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين
واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء فقس مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلي
رضي الله عنهما هما الاجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم
بدر واما بنو امية فمتعوا حتى حين واحلوا قومهم الذين شايعوهم في الكفر دار البوار دار
الهلاك بحملهم على الكفر جهنم عطف بيان لها يصلونها حال منها او من القوم اى داخلين لها
مقاسين حرها او مفسر لفعل يقدر ناصبا لجهنم وبئس القرار اى وبئس المصير جهنم وجعلوا
لله اندادا ليضلوا عن سبيله الذي هو التوحيد وقرا ابن كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب
بفتح الياء وليس الضلال والاضلال غرضهم في اتخاذ الانداد لكن لما كان نتيجته جعل
كالغرض قل تمتعوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التي يتمتع بها والتهديد
بصيغة الامر لبيان ان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدد به وان الامرين كائنان لا
محالة ولذلك علله بقوله فان مصيركم الى النار وان المخاطب به لانهماكه فيه كالمامور به
من امر مطاع قل لعبادي الذين امنوا خصهم بالاضافة تنبيها بهم وتنبيها على انهم المقيمون
بحقوق العبودية ومفعول قل محذوف يدل عليه جوابه اى قل لعبادي الذين امنوا اقيموا
الصلاة وانفقوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم
الرسول بحيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه كان كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدر بلام الامر
ليصح تعلق الامر بهما بالقول بهما وانما حسن ذلك ههنا ولم يحسن قوله

محمد تفد نفسك كل نفس ٭ اذا ما خفت من امر تبالا ٭

لدلالة قل عليه وقيل هما جواب قل اقيموا وانفقوا مقامين مقامهما وهو ضعيف لانه لا بد
من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب بامر الغيبة اذا كان الفاعل واحدا
سرا وعلانية منتصبان على المصدر اى انفاق سر وعلانية او على الحال اى ذوي سر وعلانية
او على الظرف اى وقتي سر وعلانية والاحب اعلان الواجب واخفاء المتطوع به من قبل ان
يأتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره او يفدي به نفسه ولا خلال
ولا مخالة فيشفع لك خليل او من قبل ان يأتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وانما
ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفي
العام الله الذي خلق السموات والارض مبتدا وخبر وانزل من السماء ماء فاخرج
به من الثمرات رزقا لكم تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس ورزقا مفعول لاخرج
ومن الثمرات بيان له وحال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة
او المصدر لان اخرج في معنى رزق وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره بمشيئته الى
حيث توجهتم وسخر لكم الانهار فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل لتسخيرها هذه
الاشياء تعليم كيفية اتخاذها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين بدابان في سيرهما او انارتهما
واصلاح ما يصلحانه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم

وانا كم

وآتاكم من كل ما سألتموه اى بعض جميع ما سالتموه يعنى من كل شئ سالتموه شيأ فان الموجود من كل صنف بعض ما فى قدرة الله ولعل المراد بما سألتموه ما كان حقيقا بان يسأل لاحتياج الناس اليه سئل اولم يسئل وما يحتمل ان يكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين اى وآتاكم من كل شئ ما احتجتم اليه وسالتموه بلسان الحال ويجوز ان يكون ما نافية فى موقع الحال اى وآتاكم من كل شئ غير سائليه **وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها** لا تحصروها ولا تطيقوا عد انواعها فضلا عن افرادها فانها غير متناهية وفيه دليل على ان الفرد يفيد الاستغراق بالاضافة **ان الانسان لظلوم** يظلم النعمة بالغفلة عن شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان **كفار** شديد الكفران وقيل ظلوم فى الشدة يشكو ويجزع كفار فى النعمة يمنع ويمنع **واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد** لمكة **امنا** ذا امن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله رب اجعل هذا بلدا امنا ان المسئول فى الاول ازالة الخوف عنه وتصييره امنا وفى الثانى جعله من البلاد الامنة **واجنبنى وبنى** بعدنى واياهم **ان نعبد الاصنام** واجعلنا منه فى جانب وقرئ واجنبنى وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبنى شر وفيه دليل على ان عصمة الانبياء بتوفيق الله وحفظه اياهم وهو بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة اولاد اسماعيل لم يعبدوا الصنم بمجانبته وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلته **رب انهن اضللن كثيرا من الناس** ولذلك سالت منك العصمة واستعذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله وغرتهم الحيوة الدنيا **فمن تبعنى فانه منى** اى بعضى لاينفك عنى فى اكثر الدين **ومن عصانى فانك غفور رحيم** تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعد فرق بينه وبين غيره **ربنا انى اسكنت من ذريتى** اى بعض ذريتى او ذرية من ذريتى فحذف المفعول وهم اسماعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم **بواد غير ذى زرع** يعنى وادى مكة فانها حجرية لا تنبت **عند بيتك المحرم** الذى حرمت التعرض له والتهاون به ولم يزل معظما ممتنعا بها به الجبابرة او منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمى عتيقا اى اعتق منه ودعا بهذا الدعاء اول ما قدمه فلعله قاله ذلك باعتبار ما كان او ما سيؤل اليه روى ان هاجر كانت امة لسارة فوهبتها من ابراهيم عليه الصلاة والسلام فولدت منه اسماعيل فغارت عليهما فاشتد بتان ان يخرجها من عندها فاخرجها الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان دحرهم راوا الطير فعالوا الا طير الا على الماء فقصدوه فراوهما عين فقالوا اشركينا فى مائك نشرك فى البانتا ففعلت **ربنا ليقيموا الصلوة** اللام لام كى متعلقة باسكنت اى ما اسكنتهم بهذا الوادى الجدب الا لاقامة الصلاة عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة بالذات من اسكانهم ثمة والمقصود من الدعاء فيقيمهم لها وقيل لام الامر والمراد هو الدعاء لهم باقامة الصلاة كانه طلب منهم الاقامة وطلب من الله ان يوفقهم لها **فاجعل افئدة من الناس** اى افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحنت اليهود والنصارى او للابتداء كقولك القلب منى سقيم اى افئدة ناشئة من ناس وقراء هشام افئدة بخلف عنه بياء بعد الهمزة وقرئ افدة وهو يحتمل ان يكون مقلوب افئدة كما درى ادور

وان يكون اسم فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اى جماعة يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة
للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز ان يكون من افد تهوى اليهم
تسرع اليهم شوقا وودادا وقرئ يهوى على انها البناء للمفعول من اهوى اليه غيره وتهوى
من هوى يهوى اذا احب وتعديته بالى لتضمنه معنى النزوع وارزقهم من الثمرات
مع سكناهم واديا لا نبات فيه لعلهم يشكرون تلك النعمة فاجاب الله دعوته فجعله حرما
امنا يجبى اليه ثمرات كل شئ حتى يوجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية فى يوم
واحد ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن لتعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك تعلم باحوالنا
ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا لعبوديتك
وافتقارا الى رحمتك واستنجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفى من وجد الفرقة وما نعلن
من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء لمبالغة فى التضرع واللجاء الى الله وما يخفى
على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء لانه العالم بعلم ذاتى يستوى نسبته الى كل معلوم
ومن للاستغراق الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اى وهب لى وانا كبير ايس عن الولد قيد الهبة
على الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيه من الاية اسماعيل واسحق روى انه ولد لاسماعيل
لتسع وتسعين سنة ولاسحاق لمائة وثنتى عشرة سنة ان ربى لسميع الدعاء اى لمجيبه من قولك
سمع الملك كلامى اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل الكثيرة اضيف الى
مفعوله او فاعله على سنادِ السماع الى الدعاء الله على المجاز وفيه شعار بانه يدعى ربه وسال منه الولد
فاجابه ووهب له سؤله حين ما وقع الياس منه ليكون من اجل النعم واجلاها رب اجعلنى
مقيم الصلاة معدا لها مواظبا عليها ومن ذريتى عطف على المنصوب فى اجعلنى والتبعيض
لعلمه باعلام الله او استقراء عادته فى الامم الماضية انه يكون فى ذريته كفار ربنا وتقبل دعاء
واستجب دعائى وقبل عبادتى ربنا اغفر لى ولوالدى وقرئ لابوى وقد تقدم عدم استغفار
لهما وقيل اراد بهما ادم وحوا وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ينبئ مستعار من القيام
على الرحل كقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه قيامهم
مجازا ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله والمراد تثبيته على
ما هو عليه من انه مطلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه خافية والوعد بانه معاقبهم على قليله
وكثيره لا محالة او لكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم
وتهديد للظالم انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار
اى تشخص فيه ابصارهم فلا تغمض اما كنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعى
او مقبلين بابصارهم لا يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشئ مقنعى رؤسهم
رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم اى لا يتحرك بل يبقى عيونهم شاخصة لا تطرف او لا يرجع اليهم
نظرهم فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء خالية اى خالية عن الفهم كفؤاد ذى الحيرة والدهشة
ومنه يقال للاحمق والجبان قلبه هواء اى لا رأى فيه ولا قوة قلب زهير
من الظلم ان جوف جوفه هواء وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق وانذر الناس
يا محمد يوم يأتيهم العذاب يعنى يوم القيمة او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم وهو
مفعول ثان لانذر فيقول الذين ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا اخرنا الى اجل قريب اخر
العذاب عنا او ردنا الى الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان قريب او اخر اجالنا واوقفنا
مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك نجب دعوتك ونتبع الرسل جواب للامر ونظيره
لولا اخرتنى الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من

زوال

زوال على ارادة القول ومالكم جواب القسم جاء على لفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى
انكم اقسمتم انكم باقون فى الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم اقسموا بطرا وغرورا ودل عليه
حالهم حيث بنوا بناء شديدا وامّلوا بعيدا او قيل اقسموا انهم لا ينتقلون الى دار اخرى
وانهم اذا ماتوا لا يبعثون عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم
لا يبعث الله من يموت **وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم** بالكفر والمعاصى
كعاد وثمود واصل سكنى ان يعدّى بفى كقرّ وغنى واقام وقد يستعمل بمعنى التبوّء
فيجرى مجراه كقولك سكنت الدار **وتبين لكم كيف فعلنا بهم** ما دنشاهدون فى منازلهم
من اثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم **وضربنا لكم الامثال** من احوالهم
اى بينا لكم انكم مثلهم فى الكفر واستحقاق العذاب وصفات ما فعلوا وفعل بهم الى
هنا فى الغرابة كالامثال المضروبة **وقد مكروا مكرهم** المستفرغ فيه جهدهم لابطال
الحق وتقرير الباطل **وعند الله مكرهم** ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه او عنده
ما يمكرهم به جزاء لمكرهم به وابطاله **وان كان مكرهم** فى العظم والشدة **لتزول منه**
الجبال مسوّى الازالتها الجبال ومعدا وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله تعالى وما كان
الله ليعذبهم على ان الجبال مثل لامر النبى ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا
مكرا لو امكن ان تزول الجبال الراسية ثباتا وتمكنا من اثبات الله وشرائعه وقرأ حمزة والكسائى
لتزول بفتح اللام والرفع على انها المخففة واللام هى الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح
والنصب على لغة من يفتح لام كى وقرئ وان كاد مكرهم **فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله**
مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلى واصله مخلف رسله وعده فقدم
المفعول الثانى ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف
وعده احدا فكيف يخلف رسله **ان الله عزيز** غالب لا يمانع قادر لا يدافع **ذو انتقام**
من اعدائه **يوم تبدل الارض غير الارض** بدل من يوم يأتيهم او ظرف للانتقام او مقدر
باذكر او لا يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده **والسموات**
عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون فى الذات كقولك بدلت
الدراهم بالدنانير وعليه قوله بدلناه جلودا غيرها وفى الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما
اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات والاية تحتملهما وعن على رضى
الله عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس رضى الله عنهما يحشر
الناس على ارض بيضاء يخطو عليها احد خطيئة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى تلك الارض
وانما تغيرت صفاتها ويدل عليه ما روى ابو هريرة رضى الله عنه انه عليه الصلاة والسلام قال
تبدل الارض غير الارض فتمد مد الاديم العكاظى لا يرى فيها عوجا ولا امتا واعلم
انه لا يلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على
الثانى ان يجعل الارض الله الارض جهنم والسموات الجنة على ما اشعر به قوله تعالى كلا ان كتاب
الابرار لفى عليين وقوله ان كتاب الفجار لفى سجين **وبرزوا لله الواحد القهار**
لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على ان الامر فى غاية الصعوبة كقوله لمن
الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد
الى غيره ولا مستجار **وترى المجرمين يومئذ مقرنين** قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم
فى العقائد والاعمال كقوله واذا النفوس زوجت او قرنوا مع الشياطين او مع ما اكتسبوا
من العقائد الزائغة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم باغلال وهو

يحتمل ان يكون تمثيلا لما خذتهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم **في الاصفاد** متعلق بمقرنين او حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل

وزيد الخيل قد لاقى صفادا ... يعض بساعد وبعظم ساق

سرابيلهم قمصانهم **من قطران** وجاء قطران لغتين فيه وهو ماء يتحلب من الابهل فتهنأ به الابل الجربا فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة يطلى به جلود اهل النار حتى يكون طلاء لهم كالقميص ليجتمع عليهم لذعة القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار في جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهيئات الوحشة فيجلب اليها انواعا من الغموم والآلام وعن يعقوب قطران والقطر النحاس المذاب او الصفر المذاب والآن المتناهي حره والجملة حالية ثانية او حال من الضمير في مقرنين **وتغشى وجوههم النار** وتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يعملوا في تدبيره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لاجله كما تطلع الاعلى افئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوة بالجهالات ونظيره قوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم **ليجزي الله كل نفس** اي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة **ما كسبت** او كل نفس من مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين معاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا **ان الله سريع الحساب** لانه لا يشغله حساب عن حساب **هذا** اشارة الى القرآن او السورة او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله **بلاغ للناس** كفاية لهم في الموعظة **ولينذروا به** عطف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فتكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان يتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل او تلى وقرئ بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له **وليعلموا انما هو اله واحد** بالنظر والتامل بما فيه من الآيات الدالة عليه والمنبهة ما يدل عليه **وليذكر اولوا الالباب** فيرتدعوا عما يردهم ويتذرعوا بما يعظهم واعلم انه سبحانه ذكر هذا البلاغ ثلاث فوائد هي الغاية والحكمة في انزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمالهم القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية الذي هو التذرع للباس التقوى جعلنا الله من الفائزين بهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قراء سورة ابراهيم اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد والله اعلم

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين الاشارة الى آيات السورة والكتاب هو السورة وكذا القرآن وتنكيره للتفخيم اي آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآنا يبين الرشد من الغي بيانا غريبا **ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين** حين عاينوا حال المسلمين عند نزوله النص او طول الموت او يوم القيمة وقراء نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربما بالفتح والتخفيف وفيها ثمان لغات ضم الراء وفتحها مع التشديد والتخفيف وبتاء التانيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه ان يدخل على الماضي لكن لما كان المترقب في اخبار الله تعالى كالماضي في تحقيقه اجرى مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله

ربما تكره النفوس من الامـ ... ـر له فرجة كحل العقال

ومعنى التقليل فيه الايذان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف

وهم يودون كل ساعة وقيل تدهشهم اهوال القيمة فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات تمنوا
ذلك والغيبة في حكاية وداد تهم كالغيبة في قولك حلفت بالله ليفعلن ذرهم دعهم يأكلوا ويتمتعوا
بدنياهم ويلههم الامل ويشغلهم توقعهم بطول الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد
للمعاد فسوف يعلمون سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض اقناط الرسول من رعوائهم وايذانه
بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغالهم بما لا طايل تحته وفيه الزام للحجة وتحذير عن
ايثار التنعم وما يؤدي اليه طول الامل وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم اجل مقدر
كتب في اللوح المحفوظ والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لا يدخلها الواو كقوله الا
لها منذرون لكن لما شابهت صورتها صورة الحال ادخلت عليها تاكيدا للصوقها بالموصوف وما
تسبق من امة اجلها وما يستاخرون اي ما يستاخرون عنه وتذكير ضمير امة فيه للحمل على المعنى
وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر نادوه بالنبي صلى الله عليه وسلم على التهكم الا ترى الى ما
نادوه له وهو قوله انك لمجنون ونظير ذلك قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون
والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعي ان الله نزل عليك الذكر اي القران لو ما تاتينا ركب لو
مع ما كما ركب لوما في المغنيين لامتناع الشيء لوجود غيره هلا والتحضيض بالملايكة ليصدقوك
ويعضدوك على الدعوة كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او للعقاب على تكذيبك اي
كما اتت الملكذبة قبل ان كنت من الصادقين في دعواك ما ننزل الملايكة بالياء مسندا الى ضمير
اسم الله تعالى وقراءة حمزة والكسائي وحفص تنزل بالنون وابو بكر بالتاء والبنا للمفعول ورفع
الملايكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحق اي بالوجه الذي قدره
واقتضته حكمته والحكمة بان ناتيكم بصور تشاهدونها فانذ لا يؤمن بعد ذلك الا القليل وما
كانوا اذا منظرين بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان وقيل الحق الوحي او العذاب
وما كانوا اذا منظرين اذا جواب لهم وجزاء شرط مقدر اي ولو نزلنا الملايكة ما كانوا منظرين
انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزاءهم ولذلك اكده من وجوه وقرره بقوله وانا
له لحافظون اي من التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر
بحيث لا يخفى تغييره نظمه على اهل اللسان او نفي تطرق الخلل اليه في الدوام بضمان الحفظ
له كانه نفي بان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل الضمير في له للنبي صلى الله عليه وسلم ولقد ارسلنا
من قبلك في شيع الاولين في فرقهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب
من شاعه اذا تبعه واصله الشياع وهو الحطب الصغار يوقد به الكبار والمعنى بنينا رسلا في امهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون كما يفعل
هؤلاء وهو تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وما للحال لا تدخل الا مضارعا بمعناه او ماضيا
قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية كذلك نسلكه ندخله في قلوب المجرمين والسلك ادخال
الشيء في الشيء كالخيط في الخرز والرمح في المطعون والضمير للاستهزاء وفيه دليل على انه تعالى يوجد
الباطل في قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الاخر في قوله لا يؤمنون به له وهو حال من هذا الضمير
والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به او بيان لجملة المنتفية
له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في الرجوع اليه ولا يتعين
ان تكون الجملة حالا من الضمير لجواز ان تكون حالا من المجرمين ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى
الاول بل تقوية وقد خلت سنة الاولين اي سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم
او اهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكة ولو فتحنا عليهم على هؤلاء المقترحين
بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون اليها ويرون عجايبها طول نهارهم مستوضحين لما

جلتكم

يرون او تصعد الملايكة وهم يشاهدونهم لقالوا من غلوهم في العناد وتشكيكهم في الحق انما
سكرت ابصارنا سدت من الابصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف
او حيرت من السكر ويدل عليه قراءة من قراء سكرت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا بذلك
محمد كما قالوه عند ظهور غيره من الايات وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما
يرونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل اليهم ماخيل بنوع من السحر ولقد جعلنا في السماء
بروجا اثني عشر مختلفة الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء
وزيناها بالاشكال والهيئات البهية للناظرين المعتبرين المستدلين بها على قدرة
مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها من كل شيطان رجيم فلا يقدرون ان يصعدوا اليها ويوسوسوا
اليها الى اهلها ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها الا من استرق السمع بدل من كل شيطان
واسترق السمع اختلاس سرا شبه به خطفهم اليسير من قطان السموات بما بينهم من المناسبة
في الجواهر اويا لاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا
لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم
منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد بجواز ان يكون لها اسباب اخر وقيل
الاستثناء منقطع اي ولكن من استرق السمع فاتبعه فلحقه شهاب مبين ظاهر للمبصرين
والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق للكواكب والسنان لما فيهما من البريق والارض مددناها
بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها في الارض وفيها وفي الجبال من كل شيء
موزون مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته او مستحسن مناسب من قولهم كلام موزون او ما
يوزن او يقدر او له وزن في ابواب النغمة والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون بها
من المطاعم والملابس وقرئ بالهمز على التشبيه شمائل ومن لستم له برازقين عطف على معايش
او على محل لكم ويريد به العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا
فان الله يرزقهم واياهم وفي الكلمة الاية لان جعل الارض ممدودة بمقدار وشكل
معينين مختلفة لاجزائها في الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة
مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد في الوهية والامتنان على
العباد بما انعم عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ في ذلك وقال وان من شيء الا عندنا
خزائنه اي وما من شيء الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه اضعافا ما وجد منه فضرب
الخزائن مثلا لاقتدار او شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة التي لا يحوج اخراجها الى الكلفة
والاجتهاد وما ننزله من بقاع القدرة الا بقدر معلوم حدته الحكمة وتعلقت به المشيئة
فان تخصيص بعضها بالايجاد في بعض الاوقات مشتملا على بعض الصفات والحالات لابد
له من مخصص حكيم وارسلنا الرياح لواقح حوامل شبه الريح التي جاءت بخير من انشاء سحاب
ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم او ملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى
المطيحات من قوله ومختبط مما تطيح الطوائح وقرئ وارسلنا الريح على تاويل الجنس فانزلنا
من السماء ماء فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين قادرين متمكنين
من اخراجه لغنى عنهم ما اثبته لنفسه او حافظين في القدراه والعيون والابار وذلك ايضا يدل
على المدبر الحكيم كما تدل حركة الهوى في بعض الاوقات من بعض الجهات على بعض وجه ينتفع به
الناس فان طبيعة الماء تقتضي الغور فوقوفه دون حد لابد له من مخصص وانا لنحن نحيي
بايجاد الحيوة في بعض الاجسام القابلة لها وتميت بازالتها وقدم الحيوة بما يعم الحيوان
والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ونحن الوارثون الباقون اذ اماتت الخلايق كلها

ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين من استقدم ولادة وموتا ومن استاخر
او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة
او تاخر لا يخفى علينا شيء من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بل الاحتجاج على كمال قدرته فان
ما يدل على قدرته دليل على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف الاول فازدحموا
عليه فنزلت وقيل ان امراة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض
القوم ليلا ينظر اليها وتاخر بعض ليبصرها فنزلت وان ربك هو يحشرهم لا محالة للجزاء وتوسيط
الضمير للدلالة على انه القادر والمتولي لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بان للتحقيق للوعد والتنبيه
على ان في الحشر ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفصيل الاشياء بيد على صحة الحكم
كما صرح به في قوله انه حكيم باهر الحكمة متقن في افعاله عليم وسع علمه كل شيء ولقد خلقنا
الانسان من صلصال طين يابس يصلصل اي يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا ابن
تضعيفه صل من حماء طين تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال اي كائن
من حماء مسنون مصور من سنة الوجه او مصبوب يشيء ليلين او يصور كالجواهر المذابة تصب
صورة في القوالب من السن وهو الصب كانه افرغ الماء فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس
حتى اذا انقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه ومنه من سنن الحجر
على الحجر اذا حاكته به قال ما يسيل بينهما يكون منتنا وقيل سنيا والجان ابا الجن وقيل
ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان شعب الجنس لما كان من شخص
واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره خلقنا
من قبل من قبل خلق الانسان من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا يمنع
خلق الحيوة في الاجسام البسيطة كما لا يمنع خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة
الغالب فيها الجزء الناري فانها اقبلها من التي الغالب فيها الجزء الارضي وقوله من نار
باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق الاية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله
وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر
وهو قبول المواد للجمع واذ قال ربك واذكر وقت قوله للملائكة اني خالق بشرا من صلصال
من حماء مسنون فاذا سويته عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحي
حتى جرى اثاره في تجاويف اعضائه فحي واصل النفخ اجراء الريح في تجويف جسم اخر ولما كان
الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف المتبعث من القلب ويفيض عليه القوة الحيوانية فيسري حاملا
لها في تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا واضافة الروح الى نفسه
لما مر في النساء فقعوا له فاسقطوا له ساجدين امر من وقع يقع فسجد الملائكة كلهم اجمعون
اكد بتاكدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص وقيل اكد بكل للاحاطة وباجمعين للدلالة
على انهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك كان الثاني حالا لا تاكيدا
الا ابليس ان جعل منقطعا اتصل به قوله ابى ان يكون مع الساجدين اي ولكن ابليس
ابى وان جعل متصلا كان استثنافا على انه جواب سائل قال هلا سجد قال يا ابليس ما لك
الا تكون اي غرض لك في ان لا تكون مع الساجدين لادم قال لم اكن لاسجد اللام لتاكيد
النفي اي لا يصح مني وبيني في حالي ان اسجد لبشر جسمتني كثيف وانا ملك روحاني خلقته
من صلصال من حماء مسنون وهو اخس العناصر وخلقتني من نار وهي اشرفها
استنقص ادم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف قال فاخرج
منها اي من السماء او من الجنة او زمرة الملائكة فانك رجيم مطرود من الخير والكرامة

فان من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن
الجواب عن شبهته **وان عليك اللعنة** هذا الطرد والابعاد **الى يوم الدين** فانه منتهى امد
اللعن لانه يناسب ايام التكليف ومنه زمان الجزاء وما في قوله فاذن مؤذن بينهم ان
لعنة الله على الظالمين بمعنى اخر ينسى عند هذه وقيل انما حد اللعن به لانه ابعد غاية
يضربها الناس او لانه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزايل **قال رب فانظرني**
فاخرني والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم **الى يوم يبعثون** اراد
بهذا ان يجد فسحة في الاغواء ونجاة من الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول
دون الثاني **قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم** المسمى فيه اجلك عند الله
وانقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان يكون المراد بالايام الثلاثة
يوم القيمة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه اولا بيوم الجزاء المعروف وثانيا
بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه
في الكلامين ولا يلزم من ذلك ان لا يموت فلعله يموت اول اليوم ويبعث الخلايق في اضاعيفه
وهذه المصاعقة المخاطبة وان لم تكن بواسطة تدل على منصب ابليس لان خطاب الله له على سبيل
الاهانة والاذلال **قال رب بما اغويتني** الباء للقسم وما مصدرية وجوابه **لازينن لهم**
في الارض والمعنى اقسم باغوائك لازينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله اخلد
الى الارض وفي انعقاد القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل للسببية والمعتزلة اولوا الاغواء
بالنسبة الى النبي والتسبب له بامره اياه بالسجود لادم عليه السلام او باضلال عن طريق
الجنة واعتذروا عن اضافة الله له وهو سبب لزيادة غيه وتسليطه له على اغواء بني ادم بان
الله علم منه ومن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل او لم يمهل وان في امهاله
تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على اولي الالباب **ولاغوينهم**
اجمعين ولاحملنهم اجمعين على الغواية **الا عبادك منهم المخلصين** اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم
من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقراء ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بكسر اللام في كل القرآن اي
الذين خلصوا نفوسهم لله **قال هذا صراط علي** حق ان اراعيه **مستقيم** لا انحراف عنه والاشارة
الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخليص المخلصين من اغوائه او الاخذ على معنى انه طريق علي يؤدي
الى الوصول الي من غير اعوجاج وضلال وقرئ علي من علو الشرف **ان عبادي ليس لك عليهم**
سلطان الا من اتبعك من الغاوين تصديق لابليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم
المخلصين لان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم او تكذيب له فيما اوهم
انه لهمي له سلطانا على من ليس بمخلص من عباد فان منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما قال
وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى
الاول يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقي لافضائه الى تناقض الاستثنائين **وان**
جهنم لموعدهم لموعد الغاوين او المتبعين **اجمعين** تاكيد للضمير او حال والعامل فيها الموعد
ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لا يعمل **لها سبعة**
ابواب يدخلون فيها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظى
ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع الهلكات
في الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية اولان اهلها سبع فرق **لكل**
باب منهم جزء من الاتباع **جزء مقسوم** افرز لمن فاعلها للموحدين العصاة والثاني للمهود
والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع

للمنافقين وقراء ابو بكر جزء بالتثقيل وقرئ جزء على حذف الهمزة والقاء حركته على الزاى ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه او من المستكن فى الظرف لانه مفسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفه ان المتقين من اتباعه فى الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة فى جنات وعيون لكل واحد جنة وعين او لكل عدة منهما كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وقوله مثل الجنة التى وعد المتقون فيها انهار من ماء غير اسن الاية وقرأ نافع وابو عمرو وحفص وهشام وعيون والعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسرها ادخلوها على ارادة القول وقرئ يقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض فلا يكسر التنوين بسلام سالمين او مسلما عليكم امنين من الافة والزوال ونزعنا فى الدنيا بما الف بين قلوبهم او بالجنة بتطييب نفوسهم ما فى صدورهم من غل من حقد كان فى الدنيا وعن على رضى الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم او من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب اخوانا حال من ضمير فى جنات او فاعل ادخلوها او الضمير فى امنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله على سرر متقابلين ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وان يكون متقابلين حالا من المستكن فى على سرر لا يمسهم فيها نصب استيناف او حال بعد حال او حال من الضمير فى متقابلين وما هم منها بمخرجين فان تمام النعمة الخلود نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له وفى ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقى الذنوب كبيرها وصغيرها وفى توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتاكيده وفى عطف ونبئهم عن ضيف ابراهيم على نبئ عبادى تحقيق لهما بما يعتبرون به اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما نسلم عليك سلاما او سلمنا سلاما قال انا منكم وجلون خائفون وذلك لانهم دخلوا عليه بغير اذن وبغير وقت او لانهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب النفس لتوقع ما تكره قالوا لا توجل وقرئ لا تاجل ولا توجل من واجله ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استيناف فى معنى التعليل للنهى عن الوجل فان المبشر لا يخاف منه وقراء حمزة نبشرك من البشر بغلام هو اسحاق لقوله فبشرناها باسحاق عليم اذا بلغ قال ابشرتمونى على ان مسنى الكبر تعجب من ان يولد له مع مس الكبر اياه او انكار لان يبشر به فى مثل هذه الحال وكذا قوله فبم تبشرون اى فباى عجوبة تبشرونى او فباى شئ تبشرونى فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شئ وقراء ابن كثير بكسر النون مشددة فى كل القرآن على ادغام نون الجمع فى نون الوقاية ونافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية على الياء قالوا بشرناك بالحق بما يكون لا محالة او باليقين الذى لا لبس فيه او بطريقة هى حق وهو قول الله وامره فلا تكن من القانطين من الايسين من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب ابراهيم باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون المخطئون طريق المعرفة لا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقراء ابو عمرو والكسائى يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح قال فما خطبكم ايها المرسلون اى فما شانكم الذى ارسلتم له لاجله سوى البشارة ولعله علم ان كمال المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد فى بشارة زكريا ومريم او لانهم بشروه فى تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدوا بها قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعنى قوم لوط الا ال لوط ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام وان كانوا استثناء

وان كان استثناء من الضمير في مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وال لوط المؤمنين
به وكان المعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا ال لوط منهم لنهلك المجرمين وننجي ال لوط ويدل
عليه قوله انا لمنجوهم اجمعين اى مما يعذب به القوم وهو استثناق اذا اتصل الاستثناء ومتصل
بال لوط جاز بجرى خرجك اذا انقطع وعلى هذا جاز ان يكون قوله الا امراته استثناء من ال لوط
او من ضميرهم وعلى الاول لا يكون الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا المنجوهم
اعتراضا وقرا حمزة والكسائى انا المنجوهم بالتخفيف قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة
لنهلك معهم وقراء ابو بكر قدرنا هنا وفى النمل بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص افعال
القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا اجرى مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء
قول واصله جعل الشئ على مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من
القرب والاختصاص به فلما جاء ال لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون تنكركم نفسى وتنفر
عنكم مخافة ان تطرقونى بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اى ما جئناك بما تنكرنا
لاجله بل جئناك بما يسرك وينفى لك من عدوك وهو العذاب الذى وعدتهم به فيمترون
به فاسر باهلك فاد وآتيناك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون فيما اخبرناك به
فاسر باهلك فاذهب بهم فى الليل وقراء الحجازيان يوصل الالف من السرى وهما بمعنى وقرئ
سر من السير بقطع من الليل فى طائفة من الليل وقيل فى اخره قال

• افتحى الباب وانظرى فى النجوم • كم علينا من قطع ليل بهيم

واتبع ادبارهم وكن على اثارهم تذودهم وتسوقهم وتطلع على حالهم ولا يلتفت منكم احد
ينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه او فيصيبه ما اصابهم او لا يتصرف احد ولا يتخلف لغرض
فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا انفسهم على المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون
الى حيث امركم الله بالمضى اليه وهو الشام او مصر فعدى وامضوا الى حيث وتؤمرون الى ضمير المذوف
على الاتساع وقضينا اليه اى وحينا اليه مقضيا ولذلك عدى بالى ذلك الامر مبهم تفسيره ان دابر
هؤلاء مقطوع ومحله النصب على البدل منه وفى ذلك تفخيم للامر وتعظيم له وقرئ بالكسر على
الاستيناق والمعنى انهم يستاصلون عن اخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين داخلين
فى الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير فى مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء
فى معنى مدبرى هؤلاء وجاء اهل المدينة سدوم يستبشرون باضياف لوط طمعا فيهم
قال ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون بفضيحة ضيفى فان من اساء الى ضيفه فقد اساء اليه
واتقوا الله فى كون الفاحشة ولا تخزون ولا تذلون بسببهم من الخزى وهو الهوان او لا تخجلون
فيهم من الخزاية وهى الحياء قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا وتمنع بيننا
وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل واحد منهم وكان لوط تمنعهم عنه لقدر وسعه او عن
ضيافة الناس وانزالهم قال هؤلاء بناتى يعنى نساء القوم فان نبى كل امة بمنزلة ابيهم
وفيه وجوه ذكرت فى مود ان كنتم فاعلين قضاء الوطر وما قول لكم لعمرك قسم بحياة المخاطب
وهو النبى عليه الصلاة والسلام وقيل لوط قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمى وهو
لغة فى العمر يختص به القسم لابتذاله لانه كثير الدور على السنتهم انهم لفى سكرتهم لفى
غوايتهم او شدة غلمتهم التى اذالت عقولهم وتمييزهم بين خطائهم والصواب الذى يسارب
اليهم يعمهون يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير للرسل والجملة اعتراض فاخذتهم
الصيحة يعنى صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبريل مشرقين داخلين فى وقت شروق فجعلنا
عاليها يعنى عالى المدينة او عالى قريتهم سافلها وصارت منقلبة بهم وامطرنا عليهم حجارة

من

من سجيل من طين متحجر او طين على كتاب من السجل وقد سبق مزيد بيان لهذه القصة في سورة
هود ان في ذلك لايات للمتوسمين المتفكرين المتفرسين الذي يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا
حقيقة الشيء بسمته وانها وان المدينة او القرى لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون
اثارها ان في ذلك لاية للمؤمنين بالله ورسوله وان كان اصحاب الايكة لظالمين بسم قوم
شعيب يسكنون الغيضة فبعثه الله اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجر المتكاثفة
فانتقمنا منهم بالاهلاك وانهما اي سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه كان مبعوثا
اليهما وكان ذكر احدهما منبها على الاخر لبامام مبين لطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي
به الطريق واللوح ومطمر البناء لانها مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود
كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز ان يراد بالمرسلين صالح ومن
بعده معه من المؤمنين والحجر واد بين المدينة والشام يسكنونها واتيناهم اياتنا فكانوا عنها
معرضين يعني ايات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته كالناقة وشربها وشربها وما نصب
لهم من الادلة وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا امنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء
او ناقبها او من العذاب لفرط غفلتهم او حسبانهم ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم الصيحة مصبحين
فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد وما
خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق لا بالام استمرار الفساد
ودوام الشرور فلذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء وازاحة فسادهم من الارض وان الساعة
لاتية فينتقم الله لك ممن كذبك فاصفح الصفح الجميل ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة
الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ باية السيف ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده
امرك وامرهم العليم بحالك وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينكم او هو الذي خلقكم
وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفي مصحف عثمان وابي هو الخلاق وهو يصلح للقليل
والكثير والخلاق يختص بالكثير ولقد اتيناك سبعا سبع ايات وهي الفاتحة وقيل سبع سور
وهي الطوال وسابعها الانفال والتوبة لانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل
التوبة وقيل يونس والحواميم السبع وقيل سبع صحائف وهي الاسباع من المثاني بيان السبع
والمثاني من التثنية او الثناء فان كل ذلك مثنى تكرر قراءته او الفاظه او قصصه ومواعظه وثني
عليه بالبلاغة والاعجاز ومن على الله بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان
يراد بالمثاني القران او كتب الله كلها فيكون من التبعيض والقران العظيم ان اريد بالسبع الايات
او السور فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف احد
الوصفين على الاخر لاتمدن عينيك لاتطمح ببصرك طموح راغب اليها متعجبا ازواجا
منهم اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض
الى دوام اللذات وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القران فراى ان احدا اوتي افضل مما اوتي
فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه عليه الصلاة والسلام وافاه ذرعات سبع قوافل لهود
بني فريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كان هذه
الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتم سبع ايات هي خير من هذه
القوافل السبع ولاتحزن عليهم انهم لم يؤمنوا وقيل انهم هم المتمتعون به واخفض جناحك
للمؤمنين وتواضع لهم وارفق بهم وقل اني انا النذير المبين انذركم بيانا وبرهانا ان
عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا كما انزلنا على المقتسمين مثل العذاب الذي انزلنا عليهم
فهو وصف لمفعول النذير او مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين قسموا مداخل

من الدنيا هج

مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول فاهلكهم الله يوم بدر او الرهط الذين
اقتسموا اى تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه الصلاة والسلام وقيل هو صفة مصدر محذوف
لقوله ولقد اتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون هم اهل الكتاب الذين جعلوا القرآن
عضين حيث قالوا عناد بعضه موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لها او قسموه
الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين او اهل الكتاب امنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على
ان القرآن ما يقرؤن من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله لا تمدن
عينيك الى اخره اعتراض ممهد لها الذين جعلوا القرآن عضين اجزاء جمع عضة واصلها جمع
عضوة من عضا الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل فعلة من عضهته اذا بهته وفى الحديث لعن
الله العاضهة والمستعضهة وقيل اسحارا وعن عكرمة العضة السحر وانما جمع جمع السلامة
جبرا لما حذف منه والموصوف بصفته صفة للمقتسمين او مبتدا خبره فوربك لنسالنهم اجمعين
عما كانوا يعملون من التقسيم او النسبة الى السحر فيجازيهم وقيل عام فى كل ما فعلوا من الكفر والمعاصى
فاصدع بما تؤمر فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فافرق بين الحق والباطل واصله
الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اى بما تؤمر به من الشرائع واعرض
عن المشركين فلا تلتفت الى ما يقولون انا كفيناك المستهزئين بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا
خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدى بن قيس والاسود بن عبد
يغوث والاسود بن المطلب يبالغون فى ايذاء النبى صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فقال
جبريل لرسول الله عليهما الصلاة والسلام امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فاذا بنبال
قد تعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا فى عقبه فقطعه فمات واومى
الى اخمص العاص فدخلت فيه شوكة وانتفخ رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف
حارث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد فى اصل شجرة فجعل ينطح
راسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عينى الاسود بن المطلب فعمى الذين
يجعلون مع الله الها اخر فسوف يعلمون عاقبة امرهم فى الدارين ولقد نعلم انك يضيق
صدرك بما يقولون من الشرك والطعن فى القرآن والاستهزاء بك فسبح بحمد ربك فافزع
الى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفيك ويكشف عنك الغم او فنزهه عما يقولون
حامدا له على ان هداك للحق وكن من الساجدين من المصلين وعنه عليه الصلاة والسلام كان
اذا حزبه امر فزع الى الصلاة واعبد ربك حتى ياتيك اليقين اى الموت فانه متيقن لحاقه
كل حى مخلوف والمعنى واعبد ما دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قراء سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين
بهم عليه الصلاة والسلام والله اعلم

سورة النحل مكية غير ثلاث ايات فى آخرها ومدنية وهى مائة وثمان وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

اتى امر الله فلا تستعجلوه كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول من قيام الساعة واهلاكك
اياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما يقوله فالاصنام تشفع لنا
وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به فى منزلة الآتى المتحقق من حيث انه واجب
الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا اخلاص لكم عنه سبحانه وتعالى عما
يشركون تبرا وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرا حمزة والكسائى بالتاء على
وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب او على ان الخطاب للمومنين او لهم

ولغيرهم لما روى انه لما نزلت اتى امر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه **ينزل الملائكة بالروح** بالوحي او بالقرآن فانه يحيي به القلوب الميتة بالجهل او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذكر اشارة الى الطريق الذي علم به الرسول ما تحقق به موعدهم به ود نوه واراحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل من انزل ينزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل وقرأ ابو بكر ينزل على المضارع المبني على المفعول من التنزل **من امره** بامره ومن اجله **على من يشاء من عباده** ان يتخذه رسولا **أن انذروا** بان انذروا اي اعلموا من انذرت بكذا اذا اعلمته **انه لا اله الا انا فاتقون** ان الشان لا اله الا انا فاتقون او خوفوا اهل الكفر والمعاصي بانه لا اله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحي لما دل على القول او مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض او مخففة من الثقيلة والآية تدل على ان نزول الوحي بواسطة الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذي هو اقصى كمالات القوة العملية وان النبوة عطائية والآيات التي يجدها دليل على وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر عليك فيلزم التمانع **خلق السموات والارض بالحق** خلقهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته **تعالى عما يشركون** منها او مما يقترنه وجودا او بقاء اليهما ومما لا يقدر على خلقها وفيه دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام **خلق الانسان من نطفة** جماد لا حس لها ولا حراك بالذات لا تحفظ الوضع والشكل **فاذا هو خصيم** منطيق مجادل **مبين** للحق او خصيم مكافح لخالقه قايل من يحيي العظام وهي رميم روي ان ابي بن خلف اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم وقال يا محمد ترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت **والانعام** الابل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره **خلقها لكم** او بالعطف على الانسان وخلقها كلام بيان ما خلق لاجله وما بعده تفصيل له **فيها دفء** ما يدفأ به فيتقى البرد **ومنافع** نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول غرضها **ومنها تاكلون** اي تاكلون ما يؤكل منها كالحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الاي اولان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات لما كولة فعلى سبيل التداوي والتفكه **ولكم فيها جمال** زينة **حين تريحون** تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي **وحين تسرحون** تخرجون بالغداة الى المرعى فان الافنية تتزين بها في الوقتين وتحل اهلها في اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملاء البطون حافلة الضروع ثم تاوي الى المحاظير حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصف له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه **وتحمل اثقالكم** احمالكم **الى بلد لم تكونوا بالغيه** ان لم تكن الانعام ولم تخلق فضلا من ان تحملوها على ظهوركم اليه **الا بشق الانفس** الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه واصله الصدع والمكسور بمعنى المضيف كانه ذهب نصف قوته بالتعب **ان ربكم لرؤف رحيم** حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم **والخيل والبغال والحمير** عطف على الانعام **لتركبوها وزينة** لتركبوها وتتزينوا بها زينة وقيل هي معطوفة على محل لتركبوا وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان تكون علة لتركبوها

او مصدر في موقع الحال من احد الضميرين اى متزينين او متزينا بها واستدل به على حرمة
لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم من تحليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره
اصلا ويدل عليه ان الاية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت
عام خيبر ويخلق ما لا تعلمون لما فضل الحيوانات التي يحتاج اليها غالبا الحشايا جاء ضرورة
او غير ضرورة اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بانه كذا من الخلايق ما لا علم لنا به
وان يراد به ما خلق في الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر وعلى الله قصد السبيل بيان
مستقيم الطريق الموصل الى الحق او اقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا او عليه قصد
السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد اى مستقيم كانه يقصد
الوجه الذي يقصده السالك لا يميل عنه والمراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد
وقال ومنها جائر حايل عن القصد او عن الله وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله ان
يبين طريق الضلالة او لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء
بالعرض وقرئ ومنكم جائر اى عن القصد ولو شاء لهداكم اجمعين اى ولو شاء هدايتكم
اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء هو الذي انزل من السماء ماء
من السحاب او من جانب السماء ماء لكم منه شراب ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن
تبعيضية متعلقة به وتقديمها ليوهم حصر المشروب فيه ولا بأس به لان مياه العيون
والآبار منه لقوله فسلكه ينابيع في الارض ومنه شجر ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي
ترعاه المواشي وقيل كل ما نبت على الارض شجر قال

تعلفها اللحم اذا عز الشجر والخيل في اطعامها اللحم ضرر

فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصله السومة وهي العلامة
لانها تؤثر بالرعي علامات ينبت لكم به الزرع وقراء ابو بكر بالنون على التفخيم والزيتون
والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ومن بعض كلها اذ لم ينبت في الارض كل ما يكون
من الثمار ولعل تقديم ما سام على ما يؤكل منه لانه سيصير غذا حيوانا هو اشرف
الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلاثة وترتيبها ان في ذلك
لاية لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته فان من تامل ان الحبة تقع في الارض
ويصل اليها اندوة تنفذ فيها فينشق اعلاها فيخرج منه عروقها ويخرج منه ساق الشجرة
وينشق اعلاها فيخرج منه عروقها ثم تنمو او تخرج منها الاوراق والازهار والاكمام والثمار
وتشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال والطبايع مع اتحاد المواد ونسبة الطبايع
السفلية والتاثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس عن
منازعة الاضداد والانداد ولعل فصل الاية به لذلك وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر
والنجوم بان هيأها لمنافعكم مسخرات بامره حال من الجميع اى تنفعكم بها حال كونها مسخرات لله خلقها
ودبرها كيف شاء او الخالق له بايجاده وتقديره او بحكمته وفيه ايذان بالجواب عما عسى ان
يقال ان المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب
في انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجب
ومخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل او مصدر ميمي بمعنى التسخير جمع
لاختلاف الانواع وقراء حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تقديم الحكم بعد تخصيصه
ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا ان في ذلك لايات لقوم يعقلون جمع الاية وذكر العقل
لانها تدل انواعا من الدلالة ظاهرة لذوي العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء فكر

كاحوال النباتات **وما ذرأ لكم في الارض** عطف على الليل اى وسخر لكم ملخلق لكم فيها من حيوان ونبات **مختلفا الوانه** اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا **ان في ذلك لاية لقوم يذكرون** ان اختلافها في الطباع والهيات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم **وهو الذي سخر البحر** جعلها بحيث تتمكنوا من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص **لتاكلوا منه لحما طريا** وهو السمك وصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم فيسرع اليه الفساد فيسارع الى اكله واظهارا لقدرته في خلقه غضا طريا في ماء عاف وتمسك به ملائك والمؤمن ان من حلف لا ياكل لحما حنث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق الا ترى ان الله سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على ان لا يركب دابة بركوبه **وتستخرجوا منه حلية تلبسونها** كاللؤلؤ والمرجان اى يلبس نساؤكم فاسند اليهم لانهن من جملتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم **وترى الفلك** السفن **مواخر فيه** جواري فيه تشق بصدرها من المخر وهو شق الماء وقيل صوت جري الفلك **ولتبتغوا من فضله** من سعة رزقه بركوبها للتجارة **ولعلكم تشكرون** تعرفون نعم الله فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لانه اقوى في باب الانعام من حيث انه جعل المهالك سببا للانتفاع بتحصيل المعاش **والقى في الارض رواسي** جبالا رواسي **ان تميد بكم** كراهة ان تميد بكم وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان يخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك وان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما اى بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد رسيت بالجبال **وانهارا** وجعل فيها انهارا الان التي فيه معناه **وسبلا لعلكم تهتدون** لمقاصدكم او لمعرفة الله تعالى **وعلامات** ومعالم يستدل بها السابلة من جبل وسهل وريح ونحو ذلك **وبالنجم هم يهتدون** بالليل في البراري والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه وبالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي ولعل تضمير قريش لانهم كانوا اكثر الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في مسايرهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم والتحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار يذلك والشكر عليه الزمهم واجب عليهم **افمن يخلق كمن لا يخلق** انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شيء من ذلك بل على ايجاد شيء ما وكان حق الكلام افمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات المعجزة تشبيها بها والمراد بمن لا يخلق كل من عبد من دون الله مغلبا فيه اولو العلم منهم او الاصنام واجراؤها مجرى اولي العلم لانهم سموها الهة ومن حق الالهة ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يعلم يخلق او للمبالغة وكانه قيل ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بمن لا علم عنده **افلا تذكرون** فتعرفوا فساد ذلك كله فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذي يحضر عنده بادنى تذكر والتفات **وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها** لا تضبطوا عددها فضلا ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع بذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيها على ان ما وراء ما عدنعا لا تحصر وان حق عبادته غير مقدور **ان الله لغفور** حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكرها **رحيم** لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها **والله يعلم ما تسرون وما تعلنون** من عقائدكم واعمالكم ومن وعيد وتهديد للمشرك باعتبار العلم **والذين يدعون**

من دون الله اى والالهة التى تعبدونهم من دونه وقراء ابو بكر بالياء وقراء حفص تدعون بالياء لا يخلقون شيئا المانع المشاركة بين من يخلق وبين من لا يخلق بين انهم لا يخلقون شيئا لينتج انهم لا يشاركونه ثم اكد ذلك بان اثبت لهم صفات تنافى الالوهية فقال وهم يخلقون لانها ذوات ممكنة مفتقرة فى الوجود الى التخليق والالة ينبغى ان يكون واجب الوجود اموات بهم اموات لا تعتريهم الحياة او اموات حالا ومالا غير احياء بالذات ليتناول كل معبود والالة ينبغى ان يكون حيا بالذات لا يعتريه الممات وما يشعرون ايان يبعثون ولا يعلمون وقت بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكونون لهم وقت جزاء على عبادتهم والالة ينبغى ان يكون عالما بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من موانع التكليف الهكم اله واحد تكرير للمدعى بعد اقامة الحج فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة للوحدانية وهم مستكبرون بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالاخرة فان المؤمن بها يكون طالبا للدلائل متاملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى المالوف فانه ينافى النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات الى قوله والاول هو العمدة فى الباب ولذلك رتب على ثبوت الاخرين لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم وهو فى موضع الرفع بجرم لانه مصدر او فعل انه لا يحب المستكبرين فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده واتباع رسوله واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم القائل بعضهم على التهكم او الموافقون عليه والمسلمون قالوا اساطير الاولين اى ما تدعون نزوله او المنزل اساطير الاولين وانما سموه منزلا على التهكم او على الفرض اى على تقدير انه منزل فهو اساطير الاولين لا تحقيق فيه والقائلون لذلك قيل هم المقتسمون ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة اى قالوا ذلك اضلالا لا للناس فحملوا اوزار اضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم فى الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار اضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب بغير علم حال من المفعول اى يضلونهم من لا يعلم انهم ضلال وفائدتها الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه فعلهم قد مكر الذين من قبلهم اى سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله فاتى الله بنيانهم من القواعد اى اتاها امره من جهة العمد التى بنوا عليها بان ضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم وصار سببا لاهلاكهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل الماذ به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد امر السماء فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم او يعذبهم بالنار لقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ويقول اين شركائى اضاف الى نفسه استهزاء او حكاية لاضافتهم زيادة فى توبيخهم وقراء البزى بخلاف عنه اى شركائى بغير همز والباقون بالهمز الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون المؤمنين فى شانهم وقراء نافع بكسر النون بمعنى تشاقوننى فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله قال الذين اوتوا العلم اى الانبياء او العلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم او يتكبرون عليهم او الملائكة ان الخزى اليوم والسوء الذلة والعذاب على الكافرين وفائدة قولهم اظهار الشماتة وزيادة الاهانة وحكايته لان يكون لطفا لمن سمعه الذين تتوفاهم الملائكة وقراء حمزة بالياء وقرئ بادغام التاء فى التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلاثة ظالمى انفسهم بان عرضوها للعذاب المخلد فالقوا السلم فسالموا او استسلموا حين عاينوا الموت ما كنا نعمل من سوء قائلين ما كنا

نعمل من سوء كفر وعدوان ويجوز ان يكون تفسيرا للتسلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام
بلى اى فتجيبهم الملائكة ان الله عليم بما كنتم تعملون فيجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا السلم
الى اخر الاية استئناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيمة وعلى هذا اول من لم يجوز الكذب
يوميذ ما كنا نعمل من سوء بانا لم يكن فمر عنا واعتقادنا عاملين سوأ واحتمل ان يكون
الراد عليهم هو الله او الوا العلم فادخلوا ابواب جهنم كل صنف بابها المعدلة وقيل
ابواب جهنم اصناف عذابها خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين جهنم وقيل للذين
اتقوا يعني المومنين ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اى انزل خيرا وفي نصبه دليل على انهم لم
يتلعثموا في الجواب واطبقوا على السؤال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة روى ان
احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء
الوافد المقتسمين قالوا له ما قالوا واذا جاء المومنين قالوا له ذلك للذين احسنوا في هذه
الدنيا حسنة مكافاة في الدنيا ولدار الاخرة خير اى ولثوابهم في الاخرة خير منها وهو عدة
للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخير على انه منتصب
بقالوا ولنعم دار المتقين دار الاخرة فحذف لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتداء
محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم ما يشاءون فيها
من انواع المشتهيات وفي تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريد الا في الجنة
كذلك يجزي الله المتقين مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول الذين تتوفاهم
الملائكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم
وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه ارواحهم نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس يقولون سلام عليكم لا تحية تكم بعد مكروه ادخلوا
الجنة بما كنتم تعملون حين تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر
لان الامر بالدخول حينئذ هل ينظرون ما ينتظر الكفار المار ذكرهم الا ان تاتيهم
الملائكة لقبض ارواحهم وقراءة حمزة والكسائي بالياء او ياتي امر ربك القيمة او العذاب المستاصل
كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم فاصابهم ما اصابهم
وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه
فاصابهم سيئات ما عملوا جزاء سيئات اعمالهم على حذف المضاف او تسمية الجزاء باسمها وحاق
بهم ما كانوا به يستهزءون واحاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل الا في الشر وقال الذين اشركوا
لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من
شيء انما قالوا ذلك استهزاء او متعللين للبعثة والتكليف تمسكين بان ما شاء الله يجب وما
لم يشاء يمتنع فما الفائدة فيهما او انكارا لقبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر
ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجئا
اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب من الشبهتين كذلك
فعل الذين من قبلهم فاشركوا بالله وحرموا حلله وردوا رسله وما على الرسل الا البلاغ المبين
الا الابلاغ الموضح للحق وهو ان لم يوثر في هدى من لشاء الله هداه لكنه يؤدي اليه على سبيل
التوسط وما شاء الله وقوعه انما يجب وقوعه لا مطلقا بل باسباب قدرها لهم بين ان
البعثة امر جرت به السنة الالهية في الامم كلها سببا لهدى من اراد هداه وزيادة الضلال
لمن اراد ضلاله كالغذاء الصالح فانه ينفع المزاج السوي ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه
بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت يامر بعبادة

يامر بعبادة الله واجتناب الطاغوت فمنهم من هدى الله وفقهم للايمان بارشاده ومنهم
من حقت عليه الضلالة اذلم يوفقهم ولم يرد هدايتهم وفيه تنبيه على ان فساد الشبهة الثانية
لما فيه من الدلالة على ان تحقق الضلال وثباته بفعل الله وارادته من حيث انه قسيم من هدى
الله وقد صرح به فى الاية الاخرى فسيروا فى الارض يا معشر قريش فانظروا كيف كان
عاقبة المكذبين من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون ان تحرص يا محمد على هداهم فان الله
لا يهدى من يضل من يريد اضلاله وهو المعنى بمن حقت عليه الضلالة وقراءة الكوفيين
لا يهدى على البناء للمفعول وما بالغ ومالهم من ناصرين من ينصرهم يدفع العذاب عنهم
واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت عطف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهم
كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة فى البت على فساده وقد رد الله عليهم ابلغ
رد فقال بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لنفسه وما دل عليه بلى فان يبعث موعد
من الله عليه انجازه لامتناع الخلف فى وعده ولان البعث مقتضى حكمته حقا صفة اخرى
للوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من موجب الحكمة
التى جرت عادته برعايتها واما لقصور نظرهم بالمالوف فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى
بين الامرين فقال ليبين لهم اى يبعثهم ليبين لهم بعض الذى يختلفون فيه وهو
الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الى السبب
الداعى الى البعث المقتضى له من حيث الحكمة وهو التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل والثواب
والعقاب انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وهو بيان امكانه وتقرير
ان تكوين الله تعالى بمحض قدرته ومشيئته لا توقف له على سبق المواد والمدد والا لزم
التسلسل فكما امكن له تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال له تكوينها اعادة بعد
ونصب بن عامر والكسائى فيكون هنا وفى يس عطفا على نقول اوجوابا للامر والذين هاجروا
فى الله من بعد ما ظلموا بان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر
بعضهم الى الحبشة وبعضهم الى المدينة او المحبوسون المعذبون بمكة بعد بجرة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعياش وابن جندل وسهيل وقوله فى الله فى حقه
ولوجهه لنبوئنهم فى الدنيا حسنة مباة حسنة وهى المدينة او تبوءة حسنة ولاجر
الاخرة اكبر مما يعجل لهم فى الدنيا وعن عمر رضى الله عنه انه كان اذا اعطى احدا من المهاجرين عطاءه
قال له خذ بارك الله لك فيه هذا هو ما وعدك الله فى الدنيا وما ادخر لك فى الاخرة افضل لو
كانوا يعلمون الضمير للكفار اى لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم
او للمهاجرين اى لو علموا ذلك لزادوا فى اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على الشدائد
كاذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين
الى الله مفوضين اليه الامر كله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم رد لقول قريش الله
اعظم من ان يكون رسوله بشرا اى جرت السنة الالهية بان لا يبعث الى الدعوة العامة الا بشرا
يوحى اليه على السنة الملايكة والحكمة فى ذلك قد ذكرت فى سورة الانعام فان شككتم فيه فاسئلوا
اهل الذكر اهل الكتاب او علماء الاخبار ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون وفى الاية دليل على انه
تعالى لم يرسل امراة ولا هلكا للدعوة العامة واما قوله جاعل الملايكة رسلا الى الملايكة
او الى الانبياء وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا ممثلين بصورة الرجال وورد بما روى انه عليه الصلاة
والسلام راى جبريل على صورته التى هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا
يعلم بالبينات والزبر اى ارسلناهم بالبينات والزبر اى المعجزات والكتب كانه جواب قايل

بهم ارسلوا ويجوز ان يتعلق بما ارسلناه داخلا في الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا
بالبينات كقوله ما ضربت الا زيدا بالسوط لسوط او صفة لهم اي رجالا ملتبسين بالبينات
او بيوحى على المفعولية او الحال من القائم مقام فاعله على ان قوله فاسئلوا اعتراض
او بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام وانزلنا اليك الذكر اي القرآن وانما سمي
ذكرا لانه موعظة وتنبيه لتبين للناس ما نزل اليهم في الذكر بتوسط انزاله اليك مما
امر به ونهوا عنه او مما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود او يرشد الى ما يدل
عليه كالقياس ودليل العقل ولعلهم يتفكرون وارادة ان يتاملوا فيه فيتنبهوا للحقائق
افامن الذين مكروا السيئات اي المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء
او الذين مكروا برسول الله وراموا صد اصحابه عن الايمان ان يخسف الله بهم الارض
كما خسف بقارون او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون بغتة من جانب السماء كما فعل
بقوم لوط او يأخذهم في تقلبهم اي متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين
او يأخذهم على تخوف على تخافة بان يهلك قوما فتخافهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون
او على ان ينقص شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوف اذا تنقصته
روي ان عمر رضي الله عنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من بهذيل
فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال
شاعرنا ابو كبير يصف ناقته تخوف الرجل منها تامكا قردا كما تخوف عود
النبعة السفن فقال عمر رضي الله عنه عليكم بديوانكم لا تضلوا يا ايها الناس قالوا وما
ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعنى كلامكم فان ربكم لرؤف
رحيم حيث لم يعاجلكم بالعقوبة اولم يروا الى ما خلق الله من شيء استفهام انكاري
قد راوا امثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيه ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا
منه وما موصولة مبهمة بينها يتفيؤ ظلاله اي اولم ينظروا الى المخلوقات التي لها ظلال
متفيئة وقراء حمزة والكسائي تروا بالتاء وابو عمرو تتفيؤ بالتاء عن اليمين والشمائل
عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منهما استعارة من يمين الانسان وشماله ولعل
توحيد اليمين وجمع الشمائل لاعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله
تعالى سجدا لله وهم داخرون وهما حالان من الضمير في ظلاله والمراد من السجود الاستسلام
سواء كان بالطبع او الاختيار كقوله يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير
اذا طاطأ رأسه ليركب وسجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى
يرجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى
من جانب الى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها
على هيئة الساجد والاجرام في انفسها ايضا داخرة اي صاغرة منقادة لافعال الله فيها
وجمع داخرون بالواو لان من جملتها من يعقل او لان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل
المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب تظهر منه اخذة في
الارتفاع والسطوع وشماله جانبه الغربي المقابل له فان الظلال في اول النهار يبتدأ
من المشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند الزوال يبتدأ من المغرب واقعة
على الربع الشرقي من الارض ولله يسجد ما في السموات وما في الارض اي تنقاد انقيادا
يعم الانقياد الارادي وتاثيره طبعا والانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده الى العامة
اهل السموات والارض وقوله من دابة بيان لهما لان الذبيب هي الحركة الجسمانية سواء كانت

في ارض وسما والملائكة عطف على المبين به عطف جبريل على الملائكة للتعظيم او عطف المجردات
على الجسمانيات وبه احتج من قال ان الملائكة ارواح مجردة او بيان لما في الارض والملائكة
تكثير لما في السموات وتعيين له اخلا لا وتعظيما او المراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم
وما لما استعمل من العقلاء كما استعمل الغير بهم كان استعمالا حيث اجتمع القبيلان او لمن
اطلاق من تغليبا للعقلاء وهم لا يستكبرون عن عبادته يخافون ربهم من فوقهم يخافونه
ان يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله وهو القاهر فوق عباده
والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من خاف الله لم يستكبر عن
ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة والتدبير وفيه دليل على ان الملائكة يخافون مداومون
بين الخوف والرجا وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ذكر العدد مع المعدود يدل عليه
دلالة على ان مساق النهي لما يابى بان الاثنينية تنافي الالهية كما ذكر الواحد في قوله
انما هو اله واحد للدلالة على المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية او للتنبيه
على ان الوحدة من لوازم الالهية فاياي فارهبون نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة
في الترهيب وتصريحا بالمقصود كانه قال فانا ذلك الاله الواحد فاياي فارهبون لا غير
وله ما في السموات والارض خلقا وملكا وله الدين اي الطاعة واصبا لما تقرر من انه
الاله وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب اي له الدين ذا كلفة وقيل
الدين الجزا اي وله الجزاء دائما لا ينقطع ابدا لمن امن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون
والاضار سواه كما لا نافع غيره كما قال وما بكم من نعمة فمن الله واي شئ اتصل بكم من نعمة فهو
من الله وما شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان
استقرار النعمة بهم يكون سببا لذلك الاخبار بانها من الله لا الحصول امنه ثم اذا مسكم
الضر فاليه تجارون فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت في الدعا والاستغاثة
ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون وهم كفارهم ليكفروا بعبادة
غيره هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان خاصا بالمشركين كان من للبيان كانه قال فاذا
فريق وهم انتم ويجوز ان يكون من للتبعيض على ان يعتبر بعضهم كقوله فاذا نجاهم الى
البر منهم مقتصد بما اتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم قصدوا بشركهم كفران النعمة
او انكار كونها من الله فتمتعوا امر تهديد فسوف تعلمون اغلظ وعيد وقرئ فيمتعوا
مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفا
للجواب ويجعلون لما لا يعلمون اي لاصنامهم التي لا علم لها لانها جماد فيكون الضمير لما او التي
لا يعلمون انها فيعتقدون فيها جماد لات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان العائد الى ما
محذوف او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول لها محذوف للعلم به نصيبا مما رزقناهم
من الزروع والانعام تالله لتسالن عما كنتم تفترون من انها الهة حقيقة بالتقرب اليها
وهو وعيد لهم عليه ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة بنات
الله سبحانه تنزيه له من قولهم وتعجب منهم ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز فيما
يشتهون الرفع بالابتدا والنصب بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار وهو وان
اقتضى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول شيئ واحد لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف واذا
بشر احدهم بالانثى اخبر بولادتها ظل وجهه صار او دام النهار كله مسودا من الكآبة
والحيا من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتسويد وهو كظيم مملوء غيظا
من المرة يتوارى من القوم يستخفي منهم من سوء ما بشر به من سوء المبشر به عرفا ايمسكه

محدثا نفسه متفكرا فى ان يتركه على هون على ذل ام يدسه فى التراب ام يخفيه فمه وينبذه وتذكير
الضمير للفظ ما وقرئ بالتانيث فيهما الاسباء ما يحكمون حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا
محله عندهم للذين لا يومنون بالاخرة مثل السوء صفة السوء وهى الحاجة الى الولد المنادية
بالموت واستبقاء الذكور استيطارا بهم وكراهة الاناث ووادهن خشية الاملاق ولله المثل
الاعلى وهو الوجوب الذاتى والمعنى المطلق والجود الفائق والتزاهة من صفات المخلوقين
وهو العزيز الحكيم المتفرد بكمال القدرة والحكمة ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم
ما ترك عليها على الارض وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس والدابة عليها من دابة
قط لتشؤم ظلمهم وعن ابن مسعود رضى الله عنه كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب ابن ادم اومن
دابة ظالمة وقيل لو اهلك الاباء بكفرهم لم يكن الابناء ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى لاعمارهم
او لعذابهم كى يتوالد فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون بل هلكوا
اوعذبوا حينئذ لا محالة ولا يلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم ان يكون كلهم
ظالمين حتى الانبياء عليهم الصلاة والسلام لجواز ان يضاف اليهم ما شاع فيهم وصدر
عن اكثرهم ويجعلون لله ما يكرهون اى ما يكرهونه لانفسهم من البنات والشركاء
فى الرياسة والاستخفاف بالرسل وارادل المال وتصف السنتهم الكذب مع ذلك وهو
ان لهم الحسنى اى عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربى ان عنده للحسنى وقرئ الكذب بجمع كذوب
صفة للالسنة لا جرم ان لهم النار رد لكلامهم واثبات لضده وانهم مفرطون مقدمون الى
النار من افرطته فى طلب الماء اذا قدمته وقراءة نافع بكسر الراء على انه من الافراط فى المعاصى وقرئ
بالتشديد مفتوحا من فرطته فى طلب الماء ومكسورا من التفريط فى الطاعات تالله لقد
ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فاصروا على قبائحها وكفروا بالمرسلين
فهو وليهم اليوم اى فى الدنيا وعبر عن زمانها اى فهو وليهم حين كان يزين او يوم القيمة
على انه حكاية ماضية او اتية ويجوز ان يكون الضمير لقريش اى تحزين الشيطان للكفرة
المتقدمين اعمالهم وهو ولى هؤلاء اليوم يغريهم ويغويهم وان يقدر مضاف اى فهو
ولى امثالهم والولى القرين او الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ولهم عذاب
اليم فى القيمة وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم للناس الذى اختلفوا فيه
من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام الافعال وهدى ورحمة لقوم يومنون
معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين والله انزل من السماء ماء فاحيا
به الارض بعد موتها انبت فيها انواع النبات بعد يبسها ان فى ذلك لاية لقوم يسمعون
سماع تدبر وانصاف وان لكم فى الانعام لعبرة دلالة يعتبر بها من الجهل الى العلم نسقيكم
مما فى بطونه استيناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير ووحده ههنا للفظ وانثه فى سورة
المومنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه فى المفردات المبنية على افعال
كاخلاق واكياس ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها
او الواحدة اوله على المعنى فان المراد به الجنس وقراءة نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب
نسقيكم بالفتح هنا وفى المومنين من بين فرث ودم لبنا فانه يخلق من بعض اجزاء الدم
المتولد من الاجزاء اللطيفة التى فى الفرث وهو الاشياء المأكولة المنهضمة بعض الانهضام
فى الكرش وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف فى كرشها
كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه يكون مادة اللبن
واعلاه مادة الدم الذى يغذى البدن لانهما لا يتكونان فى الكرش بل الكبد يجذب صفوة

الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث
اخلاطا اربعة معها مائية فيميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من
المرتين وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقي على الاعضاء فيجري الى كل
حقه على ما يليق به بتقدير الحكيم العليم ثم ان كان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها
لاستيلاء البرد والرطوبة عليه من اجلها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا
انفصل انصبّ ذلك الزائد او بعضه الى الضرع فيبيض بمجاورة لحومها الغدّية البيض
فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله في احداث الاخلاط والالبان واعداد مقارّها ومجاريها
والاسباب المولدة لها والقوى المتصرّفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطرّ الى الاقرار بكمال
حكمته وتناهي رحمته ومن الاولى تبعيضيّة لان اللبن لبعض ما في بطونها والثانية
ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذي يبتدأ منه الاسقاء
وهي متعلقة بنسقيكم او حال من لبنا قدمت عليه لتنكره والتنبيه على انه موضع العبر
العبرة خالصا صافيا لا يستصحب لون الدم ولا رائحة الفرث ومصفى عما يستصحبه
من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه سائغا للشاربين سهل المرور في حلقهم وقرئ
سيغا بالتشديد والتخفيف ومن ثمرات النخيل والاعناب متعلق بمحذوف اي
ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرهما وقوله تتخذون منه سكرا
استئناف لبيان الاسقاء او تتخذون ومنه تكرير للظرف تاكيدا او خبر لمبتدإ محذوف
صفته تتخذون اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه ونذكر الضميرين
على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف الذي هو العصير او لان الثمرات بمعنى
الثمر والسكر مصدر سمي به الخمر ورزقا حسنا كالتمر والزبيب والدبس والخل والاية
ان كانت سابقة على تحريم الخمر فالمنة على كراهتها والا فالجامعة بين العتاب والمنة وقيل
السكر النبيذ وقيل الطعم قال ـــــ جعلت اعراض الكرام سكرا
اي تنقلت باعراضهم وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون الرزق ما يحصل من اثماره
ان في ذلك لاية لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالنظر والتامل في الايات واوحى
ربك الى النحل الهمها وقذف في قلوبها وقرئ الى النحل بفتحتين ان اتخذي بان
اتخذي ويجوز ان تكون مفسرة لان في الايحاء معنى القول وتانيث الضمير على المعنى
فان النحل مذكر من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ذكر بحرف التبعيض لانها
لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من كرم او سقف ولا في كل مكان منها وانما تتخذ
ما تتبنيه لتتعسل فيه بيوتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة
القسمة التي لا يقوى عليها حذاق المهندسين الا بالايات وانظار دقيقة ولعل ذكر
التنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء للياء وقراءة ابن عامر وابو بكر يعرشون بكسر الراء
ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها فاسلكي ما اكلت سبل ربك في مسالكه
التي تجيل فيها بتقديره للثمرة عسلا من اجوافك او فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل
في عمل العسل او فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول
وهي حال من السبل اي مذللة ذللها الله وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي وانت ذلل
منقادة لما امرت به يخرج من بطونها كانه عدل عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل
الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم شراب يعني العسل لانه مما يشرب
واحتج به من زعم ان النحل تاكل الازهار والاوراق العطرة فيستحيل في باطنها عسلا ثم

الغدّية

تفي ادخار الشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتصنعها في بيوتها ادخارا فاذا اجتمع في بيوتها شيء كثير منها كان العسل فستر البطون بالافواه مختلف الوانه ابيض واصفر واحمر واسود بسبب اختلاف سن النحل والفصل فيه شفاء للناس اما بنفسه كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في سائر الامراض اذ قلما يكون معجون الا والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه عسلا فذهب ثم رجع فقال سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبراء وكانما نشط من عقال وقيل الضمير للقرآن او لما بين الله من احوال النحل ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون فان من يتدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبير علم قطعا انه لابد من قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه والله خلقكم ثم يتوفاكم باجال مختلفة ومنكم من يرد يعاد الى ارذل العمر اخسه يعني الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان القوة والعقل وقيل هو تسعون سنة وقيل خمس وسبعون لكيلا يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة تشبهه بحال الطفولية في النسيان وسوء الفهم ان الله عليم بمقادير اعمارهم قدير يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت اجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك بمقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت الى هذا المبلغ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم مولى يتولى رزق فقده ورزق غيرهم ومنكم مملوك حالهم على خلاف ذلك فما الذين فضلوا برادي رزقهم بمعطي رزقهم على ما ملكت ايمانهم على مماليكهم فان ما يردون عليهم رزقهم الذي جعله الله في ايديهم فهم فيه سواء فالموالي والمماليك سواء في ان الله رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية او مقررة لها ويجوز ان تكون واقعة موقع الجواب كانه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فيستووا في الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشكرون بالله بعض مخلوقاته في الالوهية ولا يرضون ان يشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساووهم فيه افبنعمة الله يجحدون حيث يتخذون له شريكا فانه تقتضي ان يضاف اليهم بعض ما انعم الله عليهم ويجحدوا انه من عند الله او حيث انكروا امثال هذه الحجج بعد ما انعم الله عليهم بايضاحها والباء لتضمين الجحود معنى الكفر وقراء ابو بكر تجحدون بالتاء لقوله خلقكم وفضل بعضكم والله جعل لكم من انفسكم ازواجا اي من جنسكم لتتأنسوا بها وليكون اولادكم مثلكم وقيل هو خلق حوى من ادم وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة واولادا اولاد اولاد وبناتٍ فان الحافد هو المسرع في الخدمة والبنات يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات وقيل الربائب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين ورزقكم من الطيبات من اللذائذ او من الحلال ومن للتبعيض فان المرزوق في الدنيا انموذج منها افبالباطل يؤمنون وهو ان الاصنام تنفعهم وان من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحائر والسوائب وبنعمة الله هم يكفرون حيث اضافوا انعمه الى الاصنام او حرموا ما احل الله لهم وتقديم الصلة على الموصول لما للاهتمام او لايهام التخصيص مبالغة او للمحافظة على الفواصل ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا من مطر او نبات ورزقا ان جعلته مصدرا فشيئا منصوب به والا فبدل عنه ولا يستطيعون ان

الاختان اي ازواج البنات بمعنى القايم عليهن

تملكوه اولا استطاعتهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيد في لايملك لان ما مفرد في معنى
الالهية ويجوز ان يعود الى الكفار اى لا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون شيئا من
ذلك فكيف بالجماد فلا تضربوا لله الامثال فلا تجعلوا له امثالا تشركون بها وتقيسونه
عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال ان الله يعلم فساد ما تعقلون عليه من القياس على
ان عباد عبد الملك ادخل في التعظيم من عبادتنا وعظم جرمكم فيما تفعلون وانتم
لا تعلمون ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه وفيه فهو تعليل للنهي او انه يعلم كنه الاشياء
وانتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم دون نفسه ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال فانه
يعلم كيف يضرب وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف يضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد
دونه فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا
حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون مثل ما يشرك به كالمملوك العاجز عن التصرف
رأسا ومثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف
شاء واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية
على امتناع التسوية بين الاصنام التي هي اعجز المخلوقات وبين الله الغني القادر
على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوك
للتمييز من الحر فانه ايضا عبد الله وسلب القدرة للتميز عن المكاتب والمأذون
وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان المملوك لا يملك والاظهر ان نكرة موصوفة
ليطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون لانه لا لمجنسين فان المعنى هل يستوي الاحرار
والعبيد الحمد لله كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولى النعم كلها بل
اكثرهم لا يعلمون فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها وضرب الله مثلا رجلين
احدهما ابكم ولد اخرس لا يفهم ولا يفهم لا يقدر على شيء من الصنائع والتدابير
لنقصان عقله وهو كل على مولاه عيال وثقل على من يلي امره اينما يوجهه حيثما
يرسله مولاه في امر وقرئ يوجهه على البناء للمفعول ويوجه بمعنى يتوجه كقوله
اينما اوجه الق سعدا وتوجه بلفظ الماضي لا يأت بخير بنجح وكفاية بهم هل يستوي
هو ومن يأمر بالعدل ومن موفقهم منطيق وكفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على
العدل الشامل الجامع للفضائل وهو على صراط مستقيم وهو في نفسه على طريق مستقيم
لا يتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعي وانما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين
لانهما كمال مما يقابلهما وهو تمثيل تارة ضربه لله لنفسه وللاصنام لابطال المشاركة
بينه وبينها او للمؤمن والكافر ولله غيب السموات والارض يختص به علمه لا يعلمه غيره
وهو ما غاب فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا او لم يدل عليه محسوس وقيل يوم
القيمة فان علمه غائب عن اهل السموات والارض وما امر الساعة وما امر قيام
الساعة في سرعته وسهولته الا كلمح البصر الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها
وهو اقرب او امرها اقرب منه بان يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الان الذي
يبتدأ فيه فانه تعالى يحيي الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان في ان واو للتخيير او
بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله كالشيء الذي يقولون
فيه هو كلمح البصر او هو اقرب مبالغة في استقرابه ان الله على كل شيء قدير فيقدر
ان يحيي الخلائق دفعة كما قدر احياءهم مندرجا ثم دل على قدرته فقال والله
اخرجكم من بطون امهاتكم وقراء الكسائي بكسر الهمزة على انه لغة او اتباع لما قبلها

ان

وحمزة

وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها في اهراق لا تعلمون شيئا حالا من ضمير
جهل الجمادية وجعل لكم السمع والابصار والافئدة اداة تحصلون تتعلمون بها فتحسون
بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركون بها ثم تنبهون بقلوبكم بمشاركات ومباينات بينها
تبكر الاحساس حتى تحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل العلوم الكسبية بالنظر
فيها لعلكم تشكرون كي تعرفوا ما انعم عليكم طورا بعد طور فتشكروه الم يروا الى الطير
قراه ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على انه خطاب العامة مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها
من الاجنحة والاسباب المواتية له في جو السماء في الهواء المتباعد من الارض ما يمسكهن فيه
الا الله فان ثقل جسدها يقتضي سقوطها وعلاقة فوقها وادامة تحتها ان في ذلك
في تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران
فيها وامساكها في الهواء على خلاف طبعها لايت لقوم يؤمنون لانهم هم المنتفعون بها والله
جعل لكم من بيوتكم سكنا موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر
فعل بمعنى مفعول وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا اي القباب المتخذة من الادم ويجوز
ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فانها من حيث انها تابعة على جلودها
يصدق عليها انها من جلودها تستخفونها تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها
يوم ظعنكم وقت ترحالكم ووضعها اوضربها ويوم اقامتكم وقت الحضر او النزول وقرأ
الحجازيان والبصريان يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة ومن اصوافها واوبارها واشعارها
الصوف للضانية والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها من جملتها
اثاثا ما يلبس ويفرش ومتاعا ما يتجر به الى حين الى مدة من الزمان فانها لصلابتها
تبقى مدة مديدة او الى حين موتكم او الى حين تقضوا منه اوطاركم والله جعل لكم مما خلق
من الشجر والجبال والابنية وغيرها ظلالا تتقون بها حر الشمس وجعل لكم من الجبال اكنانا
مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن وجعل لكم سرابيل ثيابا
من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين او لان
وقاية الحر كانت اهم عندهم وسرابيل تقيكم بأسكم يعني الدروع والجواشن والسربال العام كل
ما يلبس كذلك كاتمام هذه النعم التي تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي تنظرون في
نعم فتؤمنون به وتنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون من
العذاب او تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا
اعرضوا ولم يقبلوا منك فانما عليك البلاغ المبين فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد بلغت
وهذا من قامة السبب مقام المسبب يعرفون نعمة الله اي يعرف المشركون نعمه التي عدها عليهم
وغيرها حيث يعترفون بها وانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة
الهتنا او بسبب كذا او باعراضهم عن ادا حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة واكثرهم الكافرون
الجاحدون عنادا وذكر الاكثر اما ان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل او التفريط في النظر
او لم يتم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف وامالانه بقام مقام الكل كما في قوله بل اكثرهم لا يعلمون
ويوم نبعث من كل امة شهيدا وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر ثم لا يؤذن
للذين كفروا في الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل في الرجوع الى الدنيا ثم لزيادة ما يحيق بهم
من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلي على ما تمنون به من شهادة الانبياء
عليهم ولا هم يستعتبون ولا يسترضون من العتبى وهي الرضا وانتصاب يوم تجزوف

تقديره اذكر او خوفهم او يجيء بهم ما يجيق وكذا قوله واذا راى الذين ظلموا العذاب عذاب
جهنم فلا يخفف عنهم اى العذاب ولا هم ينظرون يمهلون واذا راى الذين اشركوا شركاءهم
اوثانهم التى دعوها شركاء او الشياطين الذين شاركوهم فى الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا
هؤلاء شركاؤنا اى الشياطين الذين كنا ندعوا من دونك لعبدهم او نطيعهم وهو
اعتراف بانهم كانوا مخطئين فى ذلك او التماس لان يشفعوا عذابهم فالقوا اليهم القول انكم
لكاذبون اى اجابوهم بالتكذيب فى انهم شركاء الله او انهم عبدوهم حقيقة وانما عبدوا اهواءهم
لقوله سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله الاصنام به حينئذ او فى انهم حملوهم على
على الكفر والزموهم اياه لقوله وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى
والقوا والقى الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار فى الدنيا
وضل عنهم وضاع عنهم وبطل ما كانوا يفترون من ان الهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم
حتى كذبوهم وتبرؤا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على
الكفر زدناهم عذابا لصدهم فوق العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم
مفسدين بصدهم ويوم نبعث فى كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعنى نبيهم فان
نبى كل امة منهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء على امتك يا محمد ونزلنا عليك الكتاب
استئناف او حال باضمار قد تبيانا بيانا بليغا لكل شئ من امور الدين على التفصيل
او الاجمال بالاحالة الى السنة او القياس وهدى ودرحمة للجميع وانما حرمان المحروم من تفريطه
وبشرى للمسلمين خاصة ان الله يامر بالعدل بالتوسط فى الامور اعتقادا كالتوحيد
المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا
كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترتيب وخلقا كالجود المتوسط بين
البخل والتبذير والاحسان احسان الطاعات وهو ما يجب بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل
او بحسب الكيفية كما قال عليه الصلاة والسلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن
تراه فانه يراك وايتاء ذى القربى واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد
تعميم للمبالغة وينهى عن الفحشاء عن الافراط فى متابعة القوة الشهوية كالزنا فانه اقبح
احوال الانسان واشنعها والمنكر ما ينكر على متعاطيه فى اثارة القوة الغضبية والبغى
والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة التى هى مقتضى القوة
الوهمية ولا يوجد من الانسان شر الا وهو مندرج فى هذه الاقسام صادر باحدى هذه
القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه ما جمع اية فى القران للخير والشر وصارت
سبب اسلام عثمان بن مظعون رضى الله عنه ولم يكن فى القران الا هذه الاية لصدق عليه انه
تبيان لكل شئ وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه
عليه يعظكم بالامر والنهى والتمييز بين الخير والشر لعلكم تذكرون تتعظون واوفوا بعهد
الله يعنى البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل
كل امر يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله اذا عاهدتم وقيل النذر وقيل الايمان بالله ولا
تنقضوا الايمان ايمان البيعة او مطلق الايمان بعد توكيدها توثيقها بذكر الله ومنه
اكد بقلب الواو همزة وقد جعلتم الله عليكم كفيلا توثيقها بذكر الله شاهدا على تلك البيعة
فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون فى نقض الايمان والعهود
ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة من متعلق
بنقضت اى نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام انكاثا طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه

على الحال من غزلها او المفعول الثانى لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض
بمن هذا شانه وقيل هى ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت خرقاء تفعل ذلك
تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير فى لا تكونوا او فى الجار الواقع موقع الخبر اى
لا تكونوا مشبهين بامراة هذا شانها متخذى ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل
الشئ وليس منه ان تكون امة هى اربى من امة بان تكون جماعة اكثر عددا واوفر مالا
من جماعة والمعنى لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش فانهم
كانوا اذا زادوا شوكة فى اعادى خلفايهم نقضوا عهدهم وخالفوا اعداهم انما يبلوكم
الله به الضمير لان تكون امة بمعنى المصدر اى يختبركم بكونهم اربى ليتبين اتتمسكون بحبل
الوفا بعهد الله وبيعة رسوله ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المومنين وضعفهم
وقيل الضمير للربو وقيل للامر بالوفا وليبين لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون اذ
جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام
ولكن يضل من يشاء بالخذلان ويهدى من يشاء بالتوفيق ولتسالن عما كنتم تعملون
سوال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالمنهى عنه بعد التضمين
تاكيد ومبالغة فى قبح المنهى عنه فتزل قدم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها والمراد
اقدامهم وانما وحد ونكر للدلالة على ان زلل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا
السوء العذاب فى الدنيا بما صددتم عن سبيل الله بسبب صدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم
عنه فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم عذاب عظيم فى الاخرة ولا تشتروا
بعهد الله ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله ثمنا قليلا عوضا يسيرا وهو ما كانت
قريش يعدونه لضعاف المسلمين ويشرطون لهم على الارتداد انما عند الله من النصر والتغنيم
فى الدنيا والثواب فى الاخرة هو خير لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم
والتميز ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد ينقضى ويفنى وما عند الله من خزائن
رحمته باق لا ينفد وهو تعليل للحكم السابق ودليل على ان نعيم اهل الجنة باق ولنجزين
الذين صبروا اجرهم على الفاقة وادى الكفار او على مشاق التكاليف وقراء ابن كثير وعاصم
بالنون باحسن ما كانوا يعملون بما يتاخم فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بجزاء
احسن من اعمالهم من عمل صالحا من ذكر او انثى بيانه بالنوعين دفعا للتخصيص وهو
مؤمن اذ لا اعتداد باعمال الكفرة فى استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العقاب
فلنحيينه حياة طيبة فى الدنيا بعيش طيب فانه ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا
كان يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة ونوقع الاجر العظيم فى الاخرة بخلاف الكافر
فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا لم يدع الحرص وخوف الفوات ان يتهنا بعيشه
وقيل فى الاخرة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون من الطاعة فاذا قرات القران
اذا اردت قراءته كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم
فاسال الله ان يبعدك من وساوسه لئلا يوسوسك فى القراءة والجمهور على انه للاستحباب
وفيه دليل على ان المصلى يستعيذ فى كل ركعة لان الحكم المرتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا
وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا
القبيل وعن ابن مسعود رضى الله عنه قراءت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ
بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لى قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا
اقرانيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان تسليط وولاية على الذين امنوا

وعلى ربهم يتوكلون على اولياء الله المؤمنين به والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون اوامره
ولا يقبلون وساوسه الا فيما يحقرون على تذكر وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة
فذكر السلطنة بعد الامر بالاستعاذة لئلا يتوهم متوهم له سلطانا انما سلطانه على
الذين يتولونه يحبونه ويطيعونه والذين هم به بالله او بسبب الشيطان مشركون
واذا بدلنا اية مكان اية بالنسخ فعلنا الاية الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما
والله اعلم بما ينزل من المصالح فلعل ما يكون له مصلحة في وقت يصير مفسدة في
بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة الان فيثبته مكانه وقرا ابن
كثير وابو عمرو وينزل بالتخفيف قالوا اى الكفرة انما انت مفتر متقول على الله تأمر بشئ
ثم بضده وذلك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار
على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون حالا بل اكثرهم لا يعلمون حكمة
الاحكام ولا يميزون الخطا من الصواب قل نزله روح القدس يعني جبريل واضافة
الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقرا ابن كثير روح القدس بالتخفيف او في
ينزل ونزله تنبيه على انزاله مدرجا على حسب المصالح مما يقتضي التبديل من ربك بالحق
ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين امنوا على الايمان بانه كلامه فانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا
ما فيه من رعاية الصلاح رسخت عقائدهم واطمانت قلوبهم وهدى وبشرى للمسلمين
المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت اى تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض
بحصول اضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ولقد نعلم انهم يقولون انما
يعلمه بشر يعنون جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبر ويسار كانا يصنعان
السيف بمكة ويقران التوراة والانجيل وكان الرسول يمر عليهما ويسمع ما يقرانه وقيل
عايشا غلام حويطب بن عبد العزى صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي لسان الذي
يلحدون اليه اعجمي لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة ماخوذ من لحد اللحد القبر
وقرا حمزة والكسائي يلحدون بفتح الياء لسان اعجمي غير بين وهذا القران لسان عربي
مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستانفتان لابطال طعنهم وتقرير يحتمل وجهين
احدهما ان ما يسمعه منه كلام اعجمي لا يفهمه هو ولا انتم والقران عربي تفهمونه بادنى تامل
فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما انه ذهب انه تعلم منه المعنى باستماع كلامه ولكن لم
يتلقف منه اللفظ لان ذلك عجمي وهذا عربي والقران كما هو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم
الكثيرة التي في القران لا يمكن تعلمها الا بملازمة معلم فاين في تلك العلوم مدة متطاولة
فكيف تعلم جميع ذلك من غلام سمع منه بعض اوقات مروره عليه كلمات اعجمية لعلها لم يعرفا
معناها وطعنهم في القران بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم ان
الذين لا يؤمنون بايات الله لا يصدقون بانها من عند الله لا يهديهم الله الى الحق
او الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة ولهم عذاب اليم في الاخرة هددهم على كفرهم بالقران
بعد ما اماط شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال انما يفتري الكذب
الذين لا يؤمنون بايات الله لانهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه واولئك اشارة الى
الذين كفروا والى قريش هم الكاذبون اى الكاذبون على الحقيقة او الكاملون في
الكذب لان تكذيب ايات الله والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب والذين عادتهم
الكذب لا يبصرهم عنه دين ولا مروة او الكاذبون في قولهم انما انت مفتر ثم ما يعلمه بشر
من كفر بالله بعد ايمانه بدل من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض او من اولئك

او من الكاذبون او مبتدا لخبر محذوف دل عليه فعليهم غضب ويجوز ان ينتصب بالذم
وان تكون من شرطية محذوف الجواب الا من اكره على الافراد وكلمة الكفر استثناء
متصل لان الكفر يعم القول والعقد كالايمان وقلبه مطمئن بالايمان لم تتغير عقيدته
وفيه دليل على الايمان هو التصديق بالقلب ولكن من شرح بالكفر صدرا اعتقده وطاب
به نفسا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمه روى ان قريشا
اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ
بحربة في قبلها وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين
في الاسلام واعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا منكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا اكفر
فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه
وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه
وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لما روى ان مسيلمة اخذ
رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انت ايضا لمذة
وقال للاخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا
فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة
الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك بان لهم الكفر بعد الايمان او الوعيد بانهم
استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة بسبب انهم آثروها عليها وان الله لا يهدي القوم
الكافرين اي الكافرين في علمه الما يوجب ثبات الايمان ولا يعصمهم عن الزيغ اولئك
الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم فاتت عن ادراك الحق والتامل فيه واولئك
هم الغافلون الكاملون في الغفلة اذ غفلتهم الحالة الداهشة عن تدبر العواقب لا جرم
انهم في الاخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب
المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا اي عذبوا كعمار بالولاية والنصرة ثم
لتباعد حال هؤلاء عن حال اولئك وقراء ابن عامر فتنوا بالفتح اي بعد ما عذبوا المؤمنين
كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما
اصابهم من المشاق ان ربك من بعدها من بعد الهجرة والجهاد لغفور رحيم لما فعلوا
قبل رحيم ينعمهم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد يوم تاتي كل نفس منصوب برحيم
او باذكر تجادل عن نفسها تجادل عن ذاتها وتسعى في خلاصها لا يهمها شان غيرها
فتقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت وهم لا يظلمون لا ينقصون
اجورهم وضرب الله مثلا قرية اي جعلها مثلا لكل قرية انعم عليهم فابطرتهم النعمة
فكفروا فانزل بهم نقمته او لمكة كانت امنة مطمئنة لا يزعج اهلها خوف بانها رزقها
اقواتها رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت بانعم الله بنعمه جمع نعمة على ترك
الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس فاذاقها الله لباس الجوع
والخوف استعار الذوق لادراك اثر الضر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع
والخوف واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقوله كثير

• غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا • غلقت لضحكته رقاب المال •

فانه استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء ما يلقى عليه الغمر الذي
هو وصف للمعروف والنوال وقد ينظر الى المستعار كقوله •

، ينازعني ردائي عبد عمرو ، رويدك يا اخا عمرو بن بكر ،
، لي الشطر الذي ملكت يميني ، ودونك فاعتجر منه بشطر ،

استعار الرداء للسيف ثم قال فاعتجز نظرا الى المستعار بما كانوا يصنعون بصنيعهم ولقد
جاءهم رسول منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعد ما
ذكر منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون اى حال التباسهم بالظلم والعذاب ما
اصابهم من الجدب الشديد او وقعة بدر فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا امرهم باكل الحلال
ما احل الله لهم وشكر ما انعم عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل
والعذاب الذي حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة واشكروا نعمة
الله ان كنتم اياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الالهة عبادته
انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به لمن اضطر غير باغ ولا عاد
فان الله غفور رحيم لما امرهم بتناول ما احل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم ان ما عداها
حلالهم ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم
الكذب هذا حلال وهذا حرام كما قالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الاية
ويقتضي سياق الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما دل
اليها دليل كالسباع والحمر الاهلية وانتصاب الكذب بلا تقولوا او هذا حلال وهذا حرام بدل
منه او متعلق بتصف على ارادة القول اى ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقولوا
هذا حلال وهذا حرام او مفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية اى
لا تقولوا هذا حرام وهذا حلال لوصف السنتكم الكذب اى لا تحرموا ولا تحللوا بمجرد قول
ينطق به السنتكم من غير دليل ووصف السنتهم الكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب
كان حقيقة الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عدي
فصيح الكلام كقولهم ، وجهها يصف الجمال ، لوعينها تصف السحر ،
وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب جمع كذوب او كذاب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب
على الذم وبمعنى الكلام الكواذب لتفتروا على الله الكذب تعليل لا يتضمن الغرض ان الذين
يفترون على الله الكذب لا يفلحون لما كان المفتري يفتري لتحصيل مطلوب نفى الفلاح
عنهم وبينه بقوله متاع قليل اى ما يفترون لاجله او ما هم فيه منعة قليلة تنقطع عن
قريب ولهم عذاب اليم في الاخرة وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك اى
في سورة الانعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر من قبل متعلق بقصصنا
او بحرمنا وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا
به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة
ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة بسببها او ملتبسين بها لعدم الجهل بالله وبعقابه
وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الاقتراء على الله وغيره ثم تابوا من بعد
ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم يثيب
على الانابة ان ابراهيم كان امة لكماله واستجماعه فضايل لا تكاد توجد الا متفرقة في
اشخاص كثيرة كقوله ، ليس على الله بمستنكر ، ان يجمع العالم في واحد ،
وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذي جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزائغة
بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة
وتحريم ما احله او لانه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل امة فعلة بمعنى

مفعول كالرحلة والنخبة من امّ اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يؤمّونه للاستفادة
ويقتدون بسيرته كقوله انى جاعلك للناس اماما قانتا لله مطيعا لله قائما بامره حنيفا
مائلا عن الباطل ولم يك من المشركين كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة ابراهيم
شاكرا لانعمه ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة
اجتباه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم فى الدعوة الى الله واتيناه فى الدنيا حسنة
بان حببه الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا
طويلا فى السعة والطاعة وانه فى الاخرة لمن الصالحين لمن اهل الجنة كما سأله بقوله والحقنى
بالصالحين ثم اوحينا اليك يا محمد وثم للتعظيم والتنبيه على ان اجل ما اوتى ابراهيم اتباع
الرسول عليه السلام ملته ولتراخى ايامه ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا فى التوحيد والدعوة
اليه بالرفق وايراد الدلايل مرة بعد اخرى والمجادلة مع كل احد على حسب فهمه وما كان من
المشركين بل كان قدوة الموحدين انما جعل السبت تعظيم السبت والتخلى فيه للعبادة على
الذين اختلفوا فيه على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى عليه الصلاة والسلام ان ينفرغوا فيه
للعبادة يوم الجمعة فابوا وقالوا نريد يوم السبت لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض
فالزمهم الله السبت وشدد عليهم الامر وقيل معناه انما جعل وبال السبت وهو المسخ على
الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم ههنا
لتهديد المشركين كذكر القرية التى كفرت بانعم الله وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما
كانوا فيه يختلفون بالمجازاة على الاختلاف او بمجازاة كل فريق بما يستحقه ادع من بعثت اليهم
الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة
الحسنة الخطابات المقنعة والعبر النافعة فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقايق والثانية
لدعوة عوامهم وجادلهم وجادل معاندیهم بالتى هى احسن الطريقة التى هى احسن طرق المجادلة
من الرفق واللين واتيان الوجه الاسهل والمقدمات التى هى اشهر فان ذلك انفع فى تسكين نفوسهم
وتبديد شغبهم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اى انما عليك
البلاغ والدعوة واما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا اليك بل الله اعلم بالضالين
والمهتدين وهو المجازى لهم وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به لما امره بالدعوة
وبين طرقها اشار اليه والى من يتابعه بترك المخالفة ومراعاة العدل مع من ناصبهم فان
الدعوة لا تنفك عنه من حيث انها تقتضى رفع العادات وترك الشهوات والقدح فى دين
الاسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل انه عليه الصلاة والسلام لما رأى حمزة وقد
مثل به فقال والله لئن اظفرنى الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه
وقتل وفيه دليل على ان للمقتص ان يماثل الجانى وليس له ان يجاوز وحث على العفو تعريضا
بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه الاكد بقوله ولئن صبرتم لهو اى الصبر خير
للصابرين من الانتقام للمنتقصين ثم صرح الامر به لرسوله لانه اولى الناس به لزيادة
علمه بالله وثوقه عليه فقال وما اصبرك وما صبرك الا بالله الا بتوفيقه وتثبيته ولا
تحزن عليهم على الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون فى ضيق
صدر من مكرهم وقراءة ابن كثير فى ضيق هنا وفى النمل وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز
ان يكون الضيق تخفيف ضيق ان الله مع الذين اتقوا المعاصى والذين هم محسنون فى
اعمالهم بالولاية والفضل او مع الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين هم محسنون بالشفقة
على خلقه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه فى الدنيا

والله اعلم

وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية والله اعلم

سورة بني اسرائيل مكية وقيل الا قوله واذ كادوا ليفتنونك الخ ثمان ايات وهي مائة وعشر ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذي اسرى سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف قال ـــــ • وقد قلت لما جاء في فخره • سبحان من علقمة الفاخر • وانتصابه بفعل متروك اظهاره ويصدر الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد واسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسرى ولذلك قرئ من الليل اى بعضه كقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك من المسجد الحرام بعينه لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق او من الحرم وسماه المسجد الحرام لان كل مسجد ولانه محيط به ليطابق المبدا المنتهى لما روى انه كان نائما في بيت ام هاني بعد صلاة العشا فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل النبيون بي فصليت بهم ثم خرج حتى الى المسجد واخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن امن به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك فقال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق واستنعته طائفة سارعوا الى بيت المقدس فجلي له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم في يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل ورق فخرجوا يشتدون الى الثنية فصادفوا العير كما اخبرهم لم يئو منوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف في ذلك في انه كان في المنام او في اليقظة بروحه او بجسده والاكثر على انه اسري بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه لاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس مضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من تاسيه وقد برهن في الكلام ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض وان الله قادر على كل الممكنات فيقدر على كل الممكنات ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي او فيما يحمله والتعجب من لوازم المخترعات الى المسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ ابعد مسجد الذي باركنا حوله ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء من لدن موسى عليه السلام ومحفوف بالانهار والاشجار لنريه من اياتنا كذهابه في برهة من الليل تسعين شهرا ومشاهدة بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والايات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع لاقوال محمد البصير بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك واتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل ان لا تتخذوا على ان لا تتخذوا او اكتفوا كتبت اليه ان افعل وقراءة ابو عمرو بالياء على ان لا يتخذوا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه امركم غيري ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ لا تتخذوا بالتاء او على انه احد مفعولي لا تتخذوا من دوني على ان من وكيلا فيكون كقوله ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على خبر مبتدا محذوف او بدل من واو يتخذوا او ذرية بكسر اللام وفيه تذكير بانعام الله عليهم في انجاء ابائهم من الغرق بحملهم مع نوح في السفينة انه ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا يحمد الله على جميع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان

ببركة شكر وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عليه الصلاة والسلام **وقضينا الى**
بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا مثبوتا **في الكتاب** في التوراة **لتفسدن في الارض**
جواب قسم محذوف او قضينا على اجراء القضا المثبوت مجرى القسم **مرتين** افسادتين اولاهما
مخالفة احكام التوراة وقيل شعيا وارميا قتل نركتا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم
الصلاة والسلام **ولتعلن علوا كبيرا** ولتستكبرن عن طاعة الله اولتظلمن الناس **فاذا جاء**
وعد اولاهما وعد عقاب اولاهما **بعثنا عليكم عبادا لنا** بخت نصر وعامل لهراسف على
بابل وجنوده وقيل جالوت الخزري وقيل سنجاريب بن سنحوى **اولي باس شديد** ذوي
قوة وبطش في الحرب شديد **فجاسوا** تردوا الطبكم وقرئ بالحاء وهما اخوان **خلال الديار**
وسطها للقتل والغارة قتلوا كبارهم وسبوا صغارهم واحرقوا التوراة وخربوا المسجد والمعتزلة
لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع **وكان وعدا**
مفعولا وكان وعد عقابهم لابد ان يفعل **ثم رددنا لكم الكرة** اي اله دولة والغلبة **عليهم**
على الذين بعثوا عليكم وذلك بان التقى الله سبحانه بن اسفندبار لما ورث الملك من جده كشتاسف
ابن لهراسف بنفقة عليهم فرد اسرهم الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان
فيها من اتباع بخت نصر او بان سلط داود على جالوت فقتله **وامددناكم باموال وبنين**
وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم القوم
المجتمعون للذهاب الى العدو **ان احسنتم احسنتم لانفسكم** لان ثوابه لها **وان اسأتم فلها**
فان وبالها عليها واتما ذكر باللام ازدواجا **فاذا جاء وعد الاخرة** وعد عقوبة المرة الاخرة
ليسوءوا وجوهكم اي بعثناكم ليسوؤا وجوهكم ليجعلوها بادية اثار المساءة فيها فحذف
لدلالة ذكر اولا عليه وقراء ابن عامر وحمزة وابو بكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد
او للبعث والله يعضده قراءة الكسائي بالنون وقرئ لنسوءن بالنون والياء والنون
المخففة والمثقلة وليسوء بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه جواب اذا واللام في قوله
وليدخلوا المسجد متعلق بمحذوف هو بعثناهم **كما دخلوه اول مرة وليتبروا** وليهلكوا **ما علوا**
ما غلبوه واستولوا عليه ومدة علوهم **تتبيرا** وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة اخرى
فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه خودرز وقيل خردوس قيل دخل صاحب الجيش
مذبح قربانهم فوجد فيه دما يغلي فسالهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقتموني
فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدا الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا اندم
يحيى فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك
فاهدا باذن الله تعالى فقبل ان لا ابقي منهم احدا فهدى **عسى ربكم ان يرحمكم** بعد المرة الاخرى **وان**
عدتم توبة اخرى **عدنا** مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وقصد
قتله فعاد الله بتسليط عليهم فقتل قريظة واجلى بني النضير وضرب الجزية على الباقين هذا
لهم في الدنيا **وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا** محبسا لا يقدرون الخروج منها ابدا وقيل
بساطا كما يبسط الحصير **ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم** الحالة والطريقة التي هي اقوم
الحالات والطرق **ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا** وقراء حمزة
والكسائي ويبشر بالتخفيف **وان الذين لا يؤمنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما** عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى ان يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم او على
يبشر باضمار يخبر **ويدع الانسان بالشر** ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله
او يدعو بما يحسبه خيرا وهو شر **دعاءه بالخير** مثل دعايته بالخير **وكان الانسان عجولا** يسارع

الى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته وقيل المراد دم فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض فسقط
روى انه عليه الصلاة والسلام دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة فرحمته لانينه فاردخ كتافه
فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال اللهم انما انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائي
رحمة له فنزلت ويجوز ان يراد بالانسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول
النظر بن الحارث اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاجب
له فضرب عنقه يوم بدر صبرا **وجعلنا الليل والنهار ايتين** تدلان على القادر الحكيم تعاقبهما
على تسق واحد بامكان غير **فمحونا اية الليل** اى الاية التي هي الليل بالاسراق والاضافة
فيها للتبيين كاضافة العدد الى المعدود **وجعلنا اية النهار مبصرة** مضيئة او مبصرة
للناس من ابصره فبصر او مبصر اهله كقولهم جبن الرجل اذا كان اهل جبن وقيل الايات
القمر والشمس وتقدير الكلام وجعلنا نيري الليل والنهار ايتين او جعلنا الليل والنهار ذوي
ايتين ومحو اية الليل التي هي القمر جعلها مظلمة في نفسها مطموسة النور او نقص نورها شيأ
فشيأ الى المحاق وجعل اية النهار التي هي الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع تبصر الاشياء
بضوئها **لتبتغوا فضلا من ربكم** لتطلبوا في بياض النهار اسباب معاشكم وتتوصلوا
بها الى استتمام اعمالكم **ولتعلموا** باختلافهما او بحركاتهما **عدد السنين والحساب** وجنس
الحساب **وكل شيء** تفتقرون اليه في امر الدين والدنيا **فصلناه تفصيلا** بيناه بيانا
غير ملتبس **وكل انسان الزمناه طائره** عمله وما قدر له كانه طير اليه من وكنه الغيب
وذكر الغيب القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بنسوح الطير وبروحه استعير لما يوجب
الخير والشر من قدر الله وعمل العبد **في عنقه** لزوم الطوق في عنقه **ونخرج له يوم القيمة كتابا**
اي صحيفة عمله او نفسه المنفسة بانا رعمله فان الافعال الاختيارية تحدث في النفس احوالا
ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات وتصبه بانه مفعول او حال من مفعول لمحذوف هو ضمير الطائر
ويعضده قراءة يعقوب ويخرج من خرج وقرئ ويخرج اي الله عز وجل **ملقاه منشورا** لتكشف
الغطاء وهما صفتان للكتاب او يلقاه صفته ومنشورا حال من مفعوله وقراءة ابن عامر يلقى على البناء
للمفعول من لقيته كذا **اقرأ كتابك** على ارادة القول **كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا** اي كفى نفسك
والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم وضريب
القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي فوضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي
ما اهمه وتذكير على ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال او على تاويل النفس بالشخص
من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها لا ينجي اهتداء غيره ولا يرده
ضلال سواه **ولا تزر وازرة وزر اخرى** ولا تحمل نفس حاملة وزر نفس اخرى بل انما تحمل وزرها
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يبين الحق ويمهد الشرائع فيلزم بهم الحجة وفيه دليل على ان
لا وجوب قبل الشرع **واذا اردنا ان نهلك قرية** واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا
السابق اودنا وقته المقدر كقولهم اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة **امرنا مترفيها**
متنعميها بالطاعة على لسان رسوله بشناه الهمم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو
الخروج عن الطاعة والتمرد في العصيان فيدل على الطاعة من قبيل طريق المقابلة وقيل امرناهم
بالفسق لقوله **ففسقوا فيها** كقولك امرته فقرافانه لا يفهم منه الا الامر بالقراءة على ان الامر مجاز
من الحمل عليه والتسبب لية بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق ويحتمل
ان لا يكون له مفعول منوي كقولهم امرته فعصاني وقيل معناه كثرنا يقال امرت الشيء وامرته
اذا كثرته وفي الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة اي كثيرة النجاة وهو ايضا مجاز من معنى

الطلب ويؤيده قراءة يعقوب امرو وروايته امرنا عن ابي عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من امر بالضم امارة اي جعلناهم امراء وتخصيص المترفين لان غيرهم تبعهم ولانهم اسرع الى الخلافة واقرب الى التجبر حق عليها القول يعني كلمة العذاب السابق تحقيقه او بظهور معاصيهم او بانهماكهم في المعاصي فدمرناها تدميرا اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارهم وكم اهلكنا وكثيرا اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له من بعد نوح كعاد وثمود وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقديم متعلقه من كان يريد العاجلة مقصورا عليها همتهم عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد قيد المعجل والمعجل له بالمشية فيد المعجل والمعجل له بالمشية والارادة لانه لا يجد كل متمن متمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه وليعلم ان الامر بالمشية والهم فضل ولمن يدل من له بدل البعض وقرئ بشاء والضمير فيه لله حتى يطابق المشهود وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد الله فيه ذلك وقيل الاية نزلت في المنافقين كانوا يراؤون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو الاتيان بما امر والانتهاء عما نهى لا التقرب بما يخترعون بارائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فانه العمدة فاولئك الجامعون للشرائط الثلاثة كان سعيهم مشكورا من الله اي مقبولا معتدا مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة كلا كل واحد من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه نمد بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل الانفاذ مده السالفة هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا من عطاء ربك من معطاه متعلق بنمد وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر وتفضيلا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق والتصاب كيف نفضلنا على الحال وللاخرة اكبر درجات وابون تفضيلا اي التفاوت في الاخرة اكثر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها لا تجعل مع الله الها الخ الخطاب للرسول والمراد به امته ولكل واحد فتقعد كقصر من قولهم شخذ الشعرة حتى قعدت كانها حربة او فتجز من قولك قعد عن الشيء اذا عجز عنه مذموما تخذولا جامعا على نفسك الدم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا منصورا وقضى ربك امر امر مقطوع به ان لا تعبدوا بان لا تعبدوا الا اياه لان غاية التعظيم لا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل للسعي الاخروي ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا ناهية وبالوالدين احسانا وبان تحسنوا او احسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز ان تتعلق الباء بالاحسان لان صلته لا تتقدم عليه اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما اما ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا ولذلك صح لحوق النون المؤكدة للفعل واحدهما فاعل يبلغن او بدل على قراءة حمزة والكسائي يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون تاكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا في كنفه وكفالته فلا تقل لهما اف فلا تتضجر مما يستقذر منهما وينستثقل من مؤنهما وهو صوت يدل على تضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة حفص ونافع للتنكير وقراءة ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير منون والنهي عن ذلك يدل على المنع من سائر انواع الايذاء قياسا وطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة من قتل ابيه وهو وصف المشركين نهى عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان اليهما ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما لا يعجبك بالاغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم اخوات وقل

لهما بدل التعنيف والنهر قولا كريما جميلا لاشراسة فيه واخفض لهما جناح الذل تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله

وغداة ريح قد كشفت وقرة ... اذا اصبحت بيد الشمال زمامها

للشمال يدا وللقرة زماما وامره بخفضهما مبالغة او اراد جناحه كقوله واخفض جناحك للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان او للمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والتعطف منه ذلول من الرحمة من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله اليهما وقل رب ارحمهما وادع الله ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما كما ربياني صغيرا رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما وارشادهما لي في صغري وفاء بوعدك للراحمين روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الى منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما ربكم اعلم بما في نفوسكم من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من الحب لتوفيره وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح فانه كان للاوابين للتوابين غفورا ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب وينبدرج فيه الجاني على ابويه جناية اولية لوروده على اثره وات ذا القربى حقه من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال ابو حنيفة رحمه الله حقهم اذا كانوا فقراء محارم ان ينفق عليهم وقيل المراد بذي القربى اقارب الرسول عليه الصلاة والسلام والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا بصرف المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير التصريف وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لسعد وهو يتوضأ ما هذا السرف فقال اني الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة فان التضييع والاتلاف شر واصدقاهم واتباعهم لانهم يطيعونهم في الاسراف والصرف في المعاصي روي انهم كانوا يخرجون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمحة فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بالانفاق في القربات وكان الشيطان لربه كفورا مبالغا في الكفر به فيما ينبغي ان يطاع فيه واما تعرضن عنهم وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا ينفعهم على سبيل الكناية ابتغاء رحمة من ربك ترجوها لانتظار رزق من الله ترجوه ان ما تيسر فتعطيه او منتظرين وقيل معناه لفقد رزق من ربك ترجوه انا يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه سبب عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب الذي هو قوله فقل لهم قولا ميسورا اي فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور من كل امر مثل سعد الرجل ويحسن لقول الميسور الدعاء لهم باليسور ومنه اليسر مثل اغنانا الله واياكم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما امرا بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير محسورا نادما او منقطعا لا شيء عندك من حسر السفر اذا بلغ منه وعن جابر رضي الله عنه بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك ذرعا فقال لا من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت قل له ان امي تستكسيك الذرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروه للصلاة فلم يخرج فانزل الله ذلك ثم سلاه بقوله ان ربك يبسط الرزق لمن

يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه بمشيئته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الاضاقة لاصلاحك
انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يريد
ان البسط والقبض من امر الله العالم بالسرائر والظواهر فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا او انه
تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط
وان يكون تمهيد القوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم
بوادهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم ارزاقهم فقال نحن نرزقهم واياكم ان
قتلهم كان خطأ كبيرا ذنبا كبيرا المافيه من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطأ الاثم
يقال خطئ خطأ كاثم اثما وقراءابن عامر برواية ابن ذكوان خطاء وهو اسم من اخطاء يضاد
الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل وجئر وجئر وقراءابن كثير خطاء بالمد والكسر وهو اما
لغة او مصدر خاطا وهو وان لم يسمع لكنه جاء تخاطا فقوله،

، تخاطاه القناص حتى وجدته ، وخرطومه في منقع الماء راسب،

وهو مبنى عليه وقرئ خطاء بالمد والفتح وخطا بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا ولا تقربوا
الزنا بالعزم والاتيان بالمقدمات فضلا ان تباشروه انه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح
زائدة وساء سبيلا وبئس طريقا يفضى الى الاضاع المؤدي الى قطع الانساب
وتهييج الفتن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان
وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا ومن قتل مظلوما غير مستوجب للقتل
فقد جعلنا لوليه للذي يلي امره بعد وفاته وهو الوارث سلطانا تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى
القتل على من عليه او بالقصاص على القاتل فان قوله مظلوما يدل على ان القتل عمدا عدوانا
فان الخطاء لا يسمى ظلما فلا يسرف في القتل بان يقتل من لا يحق قتله فان العاقل لا يفعل
ما يعود عليه بالهلاك او الولي بالمثلة او قتل غير القاتل ويؤيد الاول قراءة ابن فلا تسرفوا
وقراءة حمزة والكسائي فلا تسرف على خطاب احدهما انه كان منصورا علة المنهي على الاستئناف
والضمير اما للمقتول فانه منصور في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الاخرة بالثواب واما
لوليه فان الله نصره حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته واما الذي يقتله الولي اسرافا
بايجاب القصاص او التعزير والوزر على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم فضلا ان تتصرفوا
فيه الا بالتي هي احسن الا بالطريقة التي هي احسن حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف الذي
دل عليه الاستثناء واوفوا بالعهد بما عاهدكم الله به من تكاليفه او بما عاهد عليه الموحد وغيره
ان العهد كان مسئولا مطلوبا يطلب من العاهد ان لا يضيعه ويفي به او مسئولا عنه يسال
الناكث ويعاقب عليه او يسال العهد لم نكث نكثت للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت
فيكون تخييلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسئولا واوفوا الكيل اذا كلتم ولا تبخسوا
فيه وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو رومي عرب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن
لان المعجمي اذا استعملته العرب واجرته مجرى كلامهم في الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار
عربيا وقراءة حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف هنا وفي الشعراء ذلك خير واحسن تاويلا
عاقبة تفعيل من آل اذا رجع ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافة
ما ليس لك به علم ما لم يتعلق به علمك تقليدا او رجما بالغيب ولحجج به من منع اتباع الظن وجوابه
ان المراد بالعلم ما لا عتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان قطعا او ظنا واستعماله
في هذا المعنى شائع وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمي وقيل شهادة الزور ويؤيده
قوله عليه الصلاة والسلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج

وقوله الكميت ، ولا ارمى البرئ بغير ذنب ، ولا اقفو الخواطئ ان قفينا ،

والبصر

ان السمع والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا وان اولاه وان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه يجمع لذوي العقل الثلاثة وجاء لغيرهم كقوله والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسئولا في ثلاثة انتهى ضمير كل او كل واحدة منها مسئولا عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير في عنه للمصدر لا للفعل ولصاحب السمع والبصر وقيل مسئولا مسند الى عنه كقوله غير المغضوب عليهم والمعنى يسأل صاحبه عنه وهو خطأ لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل على ان العبد مؤاخذ بالعزم على المعصية وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح ولا تمش في الارض مرحا اي ذا مرح وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر اكد من صريح النعت انك لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بشدة وطأتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهي بان الاختيال حماقة مجردة لا يعود بجدوى ليس في التذلل كل ذلك اشارة الى الخصال الخمسة والعشرين المذكورة من قوله ولا تجعل مع الله الها اخر وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها المكتوبة في الواح موسى كان سيئه سيئة يعني المنهي عنه فان المذكور مامورات ومناهي وقرأ الحجازيان والبصريان سيئة على انه خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهي عنه خاصة وعلى هذا قوله عند ربك مكروها بدل من سيئه او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن في كان او في الظرف على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لما يقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادته تعالى ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة من اما اوحى اليك ربك من الحكمة التي هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ولا تجعل مع الله الها اخر كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه فان من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله او تركه غيره ضاع سعيه وانه راس الحكمة وملاكها ورتب عليه اولا ما هو غاية الشرك في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبى فقال فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا مبعدا من رحمة الله افاصفاكم ربكم بالبنين خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار والمعنى افخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم البنون واتخذ من الملائكة اناثا بنات اذ هذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم انكم لتقولون قولا عظيما باضافة الاولاد اليه وهي خاصة الاجسام لسرعة زوالها تنفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم يجعل الملائكة الذين هم من اشرف خلق الله اداونهم ولقد صرفنا كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير في هذا القرآن في مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات اليه بتقدير ولقد صرفنا القول في هذا المعنى او وعظنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف ليذكروا وقراء حمزة والكسائي هنا وفي الفرقان ليذكروا من الذكر الذي هو بمعنى التذكر وما يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة طمأنينة اليه قل لو كان معه الهة كما تقولون ايها المشركون وقراء ابن كثير وحفص بالياء فيه وفيما بعده على ان الكلام مع الرسول ووافقهما نافع وابن عامر وابو عمرو وابو بكر ويعقوب في الثانية على ان الاولى مما امر الرسول صلى الله عليه وسلم ان يخاطب به المشركين والثانية مما ترد به نفسه عن مقالهم اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا جواب عن قولهم وخبر اللو والمعنى لطلبوا الى مالك الملك سبيلا بالمعازة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله

اوليك

اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة سبحانه تنزيها وتعالى عما يقولون
علوا تعاليا كبيرا امتناعا غاية البعد عما يقولون فانه في اعلى مراتب الوجود واى كون
الوجود والبقاء لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه تسبح
له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده ينزهه عما هو من
لوازم الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث تدل بامكانها وحدوثها على الصانع
القديم الواجب لذاته ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم بالنظر
الصحيح الذى به يفهم تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة
لاسناده الى ما يتصور منه اللفظ والى ما لا يتصور منه عليهما عند من جوز اطلاق
اللفظ على معنييه وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر تسبح بالياء انه كان حليما
حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم غفورا لمن تاب منكم واذا قرأت القرآن جعلنا
بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا يحجبهم عن فهم ما تقرأه عليهم
مستورا اذ ليس كقوله وعده مأتيا وقولهم سيل منعم او مستورا عن الحس او بحجاب آخر
لا يفهمون ولا يفقهون انهم لا يفهمون نفى عنهم ان يفهموا ما انزل عليهم تقريرا له وبيانا
لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح بقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة تكنها وتحول
دونها عن ادراك الحق وقبوله ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما
دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة اى منعناهم ان يفقهوه وفى اذانهم وقرا يمنعهم
عن استماعه استماعه ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع
عن فهم المعنى وادراك اللفظ واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده واحدا غير مشفوع به
الهتهم مصدر وقع موقع الحال واصله واحدا وحده ولوا على ادبارهم نفورا هربا من
استماع التوحيد ونفرة او تولية ويجوز ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن اعلم بما يستمعون
به بسببه ولاجله من الهزء بك وبالقرآن اذ يستمعون اليك ظرف لا علم وكذا واذ هم
نجوى اى نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين هم
ذوو نجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجى اذ يقول الظالمون
ان تتبعون الا رجلا مسحورا مقدرا باذكر او بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمين
موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا والمسحور الذى سحر به فزال عقله وقيل
الذى له سحر وهو الرئة اى الا رجلا يأكل ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال
مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون فضلوا عن الحق فى جميع ذلك فلا يستطيعون
سبيلا الى الطعن بوجه فيتهافتون ويخبطون كالمتحير فى امره لا يدرى ما يصنع او الى الرشاد
وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا وحطاما ائنا لمبعوثون خلقا جديدا على الانكار
والاستبعاد لما بين غضاضة الحى ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل فى اذا
ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وخلقا مصدر او حال قل
جوابا لهم كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر فى صدوركم اى يكبر عندكم عن قبول
الحيوة لكونه ابعد شئ منها فان قدرته تعالى لا تقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام فى قبول
العوارض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحيوة قبل والشئ
اقبل لما عهد فيه مما لم يعهد فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم اول مرة وكنتم ترابا
وما هو ابعد شئ من الحيوة فسينغضون اليك رؤسهم فسيحركونها نحوك تعجبا
واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا فان كل ما هو آت قريب وانتصابه

على الخبر او الظرف اى يكون اوجد فى زمان قريب وان يكون اسم عسى وخبره والاسم مضمر
يوم يدعوكم فتستجيبون اى يوم يبعثكم فتبعثون استعارلهما الدعاء والاستجابة
للتنبيه على سرعتهما وتيسر امرهما وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء بحمده حال
منهم اى حامدين له على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون
سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين لبعثه انقياد الحامدين له وتظنون ان لبثتم الا قليلا
وتستقصرون مدة لبثكم فى القبور كالذى مر على قرية او مدة حياتكم لما ترون من الهول وقل
لعبادى يعنى المؤمنين يقولوا التى هى احسن الكلمة التى هى احسن ولا تخاشنوا المشركين
ان الشيطان ينزغ بينهم يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بينهم تفضى الى الفتنة
وازدياد الفساد ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة ربكم اعلم بكم
ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم تفسير للتى هى احسن وما بينهما اعتراض اى قولوا لهم
هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه يهيجهم على الشر ويحثهم على ان خاتم امرهم
غيب لا يعلمه الا الله وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم تقترهم على الايمان
وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالاحتمال منهم روى ان المشركين افرطوا
فى ايذائهم فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل شتم عمر رجل فهم به فامن الله
بالعفو وربك اعلم بمن فى السموات والارض وباحوالهم فيختار منهم للنبوة وولايته من
يشاء وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابى طالب نبيا وان يكون المرأة الجوع اصحابه
ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والمترى عن العلايق الجسمانية
لا بكثرة الاموال والاتباع حتى داود فان شرفه بما اوتى من الكتاب لا بما اوتيه من الملك
قيل هو اشارة الى تفضيل الرسول وقوله واتينا داود زبورا تنبيه على وجه تفضيله
وهو انه خاتم الانبياء وامته خير الامم المدلول عليه بما كتب فى الزبور من ان الارض يرثها عبادى
الصالحون وتنكيره ههنا وتعريفه فى قوله ولقد كتبنا فى الزبور لانه فى الاصل فعول للمفعول
كالحلوب او المصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم فهو كالعباس او الفضل اولات
المراد واتينا داود بعض الزبور او بعضا من الزبور وفيه ذكر الرسول قل ادعوا الذين زعمتم
انها الهة من دونه كالملايكة وعزير والمسيح فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر
عنكم كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلا ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم اولئك الذين يدعون
يبتغون الى ربهم الوسيلة هؤلاء الالهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة ايهم اقرب
بدل من واو يبتغون اى يبتغى من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب ويرجون
رحمته ويخافون عذابه كسائر العباد فكيف تزعمون انهم الهة ان عذاب ربك كان محذورا
حقيقا بان يحذره كل احد حتى الرسول والملايكة وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل
يوم القيمة بالموت والاستيصال او معذبوها عذابا شديدا بالقتل وانواع البلية كان
ذلك فى الكتاب فى اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالايات وما
صرفنا عن ارسال الايات التى اقترحها قريش الا ان كذب بها الاولون الا تكذيب الاولين
الذين هم امثالهم فى الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت اليهم لكذبوا بها تكذيب اولئك واستوجبوا
الاستيصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا ان لا نستأصلهم لان فيهم من يؤمن او يلد
من يؤمن ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الايات المقترحة فقال وآتينا ثمود الناقة
بسؤالهم مبصرة بينة ذات ابصار او بصائر او جاعلتهم ذوى بصائر وقرئ بالفتح فظلموا
بها فكفروا بها وظلموا انفسهم بسبب عقرها وما نرسل بالايات اى بالايات المقترحة الا

تخويفا

تخويفا من نزول العذاب المستاصل فان لم يخافوا نزل او بغير المقترحة كالمجزات والايات
القرآن الاتخويفا بعذاب الاخرة فان امر من بعثت اليهم مؤخر الى يوم القيمة والباء من بدء
او في موقع الحال والمفعول محذوف واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط
بالناس فهم في قبضة قدرته واحاط بقريش بمعنى اهلكهم من احاط بهم العدو فهو بشارة
بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه وما جعلنا الرؤيا التي اريناك ليلة
المعراج وتعلق به من قال انه كان في المنام ومن قال انه كان في اليقظة فسر الرؤية بالرؤية
او عام الحديبية حتى راى انه دخل مكة وفيه نظر لان الاية مكية والا ان يقال راها بمكة
وحكاها حينئذ ولعلها رؤيا راها في وقعة بدر لقوله اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولما
روى انه لما ورد مياه قال لكاني انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان هذا مصرع
فلان فسامعت يد قريش واستخروا منه وقيل راى قوما من بني امية يرقون منبره
وينزون عليه نزو القردة فساءه موجظهم من الدنيا يعطونهم باسلامهم وعلى هذا كان المراد
بقولهم لا فتنة الناس ما حدث في ايامهم والشجرة الملعونة في القران عطف على الرؤيا
وهي شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم
يقول ينبت فيها الشجر ولم يعلموا ان من قدر ان يحمي وبر السمندل من ان ياكله النار
واحشاء النعامة من ادى الجمر وقطع الحديد لمحماة الجمر التي تبلعها قدر ان يخلق في النار
شجرة لا تحرقها ولعنها في القران لعن طاعميها ووصفت به على المجاز للمبالغة او وصفها بانها
في اصل الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة باو بانها مكروهة مؤذية من قولهم طعام
ملعون لما كان ضارا وقد اولت بالشيطان وابي جهل والحكم بن ابي العاص وقريت بالرفع
على الابتداء والخبر محذوف اي والشجرة الملعونة كذلك ونخوفهم بانواع التخويف فما
يزيدهم الا طغيانا كبيرا الا عتوا مجاوزا للحد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا
الا ابليس قال اءسجد لمن خلقت طينا لمن خلقته من طين فتوع فنصب بنزع الخافض
ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول اي خلقته وهو طين او منه اي اسجد
له واصله طين وقيه على الوجوه ايماء بعلة الانكار قال ارايتك هذا الذي كرمت علي
الكاف لتاكيد الخطاب لا محل لها من الاعراب وهذا مفعول اول والذي صفته والمفعول
الثاني محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بامري بالسجود
له لم كرمته علي لئن اخرتني الى يوم القيمة كلام مستانف واللام موطئة للقسم وجوابه
لاحتنكن ذريته الا قليلا اي لاستاصلنهم بالاغواء الا قليلا لا اقدر ان اقاومهم سكينتهم
من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا ماخوذ من الحنك وانما علم ذلك بتسهيل له
اما استنباطا من قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير او تفرسا من خلقه ذا
وهم وشهوة وغضب قال اذهب امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولت
له نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم جزاوكم جزاؤك وجزاوهم فغلب المخاطب على الغايب
ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات جزاء موفورا مكملا من قولهم فر لصاحبه
عرضه فرق وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله او بما في جزاوكم من معنى تجازوت او حال
موطئة لقوله موفورا واستفزز واستخفف من استطعت منهم ان تستفزه والفز الخفيف
بصوتك بدعايك الى الفساد واجلب عليهم وصح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك
ورجلك باعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه قوله النبي عليه الصلاة والسلام
يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه

على من يغويه بمجاز او صوت على قوة فاستفزهم من اماكنهم واجلب عليهم بجندك حتى استأصلهم
وقرأ حفص رجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان كندس ونديس ومعناه وجمعك
الرجل وقرئ ورجالك ورجالك **وشاركهم في الاموال** بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام
والتصرف فيها على ما لا ينبغي **والاولاد** بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك
فيه بتسميته عبد العزى والتضليل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال
القبيحة **وعدهم** المواعيد الباطلة كشفاعة الالهة والتوكل والاتكال على كرامة الاباء
وتاخير التوبة لطول الامل **وما يعدهم الشيطان الا غرورا** اعتراض لبيان مواعيده
والغرور تزيين الخطا بما يوهم انه صواب **ان عبادي** يعني المخلصين وتعظيم الاضافة
والتقييد في قوله لاعبادك منهم المخلصين يخصصهم **ليس لك عليهم سلطان** اي على
اغوائهم قدرة **وكفى بربك وكيلا** يتوكلون به في الاستعاذة منك على الحقيقة **ربكم**
الذي يزجي هو الذي يجري **لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله** الربح وانواع المنعة
القوله تكون عندكم **انه كان بكم رحيما** حيث هيأ لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما تعسر
من اسبابه **واذا مسكم الضر في البحر** خوف الغرق **ضل من تدعون الا اياه** ذهب من
خواطركم كل من تدعونه في حوادثكم **الا اياه** وحده فانه حينئذ لا يخطر ببالكم سواه
ولا تدعون لكشفه الا اياه او ضل كل من تعبدونه عن اعانتكم الا الله **فلما نجاكم** من الغرق
الى البر اعرضتم عن التوحيد وقيل التعسم في كفران النعمة كقوله ذي الرمة

، عطاء فتى تمكن في المعالي ، فاعرض في المكارم واستطالا ،

وكان الانسان كفورا كالتعليل للاعراض **افامنتم** الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف
على محذوف تقديره انجوتم فامنتم لحملكم ذلك على الاعراض فان من قدر ان يهلككم في
البحر في الغرق قدر ان يهلككم في البر بالخسف وغيره **ان يخسف بكم جانب البر** ان يقلبه
وانتم عليه او يقلبه بتسبيبكم فيكم حال او صلة وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفي الاربعة
التي بعده وفي ذكر الجانب تنبيه على انهم كما وصلوا للساحل كفروا واعرضوا وان الجوانب
والجهات في قدرته سواء لا معقل يومئذ من فيه من اسباب الهلاك **او يرسل عليكم حاصبا** ريحا
تحصب اي ترمي بالحصباء **ثم لا تجدوا لكم وكيلا** يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله **ام امنتم**
ان يعيدكم فيه في البحر **تارة اخرى** بخلق دواع تلجئكم الى ان ترجعوا فتركبوه **فيرسل**
عليكم قاصفا من الريح لا يمر بشيء الا قصفه اي كسره **فيغرقكم** وعن يعقوب بالتاء على
اسناد الضمير الريح **بما كفرتم** بسبب شركم او كفرانكم نعمة الانجاء **ثم لا تجدوا لكم علينا به**
تبيعا مطالبا يتبعنا بانتصار او صرف **ولقد كرمنا بني ادم** بحسن الصورة والمزاج الاعدل
واعتدال القامة والتمييز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط والتهدي الى اسباب
المعاش والمعاد والتسلط على ما في الارض والتمكن من الصناعات واتساق الاسباب
والمسببات العلوية والسفلية الى ما يعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه
ومن ذلك ما ذكر ابن عباس رضي الله عنهما وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان
فانه يرفعه اليه بيده **وحملناهم في البر والبحر** على الدواب والسفن من حملته حملا اذا جعلت
له ما يركبه او حملناهم حتى لم نخسف بهم الارض ولم نغرقهم بالماء **ورزقناهم من الطيبات**
المستلذات مما يحصل بفعلهم وبفعل غيرهم **وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** بالغلبة
والاستيلاء او بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة والخواص منهم ولا يلزم من عدم
تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسئلة موضع نظر وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف

يوم تدعوا نصب باضمار اذكر او ظرف دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعوا ويدعى ويدعو على قلب الالف واوا في لغة من يقول افعوا وعلى ان الواو علامة الجمع كما في قوله واسروا النجوى الذين ظلموا او ضمير وكلي بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر كما في يدعى كل اناس بامامهم بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا صاحب كتاب كذا اي تتقطع وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع ام حذف منه الف خفاف والحكمة في ذلك اجلال عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد الزنا فمن اوتي من المدعوين كتابه بيمينه اي كتاب عمله فاولئك يقرؤن كتابهم ابتهاجا وتبجحا مما يرون فيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من اجورهم ادنى شيء وجمع اسم الاشارة والضمير لان من اوتي في معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب باليمين يدل على ان من اوتي كتابه بشماله اذا اطلع ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس السنتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم مع ان قوله ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى ايضا مشعر بذلك فان الاعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان في هذه اعمى الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان في الاخرة اعمى لا يرى طريق النجاة واضل سبيلا منه في الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الالة والمهلة وقيل لان الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثاني للتفضيل من عمي بقلبه كالاجهل والابلد لذلك لم يحله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه في حكم المتوسطة في اعمالكم بخلاف المنعت فان الفه واقعة في الظرف لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء في التثنية وقد اماله حمزة والكسائي وابو بكر وقراء ورش بين بين فيهما وان كادوا ليفتنونك نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نحشر ولا نحشر ولا نحني في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا بالات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل الله امرني وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بالهتنا وتمسها بيدك وان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان الشان قاربوا ان يفتنوك لشدة احتيالهم ولكن اركنك عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون فضلا من ان تركن اليه وهو صريح في انه عليه الصلاة والسلام ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه اذا لاذقناك اي لو قاربت لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الاخرة ضعف ما نعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطاء الخطر اخطر وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب الاخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع العذاب عنك وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بمعاداتهم من الارض ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك الا قليلا الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته بقليل وقيل الاية

نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء فان كنت نبيا فالحق
بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج مرحلة فنزلت الاية فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة
واجلي بني النظير بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا باذا على انه معطوف على جملة قوله وان كادوا
ليستفزونك لا على خبر كاد فان اذا لا تعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقراءة ابن
عامر وحمزة ويعقوب والكسائي وحفص خلافك وهو لغة فيه قال

عفت الديار خلافهم فكانما ... بسط الشواطب بينهن حصيرا

سنة من قد ارسلنا من قبلك من رسلنا نصب على المصدر اي سن الله ذلك سنة وهو ان يهلك
كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم والسنة لله واضافتها الى الرسل لانها من اجلهم ويدل عليه
ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا اقم الصلاة لدلوك الشمس لزوالها ويدل عليه قوله عليه
الصلاة والسلام اتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر وقيل لغروبها واصل
التركيب للانتقال ومنه الدلك فان الدالك لا تستقر يده وكذا ما يركب من الدال واللام
كدج ودجج ودلع ودلف ودله وقيل لدلوك من الدلك لان الناظر اليها يدلك عينيه
ليدفع شعاعها واللام للتاقيت مثلها في لثلاث خلون الى غسق الليل الى ظلمته وهو وقت
صلاة العشاء الاخيرة وقرآن الفجر وهو صلاة الصبح سمي قرآنا لانه ركنه كما سميت
ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز ان يكون التجوز
لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلاة الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب
وفيها فصار في غيرها قياسا ان قرآن الفجر كان مشهودا تشهده ملائكة الليل وملائكة
النهار او تشهد المتهجد من تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذي هو اخو الموت بالانتباه
او كثير من المصلين او من حسن ان يشهده لجم الغفير والاية جامعة للصلوات الخمس
ان فسر لدلوك بالزوال ولصلوات الليل وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد
بالصلاة صلاة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبداء الوقت ومنتهاه
واستدل به على ان الوقت يمتد الى غروب الشفق ومن الليل فتهجد به وبعض الليل
فالترك المجهود للصلاة والضمير للقرآن نافلة لك فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة
او فريضة لك او فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا
مقاما يحمدك القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل مقام يتضمن كرامة والمشهور انه
مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة رضي الله عنه انه عليه الصلاة والسلام قال هو المقام
الذي اشفع فيه لامتي ولاشعاره بان الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك الا مقام الشفاعة
وانتصابه على الظرف باضمار فعله اي فيقيمك مقاما او بتضمين يبعثك معناه
او الحال بمعنى ان يبعثك ذا مقام وقل رب ادخلني اي في القبر مدخل صدق
ادخالا مرضيا واخرجني اي منه عند البعث مخرج صدق اخراجا ملقى بالكرامة وقيل
المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها من المشركين
وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه
منها سالما مؤديا لما حمله وقيل ادخاله في كل ما يأمره من مكان وامر واخراجه منه وقرئ
مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا واجعل لي
لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من خالفني وملكا يتصر الاسلام على الكفر فاستجاب
الله بقوله فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض وقل جاء
الحق الاسلام وزهق الباطل وذهب الشرك من زهق روحه اذا خرج ان الباطل كان زهوقا

مضمحل

مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود رضي الله عنهما انه عليه الصلاة والسلام دخل مكة يوم الفتح
وفيها ثلثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرته في عين واحد واحد منها فيقول جاء الحق
وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر
فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين** ما هو
في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ومن للبيان فانه كله كذلك
وقيل انه للتبعيض والمعنى وان منه ما يشفي من المرض كالفاتحة وايات الشفاء وقراءة البصرة
تنزل بالتخفيف **ولا يزيد الظالمين الا خسارا** لتكذيبهم وكفرهم به **واذا انعمنا على الانسان**
بالصحة والسعة **اعرض** عن ذكر الله **ونأى بجانبه** لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كأنه مستغن
عنه مستبد بأمره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقراءة ابن
عامر برواية ابن ذكوان هنا وفي فصلت ونأى على القلب وعلى انه بمعنى نهض وامال الكسائي
وخلف فتحة النون والهمزة في السورتين وامال خلف فتحة الهمزة فيهما فقط وامال ابو بكر فتحة
الهمزة هنا واخلص فتحها هناك وورش على اصله فوذوات الياء **واذا مسه الشر** من مرض او فقر
كان يؤسا شديد اليأس من روح الله **قل كل يعمل على شاكلته** قل كل احد يعمل على طريقته التي
تشاكل حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله النابعة لمزاج بدنه **فربكم اعلم**
بمن هو اهدى سبيلا اسد طريقا وابين منهجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين
ويسئلونك عن الروح الذي يحيى به بدن الانسان ويدبره **قل الروح من امر ربي** من الابداعيات
الكائنة من غير مادة ولم تولد من اصل كاعضاء جسده او وجد بامره وحدث بتكوينه على
ان السؤال عن قدمه وحدوثه وقيل مما استأثر الله بعلمه لما روي ان اليهود قالوا لقريش
سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان
اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبينما هم كذلك اذ جاء جبريل وقيل الروح جبريل وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القرآن او من امر ربي معناه من وجيه **وما**
اوتيتم من العلم الا قليلا تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف النظرية
بما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما
ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من احواله المعرفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح
مما لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر
موسى عليه السلام في جواب ومارب العالمين بذكر بعض صفاته روي انه عليه الصلاة والسلام
لما قال لهم ذلك قالوا انحن المخصوصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وانتم فقالوا اما العجب شانك
ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض
من شجرة اقلام وما قالوه ليس سواء فانهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم من الحق والخير ما تتسع
القوة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله تعالى التي
لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثير **ولئن شئنا لنذهبن بالذي**
اوحينا اليك اللام الاولى موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى
ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن المصاحف والصدور **ثم لا تجد لك به علينا وكيلا**
من يتوكل علينا باسترداده مسطورا محفوظا **الا رحمة من ربك** فانها ان تالتك فلعلها تسترده
عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به
فيكون امتنانا ابقائه بعد المنة في تنزيله **ان فضله كان عليك كبيرا** كارساله وانزال
الكتاب عليه وابقائه في حفظه **قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن**

في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى لا يأتون بمثله وفيهم العرب العرباء وارباب البيان واهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولاها لكان جواب الشرط بالجزم لكون الشرط ماضيا كقوله ـــــ ذهير ،

، وان اتاه خليل يوم مسألة ، يقول لا غائب مالي ولا حرمي ،

ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا على الاتيان به ولعلهم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزا ولانهم كانوا وسائط في اتيانه ويجوز ان تكون الاية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ولقد صرفنا كررنا بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان للناس في هذا القرآن من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه موقعا في النفوس فابى اكثر الناس الا كفورا الا جحودا وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متاول بالنفي وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا تفتح وافتراحا بعد ما لزمتهم الحجة ببيان اعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون وبعقوب تفجر لنا بالتخفيف والارض ارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها فعول من نبع الماء كيعقوب من عبت الماء اذا زخر او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او يكون لك بستان يشتمل على ذلك او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يعنون قوله تعالى وتسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في جميع القرآن الا في الروم وابن عامر الا في هذه السورة ونافع وابو بكر في غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو ما مخفف من المفتوح كسدر وسدر او فعل بمعنى مفعول كالطحن او تاتي بالله والملائكة قبيلا كفيلا بما تدعيه اي شاهدا على صحته ضامنا لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله والحال من الملائكة محذوف قد دل الله عليه كما حذف الخبر في قوله ، واني لغيار بها لغريب ، او جماعة فيكون حالا من الملائكة او يكون لك بيت من زخرف من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة او ترقى في السماء في معارجها ولن نؤمن لرقيك وحده حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وكان فيه تصديقك قل سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم او تنزيها لله عن ان يأتي او يتحكم عليه او يشاركه احد في القدرة وقراء ابن كثير وابن عامر قال سبحان اي قال الرسول هل كنت الا بشرا كسائر الناس رسولا كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الايات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله حتى يخبر وبها على هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر في ايات اخر كقوله ولن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب نقرؤه وقوله لولا انزل عليه اية من ربه وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اي وما منعهم الايمان بعد نزول الوحي وظهور الحق الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا الا قولهم هذا والمعنى انهم لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد والقرآن الا انكارهم ان يرسل الله بشرا قل جوابا لشبهتهم لو كان في الارض ملائكة يمشون كما يمشي بنو ادم مطمئنين ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي منه واما الانس فعامتهم عامة عن ادراك الحق الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا والاول اوفق قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على اني رسول اليكم باظهار المعجزة على وفق دعواي او على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم وشهيدا نصب على الحال او التمييز ان كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم احوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليه وفيه تسلية للرسول

فقير

وتهديد

وتهديد للكفار ومن يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه
ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم يمشون عليها او يمشون بها روى انه قيل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم فقال ان الذى امشاهم على اقدامهم قادر ان
يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما لا يبصرون ما يقرّ اعينهم ولا يسمعون ما يلذ
مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم فى دنياهم لم يستبصروا بالايات والعبر وتصاموا
عن استماع الحق وابوا ان ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى
النار موقوفا فى القوى والحواس ماواهم جهنم كلما خبت سكن لهبها بان اكلت جلودهم وحومهم
زدناهم سعيرا اى قدبان تبدل جلودهم وحومهم ملتهبة متسعرة بهم كانهم لما كانوا
بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بان لا يزالوا على الاعادة والافناء واليه اشار بقوله
ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا ءاذا كنا عظاما ورفاتا ءانا لمبعوثون
خلقا جديدا الآن الاشارة الى ما تقدمهم من عذابهم اولم يروا اولم يعلموا ان الله الذى
خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم فانهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة
اصعب عليه من الابداء وجعل لهم اجلا لا ريب فيه هو الموت او القيمة فابى الظالمون مع
وضوح الحق الا كفورا الا جحودا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى خزائن رزقه وسائر
نعمه وانتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقولك حاتما لو ذات سوار لطمتنى، وفائدة
الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص اذا لامسكتم خشية الانفاق
لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولما ثر غيره بشئ فانما يؤثره لعوض
يفوقه فهو اذا بخيل بالاضافة الى جود الله وكرمه هذا وان البخلاء اغلب فيهم وكان الانسان
قتورا بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة الغرض فيما يبذل ولقد
اتينا موسى تسع ايات بينات هى العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار
الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بنى اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات
مكان الثلثة الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا سال النبى عليه الصلاة والسلام عنها
فقال لا تشركوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا
الربا ولا تمشوا ببرئ الى ذى سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف
وعليكم خاصة اليهود ان لا تعتدوا فى السبت فقبل اليهودى يده ورجله فعلى هذا المراد
بالايات الاحكام العامة للملل الثابتة فى كل الشرائع سميت بذلك لانها تدل على حال
من يتعاطى متعلقها فى الاخرة من السعادة والشقاوة وقوله وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا
فى السبت حكم مستانف زيد على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام فاسال بنى اسرائيل اذ
جاءهم فقلنا له سلهم من فرعون ليسلم معك او سلهم من حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك
وتكون قلوبهم وايديهم معك ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال
على لفظ الماضى بغير همز وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا او سال على هذه القراءة او فسل
يا محمد عما جرى بين موسى وفرعون اذ جاءهم او عن الايات ليظهر للمشركين صدقك او لتسلى نفسك
او ليعلم انه تعالى لو اتى بما اقترحوه لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد يقينك
لان تظاهر الادلة توجب قوة اليقين وطمانينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا بآتينا او باضمار
يخبروك على جواب الامر او باضمار اذكر على الاستيناف فقال له فرعون انى لاظنك يا موسى
مسحورا سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت يا فرعون وقراء الكسائى بالضم على الاخبار
عن نفسه ما انزل هؤلاء يعنى الايات الا رب السموات والارض بصائر بينات تبصر

صدق ولكنك تعاند وتنصا بذ على الحال وانى لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير
مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا اى ما صرفك اوهالكا قارع ظنه بظنه وشتان
ما بين الظنين فان ظن فرعون بحث وظن موسى يجوم حول اليقين من تظاهر امارات وقرائن
وان لاخالك على ان المخففة واللام الفارقة فاراد فرعون ان يستفزهم ان يستخف موسى وقومه
وينفيهم من الارض ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل والاستيصال فاغرقناه ومن معه
جميعا فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من بعد فرعون
واغراقه لبنى اسرائيل اسكنوا الارض التى اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الاخرة
الكرة او الحياة او الساعة او الدار الاخرة يعنى يوم القيمة جئنا بكم لفيفا مختلطين ايا كم
واياهم ثم نحكم بينكم وبميز سعدائكم من اشقيائكم واللفيف واللفيف الجماعات من قبايل
شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل اى وما انزلنا القران الا ملتبسا بالحق المقتضى لانزاله
وما نزل الا ملتبسا بالحق الذى اشتمل عليه وقيل ما انزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد
من الملايكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله اراد به نفى اعتراء
البطلان لاول الامر واخره وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصى من العقاب
فلا عليك الا التبشير والانذار وقرانا فرقناه نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل
فحذف الجار كما فى قوله ويوما شهدناه فيه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل فى بضاعة
عشرين سنة لتقراه على الناس على مكث على مهل وتؤدة فانه ايسر للفهم للحفظ واعون فى الفهم
وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل امنوا به او لا تؤمنوا فان
ايمانكم بالقران لا يزيده كما ان لا ايمانكم لا ينقصانا وقوله ان الذين اوتوا العلم من قبله
تعليل له اى انكم ان لم تؤمنوا به فقد امن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرأوا الكتب السابقة
وعرفوا حقيقة الوحى وامارات النبوة وتمكنوا من التمييز بين المحق والمبطل اوراوا نعته وصفة
ما انزل اليك فى تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقول على سبيل التسلية كانه قيل تسل بايمان
العلماء عن ايمان الجملة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم اذا يتلى عليهم القران يخرون للاذقان
سجدا يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله او شكرا لانجاز وعده فى تلك الكتب ببعثة محمد
صلى الله عليه وسلم والسلام على فترة من الرسل وانزال القران عليه ويقولون سبحان ربنا عن خلف
الوعد ان كان وعد ربنا لمفعولا انه كان وعده كائنا لا محالة ويخرون للاذقان يبكون
كرره لاختلاف الحال والسبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثانى لما اثر فيهم من مواعظ
القران حال كونهم باكين من خشية الله وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض من وجه الساجد
واللام فيه لاختصاص الحرورية ويزيدهم خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله قل ادعوا الله
او ادعوا الرحمن نزل حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه
ينهانا ان نعبد الهين ويدعو الها اخر وقالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله
فى التورية فالمراد على الاول هو التسمية بين اللفظين بانهما يطلقان على ذات واحد وان اختلف
اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات الذى هو المعبود وعلى الثانى انهما سيان فى حسن الاطلاق
والافضا الى المقصود وهو الجود لقوله ايا ما تدعو فله الاسماء الحسنى والدعاء فى الاية بمعنى
التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واللتخيير والتنوين فى ايا عوض
عن المضاف اليه وما صلة لتاكيد ما فى اى من الابهام والضمير فى له للمسمى لان التسمية له
لا للاسم وكان اصل الكلام اى ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة
والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام ولا تجهر

بصلاتك بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت
بها حتى لا تسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك سبيلا بين الجهر والمخافتة سبيلا
وسطا فان الاقتصاد في جميع الامور محمود محبوب روى ان ابا بكر كان يخافت ويقول
اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه
لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها بل اجهر بها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا والجهر
ليلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك في الالوهية ولم يكن له ولي
من الذل ولي يوالي من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يكون له ما يشاركه
من جنسه ومن غير جنسه اختيارا واضطرارا وما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة
على انه الذي يستحق جنس الحمد لانه كامل الذات المتفرد بالايجاد المتنعم على الاطلاق
وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله وكبره تكبيرا وفيه تنبيه
على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في العبادة والتحميد ينبغي ان يعترف
بالقصور عن حقه فقد روى انه عليه الصلاة والسلام كان اذا افصح الغلام من بني عبد
المطلب علمه هذه الاية وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه
عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الفا اوقية صدق رسول الله صلى الله
عليه وسلم والله اعلم

سورة الكهف مكية الا قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون الاية وهي مائة واحدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب يعني القرآن رتب استحقاق الحمد على انزاله تنبيها
على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد والداعي الى ما به ينتظم صلاح
المعاش والمعاد ولم يجعل له عوجا شيئا من العوج باختلال في اللفظ وتناف في المعنى
او انحراف من الدعوة الى جناب الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان قيما مستقيما معتدلا
لا افراط فيه ولا تفريط او قيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال
او على الكتب الصادقة لسابقة تشهد بصحتها او انتصابه بمضمر تقديره جعله قيما او على
الحال من الضمير في له او من الكتاب على ان الواو في ولم يجعل للحال دون العطف اذ لو كان للعطف
لكان المعطوف فاصلا بين بعض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتاخير وقرئ
قيما وبالتخفيف لينذر بأسا شديدا اي لينذر الذين كفروا عذابا شديدا اخذف المفعول
الاول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه من لدنه صادرا من عنده
وقرأ ابو بكر باسكان الدال كاسكان الباء من سبع مع الاشمام ليدل على اصله وكسر النون لالتقاء
الساكنين وكسرها على الاتباع ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا
هو الجنة ماكثين فيه في الاجر ابدا لانقطاع وينذر الذين اتخذوا ولدا خصهم بالذكر
وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء بتقديم ذكره
ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه او بالقول والمعنى انهم يقولونه عن جهل مفرط وتقليد
كاذب او تقليد لما سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذي اراد وبه فانهم كانوا يطلقون
الاب والابن بمعنى المورث والوارث او باساءة لو علموه لما جوزوا نسبته الاتخاذ اليه ولا
لآبائهم الذين يقولونه بمعنى لتبني كبرت كلمة عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه
والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على

التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية والاول ابلغ ودل على المقصود **تخرج من افواههم** صفتها تفيد استعظام اجتراءهم على اخراجها من افواههم والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان كبرت هنا بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الاشمام **ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك** قاتلها **على اثارهم** اذا ولوا عن الايمان شبههم لما يداخلهم من الوجد على توليهم بمن فارقته اعزته واحبته فهو يتحسر على اثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك على الاضافة **ان لم يؤمنوا بهذا الحديث** بهذا القرآن **اسفا** للتأسف عليهم او متأسفا عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ ان بالفتح على لان فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية **انا جعلنا ما على الارض** من الحيوانات والنبات والمعادن **زينة لها** ولاهلها **لنبلوهم ايهم احسن عملا** فى تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجى به ايامه وصرفه على ما ينبغى وفيه تسكين لرسول الله صلى الله عليه وسلم **وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا** تربيدا فيه والجرز الارض التى قطع نباتها من الجرز وهو القطع والمعنى انا لنعيد ما عليها من الزينة ترابا مستويا بالارض ونجعله كصعيد ملس لا نبات فيه **ام حسبت** بل احسبت **ان اصحاب الكهف والرقيم** فى ابقاء حيوتهم مدة طويلة **كانوا من اياتنا عجبا** وقصتهم بالاضافة الى خلق ما على الارض من الاجناس والانواع القانية للحصر على طبايع متباعدة وهيات متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم ردها اليها ليس بعجيب مع انه من ايات الله كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع فى الجبل او الوادى الذى فيه كهفهم واسم قريتهم او كلبهم قال امية بن ابى الصلت

ولیس بها الا الرقیم مجاورا ٭ وصیدهم والقوم فی الکهف هجد ٭

اولوح رصاصى او حجر رقمت فيه اسماؤهم وجعلت على باب الكهف وقيل اصحاب الرقيم قوم اخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لاهلهم فاخذتهم السماء فاووا الى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه فقال احدهم اذكركم والله عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال واحد استعملت اجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل فى بقيته مثل عملهم فاعطيته مثل اجرهم فغضب احدهم وترك اجره فوضعته فى جانب البيت ثم مر بى بقر فاشتريت فصيلة فبلغت ما شاء الله فرجع الى بعد حين شيخا ضعيفا لا اعرفه وقال ان لى عندك حقا وذكر حتى عرفته فدفعها اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت هذا لوجهك ففرج عنا فانصدع الجبل حتى رأوا الضوء وقال اخر كان لى فضل غنى واصبت الناس شدة فجاءتنى امرأة فطلبت منى معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك فابت وعادت ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت لزوجها القصة فقال اجيبى له واعطيه ما لك فاتته وسلمت الى نفسها فلما تكشفتها وهمت بها ارتعدت فقلت مالك فقالت اخاف الله فقلت لها خفيته فى الشدة ولم اخفه فى الرخاء فتركتها واعطيتها ما لتمسها اللهم ان كنت فعلته لوجهك ففرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لى ابوان هرمان وكانت لى غنم وكنت اطعمهما واسقيهما ثم ارجع الى غنمى فجئتهما ذات يوم عيث فلم ارح حتى امسيت فاتيت اهلى واخذت محلبى فحلبت وجئت بالحلوب فوجدتهما نائمين فكرهت ان اوقظهما فتوقعت جالسا ومحلبى على يدى حتى ايقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك ففرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد دفع ذلك نعمان بن بشير **اذ اوى الفتية الى الكهف** يعنى فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فابوه وهربوا الى الكهف **فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة** توجب لنا المغفرة والرزق والامن من العدو **وهئ لنا من امرنا** من الامر الذى نحن عليه من مفارقة الكفار **رشدا** نصيرا بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا كله رشدا كقوله رايته منك

اسدا

ح
محمد وموالوه

اى الغيث ٭

اى الى النبى صلى الله عليه وسلم

اسدا واصل التهيئة احداث هيئة الشئ فضربنا على اذانهم اى ضربنا عليها حجابا يمنع السماع
اى انمناهم انامة لا ينبههم فيها الاصوات فحذف المفعول كما حذف فى قولهم بنى على امراته
فى الكهف سنين ظرفان لضربنا عددا اى ذوات عدد ووصف السنين به يحتمل التكثير
والتقليل فان مدة لبثهم كبعض يوم عند ثم بعثناهم اى ايقظناهم لنعلم ليتعلق علمنا
علما حاليا مطابقا لتعلقه او لا تعلقا استقباليا اى الحزبين المختلفين منهم او من غيرهم
فى مدة لبثهم لما لبثوا امدا ضبط امد الزمان لبثهم ومافى اى من معنى الاستفهام
علق عنه لنعلم فهو مبتدا واحصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعوله ولما لبثوا حال مبينة
ومفعول لد وقيل انه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وامدا تمييز وقيل احصوا تفضيل
من الاحصاء بحذف الزوائد كقولهم هو احصى للمال وافلس من ابن المذلق وامدا نصب بفعل
دل عليه احصى كقولهم واضرب منا بالسيوف القوانسا نحن نقص عليك نبأهم
بالحق بالصدق انهم فتية شبان جمع فتى كصبى وصبية امنوا بربهم وزدناهم هدى بالتثبت
وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الوطن والاهل والمال والجراءة على اظهار الحق
والرد على دقيانوس الجبار اذ قاموا بين يديه فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو
من دونه الها لقد قلنا اذا شططا والله لقد قلنا قولا اذا شطط اى اذا بعد عن الحق مفرط
فى الظلم هؤلاء مبتدا قومنا عطف بيان اتخذوا من دونه الهة خبره وهو اخبارى بمعنى
الانكار لولا يأتون هلا يأتون عليهم على عبادتهم بسلطان بين ببرهان ظاهر فان
الدين لا يوخذ الا به وفيه دليل على ان ما لا دليل عليه من الديانات مردود وان التقليد فيه
غير جايز فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبته الشريك اليه واذ اعتزلتموهم خطاب
بعضهم لبعض وما يعبدون الا الله عطف على الضمير المنصوب اى واذ اعتزلتم القوم ومعبوديهم
الا الله فانهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الاصنام كسائر المشركين ويجوز ان تكون ما مصدرية
على تقدير واذ اعتزلتهم وعبادتهم الا عبادة الله وان تكون نافية على انه اخبار من الله عن الغيبة
بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم يبسط لكم
ويوسع عليكم من رحمته فى الدارين ويهيئ لكم من امركم مرفقا ما ترتفقون به او تنتفعون به
وجزمهم بذلك لتضوع يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله وقرأ نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم
وكسر الفاء وهو مصدر جاء شاذا كالمرجع والمحيض فان قياسه الفتح وترى الشمس لو رايتهم
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد اذا طلعت تزاور تميل عنه ولا يقع
شعاعها عليهم فيوذيهم لان الكهف كان جنوبيا او لان الله زورها عنهم واصله تتزاور
فادغمت التاء فى الزاى وقرأ الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور كتحمر وترئ تزاور
كتحمار وكلها من الزور بمعنى الميل ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها ذات اسم اليمين واذا غربت
تقرضهم تقطعهم وتصرم عنهم ذات الشمال يعنى يمين الكهف وشمالها لقوله وهم فى فجوة منه
اى وهم فى متسع من الكهف يعنى فى وسطه بحيث يناهم روح الهوى ولا يوذيهم كرب الغار ولا
حر الشمس وذلك لان باب الكهف فى مقابلة بنات نعش واقرب المشارق والمغارب المحاذاة
راس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مدار راس تطلع مايلة عنه مقابلة بجانبه الايمن
وهو الذى يلى المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جانبيه ويحلل عفونته ويعدل
هواه ولا يقع عليهم فيوذى اجسامهم ويبلى ثيابهم ذلك من ايات الله اى شانهم او ايواءهم الى
الكهف كذلك او اخبارك وقصتهم او ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة من ايات الله من يهد
الله بالتوفيق فهو المهتدى الذى اصاب الفلاح والمادبة لما الثناء عليهم او التنبيه على

ان امثال هذه الايات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله للتامل فيها والاستبصار
بها ومن يضلل ومن يخذله فلن تجد له وليا مرشدا من يليه ويرشده وتحسبهم
ايقاظا لانفتاح عيونهم او لكثرة تقلبهم وهم رقود نيام ونقلبهم في رقدتهم ذات
اليمين وذات الشمال كيلا تاكل الارض ما يليها من اجسامهم ابدانهم على طول الزمان
وقرئ يقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه
وتحسبهم اى وقرئ تقلبهم وكلبهم هو كلب مر وابه فتبعهم فطردوه فانطقه الله
فقال انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم او كلب راعٍ مر وابه فتبعهم وتبعه الكلب
ويؤيده قراءة من قرأ وكالبهم اى صاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية
ولذلك اعمل اسم الفاعل بالوصيد بفنا الكهف وقيل الوصيد الكهف الباب وقيل
العتبة لو اطلعت عليهم فنظرت اليهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو لوليت منهم فرارا
لهربت منهم وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية والعلة والحال وملئت منهم
رعبا خوفا يملا صدرك لما البسهم الله من الهيبة او لعظم اجرامهم وانفتاح عيونهم
وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية رضي الله عنه انه غزى الروم فمر بالكهف فقال لو
كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنهما ليس لك ذلك قد
منع الله لقوما من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم يمت وبعث
ناسا فلما دخلوا جاءت ريح فاحرقتهم وقراء الحجازيان لملئت بالتشديد للمبالغة
وابن عامر والكسائي ورعبا بالتثقيل وكذلك بعثناهم وكما انمناهم اية
بعثناهم اية على كمال قدرتنا ليتساءلوا بينهم ليسئل بعضهم بعضا فتعرفوا حالهم
وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله وليستبصروا به امر البعث وليشكروا
ما انعم الله به عليهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم بناء على
غالب ظنهم لان النائم لا يحصى مدة نومه ولذلك احالوا العلم الى الله قالوا ربكم اعلم
بما لبثتم ويجوز ان يكون ذلك قول بعضهم وهذا انكار الاخرين عليهم وقيل انهم
دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة فظنوا انهم في يومهم او اليوم الذي بعده قالوا
ذلك فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا ان الامر ملتبس لا طريق
لهم الى علمه اخذوا فيما يهمهم فقالوا فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة والورق
الفضة مضروبة كانت او غيرها وقراء ابو عمرو وحمزة وابو بكر وروح عن يعقوب بالتخفيف
وقرئ بالتثقيل وادغام القاف في الكاف وبالتخفيف مكسور الواو مدغما وغير مدغم ورد
المدغم لالتقاء الساكنين على غير حده وحملهم له دليل على ان النزود راى المتوكليت
والمدينة طرطوس فلينظر ايها اى اهلها ازكى طعاما احل واطيب او اكثر واخص
فليات بكم برزق منه وليتلطف وليتكلف اللطف في المعاملة حتى لا يغبن او في التخفي
حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا ولا يفعلن ما يؤدي الى الشعور انهم ان يظهروا عليكم
ان يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر في ايها يرجموكم يقتلوكم بالرجم او
يعيدوكم في ملتهم ويصيروكم اليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا ولا على
دينهم فامنوا ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم في ملتهم وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم
وبعثناهم ليزدادوا بصيرة اطلعنا عليهم ليعلموا ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان
وعد الله بالبعث والموعود الذي هو البعث حق لان نومهم وانتباههم كحال من يموت
ثم يبعث وان الساعة لا ريب فيها وان القيمة لا ريب في امكانها فان من توفى نفوسهم

فامسكها ثلاثمائة سنين حافظا ابدانهم عن التحلل والتقلب ثم ارسلها اليها قدر ما
ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى ان يحشر ابدانها فيردها عليها اذ يتنازعون
ظرف لاعثرنا اى اعثرنا عليهم حين يتنازعون بينهم امرهم امر دينهم فكان بعضهم
يقول يبعث الله الارواح مجردة وبعضهم يقول يبعثان معا ليرتفع الخلاف وتتبين
انهما يبعثان معا او امر الفتية حين اماتهم الله ثانيا بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال
بعضهم ناموا نومهم اول مرة وقالت طائفة نبني عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه
قرية وقال اخرون لنتخذن عليهم مسجدا ليصلى فيه كما قال الله تعالى فقالوا ابنوا عليهم
بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا وقولهم ربهم
اعلم بهم اعتراض اما من الله رد على الخائضين في امرهم من اولئك المتنازعين فيهم على عهد
الرسول او من المتنازعين للرد على الله بعد ما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم
واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك حكي ان المبعوث لما دخل السوق واخرج الدرهم فكان على اسم
دقيانوس انتهوه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيا موحدا فقص عليه
القصص فقال بعضهم ان اباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم
هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية
للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا
فدفنهم الملك في الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم
حتى ادخل اولا ليلا يفزعوا فدخلوا ففجئ عليهم المدخل فسواهم مسجدا سيقولون اى
الخائضون في قصتهم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والمؤمنين ثلاثة
رابعهم كلبهم اى هم ثلاثة رجال ربعهم كلبهم بانضمامه اليهم قيل هو قول اليهود
وقيل هو قول السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا ويقولون خمسة سادسهم كلبهم
قاله النصارى والعاقب منهم وكان نسطوريا رجما بالغيب يرمون رميا بالخبر الخفي
الذي لا مطلع لهم عليه واتيانا به وظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانما يذكر
بالسين الكفاءة بعطفه على ما هو فيه ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم انما قاله المسلمون
باخبار الرسول لهم عن جبريل وايماء الله اليه بان اتبعه قوله قل ربي اعلم بعدتهم
ما يعلمهم الا قليل واتبع الاولين قوله رجما بالغيب وبان اثبت العلم بهم لطائفة
بعد ما حصر اقوال الطائفتين في تلك الثلاثة المذكورة فان عدم ايراد رابع في نحو هذا المحل
دليل العدم مع ان الاصل بنفيه ثم رد الاولين بان اتبعهما قوله رجما بالغيب ليتعين
الثالث وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تنبيها لها بالواقعة حالا
عن المعرفة لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافها بها امر ثابت
وعن علي رضي الله عنه انهم سبعة وثامنهم كلبهم اسماؤهم يمليخا ومكسلينيا ومشلينيا
هؤلاء اصحاب يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش اصحاب يساره وكان
يستشيرهم والسابع الراعي الذي رافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس
وقيل انها قال الثلاثة لاهل الكتاب والقليل منهم فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا
تجادل في شان الفتية الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما في القران
من غير تجهيل لهم ولا رد عليهم ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تسال منهم احدا عن
قصتهم سوال مسترشد فان فيما اوحي اليك لمندوحة عن غيره معا مع انه لا علم لهم
بها ولا سوال متعنت يريد تفضيح المسؤل عنه وتزييف ما عنده فانه يخل بمكارم

بمكارم الاخلاق **ولا تقولن لشئ اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله** نهى تاديب من الله
لنبيه صلى الله عليه وسلم حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذي
القرنين فقال ائتوني غدا ولم يستثن فابطأ عليه الوحي بضعة عشر يوما حتى شق
عليه وكذبته قريش والاستثناء من النهي اي ولا تقولن لاجل شئ تعزم عليه اني فاعله
فيما يستقبل الا بان يشاء الله اي ملتبسا بمشيئة قائلا ان شاء الله او الا وقت ان يشاء
الله ان تقوله بمعنى ان ياذن لك فيه ولا يجوز تعلقه بفاعل لان استثناء اقتران
المشيئة بالفعل غير سديد واستثناء اعتراض دونه لا يناسب النهي **واذكر ربك**
مشيئة ربك وقل ان شاء الله كما روي انه لما نزل قال عليه الصلاة والسلام ان شاء الله
اذا نسيت اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولو بعد
سنة ثم تحنث ولذلك جوز تاخير الاستثناء وعامة الفقهاء على خلافه لانه لو صح ذلك
لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا اعتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس في الاية والخبر ان الاستثنا
المتدارك به من القول السابق بل هو من مقدر مدلول عليه ويجوز ان يكون المعنى
واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه او اذكر
ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك على التدارك او اذكره اذا اعتراك
النسيان ليذكرك المنسي **وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا**
لاقرب رشدا او اظهر دلالة على انبي من نبإ اصحاب الكهف وقد هداه الله لاعظم من
ذلك كقصص الانبياء المتباعدة عنه ايامهم والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة في الاعصار
المستقبلة الى قيام الساعة ولاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسي **ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة**
سنين وازدادوا تسعا يعني لبثهم فيه احياء مضروبا على اذانهم وهو بيان لما اجمل
اجمله قبل وقيل انه حكاية لكلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في
عدتهم فقال بعضهم ثلاثمائة وقال بعضهم ثلاثمائة وتسع سنين وقراء حمزة والكسائي
ثلاثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد وتجيئه ههنا ان علامة الجمع
فيه جبر لما حذف من الواحد لان الاصل في العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف بدل
السنين من ثلاث **قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض** له ما غاب فيهما وخفي
من احوال اهلها فلا يخلق يخفى عليه علما **ابصر به واسمع** ذكر بصيغة التعجب للدلالة على
ان امره في الادراك خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شئ ولا يتفاوت
دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي والهاء يعود الى الله ومحل الرفع على الفاعلية
والباء من زيدت عند سيبويه وكان اصله ابصر اي صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر بمعنى
الانشاء فبرز الضمير لعدم لياق الصيغة له ولزيادة الباء كما في قوله وكفى به والنصب
على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المامور وهو كل احد والباء من زيدت ان كانت
الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة **ما لهم** الضمير لاهل السموات والارض
من دونه من ولي من يتولى امورهم **ولا يشرك في حكمه** في قضايا **احدا** منهم ولا يجعل
له فيه مدخلا وقراء ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء والجزم على نهي كل احد عن الاشراك
ثم لما دل اشتمال القرآن على قصة اصحاب الكهف من حيث انها من المغيبات بالاضافة
الى الرسول عليه الصلاة والسلام على انه وحي معجز امره بان يداوم درسه ويلازم اصحابه
فقال **واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك** من القرآن ولا تستمع لقولهم ائت بقرآن
غير هذا او بدله **لا مبدل لكلماته** لا احد يقدر على ان تبديلها وتغييرها بغير هذا **ولن**

تجد من دونه ملتحدا ملتجأ تعدل اليه ان همت به واصبر نفسك واحبسها وثبتها
مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي في مجامع اوقاتهم او في طرفي النهار وقراءة ابن
عامر بالغدوة وفيه ان غدوة علم في الاكل فيكون اللام فيه على تاويل التنكير يريدون
وجهه رضى الله وطاعته ولا تعد عيناك عنهم ولا تجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته
بعن لتضمينه معنى نبا وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد من اعداه وعداه والمراد نهى
الرسول ان يزدري بفقراء المؤمنين وتعلو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى طراوة زي
الاغنياء تريد زينة الحيوة الدنيا حال من الكاف في المشهورة ومن المستكن في الفعل في
غيرها ولا تطع من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا كامية بن خلف في
دعايك الى طرد الفقراء من مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه على ان الداعي له الى هذا
الاستدعى غفلة المعقولات قلبه عن المعقولات وانهماكه في المحسوسات حتى خفي عليه
ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وانه لو اطاعه كان مثله في العتاوة والمعتزلة
لما غاظهم اسناد الاغفال الى الله قالوا انه مثل احببته اذا وجدته محبا او نسبته
اليه او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بذكرنا كقلوب الذين كتبنا في قلوبهم
الايمان واحتجوا على ان المراد ليس ظاهر ما ذكر او لا بقوله واتبع هواه وجعل امره
فرطا متقدما غير مرة وقرئ واغفلنا باسناد الفعل الى القلب على معنا حسبنا قلبه غافلين
عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة وكان امره فرطا اي تقدما على الحق ونبذ له وراء ظهره يقال
فرس فرط اي متقدم للخيل ومنه الفرط وقل الحق من ربكم الحق ما يكون من جهة الله
لا ما يقتضيه الهوى ويجوز ان يكون الحق خبر محذوف ومن ربكم حال فمن شاء فليؤمن
ومن شاء فليكفر لا ابالي بايمان من امن وكفر من كفر وهو لا يقتضي استقلال العبد
بفعله فانه واذ كان بمشيئته لمشيئته ليست بمشيئته انا اعتدنا هيانا للظالمين
نارا احاط بهم سرادقها فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي
تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط النار وان يستغيثوا من العطش
يغاثوا بماء كالمهل كالنحاس المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا من
الصليل بيشوى الوجوه اذا قدم ليشرب من فرط حرارته وهو صفة ثانية لماء او حال
من المهل او الضمير في الكاف بئس الشراب المهل وساءت النار مرتفقا متكاء واصل الارتفاق
نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا والاتكاء الاتفاق لاهل النار ان
الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا خبر ان الاولى هي الثانية
بما في حيزها والراجح محذوف لتقديره من احسن عملا منهم واستغنى عنه بعموم من احسن
عملا كما هو مستغنى عنه في قولك الرجل زيد وواقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا على
الحقيقة لا يحسن اطلاقه الا على الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم جنات عدن
تجري من تحتهم الانهار وما بينهما اعتراض وعلى الاول استيناف لبيان الاجر وخبر ان
يحلون فيها من اساور من ذهب من الاولى للابتداء والثانية للبيان صفة للاساور وتنكيرها
لتعظيم حسنها من الاحاطة بدو هو جمع اسورة او اسوار في جمع سوار ويلبسون ثيابا
خضرا لان الخضرة احسن الالوان واكرهها طراوة من سندس واستبرق مما
رق من الديباج وما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيهما ما تشتهي الانفس
وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك على السرر كما هو هيئة المتنعمين نعم الثواب الجنة
ونعيمها وحسنت الارائك مرتفقا متكاء واضرب لهم مثلا للكافرين والمومنين رجلين

حال رجلين مقدرين او موجودين وهما اخوان من بني اسرائيل كافر اسمه قمر طريوس
ومؤمن اسمه يهودا وربما من ايهما بمائة الاف دينار فتشاطرا فاشترى الكافر بها
ضياعا وعقارا وصرفها المؤمن في وجوه الخير وال امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل
الممثل لهما اخوان من بني مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاسد ومؤمن وهو ابو سلمة
عبد الله كان زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم **جعلنا لاحدهما جنتين** بستانين
من اعناب من الكروم والجملة بتمامها بيان التمثيل او صفة للرجلين **وحففناهما بنخل** وجعلنا
النخل محيطة بهما مؤنزرا بها كرومها يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم
حافين حوله فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك عشيته به **وجعلنا بينهما زرعا** ليكون
كل منهما جامع الافوات والغوائل متواصل العمارة على اشكل الحسن والترتيب لا يتوق **كلتا**
الجنتين اتت اكلها ثمرتها وافراد الضمير لافراد كلتا وقرئ كلا الجنتين اتى اكله **ولم تظلم**
منه ولم تنقص من اكلها **شيئا** يعهد في سائر البساتين فان الثمار تتم في عام وتنقص في
عام غالبا **وفجرنا خلالهما نهرا** ليدوم سقيهما فانه اصلح ويزيدهما وهما وعن يعقوب
وفجرنا بالتخفيف **وكان له ثمر** انواع من المال سوى الجنتين من ثمر ماله اذا كثره وقراءة
عاصم بفتح الثاء وابو عمرو بضم الثاء واسكان الميم والباقون بضمتين وكذلك في قوله
واحيط بثمره **فقال لصاحبه وهو يحاوره** يراجعه في الكلام من حاره اذا راجع **انا اكثر منك**
مالا واعز نفرا احشما واعوانا وقيل اولادا ذكورا لانهم كانوا الذين ينفرون معه **ودخل**
جنته بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها وافراد الجنة لان المراد ما هو جنته وهو
ما متع به من الدنيا تبينها على انه لا جنة له غيرها ولا حظ له في الجنة التي وعد المتقون او
لاتصال كل احد من جنتيه بالاخرى ولان الدخول يكون في واحدة واحدة **وهو ظالم لنفسه**
ضارها بكفره بنعمته وكفره **قال ما اظن ان تبيد** ان تفنى **هذه** الجنة **ابدا** لطول امله
وتمادي غفلته واغتراره بمهلته **وما اظن الساعة قائمة** كائنة **ولئن رددت الى ربي**
بالبعث كما زعمت **لاجدن خيرا منها** من جنته وقراءة الحجازيان والشامي منهما اي من الجنتين
منقلبا مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية وانما اقسم على ذلك لاعتقاده انه تعالى انما
اولاه ما اولاه لاستيهاله واستحقاقه اياه لذاته وهو معه اينما يلقاه **قال له صاحبه**
وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب لانه اصل مادتك او مادة اصلك **ثم من**
نطفة فانها مادتك القريبة **ثم سواك رجلا** ثم عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ
الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله لانه منشأ الشك في قدرة الله تعالى ولذلك رتب الانكار
على خلقه اياه من التراب فان من قدر بدأ خلقه منه قدر ان يعيده منه **لكنا هو الله**
ربي ولا اشرك بربي احدا اصله لكن انا فحذفت الهمزة بنقل حركتها وادونه
فتلاقت النونان فكان الادغام وقراءه ابن عامر ويعقوب في رواية بالالف في الوصل لتعويضها
من الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لكن انا على الاصل وهو ضمير الشان وهو
بالجملة الواقعة خبرا انا او ضمير الله والله بدله وربي خبره والجملة خبر انا والاستدراك
من اكفرت كانه قال انت كافر بالله لكني مؤمن به وقرئ لكن هو الله ربي ولكن انا لا اله الا هو
ربي **ولولا اذ دخلت جنتك قلت** وهلا قلت عند دخولها **ما شاء الله** الامر ما شاء الله او
ما شاء الله كائن على انها شرطية والجواب محذوف اقرارا بانها وما فيها بمشيئة الله ان شاء
ابقاها وان شاء ابادها **لا قوة الا بالله** وقلب لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة
لله وانما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها فبمعونته واقداره وعن النبي صلى الله عليه وسلم

بالسين المهملة كما في الاستيعاب وان كان في عامة النسخ بالمعجمة

وسطهما

ع

من رأى شيئا فاعجبه فقال ماشاء الله لاقوة الا بالله لم يضره ان ترني انا اقل منك مالا وولدا
يحتمل ان يكون فصلا وان يكون تاكيدا للمفعول الاول وقرئ اقل بالرفع على انه خبر انا والجملة
مفعوله ثان لترن وفي قوله وولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد فعسى ربي ان يؤتين خيرا
من جنتك في الدنيا او في الاخرة لايماني وهو جواب الشرط ويرسل عليها على جنتك كالكرك
حسبانا من السماء مرامي جمع حسبانة وهي الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى الحساب
والمأذية التقدير بتخريبها او عذاب حسبان الاعمال السيئة فتصبح صعيدا زلقا ارضا
ملسا يزلق عليها باستيصال نباتها واشجارها او يصبح ماؤها غورا غائرا في الارض
مصدر وصف كالزلق فلن تستطيع له طلبا للماء الغائر تردد في رده واحيط بثمره
واهلك امواله حسبما توقعه صاحبه وانذره منه وهو ماخوذ من احاط به العدو فانه
اذا احاط به غلبه واذا غلبه اهلكه ونظيره اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا
جاءهم مستعليا عليهم فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا على ما انفق
فيها في عمارتها وهو متعلق بيقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم فكانه قيل فاصبح
يندم او حال اي متحسرا على ما انفق فيها وهي خاوية ساقطة على عروشها بان سقطت
عروشها على الارض وسقطت الكروم على الارض ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره
يا ليتني لم اشرك بربي احدا كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه اتي من قبل شركه فتمنى
لو لم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه ويحتمل ان يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق
منه ولم تكن له فيئة وقراء حمزة والكسائي بالياء لتقدمه ينصرونه يقدرون على نصره
بدفع الاهلاك اورد المهلك او الاتيان بمثله من دون الله فانه القادر على ذلك وحده
وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله منه هنالك في ذلك المقام وتلك
الحال الولاية لله الحق النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره تقرير لقوله ولم يكن له فيئة
ينصرونه او ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن
ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقراء حمزة والكسائي بالكسر ومعناها
السلطان والملك اي هنالك السلطان له لا يغلب ولا يمنع منه او لا يعبد غيره كقوله فاذا
ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك بربي
كان عن اضطرار وجزع عاد هاهنا اشارة الى الاخرة وقراء ابو عمرو والكسائي الحق
بالرفع صفة للولاية وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد وقراء حمزة وعاصم عقبا بالسكون وقرئ
عقبى وكلها بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا اذكرهم ما يشبه الحيوة الدنيا
في زهرتها وسرعة زوالها او صفتها الغريبة كماء هو كماء ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا لاضرب
على انه بمعنى صير انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فالتف بسببه وخالط
بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه ويجمع في النبات حتى روى ورف وعلى هذا كان حقه فاختلط
بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة في الكثرة
فاصبح هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه من ذرى والمشبه
به ليس الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون
اخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كان لم يكن وكان الله على كل شيء من الانشاء
والافناء مقتدرا قادرا المال والبنون زينة الحيوة الدنيا يتزين فيها الانسان فوق نباته
ويفنى عنه عما قريب والباقيات الصالحات واعمال الخيرات التي تبقى له ثمرتها ابدا الاباد
ويندرج فيها ما فسرت به من الصلوات الخمس واعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله

رف النبات رفيفا اذا اهتز خضرة
وتلألأ او رف لونه رفيفا اي برق

ولا اله الا الله والله اكبر والكلام الطيب خير عند ربك من المال والبنين ثوابا عائدة وخير
املا لان صالحها ينال به في الاخرة ما كان يامل به في الدنيا ويوم تسير الجبال واذكر يوم
نقلعها وتسيرها في الجو او تذهب بها فتجعلها هباء منبثا ويجوز عطفه على عند ربك اى
الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيمة وقراء ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تسير الجبال
بالتاء والبنا للمفعول وقرئ تسير من سارت وترى الارض بارزة يادية بين برزت من تحت الجبال
ليس عليها ما يسترها وقرئ ترى على بناء المفعول وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف ومحينا ماضيا
بعد تسيير وترى لتحقيق الحشر او للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير ليعاينوا ويشاهدوا ما
وعدهم وعلى هذا يكون الواو للحال باضمار قد فلم نغادر فلم نترك منهم احدا يقال غادره وغدره
اذا تركه ومنه الغدر لترك الوفاء والغدير لما غادره السيل وقرئ بالياء وعرضوا على ربك
تشبيه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان لا ليعرفهم بل ليامر فيهم صفا مصطفين
لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا على اضمار القول على وجه يكون حالا او عاملا في يوم نسير
كما خلقناكم اول مرة عراة لا شئ معكم من المال والولد لقوله ولقد جئتمونا فرادى او احياء كخلقكم
الاولى لقوله بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز الوعد بالبعث والتشور وان الانبياء
كذبوكم بدو بل للخروج من قصة الى اخرى فترى المجرمين مشفقين الخ ووضع الكتاب صحايف
الاعمال في الايمان والشمايل او في الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب فترى المجرمين مشفقين
خايفين مما فيه من الذنوب ويقولون يا ويلتنا يا ندون هلكتهم التي املكوها ومن بين الهلكات
مال هذا الكتاب تعجب لشانه لا يغادر صغيرة هنة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الا اعدها
واحاط بها ووجدوا ما عملوا حاضرا مكتوبا في الصحف ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم
يفعل او يزيد في عقابه الملايم لعمله واذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كرر
في مواضع لانه مقدمة للامور المقصود بيانها في تلك المحال وههنا لما شنع على المفتخرين
واستقبح صنيعهم فرر ذلك بانه من سنن ابليس او لما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض
عنها وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم اولا في زخارف الدنيا
بانها عرضة الزوال والاعمال الصالحة خير وابقى من انفسها واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان
بتذكير ما بينهم ومن العداوة القديمة وهكذا مذهب كل تكرير في القران كان من الجن حال باضمار
قد واستيناف للتعليل كانه قيل ما باله لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه فخرج عن
امره بترك السجود والقاء للتسبب وفيه دليل على ان الملك لا يعصي البتة وانما عصى ابليس
لانه كان جنيا في اصله والكلام المستقصى فيه في سورة البقرة افتتخذونه اعقيب ما وجد
منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجب وذريته واولاده واتباعه وسماهم ذرية مجازا
اولياء من دوني وتستبدلونهم بي وتطيعونهم بدل طاعتي وهم لكم عدو بئس
للظالمين بدلا من الله ابليس وذريته ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا
خلق انفسهم نفي احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض واحضار بعضهم
خلق بعض ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك كما صرح به بقوله وما كنت متخذ
المضلين عضدا اى اعوانا ردا لاتخاذهم اولياء من دون الله شركاء له في العبادة فان
استحقاق العبادة من لوازم الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع
المضلين موضع الضمير ذما لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى
ما اشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو امنوا بتعهم الناس
كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا يتبغي لمن اعتضد بالمضلين

لدني

لدني ويعضده قراءة من قرأ وما كنت على خطأ بالرسول وقرئ متخذ المضلين على الاصل
وعضدا بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضد كخدم جمع عاضد من عضده اذا قواه
ويوم يقول اى الله للكافر وقرأ حمزة بالنون نادوا شركائي الذين زعمتم انهم شركاء
او شفعاؤكم ليمنعوكم من عذابي واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه
وقيل ابليس وذريته فدعوهم فنادوهم للاعانة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم وجعلنا
بينهم بين الكفار والهتهم موبقا مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة اى في شدتها
هلاك تقول لعمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان او مصدر
من وبق يوبق وبقا اذا هلك وقيل البين الوصل اى وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا
في الاخرة ورأى المجرمون النار فظنوا ايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها واقعون فيها
ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا ومكانا ينصرفون اليه ولقد صرفنا في هذا القرآن
من كل مثل من كل جنس يحتاجون اليه وكان الانسان اكثر شيء يتأتى منه الجدل حدلا
خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز وما منع الناس ان يؤمنوا من الايمان اذ جاءهم
الهدى وهو الرسول الداعي والقرآن المبين ويستغفروا ربهم من الاستغفار من الذنوب
الا ان تأتيهم سنة الاولين الاطلب وانتظار او تقدير ان تأتيهم سنة الاولين
وهو الاستئصال فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او يأتيهم العذاب عذاب
الاخرة قبلا عيانا وقرأ الكوفيون قبلا بضمتين وهو لغة فيه وجمع فيقل بمعنى انواع
وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وقبلا وانتصابه
على الحال من الضمير او العذاب وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين للمؤمنين
والكافرين ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الايات بعد ظهور المعجزات والسؤال
عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به ليزيلوا بالجدال الحق عن مقره
ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا لو شاء
الله لانزل ملائكة ونحو ذلك واتخذوا اياتي يعني القرآن وما انذروا وانذارهم والذي
انذروا به من العقاب هزوا استهزاء وقرئ هزوا بالسكون وهو ما يستهزأ به ومن
اظلم ممن ذكر بايات ربه بالقرآن فاعرض عنها فلم يتدبرها ولم يتذكر بها ونسي ما
قدمت يداه من الكفر والمعاصي فلم يتفكر في عاقبتها انا جعلنا على قلوبهم اكنة تعليل
لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وتذكيره
وافراد ضمير للمعنى وفي اذانهم وقرا يمنعهم ان يسمعوه حق استماعه وان تدعهم الى
الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا تحقيقا ولا تقليدا لانهم لا يفقهون ولا يسمعون واذا كما
عرفت جزاء وجوابا للرسول على تقدير ما لى لا ادعوهم فان حرصه على اسلامهم يدعوه اليه وربك
الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب
استشهاد على ذلك يا مهال قريش مع افراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم
موعد وهو يوم بدر او يوم القيمة لن يجدوا من دونه موئلا منجاء ولا ملجأ يقال
وأل اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه وتلك القرى يعني قرى عاد وثمود واضرابهم وتلك
مبتدأ خبره اهلكناهم او مفعول مضمر مفسره والقرى صفته ولا بد من تقدير مضاف
في احدهما ليكون مرجع الضمائر لما ظلموا كقريش بالتكذيب والمراد انواع المعاصي
وجعلنا لمهلكهم موعدا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يتأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون
فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتأخير العذاب عنهم وقرأ ابو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام

اى اهلاكهم وحيض بكسر اللام حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيض **واذ قال موسى** مقدر باذكر **لفتاه** يعنى يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف فانه كان يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتاه وقيل لعبد **لا ابرح** لا ازال السير فخذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله **حتى ابلغ مجمع البحرين** من حيث انها مستدعى غاية عليه ويجوز ان يكون اصله لا اسير مسيرا حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول عما انا عليه من المسير والطلب ولا افارقه فلا يستدعى الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحرى فارس والروم مما يلى المشرق وعند لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسى وخضر عليهما السلام فان موسى كان بحر علم الظاهر وخضر كان بحر علم الباطن وقرئ بمجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع **او امضى حقبا** او اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع او مضى الحقب او حتى ابلغ الا ان امضى زمانا اتيقن معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون روى ان موسى خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة بليغة فاعجب بها فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله اليه بلى عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر فى ايام افريدون وكان على مقدمة ذى القرنين الاكبر وبقى الى ايام موسى وقيل ان موسى سال ربه اى عبادك احب اليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فاى عبادك اقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال فاى عبادك اعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علم نفسه يعسى ان يصيب كلمة تدله على هدى وترده عن ردى فقال ان كان فى عبادك اعلم منى فادله الى علمه قال اعلم منك الخضر فقال اين اطلبه فقال على الساحل عند الصخرة قال كيف لى به قال تاخذ حوتا فى مكتل فحيث فقدته فهناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرنى فذهب يمشيان **فلما بلغا مجمع بينهما** اى مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه اضيف اليه على الاتساع او بمعنى الوصل **نسيا حوتهما** نسى موسى ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع ان يذكر له ما راى من حياته ووقوعه فى البحر روى ان موسى قد فاضطرب الحوت المشوى ووثب فى الماء البحر بمعجزة لموسى او الخضر وقيل توضا يوشع من عين الحيوة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب فى الماء وقيل نسيا تفقد امرهما وما يكون منه امارة على الظفر بالمطلوب **فاتخذ سبيله فى البحر سربا** فاتخذ الحوت طريقه فى البحر مسلكا من قوله وساربه النهار وقيل امسك الله جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثانى وفى البحر حال منه او من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ **فلما جاوزا مجمع البحرين** لنسيانهما **قال لفتاه اتنا غداءنا** ما نتغدى به **لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا** قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسار الليلة والغد الى الظهر القى عليه الجوع والنصب وقيل لم يعى موسى فى سفر غيره ويؤيده التقييد باسم الاشارة **قال ارايت اذ اوينا** ارايت ما دهانى اذ اوينا **الى الصخرة** يعنى الصخرة التى رقد عندها موسى وقيل هى الصخرة التى دون نهر الزيت **فانى نسيت الحوت** فقدته او نسيت ذكره بما رايت منه **وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره** اى وما انسانى ذكره الا الشيطان فان ان اذكره بدل من الضمير الثانى المتصل بانسانيه وقرئ ان اذكره وهو اعتذار عن نسيانه حيث اشتغل الشيطان له بوسوسته والحال وان كانت عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما ضرى بمشاهدة امثالها عند موسى والفها قل اهتمامه بها ولعله نسى ذلك لاستغراقه فى الاستبصار وانجذاب شراشر الجناب القدس بما عراه من مشاهدة الايات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه اولان عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها

باحدهما عن الآخر بعد من النقصان واتخذ سبيله في البحر عجبا سيلا عجبا وهو كونه كالسرب او اتخاذا عجبا والمفعول الثاني هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر اي قال في اثر كلامه او موسى في جوابه عجبا تعجبا من تلك الحال وقيل الفعل لموسى اي اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجبا قال ذلك اي امر الحوت ما كنا نبغي نطلب لانه امارة المطلوب فارتدا على اثارهما فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه قصصا يقصان قصصا اتباعا او مقتصين حتى اتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا الجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس اتيناه رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة وعلمناه من لدنا علما مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمني على شرط ان تعلمني وهو في موضع الحال مما علمت رشدا علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقراء البصريان بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمني ومفعول علمت العائد المحذوف وكلاهما منقول ان من علم الذي له مفعول واحد ويجوز ان يكون علة لاتبعك او مصدر باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا في ابواب الدين فان الرسول ينبغي ان يكون اعلم ممن ارسل اليه فيما بعث به من امور الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى في ذلك غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه واستاذن ان يكون تابعا له وسأل منه ان يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما انعم الله عليه قال انك لن تستطيع معي صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التاكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا اي كيف تصبر وانت نبي على ما اتولى من امور ظاهرها منا كير وبواطنها لم يحط بها خبرك وخبرا تمييز او مصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبره قال ستجدني ان شاء الله صابرا معك غير منكر عليك ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص او على ستجدني وتعليق الوعد بالمشيئة اما للتيمن او لعلمه بصعوبة الامر فان مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد فلا خلف وخلفه ناسيا لا يقدح في عصمته وفيه دليل على ان افعال العباد واقعة بمشيئة الله تعالى قال فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء ولا تفاتحني بالسؤال عن شيء انكر منه مني ولم تعلم وجه صحته حتى احدث لك منه ذكرا حتى ابتدائك ببيانه وقراء نافع وابن عامر فلا تسالني بالنون الثقيلة فانطلقا على الساحل يطلبان السفينة حتى اذا ركبا في السفينة خرقها اخذ الخضر فاسا فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها قال اخرقتها لتغرق اهلها فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي الى غرق اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد للتكثير وقراء حمزة والكسائي لنغرق اهلها على اسناده الى الاهل لقد جئت شيئا امرا اتيت امرا عظيما من امر الامر اذا عظم قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا تذكير لما ذكره قبل قال لا تؤاخذني بما نسيت بالذي نسيته او بشيء نسيته يعني وصيته بان لا يعترض عليه او بنسياني اياها وهو اعتذار بالنسيان اخرجه في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة وقيل انه من معاريض الكلام والمراد شيء اخر نسيته ولا ترهقني من امري عسرا ولا تغشني عسرا من امري بالمضايقة والمؤاخذة على المنسي فان ذلك يعسر علي متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهقني فانه يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا اي بعد ما خرجا من السفينة حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل قلع عنقه وقيل ضرب براسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء للدلالة على انه كما لقيه قتله من غير تردد واستكشاف حال ولذلك قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس

طاهرة من الذنوب وقراء ابن كثير ونافع وابو عمرو ورويس عن يعقوب زاكية والاول ابلغ وقال ابو عمرو والزاكية التي لم تذنب قط والزكية التي اذنبت ثم غفرت ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم او لم ير ها قد اذنبت ذنبا يقتضي قتلها او قتلت نفسا فتقاد بها تنبه به على ان القتل انما يباح حدا او قصاصا وكلا من الامرين منتف ولعل تغيير النظم بان جعل خبرا واعتراض موسى مستانفا وفي الثانية فقتله من جملة الشرط واعتراضه خبرا لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله لقد جئت شيئا نكرا اي منكرا وقراء نافع في رواية قالون وورش وابن عامر ويعقوب وابو بكر نكرا بضمتين قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا زاد فيه انك مكافحة بالعتاب على رفض الوصية ووسمها بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعوي بالتذكير اول مرة حتى زاد في الاستنكار ثانية قال ان سالتك عن شيء فلا تصاحبني وان سالت عن صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبني اي فلا تجعلني صاحبك قد بلغت من لدني عذرا قد وجدت عذرا من قبلي لما خالفتك ثلاث مرات وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى لو استحى فقال ذلك لوليت مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقراء نافع لدني بتحريك النون والاكتفاء بها عن نون الدنامة كقوله قد في من نصر الخبيبين قدي وابو بكر بتحريك النون واسكان الدال اسكان الدال من عضد فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية قرية انطاكية وقيل ابلة بصرة وقيل باخرواء ارمينية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما وقرئ يضيفوهما من اضافه يقال ضافه اذا نزل به ضيفا واضافه وضيفه انزله واصل التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض اذا مال فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض يدانى ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة كما استعيرها الهم والعزم قال

يريد الرمح صدر ابي براء ... ويعدل عن دماء بني عقيل ... وقال

ان دهرا يلف شملي بجمل ... لزمان يهم بالاحسان

وانقض انفعل من قضضته اذا كسرته ومنه القضاض الطير والكوكب لهويه او افعل من القض القض وقرئ ان ينقض وان ينقاض بالضاد المهملة من انقاضت السن اذا انشقت طولا فاقامه بعمارته او بعود عمد به وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا تحريضا على اخذ الجعل ليتعشيا به او تعريضا بانه فضول لما في لو من النفي كانه لما راى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لم يعنه لم يتمالك نفسه واتخذ من افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقراء ابن كثير واليصريان لتخذت اي لاخذت واظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وادغمها الباقون قال هذا فراق بيني وبينك الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني والى الاعتراض الثالث والوقت اي هذا الاعتراض سبب افتراقنا وهذا الوقت وقته واضافة الفراق الى البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع وقد قرئ على الاصل سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها لما وجه وهو ليعلم ان المسكين يطلق على من يملك شيئا اذا لم يكفه وقيل هم مساكين لعجزهم عن دفع الملك اولزمانتهم فانها كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر فاردت ان اعيبها اجعلها ذا عيب وكان وراءهم ملك قدامهم او خلفهم وكان يرجوعهم عليه وكان واسمه جلندى بن كركره وقيل منولة بن جلندا الازدي ياخذ كل سفينة غصبا من صحيحها وكان حق النظم ان يتاخر قوله فاردت

ان اعيبها عن قوله وكان وراءهم لان ارادة العيب سبب عن خوف الغضب وانما قدم للعناية
او لان السبب لما كان مجموع الامرين خوف ومسكنة الملاك رتبه على اقوى الجزئين وادغامها
وعقبه بالاخر على سبيل التقييد والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى عليها **واما**
الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا اى بوحينا **ان يرهقهما** ان يغشيهما **طغيانا وكفرا** النعمهما
بعقوقه فيلحقهما شرا ويقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ
وكافر او يعديهما بعلته فيرتدا ضلالا او بما لا يليق على طغيانه وكفره حيا وانما خشي
ذلك لان الله اعلمه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان نجدة الحروري كتب اليه كيف قتله
وقد نهى النبي عليه الصلاة عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم
موسى فلك ان تقتل وقرئ فخاف ربك اى كره كراهة من خاف سوء عاقبته ويجوز ان يكون
قوله فخشينا حكاية قول الله عز وجل **فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه** ان يرزقهما ولدا
خيرا منه **زكوة** طهارة من الذنوب والاخلاق الرديئة **واقرب رحما** رحمة وعطفا على والديه
قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت له نبيا هدى الله به امة من الامم وقراء نافع وابو
عمرو **يبدلهما** بالتشديد وابن عامر **ويعقوب** رحما بالتخفيف وانتصابه على التمييز والعامل
اسم التفضيل وكذلك زكوة **واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة** قيل اسمهما
اصرم وصريم واسم المقتول جيسور **وكان تحته كنز لهما** من ذهب فضة روى ذلك
مرفوعا والذم على كنزهما في قوله يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكوتهما وما تعلق
بهما من الحقوق وقيل من كتب العلم وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن
بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح
وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن
اليها لا اله الا الله محمد رسول الله **وكان ابوهما صالحا** تنبيه على ان سعيه في ذلك كان لصلاح
قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة اباء وكان سياحا وكان اسمه كاشح
فاراد ربك ان يبلغا اشدهما اى الحلم وكمال الراى **ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك** مرحومين
من ربك ويجوز ان يكون علة او مصدرا لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف
تقديره فعلت ما فعلت رحمة من ربك ولعل اسناد الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر للتعقيب
وثانيا الى الله والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله بدله وثالثا الى الله وحده
لانه لا مدخل له في بلوغ الغلامين اولان الاول في نفسه شر والثالث خير والثاني ممتزج
او لاختلاف حال العارف في الالتفات الى الوسائط **وما فعلته** وما فعلت ما رايته **عن امري**
عن رائي وانما فعلته عن امر الله عز وجل ومبني ذلك على انه متى تعارض ضرران يجب تحمل احدهما
لدفع اعظمهما وهو اصل ممهد عند ان الشرائع في تفاصيلها مختلفة **ذلك تاويل ما لم تسطع عليه**
صبرا اى ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن فوائد هذه القصة انه لا يجب المرء بعمله
ولا يبادر على انكار ما لا يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه وان يداوم على التعلم ويتذلل
للمعلم ويراعي الادب في المقال وان ينبه المحرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق اصراره
ثم يهاجر عنه **ويسالونك عن ذي القرنين** يعني سكندر الرومي ملك فارس والروم وقيل
المشرق والمغرب ولذلك سمي ذا القرنين او لانه طاف قرني الدنيا مشرقها ومغربها
وقيل لانه انقرض في ايامه قرنان من الناس وقيل كان له قرنان اى ظفيرتان وقيل
كان تاجه قرنان ويحتمل انه لقب بذلك لشجاعته كما يقال للكبش للشجاع كانه ينطح
اقرانه واختلف في نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه والسائلون هم اليهود سالوه

الغضب

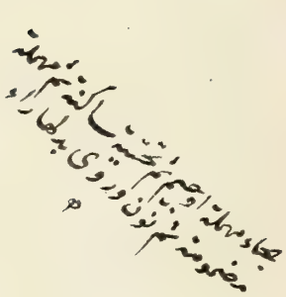

امتحانا او مشركوا مكة **قل سأتلوا عليكم منه ذكرا** خطاب للسائلين والهاء لذي القرنين وقيل لله **انا مكنا له في الارض** اى مكنا له امره من التصرف فيها كيف شاء فحذف المفعول **واتيناه من كل شئ** اراده وتوجه اليه **سببا** وصلة توصله اليه من العلم والقدرة والآلة **فاتبع سببا** اى فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه وقراء الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة الباء وكذلك ما بعده **حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة** ذات حمئة من حمئت البئر اذا صارت ذات حمأة وقراء ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر حامية اى حارة ولا تنافي بينهما لجواز ان تكون العين جامعة للوصفين او حميه على ان باءها مقلوب عن الهمز لكسر ما قبلها ولعله بلغ ساحل المحيط فراها كذلك اذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل ان ابن عباس سمع معاوية يقرأ حامية فقال لحميته فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التورية **ووجد عندها** عند تلك العين **قوما** قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم او يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله **قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب** اى بالقتل على كفرهم **واما ان تتخذ فيهم حسنا** بالارشاد وتعليم الشرايع وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله **قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا** اى فاختار الدعوة وقال اما من ظلم دعوته نفسه بالاصرار على كفره او استمر على ظلمه الذي هو الشرك فنعذبه نحن ومن معي في الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله في الآخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله **واما من امن وعمل صالحا** وهو ما يقتضيه الايمان **فله** في الدارين **جزاء الحسنى** فعلته الحسنى وقراء حمزة والكسائي وحفص ويعقوب جزاء منونا منصوبا على الحال اى فله المثوبة الحسنى مجزيا بها او على المصدر لفعله المقدر حالا اى يجزى بها جزاء او التمييز وقرئ منصوبا غير منون على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على انه المبتدا والحسنى بدله ويجوز ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير اى لكن شانك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن اصر على الكفر والثاني لمن تاب عنه ونداء الله اياه ان كان نبيا فبوحي وان كان غيره فبالهام او على لسان نبي **وسنقول له من امرنا** ما نامره به **يسرا** سهلا متيسرا غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين **ثم اتبع سببا** ثم اتبع طريقا توصله الى المشرق **حتى اذا بلغ مطلع الشمس** يعني الموضع الذي تطلع الشمس عليه اولا من معمور الارض وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف اى مكان مطلع فانه مصدر **وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا** من اللباس او البناء فان ارضهم لا تمسك الابنية او انهم اتخذوا السراب بدل الابنية **كذلك** اى امر ذي القرنين كما وصفناه في رفعة المكان وبسطة الملك او امره فيهم كامره في اهل المغرب من التخيير والاختبار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجدا ونجعل الصفة قوما اى على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم الشمس في الحكم والكفر **وقد احطنا بما لديه** من الجنود والآلات والعدد والاسباب **خبرا** علما نفوذ بظواهرهم وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به الا اللطيف الخبير **ثم اتبع سببا** يعني طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب اخذا من الجنوب الى الشمال **حتى اذا بلغ بين السدين** بين الجبلين اللذين بينهما سد وهما جبلا ارمينية وادربيجان وقيل جبلان في اخر الشمال في منقطع ارض الترك منيفان وراءهما يأجوج ومأجوج وقراء نافع وابن عامر وحمزة

والكسائي وابو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم لما خلقه
الله والمفتوح لما عمله الناس لانه في الاصل مصدر سمي به حدث يحدثه الناس وقيل
بالعكس وبين ههنا مفعول به وهو من الظروف المتصرفة وجد من دونهما قوما لا يكادون
يفقهون قولا لغربة لغتهم وقلة فطنتهم وقراء حمزة والكسائي يفقهون بضم الياء اي
لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لتعقدهم فيه قالوا يا ذا القرنين اي قال مترجمهم
وفي مصحف ابن مسعود قال الذين من دونهم ان يأجوج ومأجوج قبيلتان من ولد يافث
ابن نوح وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف
وقيل عربيتان من اج الظليم اذا اسرع واصلهما الهمزة كما قراء عاصم ومنع صرفهما للتانيث
والتعريف مفسدون في الارض اي في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزرع فيل كانوا
يخرجون ايام الربيع فلا يتركون اخضرا الا اكلوه ولا يابسا الا حملوه وقيل كانوا يأكلون
الناس فهل نجعل لك خرجا جعلا تخرجه من اموالنا وقراء حمزة والكسائي خراجا وكلاهما
واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج المصدر على ان تجعل
بيننا وبينهم سدا يحجز دونهم خروجهم دون خروجهم علينا وقد ضمه من ضم السدين
غير حمزة والكسائي قال ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من المال والملك
خير مما تبذلون لي من الخراج ولا حاجة بي اليه وقراء ابن كثير مكنني على الاصل فاعينوني
بقوة اي بقوة فعلة او بما اتقوى به من الالات اجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا
حصينا وهو اكبر من السد من قولهم ثوب مردم اذا كان رقاع فوق رقاع اتوني زبر
الحديد قطعه والزبر القطعة الكبيرة وهو لا ينافي رد الخراج والاقتصار على المعونة
لان الايتاء المناولة ويدل عليه قراءة ابي بكر ردما ائتوني بكسر التنوين موصولة الهمزة
على معنى جيئوني بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها في مرتك الخير ولان اعطاء الالة من
الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل حتى اذا ساوى بين الصدفين بين جانبي الجبلين
بتنضيدها وقراء ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين وابو بكر بضم الصاد وسكون
الدال وقرئ بفتح الصاد وضم الدال وكلها لغات من الصدف وهو الميل لان كلا منهما
متعدلا عن الاخر ومتنا لتصادف التقابل قال انفخوا اي قال للعملة انفخوا في الاكوار والحديد
حتى اذا جعله اي جعل المنفوخ فيه نارا كالنار بالاحماء قال اتوني افرغ عليه قطرا اي اتوني
قطرا اوني احاسه اذا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وبه تمسك البصريون
على ان اعمال الثاني من العاملين المتوجهين نحو محمول واحدا ولى اذ لو كان قطرا مفعول
اتوني لاتم مفعول افرغ فحذف من الاول وقراء حمزة وابو بكر قال اتوني موصولة الالف
فما اسطاعوا بحذف التاء حذفا من تلا في متقاربين وقراء حمزة بالادغام جامعين الساكنين
على غير حده وقرئ بقلب السين صادا ان يظهروه ان يعلوا بالصعود لارتفاعه وغلاسه
وما استطاعوا له نقبا لصلابته وصلابته قيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر
والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى ساوى اعلا الجبلين
ثم وضع المنافخ حتى صارت كالنار رضت النحاس المذاب عليها فاختلط والتصق بعضه
ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها بكلاليب من حديد ونحاس
مذاب في تجاويفها قال هذا السد او الاقدار على تسويته رحمة من ربي على عباده فاذا
جاء وعد ربي وقت وعده بخروج يأجوج ومأجوج او بقيام الساعة بان شارف يوم القيمة
جعله دكاء مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض مصدر بمعنى مفعول ومنه جمل ادك المنبسط

المنبسط السناء وقرأ الكوفيون ذكاء بالمد أي رضا مستوية وكان وعد ربي حقا كائنا لا محالة وهو اخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض وجعلنا بعض يأجوج ومأجوج حين يخرجون مما وراء السد يموجون في بعض مزدحمين في البلاد او يموج بعض الخلق في بعض فيضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ونفخ في الصور لقيام الساعة فجمعناهم جمعا للحساب والجزاء وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين وابرزناها واظهرناها لهم عرضا الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري عن اياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم وكانوا لا يستطيعون سمعا استماما لذكري وكلامي لافراط صممهم عن الحق فان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهو لما كانهم اصمت مسامعهم بالكلية افحسب الذين كفروا افظنوا والاستفهام للانكار ان يتخذوا عبادي اتخاذهم الملائكة والمسيح من دوني اولياء معبودين نافعهم او لا اعذبهم به فحذف المفعول الثاني كما يحذف الخبر للقرينة او سد ان يتخذوا مسد مفعوليه وقرئ افحسب الذين كفروا اي افكافيهم في النجاة وان بما في حيزه مرتفع بانه فاعل حسب فان النعت اذا اعتمد على الهمزة سلوى الفعل في العمل وخبر له انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا ما يقام للنزيل وتهكم وتنبيه على ان لهم وراءها من العذاب ما تستحقرونه قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز وجمع لانه من اسماء الفاعلين الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهبانية فان خسرانها بين وانما هم ومحله الرفع على الخبر لمحذوف فانه جواب للسؤال او الخبر على ان البدل او النصب على الذم وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا لتجهم واعتقادهم انهم على الحق اولئك الذين كفروا بايات ربهم بالقرآن او بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة ولقائه بالبعث على ما هو عليه ولقاء عذابه فحبطت اعمالهم بكفرهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا او فلا نضع لهم ميزانا توزن به اعمالهم لانحباطها ذلك الامر ذلك وقوله جزاؤهم جهنم جملة مبينة له ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ والجملة خبره والعايد محذوف اي جزاؤهم به او جزاؤهم بدله وجهنم خبر او جزاؤهم خبر وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا واتخذوا اياتي ورسلي هزوا اي بسبب ذلك ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا فيما سبق من حكم الله ووعده والفردوس من اعلا درجات الجنة واصله البستان الذي يجمع الكرم والنخل خالدين فيها حال مقدرة لا يبغون عنها حولا تحويلا اذ لا يجدون اطيب منها حتى ينازعهم اليه انفسهم ويجوز ان يراد به تاكيد الخلود قل لو كان البحر مدادا ما يكتب به وبمواسم ما يمد به الشئ كالحبر للدواة والسليط للسراج لكلمات ربي لكلماته علمه وحكمته لنفد البحر لنفد جنس البحر بأسره لان كل جسم متناه قبل ان تنفد كلمات ربي فانها غير متناهية لانتفاد معلومه ولو جئنا بمثله بمثل البحر الموجود مددا زيادة ومعونة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل في الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا للدلالة على تناهي الابعاد والمتناهي ينفد قبل ان ينفد غير المتناهي بالاحالة وقرئ ينفد بالياء ومددا بالكسر جمع مدة وهي ما يستمد الكاتب فيكتب به ومدادا وسبب نزولها ان اليهود قالوا في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتقرؤن وما اوتيتم من العلم الا قليلا قل انما انا بشر مثلكم لا ادعي الاحاطة على كلماته يوحى الي انما الهكم اله واحد وانما تميزت عنكم بذلك فمن كان يرجو لقاء ربه يأمل حسن لقائه فليعمل عملا صالحا

يرتضيه الله ولا يشرك بعبادة ربه احدا اي يرائيه او يطلب منه اجرا روى ان جندب
بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال
ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وعنه عليه الصلاة والسلام اتقوا الشرك
الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء والاية جامعة لخلاصتي العلم والعمل
وهما التوحيد والاخلاص في الطاعة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قراء ما عند مضجعه
كان له نور من مضجعه بيتا لا الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم
فان كان مضجعه بمكة كان له نور بيتا لا من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك
النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ وعنه عليه الصلاة والسلام من قراء سورة الكهف
من اخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قراءها كلها كانت له نورا من الارض الى السما
والله اعلم والحمد لله وصلى الله على من لا نبي بعده تم الجزء الاول من انوار التنزيل واسرار التاويل

وكان الفراغ من كتابة هذا الجزء المبارك نهار الخميس ثاني
عشر يوم [illegible] من شهر صفر الخير سنة ثلاثة وثلاثين
وماية والـ [illegible] لعبد الفقير الفاني محمد مصطفى بن
السيد [illegible] سيم بن السيد حسن الحموي العلوي
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين
امين والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى اله وصحبه وسلم